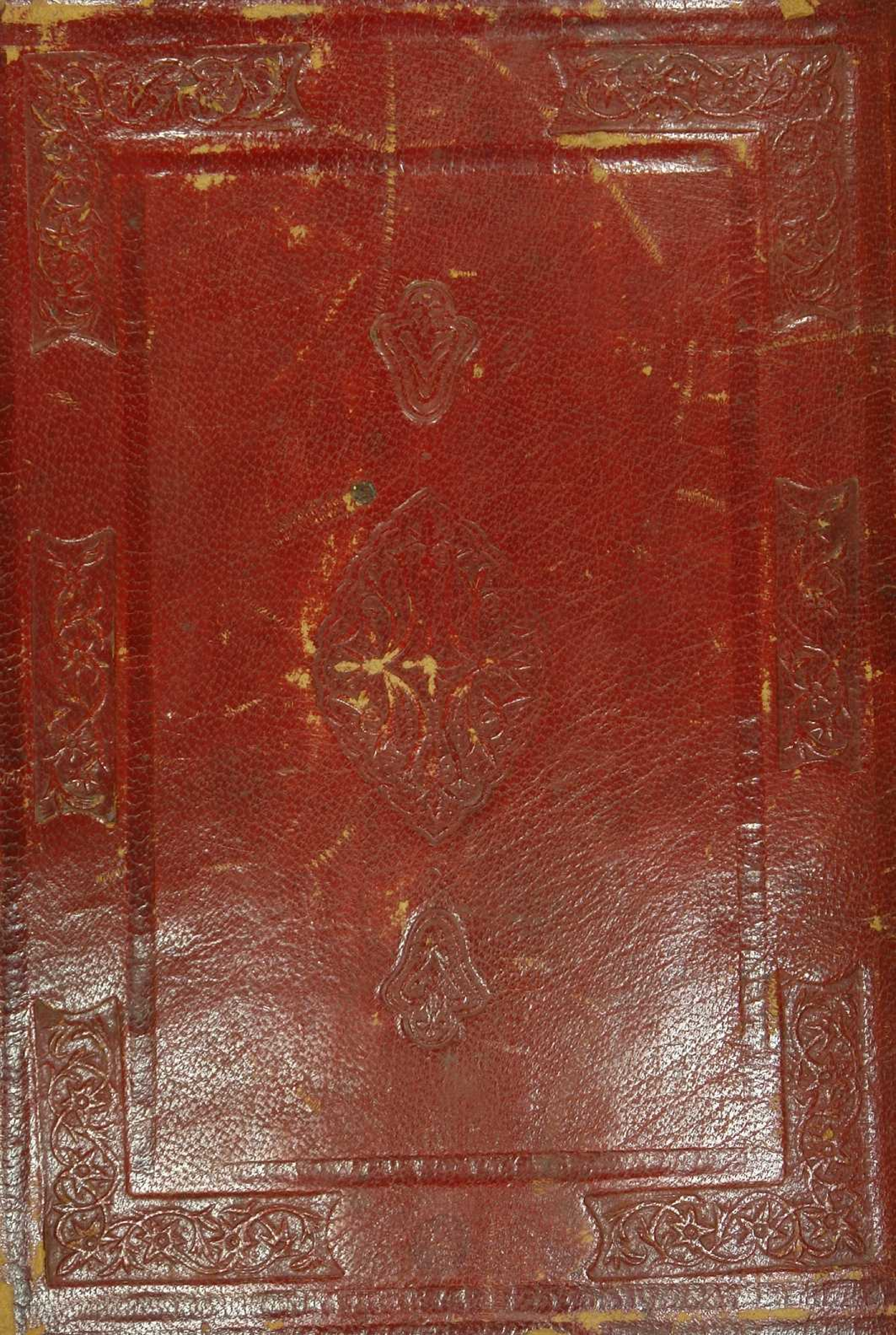


١٤٤٥ أ + ر

٢١٢
س . خ

٥٩٢٥

السراج المنير، تأليف الخطيب الشربيني، محمد ابن احمد -٩٧٧هـ. بخط احمد الخفاجي في القرن الثالث عشر الهجري تقديرا .
ج ٥ (٥٤٠ق) ٢٣ س ٣٢,٥×١٦سم
نسخة جيدة، خطها نسخ معتاد، طبعة الازهرية ١: ٢٦٧، الاعلام ٦: ٢٣٤
١- التفسير، القرآن الكريم وعلومه أ- المؤلف ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ .

٣٨

ابتدى الجزء الخامس



٥٩٢٥

مكتبة جامعة الملك سعود "قسم المخطوطات"
الرقم: ٥٩٢٥ ـ ن ١١٥٤/١
العنوان: السراج المنير
المؤلف: الخطيب الشربيني
تاريخ النسخ: الثالث عشر الهجري
اسم الناسخ: أحمد الخفاجي
عدد الأوراق: ج٥ (٥٤٠ ص)
ملاحظات:

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الرحمن وتسمى عروس القرآن

لانها تجمع النعم والجمال والبهجة في نوعها والكمال مكية كلها
في قول الحسن وعروة وعطا وجابر وقال ابن عباس الا اية
منها وهي قوله تعالى يسأله من في السموات والارض الا
اية وقال ابن مسعود ومقاتل هي مدنية كلها قال ابن عادل
والاول اصح لما روي عن عروة بن الزبير قال اول من جهر
بالقرآن بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود
وذلك ان الصحابة قالوا ما سمعت قريش هذا القرآن
يجهر به قط فمن رجل يسمعهم فقال ابن مسعود انا فقالوا
نخشى عليك وانما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه فابى ثم
قام عند المقام فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم
القرآن ثم تمادى بها رافعا صوته وقريش في انديتها فتأملوا ملوا
وقالوا ما يقول ابن ام عبد قالوا هو يقول الذي يزعم محمد
انه نزل عليه ثم ضربوه حتى اثروا في وجهه وصح
ان النبي صلى الله عليه وسلم قام يصلي الصبح بنخلة
فقرأ بسورة الرحمن ومر النفر من الجن فآمنوا به وهي سبع
وثمانون اية وثلثمائة واحدى وخمسون كلمة والف وثلثمائة
وستة وثلاثون حرفا بسم الله الذي ظهرت احاطة
كماله بما ظهر من عجائب مخلوقاته الرحمن الذي ظهر عموم
رحمته من عجائب مخلوقاته بما بهر من بدائع مصنوعاته
الرحيم الذي ظهر اختصاصه لاهل طاعته بما تحققوا من
الذل المعيد للعز بلزوم عباداته ولما كانت هذه السورة

مقصورة

مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها
بقوله تعالى الرحمن علم اي من شاء القرآن وقدم من نعمه الدينية
ما هو اعلى مراتبها واقصى مراتبها وهو انعامه تعالى بالقرآن
العظيم وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله تعالى رتبة
واعلاها منزلة واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام
الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها تسميه اول
هذه السورة مناسب لاخر ما قبلها لان اخر تلك مليك مقتدر
واول هذه الرحمن قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي الرحمن
فاتحة ثلاث سور اذا جمعن كن اسما من اسماء الله تعالى الر وحم
ون فيكون مجموع هذه الرحمن ولله تبارك وتعالى رحمتان
رحمة سابقة بها خلق الخلق ورحمة لاحقة بها اعطاهم
الرزق والمنافع فهو رحمن باعتبار السابقة رحيم باعتبار
اللاحقة ولما اختص بالايجاد لم يقل لغيره رحمن ولما خلق
بعض خلقه الصالحين ببعض اخلاقه بحسب الطاقة
البشرية فاطعم ونفع جاز ان يكون يقال له رحيم وفي اعراب
الرحمن ثلاثة اوجه احدها انه خبر مبتدأ مضمر اي الله
الرحمن الثاني انه مبتدأ وخبره مضمر اي الرحمن ربنا
الثالث انه مبتدأ خبره علم القرآن فان قيل كيف يجمع بين
هذه الاية وبين قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله
اجيب بانا ان قلنا يعطف الراسخين فلان من علم
كتابا عظيما فيه مواضع مشكلة قليلة وتأملها بقدر الامكان
فانه يقال فلان يعلم الكتاب الفلاني وان كان لم يعلم مراد
صاحب الكتاب يقينا في ذلك المواضع القليلة وكذا

وكذا القول في تعليم القرآن او يقال المراد لا يعلمه
من تلقاء نفسه بخلاف الكتب التي تستخرج بقوة الذكاء
والفكر واختلف في سبب نزول هذه الاية فقال اكثر
المفسرين نزلت حين قالوا وما الرحمن وقيل نزلت جوابا
لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر وهو رحمان اليمامة
يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله تعالى الرحمن علم القرآن
اي سهله ليذكر ويقرأ كما قال تعالى ولقد يسرنا القرآن
للذكر ولما كان كلامه قيل كيف يعلمه وهو صفة من صفاته
ولمن علمه قال تعالى مستانفا او معللا **خلق الانسان**
اي الجنس بان قدره واوجده على هذا الشكل المعروف
والتركيب الموصوف منفصلا عن جميع الجمادات واصله
منها ثم عن سائر الناميات ثم عن غيره من الحيوانات
وخلقه له دليل على خلقه لكل شيء موجودا انا كل
شيء خلقناه بقدر وقيل علم القرآن جعله علامة
واية **علمه البيان** اي القوة الناطقة وهي الادراك للامور
الكلية والجزئية والحكم على الحاضر والغائب بقياسه
على الحاضر وغير ذلك مما اودعه له سبحانه مع تعبيره
عما ادركه مما هو غائب في ضميره وافهامه تارة بالقوة
وتارة نطقا وكتابة واشارة وغيرها فصار بذلك ذا
قدرة في نفسه والتكميل لغيره فهذا تعليم البيان الذي
مكن من تعليم القرآن وقال ابن عباس وقتادة والحسن
يعني ادم عليه السلام علم اسماء كل شيء وقيل علمه اللغات
كلها وكان ادم يتكلم بسبعمائة الف لغة افضلها العربية

وعن

مستقيما بالعدل وقال ابو الدرداء اقيموا لسان الميزان بالعدل
وقال ابن عطية الاقامة باليد والقسط بالقلب وقال
مجاهد القسط العدل بالرومية **ولا تخسروا الميزان** اي لا
تنقصوا الموزونات امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي
هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان
وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية وتقوية للامر
باستعماله والحث عليه وقيل كرره بحال رؤوس الاي وقيل
كرره ثلاث مرات الاول بمعنى الالة وهو قوله تعالى ووضع
الميزان والثاني بمعنى المصدر اي لا تطغوا في الوزن
والثالث للمفعول اي لا تخسروا الموزون قال ابن عادل
وبين القرآن والميزان مناسبة فان القرآن فيه العلم الذي
لا يوجد في غيره من الكتب والميزان به يقام العدل الذي
لا يقام بغيره من الالات ولما ذكر انعامه الدال على اقتداره
برفع السماء ذكر على ذلك الوجه مقابلها بعد ان وسط
بينهما ما قاما به من العدل تنبيها على شدة العناية
والاهتمام به فقال تعالى **والارض** اي ووضع الارض ثم فسر
ناصبها كما فعل في قوله تعالى والسماء رفعها فقال تعالى **وضعها**
اي دحاها وبسطها على الماء **للانام** اي لكل من فيه قابلية
النوم او قابلية الونيم وهو الصوت وقيل هو الحيوان وقيل
بنو ادم خاصة وهو مروي عن ابن عباس ونقل النووي قال
في التهذيب عن الزبيدي الانام الخلق قال ويجوز الانيم
وقال الواحدي قال الليث الانام ما على ظهر الارض من جميع
الخلق وقال الحسن هم الانس والجن **فيها** اي الارض **فاكهة** اي

وقيل سجود النجم افوله وسجود الشجر امكان الاجتنا
لثمارها حكاه الماوردي وقال النحاس اصل السجود
في اللغة الاستسلام والانقياد لله عز وجل فهو من
الموات كلها استسلامها لامر الله عز وجل وانقيادها
له ومن الحيوان كذلك فان قيل كيف اتصلت هاتان الجملتان
بالرحمن اجيب بانه استغني عن الوصل اللفظي بالوصل
المعنوي لما علم ان الحساب بحسبانه والسجود له لا لغيره كانه
قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له فان
قيل اي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما
العاطف اجيب بان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر
ارضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل
فان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جري
الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله تعالى
فهو مناسب لسجود النجم والشجر والسماء اي رفع السماء ثم
صيرنا نصبها فيكون كالمذكور مرتين اشارة الى عظيم تدبيره
لشدة ما فيها من الحكم فقال تعالى رفعها اي حسا قال البقا عي
بعدما كانت ملتصقة بالارض ففتقها واعلاها عنها وقال
الزمخشري حيث جعلها منشأ احكامه ومصدر قضاياه
متنزل اوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون
بالوحي على انبيائه ونبه بذلك على كبريائه وملكه وسلطا نه
ووضع الميزان اي العدل الذي دبر به الخافقين من الموازنة
وهي المعادلة لتنتظم امورنا كما قال صلى الله عليه وسلم
بالعدل قامت السموات والارض وقال السدي وضع في الارض

ما يتفكه بها الانسان من الوان الثمار ونكرها لان الانتفا ع
بها دون الانتفاع بما ذكر بعدها فهو من باب الترقي من
الادنى الى الاعلى اذ التنكير فيها للتعظيم والتكثير تنبيه عليه
بتعريف نوع منها تنويها به لانه فيه مع النخلة الثمرة وهو
اكثر ثمار العرب المقصودين بهذا الذكر بالقصد الاول فقال
تعالى والنخل ودل على تمام القدرة بقوله تعالى ذات اي صاحبة
الاكمام اي اوعية ثمرها وهو الطلع قبل ان ينفتق بالثمر والاكمام
جمع كم بالكسر قال الجوهري والكم بالكسر والكمامة وعاء الطلع
وغطاء النور ويجمع كمام والكمامة ما يكم به فم البعير لئلا
يعض وكم القميص بالضم ويجمع اكمام وكمة القلنسوة المدورة
لانها تغطي الراس والحب اي جميع الحبوب التي يقتات بها كالحنطة
والشعير ذو العصف قال ابن عباس تبن الزرع وورقه الذي
يعصفه الريح وقال مجاهد ورق الشجر والزرع وقال
سعيد بن جبير بقل الزرع الذي اول ما ينبت منه وهو
قول الفراء والعرب تقول خرجنا نعصف الزرع اذا قطعوا منه
قبل ان يدرك وقيل العصف حطام النبات والريحان وهو في
الاصل مصدر ثم اطلق على الرزق قال ابن عباس ومجاهد
والضحاك هو الرزق بلغة حمير كقولهم سبحان الله وريحانه
نصبوهما على المصدر يريدون تنزيها له واسترزاقا وعن
ابن عباس ايضا والضحاك وقتادة انه الريحان الذي يشم
وهو قول ابن زيد وقال سعيد بن جبير هو ما قام على
ساق وقال سعيد عن الفراء العصف الماكول من الزرع والر يحان
الذي ما لا يوكل وقال الكلبي العصف الورق الذي يوكل

والريحان

وعن ابن عباس انهم وابن كيسان المراد بالانسان هاهنا
محمد صلى الله عليه وسلم والمراد من البيان الحلال والحرام
والهدى من الضلال وقيل ما كان وما يكون لانه بين
عن الاولين والاخرين وعن يوم الدين وقال الضحاك
البيان الخير والشر وقال الربيع بن انس هو ما ينفعه
وما يضره وقال السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون
به وقيل بيان الكتابة والخط بالقلم نظيره قوله تعالى
علم الانسان ما لم يعلم فان قيل لم قدم تعليم القران
للانسان على خلقه وهو متاخر عنه في الوجود اجيب
بان التعليم هو السبب في ايجاده وخلقه فان قيل كيف
صرح بذكر المفعولين في علمه البيان ولم يصرح بهما في
علم القران اجيب بان في ذلك اشارة الى ان النعمة
في التعليم لا في تعليم شخص دون شخص وبان المراد
من قوله تعالى علمه البيان تعديد النعم على الانسان
واستدعا الشكر منه ولم يذكروا لملائكة لان المقصود ذكر
ما يرجع الى الانسان وقيل تقديره علم جبريل القران
وقيل علم محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل علم الانسان
وهذا اولى لعموم تنبيه هذه الجمل من قوله تعالى
علم القران الى هنا جي بها من الجمل من قوله غير عاطف
لانها سيقت لتعديد نعمه كقولك فلان احسن الى فلان
اكرمه اشاد ذكره رفع قدره فلشدة الفصل ترك العاطف
وهي اخبار مترادفة للرحمن ولما ذكر تعالى خلق
الانسان وانعامه عليه بتعليمه البيان ذكر نعمتين

العدل الذي امر به تعالى ووضع الله الشريعة ووضع فلان
كذا اي القاه وقيل على هذا الميزان القران لان فيه بيان
ما يحتاج اليه وهو قول الحسين بن الفضل وقال الحسن وقتادة
والضحاك هو الميزان الذي يوزن به لينتصف به الناس
بعضهم من بعض وهو خبر بمعنى الامر بالعدل يدل عليه
قوله تعالى واقيموا الوزن بالقسط والقسط هو العدل
وقيل هو الحكم وقيل المراد وضع الميزان في الاخرة يوزن
الاعمال ان اي لاجل ان لا تطغوا اي تتجاوزوا الحدود في الميزان
فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال انه
الميزان الذي يوزن به قال طغيانه البخس قال ابن عباس
لا تخونوا من وزنتم له وعنه انه قال يا معشر الموالي وليتم
امرين بهما هلك الناس المكيال والميزان ومن قال انه
الحكم قال طغيانه التحريف وقيل فيه اضمار اي وضع الميزان
وامركم ان لا تطغوا فيه فان قيل ان كان المراد به ما يوزن
به فاي نعمة عظيمة فيه حتى تعد في الالاء اجيب بان
النفوس تابى الغبن ولا يرضى احد ان يغلبه غيره ولو
في الشي اليسير ويرى ان ذلك استهانة به فلا يتركه
خصمه يغلبه فوضع الله تعالى معيارا يتبين به التساوي
ولا يقع به التغابن بين الناس وهو الميزان وهو كل ما يوزن
به الاشيا ويعرف مقاديرها به من ميزان ومكيال
ومقياس فهو نعمة كاملة ولا ينظر الى عدم ظهور نعمته
وكثرته وسهولة الوصول اليه كالهوا والما اللذين لا يتبين
فضلهما الا عند فقدها واقيموا الوزن بالقسط اضلوه

مستقيما

عظيمتين بقوله تعالى والشمس وهي اية النهار والقمر وهي اية
الليل بحسبان فانهما على قانون واحد وحسبان لا يتغيران
وبذلك تتم منفعتهما للزراعات وغيرها ولولا الشمس
والقمر لفات كثير من المنافع الظاهرة بخلاف غيرهما من الكوا كب
فان نفعها لا تظهر لكل احد مثل ظهور نفعهما وانهما بحسبان
لا يتغيرا ابدا ولو كان سيرهما غير معلوم للخلق لما انتفع
بالزراعات في اوقاتها ومعرفة فصول السنة والمعنى يجريان ن
بحسبان معلوم فاضمر الخبر قال ابن عباس وقتادة وابن
مالك يجريان بحسبان في منازل لا يتعديانها ولا يحيدان
عنها وقال ابن زيد وابن كيسان بهما تحسب الاوقات والاعمار
ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف يحسب
شيئا ان كان الدهر كله ليلا او نهارا وقال السدي بحسبان
تقدير اجال لهما اي يجريان باجال كاجال الناس فاذا جاء اجلهما
هلكا نظيره كل يجري لاجل مسمى والنجم اي النبات الذي ينجم
اي يطلع من الارض ولا ساق له كالبقول والشجر اي الذي
له ساق كشجر الرمان وتقدم الجواب عن قوله تعالى وانبتنا
عليه شجرة من يقطين في سورة الصافات يسجدان اي
ينقادان لله تعالى فيما يريده طبعا انقياد الساجد من
المكلفين طوعا وقال الضحاك سجودهما ظلهما وقال الفرا
سجودهما انهما يستقبلان اذا طلعت الشمس ثم يميلان
معها حتى ينكسر الفيء وقال الزجاج سجودهما دوران
الظل معهما كما قال تعالى يتفيا ظلاله وقال الحسن ومجاهد
النجم نجم السماء وسجوده في قول مجاهد دوران ظله

وقيل

الا يرى ان الله تعالى ارسل بعض البحرين الى بعض ومن شانهما الا
ختلاط فحجزهما ببرزخ من قدرته فهما لا يبغيان اي لا يجاوز كل واحد
منهما ما حده له خالقه لا في الظاهر ولا في الباطن حتى حفر على
جنب الملح في بعض الاماكن وجدت الماء العذب وان قربت الحفرة
منه قال البقاعي بل كلما قربت كان احلى فخلطهما سبحانه في رأي العين
وحجز بينهما في غيب القدرة هذا وهما جمادان لا نطق لهما ولا ادراك
فكيف يبغي بعضكم على بعض ايها المدركون العقلاء فباي الاء اي نعم
ربكما الموحد لكما والمربي تكذبان اي بتلك النعم ام بغيرها فهلا اعتبر ن
تم بهذه الاصول من انواع الموجودات فصدقتم بالاخرة لعلكم ح
تنجوا من عذاب الله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ وهو كبار
الجوهر والمرجان وهو صغار الجوهر قاله علي وابن عباس والضحاك
وقيل بالعكس وقيل المرجان حجر احمر وقيل حجر شديد البياض والمرجان ن
الحجر اي بمخالطة العذب المالح من غير واسطة او بواسطة السحاب
فصار ذلك كالذكر والانثى وقال الرازي فيكون العذب كاللقاح ح
للملح وقال ابو حيان قال الجمهور انما يخرج من الاجاج في المواضع
التي تقع فيها الانهار والمياه العذبة فاسند ذلك اليهما وهذا مشهور
عند الغواصين قال مكي كما قال على رجل من القريتين عظيم اي
من احدى القريتين وحذف المضاف كثير شائع وقيل كقوله تعالى
نسيا حوتهما وانما الناسي فتاه وقيل لا يجيب عبيده قال البغوي
وهذا جائز في كلام العرب ان يذكر شيئين ثم يخص احدهما
بفعل كقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وكانت
الرسل من الانس وقيل يخرج من احدهما اللؤلؤ ومن الاخر المرجان
وقيل بل يخرجان منهما جميعا وقال ابن عباس تكون هذه الاسب

في البحر بنزول المطر والصدف تفتح افواهها للمطر وقد شاهد
الناس فيكون تولده من بحر السماء وبحر الارض وهذا قول الطبري
وقال الزمخشري فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح
قلت لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما
كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر وانما يخرجان
من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من
محاله من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى
الملح والعذب انتهى وقال بعضهم كلام الله تعالى اولى
بالاعتبار من كلام بعض الناس فمن الجائز انه يسوقهما
من البحر العذب الى الملح واتفق انهم لم يخرجوها الا من الملح
وان كان في البحر اشيا تخفى على التجار المترددين القاطنين
البلاد فكيف بما في قعر البحر اشيا تخفى على التجار المترددين
القاطنين قال ابن عادل والجواب عن هذا ان الله تعالى
لا يخاطب ولا يمن عليهم الا بما يعرفون ويشاهدون وقرا
نافع وابو عمرو يخرج بالضم اليا وفتح الرا مبنيا للمفعول والباقون
بفتح اليا والضم الرا وفتح الرا مبنيا للفاعل على المجاز وقرا
السوسي وشعبة بابدال الهمزة الساكنة واوا وصلا ووقفا
واذا وقف حمزة ابدل الاولى والثانية فبأي آلاء اي نعم
ربكما اي املك ال عظم املاك لكما تكذبان اي لكثرة النعم
من خلق المنافع في البحار وتسليطكم عليها واخراج الحلي العجيبة
ام غيرها وله لا لغيره الجوار اي السفن الكبار الفارغة
والمشحونة فلا تغتروا بالاسباب الظاهرة فتمتعوا منها فتنسوا
نسبا من ذلك اليها وقرا المنشآت حمزة وابو بكر بخلاف عنه بكسر

الشين

حتى صار حمأ مسنونا ثم نشأ ثم صوره كما يصور الابريق وغيره
من الاواني ثم ايبسه حتى صار في غاية الصلابة فصار كا
لخزف الذي اذا نقرته صوت صوتا يعلم منه عيب اولا والمذكور
هنا اصل تخليقه وهو انسب بالرحمانية وفي غيرها تارة مبدا
وتارة امثله قال الرازي امه والماء ابوه ممزوجات بالهوا الكامل الحر
الذي هو فيح جهنم فمن ترابه جسده ونفسه ومن الماء روحه
وغسله ومن النار مطلب غوايته وحدته ومن الهوا حركته
وتقلبه في محامده ومذامه فالغالب في خلقه التراب فلهذا
نسب اليه وان خلقه من العناصر الاربع كما ان الجان خلق
من العناصر الاربع لكن الغالب في جبلته النار فنسبه اليها
كما قال تعالى وخلق الجان اي وخلق الجان اي ابا الجن وهو
ابليس وقيل هو ابوهم وليس بابليس وقيل هو اسم جنس
كالانسان من مارج من نار وهو لهبها الخالص من الدخان
وقال القشيري هو اللهب المختلط بسواد النار فالنار اغلب عناصره
وقال الليث المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد
وعن ابن عباس انه اللهب الذي يعلو النار فيختلط بعضه
ببعض احمر واصفر واخضر وهو مشاهد في النار تركب الالوان
الثلاثة مختلطا بعضها ببعض ونحوه عن مجاهد ولكن المارج
المختلط النار واصله من مرج اذا اضطرب واختلط قال
القرطبي يروى ان الله خلق نارين فمزج احدهما بالاخرى
فاكلت احداهما الاخرى وهي نار السموم فخلق منها ابليس
تنبيه من مارج من نار من الاولى لابتدا الغاية وفي الثانية
وجهان انها للبيان والثاني انها للتبعيض فبأي الاء ربكما

الناشية عن مبديكما وسيدكما تكذبان اي مما فاض عليكما في
اطوار خلقتكما حتي صيركما افضل خلقه من الكاينات رب اي خالق
ومدبر المشرقين اي مشرق الشتا ومشرق الصيف ورب المغربين كذلك
فباي الا اي نعم ربكما الذي دبر لكما هذا التدبير العظيم تكذبان اي
مما في ذلك من الفوايد التي لا تحصي كاعتدال الهوا واختلاف
الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الي غير ذلك مرج اي
ارسل الرحمن البحرين اي العذب والملح فجعلهما مضطربين من طبعهما
الاضطراب حال كونهما يلتقيان اي يتماسان علي وجه الارض
بلا فصل بينهما في رواية تعني وقال ابن عباس بحر السما وبحر الارض
قال سعيد بن جبير يلتقيان في كل عام وقيل يلتقي طرفاهما وقال
الحسن وقتادة بحر فارس والروم وقال ابن جريج البحر المالح
والانهار العذبة وقيل بحر المشرق وبحر المغرب وقيل بحر اللولو
والمرجان بينهما برزخ اي حاجز عظيم الذي بينهما هو ما بين السما
والارض قاله الضحاك وعلي الاقوال الباقية قال الحسن وقتادة
هو الارض وقال بعضهم هو القدرة الالهية وعن الاول لا يبغيان
اختلف فيه فقال قتادة لا يبغيان علي الناس فيغرقانهم كالطغيا
فاهلكا من علي الارض في ايام نوح عليه السلام فجعل بينهما وبين
الناس اليبس وقال مجاهد وقتادة ايضا لا يبغي احدهما علي
صاحبه فيغلبه وقيل البرزخ ما بين الدنيا والاخرة اي بينهما مدة
قدرها الله تعالي وهي مدة الدنيا فهما لا يبغيان فاذا اذن
الله تعالي في انقضا الدنيا صار البحران واحدا وهو كقوله تعالي
واذا البحار فجرت وقال سهل بن عبد الله البحران طريق الخير والشر
والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة وقال الرازي معنى

الاية

والريحان هو الحب الماكول وقيل كل بقلة طيبة الريح سميت
ريحانا لان الانسان يراح لها رائحة طيبة اي يشم وفي الصحاح ح
الريحان نبت معروف والريحان الرزق تقول خرجت ابتغي
ريحان الله وفي الحديث الولد من ريحان الله وقرا ابن
عامر بنصب الحب وذو الريحان بخلق مضمرا اي وخلق
الحب ذا العصف والريحان وقرا حمزة والكسائي برفع الحب
وذو وعطفا علي فاكهة اي وفيها ايضا هذه الاشيا وبما
دخل في قوله تعالي والارض وضعها للانام الجن والانس خا
طبهما بقوله فباي الا اي نعم ربكما غيره تكذبان اتلك النعم
ام بغيرها وكرر هذه الاية في هذه السورة في احدي وثلاثين
موضعا تقريرا للنعمة وتاكيدا في التذكير وفصل بين كل
نعمتين بما ينبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كما تقول
لمن تتابع عليه احسانك وهو يكفره وينكره الم تكن فقيرا
فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا
الم تكن راجلا فحملتك افتنكر هذا والتكرير حسن في مثل هذا
قال القايل • كم نعمة كانت لكم كم كم وكم • وقال اخر • لا تقتلي
مسلما ان كنت مسلمة • اياك من دمه اياك اياك • وقال اخر
لا تقطعن الصديق ما طرفت • عيناك من قول كاشح اشر •
ولا تملن يوما من زيارته • زره وزره وزر وزر وزر •
وقال الحسين بن الفضل التكرير طرد للغفلة وتاكيد للحجة قال
بعض العلما والتكرير ها هنا كما تقدم في قوله تعالي ولقد يسرنا
القران للذكر وكقوله تعالي فيما ياتي ويل يومئذ للمكذبين
وذهب جماعة منهم ابن قتيبة الي ان التكرير لاختلاف النعم

في البحر بنزول المطر والصدف تفتح افواهها للمطر وقد شاهد
الناس فيكون تولده من بحر السماء وبحر الارض وهذا قول الطبري
وقال الزمخشري فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح
قلت لما التقيا وصارا كالشي الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما
كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر وانما يخرجان
من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من
محاله من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى
الملح والعذب انتهى وقال بعضهم كلام الله تعالى اولى
بالاعتبار من كلام بعض الناس ومن علم انه ليس فيهما
من البحر العذب الى الملح واتفق انهم لم يخرجوها الا من الملح
وان كان في البحر اشيا تخفى على التجار المترددين القاطنين
المعادن فكيف بما في قعر البحر اشيا تخفى على التجار المترددين
القاطنين قال ابن عادل والجواب عن هذا ان الله تعالى
لا يخاطب ولا يمن عليهم الا بما يعرفون ويشاهدون وقرا
نافع وابو عمرو يخرج بضم اليا وفتح الرا مبنيا للمفعول والباقون
بفتح اليا وضم الرا مبنيا للفاعل على المجاز وقرا
السوسي وشعبة بابدال الهمزة الساكنة واوا وصلا ووقفا
واذا وقف حمزة ابدل الاولى والثانية فباي الا اي نعم
ربكما اي انعمك الله عظم الائه لكما تكذبان اي بكثرة النعم
من خلق المنافع في البحار وتسليطكم عليها واخراج الحلي العجيبة
ام غيرها وله لا لغيره الجوار اي السفن الكبار الفارعة
والمشحونة فلا تغتروا بالاسباب الظاهرة فتمنعوا منها شي
ئا من ذلك اليها وقرا المنشآت حمزة وابو بكر بخلاف عنه بكسر

الشين

حتى صار حما مسنونا ثم نتنا ثم صوره كما يصور الابريق وغيره
من الاواني ثم ايبسه حتى صار في غاية الصلابة فصار كا
لخزف الذي اذا نقرته صوت صوتا يعلم منه عيب او لا والمذكور
هنا اخر تخليقه وهو انسب بالرحمانية وفي غيرها تارة مبدا
وتارة امثله فالارض امه والما ابوه ممزوجات بالهوا الكامل الحر
الذي هو نفح جهنم فمن ترابه جسده ونفسه ومن الما روحه
وغسله ومن النار مطلب غوايته وحدته ومن الهوا حركته
وتقلبه في محامده ومذامه فالغالب في جبلته التراب فلهذا
نسب اليه وان خلقه من العناصر الاربع كما ان الجان خلق
من العناصر الاربع لكن الغالب في جبلته النار فنسبه اليها
كما قال تعالى وخلق الجان اي وخلق الجان اي ابا الجن وهو
ابليس وقيل هو ابوهم وليس بابليس وقيل هو اسم جنس
كالانسان من مارج من نار وهو لهبها الخالص من الدخان
وقال القشيري هو اللهب المختلط بسواد النار فالنار اغلب عنصره
وقال الليث المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد
وعن ابن عباس انه اللهب الذي يعلو النار فيختلط بعضه
ببعض احمر واصفر واخضر وهو مشاهد في النار ترى الالوان
الثلاثة مختلطا بعضها ببعض ونحوه عن مجاهد وكون المارج
المختلط النار واهله من مرج اذا اضطرب واختلط قال
القرطبي يروى ان الله خلق نارين فمزج احدهما بالاخرى
فاكلت احدهما الاخرى وهي نار السموم فخلق منها ابليس
تنبيه من مارج من نار من الاولى لابتدا الغاية وفي الثانية
وجهان انها للبيان والثاني انها للتبعيض فباي الا اي نعم ربكما

الناشئة عن تدبيركما وتسخيركما تكذبان اي مما افاض عليكما في
اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل سائر الكائنات رب اي خالق
ومدبر المشرقين اي مشرق الشتا ومشرق الصيف ورب المغربين كذلك
فباي الا اي نعم ربكما الذي دبر لكما هذا التدبير العظيم تكذبان اي
مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهوا واختلاف
الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج اي
ارسل الرحمن البحرين اي العذب والملح فجعلهما مضطربين من طبعهما
الاضطراب حال كونهما يلتقيان اي يتماسان على وجه الارض
بلا فصل بينهما في رواية ابن عيينة وقال ابن عباس بحر السما وبحر الارض
قال سعيد بن جبير يلتقيان في كل عام وقيل يلتقي طرفاهما وقال
الحسن وقتادة بحر فارس والروم وقال ابن جريج البحر المالح
والانهار العذبة وقيل بحر المشرق وبحر المغرب وقيل بحر اللولو
والمرجان بينهما برزخ اي حاجز عظيم الذي بينهما هو ما بين السما
والارض قاله الضحاك وعلى الاقوال الباقية قال الحسن وقتادة
هو الارض وقال بعضهم هو القدرة الالهية وهذا الذي لا يبغيان
اختلف فيه فقال قتادة لا يبغيان على الناس فيغرقانهم جاعلا
ما هلكا من على الارض في ايام نوح عليه السلام فجعل بينهما وبين
الناس اليبس وقال مجاهد وقتادة ايضا لا يبغي احدهما على
صاحبه فيغلبه وقيل البرزخ ما بين الدنيا والاخرة اي بينهما مدة
قدرها الله تعالى وهي مدة الدنيا فهما لا يبغيان فاذا اذن
الله تعالى في انقضا الدنيا صار البحران واحدا وهو كقوله تعالى
واذا البحار فجرت وقال سهل بن عبد الله البحران طريق الخير والشر
والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة وقال الرازي معنى

الاية

والريحان هو الحب المأكول وقيل كل بقلة طيبة الريح سميت
ريحانا لان الانسان يراح لها رائحة طيبة اي يشم وفي الصحاح ح
الريحان نبت معروف والريحان الرزق تقول خرجت ابتغي
ريحان الله وفي الحديث الولد من ريحان الله وقرا ابن
عامر بنصب الحب وذو الريحان بخلق مضمرا اي وخلق
الحب وذا العصف والريحان وقرا حمزة والكسائي برفع الحب
وذو وعطفا على فاكهة اي وفيها ايضا هذه الاشيا ومما
دخل في قوله تعالى والارض وضعها للانام الجن والانس خا
طبهما بقوله فباي الا اي نعم ربكما عبر تكذبان انكار النعم
ام تغييرها وكرر هذه الاية في هذه السورة في احدى وثلاثين
موضعا تقريرا للنعمة وتأكيدا في التذكير وفصل بين كل
نعمتين بما ينبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كما تقول
لمن تتابع عليه احسانك وهو يكفره وينكره الم تكن فقيرا
فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا
الم تكن راجلا فحملتك افتنكر هذا والتكرير حسن في مثل هذا
قال القائل ◦ كم نعمة كانت لكم كم كم وكم ◦ وقال اخر ◦ لا تقتلي
مسلما ان كنت مسلمة ◦ اياك من دمه اياك اياك ◦ وقال اخر
لا تقطعن الصديق ما طرفت ◦ من قول كاشح اشر ◦
ولا تملن من زيارته ◦ زره وزره وزر وزر وزر ◦
وقال الحسين بن الفضل التكرير طردا للغفلة وتأكيدا للحجة قال
بعض العلما والتكرير ها هنا كما تقدم في قوله تعالى ولقد يسرنا
القران للذكر وكقوله تعالى في المرسلات ويل يومئذ للمكذبين
وذهب جماعة منهم ابن قتيبة الى ان التكرير لاختلاف النعم

فلذلك كرر التوقيف مع واحدة وقال الرازي وذكره بلفظ الخطاب
على سبيل الالتفات والمراد به التقريع والزجر لفظ الرب
لانه يشعر بالرحمة قال وكرر هذه اللفظة في هذه السورة نيفا
وثلاثين مرة للتاكيد ولا يعقل لخصوص العدد معنى وقيل
الخطاب مع الانس والجن منحصرة في رفع المكروه وتحصيل
المقصود واعظم المكروهات نار جهنم ولها سبعة ابواب واعظم المقا
صد نعيم الجنة ولها ثمانية ابواب فالمجموع خمسة عشر وذلك
بالنسبة للانس والجن ثلاثون والزايد لبيان التاكيد وروى
جابر بن عبد الله قال قرا علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال ما لي اراكم سكوتا للجن كانوا احسن
منكم ردا ما قرات عليهم هذه الاية مرة فباي الاء ربكما تكذبان
الا قالوا ولا بشي من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد وقرا ودني
ضاب الا على اهله المد والتوسط والقصر جميع ما في هذه
السورة ولما ذكر تعالى خلق العالم الكبير من السما والارض وما
فيهما من الدلالات على وحدانيته وقدرته ذكر خلق العالم
الصغير فقال تعالى خلق الانسان اي ادم عليه السلام من صلصال
من طين يابس له صلصلة اي صوت اذا نقر كالفخار اي كالخزف
المصنوع المشوي بالنار وقيل هو طين خلط برمل وقيل هو
الطين المنتن من حما اللحم واهل اذا انتن تنبيه قال تعالى
هنا من صلصال كالفخار وقال تعالى في الحجر من حما مسنون
وقال تعالى في الصافات من طين لازب وقال تعالى في ال
عمران كمثل ادم خلقه من تراب وكله متفق المعنى وذلك
انه اخذه من تراب الارض فعجنه بالما فصار طينا ثم تركه

حتى

الشين صفة لها تشبيه المهيج بجريان او تنشي السير اقبالا واد بارا
او رفعت شراعها اي قلوعها والشراع القلع وعن مجاهد كلما
رفعت قلعها فهي منشاة والا فليست منها ونسبة الرفع اليها
مجاز كما يقال انشات السحابة المطر وقرا الباقون بفتح الشين وهو
اسم مفعول اي انشاها الله تعالى او الناس او رفعوا شراعها
تنبيه الجوار جمع جارية وهي اسم او صفة للسفينة وخصها
بالذكر لان جريها في البحر لا صنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك
فيقولون لك الفلك ولك الملك وان خافوا الغرق دعوا الله وحده
وسميت السفينة جارية لان شانها ذلك وان كانت واقفة في السا حل
كما سماها في موضع اخر بالجارية كما قال تعالى انا لما طغى الما
حملناكم في الجارية وسماها بالفلك قبل ان تكون كذلك فقال تعالى
لنوح عليه السلام واصنع الفلك باعيننا ثم بعد ما عملها اسماها
سفينة فقال تعالى فانجيناه واصحاب السفينة قال الرازي فالفلك
اولا ثم السفينة ثم الجارية انتهى والمراة المملوكة تسمى ايضا
جارية لان شانها الجري والسعي في حوائج سيدها بخلاف
الزوجة فهي من الصفات الغالبة والسفينة بمعنى مفعولة عند
غيره بمعنى مسجورة وقوله تعالى في البحر متعلق بالمنشاة وقوله
كالاعلام حال اما من الضمير المستكن في المنشاة واما من الجواري
وكلا منهما بمعنى واحد والاعلام الجبال والعلم الجبل الطويل علما
الارض قال القايل اذا قطعنا علما بدا لنا علم وقال اخر ربما
اوفيت في علم يرفعن ثوبي شمالات وقالت الخنساء في اخيها صخر
وان صخرا لتاتم الهداة به كانه علم في راسه نار اي جبل
فالسفن في البحر كالجبال في البر وجمع الجواري ووحد البحر وجمع

الاعلام اشارة الي عظمة البحر فباي الا اي نعم ربكما الغظمي التي
عمت خلقه تكذبان اتنكر النعم من خلق مواد السفن والارشاد
الي اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر واسباب لا يقدر
علي خلقها وجمعها غيره وقوله تعالي كل من عليها فان اي
هالك غلب فيه من يعقل علي غيره وجميعهم سواد والضمير في
عليها للارض قال بعضهم وان لم يجر لها ذكر كقوله تعالي حتي توارت
بالحجاب وردهذا بانه قد تقدم ذكرها في قوله تعالي والارض
وضعها وقيل الضمير عايد الي الجارية قال بن عباس لما نزلت
هذه الاية قالت الملايكة هلك اهل الارض فنزل كل شي هالك
الا وجهه فظ تيقنت الملايكة بالهلاك فان قيل الكلام في تعدد
النعم فلهذا قال لفظ الرب وكان الخطاب ولما ذكر تعالي مباينته
للمخلوقات وصف نفسه بالاحاطة الكاملة فقال تعالي ذوا
الجلال اي العظمة التي لا ترام وهو صفة ذاته تقتضي اجلاله
عن كل ما لا يليق به والاكرام اي الاحسان العام وهو صفة فعله
مع جلاله وعظمته فباي الا اي نعم ربكما اي المربي لكما علي هذا
الوجه الذي ما له الي العدم الي اجل مسمي تكذبان اتنكر النعم
من بقا الرب وفنا الكل والحياة الدايمة والنعيم المقيم ام تبعوها
وقوله تعالي يساله من في السموات اي كلها كلهم والارض كذلك
مستانف وقيل حال من وجهه والعامل فيه يبقي اي يبقي مسئولا
من اهل السموات والارض بلسان الحال او المقال او بهما قال
بن عباس وابو صالح اهل السموات يسالونه المغفرة ولا يسالونه
الرزق واهل الارض يسالونه المسلمات جميعا يسالهما الملائكة
الرزق يسالونهما جميعا وقال ابن جريج يساله الملايكة الرزق لاهل

الارض

الارض فكانت المسلمات جميعا من اهل السماء واهل الارض لاهل
الارض قال القرطبي وفي حديث الحديث ان من الملايكة ملكا
له اربعة اوجه كوجه الانسان يسال الله تعالي الرزق لبني ادم
ووجهه كوجه الاسد وهو يسال الله تعالي الرزق للسباع
ووجه كوجه الثور وهو يسال الله تعالي الرزق للبهايم ووجه
كوجه النسر وهو يسال الله تعالي الرزق للطير قال ابن عطا
انهم يسالونه القوة علي العبادة وقوله تعالي كل يوم منصوب
بالاستقرار الذي تضمنه الخبر وهو قوله تعالي هو في شان
والشان الامر روي ابو الدرداء عن النبي صلي الله عليه وسلم
قال يغفر ذنبا ويكشف كربا ويجيب داعيا وقال اكثر المفسرين من
شانه انه يحيي ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفي
قوما ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطي سايلا ويغفر ذنبا
الي ما لا يحصي من افعاله واحداثه في خلقه ما يشا وروي
البغوي عن بن عباس انه قال ان مما خلق الله عز وجل
لوحا من درة بيضا دفتاه من ياقوتة حمرا قلمه نور وكتابه
نور ينظر الله تعالي فيه كل يوم ثلثماية وستين نظرة يخلق
ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشا فذلك قوله
تعالي كل يوم هو في شان وقال سفيان بن عيينة الدهر
كله عند الله تعالي يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا
فشانه فيه اي في كل يوم من ايامها الامر والنهي والاماتة
والاحيا والاعطا والمنع والثاني يوم القيامة وشانه
فيه الجزا والحساب والثواب والعقاب وقال ابو سليمان الداراني
في هذه الاية له في كل يوم الي العبيد بر جديد وقال بعض

المفسرين شانه تعالى انه يخرج في كل يوم مما ابداها الامور المشيئة
والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع وليلة ثلاث عساكر عسكرا من
اصلاب الاباء الى الارحام الامهات وعسكر من الارحام الى الدنيا وعسكر
من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى وقيل نزلت
في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا وسال بعض
الملوك وزيره عن هذه الاية فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يتفكر
فيها فقال غلام له اسود يا مولاي اخبرني ما اصابك لعل الله
تعالى يسهل لك على يدي فاخبره فقال انا افسرها للملك فاعلمه
فقال ايها الملك شان الله تعالى ان يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي
سقيما ويسقم صحيحا ويبتلي معافا ويعافي مبتلي ويعز ذليلا ويذل
عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير احسنت وامر الوزير ان يخلع
عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شان الله تعالى
وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له
اشكلت علي ثلاث ايات دعوتك لتكشف لي قوله تعالى فاصبح
من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله تعالى كل يوم هو في
شان وقد صح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله
تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى
فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في
تلك الامة ويكون في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه
الامة ويكون في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة
بخصائص لم تشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن
على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله تعالى وان ليس للانسان

الا

الا ما سعى فمعناه انه ليس له الا ما سعى عدلا ولي ان اجزيه بواحدة
الفا فضلا واما قوله تعالى كل يوم هو في شان فانها شؤون
يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله فقبل راسه وسوغ
خراجه فباي الاء اي نعم ربكما اي ايحسن لكما هذا التذكير العظيم تكذبان
ابتلك النعم ام بغيرها سنفرغ لكم اي سنقصد لحسابكم وجزائكم
وقرا حمزة والكسائي بعد الشين بالياء التحتية والباقون بالنون ايها
الثقلان اي الانس والجن وذلك يوم القيامة فانه تعالى لا يفعل
ذلك في غيره قال القرطبي يقال فرغت من الشغل افرغ فراغا
وفروغا وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودي في كذا اي بذلت
وليس بالله شغل يفرغ منه وانما المعنى سنقصد لمجازاتكم
او لمحاسبتكم كقول القائل لمن يريد تهديده اذا افرغ لك اي
اقصدك وانشد ابن الانباري لجرير الان وقد فرغت الى نمير
فهذا حين كنت لهم عذابا يريد وقد قصدت وانشد الزجاج والنحاس
فرغت الى العبد المقيد في الحجل وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم
انه لما بايع الانصار ليلة العقبة صاح الشيطان يا اهل الجباجب
هذا مذمم يبايع بني قيلة على حربكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هذا ازب العقبة اما والله يا عدو الله لاتفرغن لك اي اقصد
الى ابطال امرك وهذا اختيار الكسائي وغيره قال ابن الاثير
الازب في اللغة الكثير الشعر وهو هاهنا شيطان اسمه ازب
العقبة وهو الحية وقيل ان الله تعالى وعد على التقوى واوعد
على الفجور ثم قال تعالى سنفرغ لكم اي مما وعدناكم ونوصل كلا
الى ما وعدناه اقسم ذلك وافرغ منه قاله الحسن ومقاتل
وابن زيد تنبيه رسم ايه بغير الف فاذا وقف عليها وقف

ابو عمرو والكسائي ايها بالالف ووقف الباقون على الرسم
ايه وفي الوصل قرا ابن عامر ايه برفع الهاء والباقون بنصبها
فائدة سمي الانس والجن بالثقلين لعظيم شانهما بالاضافة
الى ما في الارض من غيرها بسبب التكليف وقيل سموا بذلك
لانهما ثقلا الارض احياء وامواتا قال الله تعالى واخرجت الارض
اثقالها ومنه قولهم اعطه ثقله اي وزنه وقال بعض اهل
المعاني كل شيء له قدر ووزن يتنافس فيه فهو ثقل ومنه
قيل لبيض النعام ثقل لان واجده وصائده يفرح به اذا
ظفر به وقال جعفر الصادق سميا ثقلين لانهما مثقلان
بالذنوب وقيل الثقل الانس لشرفهم وسمي الجن بذلك
مجازا للمجاورة والتغليب كالقمرين والعمرين والثقل العظيم
الشريف قال النبي صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ثقلين
كتاب الله وعترتي فباي آلاء اي نعم ربكما اي المحسن اليكما
بهذا الصنع المحكم تكذبان اي بتلك النعم من الانبياء اهل طاعته
وعقوبة اهل معصيته ام بغيرها يا معشر الجن اي يا جماعة
منهم الاهلية والعترة والنصائف والانس اي الخواص الجنسا سين
والمانوس المبني امرهم على الاقامة والاجتماع ان
استطعتم اي وجدتم لكم اطاعة الكون في ان تنفذوا اي تسلكوا
باجسامكم وتمضوا من غير مانع يمنعكم من اقطار اي نواحي
السموات والارض هاربين من الله تعالى من انواع الجزاء لكم
او عصيانا عليه في قبول احكامه وجري مراداته واهنيه
عليكم من الموت وغيره وقوله تعالى فانفذوا امر تعجيز
والمعنى ان استطعتم ان تجوزوا نواحي السموات والارض

فتجوزوا

فتجوزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا يعني فتم ملك الله
عز وجل فان قيل ما الحكمة في تقديم الجن على الانس هاهنا
وتقديم الانس على الجن في قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران اجيب بان النفوذ من
اقطار السموات والارض للجن اليق ان امكن والاتيان
بمثل هذا القران بالانس اليق ان امكن فقدم في كل موضع
ما يليق به فان قيل لم جمع في قوله تعالى سنفرغ لكم وفي قوله
تعالى ان استطعتم وثنى في قوله تعالى ايها الثقلان اجيب
لانهما فريقان في حال الجمع كقوله تعالى فاذا هم فريقان يختصمون
وهذان خصمان اختصموا في ربهم لا تنفذون اي لا تقدرون
على النفوذ الا بسلطان اي الا بقوة وقهر ولا لكم ذلك وروي
عن ابن عباس انه قال معناه ان استطعتم ان تعلموا ما
في السموات والارض فاعلموا ولن تعلموا الا بسلطان اي
بينة من الله تعالى تنبيه في هذه الايات والتي في الاحقاف
وفي قل اوحي دليل على ان الجن مكلفون مخاطبون مامورون
منهيون مثابون معاقبون كالانس سواء مومنهم كمومنهم
وكافرهم ككافرهم فباي آلاء اي نعم ربكما المحسن اليكما المربي
لكما بما تعرفون به قدرته على ما يريد تكذبان المتلك النعم
ام بغيرها وقال البغوي وفي الخبر يحاط على الخلق بالملائكة
وبلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس ان
استطعتم الاية فذلك قوله تعالى يرسل عليكما اي ايها
المعاندون قال ابن عباس حين يخرجون من القبور يسوقهم
الى المحشر شواظ من نار قال مجاهد هو اللهب الاخضر

المنقطع من النار وقال ابن عباس هو اللهب الذي
لا دخان له وقال الضحاك هو الدخان الذي يخرج من اللهب
ليس بدخان الحطب وقال سعيد بن جبير وعن ابن عباس
اذا خرجوا من قبورهم اذا خرجوا من مساقهم شواظ الى
المحشر وقيل هو اللهب الاحمر وقال هو النار والدخان جميعا
وحكاه الاخفش عن بعض العرب قال حسان هجوتك
فاخذ صغت لها بذل بقافية تاجج كالشواظ وقرا ابن كثير
الشين والباقون بضمها وهما لغتان بمعنى واحد مثل
صوار من البقر وصوار وهو القطيع من البقر واختلف في قوله
تعالى ونحاس فقيل هو الصفر المعروف يذيبه الله تعالى ويعذ بهم
به وقيل هو الدخان الذي لا لهب معه قال الخليل وهو
معروف في كلام العرب وانشد الاعشى يضيء كضوء سراج
السليط لم يجعل الله فيه نحاسا وقال ابن برجان والعرب
تسمي الدخان نحاسا بضم النون وكسرها واجمع القرا
على ضمها انتهى وقال الضحاك هو دردي الزيت المغلي
وقال الكسائي التي لها ريح شديد فلا تنتصران اي فلا تمتنعان
ولا ينصر بعضكم بعضا من ذلك بل يسوقكم الى المحشر فباي الا
اي نعم ربكما اي المدبر لكما هذا التدبير المتقن تكذبان ابتلك
النعم فان التهديد لطف والتدبير بين المطيع والعاصي بالجزا
والانتقام من الكفار في عداد الالا ام بغيرها فاذا انشقت
السماء اي انفرجت فكانت ابوابا لنزول الملائكة فكانت وردة
اي محمرة مثل الوردة كالدهان اي كالاديم الاحمر على خلاف
العهد بها لشدة حر نار جهنم وقال مجاهد والضحاك وغيرهما

الدهان

الدهان الدهن والمعنى صارت في صفاء الدهن والدهان
على هذا جمع دهن وقال سعيد بن جبير وقتادة المعنى تصير
في حمرة الورد وجريان الدهن اي تذوب مع جريان
الدهن حتى تصير حمرا من حرارة جهنم وتصير مثل الدهن
لرقتها وذوبانها وقال الحسن كصب الدهن فانك اذا
صببته ترى فيه الوانا وجواب اذا انها اعظم الهول فباي الا
اي نعم ربكما ام بغيرها مما يكون ذلك فيومئذ اي فتسبب عن يوم اذا تكذبان
انشقت السماء انه لا يسال عن ذنبه انس ولا جان اي سوال
تعرف واستعلام بل سوال تقريع وتوبيخ وملام وذلك انه
لا يقال له هل فعلت كذا بل يقال له لم فعلت كذا على ان ذلك اليوم
طويل وفيه مواطن تارة يسال فيه وتارة لا يسال والامر في
غاية الشدة وكل لون من تلك الالوان يسمى يوما فيسال في
بعض ولا يسال في بعض وقيل المعنى لا يسالون اذا استقروا في
النار وقال الحسن وقتادة لا يسالون عن ذنوبهم لان الله تعالى
حفظها عليهم وكتبتها الملائكة رواه العوفي عن ابن عباس وعن
الحسن ومجاهد لا تسال الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم
وروى مجاهد عنه انه في قوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين
وقوله تعالى فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان
قال لا يسالهم ليعرف ذلك منهم ولكنه يسالهم لم عملتموها
سوال توبيخ وقال ابو العالية لا يسال غير المجرم عن ذنب المجرم
وقال قتادة يسالون قبل ان يختم على افواههم ثم يختم على افواههم
وتتكلم جوارحهم شاهدة عليهم تنبيه ان هنا وفيما يا تي
بمعنى الحين ولا شي بمعنى الا شي فباي الا اي نعم ربكما الذي

[illegible]

ربي كلا منكم بما له مطمع في الكلام ولا خفا فيه تكذبان اتلك
النعم بغيرها مما انعم الله تعالى على عباده المؤمنين في
هذا اليوم يعرف اي لكل احد المجرمون اي العريقون في هذا
الوصف بسيماهم اي العلامات التي صورها الله تعالى ذنوبهم
فيها فجعلها ظاهرة بعد ان كانت باطنة فظاهرة الدلالة
عليهم كما يعرف الان الليل اذا جاء لا يخفى على احد اصلا
وكذا النهار وغيرهما لمعرفة الاعمى قال البقاعي وتلك
السيما والله اعلم زرقة العيون وسواد الوجوه واشراقها
وتشويهها والغرة والتحجيل ونحو ذلك وتسبب عن هذه المعرفة قوله
تعالى مشيرا بالبنا للمفعول الى سهولة الاخذ من اي احد كان
فيؤخذ بالنواصي اي منهم وهي مقدمات الرؤس والاقدام فيجمع
اي يجمع بينهما فيسحبون بها سحبا من كل ساحب اقامة الله تعالى
لذلك لا يقدرون على الامتناع بوجه فيلقون في النار وقال
الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره
وعنه يؤخذ برجلي الرجل فيجمع بينهما وبين ناصيته حتى
يندق ثم يلقى في النار وفعلي بالكافر ذلك ليكون اشد لعذابه
وقيل تسحبه الملائكة الى النار تارة تاخذ بناصيته وتجره
على وجهه فباي الاء اي نعم ربكما اي المنعم عليكما الذي دبر تكذبان
مصالحكم بعد ان اوجدكم من الجزاء في الاخرة لكل شخص بما
كان يعمل في الدنيا او غير ذلك من الفضل هذه جهنم اي
يقال لهم اذا وصلوا الاستهانة ولو ردوا الى الدنيا بعد ادخالهم
اياها لعادوا لما نهوا عنه التي يكذب بها المجرمون اي المذكورون
المتصفون بالاجرام وهو قطع ما من حقه ان يوصل وهو ما امر

الله

الله تعالى به ومحض هذا الاسم اشارة الى انها تلقاهم بالتجهم
والعبوسة والكلح جزاء لقطاعة كما كانوا يفعلون مع الصالحين
عند الاجرام المذكور يطوفون بينها اي بين دركات النار وبين حميم آن
اي حار متناه في الحرارة وهو منقوص كقاض يقال اني يأني فهو
آن كقضى يقضي فهو قاض والمعنى انهم يسعون بين الجحيم والحميم
فاذا استغاثوا من حر النار جعل عذابهم الحميم الآن الذي صار
كالمهل وهو قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل وقال
كعب الاحبار واد من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار
فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون
منه وقد احدث الله تعالى لهم خلقا جديدا فيلقون في النار
فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن فان قيل هذه
الامور ليست نعمة بينها وبين ... فكيف قال عز وجل فباي الاء اي
نعم ربكما اي المحسن اليكما ايها الثقلان اليكما تكذبان اجيب من وجهين
احدهما ان ما وصف من هول يوم القيامة وعقاب المجرمين
فيه زجر عن المعاصي وترغيب في الطاعات وهذا من اعظم
شاب فيه الليل يقرأ فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ت
فوقف الشاب وخنقته العبرة وجعل يقول ويحي من يوم
تنشق فيه السماء ويحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ويحك يافتى منها والذي نفسي بيده لقد بكت الملائكة
الثاني ان المعنى اذا كذبتم بالنعم المتقدمة استحقيتم هذه
العقوبات وهي دالة على الايمان بالغيب وهو من اعظم
النعم ولما عرف ما للمجرم المجتري على العظايم وتوعده لما اقتضاه
مقام التكذيب من الترهيب وجعله سبعا اشارة الى ابواب النار

السبع عطف عليه ما للمخالف الذي اداه خوفه الى الطاعة وجعله
ثمانيا على عدد ابواب الجنة الثمانية فقال تعالى ولمن خاف
اي من الثقلين ووحد الضمير مراعاة للفظ من اشارة الى
قلة الخائفين مقام ربه اي قيامه بين يدي ربه للحساب بترك
المعصية والشهوة قال القرطبي ويجوز ان يكون المقام للعبد
ثم يضاف الى الله تعالى وهو كالاجل في قوله تعالى فاذا
جاء اجلهم وقوله مجاهد هو الذي يهم فيذكر الله تعالى فيدعها
من مخافته عز وجل جنتان اي لكل خائف جنتان على حدة
قال مقاتل جنة عدن وجنة النعيم وقال محمد بن علي الترمذ ي
جنة لخوفه ربه وجنة بتركه شهوته وقال ابن عباس من خاف مقام
ربه بعد اداء الفرائض وقيل جنتان لجميع الخائفين وقيل جنة
لخائفي الجن فيكون من باب التوزيع وقيل مقام هنا مقحم كما
تقول اخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وانشدوا ونفيت
عنه مقام الذئب كالرجل اللعين يريد ونفيت عنه الذئب قال
ابن عادل وليس بجيد لان زيادة الاسم ليست بالسهلة وقيل
ان الجنتين جنته التي خلقت له وجنة ورثها وقيل احدى
الجنتين جنة التي منزله والاخرى منزل ازواجه كما يفعل
رؤساء الدنيا وقيل احدى الجنتين منزله مسكنه والاخرى
بستانه وقيل احدى الجنتين اسافل القصور والاخرى اعاليها
وقال الفراء انها جنة واحدة وانما ثنى لرؤوس الاي وانكر القتيبي
وقال لا يجوز ان يقال خزنة النار عشرون وانما قال تسعة
عشر مراعاة لرؤوس الاي وقيل جنة واحدة وانما ثني تأكيدا
كقوله تعالى القيا في جهنم وعن ابي هريرة قال سمعت رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف ادلج ومن ادلج بلغ
المنزل الا ان سلعة الله تعالى الجنة اخرجه الترمذي قوله
ادلج الادلاج مخففا سير اول النهار ومثقل سير اخر الليل
والمراد من الادلاج التشمير والجد والاجتهاد في اول الامر
فان من سار في اول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل وروى
البغوي بسنده عن ابي الدرداء انه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتا ن
قلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية
وان زنى وان سرق يا رسول الله قال وان زنى وان سرق على
رغم انف ابي الدرداء فائدة قال القرطبي في هذه الاية دليل
ان من قال لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت طالق انه
لا يحنث ان كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله تعالى وحياء
منه وقال سفيان الثوري وافتى به هذا ومذهب الشافعي
انه لا يحنث اذا كان مسلما ومات على الاسلام وقال عطا
نزلت هذه الاية في ابي بكر حين ذكر ذات يوم الجنة حين
ازلفت والنار حين برزت وقال الضحاك بل شرب ذات
يوم لبنا على ظما فاعجبه فسأل عنه فاخبر انه من غير حل
فاستقاه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فقال رحمك
الله لقد انزلت فيك اية وتلا عليه الاية فباي الاء اي نعم ربكما
المربي لكما باحسانه الكبار التي لا يقدر احد على شيء منها تكذبان
ابتلك النعم ام بغيرها من نعمه التي لا تحصى ثم وصف الجنتين
بقوله تعالى ذواتا اي صاحبتا او خبر لمبتدأ محذوف اي هما ذوا تا

وهي تثنية ذات لغتان الرد الى الاصل فان اصلها ذوية
فالعين واو واللام يا لانها مؤنثة ذو والثانية التثنية على
اللفظ فيقال ذواتا وقوله تعالى افنان فيه وجهان احدهما
انه جمع فنن كطلل وهو الغصن المستقيم طولا تكون به الزينة بالورق
والثمر وكمال الانتفاع قال النابغة الذبياني ؎
بكاء حمامة تدعو هديلا ۞ مفجعة على فنن تغني
وفي الحديث اهل الجنة مكحولون اولو افانين يريد الافانين وهو
جمع افنان وافنان جمع فنن من الشعر شبه بالغصن ذكره
الهروي قال قتادة ذواتي افنان اي سعة وفضل على سواها
والوجه الثاني انه جمع فن واليه اشار ابن عباس والمعنى ذواتا
انواع واشكال وقال الضحاك الوان من الفاكهة واحدها
فن الا ان الكثير في فن ان يجمع على فنون وقال عطا كل
غصن فنون من الفاكهة ولذا سبب عنه قوله تعالى فباي الا
اي نعم ربكما اي المحسن اليكما والمدبر لكما تكذبان ابتلك النعم
من وصف الجنة الذي لم يجعل من امثاله ما تعتبرون به ام
بغيرها ولما كانت الجنان لا تقوم الا بالانهار قال تعالى فيهما عينان
تجريان اي في كل واحدة منهما عين جارية قال ابن عباس
تجريان ماء بالزيادة والكرامة من الله تعالى على اهل الجنة
وعن ابن عباس ايضا والحسن تجريان بالماء الزلال احدى العينين
التسنيم والاخرى السلسبيل وقال عطية احديهما من ما
غير اسن والاخرى من خمر لذة للشاربين وقيل تجريان من
جبل من مسك قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت
عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل تجريان في

كل

كل مكان شاء صاحبهما وان علا مكانه كما تصعد المياه في الاشجار
في كل غصن منها وان زاد علوها فباي الا اي نعم ربكما اي المالك
لكما والمحسن اليكما تكذبان ابتلك النعم التي ذكرها وجعل لها في
الدنيا امثالا كثيرة ام بغيرها فيهما اي الجنتين من كل فاكهة اي
تعلمونها او لا تعلمونها زوجان اي صنفان ونوعان قيل معناه
ان فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس
ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا في الجنة حتى الحنظل الا انه
حلو فان قيل قوله تعالى ذواتا افنان كلها اوصاف للجنتين
فما الحكمة في فصل بعضها عن بعض بقوله تعالى فباي الا ربكما
تكذبان مع انه تعالى لم يفصل حين ذكر العذاب بين الصفات
بل قال تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران
مع ان ارسال الشواظ غير ارسال النحاس اجيب بانه تعالى
جمع العذاب جملة وفصل ايات الثواب ترجيحا لجانب الرحمة
على جانب العذاب وتطييبا للقلب وتهييجا للسامع فان
اعادة ذكر المحبوب وتطويل الكلام في اللذات مستحسن
فان قيل لم وجه توسط اية العينين بين الافنان واية
الفاكهة انما تكون على الاغصان فالمناسبة ان لا يفصل
بين اية الاغصان والفاكهة اجيب بان ذلك على عادة
المتنعمين اذا خرجوا متفرجين في البستان فاول قصدهم الفرجة
بالخضرة والماء ثم يكون الاكل تبعا فباي الا اي نعم ربكما التي ادخرها
الموجد لكما المحسن اليكما تكذبان ابتلك النعم بغيرها مما توصف
اليكم من سائر النعم من طيب العيش وغيره قال تعالى مخبرا
عن هؤلاء الذين يخافون مقام ربهم متكئين اي لهم ما ذكر حال الاتكا ر

والعامل في الحال محذوف اي يتنعمون متكئين على فرش وعظمها
بقوله تعالى مخاطبا للمكلفين بما تحتمل عقولهم والا فليس في
الجنة ما يشبهه على الحقيقة شيء من الدنيا بطائنها من استبرق
وهو ما غلظ من الديباج قال ابن مسعود وابو هريرة اذا كانت
البطائن من استبرق فما الظاهر قال هذا مما قال الله تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن عباس انما
وصف لكم بطائنها لتهتدي اليه قلوبكم فاما الظاهر فلا يعلمها
الا الله تعالى ونظير ذلك في الجنة قوله تعالى عرضها السموات
والارض واما الطول فلا يعلمه الا الله عز وجل لكن قال القرطبي
وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ظواهرها نور
يتلالا وقيل الظهاير من السندس وعن الحسن البطاين هي
الظواهر وهو قول الفراء وروي عن قتادة والعرب تقول
للبطن ظهرا فيقولون هذا بطن السماء وظهر الارض وقال الفرا
قد تكون البطانة الظاهرة والظاهرة البطانة لان كل واحد
منهما وجها والعرب تقول هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء
لظاهرها الذي تراه وانكر ابن قتيبة وغيره هذا وقالوا
لا يكون هذا الا في الوجهين المتساويين اذا ولي كل واحد
منهما قوم كالحائط بينك وبين قوم وعلى ادم السماء وقال
ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس في
الارض احد يعرف ما الظواهر تنبيه قال الرازي الاستبرق
معرب وهو الديباج الثخين اي وهذا ومثله لا يخرج القران
عن كونه عربيا لان العربي ما نطقت به العرب وصفا لها له
من لغة غيرها وذلك كله سهل عليهم وبه يحصل الاعجاز

خلو فما لم يستعملوه من كلام العجم لصعوبته عليهم وذكر الاتكا
لانه حال الصحيح الفارغ القلب المتنعم البدن بخلاف المريض
والمهموم وجنى الجنتين اي ثمرهما دان قريب قال ابن عباس
تدنو الشجرة حتى يجنيها ولي الله تعالى ان شاء قائما وان
شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقال قتادة لا يرد يده بعد وله
شوك قال الرازي جنة الاخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة
اوجه احدها ان الثمرة على رؤوس الشجرة في الدنيا بعيدة
على الانسان المتكي وفي الجنة هو متكي والثمرة تتدلى اليه
وثانيها ان الانسان في الدنيا يسعى الى الثمرة ويتحرك اليها
وفي الاخرة هي تدنو اليهم وتدور عليهم وثالثها ان الانسان
في الدنيا اذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها وثمار الجنة
كلها تدنو اليهم في وقت واحد ومكان واحد فبأي آلاء اي
نعم ربكما اي المربي لكما الذي يقدر على كل ما يريد تكذبان امن
قدرته على عطف الاغصان وتقريب الثمار من غيرها
ولما كان ما ذكر لا تتم نعمته الا بالنسوان الحسان قال تعالى فيهن
اي الجنات التي علم مما مضى ان لكل فرد من الخائفين منها
جنتين فصح للجمع وقال الزمخشري فيهن في هذه الآلاء
المعدودة من الجنتين فصح للجمع وقال الزمخشري فيهن في
هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش
والجنى اي الجنتين لاشتمالها على اماكن وقصور ومجالس
انتهى قال ابو حيان وفيه اي الاول بعد لان الاستعمال ان
يقال على الفراش كذا ولا يقال في الفراش كذا الا بتكلف وكذلك
جمع الزمخشري مع الفرش غيرها حتى صح له ان يقول ذلك

وقيل يعود على الجنتين لان اقل الجمع اثنان وقال الفراء كل
موضع في الجنة جنة فلذلك صح ان يقال فيهن قاصرات الطرف
اي الاعين على ازواجهن المتكئين من الانس والجن قال
الرازي وقوله قاصرات الطرف اي نساء او ازواج فحذف
الموصوف لنكتة وهي ان الله تعالى لم يذكر هنا اسم الجنس وهو
النساء بل بالصفات فقال تعالى حور عين كواعب اترابا
قاصرات الطرف حور مقصورات ولم يقل نساء عربا ولا نساء
قاصرات لوجهين اما على عادة العظماء كبنات الملوك انما يذكرن
باوصافهن واما لانهن لما كملن خرجن من جنسهن وقوله
تعالى قاصرات الطرف يدل على عفتهن وعلى حسن المؤمنين
في اعينهن فيحببن ازواجهن حبا يشغلهن عن النظر
الى غيرهم قال ابن زيد تقول لزوجها وعزة ربي ما ارى في
الجنة احسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني
زوجك ويدل ايضا على الحيا لان الطرف حركة الجفن والحرة ربة
لا تحرك جفنها ولا ترفع راسها تنبيه انظر الى حسن
هذا الترتيب فان الله تعالى بين اولا المسكن وهو الجنة ثم
بين ما يتنزه به وهو البستان والاعين الجارية ثم ذكر الماكول
فقال تعالى فيهما من كل فاكهة ثم ذكر موضع الراحة بعد
الاكل وهو الفرش ثم ذكر ما يكون في الفراش معه ولما كان
الاختصاص بالشي من اعظم الملذات لا سيما المراة قال
تعالى لم يطمثهن اي لم يجامعهن ويتسلط عليهن يقال
طمثت المراة كضرب وفرح حاضت وطمثها الرجل افتضها
والعذر جامعها انس قبلهم اي المتكئين ولا جان فكانه قال هن ابكارا

لم

لم يجامعهن احد ذات هنا اجمع كل من يمكن منه جماع وفي ذلك
دليل على ان الجني يغشى الانسي ويدخل الجنة ويكون لهم
فيها جنيات قال ضمرة للمؤمنين منهم ازواج من الحور فال
انسيات للانس والجنيات للجن وقال مقاتل لانهن خلقن
فعلى هذا يكونون من حور الجنة فعلى قوله وقال الشعبي
من نساء الدنيا لم يمسسهن منذ انشئن خلقا وهو قول الكلبي اي
لم يجامعهن في هذا الخلق الذي انشئن فيه انس ولا جان واما
في الدنيا فقال مجاهد اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجني
على احليله فجامع معه قال القرطبي لم يطمثهن لم يصبهن
بالجماع قبل ازواجهن احد وهذا شامل لنساء الجنة ولنساء الدنيا
بعد انشائهن خلقا جديدا وقرا الكسائي يطمثهن بضم الميم
في الموضعين بخلف عنه وبكسرها في احدهما وهما لغتان يقال
طمثها يطمثها ويطمثها اذا جامعها فباي آلاء اي نعم ربكما
المدبر مصالحكما تكذبان اي باي نوع من انواع هذا الاحسان
ام غيره كانهن الياقوت اي صفاء والمرجان اي اللؤلؤ بياضا
والياقوت جوهر نفيس يقال ان النار لم تؤثر فيه والمرجان
صغار اللؤلؤ واشده بياضا وقيل يشبه لونهن بياض اللؤلؤ
مع حمرة قال ابن الخازن والاصح انه شبههن بالياقوت لصفائه
فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايت السلك من
ظاهره لصفائه قال عمرو بن ميمون ان المراة من الحور العين
سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاحمر
من الزجاجة البيضا يدل على صحة ذلك ما روي عن ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المراة من نساء اهل الجنة لترى

بباطن ساقها من وراء سبعين حلة حتي يري مخها وذلك
لان الله تعالي يقول كانهن الياقوت والمرجان فاما
الياقوت فانه حجر لو دخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايته
من ورايه وعن ابي هريرة قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورهم علي صورة القمر
ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم علي اشد
كوكب دري في السما اضاءة لا يبصقون فيها ولا يتمخطون
ولا يتغوطون انيتهم الذهب والفضة وامشاطهم
الذهب ومجامرهم الالوة زوجاته يري مخ ساقها من
وراء لحمها من الحسن لا اختلاف بينهما ولا تباغض قلوبهم علي
قلب رجل واحد فباي الاء ربكما اي المالك الملك المربي
ببدايع التربية تكذبان اي بما جعله مثاله لما ذكر منه ومعنى
ام بغيره هل جزاء الاحسان اي بالطاعة من الانس والجن وغير ٤٥
الا الاحسان بالثواب وقال ابن عباس هل جزا من قال
لا اله الا الله وعمل بما جابه محمد صلي الله عليه وسلم الا الجنة
وعن انس بن مالك قال قرا رسول الله صلي الله
عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال
تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقوله
هل جزا من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروي الثوا حوليه
بغير سند عن ابن عمر وابن عباس ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم قال في هذه الاية يقول الله عز وجل
من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا اسكنه جنتي
وحظيرة قدسي برحمتي فباي الاء اي نعم ربكما الكريم

الرحيم

الرحيم لا وصافه الكمال تكذبان ابنسي من هذه النعم
تكذبونها ام بغيرها ومن دونهما اي من ادني مكان ورتبة
تحت جنتي هولاء المحسنين المقربين جنتان اي لكل واحد
ممن دون هولاء المحسنين الخائفين وهم اصحاب اليمين
وقال ابو موسي الاشعري جنتان من ذهب للسابقين
وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هي اربع
جنات جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة
زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما
فاكهة ونخل ورمان وقال الكسائي ومن دونهما اي امامهما
وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان
من ذهب وفضة والاخريان من ياقوت وعلي هذا
فهما افضل من الاوليين والي هذا القول ذهب ابو
عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقال
ومعني من دونهما جنتان اي دون هذا الي العرش
اي اقرب وادني الي العرش وقال مقاتل الجنتان الاول
جنة عدن وجنة النعيم والاخريان جنة الفردوس لثان
وجنة الماوي فباي الاء اي نعم ربكما اي المحسن بنعمه
لجميع خلقه تكذبان ابنسي مما تفضل به عليكم ام بغيره
ثم وصف تلك الجنتين بقوله تعالي مدهامتان قال ابن
عباس رضي الله عنهما خضراوان قال مجاهد سودا
وان لون الخضرة اذا اشتدت تضرب الي سود وهذا
مشاهد بالنظر ولذلك قالوا سواد العراق لكثرة شجره
وزرعه الاحنف اذا اخضرت غاية الخضرة تضرب الي
سواد قال الرازي والتحقيق فيه ان ابتدا الالوان هو

البياض وأنتها وهاهو السواد فإن الأبيض يقبل كل
لون والأسود لا يقبل شيئا من الألوان فبأي آلاء أي نعم
ربكما أيها المحسن إليكما بالرزق وغيره تكذبان أبشيء من
تلك أم بغيرها ثم وصف تلك الجنتين أيضا بقوله تعالى
فيهما أي في جنتين كل شخص منهم عينان نضاختان
قال ابن عباس أي فوارتان بالماء والنضخ بالخاء المعجمة
أكثر من النضح بالحاء المهملة لأن النضح بالمهملة الرشح
والرش وبالمعجمة فوران الماء وقال مجاهد المعنى نضاختان
بالخير والبركة وعن ابن مسعود تنضخ على أولياء
الله تعالى بالمسك والكافور والعنبر في دور أهل الجنة
كما ينضح رش المطر وقال سعيد بن جبير بأنواع الفواكه
والماء فبأي آلاء أي نعم ربكما المربي لبليغ الحكمة في التربية
تكذبان أبتلك النعم أم بغيرها ثم وصف الجنتين بقوله
تعالى فيهما فاكهة وخص لشرفها وأكثرها وجدانا في الخريف
والشتاء كما في جنات الدنيا التي جعلت مثالا لهاتين بقوله
تعالى ونخل ورمان فإن كلا منهما فاكهة وإدام فلذا خصهما
تشريفا وتنبيها على ما فيها من التفكه وأولها أعم نفعا
وأعجب خلقا ولذا قدمه فعطفهما على الفاكهة من باب
ذكر الخاص بعد العام تفضيلا له كقوله تعالى وملائكته
وجبريل وميكال وقوله تعالى حافظوا على الصلوات
والصلاة الوسطى وقال بعض العلماء ليس ذلك من الفاكهة
ولهذا قال أبو حنيفة إذا حلف لا يأكل الفاكهة فأكل رطبا
أو رمانا لم يحنث وخالفه صاحباه وقال القرطبي وقيل

أما

إنما كررها لأن النخل والرمان كانا عندهم في ذلك بمنزلة
البر عندنا لأن النخل عامة قوتهم والرمان كالثمرات فكان
يكثر غرسها عندهم لحاجتهم إليه وكانت الفواكه عندهم
من ألوان الثمار التي يعجبون بها فإنما ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل
والرمان لعمومها وكثرتها عندهم من المدينة إلى مكة إلى
ما والاها من أرض اليمن فأخرجهما من الذكر من الفواكه
وأفرد الفواكه على حدتها وقيل أفردا بالذكر لأن النخل
عامة قوتهم والرمان كالثمرات فكان يكثر غرسها عندهم
لحاجتهم إليه وكانت الفواكه عندهم من ألوان الثمار
التي يعجبون بها فإنما ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان ثمرة
فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصهما للتفكه قال
البغوي وعن ابن عباس قال نخل الجنة منها مقطعاتهم
وحللهم وثمرها أمثال القلال والدلاء أشد بياضا من
اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم
وروي أن الرمانة من رمان الجنة مثل جلد البعير المقتب وقيل
إن نخل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت عادت
مكانها أخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا فبأي آلاء أي نعم ربكما
أيها المحسن إلى الثقلين بجليل التربية تكذبان أبتلك النعم
أم بغيرها مما أحسن به إليكم فيهن أي الجنان الأربع أو
الجنتين وقصورها خيرات حسان أي نساء الواحدة خيرة
مخففة كهين ولين روى الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت
قلت يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالى خيرات حسان قال
خيرات الأخلاق حسان الوجوه وقال أبو صالح لأنهن

صدا ربه ابكار وقال الحكيم الترمذي فالخيرة ما اختارهن
الله تعالى فابدع خلقهن باختياره فاختيار الله تعالى
لا يشبهه اختيار الادميين فوصفهن بالحسن فاذا وصف
الله تبارك وتعالى خالق الحسن شيا بالحسن فانظر ما
هنالك وقال الرازي في باطنهن الخير وفي ظاهرهن الحسن
فباي الا اي نعم ربكما ايه الكامل الحسان الذي لكما تكذبان
اي نعمة ما جعل لكم من انواع الفواكه ام غيرها ثم زاد
في وصفهن بقوله تعالى حور جمع حورا وهي شديدة سواد
العين الشديدة بياضها مقصورات والمقصورات المحبوسات
المستورات في الخيام وهي الحجال تلحق بالطوفانه في الطرق
قال ابن عباس والنسا يمدح بملازمتهن البيوت كما قال
قيس بن الاسلت

وتكسل عن جيرانها فيزرنها ۞ وتغفل عن ابياتهن فتعتذر
ويقال امراة مقصورة وقصيرة وقصورة بمعنى واحد
قال غيره وانت التي حببت كل قصيرة الي ولم يعلم بذاك القصا
عنيت قصيرات الحجال لم ارد قصار الخطا شر النسا البحاتر
والخيام اربعة اعواد تنصب وتسقف بشي من نبات الارض
وجمعها خيمة كثمرة وثمر وتجمع الخيم على خيام فهو جمع
الجمع واما ما يتخذ من شعر او وبر او نحوه فيقال له خبا وقد
يطلق عليه خيمة تجوزا وقال عمر الخيمة درة مجوفة
وقال ابن عباس قال وهو فرسخ في فرسخ لها اربعة
الاف مصراع من ذهب وفي الحديث اي في الجنة خيمة
من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية
منها

[illegible]

منها اهل ما يرون الاخرين يطوف عليهم المومنون عبد الله
الحكيم الترمذي بلغنا ان سحابة امطرت من العرش فخلقن
اي الحور العين من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة
خيمة على شاطي الانهار سعتها اربعون ميلا وليس لها
باب حتى اذا دخل ولي الله بالخيمة عن باب ليعلم ولي
الله ان ابصار المخلوقين من الملايكة والخدم لم تاخذها
وهي مقصورة قد قصرها الله عن ابصار المخلوقين وقال
مجاهد معناه قصرت اطرافهن وانفسهن على ازواجهن فلم
يبغين بدلا وقال صلى الله عليه وسلم لو ان امراة من نسا
اهل الجنة اطلعت على الارض لاضاءت ما بينهما ولملات
ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما فيها
فايدة اختلفوا اكثر حسنا واتم جمالا الحور ام الادميات فقيل
الحور لما ذكر في وصفهن في القران والسنة ولقوله صلى الله
عليه وسلم في دعايه في صلاة الجنازة وابدله زوجا خيرا من
زوجه وقيل الادميات افضل من الحور العين المذكورات
في القران هن المومنات من ازواج النبي والمومنين
يخلقهن في الاخرة على احسن صورة قاله الحسن البصري
قال ابن عباس والمشهور ان الحور العين ليس من نسا
اهل الدنيا انما هن مخلوقات في الجنة لان الله تعالى لم
يطمثهن انس قبلهم ولا جان واكثر نسا اهل الارض في الدنيا
مطموثات اي لكن مرادنا لم يطمثهن بعد انشايهن خلقا
اخر وعلى هذا لا دليل في ذلك فباي الا اي نعم ربكما الذي
صوركم واحسن صوركم تكذبان ابهذا النعمة ام بغيرها

متكئين اي لهم ما ذكر حالة الاتكاء والعامل في الحال
محذوف اي ينعمون متكئين على رفرف اي ثياب ناعمة وفرش
رفيعة النسج من الديباج لينة ووسائد عظيمة وزرابي
زاهرة وبسط لها اطراف فاضلة وهو جمع رفرفة لان
الله تعالى وصفه بالجمع بقوله خضر ووصفه بذلك لان
الخضرة احسن الالوان وابهجها وقال الجوهري هو ثياب
خضر يتخذ منها المجالس الواحدة رفرفة واشتقاقه
من رف الطير اذا ارتفع في الهواء ورفرف بجناحيه اذا
نشرهما للطيران وقيل الرفرف طرف الفسطاط والخبا
الواقع على الارض دون الاطناب والاوتاد وفي الخبر
في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فرفع الرفرف فراينا
وجهه كانه ورقة اي رفع طرف الفسطاط قال
الحكيم الترمذي في متكئين على فرش بطائنها من استبرق
وقال هنا متكئين على رفرف خضر فالرفرف هو مستقر
الولي على شيء اذا استوى عليه الولي رفرف به
اي طار به حيث ما يريد كالمرجاح وروي في حديث
المعراج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ
سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار
به الى سند العرش فذكر انه قال طار بي يخفضني
ويرفعني حتى وقف بي على ربي اي في محل تنزلات
رحمة ربي ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا
ورفعا يهوي به حتى اداه الى جبريل عليه السلام
فالرفرف خادم من يخدم بين يدي الله تعالى لخواصه

الامور من الدنو والقرب كما ان البراق دابة يركبها الانبياء
مخصوصة بذلك وهذا الرفرف الذي سخر لاهل الجنتين
الدانيتين وهو متكأهم وفرشهما يرفرف بالولي
عليه حافات تلك الانهار وحيث يشاء الى خيام ازواجه
وقوله تعالى وعبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه
اسم بلد للجن ينسبون اليه كل شيء عجيب قال في القاموس
عبقر موضع كثير الجن وقرية ثيابها في غاية الحسن
والعبقري الكامل من كل شيء وقال الخليل هو جليل نفيس فاخر
من الرجال وغيرهم وقال قطرب ليس هو من المنسوب بل
هو بمنزلة كرسي وبختي انتهى والمراد به الجنس وكذلك قال
تعالى حسان حملا على المعنى اي في غاية حسن كمال
الصنعة وحسن النظر لا توصف فباي آلاء اي نعم ربكما المحسن
الواحد الذي لا محسن غيره ولا احسان الا منه تكذبان
ابشيء من هذه النعم ام بغيرها ولما دل ما ذكر في هذه
السورة من النعم ام بغيرها ولما دل ما ذكر في هذه السورة
من النعم على احاطة مبدعها باوصاف الكمال وختم نعم
الدنيا بقوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
وفيه اشارة الى ان الباقي هو الله تعالى وان الدنيا
فانية ختم نعيم الاخرة بقوله عز من قائل تبارك قال ابن
برهان تفاعل من البركة ولا يكاد يذكره جل ذكره الا عند
امر يعجب انتهى ومعناه ثبت ثباتا لا يسع العقول وصفه
انتهى ولما كان تعظيم الاسم ابلغ في تعظيم المسمى قال
تعالى اسم ربك اي المحسن اليك بانزال هذا القرآن الذي

جملتك عليه منابعته فصرت مظهر الدوصار خلقاتك فما
احسانه اليك فوق الوصف وقيل لفظا اسم زايد وجرى
عليه الجلال العلي والاولى ان يكون ذو الجلال اي العظمة
الباهرة والاكرام قال القرطبي لانه يريد به الاسم فوصف
خلق الانسان والجن وخلق السموات والارض وصفه
وانه تعالى كل يوم هو في شان ووصف تدبيره فيهم ثم
وصف يوم القيامة واهوالها وصفة النار ثم ختمها
بصفة الجنات ثم قال في اخر السورة تبارك اسم ربك
ذي الجلال والاكرام اي هذا الذي خرج لكم من رحمتي فمن
رحمتي خلقتكم وخلقت لكم السموات والارض والخليقة
والجنة والنار فهذا كله لكم من اسم الرحمن فمدح اسمه
فقال تعالى تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام اي جليل
في ذاته كريم في افعاله وقرا ابن عامر بالواو رفعا صفة
للاسم والباقون بالياء خفضا صفة لرب فانه هو الموصوف
بذلك روي الثعلبي عن علي انه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لكل شي عروس وعروس
القران سورة الرحمن جل ذكره وما رواه البيضاوي
تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من
قرا سورة الرحمن جل ذكره وما ادى شكر ما انعم الله
عليه حديث موضوع سورة الواقعة مكية
في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطا وقال ابن عباس
وقتادة الا اية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى وتجعلون
رزقكم انكم تكذبون وقال الكلبي مكية الا اربع ايات
منها

منها ايات افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون نزلتا في سفر وقوله تعالى ثلة
من الاولين وثلة من الاخرين نزلتا في سفره الى المدينة
وقدمنا ان في المكي والمدني اصطلاحين وان المشهور
ان المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها وهي
ست وسبعون اية قال الجلال المحلي وهي ست او سبع
او تسع وتسعون اية انتهى وثلثمائة وتسعون كلمة والف
وسبعمائة وثلاثة احرف بسم الله الذي له الكمال كله تفاوت
بين الناس في الاحوال الرحمن الذي عم بنعمته البيان
وفاضل في ثوابها بين اهل الايمان واهل الاتيان
الرحيم الذي قرب اهل حزبه ففازوا بمحاسن الاقوال والا
فعال ولما قسم سبحانه الناس في تلك السورة الى ثلاثة
اصناف مجرمين وسابقين ولاحقين شرح احوالهم في
هذه السورة وبين الوقت الذي يظهر اكرامه والنقا
بقوله تعالى اذا وقعت الواقعة اي التي لا بد من وقوعها
ولا واقع يستحق ان يسمى الواقعة بلام الكمال وتاء المبالغة
وغيرهما وهي الثانية التي يكون عنها البعث الاكبر
الذي هو يوم القيامة متحكما معه لجميع الخلائق فسميت
واقعة لتحقق وقوعها وقيل لكثرة ما يقع فيها من الشدائد
والمصائب اذا محذوف مثل اذ وكان كيت وكيت وقال
الجرجاني اذا صلة كقوله اقتربت الساعة واتى امر
الله وهو كما يقال جا الصوم اي دنا وقرب وقوله تعالى
ليس لوقعتها كاذبة مصدر بمعنى الكذب والعرب قد تضع

الفاعل والمفعول موضع المصدر كقوله تعالى لا يسمع فيها
لاغية اي لغوا والمعنى ليس لها كذب قاله الكسائي او صفة
والموصوف محذوف اي لوقعتها حال كاذبة اي كل من يخبر
عن وقعتها صادق او نفس كاذبة بان تنفيها كما نفتها
في الدنيا وقال الزجاج ليس لوقعتها كاذبة اي لا يردها
شي وقيل ان قيامها جد لا هزل وقوله تعالى خافضة رافعة
تقرير لعظمتها وهو خبر لمبتدا محذوف اي هي قال عكرمة
ومقاتل خفضت الصوت فاسمعت من دنا ورفعت الصوت
فاسمعت من نأى يعني اسمعت القريب والبعيد وعن السدي
خفضت المتكبرين ورفعت المستضعفين وقال قتادة خفضت
اعدا الله تعالى في النار ورفعت اوليا الله تعالى في الجنة
وقال عطا خفضت قوما بالعدل ورفعت اخرين بالفضل
ولا مانع ان كل ذلك موجود فيها والرفع والخفض يستعملان
عند العرب في المكان والمكانة والعز والاهانة ونسب
سبحانه وتعالى الرفع والخفض الى القيامة توسعا ومجازا
على عادة العرب في المكان والمكانة والعز والاهانة
اضافتها الفعل الى المحل والزمان وغيرهما عالمه الفعل
يقولون ليل قائم ونهار صائم وفي التنزيل بل مكر الليل والنهار
والخافض والرافع في الحقيقة هو الله تعالى واللام
في قوله تعالى لوقعتها اما للتعليل اي كذب نفس في
ذلك اليوم لشدة وقعتها والها للتعدية كقولك ليس لزيد
ضارب فيكون التقدير اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها يوجد
لها كاذب اذا اخبر عنه قال الرازي وعلى هذا لا تكون

ليس

١٩

ليس عاملا في اذا وهو بمعنى ليس لها كاذب اذا رجت الارض
اي كلها على سعتها وثقلها لا ببر اسر رجا اي حركت
تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بنا وجبل قال
بعض المفسرين ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى
ينهدم ما عليها وينكسر كل شي عليها من الجبال وغيرها
والرجة الاضطراب وارتج البحر وغيره اضطرب وفي الحديث
من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له يعني اذا اضطربت
امواجه والظرف متعلق بخافضة او بدل من اذا وقعت
ولما ذكر حركتها المزعجة اتبعها غايتها بقوله تعالى وبست الجبال
بسا اي فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق
او الدقيق بلته بالسمن او الزيت ثم يوكل ولا يطبخ وقد يتخذ
زاد قال الراجز لا تخبزا خبزا وبسا بسا ولا تطيلا بمناخ حبسا
او سقته وسيرت من بس الغنم اذا ساقها وبست الابل
وابسستها لغتان اذا زجرتها وقلت بس بس قاله ابو
زيد وقال الحسن بست الابل قطعت من اصلها فذهبت
ونظيرها ينسفها ربي نسفا وقال عطية بسطت بالرمل
والتراب فكانت اي بسبب هبا اي غبارا في غاية الانسحاق
والى شدة لطافته اشار بقوله تعالى منبثا اي منتشرا
متفرقا بنفسه من غير حاجة الى هوا يفرقه فهو الذي
يرى في شعاع الشمس اذا دخل من كوة وعن ابن عباس هو ما
تطاير من النار اذا اضطرمت يطير منه شرر فاذا وقع لم يكن
شيا وكنتم اي قسمتم بما كان في جبلتكم في طباعكم في الدنيا
ازواجا اي اصنافا ثلاثة كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل

الزوج الزوجة قال البيضاوي وكل صنف يكون او يذكر
مع صنف اخر زوج ثم بينه من هم بقوله تعالى فاصحاب
الميمنة ما اصحاب الميمنة خبر المبتدا الثاني والجملة خبر الاول
وتكرير المبتدا بلفظه هنا معنى عن الضمير ومثله الحاقة
ما الحاقة ولا يكون ذلك الا في مواضع التعظيم ولما
ذكر الناجين بقسميهم اتبعهم اضدادهم بقوله تعالى
واصحاب المشئمة اي الشمال وهم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم
وقوله تعالى ما اصحاب المشئمة تحقير لشانهم بدخولهم النار
وقال السدي اصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات
اليمين الى الجنة واصحاب المشئمة هم الذين يؤخذ
بهم ذات الشمال في النار والمشئمة الميسرة وكذا الشامة سة
والعرب تقول لليد الشمال الشومى وللجانب الشمال الاشام
وكذلك يقال لما جاء عن اليمين اليمن ولما جاء عن الشمال
الشوم قال البغوي ومنه سمي الشام واليمن لان اليمن
عن يمين الكعبة والشام عن شمالها وقال ابن عباس اصحا ب
الميمنة هم الذين كانوا على يمين ادم حين اخرجت الذرية
من صلبه فقال الله تعالى لهم هولاء في الجنة ولا ابالي
وقال زيد بن اسلم هم الذين اخذوا من شق ادم الايمن
وقال ابن جريج اصحاب الميمنة هم اصحاب الحسنات واصحا ب
المشئمة هم اصحاب السيئات وفي صحيح مسلم من حديث
الاسراء عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فلما
علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره
اسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله

تبكي

بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت
يا جبريل من هذا قال ادم عليه السلام وهذه الاسودة
عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين اهل الجنة
والاسودة التي عن شماله اهل النار وذكر الحديث وقال المبرد
اصحاب الميمنة اصحاب التقدم واصحاب المشئمة اصحاب
التاخر والعرب تقول اجعلني في يمينك ولا تجعلني في
شمالك اي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من
المتاخرين تنبيه الفا في قوله تعالى فاصحاب تدل
على التقسيم وبيان ما ورد عليه التقسيم كانه قال
ازواجا ثلاثة اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون
ثم بين حال كل قسم فقال فاما الميمنة وترك التقسيم اولا
واكتفى بما يدل عليه بان ذكر الاقسام الثلاثة مع احوالها
فان قيل ما الحكمة في اختيار لفظ المشامة في مقابلة الميمنة
مع انه قال في بيان احوالهم واصحاب الشمال ما اصحاب
الشمال اجيب بان اليمين اليسار من الشي السير اشارة
الى منفعة واستعملوا منه الفاظ تشاءموا به فذكروا المشامة مة
في مقابلة الميمنة وذكر الشمال في مقابلة اليمين فاستعمل
كل لفظ مع مقابلة لما ذكر تعالى القسمين وكان كل منهما
قسمين ذكر اعلى اهل القسم الاول ترغيبا في حسن حالهم
ولم يقسم اهل المشامة ترهيبا الى سوء مالهم فقال تعالى
والسابقون اي الى الاعمال الطاعة مبتدا وقوله تعالى السابقون
تاكيد على المهدوي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال السابقون الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه

بدلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم وقال محمد بن كعب
القرظي هم الانبيا وقال الحسن وقتادة السابقون الى الايما
من كل امة وقال محمد بن سيرين هم الذين صلوا الى
القبلتين قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار وقال مجاهد والضحاك هم السابقون الى الجهاد
واول الناس رواحا الى الصلاة وقال علي ابن ابي طالب
هم السابقون الى الصلوات الخمس وقال سعيد بن جبير الى
التوبة واعمال البر قال تعالى وسارعوا الى مغفرة من
ربكم ثم اثنى عليهم فقال تعالى اوليك يسارعون في الخيرات
وهم لها سابقون وقال ابن عباس هم اربعة منهم سابق
امة موسى عليه السلام وهو حبيب النجار صاحب انطاكيه
وسابقها امة محمد صلى الله عليه وسلم وهما ابو بكر وعمر رضي
الله عنهما وقال سميط بن عجلان الناس ثلثة رجل
ابتكر للخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج
من الدنيا فهذا هو السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب
ثم طول الغفلة ثم رجع بتوبته حتى ختم له بها فهذا من
اصحاب اليمين ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها
حتى ختم له بها فهذا من اصحاب الشمال وروي
عن كعب قال هم اهل القران المتوجون يوم القيامة
وقيل هم اول الناس رواحا الى المسجد واولهم
خروجا في سبيل الله وخبر المبتدا اوليك اي العالوا الرتبة
جدا المقربون اي الذين قربت درجاتهم في الجنة من
العرش واعليت مراتبهم واصطفاهم الله تعالى للسبق فازادهم

لقربه ولولا فضله في تقربهم لم يكونوا سابقين قال الرازي
في اللوامح المقربون تخلصوا من نفوسهم واعمالهم كلها لله
دينا ودنيا من حق الله تعالى وحق الناس وكلاهما عندهم
حق الله تعالى والدنيا عندهم اخرتهم لانهم يراقبون
ما يبدو لهم من ملكوته فيتلقونه بالرضا والانقياد وهم
صنفان صنف قلوبهم في جلاله وعظمته هايمة قد
ملكتهم هيبته فالحق يستعملهم في وصف اخر قد ارخى
من عنانه والامر عليه اسهل لانه قد جاوز بقلبه هذه
لحظة ويحله الاعلى فهو امين الله في ارضه فيكون
عليه اوسع انتهى ثم بين تقريبه لهم بقوله تعالى في جنات النعيم
اي الذي لا كدر فيه بوجه ولا منغص ولما ذكر السابقين فصلهم
بقوله تعالى اي جماعة وقيدها الزمخشري بالكثيرة والثلة
وجاءت الثلة ثلثة حذيفية بحيث كثار من المسيل من بعد
قال ابن عادل ولم يقيدها غيره بل صرح بانها الجماعة قلت
او كثرت ثم قال والكثرة التي فهمها الزمخشري قد تكون
من السياق انتهى لكن قال البغوي الثلة جماعة غير
محصورة ثلة من الاولين اي من الامم السابقة من
لدن ادم الى محمد صلى الله عليه وسلم من النبيين عليهم السلام
ومن امن بهم وقليل من الاخرين وهم من امن بمحمد صلى
الله عليه وسلم فقد كان الانبيا عليهم السلام مائة الف
ونيفا وعشرون الفا وكان من الله خرج مع موسى عليه السلام
من مصر وهو مومن به من الرجال القاتلين ممن هو فوق
العشرين ودون الثمانين ستماية الف فما ظنك بمن عداهم

من الشيوخ ومن دون العشرين من البالغين والصبيان
ومن النساء فكيف بمن عداد من سائر النبيين عليهم
السلام المجددين من بني اسرائيل وغيرهم قال السجاوندي
ولا يخالف ذلك قوله عليه الصلاة والسلام امتي يكثرون
سائر الامم لجواز ذلك قوله ان يكون سابقوا سائر الامم
اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم
قيل لما نزلت هذه الاية شق على اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم فنزلت ثلة من الاولين وثلة من الاخرين
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان تكونوا
ربع اهل الجنة بل نصف اهل الجنة وتقاسمونهم في النصف الثاني
رواه ابو هريرة ذكره الماوردي وغيره ومعناه ثابت في
صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود وكانهم ارادوا
انها منسوخة قال الرازي وهذا في غاية الضعف لان
عدد امة محمد صلى الله عليه وسلم كان في ذلك الزمان
بل الى اخر الزمان بالنسبة الى ما مضى في غاية القلة
والمراد بالاولين الانبيا وكبار اصحابهم وهم اذا جمعوا اكثر هم
من السابقين من هذه الامة ولان هذا خبر والخبر
لا ينسخ وقال الحسن سابقوا من مضى اكثر من سابقينا فلهذا
قال تعالى وقليل من الاخرين وقال في اصحاب اليمين وهم
سوى السابقين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين ولذا
قال صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان تكون امتي شطر
اهل الجنة ثم تلا ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وروى
الطبري ان الثلة والقليل كلاهما من هذه الامة فتكون

الصحابة

الصحابة كلهم من هذه الثلة وكذا من تبعهم باحسان الى يوم
الدين راس القرن الثالث وهم لا يحصيهم الا الله تعالى
ومن المعلوم انه تناقص الامر بعد ذلك الى ان صار السابق
في الناس اقل من القليل لرجوع الاسلام الى الحالة الذي
بدا عليها من الغربة بدا الاسلام غريبا كما بدا فطوبى
للغربا وهم الذين اذا فسد الناس صلحوا كما فسره صلى
الله عليه وسلم ذلكم وقال ابو بكر كلا الثلتين من امة محمد
صلى الله عليه وسلم فمنهم من هو في اول امته ومنهم
من هو في اخرها وهو مثل قوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وقيل المراد بالاولين الذين
امنوا وعملوا الصالحات وبالاخرين ذرياتهم الملحقون
بهم في قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم الثلة وهي مبتدا
من الثل وهي القطع والخبر على سرر جمع سرير وهو ما يجلس
الانسان من المقاعد العالية المصنوعة للراحة والكرامة
موضونة قال ابن عباس منسوجة بالذهب وقال عكرمة
مشبكة بالدر والياقوت وعن ابن عباس ايضا موضونة كقوله
تعالى في موضع اخر على سرر مصفوفة وقيل منسوجة
بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والموضونة
المنسوجة واصله من وضنت الشي اي ركبت بعضه على
بعض ومنه قيل للدرع موضونة لتركب حلقها قال الاعشى
ومن نسج داود موضونة " تسير مع الحي عيرا فعيرا "
ومنه نسج داود موضونة ايضا وضين الناقة وهو حزامها
لتركب طاقاته قال عمر وهو مار بوادي محسر "

اليك تعدو قلقا وضينها، معترضا في بطنها جنينها،
مخالفا دين النصارى دينها، رواه البيهقي ومعناه ان ناقتي تعدو
اليك مسرعة في طاعتك قلقا وضينها وهو حبل كالحزام
من كثرة السير والاقبال التام والاجتهاد البالغ في طاعتك
والمراد صاحب الناقة فسن للمار بوادي محسر ان يقول
هذا الكلام الذي قاله عمر ولما ذكر تعالى السرر ووصفها
عظمتها ذكر غايتها فقال سبحانه متكئين عليها اي السرر
على الجنب او غيره كحال من يكون على كرسي فيوضع
تحته شيء اخر للاتكا عليه متقابلين فلا ينظر بعضهم الى
قفا بعض وقال مجاهد وغيره هذا في المؤمن وزوجته
واهله اي يتكئون متقابلين قال الكلبي طول كل سرير
ثلثماية ذراع فاذا اراد العبد ان يجلس عليها تواضعت
فاذا جلس عليها ارتفعت وقيل انهم صاروا ارواحا
نورانية صافية ليس لهم ادبار وظهور تنبيه
متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على سرر
يجوز ان يكون حالا متداخلة فيكون متقابلين حالا
من ضمير متكئين ثم بين تعالى انهم في غاية الراحة
بقوله تعالى يطوف عليهم اي لكفاية ما يحتاجون اليه
ولدان اي على احسن صورة وزي وهيئة مخلدون
قد حكم الله تعالى ببقائهم على ما هم عليه من الهيئة على
شكل الاولاد قال الحسن والكلبي لا يهرمون ولا يتغيرون
ومنه قول امرئ القيس، وهل ينعمن الا سعيد مخلد، قليل
الهموم ما يبيت باوجال، وقال سعيد بن جبير مخلدون

مقرطون يقال للقرط الخلد والقرط هو ما يجعل في الاذن
من الحلق وقيل مقرطون اي مسطقون من المناطق والمنطقة
ما يجعل في الوسط واكثر المفسرين انهم على سن واحد
انشاهم الله لاهل الجنة يطوفون عليهم كما شاء من غير ولادة
فيها لان الجنة لا ولادة فيها وقال علي بن ابي طالب والحسن
البصري الولدان ههنا ولدان المسلمين الذين يموتون
صغارا ولا حسنة لهم ولا سيئة وقال سلمان الفارسي
اطفال المشركين هم خدم اهل الجنة قال الحسن لم يكن لهم
حسنات يجازون بها ولا سيات يعاقبون عليها فوضعوا
هذا الموضع والمقصود ان اهل الجنة على اتم السرور والنعمة
وقوله تعالى باكواب متعلق بيطوفون والاكواب جمع كوب وهي
كيزان مستديرة الافواه بلا عروة ولا خراطيم لا يعوق الشارب
منها عائق عن شرب من اي اي موضع اراد منها فلا يحتاج
ان يحول الاناء عن الحالة التي يتناوله بها ليشرب وقوله تعالى
واباريق جمع ابريق وهي اواني لها عرى وخراطيم فيها من
انواع المشارب ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين سمي بذلك
لبريق لونه من صفائه وكاس اي اناء شرب الخمر من معين
اي خمر صافية صفا الماء ليس تنطق عصرها جارية من
منبع لا ينقطع ابدا فان قيل كيف جمع الاكواب والاباريق
وافرد الكاس اجيب بان ذلك على عادة اهل الشرب
فانهم يعدون الخمر في اواني كثيرة ويشربونه بكاس واحد
وفيها مبانيتهم لاهل الدنيا من حيث انهم يطوفون بالا
كواب والاباريق ولا يثقل عليهم بخلاف اهل الدنيا لا يصدعون

عنها اي بسببها قال الزمخشري وحقيقته لا يصدر صداعهم
عنها والصداع هو الدا المعروف الذي يلحق الانسان
في راسه والخمر توثر فيه قال علقمة بن عبدة في وصف
خمر تشفي الصداع ولا يوذيك حالبها ولا يخالطها في الراس تدوم
قال ابو حيان هذه صفة خمر الجنة كذا قال الشيخ ابو جعفر
بن الزبير والمعنى لا تتصدع روسهم من شربها فهذه
لذة بلا اذى بخلاف خمر الدنيا وقيل لا يتفرقون عنها
ولا ينزفون اي تذهب عقولهم بوجه من الوجوه اي بجزع
شرابهم من نزفت البير اذا نزح ماوها كله وقرا عاصم
وحمزة والكسائي بكسر الزاي والباقون بفتحها وفاكهة
مما يتخيرون اي يختارون ما يشتهون من الفواكه لكثر تها
وقيل المعنى وفاكهة متخيرة مرضية والتخير الاختيار
ولحم طير مما يشتهون اي يتمنون قال ابن عباس يخطر
على قلبه لحم الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما
اشتهاه ويقال انه يقع على صحفة الرجل فياكل
منه ما يشتهي ثم يطير فيذهب فان قيل ما الحكمة
الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتها اجيب بان اللحم واذا
حضر عند جايع يميل نفسه الى اللحم واذا حضر عند
الشبعان يميل نفسه الى الفاكهة فالجايع مشتهي والشبعان
غير مشتهي بل هو مختار واهل الجنة انما ياكلون لا من جوع
بل للتفكه فميلهم للفاكهة اكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت
في مواضع كثيرة في القران بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر
بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه ادنى

ميل

ميل ولهذا قدم الفاكهة على اللحم فان قيل الفاكهة
واللحم لا يطوفون بهما الولدان والعطف يقتضي ذلك
اجيب بان الفاكهة واللحم في الدنيا يطلبان في حال
الشراب فجاز ان يطوف بهما الولدان ضمنا ولونهم الفاكهة
الغريبة واللحوم العجيبة لا للاكل بل للاكرام كما يضع
المكرم للضيف انواع الفواكه بيده او يكون معطوفا على
المعنى في قوله جنات النعيم وفاكهة ولحم اي في هذا
النعيم يتقلبون وتمام مكين بعد الاكل والشرب باشتهي النسا
قال تعالى وحور اي نسا شديدات سواد العيون وبياضهما
عين اي ضخام العيون وقرا حمزة والكسائي بخفض
الاسمين عطفا على سرر فان النسا في معنى التكا لانهن
يسمين فراشا والباقون بالرفع عطفا على ولدان كامثال
اللولو المكنون اي المخزون في الصدف المصون الذي لم
تمسه الايدي ولم تقع عليه الشمس والهوا فيكون في نهاية
الصفا قال البغوي ويروى ان الحور اذا مشت يسمع
تقديس الخلاخل من ساقيها وتحميد الاسورة من مسا
عديها وان عقد الياقوت في نحرها وفي رجليها نعلان
من ذهب شراكهما من لولو يصران بالتسبيح ولما بلغ في
وصف جزايهم بالحسن والصفا دل على ان اعمالهم كانت كذلك
لان الجزا من جنس العمل فقال تعالى جزاء اي فعل لهم
ذلك لاجل الجزا بما كانوا يعملون اي يجد دون عمله على
جهة الاستمرار قالت المعتزلة هذا يدل على ان ايصال
الثواب واجب على الله تعالى لان الجزا لا يجوز الاخلاف

به واجيبوا بانه لو صح ما ذكروه لما كان في الوعد
بهذه الاشيا فايدة لان العقل اذا حكم بان ترك جزا قبيح
وعلم بالعقل ان القبيح من الله تعالى محال يوجد علم ان
الله تعالى يعطي هذه الاشيا لانها جزاء واتصال بجزا
فكان لا يصح ان يمدح به لا يسمعون فيها لغوا اي شيا مما لا
ينفع واللغو الساقط ولا تاثيما اي ما يحصل به الاثم
او النسبة اليه اي الى الاثم بل حركاتهم وسكناتهم كلها رضى الله
تعالى وقال ابن عباس باطلا وكذبا قال محمد بن كعب
ولا تاثيما اي لا يوثم بعضهم بعضا وقال مجاهد لا يسمعون
شتما ولا ماثما وقوله تعالى الا قيلا سلاما فيه قولان احدهما
انه استثنا منقطع وهذا واضح لانه لم يندرج تحت اللغو
والتاثيم والثاني انه متصل وفيه بعد قال ابن عادل
فكان هذا رايه الاصل لا يسمعون فيها كلاما فاندرج
عنده فيه ثم بين تعالى ذلك بقوله سلاما اي قوله
سلاما قال عطا يحيي بعضهم بعضا بالسلام او تحييهم
الملايكة او يحييهم ربهم ودل عليه دوامه بتكريره فقال
تعالى سلام قولا من رب الرحيم وقال القرطبي السلام
الثاني بدل من الاول والمعنى الا قول يسلم فيه من
اللغو ولما بين حال السابقين شرع في بيان حال
اصحاب الميمنة فقال تعالى واصحاب اليمين ثم فخم امرهم
واعلى مدحهم بتعظيم جزايهم فقال تعالى ما اصحاب اليمين
فان قيل ما الحكمة في ذكرهم بلفظ اصحاب الميمنة عند
تقسيم الازواج الثلاثة وبلفظ اليمين عند ذكر الانعام

اجيب

اجيب بان ذلك تفنن في العبارة والمعنى واحد في سدر
اي شجر نبق مخضود اي لا شوك فيه كانه خضد
اي قطع ونزع منه قال ابن المبارك اخبرنا صفوان
عن سليم بن عامر قال كان اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم يقولون انا لينفعنا الاعراب ومسايلهم بن
عامر قال اقبل اعرابي يوما فقال يا رسول الله لقد ذكر
الله تعالى في القران شجرة موذية وما كنت ارى في
الجنة شجرة توذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اوليس يقول سدر مخضود خضد الله
شوكه فجعل مكان شوكه ثمرة فانها تنبت ثمرا على اثنين
وسبعين لونا من الطعام ما فيه لون يشبه الاخر وقال ابو
العالية والضحاك نظر المسلمون الى وج وهو واد بالطايف
مخصب فاعجبهم سدره فقالوا يا ليت لنا مثل هذه فنزلت
قال امية بن ابي الصلت يصف الجنة
ان الحدايق في الجنان ظليلة فيها الكواعب سدرها مخضود
وقال مجاهد في سدر مخضود هو الموقر حملا هو الذي
تنثني اغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا اثناه وهو
رطب وقال سعيد بن جبير ثمرها اعظم من القلال وطلح
منضود اي منظوم بالحمل من اعلاه الى اسفله ليست له ساق
بارزة متراكم يتركب بعضه على بعض على ترتيب هو
في غاية الاعجاب والطلح جمع الطلحة قال علي وابن عباس
واكثر المفسرين الطلح شجر الموز واحده طلحة وقال
الحسن ليس هو موز ولكنه شجر له ظل بارد رطب وقال

الفرا وابو عبيدة شجرة العظام له شوك والطلح كل
شجر عظيم كثير الشوكة وقال الزجاج هو شجر ام غيلان
قال مجاهد ولكن ثمرها احلى من العسل وقال الزجاج
لها نور طيب جدا خوطبوا ووعدوا بما يحبون مثله الا ان
فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما
في الدنيا وقال السدي طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له
ثمر احلى من العسل وقال مسروق اشجار الجنة من عروقها
الى افنانها نضيد ثمر كله كلما اكلت ثمرة عاد مكانها احسن
منها **وظل ممدود** اي دائم لا يزول ولا تنسخه الشمس كقوله
تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل كظل ما بين طلوع
الفجر وطلوع الشمس وقيل الظل ليس ظل اشجار بل ظل
يخلقه الله تعالى قال الربيع بن انس يعني ظل العرش
وقال عمرو بن ميمون مسيرة سبعين الف سنة وقال ابو عبيدة
تقول العرب للدهر الطويل والشي الذي لا ينقطع ممدود قال
الشاعر

غلب العزاء وكان غير مغلب ... دهر طويل دائم ممدود

وفي صحيح الترمذي وغيره عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنة شجرة
يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرءوا ان شئتم
وظل ممدود وفي هذا الحديث رد على من يقول ان
الاشجار لا ظل لها وقد سئل السبكي عن الرجل الذي
هو اخر اهل الجنة دخولا اذا انزل له شجرة يقول يا رب ادنني
من هذه لاستظل في ظلها الحديث من اي شي يستظل

والشمس

بلغ مقابلة

والشمس قد كورت اجاب بقوله تعالى وظل ممدود
وبقوله تعالى وازواجهم في ظلال انه لا يلزم من تكوير
الشمس عدم الظل لانه مخلوق لله تعالى وليس بعدم
بل امر وجودي له نفع باذن الله تعالى في الابدان
وغيرها فليس الظل عدم الشمس كما قد يتوهم وروي
عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى وظل ممدود قال
شجرة في الجنة يخرج عليها اهل الجنة فيتحدثون ويشتهي
بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله تعالى عليهم ريحا من الجنة
فتتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا **وماء مسكوب** اي
جار في منازلهم في غير اخدود لا يحتاجون فيه الى
جلب ماسي الاماكن البعيدة ولا الى في بئر كاهل
البوادي فان العرب كانت اصحاب بادية وبلاد حارة
وكانت الانهار في بلادهم عزيزة لا يصلون الى الماء الا
بالدلو والرشا فوعدوا في الجنة خلاف ذلك **وفاكهة
كثيرة** اي اجناسها وانواعها واشخاصها **لا مقطوعة ولا
ممنوعة** قال ابن عباس لا تنقطع اذا جنيت ولا تمتنع
عن احد ان اراد اخذها وقال بعضهم لا مقطوعة بالا
زمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع اكثر ثمار الدنيا
اذا جاء الشتاء ولا يتوصل اليها الا بالثمن وقيل لا يمنع
من ارادها شوك ولا بعد ولا حائط بل اذا اشتهاها
العبد دنت منه حتى ياخذها قال تعالى قطوفها دانية
وجاء في الحديث ما قطع من ثمار الجنة الا ابدل الله تعالى
مكانها ضعفين ولما كان التفكه لا يكمل الا لتلذذ به الا مع

الراحة قال تعالى **وفرش مرفوعة** اي رفيعة القدر
يقال ثوب رفيع اي عزيز مرتفع القدر والثمن بدليل قوله
تعالى متكئين على فرش بطائنها من استبرق فكيف
ظهائرها او مرفوعة فوق السرر بعضها فوق بعض
روى الترمذي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها
كما بين السما والارض مسيرة خمسمائة سنة قال حديث
غريب وقيل هي كناية عن النسا كما كني عنهن باللباس
اي ونسا مرتفعات الاقدار في حسنهن وكمالهن والعرب
تسمي المراة فراشا ولباسا على الاستعارة دليل
على هذا التاويل قوله تعالى **انا** اي بما لنا من العظمة
التي لا يتعاطاها شي **انشاناهن** اي الفرش التي
معناها النسا من اهل المدركة الدنيا بعد الموت بالبعث
وزاد في التاكيد فقال تعالى **انشاء** اي خلقا جديدا
من غير ولادة بل جمعناهن من التراب كسائر
بني ادم ليكونوا كلا بابيهم ادم عليه السلام في خلقه من
تراب لتكون الاعادة كالابتداء ولذلك يكون الكل
عند دخول الجنة على شكله عليه السلام وروى
النحاس باسناده ام سلمة سالت النبي صلى الله
عليه وسلم عن قوله تعالى انا انشاناهن انشاء فقال
هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز شمطا عمشا
رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر اترابا على ميلا
د واحدة في الاستوا وروى انس بن مالك يرفعه

في

في قوله تعالى انا انشاناهن انشاء قال هن العجائز العمش
الرمص كن في الدنيا عمشا رمصا وعن المسيب بن
شريك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انا
انشاناهن انشاء قال هن عجائز الدنيا انشاهن الله تعالى
خلقا جديدا كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا
فلما سمعت عائشة ذلك قالت واوجعاه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وعن الحسن قال
اتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
ادع الله تعالى ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان
ان الجنة لا يدخلها عجوز ان الله تعالى يقول انا انشاناهن
انشاء **فجعلناهن** اي الفرش المنشات وغيرهن بعظمتنا
المحيطة بكل شي **ابكارا** اي عذارى كلما اتاهن ازواجهن
وجدوهن عذارى ولا وجع وذكر المسيب عن غيره
انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا
وقال مقاتل وغيره هن الحور العين انشاهن الله تعالى
لم تقع عليهن الولادة وقوله تعالى **عربا** جمع عروب
كصبور وصبر وهي المتحببة الى زوجها وقال
الرازي في اللوامح الغلمة بمراد الزوج كمغلمة العرب
وقيل الحسنا وقيل المحسنة لكلامها وقال ابن عباس
هن العواشق وانشدوا
وفي الخبا عرب غير فاحشة ربا الروادف يعشي دونها البصر
وقرا حمزة وشعبة بسكون الراء والباقون بضمها كرسل
ورسل وقوله تعالى **اترابا** جمع ترب وهو المساوي

لك في سنك لانه يمسي جلدها التراب في وقت واحد وهو
اكد في الايتلاف وهو من الاسما التي لا تتعرف لانه مضافة
لانه في معنى الصفة ان معناه مساويك ومثله حذنك
لانه في معنى مصاحبك قال القرطبي من واحد وهو ثلاث
وثلاثون سنة يقال في النسا اتراب وفي الرجال اقران
وكانت العرب تميل الى من جاوزت حد الغنى من النسا
وانحطت عن الكبر وقال مجاهد الاتراب الامثال والاشكال
وقال السدي الاتراب في الاخلاق لا تباغض فيهن ولا
تحاسد وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يدخل اهل الجنة جردا مردا بيضا مكحلين ابنا ثلاث ثلثي
وقال ثلاثا وثلاثين على خلق ادم عليه السلام ستون
ذراعا في سبعة اذرع وروي انه صلى الله عليه وسلم
قال من مات من اهل الجنة من صغير وكبير يردون بني
ثلث ثلثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها ابدا وكذلك اهل
النار وعن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف خادم
واثنان وسبعون الف زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبر جد
وياقوت كما بين الجابية وصنعا ينظر وجهه في خدها
اصفى من المراة وان ادنى لؤلؤة عليها تضي ما بين
المشرق والمغرب وانه ليكون عليها سبعون ثوبا ينفذها
بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وعن ابي هريرة
ان ادنى اهل الجنة منزلة وما منهم دني لمن يغدو عليه
ويروح عشرة الاف خادم مع كل واحد منهم طرفة ليست

مع صاحبه وفي تعلق اللام في قوله تعالى لاصحاب اليمين
وجهان احدهما انها متعلقة بانشأناهن اي لاجل اصحاب
اليمين والثاني انها متعلقة باترابا كقولك هذا ترب لهذا
اي مساو له ثم بينهم بقوله تعالى ثلة من الاولين اي من
اصحاب اليمين وثلة اي منهم من الاخرين فلم يبين فيهم
قلة ولا كثرة قال البقاعي والظاهر ان الاخرين اكثر فان
وصف الاولين بالكثرة لا ينافي كون غيرهم اكثر ليتفق مع
قول النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الامة ثلثا اهل
الجنة فانهم عشرون ومائة صف هذه الامة منهم ثمانون
صفا واربعون من ساير الامم وعن عروة بن رويم لما نزل
قوله تعالى ثلة من الاولين وقليل من الاخرين بكى
عمر وقال يا نبي الله امنا برسول الله وصدقناه ومن
ينجو منا قليل فانزل الله تعالى ثلة من الاولين وثلة
من الاخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر
فقال قد انزل الله تعالى فيما قلت فقال عمر رضينا عن
ربنا ونصدق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ادم الينا ثلة ومني الى يوم القيامة ثلة
ولا يستتمها الا سودان من رعاة الابل ممن قال لا اله
الا الله وعن ابن عباس قال عرضت علي الامم فجعل
يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي
معه الرهط والنبي ليس معه احد ورفع الي سواد عظيم
فقلت انهم امتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن
انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه

امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا
عذاب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتذاكروا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اما
نحن فولدنا في الشرك ولكنا امنا بالله ورسوله ولكن
هؤلاء هم ابناؤنا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال
هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى
ربهم يتوكلون فقال عكاشة بن محصن فقال ادع الله
تعالى ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قال رجل اخر
فقال ادع الله تعالى ان يجعلني منهم فقال سبقك بها
عكاشة والرهط دون العشرة وقيل الى الاربعين وعن
عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال عرضت علي الانبياء الليلة باتباعها حتى اتى علي
موسى في كبكبة بني اسرائيل فلما رايتهم اعجبوني فقلت
اي رب من هؤلاء قيل هو اخوك موسى ومن معه من
بني اسرائيل قلت يا رب واين امتي قيل انظر عن يمينك فنظرت
فاذا الظراب مكة فقلت رضيت رب قيل انظر عن يسارك
فنظرت فاذا الافق قد سد بوجوه الرجال قيل هؤلاء
امتك ارضيت قلت رب رضيت قيل ان مع هؤلاء سبعين الفا
يدخلون الجنة لا حساب عليهم فقال صلى الله عليه
وسلم ان استطعتم ان تكونوا من السبعين فكونوا وان
عجزتم وقصرتم فكونوا من اهل الظراب فان عجزتم
فكونوا من اهل الافق فاني قد رايت اناسا يتهاوشون
كثيرا وعن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله
صلى

صلى الله عليه وسلم في قبة نحوا من اربعين فقال اترضون
ان تكونوا ربع اهل الجنة قال نعم قال اترضون ان تكونوا
ثلث اهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفسي بيده لارجو
ان تكونوا نصف اهل الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها
الا نفس مسلمة وما انتم في اهل الشرك الا كالشعرة
البيضاء في جلد الثور الاسود او كالشعرة السوداء في جلد
الثور الاحمر وتقدم في الحديث المار انهم ثلثا اهل الجنة
ولا منافاة لانه صلى الله عليه وسلم اخبر اولا بالتقليل
ثم اطلعه الله عليه الزيادة ولما اتم وصف اصحاب
الجنة اتبعه اضدادهم بقوله تعالى واصحاب الشمال اي الجهة
التي يتشاءم العرب بها ويعبر بها عن الشيء الاخس والحظ
الانقص قال البقاعي والظاهر انهم ادنى اصحاب المشأمة
كما ان اصحاب اليمين دون السابقين من اصحاب الميمنة
ثم عظم مصائرهم فقال تعالى ما اصحاب الشمال اي انهم بحال
من الشؤم هو جدير بان يسال عنه وسماهم بذلك لانهم
ياخذون كتبهم بشمائلهم ثم بين منقلبهم وما اعد لهم من
العذاب فقال تعالى في سموم اي ريح الى حد يذيب اللحم
وحميم وظل من يحموم اي دخان اسود وقيل اليحموم اسم من
اسماء النار قال الرازي وفي الامور الثلاثة اشارة
الى كونهم في العذاب لانهم ان تعرضوا لمهب الهواء
اصابهم السموم وان استكنوا كما يفعل الذي يدفع
عن نفسه السموم بالاستكنان لاكن يكونون في ظل من
يحموم وان ارادوا التبرد لما من حر السموم يكونون لما من

حميم فلا انفكاك لهم من العذاب او يقال ان السموم تضربهم
فيعطشون وتلتهب نار السموم في احشائهم فيشربون الماء فيقطع
امعاءهم فيريدون الاستظلال بظل فيكون ذلك الظل اليحموم
وذكر السموم والحميم دون النار تنبيها بالادنى على الاعلى
كانه قال ابرد الاشياء في الدنيا حار عندهم فكيف احرها وقوله
تعالى لا بارد ليروح النفس ولا كريم اي ليؤنس بروح الملتجا
اليه صفتان للظل لقوله تعالى من يحموم وقال الضحاك
لا بارد اي كغيره من الظلال بل حار لانه من دخان سعير
جهنم ولا كريم عذب وقال سعيد بن المسيب والحسن منظره
وكل شيء لا خير فيه ليس بكريم فسماه ظلا ونفى عنه
برد الظل وروحه ونفعه من ياوي اليه من اذى الحر وذلك
كرمه ليمحو ما في مدلول الظل من الاستراحة اليه والمعنى انه
ظل حار ضار الا ان للنفي في نحو هذا شانا ليس للاثبات
وفيه تهكم باصحاب المشامة وانهم لا يستاهلون الظل
البارد الكريم الذي هو لاضدادهم في الجنة ثم بين الجنا تهم
لذلك بقوله تعالى انهم كانوا اي في قبل ذلك اي قبل
الامر العظيم الذي وصلوا اليه مترفين اي انهم انما استحقوا
هذه العقوبة لانهم كانوا في الدنيا في سعة من العيش
متمكنين في الشهوات منهمكين بها متمكنين فيها وكانوا يصرون
اي يقيمون ويدومون على سبيل التجديد لما لهم من الميل
الجبلي الى ذلك على الحنث اي الذنب ويعبر بالحنث عن
البلوغ ومنه قولهم لم يبلغوا الحنث وانما قيل ذلك لان
الانسان عند بلوغه اليه يؤاخذ بالحنث اي الذنب والحنث

فلان

فلان اي حانث الحنث وفي الحديث كان يتحنث بغار حراء اي يتعبد
لمجانبة الاثم نحو تحرج فتفعل في هذه كلها للسلب ولما كان
ذلك قد يكون من الصغائر التي تغفر قال تعالى العظيم
وهو الشرك قاله الحسن والضحاك وقال مجاهد هو الذنب الذي
لا يتوبون منه وقال الشعبي هو اليمين الغموس وهي من
الكبائر يقال حنث في يمينه ان لم يبرها ورجع فيها وكانوا يقسمون
ان لا بعث وان الاصنام انداد الله تعالى فذلك حنثهم
فان قيل الترف هو التنعم وذلك لا يوجب ذما اجيب بانه
الذنب انما حصل بقوله تعالى وكانوا يصرون على الحنث
العظيم فانهم جحدوا واعاصي مما كثرت النعم عليهم فيح القيامة
وفي الاية مبالغات لان قوله تعالى يصرون يقتضي
ان ذلك عادتهم والاصرار مداومة المعصية ولان الحنث
ابلغ من الذنب لان الذنب يطلق على المعصية ويدل
على ذلك قولهم بلغ الحنث اي بلغ مبلغا تلحقه فيه الكبيرة
ووصفه بالعظيم يخرج الصغائر فانها لا توصف بذلك قال
الرازي والحكمة في ذكر سبب عذابهم ولم يذكر في اصحاب
اليمين سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين
وذلك تنبيه على ان الثواب منه فضل والعقاب منه عدل
والفضل سواء ذكر سببه او لم يذكره لا يتوهم بالمتفضل نقص وظلم
واما العدل ان لم يعلم سبب العقاب يظن ان هناك ظلم
ويدل على ذلك ان الله تعالى لم يقل في حق اصحاب اليمين جزاء
بما كانوا يعملون كما قال في السابقين لان اصحاب اليمين نجوا
بالفضل العظيم لا بالعمل بخلاف من كثرت حسناته يحسن اطلاق

ف

حجرا في حقه وكانوا اي زيادة على ما ذكر وكانوا يقولون
انكارا لجحدين لذلك داعيا عنا أئذا اي ابعث اذا متنا
وكنا اي كونا بنا نزدا ترابا وعظاما ثم اعادوا الاستفهام تاكيد
الانكارهم فقالوا أئنا لمبعوثون اي كائن ونابت بعثنا
ساعة من الدهر واكدوا اليكون انكارهم عادون ذلك بطريق
الاولى وقرا قالون ائذا بتحقيق الهمزة الاولى المفتوحة
وتسهيل الثانية المكسورة وادخال الف بينهما وكسر
الميم من متنا وحمزة واحدة مكسورة في اينا وقرا ورش
بتخفيف الاولى وتسهيل الثانية ولا ادخال بينهما
وكسر ميم متنا وهمزة واحدة مكسورة في اينا مع النقل
عن اصله وقرا ابن كثير وابو بالاستفهام فيهما وابن
كثير لا يدخل الفا وضم ميم متنا او اباؤنا اي او يبعث
اباؤنا الاولون اي الذين قد بليت مع لحومهم عظامهم
فصار الكلهم ترابا ولاسيما انحلهم السؤال تفرقت عصاهم
وذهبت بها في الافاق فان قيل كيف حسن العطف على
المضمر في لمبعوثون من غير تاكيد بنحن اجيب بان حسن
العطف على المضمر للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله تعالى
ما اشركنا ولا اباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرا قالون
وابن عامر بسكون الواو من واو الاباؤن بفتحها ثم رد الله
تعالى عليهم قولهم ذلك بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه
وسلم قل اي لهوله ولكل من كان مثلهم واكدا لانكارهم ان الاولين
اي الذين جعلتم الاستبعاد فيهم وهم الاباء والاخرين
وهم الابناء لمجموعون اي في المكان الذي تكون فيه لكتاب

الي

الذي سيقات يوم اي زمان معلوم اي معين عند الله تعالى
وهو يوم القيامة اذ هو من شأنه ان يعلم بما عليه من
الاحوال والمنجيات ما وقت به الشيء زمان الى حد
ثم انكم اي هذه الجمع ايها الضالون اي الذين غلبت عليهم
الغباوة لا يفهمون فضلوا عن القصد بل ثم اتبع ذلك ما
اوجب لحكم عليهم بالضلال فقال تعالى المكذبون بالبعث
والخطاب لاهل مكة ومن في مثل حالهم لاكلون من شجر
من زقوم وهو من اخبث الشجر المر ينبتها الله
تعالى في الجحيم فهو في غاية الكراهة وبشاعة المنظر ونتن
الرائحة وقد مر الكلام على ذلك في الصافات تنبيه
من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر فمالئون
اي ملا هو في غاية الثبات وانتم في غاية الاقبال
عليه مع ما هو عليه من عظيم الكراهة منها اي الشجر
وانثه لانه جمع شجرة وهو اسم جنس قال البقاعي وهم
يكرهونه الاناث تنابيه والله اعلم زيادة في تنفيرهم
وقال الزمخشري انث ضمير الشجر على المعنى وذكره
على اللفظ في قوله منها وعليه وهو لف ونشر مرتب
البطون اي لظهرهم الى تناول هذه الكريهة حتى تملؤا بطو لكم
منه ثم لما يلي ما لكم اتبعه مشربهم فقال تعالى فشاربون
عليه اي الاكل او الزقوم من الحميم لحلى مرارته وحرا رته
يحتاجون الى شرب الماء الحار فشاربون اي منه شرب الهيم
الابل العطاش وهو جمع هيمات للذكر وهيما للانثى
كعطشان وعطشى او الهيام داء معطش تشرب الابل

منه الى ان تموت او يسقم سقما شديدا وقيل انه جمع هايم
وهايمة من الهيام الجنون الا انه جمع فاعل وفاعلة على
فعل قليل نحو نازل ونزل وعايذ وعوذ وقيل انه
جمع هيام بفتح الهاء وهو الرمل غير المتماسك الذي يرويه
مثل الما اصله فيكون مثل سحاب وسحب بضمتين ثم
خفف باسكان عينه ثم كسرت فاؤه لتصح اليا كما فعل بالذي
قبله والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم
الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملوا منه البطون سلط
عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع
امعاهم فيشربون منه شرب الهيم فان قيل كيف صح عطف
الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان
فكان عطفا للشي على نفسه اجيب بانهما ليسا متفقتين
من حيث ان كونهم شاربين الحميم على ما هو عليه من تناهي
الحرارة وقطع امعا عجيب الهيم فكانتا صفتين مختلفتين وقرا
نافع وعاصم وحمزة بضم الشين والباقون بفتحها هذا اي ما ذكر
نزلهم اي ما يعد لهم اول قدومهم ما كان يعد للضيف اول
حلوله كرامة له يوم الدين اي الجزا الذي هو حكمة النعمة
واذا كان هذا نزلهم فما ظنك بما ياتي بعدما استقروا في الجحيم
وفي ذلك تهكم كما في قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم
فان النزل لغة ما يعد للنازل تكرمة ثم استدل على
منكري البعث بقوله نحن اي لا غيرنا خلقناكم اي بما لنا
من العظمة فلولا تحضيض اي فهلا تصدقون اي
بالبعث فان الاعادة اسهل من الابتدا وقيل نحن خلقنا

رزقكم

رزقكم فهلا تصدقون ان هذا طعامكم ان لم تؤمنوا ومتعلق
التصديق محذوف تقديره فلولا تصدقون بخلقنا افرايتم
اي فاخبروني هل رايتم بالبصر والبصيرة ما تمنون اي تصبون
من المني في ارحام النسا االتم تخلقونه اي توجدونه مقدرا
على ما هو عليه من الاستوا والحكمة بعد خلقه من صورة
النطفة الى صورة العلقة ثم من صورة العلقة الى
صورة المضغة ثم منها الى صورة النطفة العظام والاعضا
ام نحن اي خاصة الخالقون اي الثابتون لما ذكر وقرا اانتم
في الثلاثة مواضع نافع بتسهيل التي هي عين الكلمة وورش
وجه ثاني وهو ابدال الثانية الفا والباقون بتحقيقها
مع عدم الادخال بينهما ولما كان الجواب قطعا انه الخالق
وحده اكد ذلك بقوله تعالى نحن اي بما لنا من العظمة
لا غيرنا قدرنا اي تقديرا عظيما لا يقدر سوانا على نقص
شي منه بينكم الموت وقسمناه عليكم فلم نترك احدا
منكم بغير حصة منه وافنينا موت كل بوقت معين لا يتقدم
فتقصر ناعمر هذا وربما كان في الاوج من قوة البدن
وصحة المزاج فلو اجتمع الخلق كلهم على اطالة عمره ما قدروا
ان يؤخروه لحظة واطلنا عمر هذا وربما كان في الحضيض
من ضعف البدن واضطراب المزاج فلو تمالوا على تقصيره
طرفة عين لعجزوا وقرا ابن كثير بتخفيف الدال والباقون
بالتشديد وما نحن اي على ما لنا من العظمة بمسبوقين اي
بالموت اي لا عاجزين ولا مغلوبين على اي عن نبدل
تبديلا عظيما امثالكم اي صوركم واشخاصكم وننشئكم اي

انشاء جديدا بعد تبديل ذواتكم في ما لا تعلمون فان بعضكم
تأكله الحيتان او السباع او الطيور فتنشأ ابدانها منه وبعضكم
يصير ترابا فربما نشأ منه نبات فاكلته الدواب فنشأت منه
ابدانها وربما صار ترابه من معادن الارض الذهب والفضة
والحديد والنحاس والحجر ونحو ذلك وقد لمح الى ذلك
قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا الى اخرها قال البغوي
ان نخلق مثلكم بدلا منكم ونخلقكم فيما لا تعلمون من الصور
اي بتغيير اوصافكم وصوركم الى صور اخرى بالمسخ ومن قدر
على ذلك قدر على الاعادة وقال الطبري معنى الاية نحن
قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين في اجالكم اي لا يتقدم
متاخر ولا يتاخر متقدم وننشئكم فيما لا تعلمون من الصور
والهيئات قال الحسن اي نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا باقوام
قبلكم وقيل المعنى ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا
فيجمل المومن ببياض وجهه ويقبح الكافر بسواد وجهه
فان ما مقطوعة عن في الرسم ولقد علمتم النشأة الاولى اي
الترابية لابيكم ادم عليه السلام واللحمية لامكم حوى رضي
الله عنها والنطفية لكم وكل منها تحويل من شي الى غيره
مما الذي شاهدتم قدرته على ذلك لا يقدر على ذلك
تحويلكم بعد ان تصيروا ترابا الى ما كنتم عليه اولا من
الصور ولهذا تسبب عما تقدم قوله فلولا اي فهلا ولم لا تذكرون
اي تذكرا عظيما تكرهون انفسكم عليه فتعلمون ان من
قدر على النشأة الاولى قدر على الثانية فانها اقل صنعا
لحصول المراد وتخصيص الاجزا وسبق المثال وفيه دليل

على

على صحة القياس وفي تخبر عجبا كل العجب لمنكر بين النشاءة ة
الاخروية وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشاة خ
الاخرة وهو يسعى لدار الغرور وقرأ ابن كثير وابو عمرو
النشاءة بفتح الشين وبعدها الف بعد الهمزة والباقون
وخفف ذال تذكرون حمزة والكسائي وحفص وشددها
الباقون ثم ذكر لهم حجة اخرى بقوله تعالى افرايتم اي
اخبروني هل رايتم بالبصر والبصيرة ما نبهناكم عليه
فيما تقدم فتسبب عن تنبيهكم لذلك انكم رايتم ما تحرثون
اي تجددون حرثه على الاستمرار من ارضكم فتطر
حون فيه البذر ءانتم تزرعونه اي تنبتونه بعد طرحكم
وتجعلونه زرعا فيكون فيه السنبل والحب ام نحن اي
خاصة الزارعون اي المنبتون له والحافظون روي انه
صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم زرعت وليقل
حرثت قال ابو هريرة ارايتم الى قوله تعالى افرايتم الاية
ولما كان الجواب قطعا انت الفعال لذلك وحدك قال
تعالى موضحا لانه ما زرعه غيره لو نشاء اي لو عاملناكم
بصفة العظمة لجعلناه اي بتلك العظمة حطاما اي مكسورا
مفتتا لا حب فيه قبل النبات حتى لا يقبل الخروج او بعد
ببرد مفرط وحر مهلك او غير ذلك فلا تنتفع به فظلتم
اي فاقمتم بسبب ذلك نهارا في وقت وتركتم ما يهمكم
فظلتم حذفت منه احدى اللامين في الاصل تخفيفا
اي تعجبون مما نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون على
ما سلف منكم من المعاصي التي اوجبت تلك العقوبة

قال الزمخشري ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها
البعداء ويتركها القرباء فبينا هم إذ غار ماؤها فانتفع بها قوم
وبقي قوم يتفكهون أي يتندمون وقال الكسائي التفكه
التلهف علي ما فات من الأضداد تقول العرب تفكهت
أي تنعمت وتفكهت أي حزنت وتقولون (إنا لمغرمون) فظلتم تفكهون بحذف
القول أي معنى الغرم ذهاب المال بغير عوض من الغرام
وهو الهلاك ومن مجيء الغرام بمعنى الهلاك قول القائل
إن يعذب يكن غراما وإن يعط جزيلا فإنه لا يبالي
وقال ابن عباس الغرام العذاب أي عذبوا بذهاب أموالهم
والمعنى إنا لمغرمون الذي بذرناه فذهب بغير عوض
ومن الغرام بمعنى العذاب قول القائل
وثقت بأن الحلم منك سجية وإن فؤادي مبتلي بك مغرم
وقرأ شعبة أإنا بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة علي
الاستفهام والباقون بهمزة واحدة مكسورة علي الخبر بل نحن
أي خاصة محرومون أي ممنوعون رزقا حاصلا منا لا يرد
قضاؤه فلا حظ لنا في الاكتساب فلو كان الزراع ممن له
حظ لأفلح زرعه ثم ذكر تعالي لهم حجة أخري بقوله تعالي
أفرأيتم الماء أي أخبروني هل رأيتم بالبصر والبصيرة ما نبهنا
به عليه مما مضي في المطعم وغيره أفرأيتم الماء الذي تشربون
لتحيوا به أنفسكم وتسكنوا به عطشكم ذكرهم بنعمه التي أنعم
بها عليهم بإنزال المطر الذي لا يقدر عليه أحد إلا الله
عز وجل أأنتم أنزلتموه من المزن أي السحاب وهو اسم جنس
واحده مزنة قال القائل فلا مزنة ودقت ودقها

ولا

ولا أرض أبقل إبقالها وعن ابن عباس والثوري المزن
السماء والسحاب وقال أبو زيد المزنة السحابة البيضاء
أي خاصة وهي أعذب ماء وجمع مزن والمزنة المطرة
أم نحن أي خاصة المنزلون أي لذلك بما لنا من العظمة لو نشاء
أي حال إنزاله وبعده قبل أن ينتفع به جعلناه أي بما
تقتضيه صفة العظمة أجاجا أي ملحا مرا محرقا لأنه في
الأحشاء لهيب النار المؤجج فلا يبرد عطشا ولا يسبب
نبتا ينتفع به وقال ابن عباس الأجاج المالح الشديد
الملوحة فلولا أي فهلا ولم لا تشكرون أي تجددون
الشكر علي سبيل الاستمرار باستعمال ما آتاكم ذلك من
التقوي في طاعة الله الذي أوجده لكم ومكنكم منه
ثم ذكر تعالي لهم حجة أخري بقوله تعالي أفرأيتم النار أي
أخبروني هل رأيتم بالبصر والبصيرة ما تقدم فرأيتم النار
التي تورون أي تخرجون من الشجر الأخضر أأنتم
أنشأتم أي اخترعتم وأوجدتم وأحييتم وربيتم ونميتم
شجرتها أي التي تقدح منها النار وهي المرخ والعفار
وهما شجرتان تقدح منهما وهما رطبتان وقيل أراد جميع
الشجر الذي توقد به النار أم نحن أي خاصة وأكد
بقوله تعالي المنشئون أي بما لنا من العظمة علي
تلك الهيئة ممن قدر علي إيجاد النار التي هي أيبس
ما يكون في الشجر الأخضر مع ما فيه علي إعادة الطراوة
في ترب الجسد الذي كان غضا طريا فيبس وبما لا تحوي
قطعا أنت وحدك قال تعالي دالا علي ذلك تنبيها

على عظم هذا المخبر عنه اي خاصة جعلناها اي لما اقتضته
عظمتنا تذكرة اي شيئا يتذكر به تذكيرا عظيما جليلا اخبرنا
به من البعث وعذاب النار الكبرى وما فيها من
شجرة الزقوم وغير ذلك وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ناركم التي توقدون جزء من سبعين جزءا
من نار جهنم قال والله ان كانت لكافية يا رسول الله
قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثلها
مثل حرها ومتاعا اي بلغة ومنفعة للمقوين اي للمسافرين
والمقوي النازل في ارض القوي بالكسر والقصر والمد وهي
القفر البعيدة من العمران والمعنى انه ينتفع بها اهل البوادي
والاسفار فان منفعتهم بها اكثر من المقيم فانهم يوقدونها
بالليل لتهرب السباع ويهتدي الضال الى غير ذلك
من المنافع وقال مجاهد للمقوين اي المستمتعين بها من
الناس اجمعين في الظلمة ويصطلون بها من البرد
وينتفعون بها في الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع
ويتذكر بها نار جهنم فيستجار بالله تعالى منها وقال
ابن زيد للجائعين في اصلاح طعامهم يقال اقويت
منذ كذا وكذا اي ما اكلت شيئا قال الشاعر
واني لاختار القوى طاوي الحشا محافظة من ان يقال لئيم
وقال قطرب المقوي من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من
المال ويقال للغني مقو لقوته على ما يريد والمعنى
فيها متاعا ومنفعة للفقراء والاغنياء لا غنى لاحد عنها وقال

المهدوي الاية تصلح للجميع لان النار يحتاج اليها المسافر
والمقيم والغني والفقير ولما ذكر تعالى ما يدل على وجود
وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب
نبيه صلى الله عليه وسلم اذ كل احد من الناس بقوله فسبح
اي اوقع التنزيه العظيم عن كل شائبة من ترك البعث
وغيره ولا سيما بعد نهوض هذه الادلة باسم اي متلبسا
بذكر الاسم ربك اي المحسن اليك بهذا البيان الاعظم
فائدة اثبتوا الف الوصل هنا في اسم ربك لانه لم يكثر
دوره كثرته في البسملة وحذفوه منها لكثرة دورها
وهم شانهم الايجاز وتقليل الكثير اذا عرف معناه وهذا معروف
لا يجهل واثباتها اثبت من اسقاطه لما لا يكثر دليل على
المحذوف منه وكذا لا تحذف مع غير الباء في اسم الله ولا مع
الباء في غير هذه الكلمة من الاسماء وقد اوضحت ذلك
في مقدمتي على البسملة والحمدلة ولما كان المقام للعظمة
قال الله تعالى العظيم اي الذي ملا الاكوان كلها عظمة فلا شيء
منها الا وهو يملؤه بعظمته تنزيها عن ان يلحقه شائبة
نقص او يفوته شيء من كمال فالعظيم صفة للاسم او
الرب والاسم قيل بمعنى الذات وقيل زائد اي فسبح ربك
واختلف في لا في قوله تعالى فلا اقسم فقال اكثر المفسرين
معناه فاقسم ولا صلة مؤكدة بدليل قوله تعالى بعد
ذلك وانه لقسم ومثلها في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب
والمعنى ليعلم وقال بعضهم انها حرف نفي وان النفي بها محذوف
وهو كلام الكافر الجاحد للتذكير فلا حجة بما يقوله الكافر

ثم ابتدأ فيما بعد ذكر وضعف هذا بان فيه حذف اسم لا وخبرها
قال ابو حيان ولا ينبغي فان القائل بذلك مثل سعيد بن
جبير تلميذ حبر القرآن وبحره عبد الله بن عباس ويبعد ان
يقول سعيد الا بتوقيف وقال بعضهم انها لام الابتداء والا
صل فلا قسم فاشبعت الفتحة فتولد منها الف كقول بعضهم
اعوذ بالله من العقراب قال الزمخشري ولا يصح ان تكون
اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان تقرن بها
النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان
لافعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون
للحال واختلف الغير في معنى قوله تعالى بمواقع النجوم قال
اكثر المفسرين بمساقطها لغروبها قال الزمخشري ولعل الله
تعالى في اخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا عظيمة
مخصوصة وللملائكة عبادات موصوفة او لانه وقت
قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين
ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها
واستعظم ذلك بقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم
وقال عطا بن رباح اراد بمواقعها منازلها قال الزمخشري
وله في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة
ما لا يحيط به الوصف وقال الحسن مواضعها انكدارها
وانتثارها يوم القيامة وقال ابن عباس والسدي المراد
نجوم القرآن اي اوقات نزولها وقال الضحاك هي الانواء
التي كانت الجاهلية تقول اذا مطروا مطرنا بنوء كذا
وقال القشيري هو قسم ولله ان يقسم بما يريد وليس لنا ان نقسم

بغير الله

بغير الله تعالى وصفاته القديمة فان قيل جواب لو تعلمون
ما هو اجيب بانه مقدر تقديره لعظمتموه اي لو كنتم من ذوي
العلم لعلمتم عظم هذا القسم ولكنكم ما علمتموه نعلم انكم
لا تعلمون وقرا بموقع حمزة والكسائي بسكون الواو ولا
الف بعدها والباقون بفتح الواو والف بعدها وقوله تعالى
انه اي القرآن الذي به اقسمة النجوم بمواقعها لقرآن
اي جامع سهل ذو انواع جليلة كريم اي بالغ الكرم
منزه عن كل شائبة لوم ودناة هو المقسم عليه وفي الكلام
اعتراضات احدهما الاعتراض بقوله تعالى وانه لقسم
بين القسم والمقسم عليه والثاني الاعتراض بقوله
تعالى لو تعلمون بين الصفة والموصوف تنبيه من كرم
هذا القرآن مشتمل على اصول العلوم المهمة في اصلاح
المعاش والمعاد وبلسان العرب الذي اتفق علما العرب
على ان لسانهم افصح الالسن وعلى وجه اعجز العرب
كافة وبقية الخلق اجمعين واختلف في معنى قوله تعالى
في كتاب اي مكتوب مكنون اي مصون فالذي عليه الاكثر
انه المصحف سمي قرآنا للقرب لجواز على ان شاع ولان
النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض
العدو واراد به المصحف وقوله تعالى لا يمسه خبر بمعنى
النهي ولو كان باقيا على خبريته لزم منه تخلف لان
غير المتطهر يمسه وخبر الله تعالى لا يقع فيه خلف لان
المراد بقوله تعالى الا المطهرون لا المحدثون وهو قول
عطا وطاوس وسالم والقاسم واكثر اهل العلم وبه قال

مالك والشافعي رضي الله تعالى عنهما وقال ابن عادل
والصحيح ان المراد بالكتاب المصحف الذي بايدينا
لما روى مالك وغيره ان كتاب عمرو ابن حزم لا يمس
القرآن الا طاهر وقال ابن عمر قال النبي صلى الله
عليه وسلم لا تمس القرآن الا وانت طاهر وقالت
اخت عمر عند اسلامه وقد دخل عليها ودعا بالمصحف
لا يمسه الا المطهرون فقام فاغتسل واسلم وعلى هذا
قال قتادة وغيره معناه لا يمسه الا المطهرون من
الاحداث والانجاس انتهى وقال ابن عباس مكنون
محفوظ عن الباطل والكتاب هنا كتاب في السماء وقال
جابر هو اللوح المحفوظ اي لقوله تعالى بل هو قرآن مجيد
في لوح محفوظ وقال عكرمة التوراة والانجيل فيهما ذكر
القرآن وقال السدي الزبور وقيل لا من لا يمسه نافية
والضمة في لا يمسه ضمة اعراب وعلى هذا ففي الجملة وجهان
احدها ان محلها الجر صفة للكتاب والمراد به المصاحف
والمراد بالمطهرون الملائكة فقط اي لا يطلع عليه
لان نسبة المس الى المعاني متعذر وقيل انها ناهية
والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر
ذلك فيه كقوله تعالى لم يمسهم السوء ولكنه ادغم
ولما ادغم حرك بالضم لاجل هاء ضمير المذكر الغائب وفي
الحديث انا لم نرده عليكما الا انا حرم بضم الدال وان
كان القياس يقتضي جواز فتحه تخفيفا وبهذا ظهر فساد
رد من رد بان هذا لو كان نهيا لكانه قال لا يمسه بالفتح

لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل الها في هذا النحو بل لا
يجوز سيبويه غيره واختلفوا في المس المذكور في الآية
فقال انس وسعيد بن جبير لا يمس ذلك الا المطهرون
من الذنوب وهم الملائكة وقال ابو العالية وابن زيد هم
الذين طهروا من الذنوب كالرسل من الملائكة والرسل
من بني ادم وقال الكلبي هم السفرة الكرام البررة وهذا
كله قول واحد وهو اختيار مالك وقال الحسن هم الملائكة
الموصوفون في سورة عبس في قوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة
مطهرة بايدي سفرة كرام بررة وقيل معنى لا يمسه
لا ينزل به الا المطهرون اي الرسل من الملائكة على
الرسل من الانبيا ولا يمس اللوح المحفوظ الذي هو
الكتاب المكنون الا الملائكة المطهرون ولو كان المراد
طهر الحدث لقال المطهرون يعني المتطهرون تنبيه
اختلف العلما في مس المصحف وحمله على غير طهارة
لحديث عمرو ابن حزم وهو مذهب علي وابن مسعود
وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وعطا والزهري
والنخعي والحكم وحماد وجماعة من الفقها منهم مالك
والشافعي واما الحمل فلانه ابلغ من المس سوا حمله بعلاقة [قتة]
ام في كمه على راسه وسوا مس نفس السطور ام ما
بينهما ام الحواشي ام الجلد ام الغلاف ام الخريطة ام الصندوق
اذا كان المصحف فيهما وسوا المس باعضاء الوضوء ام بغيرها
وقال جماعة يجوز مسه وحمله واحتجوا بان النبي صلى الله
عليه وسلم كتب الى هرقل كتابا فيه قرآن وهرقل محدث

عيسى هو واصحابه وباب الصبيان يحملون الالواح
محدثين بلا انكار وبانه ان لم يحرم القراءة فالحمل والمس اولى
وبانه يجوز حمله في امتعة واجيب عن الاول بان ذلك
الكتاب كان فيه ايات ولا يسمى مصحفا ولا في معناه وبانه
لو كان كتابا قد تضمن مع القران دعاء الى الاسلام فلم
يكن القران بانفراده مقصود الحمل تغليبا للمقصود
فيه وعن الثاني بانه ابيح للصبيان للضرورة لانهم
غير مكلفين وعن الثالث بان القراءة ابيحت للحاجة وعسر
الوضوء لها كل وقت وبانا لا نسلم الاولوية المذكورة بدليل
ان الكافر لا يمنع من القراءة ويمنع في حمل المصحف ومسه
وعن الرابع بان جواز حمل المصحف في الامتعة محله ان لم
يكن المصحف هو مقصود الحمل وقال اخرون بحرمة المس
دون الحمل واحتجوا بان المحرم يحرم عليه مس الطيب دون
حمله واجيب عنه بانه غير صحيح لان حمل المصحف ابلغ
في الاستيلاء عليه من مسه فلما حرم الادنى كان تحريم
الاعلى اولى ولان تحريم المصحف انما هو لحرمته فاستوى
فيه مسه وحمله بخلاف طيب المحرم فان تحريمه مقصود
على الاستمتاع به وليس في حمله استمتاع به ولو لف كمه
على يده وقلب بيده اوراق المصحف حرم عليه لان
القلب يقع باليد لا بالكم بخلافه فقلبه بعود ويحرم
كتب شيء من القران او من اسمائه تعالى بنجس او
على نجس ومسه به ان كان غير معفو عنه ولو خاف
على المصحف من حرق او غرق او وقوع نجاسة عليه او وقوعه

بيد

بيد كافر ان حمله مع الحدث بل يجب ذلك صيانة للمصحف
ولو لم يجد من يودعه المصحف وعجز عن الوضوء فله حمله
مع الحدث ويلزمه ان يتيمم ان وجد التراب ولا تحل المسافرة
بالمصحف الى ارض الكفار اذا خيف وقوعه في ايديهم
للنهي عنه في الصحيحين وخرج بالمصحف غيره كنحو كتب
الفقه والحديث وكتب التفسير او مساويا لم يحرم الحمل
والمس لانه حينئذ في معنى المصحف وفي ذلك زيادة
ذكرتها في شرح المنهاج وغيره وقوله تعالى تنزيل اي منزل
اليكم بالتدريج بحسب الوقائع والترتيب للافهام والعاني الى قية
من حال الى حال وحكم الى حكم بلا واسطة الرسل من
الملائكة من رب العالمين اي لخالق العالم بين بينهم نعمة
القران اي القران منزل من عند رب العالمين سمي المنزل
تنزيلا على اتساع اللغة كقوله تعالى هذا خلق الله واثر
المصدر لان تعلق المصدر بالفاعل اكثر وفي ذلك رد
على قول من قال بان القران شعرا وسحرا وكهانة افبهذا
الحديث اي القران الذي تقدمت اوصافه العالية وهو
مخلد اليكم نزل لكم وقتا بعد وقت انتم مدهنون اي
متهاونون كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب
فيه تهاونا به قال ابن برجان الادهان والمداهنة
الملاينة في الامور التي تحل ولا تحل والتجاوز انتهى
قال البقاعي فهو على هذا انكار على من سمع احدا يتكلم
في القران بما لا يليق ثم لا يجاهره بالعداوة ولاهل الاتحاد
كابن عربي الطائي صاحب الفصوص وابن الفارض مما

حب

الثانية اول من هذه البدع هذه الاية فانهم تكلموا في
القران على وجه يبطل الدين اصلا وراسا ويحله
عروة عروة فهم اضر الناس على هذا الدين ومن تاول لهم
او تسامح عنهم او اعتذر لهم او تحسين الظن بهم مخالف
لاجماع الا من التبس حاله منهم فان مراده ابقا كلامهم
الذي لا افسد للاسلام منه من غير ان يكون لا تنابه مصلحة
ما بوجه من الوجوه اه وحكى ابن المقري في روضته
على كفر من شك في كفر طائفة ابن العربي الذين ظاهر
كلامهم ولكن كلام هولا جار على اصطلاحهم اذ اللفظ المصطلح
عليه حقيقة في معناه الاصطلاحي مجاز في غيره فالمعتقد
منهم لمعناه معتقد لمعنى صحيح واما من اعتقد ظاهره من
جهلة الصوفية الذين لا علم عندهم بل اكثرهم يدعون ان العلم
حجاب ومدعي ذلك هو المحجوب فانه يعرف فان اصر على
ذلك بعد معرفته صار كافرا فنسال الله التوفيق والعصمة ولما
كان هذا القران متكفلا بسعادة الدارين قال تعالى وتجعلون
رزقكم اي حظكم ونصيبكم وجميع ما تنتفعون به من هذا الكتاب
وهو نفعكم كله انكم تكذبون تضعون الكذب مكان الشكر
كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية
اي لم يكونوا يصلون ولكنهم يصلون كانوا يصفرون ويصفقون
مكان الصلاة قال القرطبي وفيه بيان ان ما اصاب العباد
من خير فلا ينبغي ان يروه من قبل الله تعالى ثم يقابلونه
بكرا ان كان مكروها تعبدا له وتذللا وعن ابن عباس ان المراد
به الاستسقاء بالانوا وهو قول العرب مطرنا بنوا كذا وروا

علي

علي ابن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح
مسلم عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر فقال بعضهم
هذه رحمة الله تعالى وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا قال
فنزلت هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم حتى بلغ وتجعلون
رزقكم انكم تكذبون وفيه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج في سفر فعطشوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم
ان دعوت الله تعالى لكم فسقيتم لعلكم ان تقولوا هذا المطر
بنوء كذا فقالوا يا رسول الله ما هذا بحين الانواء فصلى ركعتين
ودعا الله تعالى فهاجت ريح ثم هاجت سحابة فمطروا
فمر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عصابة من اصحابه
برجل يغترف بقدح له وهو يقول سقينا بنوء كذا ولم يقل هذا
من رزق الله فنزلت وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي بدل
شكر الله على رزقه اياكم انكم تكذبون بالنعمة وتقولون
سقينا بنوء كذا كقوله جعلت احساني اليك اساءة منك
الي وجعلت انعامي لديك ان اتخذتني عدوا قال الشا ضي
لا احب لاحد ان يقول مطرنا بنوء كذا وان كان النوء عندنا
الوقت لا يضر ولا ينفع ولا يمطر ولا يحبس شيا من المطر
والذي احب ان يقول مطرنا وقت كذا كما تقول مطرنا
شهر كذا ومن قال مطرنا بنوء كذا وهو يريد ان النوء انزل
الما كما يقول اهل الشرك فهو كافر حلال دمه ان لم يتب
وحاصله ان اعتقد ان النوء هو الفاعل حقيقة كفر والا
يكره لكن كراهة تنزيه وسبب الكراهة انها كلمة مترددة

بين الكفر وغيره فيا الظن بقايلها ولانها من شعار الجاهلية
ومن سلك مسلكهم ثم بين سبحانه انه لا فاعل لشي في
الحقيقة سواه بقوله تعالى فلولا وهي اداة تفهم طلب
بزجر وتوبيخ وتقريع بمعنى فهلا ولم لا اذا بلغت الحلقوم
اي بلغت الروح منكم ومن غيركم عند الاحتضار الحلقوم
اضمرت من غير ذكر لدلالة الكلام عليها دلالة ظاهرة
وفي الحديث ان ملك الموت له اعوان يقطعون العروق ويجمعون
الروح شيئا فشيئا حتى تنتهي الى الحلقوم فيتوفاها
ملك الموت والحلقوم مجرى الطعام في الحلق والحلق مساغ
الطعام والشراب معروف فكان الحلقوم ادنى الحلق الى جهة
اللسان وانتم اي والحال انكم ايها العاكفون حول المحتضر
المتوجهون له حينئذ اي بلغت الروح ذلك الموضع تنظرون
اي الى امري وسلطاني او الى الميت ولا حيلة لكم ولا
تفعل بغير النظر ولم يقل تبصرون لانه يظن ان لهم ادراكا
بالبصر لشي من البواطن من حقيقة الروح ونحوها
ونحن اي والحال انا نحن بما لنا من العظمة اقرب اليه منكم
اي المحتضر علما وقدرة منكم على شدة قربكم منه
قال عامر بن قيس ما نظرت الى شي الا رايت الله
اقرب الي منه ولكن لا تبصرون من البصيرة اي لا تعلمون
ذلك فلولا اي فهلا ان كنتم ايها المكذبون بالبعث غير
مدينين اي مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم
ومقهورين مملوكين مجزيين محاسبين بما عليهم في دار
البلاء التي اقامكم فيها احكم الحاكمين من دانه اذا اذله

واستعبده

واستعبده واصل تركيب الدين للذل والانقياد قاله البيضاوي
ترجعونها اي الروح الى ما كانت عليه ان كنتم كونا ثابتا
صادقين اي فيما زعمتم فلولا الثانية تاكيد للاولى واذا
ظرف لترجعونها المتعلق به الشرطين والمعنى انكم في
جحودكم افعال الله تعالى واياته في كل شي ان انزل عليكم
كتابا معجزا قلتم سحر وافترا وان ارسل اليكم رسولا صا دقا
قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم نوء كذا
على مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون
الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض
وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدي
المعيد ثم ذكر تعالى طبقات الخلق عند الموت وبين
درجاتهم فقال عز من قائل فاما ان كان اي المتوفى من
المقربين اي السابقين الذين اجتذبهم الحق من انفسهم
فقربهم منه فكانوا مرادين قبل ان يكونوا مريدين وليس
القرب قرب مكان لانه تعالى منزه عنه وانما هو بالتخلق
بالصفات الشريفة على قدر الطاقة البشرية ليصير الانسا ن
روحا خالصا كاملا ملكية لا سبيل للحظوظ والشهوات
عليه وقوله تعالى فروح مبتدا وخبره مقدر قبله اي فله
فرح وقال الضحاك مغفرة ورحمة وريحان اي رزق عظيم
ونبات حسن بهيج وازاهير طيبة الرايحة وقال
مقاتل هو بلسان حمير رزق يقال خرجت اطلب ريحان الله
اي رزقه وقيل هو الريحان الذي يشم قال ابو العالية لا
يفارق احد من المقربين الدنيا حتى يوتى بغصن من ريحان

وجنة فيشمه ثم يقبض روحه وقال ابو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول دار القرار وجنة اي بستان جامع للفواكه والرياحين نعيم اي ذات تنعم ليس فيها غيره واهله مقصورة عليهم تنبيه جنت هنا بمجرورة التاء وقف عليها بالهاء ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالامالة في الوقف على اصله والباقون بالتاء على الرسوم واما ان كان اي المتوفى من اصحاب اليمين اي الذين هم في الدرجة الثانية من اصحاب الميمنة فسلام اي صاحب اليمين لك اي اخوانك من اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما وقال القرطبي فسلام لك من اصحاب اليمين اي لست منهم الا ما تحب من السلامة فلا تهتم لهم فانهم يسلمون من عذاب الله تعالى وقيل المعنى سلام لك منهم اي انت سالم من الاغتمام لهم والمعنى واحد وقيل اصحاب اليمين يدعون لك بان يصلي الله عليك ويسلم وقيل معناه سلمت ايها العبد مما تكره فانك من اصحاب اليمين فحذف انك وقيل انه يحيى بالسلام تكرما وعلى هذا في محل السلام ثلاثة اقوال احدها عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الموت قال ربك يقرئك السلام الثاني عند مسائلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير الثالث عند بعثه في القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله اليها قال القرطبي ويحتمل ان يكون يسلم عليه في المواطن الثلاثة ويكون ذلك اكراما بعد اكرام وبما ذكر

تعالى

تعالى الصنفين الناجيين اتبعهما الهالكين جامعا لهم في صنف واحد لان من اريد له السعادة تكفيه ذلك ومن ختم له بالشقاوة والعياذ بالله تعالى لا ينفعه الا الغلاظ والاكثار فقال تعالى واما ان كان اي المتوفى من المكذبين اي الذين اخذناه من اصحاب المشأمة وانتم حوله تنقطع اكبادكم لاجله ولا تقدرون له على شيء اصلا الضالين اي عن الهدى وطريق الحق فنزل من حميم كما قال تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون الى ان قال تعالى ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم اي ماء متناه في الحرارة بعد ما نالوا من العطش كما يرد اصحاب الميمنة الحوض كما يبادر به المقام ليبرد عليه عطشه ويغسل به وجهه ويديه وتصلية جحيم والنزل من تصلية الجحيم والمعنى ادخال في النار وقيل اقامة في الجحيم ومقاساة لانواع عذابها فيقال اصلاه النار وصلاه اي جعله يصلاها والمصدر هنا مضاف الى المفعول كما يقال لعلان اعطاء ماله اياه يعطي المال ان هذا اي الذي ذكر في هذه من امر البعث الذي كذبوا به في قولهم ائنا لمبعوثون ومن قيام الادلة عليه لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين الذي لما عليه من الادلة القطعية المشاهدة كانه مشاهد مباشر وقيل انما جاز اضافة الحق الى اليقين وهما واحد لاختلاف لفظهما وذلك من باب اضافة المترادفين ولما حقق له تعالى هذا الخبر سبب عن امره لنبيه صلى الله عليه وسلم بالتنزيه عما وصفوه به مما يلزم منه وصفه

بالعجز فقال تعالى فسبح اي اوقع التنزيه كله عن كل
شائبة نقص بالاعتقاد والقول والفعل بالصلاة
وغيرها بان تصفه بكل ما وصف به نفسه من الاسماء الحسنى
وتنزهه عن كل ما نزه عنه نفسه باسم ربك اي المحسن بما
حفظك به مما يعطيه احد غيرك وان كان هذا الاسم
فكيف بما هو له العظيم اي الذي ملأت عظمته جميع الاقطار
والاكوان وزادت على ذلك بما لا يعلمه حق العلم سواه
لان من لم هذا الخلق على هذا الوجه المحكم وهذا
الكلام الاعز الاكرم لا ينبغي لشائبة نقص ان تلم بجنابه
او تدنو من فنائه وعن عقبة بن عامر قال لما نزلت
فسبح باسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها
في ركوعكم ولما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال النبي صلى
الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود وعن
ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك
باحب الكلام الى الله تعالى سبحان الله وبحمده وعن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان
على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث اخر
حديث في البخاري وعن جابر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست
له نخلة في الجنة وروى ابو طيبة عن عبد الله بن مسعود
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ
سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا رواه البيهقي

وغيره

وغيره وكان ابو طيبة لا يدعها ابدا اخرجه ابن الاثير
في كتابه جامع الاصول ولم يعزه

سورة الحديد مكية او مدنية

وهي تسع وعشرون اية وخمسمائة واربع واربعون كلمة
والفان واربعمائة وستة وسبعون حرفا بسم الله الذي
احاطت هيبته بجميع الموجودات الرحمن الذي وسعهم جوده
في جميع الحركات والسكنات الرحيم الذي اهل اوليائه
لما يرضيه من العبادات ولما ختمت الواقعة بالامر
بتنزيهه عما انكره الكفرة من البعث جاءت هذه لتقرير
ذلك التنزيه فقال تعالى سبح لله الملك المحيط بجميع
صفات الكمال ما في السموات والارض اي الاجرام العالية
والذي فيها اي نزهه كل شيء فاللام مزيدة وجيء بما دون
من تغليبا للاكثر وهو اي وحده العزيز الذي يغلب كل
شيء الحكيم اي الذي اتقن كل شيء صنعه وقرأ قالون
وابو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون بضمها له
اي وحده ملك السموات والارض وما فيهما وما بينهما
ظاهرا وباطنا فالملك الظاهر ما هو الان موجود في
الدنيا من الارض مدحية والسماء مبنية وكواكب مضيئة
والملائكة ورياح وسحاب مربية وغير ذلك مما يطلب علمه
تعالى والملك الباطن الغائب عنا واعظمه المضاف الى
الاخرة وهو الملكوت يحيي اي له صفة الاحياء فيحيي من
يشاء من الخلق بان يوجده على صفة الاحياء كيف شاء
في اطوار يقلبها كيف شاء ومما شاء ويميت اي له هاتان

الصفات على سبيل الاختبار والتعدد والاستمرار فهو
قادر على البعث لانه دليل يثبت له من صفة الاحياء وهو على
كل شيء اي من الاحياء والاماتة وغيرهما من كل ممكن قدير
اي بالغ القدرة هو اي وحده من شيء لان كلما نشاهده
مما نراه منه متغير الاول اي بالازلية الذي ينتهي اليه
وجود كل شيء في سلسلة الترقي وهو الآخر بعد فناء كل
شيء باق فلا اخر له لانه يستحيل عليه لحوق العدم لان كل ما
سواه متغير وكل ما تغير بنوع من التغير جاز اعدامه
وما جاز اعدامه فلا بد له من معدم لكونه بعده ولا
يمكن اعدامه والظاهر اي الغالب العالي على كل شيء والباطن
اي العالم بكل شيء هذا معنى قول ابن عباس وقالت
يمان هو الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والبا طن
العليم وقال السدي هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والآخر
بغفرانه بجوده اذ عرفك التوبة على ما جنيت والظاهر
بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيته
فستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر
بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم
الغيوب وسال عمر كعبا عن هذه الاية فقال معناه
ان علمه بالاول كعلمه بالاخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالبا طن
وهو بكل شيء عليم اي لكون الاشياء عنده على حد سوا
والبطون والظهور انما هو بالنسبة الى الخلق واما هو
سبحانه وتعالى فلا باطن من الخلق عنده بل هم في غاية
الظهور لديه لانه الذي اوجدهم فان قيل ما معنى

هذه

هذه الواوات اجيب بان الواو الاولى معناها الدلالة
على انه الجامع بين الصفتين الاولية والاخروية والثالثة
انه الجامع بين الظهور والخفا واما الوسطى فعلى انه الجامع
بين الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو
المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والحاضرة والا تية
وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة
والخفا فلا يدرك بالحواس قال الزمخشري وفي هذا حجة
على من جوز ادراكه في الاخرة بالحاسة وهذا على
رايه الفاسد وهو راي المعتزلة المنكرين رؤية الله تعالى
في الاخرة واما اهل السنة فانهم يثبتون الرؤية للاحاديث
الدالة على ذلك من غير تشبيه ولا تكييف تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا وعن سهيل قال كان ابو صالح يامرنا اذا
اراد احد ان ينام ان يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم
رب السموات والارض رب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء
فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والفرقان
اعوذ بك من كل شيء انت اخذ بناصيته اللهم انت الاول
فليس قبلك شيء وانت الاخر فليس بعدك شيء وانت
الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك
شيء اقض عنا الدين واغننا من فضلك وكان يروي ذلك
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هو اي وحده
الذي خلق السموات وجمعها لعلم الرائي بتعددها والارض
اي الجنس الشامل للكل وافردها لعدم توصلهم الى العلم
بتعددها وقال تعالى في ستة ايام اي من ايام الدنيا اولها

الاحد واخرها الجمعة تسنا للتاني في الامور ونظرا للايام
التي اولها سابعها الذي خلق فيه الانسان الذي دل يوم
خلقه باسمه الجمعة على انه المقصود بالذات وبانه السابع
نهاية المخلوقات وقوله تعالى ثم استوى على العرش اي السرير
كناية عن انفراده بالتدبير واحاطة قدرته وعلمه كما يقال
في ملوكنا جلس فلان على سرير الملك بمعنى انه انفرد
بالتدبير وذلك بكونه هناك سرير فضله عن خلوته والتي
بالداة التراخي تنبيها على عظمته يعلم ما يلج اي يدخل
دخوله يغيب فيه في الارض اي من النبات وغيره من اجزا
الاموات وغيرها وان كان ذلك في غاية البعد فان الا
ماكن كلها بالنسبة اليه تعالى على حد سوا في القرب والبعد
وما يخرج منها كذلك تنبيه في التعبير بالمضارع دلالة على
ما اودع في الخافقين من القوة فصار الجنة يتجدد منها
ذلك بخلقه تجددا مستمرا الى حين خرابها وما ينزل من السما
من الوحي والامطار والبحر والبرد وغيرها من الاعيان
والمنافع التي يوجدها سبحانه وتعالى من مقادير اعمار
بني ادم وارزاقهم وغيرها من جميع شوؤنهم وما يعرج
اي يصعد ويرتقي ويغيب فيها كالابخرة والانوار والكواكب
والاعمال وغيرها ولم يجمع السما لان المقصود حاصل بالواحدة
مع ابهام التعبير بها الجنس الشامل للكل وهو معكم بالعلم والقدرة
ايها الخلق اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال
فهو عالم بجميع صفات الكمال والله بما تعملون اي على سبيل التجدد
والاستمرار بصير اي عالم بجليلة وحقيرها فيجازيكم به وقدم

لكمال

لكمال مزيد الاهتمام والتنبيه على تحقيق الاحاطة له اي وحده
ملك السموات وجمع لاقتضا المقام له والارض وافرد لخفا
تعددها عليهم مع ارادة الجنس ودل على ارادة ملكه ولخاصته
بقوله تعالى والى الله اي الملك الذي لا كفو له وحده ترجع
بكل اعتبار على غاية السهولة الامور اي كلها حسا لا العبث
ومعنى بالابتداء والافنا ودل على ذلك بقوله تعالى يولج
اي يدخل ويغيب بالنقص والمحو الليل في النهار فاذا هو
قد قصر بعد طوله وقد امحى بعد شخصه وحلوله وزاد النهار
وملا الضيا الاقطار بعد ذلك الظلام ويولج النهار الذي
عم الكون ضياوه في الليل الذي كان قد غاب في علمه فاذا انه
الظلام قد طبق الافاق فزيدا لليل والطول الذي كان
في النهار قد صار نقصا الله اي وحده عليم اي بالغ العلم بذات
الصدور اي بما فيها من الاسرار والمعتقدات على كثرة
اختلافها وتغيرها وان خفيت على اصحابها ولما قامت
الادلة على تنزيهه سبحانه قال تعالى امرا بالاذعان له ولرسوله
صلى الله عليه وسلم امنوا اي ايها الخلق بالله اي الملك
الاعظم الذي لا مثل له ورسوله الذي عظمته من عظمته
ونزل في غزوة العسرة وهي غزوة تبوك وانفقوا اي في
سبيل الله مما جعلكم مستخلفين فيه اي من الاموال التي
في ايديكم فانها اموال الله تعالى لانه خالقها فليست هي
باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلا والنواب
فانفقوا منها في حقوق الله تعالى وليهن عليكم الانفاق
منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له

فيه او جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في ايديكم بتوريثه
اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم وسينتقل منكم الى من
بعدكم فلا تبخلوا به وانفقوا بلا نفاق ومنعهم عما يسهله سبب
عنه ما يرغب فيه فقال تعالى فالذين امنوا منكم وانفقوا اي
من اموالهم في الوجوه التي ندب اليها على وجه الاخلاص على
ما دل عليه التعبير بالانفاق لهم اجر كبير اي لا تبلغ عقولكم
حقيقة كبره فاغتنموا الانفاق في ايام امكانه فكم قبل عن لكم
وائل فيكم وخصهم بالذكر بقوله تعالى منكم لتصنيف في زمانهم
عثمان فانه جهز جيش العسرة وقوله تعالى وما اي واي شي
لكم من الاعذار عنها في انكم او حال كونكم لا تومنون بالله
اي تجددون الايمان تجديدا مستمرا بالملك الاعلى اي الذي
له الملك كله والامر كله خطاب للكفار اي لا مانع لكم بعد ما
سمعتم ما ذكر والرسول اي والحال ان الذي له الرسالة
العامة يدعوكم في الصباح والمسا لتومنوا اي لاجل ان تومنوا
بربكم اي الذي احسن تربيتكم بان جعلكم من امة هذا
النبي الكريم فشرفكم به وقد اي والحال انه قد اخذ ميثاقكم
اي وقع اخذه فصار في غاية الصباحة ترك الترتيب
حسب تنصيب اخذه فصار في غاية الصباحة الادلة
والتمكين من النظر بابداع العقول وذلك كله منضم الى
اخذ الذرية من ظهور ادم عليه السلام حين اشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى وقرا ابو عمرو بضم الهمزة
وكسر الخاء ورفع القاف على البنا للمفعول ليكون المعنى
من اي اخذ كان من غير نظر الى معين وقرا الباقون

بفتح

بفتح الهمزة والخاء ونصب القاف على البنا للفاعل والاخذ
هو الله القادر على كل شي العالم بكل والحاصل انهم نقضوا
الميثاق في الايمان فلم يوخذ وهم حتى ارسل الرسل
ان كنتم مومنين اي مريدين الايمان فبادروا اليه هو اي
لا غيره الذي ينزل اي على سبيل التدريج والموالاة بحسب
الحاجة وقرا ابن كثير وابو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي
والباقون بفتح النون وتشديد الزاي على عبده الذي
هو احق الناس بحضرته جمالا واكراما وهو محمد صلى الله
عليه وسلم ايات اي علامات هي من ظهورها حقيقة
ان يرجع اليها ويتعبد بها بينات اي واضحات وهي ايات
القران الكريم ليخرجكم اي الله بالقران او عبده بالدعوة
من الظلمات التي انتم منغمسون فيها من الحظوظ والنقائص
التي جبل عليها الانسان والغفلة الكاملة على تراكم الجهل
عمن اتاه الله تعالى العلم والايمان فقد اخرجه من هذه الظلمات
التي طرأت عليه الى النور اي الذي كان له وصفا لروحه
وفطرته الاولى السليمة وان الله اي الذي له صفات الكمال
بكم لرءوف رحيم اي حيث نبهكم بالرسل والايات ولم يقتصر على
ما نصب لكم من الحجج العقلية وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة
والكسائي بقصر الهمزة والباقون بالمد وورش على اصله
بالمد والتوسط والقصر وليس قصره كقصر ابي عمرو
ومن معه وانما قصره كمد قالون ومن وافقه وما لكم الا
تنفقوا في سبيل الله اي في كل ما يرضي الملك الاعظم الذي
له صفات الكمال ليكون لكم به صلة تخصكم بالرافة التي هي

اعظم الرحمة فانه ما يحل احد عن وجه خير الا سلط الله
عليه غرامة في وجه شر ولله اي الذي له صفات الكمال
لاسيما صفة الارث المقتضية للزهد في الموروث ميراث السموات
والارض اي يرث كل شيء فيهما فلا يبقى لاحد مال فمن تامل
انه زايل هو وكلما في يده والموت من ورايه الى غيره هان
عليه الجود بنفسه وماله ثم بين تعالى التفاوت بين المنفقين
منهم فقال تعالى لا يستوي منكم من انفق اي اوجد الانفاق
في ماله وجميع قواه وما يقدر عليه من قبل الفتح اي الذي
هو فتح جميع الدنيا في الحقيقة وهو فتح مكة الذي كان
سببا لظهور الدين الحق على الدين الباطل وقاتل سعيا
في انفاق نفسه لمن امر به قبل الاسلام وقوة اهله
ودخول الناس في دين الله افواجا وقلة الحاجة الى القتال
والنفقة فيه ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوحه
ودلالة ما بعده عليه وفضل الاول لما نالهم ان ذاك بالانفاق
من كثرة المشاق لضيق المال حينئذ وفي هذا دليل على
فضل ابي بكر فانه اول من انفق لم يسبقه في ذلك احد
وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا شديدا اشرف منه على
الهلاك روي محمد بن فضيل عن الكلبي ان هذه الاية
نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وعن ابن عمر
قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابو
بكر الصديق عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل
جبريل عليه السلام فقال ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد
خللها بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله

عز

عز وجل يقول اقرا عليه السلام وقل له اراض انت عني
في فقرك هذا ام ساخط فقال النبي صلى الله عليه وسلم
يا ابا بكر ان الله عز وجل يقرا عليك السلام ويقول لك اراض
انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر اسخط على
ربي اني عن ربي راض اني عن ربي راض اوليك اي المنفقون
المقاتلون وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار
الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم لو انفق احدكم
مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه لمبادرتهم الى الجود
بالنفس والمال اعظم درجة وتعظيم الدرجة يكون لعظم
صاحبها من الذين انفقوا من بعد اي من بعد الفتح وقاتلوا
اي من بعد الفتح وكلا اي وكل واحد من الفريقين وعد الله
اي الذي له الجلال والاكرام الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي
الجنة مع تفاوت الدرجات وقرا ابن عامر برفع اللام على
الابتداء اي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والباقون
بنصبها اي وعد كلا والله اي الذي له الاحاطة الكاملة بجميع
صفات الكمال بما تعملون اي تجدد دون عمله على الاوقات
خبير اي عالم بباطنه وظاهره علما لا مزيد عليه بوجه
فهو يجعل جزا الاعمال على قدر النيات التي هي ارواح
صورها تنبيه التقدم والتاخر قد يكون في احكام الدين
وقد يكون في احكام الدنيا فاما التقدم في احكام الدين فقالت
عايشة امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس
منازلهم واعظم المنازل مرتبة الصلاة وقد قال صلى الله
عليه وسلم ان تركه الناس في مرضه مروا ابا بكر فليصل بالناس

ه قال يوم القوم اقراوهم لكتاب الله وقال فليومهما اكبرهما
واما احكام الدنيا فهي مرتبة على احكام الدين فمن قدم في
الدين قدم في الدنيا وفي الحديث ليس منا من لم يوقر كبيرنا
ويرحم صغيرنا وفي الحديث ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض
الله له عند سنه من يكرمه ثم رغب في الانفاق بقوله تعالى
من واكد بالاشارة بقوله تعالى ذا لاجلها للنفوس من الشح
الذي يقرض الله اي يعطي الذي له جميع صفات الجلال والا
كرام شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا اعطى المستحق
ماله لوجه الله تعالى فكانه اقرضه اياه قرضا حسنا اي طيبا خالصا
مخلصا فيه متحريا به افضل الوجوه من غير من وكدر يقوي ويجز
فيضاعفه له اي يؤتي اجره من عشرة الى اكثر من سبعماية كما ذكر
في البقرة الى ما شاء الله تعالى من الاضعاف وقيل القرض
الحسن ان يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال
زيد بن اسلم هو النفقة على الاهل وقال الحسن التطوع
بالعبادات وقرا ابن كثير وابن عامر بغير الف بعد الضاد
وتشديد العين والباقون بالف بعد الضاد وتخفيف العين
وله اي المقرض زيادة على ذلك اجر لا يعلم قدره الا الله
تعالى وهو معنى وصفه بقوله تعالى كريم اي حسن طيب
زاك نام وقوله تعالى يوم ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او منصوب
لاضمار اذكر اي واذكر يوم ترى اي بالعين المومنين والمومنات
اي الذين صار الايمان لهم صفة راسخة يسعى نورهم اي
ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء
يوتون صحايف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقيا

يوتونها من شمايلهم وراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين لهم
والا يدلا نهم الذين حسناتهم سعدا وبجعل بهم السبيل فلحوا
فان اذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون يسعى
معهم ذلك النور جنبا لهم ومتقدما ما والاول نور الايمان
والمعرفة والاعمال المقبولة والثاني نور الانفاق لانه بالا
يمان قبله على الراي وقال مقاتل ذكر لنا ان نبي الله صلى
الله عليه وسلم قال من المومنين من يضي نوره من المدينة
الى عدن ودون ذلك حتى ان من المومنين من لا يضي نوره
الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يوتون نورهم
على قدر اعمالهم فمنهم من يوتى نوره كالنخلة ومنهم من
يوتى نوره كالرجل القايم وادناهم نورا نوره على ابهامه
فيطفى مرة ويتقد اخرى ويقول لهم الذين يتلقونهم من
الملايكة بشراكم اليوم اي بشارتكم العظيمة في جميع ما يستقبلكم
من الزمان تنبيه بشراكم مبتدا واليوم ظرف وقوله تعالى
جنات خبره على حذف مضاف اي دخول جنات وهو المبشر
به ثم وصفها بما لا تكمل اللذة الا به بقوله تجري من تحتها الانهار
ثم امنهم من خوف الانقطاع بقوله تعالى خالدين فيها اي
خلودا لا اخر له لان الله تعالى اورثهم ذلك فلا يورث عنهم
لان الجنة لا موت فيها ذلك اي هذا الامر العظيم المتقدم
من النور والبشرى بالجنات المخلدة هو الفوز العظيم اي الذي
ملا بعظمته جميع جهاتهم ولما شرح المنافقين بقوله تعالى يوم
يقول المنافقون والمنافقات وهم المظهرون الايمان المبطنون
الكفر تنبيه يوم بدل من يوم ترى او منصوب باذكر للذين

امنوا اي ظاهرا وباطنا انظرونا اي انتظرونا لانه يسرع بهم
الي الجنة كالبرق الخاطف علي ركاب تذهب بهم وهولا مشاة
او انظروا الينا اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور
بين ايديهم فيستضيوون به وقرا حمزة بقطع الهمزة في الوصل
وكسر الظا والباقون بوصل الهمزة ورفع الظا واما الوقف
علي امنوا والابتدا بانظرونا لحمزة فعلي حاله كما يقرا في الوصل
والباقون بضم الهمزة في الابتدا والظا علي حالها من الضم
نقتبس اي نستضي من نوركم اي هذا الذي نراه لكم ولو
للحقنا منه شي لكنا في الدنيا والظا علي حالها مع الضم
نرى ايمانكم بما نرى من ظواهركم ولم نتعلق من ذلك بشي
جزافا وذلك لان الله تعالي يعطي للمومنين نورا علي
قدر اعمالهم يمشون به علي الصراط ويعطي المنافقين ايضا
نورا خديعة لهم وهو قوله تعالي وهو خادعهم فبينما هم يمشون
اذ بعث الله تعالي ريحا وظلمة فاطفات نور المنافقين فذلك
قوله تعالي يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم
يسعي بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين والقبس
الشعلة من النار او السراج قال ابن عباس وابو امامة يغشي
الناس يوم القيامة ظلمة قال الماوردي اظنها بعد فصل
القضا ثم يعطون نورا يمشون فيه وقال الكلبي بل يستضي
المنافقون بنور المومنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم
المومنون وبقوا في الظلمة قالوا للمومنين انظرونا نقتبس
من نوركم قيل لهم ارجعوا بالسوال لهم قال ابن عباس يقول لهم

المو

المومنون اي قول رد توبيخ وتهكم وتنديم ارجعوا وراكم
اي ارجعوا الي الموقف حيث اعطينا النور فالتمسوا نورا اي
هناك فمن ثم يقتبس وارجعوا الي الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل
سببه وهو الايمان او ارجعوا خايبين وتنحوا عنا والتمسوا
نورا اخر فلا سبيل لكم الي الهدي هذا النور وقد علموا ان
لا نور وراهم وانما هو تخييب واقناط لهم وقال قتادة تقول
العرب لهم الملائكة ارجعوا وراكم من حيث جيتم وقراها م
والكسائي بضم القاف والباقون بكسرها ولما كان التقدير
فرجعوا او قاموا في الظلمة سببه عنه وعقب قوله تعالي فضرب
بينهم اي بين المومنين والمنافقين بسور اي حايط حايل
بين شق الجنة وشق النار له اي لذلك السور باب
موكل به حاجب لا يفتحون الا لمن اذن له الله تعالي من
المومنين بما يهديهم اليه منقودهم الذي بين ايديهم شغلهم عنه
او يكونوا باطنه اي ذلك السور او الباب وهو الشق الذي
يلي الجنة من جهة الذين امنوا جزا لهم بما هم الذي هو غيب
فيه الرحمة وهي ما لهم من الكرامة لانه يلي الجنة التي هي
سائرة تطلع من فيها باشجارها وبا سنادها كما كانت
بواطنهم ملاي رحمة وظاهره اي ما ظهر لاهل النار من قبله
اي من عنده ومن جهة العذاب وهو الظلمة والنار لانه
يليها لا تقصار اهلها علي الظواهر من غير ان يكون لهم نفوذ
الي باطن وروي عن عبد الله بن عمر ان السور الذي ذكر
الله تعالي في القران هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه
فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم وقال ابن

سرج كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في
بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى فضرب بينهم
بسور له باب الاية وقيل السور عبارة عن منع المنافقين
من طلب المومنين ينادونهم اي ينادي المنافقون الذين
امنوا ويرفعون لهم الم نكن معكم اي في الدنيا نصلي ونصوم
فنستحق المشاركة فيما صرتم اليه بسبب الذي كنا معكم فيه
قالوا اي الذين امنوا بلى اي كنتم معنا في الظاهر ولكنكم
فتنتم انفسكم اي اهلكتموها في النفاق والكفر واستعملتموها في
المعاصي والشهوات وكلها فتنة وتربصتم اي بالايمان والتوبة
وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه
وارتبتم اي شككتم في الدين وفي نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وفيما اوعدكم به وغرتكم الاماني اي ما تتمنون
من الارادات التي منها شهوة عظيمة من الاطماع الفارغة
التي لا سبب لها غير شهوة النفس اياها مما كنتم تتوقعون
لنا من دوائر السوء حتى جاء امر الله اي قضاء الملك المتصف
بجميع صفات الكمال فلا كفؤ له ولا خلف وقرا قالون وابو
عمرو باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وقرا ورش
وقنبل بتسهيل الثانية والهمز لهما ابدالها والباقون بتحقيقها
وامال الالف بعد الميم حمزة وابن ذكوان والباقون
بالفتح واذا وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة الثانية
مع المد والقصر والتوسط وغركم بالله اي الملك الذي له
جميع العظمة الغرور اي من لا صنع له الا الكذب وهو
الشيطان فانه يزين لكم بغروره التسويف ويقول ان الله

غفور

غفور رحيم وعفو كريم وماذا عسى ان يكون ذنبكم عنده
وهو عظيم محسن وحليم ونحو ذلك فلا يزال حتى يوقع
الانسان فاذا اوقعه واصل عليه مثل ذلك حتى يتمادى
فاذا تمادى صار الباعث له حينئذ من قبل نفسه فصار
طوع يده فاليوم اي بسبب [illegible] تلك لا يوخذ منكم فدية
اي نوع من انواع الفدا وهو البدل والرهن للنفس على
اي حال كان من قلة وكثرة لان الاله غني وقد فات
محل العمل الذي شرعه لكم لافتداء انفسكم وقرا ابن عامر
بالتاء الفوقية على التانيث والباقون بالتحتية على التذكير
ولا من الذين كفروا اي الذين اظهروا كفرهم ولم يستروه كما ستر نحوه
انتم لمساواتكم لهم في الكفر وانما عطف الكافر على المنافق
وان كان المنافق كافرا في الحقيقة لان المنافق ابطن الكفر
والكافر اظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق
ماواكم النار اي منزلكم ومسكنكم لا مقر لكم غيرها تحرقكم كما كنتم
تحرقون قلوب الاولياء باقبالكم على الشهوات واضاعة حقوق
الواجبات وقرا حمزة والكسائي بالامالة محضة وقرا ورش
بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وورش لا يبدل
هذه الهمزة ثم اكد ذلك بقوله تعالى هي اي لا غيرها مولاكم
اي هي اولى بكم وانشد قول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه
مولى المخافة خلفها وامامها والشاهد في مولى المخافة
مولى بمعنى اولى والفرجان الجانبان وهو الخلف والقدام
وهو وصف بقرة وحشية اي غدت على حالة كلا جانبيها
مخوف وحقيقته في الاية محراكم بحاء مهملة وراء اي مكانكم

الذي يقال فيه هو اولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم اي مكان
كقول القائل انه لكريم ويجوز ان يراد هي ناصركم عبر بها
والمراد نفي الناصر على اثبات وقيل تتولاكم كما توليتم في
الدنيا اعمال اهل النار ولما كان التقدير بئس المولى هي
عطف عليه قوله تعالى وبئس المصير اي هذه النار واختلف
في سبب نزول قوله تعالى الم يان اي يحن ويدرك وينتهي الى
الغاية للذين امنوا اي اقروا بالايمان ان تخشع اي تلين وتسكن
وتخضع وتذل وتطمئن قلوبهم لذكر الله اي الملك الاعظم
الذي لا خير الا منه فيصدق في ايمانه من كان كاذبا ويقوى
في الدين من كان ضعيفا فيعرض عن الفاني ويقبل على
الباقي ولا يطلب لدا دينه دوا ولا لمرض قلبه شفا في غير
القران فقال ابن عباس ان الله تعالى استبطا قلوب المومنين
فعاتبهم على راس ثلاثة عشر سنة من نزول القران
وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه
الاية الا اربع سنين وعن الحسن اما والله لقد استبطاهم
وهم يقرون من القران اقل مما تقراون فانظروا في طول
ما قراتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وقيل كانوا مجدبين
بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه
فنزلت وعن ابي بكر ان هذه الاية قريت بين يديه وعنده
قوم من اهل اليمامة فبكوا بكا شديدا فنظر اليهم وقال
هكذا كنا حتى قست القلوب وقال الشاعر شعر
الم يان لي يا قلب ان اترك الجهلا وان يحدث الشيب المنير لنا عقلا
وقوله تعالى وما نزل من الحق اي القران عطف على الذكر

عطف الوصفين على الاخر لان القران جامع للامرين الذكر
والموعظة او انه حق نازل من السماوات ويجوز ان يراد بالذكر
ان يذكر الله تعالى وقرا نافع وحفص بتخفيف الزاي والبا
قون بالتشديد وقوله تعالى ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب
من قبل اي قبل ما نزل اليكم وهم اليهود والنصارى
معطوف على تخشع والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب
فيما حكي عنهم بقوله تعالى فطال عليهم الامد اي الاجل
لطول اعمارهم وامالهم او اما بينهم وبين انبيائهم فقست
اي بسبب الطول قلوبهم اي صلبت واعوجت بحيث
لا تنفعل بالطاعات والخير فكانوا كل قليل في تعنت
جديد على انبيائهم عليهم السلام يسالونهم المقترحات واما
بعد انبيائهم فابعدوا في القساوة فمالوا في دار الكدر
واعرضوا عن دار الصفا فانجروا الى الهلاك باتباع الشهوات
فان الشهوة والصفوة لا يجتمعان وعن ابي موسى الاشعري
انه بعث الى قرا البصرة فدخل عليه ثلاثماية رجل قد قروا
القران فقال انتم خيار اهل البصرة وقراوهم فاقروه
ولا يتطاول عليكم الامد فتقسي قلوبكم كما قست قلوب من
كان قبلكم وكثير منهم اي خرجهم خارجون عن الدين اصلا ورا
سا منهم فاسقون اي عريقون في صفة الاجرام على الخروج
من دائرة الحق التي حدها لهم الكتاب حتى تركوا الايمان
بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقوله تعالى اعلموا
انما الحياة ان الله اي الملك الاعظم الذي له الجلال كله فلا يعجزه
شي يحيي اي على سبيل التجديد والاستمرار كما تشاهدونه

الارض اي بالنبات بعد موتها اي يبسها تمثيل لاحيا
الاموات بجمع اجسادهم واضافة الارواح عليها كما فعل
بالنبات و كما فعل بالاجسام اول مرة ولاحيا القلوب القاسية
بالذكر والتلاوة فاحذروا سطوته واخشوا غضبه وارجوا
رحمته لاحيا القلوب فانه قادر على احيايها بروح
الوحي كما احيى الارض بروح الما لتعبير باحيايها بالذكر
خاشعة بعد قوتها كما صارت الارض بالمادية بعد
خشوعها وموتها ولما انكشف الامر بهذه غاية الانكشا ف
انتج قوله تعالى قد بينا اي على ما لنا من العظمة لكم الايات
اي العلامات النيرات لعلكم تعقلون اي لتكونوا عند من يعلم
ذلك وسمعه من كان يرجى منه رجاء من حصول العقل لما
يتجدد لكم من فهمه على سبيل التواصل الدايم بالاستمرار
وقرا ان المصدقين اي العريقين في هذا الوصف من الرجال
والمصدقات اي من النسا ابن كثير وشعبة بتخفيف الصاد
فيهما من التصديق بالايمان والباقون بالتشديد فيهما
من التصدق فادغمت التا في الصاد اي الذين تصدقوا
وقوله تعالى واقرضوا الله اي الذي له الكمال كله عطف على
معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم
الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا
الله قرضا حسنا اي بغاية ما يكون من طيب النفس
والحل من النية والنفقة في سبيل الخير وحسنه كما قال
الرازي ان يصرف بصره عن النظر الى فعله والنفقة والا
متنانه به وطلب العوض عليه يضاعف اي ذلك القرض لهم

من عشرة الى سبعماية كما مر لان الذي كان له القرض كريم
وقرا ابن كثير وابن عامر بتشديد العين ولا الف
بينهما وبين الضاد والباقون بتخفيف العين وبينها وبين
الضاد الف ولهم اي مع المضاعفة اجر كريم اي ثواب
حسن وهو الجنة والنظر الى وجهه الكريم ثم بين سبحانه
وتعالى الحاصل على الصدقة ترغيبا فيه وهو الايمان فقال
تعالى والذين امنوا اي اوجدوا هذه الحقيقة العظيمة في
انفسهم بالله اي الملك الاعلى الذي له الجلال والاكرام ورسله
اي كلهم لاجل ما لهم من النسبة اليه فمن كذب واحدا منهم
لم يكن مومنا بالله تعالى اولئك اي هولاء العالون
الرتبة هم الصديقون اي الذين هم في غاية الصدق
والتصديق لما يحق لان يصدقه من سمعه وقال القشيري
الصديق من استوى ظاهره وباطنه ويقال هو الذي
يحمل الامر على الاشق ولا ينزل الى الرخص ولا جنح
للتاويلات وقال مجاهد كل من امن بالله تعالى ورسله
فهو صديق وتلا هذه الاية وقال الضحاك الاية خاصة
في ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا اهل الارض في
زمانهم في الاسلام ابو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة
والزبير وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه الله تعالى
بهم لما عرف من صدق نيته صلى الله عليه وسلم واختلف
في نظم قوله تعالى والشهدا عند ربهم اي المحسنين اليهم
بالتربية لمثل تلك التربية العالية فمنهم من قال هي
متصلة بما قبلها والواو للنسق واراد بالشهدا المومنين

المخلصين وقال الضحاك هم التسعة الذين سميناهم رضي
الله عنهم وقال مجاهد كل مؤمن صديق وشهيد وتلا
هذه الآية وقال قوم تم الكلام عند قوله تعالى هم الصديقون
ثم ابتدأ بقوله تعالى والشهداء فهو مبتدأ وخبره لهم اجرهم
اي جعله ربهم لهم ونورهم اي الذي زادهموه من فضله
برحمته قالوا الواو للاستئناف وهو قول ابن عباس
ومسروق وجماعة ثم اختلفوا فيهم فمنهم من قال هم
الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين يشهدون على الامم
يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مقاتل وابن حيان
وقال مقاتل بن سليمان هم الذين استشهدوا في سبيل الله
عز وجل ولما ذكر تعالى اهل السعادة جعلنا الله تعالى ووالـ
لدينا ومحبينا منهم جامعا لاصنافهم اتبعهم اهل الشقاوة
كذلك بقوله تعالى والذين كفروا اي ستروا ما دلت عليه
الادلة وكذبوا بآياتنا اي على ما لها من العظمة بنسبتها
الينا اولئك اي هؤلاء البعداء من كل خير اصحاب الجحيم اي النار
التي هي غاية في توقدها وفي ذلك دليل على ان الخلود
في النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر
بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة ولما بين
تعالى حال الفريقين في الآخرة امر الدنيا بقوله تعالى
اعلموا اي ايها العباد المبتلون بحب الدنيا انما الحياة الدنيا
اي الحاضرة التي رغب في الزهد فيها والخروج عنها
بالصدقة والقرض الحسن وما مزيدة للتاكيد اي الحياة
في هذه الدار لعب اي لعب لا ثمرة له فهو باطل كلعب الصبيان

ولهو

ولهو اي شيء يفرح به الانسان فيلهيه اي يشغله عما يعنيه
ثم ينقضي كلهو الفتيان ثم اتبع ذلك اعظم ما يلهو في
الدنيا بقوله تعالى وزينة اي شيء يبهج العين ويسر
النفس كزينة النسوان واتبعها بثمرات بقوله تعالى وتفاخر
بينكم اي كتفاخر الاقران يفتخر بعضهم على بعض بجر
ذلك الى الحسد والبغضاء واتبع ذلك ما يحصل به الفخر
بقوله تعالى وتكاثر اي من الجانبين التكاثر الرهانات
في الاموال التي لا يفتخر بها الا احمق لكونها مائلة والا
ولاد اي التي لا يفتخر بها الا سفيه لانها زائلة وانها
مائلة وانما هي فتنة وابتلاء يظهر بها الشاكر من غيره
ثم ذلك كله قد يكون ذهابه عن قريب فيكون على
اضداد ما كان عليه فيكون ذهابه عن قريب اشد
في الحسرة ثم في اخر ذلك يموت فاذا هو قد فصل امره
ونسي عما قليل ذكره وصار ماله لغيره وزينته متمتعا
بها سواه فالدنيا حقيرة واحقر منها طالبها لانها جيفة
وطالب الجيفة ليس له خطر واخسهم من بخل بها وقال
علي لعمار لا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة اشياء
مأكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح
فاحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة واكثر شرابها
الماء ويستوي فيه جميع الحيوان وافضل ملبوسها الديباج
وهو نسج دودة وافضل مشمومها المسك وهو دم فارة
وافضل المركوب الفرس وعليها تقتل الرجال واما المنكوح
فهو النساء وهو مبال والله ان المراة لتزين احسنها يراد

به اقبحها اه ويناسب بعض ذلك قول الشاعر

تخيرنا بسها نسجات دود ** وخير شرابها قيء الذبابه

واشهى ما ينال المرء فيها ** مبال في مبال مستطاب

قال القشيري وهذه الدنيا المذمومة هي ما يشغل العبد
عن الاخرة فكل ما يشغله عن الاخرة فهو الدنيا انتهى
واما الطاعات وما يعين عليها من امور الاخرة ثم ضرب
للدنيا مثلا بقوله تعالى كمثل اي هذا الذي ذكرته من امرها
يشبه مثل غيث اي مطر حصل بعد جهد وسوء حال اعجب
الكفار اي الزراع الذين حصل منهم الحرث والبذر الذي
يستره الحارث كالكافر حقيقة انوار الايمان بما يحصل
منه من الجحد والطغيان نباته اي نبات ذلك الغيث كما يعجب
الكافر في الغالب بسط الدنيا له استدراجا من الله تعالى
ثم يهيج اي ييبس فيتم جفافه فيعين حصاده فتراه اي
عقب ذلك وبالقرب منه مصفرا اي على حالة لا يعهدونها
ثم اي بعد تناهي الجفاف يكون اي كونا كانه مطبوع عليه
حطاما اي فتاتا يضمحل بالرياح ولما ذكر تعالى الظل
الزائل ذكر اثره الثابت الدائم مقسما له الى قسمين فقال
تعالى وفي الاخرة عذاب شديد اي على من اثر الدنيا
واخذها بغير حقها معرضا عن ذكر الله تعالى وعن
الاخرة هذا احد القسمين واما القسم الاخر فهو ما ذكره
بقوله تعالى ومغفرة اي لمن تاب واقبل على الاخرة ورفض
الدنيا ولم تشغله عن ذكر الله تعالى مغفرة ومغفرة اي الملك
الاعظم من الله اي في جنة عالية تفضلا منه تعالى ورحمة

وقوله

وقوله جل وعلا وما الحياة الدنيا اي لكونها تشغل بزينتها
مع ايثار البلية الا متاع الغرور اي هو في نفسه غرور لا
حقيقة له لان ذلك لانه لا يبقى بعد رما يفنى تاكيد لما سبق
قال سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور اذا الهتك عن طلب
الاخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله وطلب
الاخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة ثم ارشدهم الله تعالى
الى المسابقة الى الخيرات لان الدنيا خيال ومحال والاخرة
بقا وكمال بقوله تعالى سابقوا اي سارعوا مسارعة المسابقين
في المضمار الى مغفرة اي ستر لذنوبكم عينا واثرا من ربكم
اي المحسن اليكم بانواع الخيرات التي توجب المغفرة لكم
من وقال الكلبي سارعوا بالتوبة لانها تودي الى المغفرة
وقال مكحول هي التكبيرة الاولى مع الامام وقيل الصف
الاول وجنة اي وبستان هو من اعظم اشجارها واطراد
انها يحجب ستر داخله عرضها كعرض السماء والارض اي
السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح والزقت
بعض ببعضها لكان عرض الجنة في قدرها جميعا وقال
ابن عباس يريد ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه
السعة وقال مقاتل ان السموات السبع والارضين السبع
لو جعلت صفائح والزقت بعضها الى بعض لكانت
عرض جنة واحدة من الجنات وسال عمر ناس من اليهود
اذا كانت الجنة عرضها ذلك فاين النار فقال لهم ارايتم
اذا جا الليل اين يكون النهار واذا جا النهار اين يكون
الليل فقالوا انه لمثلها في التوراة ومعناه انه حيث يشاء

الله وهذا عرضها ولا شك ان الطول يكون ازيد من
العرض فذكر العرض تنبيها على ان طولها اضعاف ذلك
وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم
وافكارهم واكثر ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والارض
فشبه عرض الجنة بما يعرف الناس اعدت اي هيئت هذه
الجنة الموعود بها وفرغ من امرها الا بيسر امر للذين امنوا
اي اوقعوا هذه الحقيقة بالله اي الذي له جميع العظمة
لاجل ان الله خلصهم لا الاعمال ورسله فلم يفرقوا بين
احد منهم وفي هذا اعظم رجا واقوى امل لانه ذكر
ان الجنة اعدت لمن امن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان
شيا اخر يدل عليه قوله تعالى في سياق الاية ذلك اي
الفضل العظيم جدا فضل الله اي الملك الذي لا كفو له
فلا اعتراض عليه يوتيه من يشاء اي فبين انه لا يدخل احد
الجنة الا بفضل الله تعالى لا بعمله لما روي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة احدا
منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان
يتغمدني الله بفضل رحمته ولا ينافي ذلك قوله تعالى
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون لان البا في الحديث عوضية
وفي الاية سببية فان قيل يلزم على هذا ان يقطع
بحصول الجنة لجميع العصاة وان يقطع بانه لا عذاب
عليهم اجيب بانا نقطع بحصول الجنة ولا نقطع بنفي العذاب
عنهم لانهم اذا عذبوا مدة ثم نقلوا الى الجنة يبقوا فيها
ابدا الا بادا فكانت معدة لهم والله اي وبكمال الملك

المختص

المختص جميع صفات الكمال فلهذا الامر كله ذو الفضل العظيم
اي الذي جل ان يحيط بوصفه العقول ما اصاب من مصيبة
في الارض اي من قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمرات
وغلا الاسعار وتتابع الحوايج وغير ذلك ولا في انفسكم اي
من الامراض والفقر وذهاب الاولاد وضيق العيش وغير
ذلك الا في كتاب اي مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله
تعالى من قبل ان نبراها اي نخلق ونوجد ونقدر المصيبة
في الارض والانفس وهذا دليل على ان اكتساب العباد
بخلقه سبحانه وتقديره ان ذلك اي الامر الجليل وهو
علمه بالشي وكتبه له على تفاصيله قبل ان يخلقه الله
تعالى على الله اي لما له من الاحاطة بصفات الكمال يسير
لان علمه محيط بكل شي فقدرته شاملة لا يعجزها شي
ثم بين ثمرة اعلامه بذلك بقوله تعالى لكيلا اي اعلمناكم
بانا على ما لنا من العظمة قد فرغنا من التقدير فلا
يتصور فيه تقديم ولا تاخير ولا تبديل ولا تغيير لان
الحزن يدفعه ولا السرور يجلبه ويجمعه كما قال صلى الله
عليه وسلم يا معاذ ليقل همك ما قدر يكن لاجل ان تاسوا
اي تحزنوا حزنا كبيرا زايدا على ما في اصل الجبلة فربما
جر ذلك الى السخط وعدم الرضا بالقضا على ما فاتكم
اي من المحبوبات الدنيوية ولا تفرحوا اي تسروا سرورا
يوصل الى البطر بالتمادي على ما في اصل الجبلة وقوله
تعالى بما اتاكم قراه ابو عمرو بقصر الهمزة اي جاكم منه
والباقون بالمد اي اعطاكم قال جعفر الصادق مالك

تأسى على مفقود ولا يرده عليك الفوت وما لك تفرح
بموجود ولا يتركه في يدك الموت انتهى ولقد عزى الله
تعالى المؤمنين رحمة بهم في مصائبهم وزهدهم في
رغائبهم بأن لا يأسفوا على فوت المطلوب لا يعيده وفرحهم
بحصول المحبوب لا يفيده وبأن ذلك لا مطمع في بقائه
الا ادخاره عند الله تعالى وذلك بأن يقول المصيبة قدر
الله تعالى وما شاء فعل ويصبر وفي النعمة هكذا اقتضى وما
ادري ما لله هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر
فلا يزال خائفا عن النعمة قائلا في الحالين ما شاء الله تعالى
كان ومن لم يتأمل تكن والحاصل من هذا ان تكون مسرورا بذكر
ربه في كلتا الحالتين وقيمة الرجال انما تعرف بالواردات
المغيرة فمن لم يتغير بالمضار ولم يتأثر بالمسار فهو سيد
وقته كما اشار اليه القشيري وقال ابن عباس ليس من احد
الا وهو يحزن ويفرح ولكن المؤمن يجعل مصيبته صبرا
وغنيمته شكرا والحزن والفرح المنهي عنهما هما اللذان
يتعدى ان تبعهما الى ما لا يجوز والله اي الذي له صفات
الكمال لا يحب اي لا يفعل فعل المحب بأن يكرم كل مختال
اي متكبر نظر الى ما في يده من الدنيا فخور اي به على
الناس قال القشيري الاختيال من بقايا النفس ورؤيتها
والفخر من رؤية خطر ما به يتفخر وقوله تعالى الذين
يبخلون بدل من كل مختال فخور فان المختال بالمال يضن
به غالبا ويأمرون الناس اي كل من يعرفونه بالبخل ارادة
ان يكونوا لهم رفقا يعملون بأعمالهم الخبيثة ومبتدأ خبره

محذوف

محذوف مدلول عليه بقوله تعالى ومن يتول اي يكلف نفسه
الاعراض عند ما في فطرته من محبة الخير والاقبال على
الله تعالى فان الله اي الذي له جميع صفات الكمال هو
اي وحده الغني الحميد لان معناه ومن يعرض عن
الانفاق فان الله غني اي عن ماله وعن انفاقه وكل شيء
اليه مفتقر وهو المستحق للحمد سواء حمده الحامدون ام لا
ولقد ارسلنا اي بما لنا من العظمة رسلنا اي الذين لهم
نهاية الجلال بما لهم بنا من الاتصال من الملائكة الى ال
الانبياء على جميعهم افضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام
ومن الانبياء الى الامم بالبينات اي الحجج القواطع وانزلنا
اي بعظمتنا التي لا شيء اعلى منها معهم الكتاب اي الكتب المتضمنة
للاحكام وشرائع الدين والميزان اي العدل وقيل الآلة روي
ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه
السلام وقال مر قومك يزنوا به ليقوم الناس بالقسط
اي ليتعاملوا بينهم بالعدل وانزلنا اي خلقنا خلقا عظيما
بما لنا من القوة الحديد اي المعروف على وجه من القوة
والصلابة واللين فلذلك اجاده انزالا وعن ابن عباس
قال نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من
حديد ورد من آلة الحدادين السندان والكلبتان
والميقعة والمطرقة والابرة وحكاه القشيري قال والميقعة
المطرقة والابرة ها حديده تقال وقعت الحديدة اقعها
اي حددتها وفي الصحاح الميقعة الموضع الذي يألفه
البازي فيقع عليه وخشبة القصار التي يدق عليها والمطرقة

والمسن الطويل وروي ومعه المبرد والمسحاة وعن عمران
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى انزل اربع
بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والملح
وروي عكرمة عن ابن عباس قال انزل ثلاثة اشياء مع ادم
عليه السلام وكانت من اس طولها عشرة اذرع مع ما به
طول موسى وعن الحسن وانزل الحديد خلقنا كقوله
تعالى وانزلنا لكم من الانعام وذلك ان اوامره تنزل
من السما وقضاياه واحكامه فيه باس اي قوة وشدة
شديد اي قوة شديدة فمنه جنة وهي آلة الدفع ومنه
سلاح وهو آلة الضرب ومنافع للناس بما يعمل منه من مرافقهم
لتقوم احوالهم بذلك ايضا وكل ما من صنعة الا والحديد
آلتها وقال مجاهد يعني جنة وقيل انتفاع الناس
بالماعون الحديد كالسكين والفاس ونحو ذلك وروي
ان الحديد انزل في يوم الثلاثاء فيه باس شديد اي
مهراق الدما ولذلك نهي عن الفصد والحجامة في يوم
الثلاثاء لانه يوم جرى فيه الدم وروي انه صلى
الله عليه وسلم قال ان في يوم الثلاثاء ساعة لا يرقا فيها
الدم وقوله تعالى وليعلم الله اي الذي له جميع العظمة
علم شهادة لاجل اقامة الحجة بما يليق بعقول الخلق
فيكون الجزاء على العمل لا على العلم عطفا على قوله تعالى
ليقوم الناس اي لقد ارسلنا رسلنا وفعلنا كيت وكيت
وليعلم الله من ينصره اي ينصر دينه بآلات الحرب من الحديد
وغيره وقوله تعالى ورسله حال من ها ينصره اي غايبا

عنهم

عنهم في الدنيا قال ابن عباس ينصرونه ويبصرونه
ان الله اي الذي له العظمة كلها قوي اي فهو قادر على اهلاك
جميع اعدايه وتاييد من ينصره من اوليايه عزيز فهو
غير مفتقر الى نصرة احد وانما دعا عباده الى نصرة دينه
ليتم الحجة عليهم فيرحم من اراد بامتثال الاوامر ويعذب
من يشاء بارتكاب المنهي لبناء هذه الدار على حكمة ربط
المسببات بالاسباب ولما اجمل الرسل بالكتب قال تعالى ولقد
ارسلنا اي بما لنا من العظمة نوحا وهو الاب الثاني وجعلنا
الاغلب على رسالته تجلي مظهر الجلال وابراهيم وهو ابو العرب
والروم وبنو اسرائيل الذي اكثر الانبياء من نسله وجعلنا
الاغلب عليه رسالته تجلي الاكرام وجعلنا اي بما لنا من
العظمة في ذريتهما النبوة فلا يوجد نبي الا من نسلهما
والكتاب اي الكتب الاربع وهي التوراة والانجيل والزبور
والقران وعن ابن عباس الكتاب الخط بالقلم يقال كتب
كتابا وكتابة والضمير في قوله تعالى فمنهم مهتد يعود على
الذرية لتقدم ذكرها لفظا وقيل يعود على المرسل اليهم
لدلالة ارسلنا اي هو بعين الرضا منا وهو من لزم طريقه
الاصفيا وان كان من اولاد الاعدا وكثير منهم اي المذكورين
فاسقون اي هم بعين السخط وان كانوا من اولاد الاصفيا
والمراد بالفاسق هاهنا الكافر لانه جعل الفساق ضد المهتدين
وقيل هو الذي ارتكب الكبيرة سواء كان كافرا ام لم يكن لاطلاق هذا الاسم وهو يشمل الكافر وغيره ثم قفينا اي اتبعنا
بما لنا من العظمة على اثارهم اي الابوين المذكورين ومن

ثم

مضى قبلهما من الرسل او عاصرهما منهم برسلنا اي فارسلنا
واحد في اثر واحد كموسى والياس وداود وغيرهم ولا
يعود الضمير على الذرية لانا فية مع الرسل وبعدهم وايضا
الرسل المقفى بهم من الذرية وقفينا اي اتبعنا بما لنا من
العظمة على آثارهم وقيل ان لتدارس بعيسى بن مريم
وهو من ذرية ابراهيم من جهة امه وهو اخر من قبل
النبي الخاتم عليهما السلام فامته اولى الامم باتباعه صلى
الله عليه وسلم وآتيناه اي بما لنا من العظمة الانجيل كتابا
ضابطا لما جاء به معينا لملته مبشرا بالنبي العربي موضحا
لامره مكثرا من ذكره وجعلنا اي بما لنا من العظمة في قلوب
الذين اتبعوه اي على دينه بغاية جهدهم فكانوا على
منهاجه رافة اي اشد رقة على من كان تسبب الى الاتصال
بهم ورحمة اي رقة وعطفا على من لم يكن له سبب في الاتصال
بهم ان له على الموصوفين مع ان قلوبهم في غاية الصلاح
فهم اعزة على الكافرين متوادين بعضهم لبعض وقوله
تعالى ورهبانية منصوب بفعل مقدر يفسره الظاهر وقوله
تعالى ابتدعوها قال ابو علي ابتدعوا رهبانية ابتدعوها
فتكون المسألة من باب الاشتغال والى هذا نحا الفارسي
والزمخشري وابو البقاء وجماعة الا ان هذا يقال انه اعراب
المعتزلة وذلك انهم يقولون ما كان من فعل الانسان
فهو مخلوق له فالرحمة والرافة لما كانتا من فعل الله تعالى
بل من فعل العبد يستقل بفعله نسب ابتداعها اليه وقيل
ان رهبانية معطوفة على رافة ورحمة وجعل ما بمعنى

خلق او بمعنى صيروا ابتدعوا على هذا صفة لرهبانية
وانما خصت بذكر الابتداع لان الرافة والرحمة في القلب
امر غريزي لا تكليف للانسان فيها بخلاف الرهبانية
فانها افعال البدن وللانسان فيها تكسب لكن ابو البقاء
منع هذا بان ما جعله الله تعالى لا يبتدعونه وجوابه ما تقدم
من انه لما كانت مكتسبة صح ذلك فيها والمراد من الرهبانية
ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين
كلفا زائدة على العبادات التي كانت واجبة عليهم من
الخلوة واللباس الخشن والاعتزال عن النساء والتعبد
في الكهوف والغيران روي ان ابن عباس قال في ايام
الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم غير الملوك
التوراة والانجيل فساح نفر وبقي نفر قليل فترهبوا
وتبتلوا قال الضحاك ان ملوكا بعد عيسى عليه السلام
ارتكبوا المحارم ثلثمائة سنة فانكرها عليهم من كان بقي
على منهاج عيسى فقتلوهم فقال قوم بقوا بعدهم نحن
ان نهيناهم قتلونا فليس يسعنا المقام بينهم فاعتزلوا
الناس واتخذوا الصوامع وفي خبر مرفوع هي لحوقهم
بالبراري والجبال وقوله تعالى ما كتبناها صفة لرهبانية
ويجوز ان يكون استئنافا اخبارا بذلك قال ابن زيد
معناه ما فرضناها عليهم ولا امرناهم بها في كتابهم
وعلى لسان رسولهم وقوله تعالى الا ابتغاء رضوان الله
اي الملك الاعظم استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها
ابتغاء رضوان الله وقيل متصل مما هو مفعول من اجله

والمعنى ما كتبناها عليهم شيئا من الاشيا الا لابتغاء مرضات
الله ويكون كتب بمعنى قضى فصار المعنى كتبناها عليهم
ابتغا مرضات الله فما رعوها حق رعايتها اي ما قاموا بها حق
القيام بل ضموا اليها التثليث وكفروا بدين عيسى كثير ودخلوا
في دين ملكهم وبقي على دين عيسى كثير منهم وامنوا بنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم فاتينا اي بما لنا من صفات الجلال
الذين امنوا اي بالنبي صلى الله عليه وسلم منهم اجرهم اللائق
بهم وهو الرضوان المضاعف وكثير منهم اي من هولا الذين
ابتدعوا فضيعوا فاسقون اي عريقون في وصف الخروج
عن الحدود التي حدها الله تعالى وهم الذين تركوا الرهبا نية
وكفروا بدين عيسى عليه السلام روى البغوي بسنده عن
ابن مسعود واختلف من كان قبلكم على اثنين وسبعين
فرقة نجا منهم ثلاث وهلك سايرهم فرقة غزت الملوك
وقاتلوهم على دين عيسى وفرقة لم تكن لهم طاقة بمقاتلة
الملوك ولا ان يقيموا بين اظهرهم فدعوهم الى دين الله
ودين عيسى عليه السلام فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين
قال الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم
ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم من امن بي وصدقني
واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يومن بي فاوليك
هم الهالكون وعن ابن مسعود ايضا قال كنت رديف رسول
الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال يا ابن ام عبد
هل تدري من اين اتخذت بنوا اسرائيل الرهبانية فقلت
الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى

يعملون

يعملون بالمعاصي فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزموا
اهل الايمان ثلاث مرار فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان
ظهرنا لهولا فتنونا ولم يبق للدين احد يدعوا اليه فتعالوا
نتفرق في الارض الى ان يبعث الله تعالى النبي الذي
وعدنا عيسى عليه السلام يعنون محمدا صلى الله عليه
وسلم فتفرقوا في غيران الجبال واحدثوا رهبانية فمنهم
من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الاية ورهبا نية
ابتدعوها الى قوله تعالى فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم
يعني من ثبت عليها اجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه
وسلم يا ابن ام عبد اتدري ما رهبانية امتي قلت الله
ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج
والعمرة وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان لكل امة رهبانية وهذه الامة الجهاد في سبيل الله تعالى
وعن ابن عباس قال كانت ملوك بني اسرائيل بعد
عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل ويدعوهم
الى دين الله تعالى فقيل لملوكهم لو جمعتم هولا الذين شقوا
عليكم فقتلوهم وادخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض
عليهم القتل او يتركوا قراة التوراة والانجيل الا ما
بدلوا منها فقالوا نحن نكفيكم انفسنا فقالت طايفة
ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم اعطونا شيا نرفع
به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طايفة دعونا
نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان
قدرتم علينا بارض فاقتلونا وقالت طايفة ابنوا لنا دورا

في تخشى الابار وتخرب المنابر فلا نرد عليكم ولا نراكم
فعلوا بهم ذلك فمضى اولئك على منهاج عيسى عليه
السلام وخلف قوم من بعدهم ممن غير الكتاب فجعل
الرجل يقول نكون في مكان فلان فنتعبد كما تعبد
ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم
على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قوله
عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ابتدعها
هؤلاء الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الاخرين
الذين جاؤا من بعدهم فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم يعني
الذين ابتغوها ابتغاء رضوان الله تعالى وكثير منهم فا
سقون هم الذين جاؤا من بعدهم قال فلما بعث النبي صلى
الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا قليل انحط رجل من صومعته
وجاء سايح من سياحته وصاحب دير من ديره فامنوا
وصدقوا قال الله تعالى **يا ايها الذين امنوا** اي بموسى وعيسى
عليهما السلام ايمانا صحيحا **اتقوا الله** اي خافوا عقاب
الملك الاعظم **وامنوا برسوله** محمد صلى الله عليه وسلم ايمانا
مضموما الى ايمانكم بمن تقدمه هذا ان كان خطابا لمؤمني
اهل الكتاب واما اذا كان خطابا الى ايمانكم بالله تعالى
فانه لا يصح الايمان الا مع الايمان برسوله صلى الله
عليه وسلم **يؤتكم** اي يعطكم على اتباعه **كفلين** اي نصيبين
ملحوظين **من رحمته** يحصنانكم من العذاب كما يحصن الكفل
الراكب من الوقوع وهو كساء يعقد على ظهر البعير يلقى
مقدمه على الكاهل ومؤخره على العجز وهذا التحصين

لاجل

لاجل ايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن تقدمه
مع خفة العمل ورفع الاصار ولا يبعد ان يثابوا على دينهم
السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب
للنصارى الذين كانوا في عصره صلى الله عليه وسلم وقال
ابو موسى الاشعري كفلين ضعفين بلسان الحبشة وقال
ابن زيد كفلين اجر الدنيا والاخرة وعن ابي موسى الاشعري
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة يؤتون اجرهم
مرتين رجل كانت له جارية فادبها فاحسن تاديبها ثم
اعتقها وتزوجها ورجل من اهل الكتاب امن بكتابه وامن
بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد احسن عبادة الله ونصح سيده
ويجعل لكم اي مع ذلك **نورا** اي مجازيا في الدنيا من العلوم
والمعارف القلبية وحسيا في الاخرة بسبب العمل **تمشون به**
اي مجازا في الدنيا بالتوفيق للعمل وحقيقة في الاخرة بسبب
العمل وقال مجاهد النور هو البيان والهدى وقال ابن عباس
هو القران **ويغفر لكم** اي ما فرط منكم من سهو وعمد وهزل
وجد **والله** اي المحيط بجميع صفات الكمال **غفور** اي بليغ المحو
للذنوب عينا واثرا **رحيم** اي بليغ الاكرام لمن يغفر له ويوفقه
للعمل بما يرضيه ولما بلغ من لم يؤمن اهل الكتاب قوله تعالى
اولئك يؤتون اجرهم مرتين قالوا للمسلمين اما من امن منا
بكتابكم فله اجره مرتين لايمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم
يؤمن منا فله اجر كاجوركم فما فضلكم علينا فانزل الله تعالى
لئلا يعلم اي ليعلم ولا زائدة للتاكيد **اهل الكتاب** اي الذين
لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم **ان** مخففة من الثقيلة اسمها

ضمير الشأن والمعنى انهم لا يقدرون على شيء في زمن من
الازمان من فضل الله اي الملك الا على ظاهر اجرهم ولا نصيب
في فضله ان لم يؤمنوا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقال
قتادة حسد الذين لم يؤمنوا من اهل الكتاب المؤمنين منهم
فنزلت هذه الاية وقال مجاهد قالت اليهود يوشك
ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب
كفروا به فنزلت الاية وروي ان مؤمني اهل الكتاب
افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين
وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقيل المراد من فضل الله
الاسلام وقيل الثواب وقال الكلبي من رزق الله وقيل
نعم الله تعالى التي لا تحصى وان اي وليعلموا ان الفضل
اي الذي لا يحتاج اليه من عنده بيد الله اي الذي له الامر
كله يؤتيه من يشاء لانه قادر مختار فاتى المؤمنين اجرهم
مرتين والله اي الذي احاط بجميع صفات الكمال ذو الفضل
العظيم اي مالكه ملكا لا ينفك ولا ملك لاحد فيه معه ولا
تصرف بوجه اصلا فلذلك يخص من يشاء بما يشاء روى
البخاري عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو قائم على المنبر يقول انما بقاؤكم فيمن سلف
قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس اعطي
اهل التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا
قيراطا قيراطا ثم اعطيتم القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس
فاعطيتم قيراطين قال اهل التوراة ربنا هؤلاء اقل عملا
واكثر اجرا قال هل ظلمتكم من اجركم قالوا لا فقال فذلك

فضلي

فضلي اوتيه من اشاء وفي رواية فغضبت اليهود و
والنصارى وقالوا ربنا الحديث وفي رواية انما اجلكم في
اجل من كان قبلكم خلا من الامم كما بين صلاة الى مغرب
الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل
عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط
فعملت النصارى من نصف النهار الى العصر على قيراط
قيراط ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى مغرب الشمس
على قيراطين قيراطين الا فانتم الذين تعملون من صلاة
العصر الى مغرب الشمس الا لكم الاجر مرتين فغضبت
اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل عطاء قال الله
تعالى هل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فانه فضلي
اوتيه من شئت وعن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل
رجل استاجر قوما يعملون له عملا يوما الى الليل على اجر
معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك
الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اكملوا
بقية عملكم وخذوا اجركم كاملا فابوا وتركوا واستاجر
اجيرين من بعدهم فقال اكملوا بقية يومكم هذا ولكم الذي
شرطت لكم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة
العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه
فقال اكملوا بقية عملكم فانما بقي من النهار شيء يسير فابوا
فاستاجر اجرين على ان يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم
حتى غابت الشمس واستكملوا اجر الفريقين كليهما فذلك

منهم ومثل ما نعوا من هذا النور وما رواه البيضاوي
تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة
الحديد كتب من الذين امنوا بالله ورسله حديث موضوع

سورة المجادلة مكية

في قول الجميع الا رواية عن عطا ان العشرة الاول منها مدني
وباقيها مكي وقال الكلبي نزل جميعها بالمدينة غير قوله
تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة وهي
ثنتان وعشرون اية واربعمائة وثلاث وسبعون كلمة والف
وسبعمائة واثنان وسبعون حرفا بسم الله الذي عمت قدرته
وكملت جميع صفاته الرحمن الذي شمل خلقه بجوده بالايجاد
وارسال الهداة الرحيم الذي خص اصفياءه فتمت عليهم
نعمة مرضاته ونزل في خولة بنت ثعلبة وكانت تحت اوس
بن الصامت وكان قد ظاهر منها قد سمع الله اي اجاب بعظيم
فضله الذي احاط بجميع صفات الكمال فوسع سمعه الاصوات
قول التي تجادلك اي تراجعك ايها النبي في زوجها المظاهر
منها روي ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مر بها
في خلافته وهو على حمار والناس معه فاستوقفته
طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم
قيل لك امير المؤمنين فاتق الله يا عمر فان من ايقن بالموت
خاف الفوت ومن ايقن بالحساب خاف العذاب وهو
واقف يسمع كلامها فقيل له يا امير المؤمنين اتقف لهذه
العجوز هذا الوقوف فقال والله لو حبستني من اول النهار الى اخره
لا زلت الا للصلاة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هي

خولة

خولة بنت ثعلبة سمع الله تعالى قولها من فوق سبع سموات
ايسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وعن عائشة تبارك
الذي وسع سمعه كل شيء اني لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة
ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله اكل شبابي ونثرت له
بطني حتى اذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني
اشكو اليك فما برحت حتى نزل بهذه الايات قد سمع الله قول
التي تجادلك في زوجها الاية وروي انها كانت حسنة
الجسم فرآها زوجها ساجدة فنظر عجيزتها فاعجبه امرها
فلما انصرفت ارادها فابت فغضب عليها قال عروة
وكان امرا به لمم فاصابه بعض لممه فقال لها انت علي كظهر
امي وكان الايلاء والظهار من الطلاق في الجاهلية فسألت
النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة
مرغوب في فلما علا سني ونثرت بطني اي كثر ولدي جعلني
عليه كامه فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حرمت عليه
فقالت والله ما ذكر طلاقا فانه ابو ولدي واحب الناس
الي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت
اشكو الى الله فاقتي ووحدتي قد طالت صحبتي ونفضت
له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا حرمت
عليه ولم اومر في شانك بشيء فجعلت تراجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتي
وشدة حالي وان لي صبية صغارا اشكو الى الله انهم ان ضممتهم

الي جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع راسها وتقول
اللهم اني اشكوا اليك فانزل على لسان نبيك وكان هذا اول
ظهار في الاسلام فانزل الله تعالى قد سمع الله قول التي
تجادلك في زوجها الاية فارسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى زوجها وقال ما حملك على ما صنعت فقال الشيطان
فهل من رخصة فقال نعم وقرا عليه الاربع ايات فقال له
هل تستطيع العتق فقال لا والله فقال له هل تستطيع الصوم
فقال لا والله اني ان اخطاني ان اكل في اليوم مرة او مرتين
لكل بصري وظننت اني اموت قال فاطعم ستين مسكينا
قال ما اجد الا ان تعينني منك بعون وصلة فاعانه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده
مثله فتصدق به على ستين مسكينا وروي انه صلى الله عليه
وسلم قال مريه ان يعتق رقبة فقالت اي رقبة والله لا يجد
رقبة وما له خادم غيري فقال مريه ان يصوم شهرين فقالت
والله ما يقدر على ذلك انه يشرب في اليوم كذا وكذا مرة
فقال مريه فليطعم ستين مسكينا فقالت اني له ذلك وتشتكي
اي تنهي تلك المجادلة الشكوى منتهية الى الله اي سوال
الملك الاعظم الرحمة الذي احاط بكل شي علما فان قيل
ما معنى قد في قوله تعالى قد سمع الله اجيب بان معناها
التوقع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا
يتوقعان ان يسمع الله تعالى مجادلتها وشكواها وينزل في
ذلك ما يفرج عنها لصدقها في شكواها وقطع رجاها
في كشف ما بها من غير الله تعالى ان الله تعالى يكفي كربتها

والله

والله اي وهو حال ان الذي وسعت رحمته كل شي له مالك الامر
كله يسمع تحاوركما اي تراجعكما الكلام وهو على تغليب
الخطاب ان الله اي الذي احاط بجميع صفات الكمال سميع
اي بالغ السمع بصير اي بالغ البصر لكل ما يبصر فهما صفتان
كالعلم والقدرة والارادة والحياة وهما من صفات الذات
لم يزل الخالق سبحانه متصفا بهما ولما اتم تعالى الخبر عن احاطة
العلم استانف الاخبار عن حكم الامر المجادل بسببه فقال
تعالى الذين يظهرون اي يوجدون الظهار في اي زمان
وقوله تعالى منكم اي ايها العرب المسلمون توبيخ لهم وتهجين
لعادتهم لان الظهار كان خاصا بالعرب دون سائر الامم
فنبه تعالى على ان الذي يليق بهم ان يكونوا ابعد الناس
عن هذا الكلام لان الكذب لم يزل مستهجنا عندهم في الجاهلية
ثم زاده الاسلام استهجانا من نسائهم اي يحرمون نساءهم
على انفسهم تحريم الله تعالى ظهور امهاتهم والظهار لغة
ماخوذ من الظهر دون البطن والفخذ وغيرها لانه موضع
الركوب والمراة مركوب الزوج وقيل من العلو قال تعالى
فما استطاعوا ان يظهروه اي يعلوه وكان طلاقا في الجاهلية
وقيل في اول الاسلام وقيل كان في الجاهلية اذا كره احد هم
امراته ولم يرد ان تتزوج بغيره الى منها او ظاهر فتبقى
لا ذات زوج ولا خلية تنكح غيره فغير الشارع حكمه الى
تحريمها بعد العود ولزوم الكفارة كما سياتي وحقيقته الشرعية
تشبيه الزوجة غير البائن بانثى لم تكن حلا له وسمي هذا
المعنى ظهارا لتشبيه الزوجة بظهر الام ولذا لو كان انه مظا هم

ومظاهر منها وصيغة ومشبه وشرط في المظاهر كونه
زوجا يصح طلاقه وشرط في المشبه به كونه كل انثى محرم
او جزء انثى محرم او جزء انثى محرم ولم تكن حلا له كبنته واخته
وشرط في الصيغة لفظ يشعر بالظهار صريح كانت او رأسك
او يدك كظهر امي او كجسمها او بدنها او كناية كانت
امي او غيرها مما يذكر للكرامة كرأسها او روحها ويصح
تأقيته وتعليقه واصل يظهرون عاصم بضم اليا وتخفيف
الظا وبعدها الف وتخفيف الهاء مع فتحها وبين الظاء والهاء
الف والباقون بفتح اليا وتشديد الظاء والهاء ولا الف بينهما
ماهن اي نساؤهم امهاتهم اي على الحقيقة ان اي ما
امهاتهم اي حقيقة الا اللائي ولدنهم ونساؤهم لم يلدنهم
فلا يحرمن عليهم حرمة مؤبدة للاكرام والاحترام ولا هن
ممن لحق بالامهات بوجه يصح كازواج النبي صلى الله عليه
وسلم فانهن امهات لما لهن من حق الاكرام والاحترام
والاعظام لان النبي صلى الله عليه وسلم اعظم في ابوة
الدين من ابي النسب وكذا المرضعات لما لهن من حق
من حق الرضاع الذي هو وظيفة الام بالاصالة اما
الزوجة فمباينة لجميع ذلك وقرا قالون وقنبل بالهمزة
المكسورة ولا يا بعدها وقرا ورش والبزي وابو عمرو
بتسهيل الهمزة مع المد والقصر وللبزي وابي عمرو بتسهيل
الهمزة مع المد وابدل موضع الهمزة يا ساكنة مع المد
والباقون بهمزة مكسورة وبعدها يا وهم على مراتبهم
في المد وانهم اي المظاهرون ليقولون اي في هذا التظاهر

على

على كل حالة منكرا من القول اذ الشرع انكره وهو حرام
اتفاقا عن الرافعي في باب الشهادات وزورا اي قولا مائلا
عن السداد منحرفا عن القصد لان الزوجة معدة للا
للاستمتاع الذي هو في الغاية من الامتهان والام في غاية
البعد من ذلك فان قيل المظاهر انما قال انت علي كظهر
امي فشبهها به ولم يقل انها امه فما معنى انه منكر من
القول وزورا والزور الكذب وهذا ليس بكذب اجيب
بان قوله هذا ان كان خبرا فهو كذب وان كان انشاء فكذلك
لانه جعله سببا للتحريم والشرع لم يجعله سببا لذلك على انهم
فانما وصفه بذلك لان الام مؤبدة التحريم والزوجة لا يتأبد
تحريمها بالظهار فهو زور محض فان قيل قوله تعالى الا
اللائي ولدنهم يقتضي ان لا ام الا الوالدة وهذا اشكل بقوله
تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم وقوله تعالى وازواجه
امهاتهم اجيب بان الشارع الحقهن بالوالدات لما مر وان
الله اي الملك الاعظم الذي لا مرد لحد معه في شرع
ولا غيره لعفو اي من صفاته ان يترك عقاب من شاء
غفور اي من صفاته ان يمحو عين الذنب واثره ثم بين
احكام الظهار بقوله تعالى والذين يظهرون من نسائهم
ثم يعودون لما قالوا والعود في ظهار غير موقت من
غير رجعية ان يمسكها بعد ظهاره مع علمه بوجود الصفة
في المعلق زمن امكان فرقة ولم يفارق لان العود
للقول مخالفته يقال قال فلان قولا ثم عاد له وعاد فيه
اي خالفه ونقضه وهو قريب من قولهم عاد في هبته

ومقصود الظهار ومن المراة التحريم وامساكها مخالفة فلو
اتصل بظهاره جنونه او اغماره او فرقة بموت او فسخ من
احدهما او بطلاق باين او رجعي ولم يراجع فلا عود والعود
في ظهار غير موقت من رجعية سوا طلقها عقب الظهار
ام قبله ان يراجع ولو ارتد متصلا بالظهار بعد الدخول
ثم اسلم في العدة فلا عود بالاسلام بل بعده والفرق ان الرجعة
امساك في ذلك النكاح والاسلام بعد الردة تبديل للدين
الباطل بالحق والحل تابع فلا يحصل به امساك والا يحصل
بعده والعود في ظهار موقت يحصل به امساك عقيب
حسنة او قدرها من فاقدها في المدة ويجب في العود به
وان حل نزع لما عقبه كما لو قال ان وطيتك فانت طالق
لحرمة الوطي قبل التكفير كما سياتي وانقضا المدة واستمرار
الوطي وطي ولما كان المبتدا الموصول يتضمن معنى الشرط
ادخل الفا في خبره ليفيد السببية فيتكرر الوجوب بتكرر سببه
فقال عز من قايل **فتحرير** اي فعليهم بسبب هذا الظاهر
والعود تحرير **رقبة** مومنة فلا تجزيه كافرة فقال تعالى في كفارة
القتل فتحرير رقبة مومنة والحق بها غيرها قياسا عليها
بجامع حرمة سببهما من القتل والظهار او حملا للمطلق على
المقيد كما في حمل المطلق في قوله واستشهدوا شهيدين
من رجالكم على المقيد في قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل
منكم بلا عوض وبلا عيب يخل بعمل فيجزي صغير ولو ابن
يوم واقرع واعرج يمكنه تباع شي بان يكون عرجه غير
شديد واعور لم يضعف عوره بصر عينه السليمة ضعفا

يخل

يخل بعمل فيجزي صغير ولو ابن يوم واصم واخرس يفهم الاشارة
وتفهم منه واخشم وفاقد انفه واذنيه واصابع رجليه لا فاقد
رجل او خنصر وبنصر من يد او انملتين من كل منهما او فاقد
انملتين من اصبع غيرهما او فاقد انملة ابهام لاخلال كل
من الصفات المذكورة بالعمل ولا يجزيه مريض لا يرجى برؤه
ولم يبرا كذي سل وهرم بخلاف من يرجى برؤه ومن لا
يرجى برؤه ولم يبرا كذي سل ولا مجنون افاقته اقل من جنونه
تغليبا للاكثر فيجزي معلق بصفة بان يحل عتقه بنية
الكفارة او بعلقه لذلك لصفة اخر به ان توجد قبل الاولى ويجزي
نصفا رقبتين اعتقهما عن كفارة باقيهما او في احدهما كما
استظهره بعضهم فيجزيه اعتاق رقبة عن كفارة ولا حل
العتق المعلق كفارة عند وجود الصفة ولا مستحق عتق
لازم وصحيح كتابة **من قبل ان يتماسا** اي يتجرد بينهما ير
روى ابو داود وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل
ظاهر من امراته وواقعها لا تقربها حتى تكفر وكالتكفير مدة
مضي المؤقت لانتهايه بها وحمل التماس هنا لشبه الظهار
بالحيض على التمتع عا بين السرة والركبة ومن حمل على الوطي
لحقه به التمتع بغيره فيما بينهما ولو ظاهر من اربع بكلمة كانتن
كظهر امي فان امسكهن فاربع كفارات لوجود سببها او ظاهر
منهن باربع كلمات ولو متوالية فعايد من غير اخيرة او كرر
في امراة متصلا تعدد الظهار ان قصد استينافا وبغير
المظاهرة بلا استيناف عايدا **ذلكم** اي ذلكم الحكم بالكفارة لئلا
توعظون به اي ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار

ولا تعاودوه والله اي الذي له الاحاطة بالكمال بما تعملون اي
تجددون فعله خبير اي عالم بظواهره وبواطنه فهو عالم بما
يكفره فافعلوا ما امرتم به وقفوا عند حدوده واما يلزم الاعتاق
عن الكفارة من ملك رقيقا او ثمنا فاضلا ذلك ويجوز
ان تعتبر بالثمن الغالب وان تعذر بسبب الشراء والذي عليه
الجمهور وهو الاصح ولا يلزمه بيع عقار وراس تجارة وما
شية لا يفضل دخلها عن غلة العقار وربح مال التجارة
وفوايد الماشية من نتاج وغيره عن كفاية مونته ولا بيع
مسكن ورقيق نفيس الفهما حسا وشرعا وقت اداء الكفارة
فمن لم يجد اي فعليه صيام فصيام شهرين متتابعين عن كفارته
فالرقيق لا يكفر الا بالصوم لانه معسر لا يملك شيا وليس لسيده
منعه من الصوم ان ضره وانما اعتبر العجز وقت الاداء لا وقت
الوجوب قياسا على سائر العبادات ولو ابتدأ الصيام ثم
وجد الرقبة لم يلزمه الانتقال عنه لانه امر به حيث دخل
فيه وقال ابو حنيفة يعتق قياسا على الصغيرة المعتدة
بالشهور اذا رأت الدم قبل انقضاء عدتها فانها تستانف
بالحيض اجماعا ويكفيه نية صوم الكفارة وان لم ينو لولا فان
انكسر الشهر الاول اتمه من الثالث ثلاثين لتعذر الرجوع
فيه الى الهلال وينقطع التتابع بفوات يوم ولو بعذر كمرض
او سفر فيجب الاستيناف ولو كان الفائت اليوم الاخير
او اليوم الذي نسيت النية بخلاف ما اذا فات بجنون او اغما
مستغرق لمنافات ذلك الصوم من قبل ان يتماسا كما مر في
العتق فان جامع ليلا عصى ولم ينقطع التتابع لانه ليس به

محلا

محلا للصوم بخلافه نهارا وقال ابو حنيفة ومالك يبطل بكل
حال ويجب عليه ابتداء الكفارة لقوله تعالى من قبل ان يتماسا
فمن لم يستطع بان عجز عن صوم او ولاء لمرض يدوم شهرين با
لظن المستفاد من العادة في مثله او من قول الاطبا
او لمشقة شديدة تلحقه بالصوم او بولائه ولو كانت المشقة
لشدة شهوة الوطي او خوف زيادة مرض فاطعام اي فعليه
اطعام ستين مسكينا اي من قبل ان يتماسا حملا للمطلق على
المقيد بان يملك كل مسكين من اهل الزكاة مدا من جنس
الفطرة كبر وشعير واقط ولبن فلا يجزي نحو دقيق وسويق
وحب باهل زكاة غيره فلا يجزي دفعها لكافر ولا لهاشمي
ومطلبي ولا لمواليهما ولا لمن تلزمه مونته ولا لرقيق
لانها حق الله تعالى فاعتبر فيها صفات الكمال ذلك اي الترخيص
العظيم لكم والرفق بكم والبيان الشافي من امر الله تعالى
الذي هو موافق للحنيفية السمحا ملة ابيكم ابراهيم عليه
السلام لتؤمنوا اي لتحققوا ايمانكم بالله اي الملك الذي لا
امر لاحد معه فتطيعوا ولا تنسلخوا من امر الجاهلية ورسوله
اي الذي تعظيمه من تعظيمه ولما رغب في هذا الحكم رهب
في التهاون به بقوله تعالى وتلك اي هذه الاحكام العظيمة
المذكورة حدود الله اي اوامر الملك الاعظم ونواهيه
الذي يجب امتثالها والتقيد بها لترعى حق رعايتها فالز
موها وقفوا عندها ولا تعتدوها فانه لا يطاق انتقامه
اذا تعدى نقضه وابرامه وللكافرين اي الراسخين في الكفر
بها او بشيء من شرايعه عذاب اليم اي بما المومنين به من

من الاعتدا فان عجز عن جميع خصال الكفارة لم تسقط
الكفارة عنه بل هي باقية في ذمته الى ان يقدر على
شي منها فان اقدر على خصلة من خصالها ولا يتبعض
العتق ولا الصوم بخلاف الاطعام حتى لو وجد بعض مد
اخرجه لانه لا بدل له وبقي الباقي في ذمته قال الزمخشري
فان قلت فاذا امتنع المظاهر من الكفارة فهل للمراة ان ترافعه
قلت لها ذلك وعلى القاضي ان يجبره على ان يكفر وان
يحبسه ولا شي من الكفارة يجبر عليه ويحبس الا
كفارة الظهار وحدها لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع
عن الاستمتاع فيلزم ايداؤها فان قلت فان مس قبل
ان يكفر قلت عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روي
ان سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ظاهرت من امراتي ثم ابصرت خلخالها في ليلة
قمرا فواقعتها فقال عليه الصلاة والسلام استغفر ربك
ولا تعد حتى تكفر انتهى والمراد بالاستغفار استغفر ربك
ولما ذكر تعالى المومنين الواقفين عند حدوده
ذكر المحادين المخالفين لها بقوله تعالى ان الذين يحادون
الله اي يعادون الملك الاعلى على حدوده ليجعلوا
حدودا غيرها وذلك صورته صورة العداوة لان
المحادة المعاداة والمخالفة للحدود وهو كقوله تعالى
ومن يشاقق الله ورسوله الذي عزه من عزه وقيل يحادون
الله اي اولياء الله كما في خبر من اهان لي وليا فقد
بارزني بالمحاداة والضمير في قوله تعالى ان الذين يحادون

الله

الله يحتمل ان يرجع الى المنافقين فانهم كانوا يوادون
الكافرين ويظاهرونهم على النبي صلى الله عليه وسلم
فاذلهم الله تعالى ويحتمل ان يرجع لجميع الكفار فاعلم الله
تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم انهم كبتوا اي اذلوا
وقال ابو زيد عذبوا وقال السدي لعنوا وقال الفرا
اغيظوا يوم الخندق وقيل يوم بدر كما كبت الذين من
قبلهم اي المحادين المخالفين رسلهم كقوم نوح ومن
بعدهم ممن اصر على العصيان قال القشيري ومن ضيع
لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنة او احدث في دينه
بدعة انخرط في هذا السلك وقد انزلنا اي بما لنا من
العظمة عليكم وعلى من قبلكم ايات بينات اي دلالات
عظيمة هي في غاية البيان لذلك ولكل ما يتوقف عليه
الايمان كترك المحادة وتحصيل الاذعان وللكافرين اي
الراسخين في الكفر بالايات او بغيرها من امر الله تعالى
عذاب مهين بما تكبروا وتعززوا على اوليا الله تعالى
ويسرابه يهينهم ذلك العذاب ويذهب عزهم
وشماخهم ويتركهم به بمجادتهم وقوله يوم منصوب
باذكر كما قاله الزمخشري تعظيما لليوم او بلهم او بالاستقرار
الذي تضمنه لوقوعه خبرا او بفعل مقدر قدره ابو البقا
يهانون او يعذبون او استقر ذلك يوم يبعثهم
الله اي الملك الاعظم جميعا حال كونهم مجتمعين في
حال واحد فينبئهم اي يخبرهم اخبارا عظيما مستقصى
بما عملوا تخجيلا وتوبيخا وتشهيرا لحالهم احصاه الله

اي احاط به عددا الكما وكيفا وزمانا ومكانا عما له
من صفات الجلال ونسوه لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه
ولم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي وانما يحفظ معظمات
الامور او نحو وجه عن الحد في الكثرة فكيف كل واحد
علي انفراده والله اي بما له من القدرة الشاملة والعلم
المحيط على كل شي على الاطلاق شهيد اي حفيظ حاضر
لا يغيب عن شي لا يغفل ثم انه تعالى اكد اثبات كونه
عالما بكل المعلومات فقال جل ذكره الم تر اي تعلم علما
هو في وضوحه كالرؤية بالعين ان الله اي الذي له
صفات الكمال كلها يعلم ما في السموات كلها وما في
الارض كذلك كليات ذلك وجزئيات لا يغيب عنه شي
منه بدليل ان تدبيره محيط بذلك على اتم ما يكون
وهو مخبر من يشاء من انبيائه واصفيائه بما يشاء من
اخبار ذلك القاصية والدانية الماضية والاتية
فيكون كما اخبر وقوله تعالى ما يكون من نجوى يكون فيه
من كان التامة ومن نجوى فاعلها ومن مزيدة
فيه اي ما يقع من تناجي ثلاثة ويجوز ان يقدر
مضاف اي اهل نجوى فتكون ثلاثة صفة للنجوى
واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض
فان السر يرتفع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان
يطلع عليه وقوله تعالى الا هو رابعهم استثناء من
اعم الاحوال اي ما يوجد شي من هذه الاشياء في
حال من الاحوال الا وهو يعلم نجواهم كانه حاضر

معهم

معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم عند الرابع الذي
يكون معهم ولا خمسة اي من نجواهم الا هو سادسهم
اي يعلم نجواهم كما مر فان قيل ما الداعي الى تخصيص
الثلاثة والخمسة اجيب بوجهين احدهما ان قوما
من المنافقين تخلفوا للتناجي فيما بينهم دون المؤمنين
وينظرون الى المؤمنين ويتغامزون باعينهم مغايظة
للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة
فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما تروهم
يتناجون ولا ادنى من ذلك اي من عددهم ولا اكثر
اي من ذلك الا هو معهم يعلم ما يقولون اينما اي في
اي مكان كانوا فانه لا مسافة بينه وبين شي فقد
روي عن ابن عباس انها نزلت في ربيعة وحبيب
ابني عمرو وصفوان بن امية كانوا يوما يتحدثون فقال
احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الاخر يعلم
بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضا
فهو يعلم كله وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير
سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب
ثابت له مع كل معلوم والوجه الثاني انه قصد ان يذكر
ما جرت عليه العادة من اعداد اهل النجوى والمتخا لين
للشورى والمندوبون لذلك ليسوا بكل احد وانما هم
طائفة مجتباة من اولي النهى والاحلام ورهط
من اهل الراي والتجارب واول عددهم الاثنان
فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال

وحكم بذلك استصواب الرأي الى عمر بن الخطاب كيف
ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع
فذكر عز وجل الثلاثة والخمسة وقال ولا ادنى من ذلك
فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا اكثر فدل على
ما يلي هذا العدد ويقاربه وروي انه صلى الله عليه
وسلم قال في خطبة الكبرى لما خرجها الحارث بن ابي
سامة رقى المنبر وقال ايها الناس ارفعني او اكعوا
لمن خلفكم ثلاث مرات فدنى الناس وانضم بعضهم
الى بعض والتفتوا فلم يروا احدا فقال له رجل منهم بعد
الثالثة لمن تسمع يا رسول الله الملائكة فقال لا انهم ان
كانوا معكم لم يكونوا بين ايديكم ولا خلفكم ولكن عن
ايمانكم وعن شمائلكم وعلى ذلك فليسوا في مكان فان
لله جل جلاله اعلى واجل وانزه مكانه واكرم اسسوا
ثم ينبئهم اي يخبر اصحاب النجوى اخبارا عظيما بما عملوا
دقيقة وجليلة يوم القيامة الذي هو المراد الاعظم
من الوجود لاظهار الصفات العلى كنه اتم اظهار
ان الله اي الذي له الكمال بكل شيء اي مما ذكر وغيره
عليم اي بالغ العلم فهو في الطاعات واختلف في سبب
نزول قوله تعالى الم تر اي تعلم علما هو كالرؤية
الى الذين نهوا عن النجوى فقيل في اليهود وقيل في
المنافقين وقيل في فريق من المسلمين لما روى
ابو سعيد الخدري قال كنا ذات ليلة نتحدث اذ خرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله

عليه

عليه وسلم ما هذه النجوى فقلنا تبنا الى الله تعالى
يا رسول الله انا كنا في ذكر المسيح يعني الدجال خوفا
منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بما هو
اخوف عندي منه قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك
الخفي ان يقوم الرجل يصلي لمكان رجل ذكره الماوردي
وقال ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين كانوا
يتناجون وينظرون للمؤمنين ويتغامزون بـا
عينهم يوهمون المؤمنين انهم يتناجون فيما يسوءهم فيحز
نون لذلك ويقولون ما نراهم الا وقد بلغهم من
اخوانا الذين خرجوا في السرايا قتل او موت او
هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال ذلك عليهم
واشتكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم
ان لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا
الى مناجاتهم فانزل الله تعالى الم تر الى الذين نهوا
عن النجوى ثم يعودون اي على سبيل الاستمرار
لانه وقع مرة وبادروا الى التوبة منها او فلتة معفو
عنها لما نهوا عنه اي من غير ان يعتدوا لما يتوقع من
جهة الناهي من الضرر عنه. ويتناجون اي يقبل
بعضهم على المناجاة اقبال واحد ليفعل كل منهم
منها ما يفعله الآخر وقرأ حمزة بعد الياء سبيل الاستمرار
وقرأ حمزة بعد الياء بنون ساكنة وبعدها تاء فوقية
مفتوحة وبعدها نون مفتوحة وبعد النون الف
وفتح الجيم بالاثم اي بالشيء الذي يثبت عليهم به

الذنب وبالكذب وبما لا يحل والعدوان اي العدوان
الذي هو نهاية في قصد الشر بالافراط في مجاوزة
الحدود ومعصية الرسول اي مخالفة الذي جا اليهم
من الملك الاعلي وهو كامل في الرسالة لكونه
مرسلا الي جميع الخلق وفي كل الازمان فلا نبي بعده
فهو لذلك مستحق غاية الاكرام فائدة رسمت
معصية في الموضعين بالتا المجرورة وان اوقف عليها
ابو عمرو وابن كثير والكسائي بالها في الوقف والكسائي
بالامالة في الوقف علي اصله ووقف الباقون
بالتا علي الرسم واتفقوا في الوصل علي التا واذا جاوك
اي بالشرف الخلق حيوك اي واجهوك بما يعدونه
تحية بما لم يحيك به الله اي الملك الاعلي الذي لا امر
لاحد معه وذلك ان اليهود كانوا يدخلون علي
النبي صلي الله عليه وسلم ويقولون السام عليك
والسام الموت وهم يوهمونه انهم يقولون السلام عليك
وكان النبي صلي الله عليه وسلم يرد عليهم فيقول
وعليكم فقالت السيدة عايشة السام عليكم ولعنة
الله وغضبه عليكم فقال رسول الله صلي الله عليه
وسلم مهلا يا عايشة عليك بالرفق واياك والعنف
والفحش فقالت اولم تسمع ما قالوا يا رسول الله فقال
رسول الله صلي الله عليه وسلم اولم تسمعي ما قلت
رددت عليهم فيستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم
فيّ وقال النبي صلي الله عليه وسلم عند ذلك

اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا عليك ما قلت
فانزل الله تعالي واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به
الله وروي انس انه صلي الله عليه وسلم قال اذا
سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم بالواو فقال
بعض العلما ان الواو العاطفة تقتضي التشريك
فيلزم منه ان ندخل معهم فيما دعوا به علينا من الموت
او من سامة ديننا وهو الملال يقال سام يسام سامة
وساما وقال بعضهم الواو زايدة كما زيدت في قول
الشاعر " فلما اجزنا ساحة الحي وانتحي "
اي لما اجزنا انتحي فزاد الواو وقال اخرون هي علي
بابها من العطف ولا يضر ما ذكر لانا نجاب عليهم
ولا يجابون علينا كما تقدم في قوله صلي الله عليه وسلم
لعايشة تنبيه اختلف العلما في رد السلام علي اهل
الذمة فقال ابن عباس والشعبي وقتادة فهو واجب
لظاهر الامر بذلك وقال مالك ليس بواجب فان
رددت فقل عليك وعن ناجب ان يقول لمروعليك
لما مر في الحديث وقال بعضهم يقول في الرد علاك
السلام اي ارتفع عنك وقال بعض المالكية يقول
في الرد السلام عليك بكسر السين يعني الحجارة
ولما كانوا يخفون ذلك جهدهم ويظنون بأعلام الله
تعالي له انه صلي الله عليه وسلم لا يطلع عليه وان
اطلع عليه لم يقدر ان ينتقم منهم عبر عن ذلك بقوله
تعالي ويقولون في انفسهم من غير ان يطلع عليه احد

لولا اي هلا ولم لا يعذبنا الله اي الذي لا لاحاطة
بكل شيء بما نقول اي لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول
وقيل قالوا انه يرد علينا ويقولون عليكم السام فلو
كان نبيا لاستجيب له فينا ومتنا وهذا موضع تعجب
منهم فانهم كانوا اهل الكتاب وكانوا يعلمون ان
الانبيا عليهم الصلاة والسلام كانوا اهل الكتاب
وكانوا يعلمون ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
كانوا يغضبون فلا يعاجلون من يغضبهم بالعذاب
حسبهم اي كافيهم في الانتقام جهنم اي الطبقة التي
تلقاهم بالتجهم والعبوسة والفظاظة فان حصل
لهم في الدنيا عذاب كان زيادة على الكفاية
فاستعجالهم بالعذاب محض رعونة يصلونها اي يقاسون
عذابها اما فانا قد اعددنا لهم فبئس المصير اي
مصيرهم يا ايها الذين امنوا اي ادعوا انهم اوجدوا هذه
الحقيقة اذا تناجيتم اي اطلع كل منكم الكلام من نفسه
ورفعه وكشفه لصاحبه سرا فلا تتناجوا اي توجدوا
هذه الحقيقة بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اي الحامل
في الرسالة كفعل المنافقين واليهود وقال مقاتل
اراد بقوله تعالى امنوا بزعمهم وقيل يا ايها الذين امنوا
قال مقاتل اراد بقوله موسى وتناجوا بالبر والتقوى
اي الطاعة والعفاف عما نهى الله تعالى عنه واتقوا
الله اي اقصدوا قصدا يتبعه العمل بان تجعلوا بينكم
وبين سخط الملك الاعظم وقاية الذي اليه خاصة

تحشرون

تحشرون اي تجمعون بايسر امر واسهله بقهر وكره به
وهو يوم القيامة فيتجلى فيه سبحانه للحكم بين الخلق
والانصاف بينهم بالعدل ومحاسبتهم على النقير
والقطمير لا تخفى عليه خافية ولا تبقى منه واقية
انما النجوى اي المعهودة وهي المنهي عنها من الشيطان
اي مبتداة ومثمرة من المحترق بطرده عن رحمة الله تعالى
فانه الحامل عليها بتزيينها ففاعلها تابع لاعدا اعدائه
مخالف للاعظم اوليائه ليحزن اي الشيطان الذين امنوا
اي ليوهمهم انها بسبب شيء وقع مما يوذيهم ويحزنه
هم غليظ ويوجع به ويقال حزنه واحزنه غيره قال
في القاموس حزنه جعله حزينا وقويه لنافع بضم
اليا وكسر الزاي من حزن والقراءة الاولى اسد في
المعنى على ما في القاموس وليس اي الشيطان او ما
حمل عليه من التناجي بضارهم اي الذين امنوا شيا من
الضرر وان قل الا باذن الله اي بمشيئة الملك المحيط
علما وقدرة فان قيل كيف لا يضرهم ذلك ولا يحزنهم الا
باذن الله اجيب بانهم كانوا يوهمون المومنين في
نجواهم وتغامزهم ان غزاهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا
فقال تعالى لا يضرهم الشيطان ولا يحزن بذلك الوهم
الا باذن الله تعالى اي بمشيئته وهو ان يقضي الموت
على اقاربهم والغلبة على الغزاة وعلى الله اي الملك
الذي لا كفو له ولا على احد غيره فليتوكل المومنون اي الراسخون
في الايمان في جميع امورهم فانه القادر وحده على

اصلح بينهما وافسادها فلا يجزنوا من احد ان يكيده بسوء
ولا يجزه فانهم توكلوا عليه وفوضوا امورهم اليه وخص
الراسخين لامكان ذلك منهم في العادة واما اهل البدا
يات فلا يكون ذلك منهم العرف عادة روي ابن عمر ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اذا كنتم ثلاثة
فلا يتناجي اثنان دون الثالث الا باذن فان ذلك
يحزنه وعن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم قال اذا كان ثلاثة فلا يتناجي اثنان دون
الاخر حتي يختلطوا بالناس من اجل ان يحزنه فبين
في هذا الحديث غاية المنع وهو ان يجد الثالث من
يتحدث معه كما فعل ابن عمر وذلك انه كان يتحدث
مع رجل فجاء اخر يريد ان يناجيه فلم يناجه حتي دعا
رابعا فقال له وللاول تاخرا وناجا الرجل الطالب
للمناجاة خرجه في الموطا ونبه علي العلة بقوله من
اجل ان يحزنه ان يقع في نفسه ما يحزن لاجله وعلي هذا
يستوي في ذلك كل الاعداد فلا يتناجي اربعة
دون واحد ولا عشرة ولا الف مثلا لوجود ذلك
المعني في حقه بل وجوده في العدد الكثير امكن واوقع
فيكون بالمنع اولي وانما خص الثلاثة بالذكر لانه
اول عدد يتاتي ذلك فيه قال القرطبي وظاهر الحديث
يعم جميع الازمان والاحوال واليه ذهب ابن عمر
ومالك والجمهور وسوا كان التناجي في واجب او
مندوب او مباح فان الحزن ثابت به وقد ذهب

بعض الناس الي ان ذلك في اول الاسلام لان ذلك
كان حال المنافقين فيتناجي المنافقون دون المومنين
فلما فشي الاسلام سقط ذلك وقال بعضهم ذلك
خاص بالسفر وفي المواضع التي لا يامن الرجل فيها
صاحبه فاما في الحضر وبين العمارة فلا لانه يجد من
يغيثه بخلاف السفر فانه مظنة الاغتيال وعدم المغوث
ولما نهي المومنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر
امرهم الان بما يصير سببا لزيادة المحبة والمودة بقوله
يا ايها الذين امنوا اي الذين اتصفوا بهذا الوصف اذا
قيل لكم قيل من اي قايل كان فان الخير يرغب فيه
لذاته تفسحوا اي توسعوا اي كلفوا انفسكم في اتساع
المواضع في المجلس اي الجلوس او امكانه لاجل من ياتي فلا
يجد مجلسا يجلس فيه قال قتادة ومجاهد كانوا يتنافسون
في مجلس النبي صلي الله عليه وسلم فامرهم ان
يفسح بعضهم لبعض وقال ابن عباس المراد بذلك
مجالس القتال اذا اصطفوا للحرب قال الحسن ويزيد ابن
ابي حبيب كان النبي صلي الله عليه وسلم اذا قاتل
المشركين تشاح اصحابه علي الصف الاول فلا يوسع
بعضهم لبعض رغبة في القتال والشهادة فنزلت فيكون
كقوله تعالي مقاعد للقتال وقال مقاتل كان النبي
صلي الله عليه وسلم في الصفة وكان المكان ضيقا وكان
يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجا ناس من
اهل بدر وقد سبقوا الي المجلس فقاموا قبل النبي صلي

الله عليه وسلم على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم
فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام
وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لمن حوله من غير اهل بدر قم يا فلان وانت يا فلان بعدد القائمين
من اهل بدر فشق ذلك على من قام وعرف النبي صلى
الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم فقال المنافقون
والله ما عدل على هولاء ان قوما اخذوا مجالسهم
واحبوا القرب منه فاقامهم واجلس من ابطا فنزلت
الاية يوم الجمعة وروي عن ابن عباس قال نزلت
الاية في ثابت ابن قيس بن شماس وذلك انه دخل
المسجد وقد اخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب
من رسول الله صلى الله عليه وسلم للوقر الذي في اذنه الذي
كان في اذنيه فوسعوا له حتى قرب من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى بينه وبينهم
كلام فنزلت وقد تقدمت قصته في سورة الحجرات وقرا
عاصم بفتح الجيم والف بعدها جمعا لان لكل جالس مجلسا
اي فليفسح كل واحد في مجلسه والباقون بكسر الجيم
ولا الف افرادا قال البغوي لان المراد منه مجلس النبي
صلى الله عليه وسلم وقال القرطبي الصحيح في الاية
انها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والاجر
سوا كان في مجلس حرب او ذكر او في مجلس يوم الجمعة
وان كل واحد احق بمكانه الذي سبق اليه قال صلى
الله عليه وسلم من سبق الى ما لم يسبق اليه فهو احق به

ولكن

ولكن يوسع لاخيه ما لم يتاذ بذلك فيخرجه الضيق
من موضعه فيكون المراد بالمجلس الجنس ويؤيده قراءة
الجمع فافسحوا اي وسعوا فيه عن سعة صدر يفسح الله
لكم اي الذي له الامر كله لكم في كل ما تكرهون توسعته
من الدارين وقال الرازي هذا مطلق فيما يطلب الناس
الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر
والجنة قال ولا ينبغي للعاقل ان يقيد الاية بالتفسح
في المجلس بل المراد منه ايصال الخير للمسلم وادخال
السرور في قلبه واذا قيل اي من اي قائل كان كما مضى
ان كان يريد الاصلاح والخير انشزوا اي ارتفعوا وانهضوا الى الموضع الذي تؤمرون به او يقتضيه
الحال للتوسعة او غيرها من الاوامر كالصلاة والجهاد
فانشزوا اي فارتفعوا وانهضوا يرفع الله اي الذي
له جميع صفات الكمال الذين امنوا وان كانوا غير علماء منكم
ايها المامورون بالتفسح السامعون للاوامر المبادرون اليها بطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيامهم في مجالسهم وتوسعهم لاخوانهم
والذين اوتوا العلم درجات يجوز ان يكون معطوفا
على الذين امنوا فهو من عطف الخاص على العام
وان الذين اوتوا العلم بعض المومنين منهم ويجوز
ان يكون والذين اوتوا العلم من عطف الصفات
ان تكون الصفات لذات واحدة كانه قيل يرفع الله
المومنين العلماء ودرجات مفعول ثان وقال ابن عباس

تم الكلام عند قوله تعالى منكم وينتصب الذين اوتوا
بفعل مضمر اي ويخص الذين اوتوا العلم درجات اي ويرفع
درجات قال المفسرون في هذه الاية ان الله رفع المؤمن
على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم
قال ابن مسعود مدح الله تعالى العلماء في هذه الاية
والمعنى ان الله تعالى يرفع الذين اوتوا العلم درجات
في دينهم اذا فعلوا ما امروا به وقال تعالى هل يستوي
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال
تعالى وقل رب زدني علما وقال تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء والايات في ذلك كثيرة معلومة
واما الاحاديث فكثيرة مشهورة منها من يرد الله به
خيرا يفقهه في الدين وروي ان عمر رضي الله عنه
كان يقدم عبد الله بن عباس على الصحابة رضي
الله تعالى عنهم فكلموه فدعاهم ودعاه فسالهم
عن تفسير اذا جاء نصر الله والفتح فسكتوا فقال
ابن عباس هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعلمه الله اياه فقال عمر ما اعلم منها الا ما يعلم ومنها
انه صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا في اثنتين
رجل اتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ورجل
اتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها واراد بالحسد
الغبطة وهو ان تتمنى مثله ومنها انه صلى الله
عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه لان يهدي الله بك
رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ومنها انه صلى

الله

الله عليه وسلم قال من جاءه اجله وهو يطلب العلم
ليحيي به الاسلام لم يفضله النبيون الا بدرجة واحدة
ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال بين العالم والعابد
مائة درجة كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين
سنة ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال فضل العالم
على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
وفي رواية كفضلي على ادناكم ومنها انه صلى الله
عليه وسلم قال يشفع يوم القيامة ثلثة الانبياء ثم
العلماء ثم الشهداء فاعظم بمنزلة هي واسطة بين
النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومنها انه صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين في
مسجده احد المجلسين يدعون الله تعالى ويرغبون
اليه والاخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير واحدهما
افضل من صاحبه اما هولاء فيدعون الله عز وجل
ويرغبون اليه واما هولاء فيتعلمون الفقه ويعلمونه
الجاهل فهولاء افضل وانما بعثت معلما ثم جلس
فيهم والاحاديث في ذلك كثيرة جدا واما اقوال
السلف فلا تحصر فمنها ما قاله ابن عباس ان سليمان
عليه السلام خير بين العلم والمال والملك فاختار
العلم فاعطي المال والملك معه وما قاله بعض الحكماء
ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فات
من ادرك العلم وما قاله الاحنف كاد العلماء يكونون

اربابا وكل عز لم يوكد بعلم فالي ذل مصيره وما قاله
الزهري في العلم ذكر فلا يحبه الا فحول الرجال وما قاله
ابو مسلم الخولاني مثل العلماء في الارض مثل النجوم
في السماء اذا ابرزت للناس اهتدوا بها واذا احتفت
عليهم تحيروا وما قاله معاذ تعلم العلم فان تعلمه
لله حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث
عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله
قربة وما قاله علي العلم خير من المال العلم يحرسك
وانت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم
يزكو بالانفاق وما قاله ابن عمر مجلس فقه خير
من عبادة ستين سنة وما قاله الشافعي العلم افضل
من صلاة النافلة وقال ليس بعد الفرائض افضل
من طلب العلم وقال من اراد الدنيا فعليه بالعلم
ومن اراد الاخرة فعليه بالعلم فانه يحتاج اليه في
كل منهما وقد ذكرت في اول شرح المنهاج من الاحاديث
ومن اقوال السلف ما يسر الناظر الراغب في الخير
وفيما ذكرته هنا كفاية لاولي الابصار **والله** اي
والحال ان المحيط بكل شي علما وقدرة **بما تعملون** اي
حال الامر وغيره **خبير** اي عالم بظاهره وباطنه
فان كان العالم منيبا للعمل فامتثال الاوامر
واجتناب المناهي وتصفية الباطن كانت الرفعة
على حسبه وان كان على غير ذلك فكذلك واختلف
في سبب نزول قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا** اي

ادعوا

ادعوا انهم احد هذه الحقيقة اغنيا كانوا او فقرا
اذا ناجيتم الرسول اي اردتم مناجاته الذي
له الكمال منه في الرسالة الاية فقال ابن عباس
ان المسلمين كانوا يكثرون المسايل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فانزل الله تعالى
هذه الاية فكف كثير من الناس وقال الحسن ان قوما
من المسلمين كانوا يستخلون النبي صلى الله عليه وسلم
يناجونه فظن بهم قوم من المسلمين انهم ينتقصونهم
في النجوى ليقطعهم عن استخلائه وقال زيد بن اسلم
ان المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي صلى
الله عليه وسلم ويقولون انه اذن يسمع كلما قيل
له وكان لا يمنع احدا من مناجاته فكان ذلك
يشق على المسلمين لان الشيطان كان يلقي في
انفسهم انهم يناجونه ان جموعا اجتمعت لقتاله
فنزل يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول اي
اردتم مناجاته **فقدموا** اي بسبب هذه الارادة لله
وقوله تعالى **بين يدي نجواكم** استعارة ممن له
يدان والمعنى قبل نجواكم التي هي سوالكم الذي تريدون
ان ترفعوه **صدقة** لقول عمر من افضل ما اوتيت
العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته والصدقة
تكون لكم برهانا على خلوصكم كما ورد ان الصدقة
برهان وهي مصدقة لكم في دعوى الايمان بالله تعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به عن

الله تعالى تنبيه ظاهر الاية يدل على ان تقديم
الصدقة كان واجبا لان الامر للوجوب ويؤكد
ذلك قوله تعالى بعده فان لم تجدوا فان الله غفور
رحيم وقيل كان مندوبا لقوله تعالى ذلك اي التصدق
خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال
وهذا انما يستعمل في التطوع لا في الواجب واذ لو
كان واجبا لما ازيل وجوبه والكلام متصل به وهو
قوله تعالى فان لم تجدوا الاية واجيب عن الاول
بان المندوب كما يوصف بانه خير واطهر فكذلك
الذي يوصف به الواجب وعن الثاني بانه لا يلزم من
اتصال الايتين في التلاوة كونهما متصلتين في
النزول كما قيل في الاية الدالة على وجوب الاعتداد
اربعة اشهر وعشرا انها ناسخة للاعتداد بحول
وان كان الناسخ متقدما فقال ما تقول في دينار
قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال
انك لزهيد فلما راوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا
اما الفقير فلعسرته واما الغني فلشحته واختلف
في مقدار تاخر الناسخ من المنسوخ في هذه الاية
فقال الكلبي ما بقي ذلك التكليف الا ساعة من
من نهار ثم نسخ وقال مقاتل وابن حبان بقي ذلك
التكليف عشرة ايام ثم نسخ وقال كما روي انه قال
ان في كتاب الله الاية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل
بها احد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا

نا

ناجيته تصدقت بدرهم وفي رواية عنه فاشتريت
به عشرة دراهم وكلما ناجيت النبي صلى الله عليه
وسلم قدمت بين يدي نجواي درهما ثم نسخت فلم
يعمل بها احد وعن ابن عباس انهم نهوا عن المناجاة
حتى يتصدقوا فلم يناج احد الا عليا تصدق بدينار
وعدم عمل غيره ولا يقدر فيه لاحتمال ان يكون لم
يجد عند المناجاة شيئا او لا يكون احتاج الى المناجاة
ثم نزل الى حفصة وعن ابن عمر كان لعلي ثلاث
لو كان لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر
النعم تزويجه فاطمة واعطاوه الراية يوم خيبر واية
النجوى واختلف في الناسخ لذلك فقيل هي منسوخة
بالزكاة واكثر المفسرين انها منسوخة بالاية التي بعدها
وهي ااشفقتم ان كما سياتي وكان علي يقول خفف
عن هذه الاية فان لم تجدوا اي ما تقدمونه فان الله
اي الذي له جميع صفات الكمال غفور رحيم اي له
صفتا الستر للمساوي والاكرام باظهار المحاسن على
الدوام فهو يعفو ويرحم تارة بعدم العقاب للعاصي
وتارة بالتوسعة للضيق بان ينسخ ما يشق الى
ما يسهل الى ما خف وقوله تعالى ااشفقتم ان تقدموا
اي باعطا الفقر وهم اخوانكم بين يدي نجواكم اي
للنبي صلى الله عليه وسلم صدقات وجمع لانه اكثر
توبيخا من حيث انه يدل على ان النجوى تتكرر
استفهام معناه التقرير وهو للنسخ عند الاكثر

وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام بتشديد الثانية
بخلاف عن هشام وادخل بينهما الفا قالون وابو عمرو
وهشام والباقون بتخفيفهما ولا ادخال والاولى
محققة فاذ اي فحين لم تفعلوا اي ما امرتم به من
الصدقة للنجوى بسبب هذا الاشفاق وتاب اي
الملك الاعلى الله اي رجع بكم عنها بان نسخها عنكم
تخفيفا عليكم عليكم اي بسبب العفو عنكم شكرا اي
على هذا الكرم والحلم فاقيموا التي هي طهرة لارواحكم
وصلة لكم بربكم الصلاة وآتوا الزكاة التي هي براءة لابدانكم
وتطهير لاموالكم وصلة لكم باخوانكم ولا تفرطوا في
شيء من ذلك فتهملوه فالصلاة نور يهدي الى
المقاصد الدنيوية والاخروية ويبني على ثواب
الدارين والصدقة برهان على صحة القصد
في الصلاة ثم عم بعد ان خص اشرف العبادات
البدنية واعلى المناسك المالية بقوله تعالى واطيعوا
الله اي الذي له الكمال كله ورسوله اي الذي عظمته
من عظمته في سائر ما يأمركم به فانه تعالى ما امركم
لاجل اكرام رسولكم صلى الله عليه وسلم الا بالحنيفية
السمحة والله اي الذي احاط بكل شيء قدرة وعلما
خبير بما تعملون اي يعلم بواطنكم كما يعلم ظواهركم
لا تخفى عليه خافية الم تر اي تنظر يا اشرف خلق
الى الذين تولوا اي تكلفوا غاية جهدهم وهم المنافقون
اي جعلوا اولياءهم الذين يتولون لهم امورهم

قوما

قوما وهم اليهود اشتفوا عندهم العزة اغترارا بما يظهر لهم
منهم من القوة غضب الله اي الملك الاعلى الذي لا ند له
عليهم اي المتولي والمتولى لهم ما هم اي المنافقون منكم اي
المؤمنين ولا منهم اي اليهود بل هم مذبذبون وزاد الشناعة
عليهم بالفتح قبح الاشياء بقوله تعالى ويحلفون اي المنا
فقون يجددون الحلف على الاستمرار على الايمان
الكاذبة بان التقدير مجترئين على الكذب في دعوى
الاسلام وغير ذلك لما يعقب فيه من عظائم الآثام
فاذا هو نبهوا عليه بادروا الى الايمان وهم يعلمون انهم
كاذبون متعمدون روي ان عبد الله بن نبتل كان
يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره اذ
قال لاصحابه يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر
وينظر بعيني شيطان فدخل ابن نبتل وكان ازرق
العينين اسمر قصيرا خفيف اللحية فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف
بالله ما فعل فقال له صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق
فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت اعد الله
اي الذي له العظمة الباهرة فلا كفؤ له لهم عذابا اي
امرا قاطعا لكل عذوبة شديدا اي لا طاقة بقوله تعالى
مؤكدا تعجيبا على من كان يحسن فعالهم انهم ساء
اي بلغ الغاية في السوء ودل على ان ذلك لهم كالجبلة
بقوله تعالى ما كانوا يعملون اي يجددون عمله
مستمرين عليه لا ينفكون عنه قال الزمخشري او هي

حكاية ما يقال لهم في الآخرة اتخذوا ايمانهم اي الكاذبة
التي لا تهون على من في قلبه مثقال حبة من خردل من
ايمان جنة وقاية وسترة من كل ما يفضحهم من النفاق
كالقتل ما كان فصدوا اي كان قبول ذلك منهم وتأخير
عقابهم سببا لاتباعهم الصد عن سبيل الله اي شرع
الملك الاعلى الذي هو طريق الى رضوانه الذي هو
بسبب الفوز الاعظم فانهم يثبطون من لقوا عن الدخول
في الاسلام او يوهنون امره ويحقرونه ومن رآهم
قد خلصوا من المكاره بايمانهم الخائبة ودرت عليهم الارزاق
استدراجا وحصلنا لهم الرفعة عند الناس بما يرمونه
من اقوالهم وافعالهم وسبح على منوالهم غروراً بظاهر
امرهم معرضا عما توعدهم الله تعالى عليه من جزائهم
وامري واحرى الامر على اسلوب التهكم باللام التي
تكون في المحبوب فقال تعالى فلهم اي فتسبب عن صدهم
انه كان لهم عذاب مهين جزاء ما طلبوا بذلك الصد
اعزازا لانفسهم واهانة اهل الاسلام لن تغني اي بوجه
من الوجوه عنهم اموالهم اي في الدنيا ولا في الآخرة
بالافتداء ولا بغيره ولا اولادهم اي بالنصرة والمدافعة
من الله اي اغناء مبتدئا من الملك الاعلى شيئا ولو قل
جدا فمهما اراد بهم سبحانه كان ونفذ ومضى لا يدفعه
شيء تكذيبا لمن قال منهم لئن كان يوم القيامة
لنكونن اسعد فيه منكم كما نحن الآن ولنفتخرن بانفسنا
وباموالنا واولادنا اولئك اي البعداء من كل خير اصحاب

النار

النار هم اي خاصة فيها اي خاصة خالدون اي دائمون
لا يموتون الى غير نهاية وقوله تعالى يوم منصوب باذكر
اي واذكر يوم يبعثهم الله اي الذي له جميع صفات
الكمال جميعا فلا يترك احدا منهم ولا من غيرهم الا اعاده
الى ما كان قبل موته فيحلفون اي فيتسبب عن ظهور
القدرة التامة لهم ومعاينة ما كانوا يكذبون به انهم
يحلفون له اي لله في الآخرة انهم مسلمون فيقولون
والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك كما يحلفون لكم في
الدنيا انهم مسلمون فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين
ونحو ذلك مثلكم وقال ابن عباس يحلفون لله تعالى
يوم القيامة كذبا كما حلفوا لاولياء في الدنيا وهو قولهم
والله ربنا ما كنا مشركين ويحسبون اي في القيامة بايمانهم
الكاذبة انهم على شيء اي يحصل لهم به نفع بانكارهم وحلفهم
وقيل يحسبون في الدنيا انهم على شيء لانهم في الآخرة
يعلمون الحق باضطرار والاول اظهر والمعنى انهم لشدة
تدغلهم في النفاق ظنوا يوم القيامة انهم يمكنهم ترويج
كذبهم بالايمان الكاذبة على علام الغيوب واليه
الاشارة بقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ينادي مناد يوم القيامة اين خصماء الله تعالى
فتقوم القدرية مسودة وجوههم مزرقة اعينهم
مائل شدقهم يسيل لعابهم فيقولون والله ما عبدنا
من دونك شمسا ولا قمرا ولا صنما ولا اتخذنا من دونك

اليها قال ابن عباس صدقوا ولكن اتاهم الشرك من حيث
لا يعلمون ثم تلا ويحسبون انهم على شيء وقرا ابن عامر
وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها الا انهم هم
الكاذبون اي المحكوم بكذبهم في حسابهم هم والله الغدرة
ثلاثا استحوذ اي استولى عليهم الشيطان مع انه طريد
ومحترق وحصل منهم الى ما يريد وملكهم ملكا لم يبق
لهم معه اختيار فصار ذلك عينه وصار هو محيطا بهم من
كل جهة غالبا عليهم ظاهرا او باطنا من قولهم حذف
الابل وحذتها اذا استوليت عليها وبحوزه السوق السريع
ومنه الاحوذي الابل وحذتها واستحوذ مما جاء على
الاصل وهو ثبوت الواو دون قلبها الفا فانساهم اي تسبب
عن استحواذه عليهم ان انساهم ذكر الله اي الذي له
الاسماء الحسنى والصفات العلى اولئك اي البعداء البغضاء
حزب الشيطان اي اتباعه وجنوده وطائفته واصحابه
الا ان حزب الشيطان اي الطريد المحترق هم الخاسرون
اي العريقون في هذا الوصف لانهم لم يظفروا بغير
الطرد والاحتراق ان الذين يحادون الله اي يفعلون مع
الملك الاعظم الذي لا كفوء له فعل من ينازع اخر في
الارض فيغلب على طائفة فيجعل لها حدا لا يتعداه
خصمه ورسوله اي الذي عظمته من عظمته اولئك
اي البعداء البغضاء في الاذلين اي في جملة من هو اذل
خلق الله تعالى واختلف في معنى قوله تعالى كتب الله
اي الملك الذي لا كفوء له فقال اكثر المفسرين اي

قضى

قضى الله عز وجل لاغلبن وقال قتادة كتب في اللوح
المحفوظ وقال الفراء كتب بمعنى قال انا ورسلي اي من
بعث منهم بالحرب ومن بعث منهم بالحجة فان انضم
الى الغلبة بالحجة الغلبة بالحرب كان اغلب واقوى وقال
مقاتل قال المومنون لئن فتح الله لنا مكة والطائف
وخيبر وما حولهن رجونا ان يظهرنا الله تعالى على
فارس والروم فقال عبد الله بن ابي بن سلول اتظنون
الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله
انهم لاكثر عددا واشد بطشا من ان تظنوا فيهم
فنزل لاغلبن انا ورسلي ونظيره قوله تعالى ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وقرا نافع وابن عامر بفتح
الياء والباقون بالسكون ان الله اي الذي له الامر
كله قوي اي على نصر اوليائه عزيز اي لا يغلب عليه
في مراده ثم نهى تعالى عن موالاة اعداء الله بقوله
سبحانه لا تجد اي بعد هذا البيان قوما اي ناسا
لهم قوة على ما يريدون يؤمنون اي يجددون الايمان
ويديمونه بالله اي الذي له صفات الكمال واليوم الاخر
اي الذي هو موضع الجزاء الكامل لكل ما عمل الذي
هو محط الحكمة يوادون اي يحصل منهم ود لا ظاهرا
ولا باطنا من حاد الله اي عادى بالمناصبة فحدود الله
تعالى ورسوله فان من حاده فقد حاد الذي ارسله بل
لا تجدهم الا يحادونهم لانهم يوادونهم وذا دعا ذلك

تاكيد لقوله تعالى ولو كانوا اباءهم اي الذين اوجب الله
تعالى على الابناء طاعتهم في المعروف وذلك كما فعل ابو
عبيدة بن الجراح حيث قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم
احد او ابناءهم اي الذين جبلوا على محبتهم ورحمتهم
كما فعل ابو بكر فانه دعا ابنه يوم بدر الى المبارزة وقال دعني
يا رسول الله اكن في الرعلة الاولى فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك
عندي بمنزلة سمعي وبصري او اخوانهم اي الذين هم
اعضادهم كما فعل مصعب بن عمير يوم احد وحمزة سعد
بن ابي وقاص غير مرة فراغ عنه مرتفعا ان الثعلب
فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم وقال اتريد ان تقتل
نفسك وقتل محمد بن مسلمة الانصاري اخاه من الرضاع
كعب بن الاشرف اليهودي رأس بني النضير او عشيرتهم
اي الذين هم انصارهم وامدادهم كما قتل عمر خاله
العاصي وهشام بن المغيرة يوم بدر وعلي وحمزة
وعبيدة بن الحارث قتلوا يوم بدر بني عمهم عتبة
وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وعن الثوري
ان السلف كانوا يرون ان الاية نزلت فيمن يصحب
السلطان انتهى ومدار ذلك على ان الانسان ينقطع
رجاءه من غير الله تعالى وان لم يكن كذلك لم يكن مخلصا
في ايمانه تنبيه قدم الاباء لانهم تجب طاعتهم
على ابنائهم ثم ثنى بالابناء لانهم اعلق بالقلوب وهم
حباتها ثم ثلث بالاخوان لانهم هم الناصرون

بمنزلة

بمنزلة العضد من الذراع قال الشاعر
اخاك اخاك ان من لا اخا له كساع الى الهيجا بغير سلاح
وابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح
ثم ربع بالعشيرة لان بها يستغاث وعليها يعتمد والمعنى
ان الميل الى هؤلاء اعظم انواع المحبة ومع هذا فيجب
ان يكون هذا الميل مطرحا بسبب الدين قال ابن
عباس نزلت هذه الاية في ابي عبيدة بن الجراح لما
قتل اباه وعمر بن الخطاب لما قتل اخاه العاصي بن هشام
يوم بدر وروي انها نزلت في ابي بكر وذلك ان ابا قحافة
سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه صكة او فعلت
قال نعم قال لا تعد اليه فقال والذي بعثك بالحق نبيا لو
كان السيف معي قريبا لقتلته فقوله لم يوادوا اقاربهم
قالت استدل مالك بهذه الاية على معاداة القدرية
وترك مجالستهم قال القرطبي وفي معنى اهل القدر
جميع اهل الظلم وعن عبد العزيز بن ابي داود انه لقي المنصور
في الطواف فلما عرف هرب منه وتلا الاية وقال صلى
الله عليه وسلم اللهم لا تجعل للفاجر عندي نعمة فاني
وجدت فيما اوحيت الي لا تجد قوما يؤمنون بالله
واليوم الاخر الاية اولئك اي الذين لا يوالونهم كتب اي
اثبت قال الربيع بن انس وقيل جعل كقوله تعالى
واكتبنا مع الشاهدين اي اجعلنا وقوله تعالى فساكتبها
للذين يتقون وقيل كتب في قلوبهم الايمان علامة فيه
وشرح له صدورهم اي على قلوبهم كقوله تعالى في

حذو ع النخل وخص القلوب بالذكر لانها موضع الايمان قال البيضاوي وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه وايدهم اي قواهم وشددهم ونصرهم بروح اي نور يشرق حدايقهم فيه ما ادرج في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من نور العلم والعمل منه اي من الله تعالى احياهم به فلا انفكاك لذلك عنهم في وقت من الاوقات فانه فاتم لهم استقامة المنهج ظاهرا وباطنا فعملوا الاعمال الصالحة فكانوا للدنيا اولياء الله تعالى ومعاداة اعدائه بل هو عين الاخلاص ومن جنح الى منحرف عن دينه او داهن مبتدعا في عقيدته نزع الله نور التوحيد من قلبه قال الزمخشري ويجوز ان يكون الضمير للايمان اي بروح من الايمان على انه في نفسه روح لحياة القلوب به وقال ابن عباس نصرهم على عدوهم وسمى تلك النصرة روحا لان به يحيى امرهم وقال الربيع بن انس بالقرآن وحججه وقال ابن جريج بنور وبرهان وهدى وقيل برحمة وقيل ايدهم بجبريل عليه السلام ويدخلهم جنات اي بساتين تستر داخلها من كثرة اشجارها واخبر عن ريها بقوله تعالى تجري من تحتها اي قصورها الانهار فهي لذلك كثيرة الرياض والاشجار قال تعالى خالدين فيها لان ذلك لا يلذ الا بالدوام وقال تعالى رضي الله اي الملك الاعظم

عنهم

عنهم لان ذلك لا يتم الا برضى مالكها الذي له الملك كله ورضوا عنه لانه اعطاهم فوق ما يأملون اولئك اي الذين هم في الدرجات العلى من العظمة لكونهم قصروا ودهم على الله تعالى علما منهم بانه ليس الضر والنفع الا بيده حزب الله اي جند الملك الذي احاط بجميع صفات الكمال الاعلى وهم هو الموصوفون ومن والاهم الا ان حزب الله هم المفلحون اي الذين حازوا الظفر بكل ما يؤملون في الدارين وقد علم من الرضا من الجانبين والحزبية والا فلاح عدم الانفكاك عن السعادة فاغنى ذلك عن تقييد الخلود بالتابيد فايدة هذه السورة نصف القرآن عددا وليس فيها آية الا وفيها ذكر الجلالة الكريمة مرة او مرتين او ثلاثا وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله تعالى يوم القيامة حديث موضوع

سورة الحشر مدنية

في قول الجميع وهي اربعة وعشرون آية واربعمائة وخمس واربعون كلمة والف وستمائة وثلاثة عشر حرفا بسم الله الملك الاعظم الذي لا خلف لميعاده الرحمن الذي عمت نعمته ايجاده الرحيم الذي خص اهل وده بالتوفيق فهم اهل السعادة ولما ختمت المجادلة بانه يعز اهل طاعته ويذل اهل معصيته تنزه عن النقائص تاييد للوعد بنصرهم فقال تعالى سبح اي اوقع التنزيه الاعظم عن كل شائبة نقص لله الذي احاط بجميع

صفات الكمال ما في السموات اي كلها وما في الارض اي كذلك
وقيل ان اللام مزيدة اي نزهه واتي بما تغليبا للاكثر
وجمع السماء لانها اجناس قيل بعضها من فضة وبعضها
من غير ذلك وافرد الارض لانها جنس واحد وهو اي
والحال انه وحده العزيز اي الذي يغلب كل شي ولا يمتنع
عليه شي الحكيم الذي نفذ علمه في الظواهر والبواطن
واحاط بكل شي فاتقن ما اراد فكل ما خلقه جعله
علي وحدانيته دليله والي بيان ماله من العزة والحكمة
سبيله وقرا قالون وابو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون
بضمها قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير
وذلك ان النبي صلي الله عليه وسلم لما دخل المدينة
صالحه بنوا النضير علي ان لا يكونوا عليه ولا له فلما
غزا بدرا وظهر علي المشركين قالوا هو النبي الذي
نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا احدا وهزم
المسلمون ارتابوا واظهروا العداوة لرسول الله صلي الله
عليه وسلم والمومنين ونقضوا العهد الذي كان
بينهم وبين رسول الله صلي الله عليه وسلم والمومنين
وركب كعب بن الاشرف في اربعين راكبا من اليهود
الي مكة فاتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم علي
ان تكون كلمتهم واحدة علي رسول الله صلي الله عليه
وسلم ودخل ابو سفيان في اربعين وكعب في اربعين
من اليهود المسجد واخذ بعضهم علي بعض الميثاق
بين استار الكعبة ثم رجع كعب واصحابه الي المدينة

فنزل

فنزل جبريل عليه السلام واخبر النبي صلي الله عليه
وسلم بما عاقد عليه كعب وابو سفيان وامر النبي
صلي الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف فقتله
محمد بن مسلمة فلما قتل كعب بن الاشرف اصبح رسول
الله صلي الله عليه وسلم وامر الناس بالمسير الي بني
النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم رسول
الله صلي الله عليه وسلم وجدهم ينوحون علي كعب
وقالوا يا محمد واعية علي اثر واعية وباكية علي اثر
باكية قال نعم قالوا ذرنا نبكي شجونا ثم ائتمر امرك
فقال النبي صلي الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا
الموت اقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب واذنوا
بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن ابي واصحا به
اليهم ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن
معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم
فدربوا علي الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا الغدر
برسول الله صلي الله عليه وسلم فارسلوا اليه ان اخرج
في ثلاثين رجلا من اصحابك ويخرج منا ثلاثون
حتي نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعون
منك فان صدقوك وامنوا بك امنا كلنا فخرج النبي
صلي الله عليه وسلم في ثلاثين من اصحابه وخرج
اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتي اذا كانوا في
براز من الارض قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون
اليه ومعه ثلاثون من رجال اصحابه كلهم يحب الموت

قبله ولكن ارسلوا اليه كيف نفسهم ونحن ستون رجلا
اخرج في ثلاثة من اصحابك ونحن نخرج اليك في
ثلاثة من علمائنا فيسمعوا منك فان امنوا بك امنا
كلنا بك وصدقناك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم
في ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود
حتى اذا كانوا في براز من الارض قال بعض اليهود
لبعض في ثلاثة من اصحابه واشتملوا على الخناجر
وارادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلت
امراة ناصحة من بني النضير الى اخيها وهو رجل من
الانصار فاخبرته بما اراد بنو النضير من الغدر برسول
الله صلى الله عليه وسلم فاقبل اخوها سريعا حتى ادرك
النبي صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم فلما كان الغد
غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب
فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله تعالى في
قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين فسالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان
يخرجوا من المدينة على ما يامرهم به النبي صلى الله
عليه وسلم فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى
ان لهم ما اقلت الابل من اموالهم الا الحلقة وهي
السلاح وعلى ان يخلوا لهم ديارهم وعقارهم
وساير اموالهم قال ابن عباس على ان يحمل كل اهل
بيت على بعير ما شاءوا من متاعهم وللنبي صلى الله
عليه وسلم ما بقي وقال الضحاك على كل ثلاثة نفر

بعيرا

بعيرا وسقا من طعام ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة
الى الشام الى اذرعات واريحا الا اهل بيتين من
ال بني الحقيق وال حيي بن اخطب فانهم لحقوا
بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله تعالى **هو**
اي وحده من غير ايجاف خيل ولا ركاب **الذي اخرج**
اي على وجه القهر **الذين كفروا** اي ستروا ما في
كتبهم من الشواهد لمحمد صلى الله عليه وسلم بانه
النبي الخاتم وما في فطرهم الاولى من اتباع الحق
من اهل الكتاب اي الذي انزل الله تعالى على رسول
الله تعالى على رسوله موسى صلى الله عليه وسلم
وهم بنو النضير وفي التعبير بكفروا اشعارا بانهم الذين
ازالوا التبديل والخفا عاقدوا عليه مما بقي من
التوراة **من ديارهم** اي مساكنهم بالمدينة عقوبة
لهم لان الوطن عديل الروح لانه للبدن كالروح فكان
الخروج منه في غاية العسر قال ابن اسحاق كان اجلا
بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من
احد وفتح قريظة عند مرجعه من الاحزاب وبينهما
سنتان **لاول** الحشر هو حشرهم الى الشام واخراجه
اجلاهم عمر في خلافته الى خيبر وقال مرة الهمداني
كان اول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر
وجميع جزيرة العرب الى اذرعات واريحا من الشام
في ايام عمر وقال القرطبي الحشر الجمع وهو على اربعة
اضرب حشران في الدنيا وحشران في الاخرة اما

الذين في الدنيا فقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا
من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر كانوا من سبط
لم يصيبهم جلاء وكان الله تعالى قد كتب عليهم الجلاء
فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا وكان اول حشر في الدنيا
الى الشام قال ابن عباس وعكرمة من شك ان
الحشر في الشام فليقرا هذه الاية وان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لهم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض
المحشر قال قتادة هذا اول الحشر قال ابن عباس
هو اول من اهل الكتاب واخرج من داره واما الحشر
قال ابن عباس هو اول من الناس يحشرهم قرب القيامة
قال قتادة تاتي نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب
تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتاكل
من تخلف منهم وهذا ثابت في الصحيح وذكروا ان
تلك النار ترى بالليل ولا ترى بالنهار وقال ابن
العربي للحشر اول ووسط واخر فالاول اجلاء بني
النضير والاوسط اجلاء خيبر والاخر حشر يوم القيامة منه
وعن الحسن هم بنوا قريظة وخالفه بقية المفسرين
وقالوا بنو قريظة ما حشروا ولكنهم قتلوا حكاه الثعلبي
وظنوا ايها المومنون ان يخرجوا اي لم تتوقعوا
لخروج من شي او ريمو منهم لما كان لكم من
الضعف ولهم من القوة الكثيرة وشدة باسهم قريه
بني قريظة منهم واهل خيبر ايضا غير بعيد من
عنهم وكلهم اهل ملتهم والمنافقون من انصارهم

فخا

فخابت ظنونهم في جميع ذلك وظنوا انهم وقوله تعالى
مانعتهم حصونهم فيه وجهان احدهما ان تكون حصونهم
مبتدا ومانعتهم خبر مقدم والجملة خبرانهم الثاني
ان تكون مانعتهم خبر انهم وحصونهم فاعل به نحو ان
زيدا قائم ابوه وان عمرا قائمة جاريته وجعله
ابو حيان اولى لان في اولى لان في نحو قائم
زيد على ان يكون خبرا مقدما ومبتدا موخرا
خلافا والكوفيون يمنعون فمحل الوفاق اولى وقال
الزمخشري فان قلت اي فرق بين قولك وظنوا
ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم وبين النظم الذي
جا عليه قلت تقديم الخبر على المبتدا دليل على
فرط وثوقهم ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما
لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في
انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض
اليهم وليس ذلك في قولك حصونهم تمنعهم انتهى
وهذا الذي ذكره انما ياتي على الاعراب الاول
وقد تقدم انه مرجوح ودل على ضعف عقولهم
لان عبر عن جنده بالاسم الاعظم الذي له على الاله
من الله فاتاهم الله اي جاءهم الملك الاعظم الذي لا يخلو
مجيئه من حيث لم يحتسبوا مما صورهم من جنوده انهم
على حسبها وهي خذلان المنافقين رعبا لكل حكمهم
وقرا حمزة والكسائي بالامالة محضا وورش بالفتح
وبين اللفظين والباقون بفتحها وقذف اي انزل

انزال كانه قذف بحجارة فثبت في قلوبهم الرعب اي
الخوف الذي سكنها بعد ان كان الشيطان زين لهم
غير ذلك وملا قلوبهم من الاطماع الفارغة وقرا
في قلوبهم الرعب وعليهم الجلا ولاخوانهم الذين حمزة
والكسائي في الوصل بضم الهاء والميم وابو عمرو بكسرهما
والباقون بكسر الهاء وضم الميم وحرك العين بالضم
ابن عامر والكسائي والباقون بالسكون ثم بين
تعالى حالهم عند ذلك ونفس قذف الرعب بقوله تعالى
يخربون بيوتهم اي ليسلم لهم ما استحسنوه منها من
خشب وغيره وقرا ابو عمرو بفتح الخا وتشديد الراء
والباقون بسكون الخا وتخفيف الراء وهما بمعنى لان
خرب عداه ابو عمرو بالتضعيف وهم بالهمزة وعن
ابي عمرو انه فرق بمعنى اخر فخرب بالتشديد
هدم وافسد واخرب بالهمز ترك الموضع خرابا وذهب
عنه وهو قول الفرا قال المبرد ولا اعلم لهذا
وجها وزعم سيبويه انهما متعاقبان في بعض الكلام
فيجري كل واحد مجرى الاخر نحو فرحته وافرحته
وقرا ورش وابو عمرو وحفص بيوتهم بضم البا
الموحدة والباقون بكسرها بايديهم وايدي المؤمنين
قال الزهري وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما صالحهم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا ينظرون
الى الخشبة في منازلهم فيهدمونها وينزعون ما
استحسنوه منها فيحملونه على ابلهم ويخربه المؤمنون
با

باقيها وقال قتادة والضحاك كان المؤمنون يخربون
من خارج ليدخلوا واليهود من داخل ليبنوا ما خرب
من حصنهم وقال مقاتل ان المنافقين ارسلوا اليهم
ان لا تخرجوا ودربوا عليهم الازقة وكان المسلمون
سائر الجوانب فان قيل بانهم لما عرضوهم لذلك
وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوهم اياه
وقال ابو عمرو بن العلا بايديهم في تركهم لها وبايدي
المؤمنين في اجلائهم عنها ولما كان في غاية الغرابة
ان يهدم الانسان في نفسه ما يفعل فيه عدوه سبب
عن ذلك قوله فاعتبروا اي احملوا انفسكم بالمعاني
في عظيم قدرة الله تعالى والاعتبار ماخوذ من
العبور والمجاوزة وسمي علم التعبير لان صاحبه ينتقل
المعاني عن لسان القائل الى عقل المستمع ويقال السعيد
من اعتبر بغيره لانه ينتقل عقله من حال ذلك الغير
الى حال نفسه ومن لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره ولهذا
قال القشيري الاعتبار هو النظر في حقائق الاشيا وجهات
دلالتها ليعرف بالنظر فيها شي اخر من جنسها ثم بين
ان الاعتبار لا يحصل الا للكمل بقوله تعالى يا اولي الابصار
بالنظر بابصارهم وبصائرهم في غريب هذا الصنع
ليحققوا به ما وعدكم على لسان رسوله صلى الله عليه
وسلم من اظهار دينه واعزاز نبيه ولا تعتمدوا على
غير الله تعالى الاعتبار كما اعتمد هؤلا على المنافقين
فان من اعتمد على مخلوق اسلمه ذلك الى صغاره

ومن لته ولولا أن كتب الله أي فرض فرضا حتما الملك
الذي لا راد لما حكم عليهم الجلاء أي الخروج من ديارهم
والكون في الأرض فأما معظمهم فأجلاهم بخت
نصر من بلاد الشام إلى العراق وأما هؤلاء فجلاهم الله
تعالى بمهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك
الجلاء وجعله على يده صلى الله عليه وسلم فأجلاهم
فذهب بعضهم إلى خيبر وبعضهم إلى الشام مرة
بعد مرة تنبيه قال الماوردي الجلاء أخص من
الخروج لأنه لا يقال إلا للجماعة والإخراج يكون
للجماعة والواحد وقال غيره الفرق بينهما أن الجلاء ما
كان مع الأهل والولد بخلاف الإخراج فإنه لا يستلزم
ذلك لعذبهم أي بالقتل والسبي في الدنيا كما فعل بقريظة
من اليهود ولهم أي على كل حال أي جلوا أو تركوا
في الآخرة التي هي دار البقاء عذاب النار وهو العذاب
الأكبر ذلك أي الأمر العظيم الذي فعله بهم من
الجلاء ومقدماته في الدنيا ويفعله بهم في الآخرة
بأنهم شاقوا الله أي الملك الأعلى الذي له الإحاطة
التامة فكانوا في شق غير شقه بأن صاروا في
شق الأعداء المحاربين بعد ما كانوا في الموادعين
وشاقوا رسوله أي الذي أجله لمن أجل له
ومن يشاق الله أي يوقع في الباطن مشاقة الملك
الأعلى الذي لا كفؤ له في الماضي والحال والاستقبال
فإن الله أي المحيط بجميع العظمة شديد العقاب

و

وذلك كما فعل ببني قريظة بعد هذا حين نقضوا
عهدهم وظاهروا المنافقة في غزوة الأحزاب وكما فعل
بأهل خيبر وقوله تعالى ما شرطية في موضع نصب
بقوله تعالى قطعتم وقوله تعالى من لينة بيان لما واختلف
في معنى قوله تعالى من لينة فأكثر المفسرين على
أنها هي النخلة مطلقا كأنهم اشتقوها من اللين قال
ذو الرمة
كأن قتودي فوقها عش طائر على لينة سوقاء تهفو جنوبها
وقال الزهري هي النخلة ما لم تكن عجوة ولا برنية
وقال جعفر بن محمد هي العجوة خاصة وذلك أن
العتيق والعجوة كانا مع نوح عليه السلام في السفينة
والعتيق الفحل وكانت العجوة أصل الإناث كلها
فلذلك شق على اليهود قطعها حكاه الماوردي
وقال سفيان هي ضرب من النخل يقال لتمرها اللون
وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارجه ويغيب
فيه الضرس النخلة منها أحب إليهم من وصيف
وقيل هي النخلة الكريمة أي القريبة من الأرض
وقيل هي الفسيلة أي لا لغا وهي صغار النخل الكريمة
أي القريبة من الأرض وقيل هي الفسيلة لأنها
ألين من النخلة وقيل هي الأشجار كلها للينها المكبة
وقال الأصمعي هي الدقل قال ابن العربي والصحيح
ما قاله الزهري ومالك وجمع اللينة لين لأنه من
باب اسم الجنس كتمرة وتمر وقد كسر على ليان وهو شاذ

لان تكسير ما يعرف بتا التانيث مما ذكر لينة ورطب
وارطاب والضمير في قوله تعالى او تركتموها عايد
على معنى ما ولما كان الترك يصدق ببقايها مغروزة
او مقطوعة قال تعالى قائمة على اصولها فباذن الله
اي فقطعها بتمكين الملك الاعظم روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم
امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله عند ذلك
وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح امن الصلاح
عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت ان الله
انزل عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون في
انفسهم من قولهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا فاختلفوا
في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افاء الله علينا
وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فانزل الله تعالى هذه
الاية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه
من الاثم وان ذلك كان باذن الله وعن ابن عمر قال
حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير
وقطع اللام في قوله تعالى وليخزي الفاسقين متعلقة
بمحذوف اي واذن في قطعها ليخزي اليهود في اعتراضهم
بان قطع الشجر المثمر فساد وليعز المومنين ويعزهم
وليخزي فان قيل لم خصت اللينة بالقطع اجيب
بانه ان كانت من الالوان فليستبقوا لانفسهم العجوة
والبرنية وان كانت من كرام النخل فيكون غيظ اليهود
اشد واحتجوا بهذه الاية على ان حصون الكفرة وديار

هم

هم يجوز هدمها وتحريقها وتغريقها وان ترمى
بالمناجيق وكذا اشجارهم وعن ابن مسعود انهم
قطعوا منها ما كان موضعا للقتال وروي ان رجلين
كانا يقطعان احدهما العجوة والاخر اللون فسالهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تركتها لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا قطعتها غيظا
للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى
جوازه بحضور النبي صلى الله عليه وسلم لانهما
بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد
مصيب وقال الكيا الطبري قال وان كان الاجتهاد
يبعد في مثله مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم
بين اظهرهم ولا شك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم راى ذلك وسكت فتلقوا الحكم من تقريره
فقط قال ابن العربي وهذا باطل لان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان معهم ولا اجتهاد مع حضوره
صلى الله عليه وسلم وانما يدل على اجتهاد النبي
صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه اخذا بعموم
الاذلة للكفار ودخولا للاذن في الكل بما يقضي
عليهم بالبوار وذلك قوله تعالى وليخزي الفاسقين
وما افاء الله اي رد الملك الذي له الامر كله
ردا سهلا بعد ان كان في غاية العسر والصعوبة
على رسوله فصيره في يده بعد ان كان خروجه
عنها بوضع ايدي الكفرة عليه ظلما وعدوانا كما

دل عليه التعبير بالفيء الذي هو عود الظل الى الناحية
التي كان ابتدا منها منهم اي ردا مبتدا من الفاسقين
فبين تعالى ان هذا فيء لا غنيمة ويدخل في الفيء
اموال من مات منهم بلا وارث وكذا الفاضل عن
وارث لا يحوز وكذا الجزية وعشر تجاراتهم وما
جلوا اي تفرقوا عنه ولو لغير خوف كضر اصابهم
واما الغنيمة فهي ما حصل لنا من الحربيين مما هو
لهم بايجاف حتى ما حصل بسرقة او التقاط وكذا
ما انهزموا عنه عند التقاء الصفين ولو قبل شهر
السلاح او اهداه الكافر لنا والحرب قائمة ولم تحصل
الغنائم لاحد قبل الاسلام بل كانت الانبيا اذا غنموا
مالا جمعوه فتاتي نار من السما فتاخذه ثم احلت
للنبي صلى الله عليه وسلم وكانت في صدر الاسلام
له خاصة لانه كالمقاتلين كلهم نصرة وشجاعة بل
اعظم ثم نسخ ذلك له واستقر الامر على ما هو
في سورة الانفال في قوله تعالى واعلموا انما غنمتم
من شيء الاية واما الفيء فهو مذكور هنا بقوله تعالى
فما اوجفتم اي اسرعتم يا مسلمين عليه ومن في قوله
تعالى من خيل مزيدة اي خيلا واكد باعادة النافي
دفعا لظن من ظن انه غنيمة لاحاطتهم به بقوله
تعالى ولا ركاب والركاب الابل غلب ذلك عليها من
بين المركوبات واحدها راكبة ولا واحد لها من
لفظها وقال الرازي العرب لا يطلقون لفظ الراكب
الا

الا على راكب البعير ويسمون راكب الفرس فارسا
والمعنى لم تقطعوا اليها شقة ولا لقيتم بها حربا ولا
مشقة فانها كانت من المدينة على ميلين فاله
الغزا مشوا اليها مشيا ولم يركبوا خيلا ولا ابلا الا النبي
صلى الله عليه وسلم ركب جملا وقيل حمارا مخطوما
بليف فافتتحها صلحا قال الرازي ان الصحابة طلبوا
من النبي صلى الله عليه وسلم ان يقسم الفيء بينهم
فذكر الله تعالى الفرق بين الامرين وان الغنيمة
هي التي اتعبتم ركابكم فلان الامر مفوضا فيه
الى النبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث شاء ولكن
الله اي الذي له الامر كله فلا كفؤ له يسلط رسله
اي له هذه السنة في كل زمن على من يشاء يجعل ما
اتاهم سبحانه من الهيبة رعبا في قلوب اعدايه والله
اي الملك الذي له الكمال كله على كل شيء يصح ان
تتعلق المشية به وهو كل ممكن من التسليط وغيره
قدير اي بالغ الى اقصى الغايات فلا حق لكم فيه
ويختص به النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذكر معه
في الاية الثانية من الاصناف الاربعة على ما كان
يقسمه من ان لكل منهم خمس الخمس وله صلى الله
عليه وسلم الباقي يفعل فيه ما يشا ثم بين تعالى مصرف
الفيء بقوله تعالى ما افاء الله اي الذي اختص
بالعزة والقدرة والحكمة على رسوله من اهل القرى اي
قرية كانت النضير وغيرها من وادي القرى والصفرا

او ينبع وما هنالك من قرى العرب التي تسمى قرى
عربية فيخمس ذلك خمسة اخماس وان لم يكن في
الاية تخمس فانه مذكور في اية الغنيمة فحمل المطلق
على المقيد وكان صلى الله عليه وسلم يقسم له اربعة
اخماسه وخمس خمسه ولكل من الاربعة المذكورين
معه خمس خمس وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة
محضة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح
فقوله تعالى فلله اي الملك الاعلى الذي الامر
كله بيده ذلك للتبرك فان كل امر لا يبدا فيه
به فهو اجذم وللرسول اي الذي عظمته من عظمته
تعالى وقد تقدم ما كان له صلى الله عليه وسلم واما
بعده صلى الله عليه وسلم فيصرف ما كان له من خمس
الخمس لمصالح المسلمين وسد ثغور وقضاة وعلماء
بعلوم تتعلق بمصالح المسلمين وسد ثغور وقضاة
ما كان له من كتفسير وقراءة والمراد بالقضاة غير
قضاة العسكر اما قضاته وهم الذين يحكمون لاهل
الفي في مغزاهم فيرزقون من الاخماس الاربعة
لا من خمس الخمس يقدم وجوبا الاهم فالاهم واما
الاربعة المذكورة معه صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى ولذي القربى اي منه وهم مؤمنو بني هاشم
وبني المطلب في واحد ويشترك بين اصابعه فيعطى
ولو غنيا لانه صلى الله عليه وسلم اعطى العباس
وكان غنيا ويفضل الذكر على الانثى كالارث

فله

٨٨

فله سهمان ولها سهم لانه عطية من الله تعالى
يستحق بقرابة الاب كالارث سواء الكبير والصغير
والعبرة بالانتساب الى الاباء فلا يعطي اولاد البنات من
بني هاشم والمطلب شيئا لانه صلى الله عليه وسلم لم يعط
الزبير وعثمان مع ان ام كل منهما كانت هاشمية
وقرا حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش بالفتح
ها لفتح ابو عمرو في اليتامى ثانيها المذكور في قوله تعالى
واليتامى اي الفقراء منا لان لفظ اليتيم يشعر بالحاجة لانه
مال او يكفيه اخذ من الكفار فاختص كسهم المصالح
واليتيم الصغير ولو انثى لخبر لا يتم بعد احتلام رواه ابو
داود وحسنه النووي وان ضعفه غيره لا اب له وان
كان له ام وجد واليتيم في البهائم من فقد امه وفي
الطير من فقد امه واباه ومن فقد امه فقط من الادميين
يقال له منقطع ثالثها المذكور في قوله تعالى والمساكين
الصادقين بالفقراء وهم اهل الحاجة منا وتقدم تعريفها
في سورة الانفال وكذا تعريف الرابع المذكور في قوله
تعالى وابن السبيل اي الطريق الفقير منا ذكورا كانوا
واناثا ولو اجتمع في واحد من هذه الاصناف يتم ومسكنة
اعطي باليتيم فقط لانه وصف لازم والمسكنة زائلة
وللامام التسوية والتفضيل بحسب الحاجة ويعم
الامام ولو نائبه الاصناف الاربعة الاخيرة بالاعطا
وجوبا لعموم الاية فلا يخص بالحاصل في موضع حصول
الفي ولا من في كل ناحية منهم بالحاصل فيها نعم لو كان

لحاصل لا يسد مسدا بالنسبة قدم الاحوج فالاحوج
ولا يعم للضرورة ومن فقد من الاربعة صرف نصيبه للباقين
منهم واما الاخماس الاربعة فهي للمرتزقة وهم المرصدون
للجهاد بتعيين الامام لهم بعمل الاولي به بخلاف المتطوعة
فلا يعطون الفي من الزكاة عكس المرتزقة ويشارك
المرتزقة قضاتهم كامرتا   ومؤذنوهم وعمالهم
ويجب علي الامام ان يعطي كلا من المرتزقة بقدر حاجة
مؤنته من نفسه وغيرها والمكان والرخص والغلا وعادة
الشخص مروة وضدها ان براد ان زادت حاجته بزيادة
ولد اوحدوث زوجة فاكثر ومن لا عبد له يعطي من
العبيد ما يحتاجه للقتال معه او لخدمته ان كان ممن
يخدم ويعطي مؤنته بخلاف الزوجات فيعطي لهن
مطلقا لانحصارهن في اربع ثم ما يدفعه اليه لزوجته
وولده الملك فيه لهما حاصل من الفي وقيل يملكه هو
ويصير اليهما من جهته فان مات اعطي الامام ود
ديوانا وهو الدفتر الذي يثبت فيه اسما المرتزقة
واول من وضعه عمر رضي الله تعالي عنه وان ينصب
لكل جمع عريفا وان يقدم في الاسم والاعطا قريشا لانه
شرفهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ولخبر قدموا قريشا
وان يقدم منهم بني هاشم وبني المطلب فبني عبد
شمس فبني عبد العزي فسائر بطون العرب الاقرب
فالاقرب الي النبي صلى الله عليه وسلم فسائر العرب
فالعجم ولا يثبت في الديوان من لا يصلح ومن مرض

فتصحيح

فتصحيح وان لم يرج برؤه ويمسح اسم كل من لم يرج
وما فضل عنهم وزع عليهم بقدر مؤنتهم وللامام صرف
بعضه في نفوذ وسلاح وخيل ونحوها وله وقف عقار
في او بيعه وقسم غلته او ثمنه كقسم المنقول اربعة
خمس الخمس الذي للمصالح لا سبيل الي قسمته ولما علم
سبحانه هذا الحكم في الفي المخالف لما كانوا عليه في الجاهلية
من اختصاص الاغنيا به نبه عليه المطهرة لعظمته
بقوله كي لا يكون اي الفي الذي يسره الله تعالى لحبه
بقوته من قذف الرعب في قلوب اعدائه ومن حقه ان
يعطاه الفقرا دولة اي متداولة بين الاغنيا منكم
اي بيد اولا الاغنيا ويدور بينهم كما كان في الجاهلية
فانهم كانوا يقولون من عز بز ومنه قول الحسن اتخذوا
عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم
اخذه واستاثر به وقرا هشام بخلاف عنه تكون بالتا
نيث دولة بالرفع والباقون بالتذكير والنصب فاما
الرفع فعلي ان كان تامة واما التانيث والتذكير
فواضحان لان تانيثه مجازي واما النصب فعلي انها
الناقصة واسمها ضمير عائد علي الفي والتذكير واجب
لتذكير المرفوع ودولة خبرها وقيل دولة عائد
علي ما باعتبار لفظها وكي لا هنا مقطوعة في الرسم
وما آتاكم الرسول اي وكل شي احضره لكم الكامل في
الرسالة من الغنيمة او مال الفي او غيره فخذوه اي فاقبلوه
لانه حلال لكم وتمسكوا به فان واجب الطاعة وما

نهاكم عنه اي من جميع الاشيا فانتهوا لانه لا ينطق عن
الهوى ولا يقول ولا يفعل الا ما امر به ربه عز وجل
تنبيه هذه الاية تدل على ان كل ما امر به النبي صلى
الله عليه وسلم امر منه الله تعالى لان الاية وان كانت
في الغنايم فجميع اوامره صلى الله عليه وسلم ونواهيه
دخل فيها قال عبد الرحمن بن زيد لقي ابن مسعود
رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال
الرجل تقرا علي بهذا اية من كتاب الله تعالى قال نعم
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال
عبد الله بن محمد بن هارون الفريابي سمعت الشافعي
رضي الله تعالى عنه يقول سلوني عم شيتم اخبركم
من كتاب الله تعالى عنه بقوله سلوني وسنة نبيكم
صلى الله عليه وسلم قال فقلت اصلحك الله تعالى
ما تقول في المحرم يقتل الزنبور قال فقال بسم الله
الرحمن الرحيم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقتدوا بالذين من بعدي ابو بكر وعمر حدثنا سفيان
بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم
عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب انه امر
بقتل الزنبور وهذا الجواب في غاية الحسن افتى
بقتل الزنبور في الاحرام وبين انه يقتدى به بعمر
وان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالاقتدا
به وان الله تعالى امر بقبول ما يقوله صلى الله
عليه وسلم فجواز قتله من الكتاب والسنة وسيل عكرمة

عن

عن امهات الاولاد فقال هن احرار فقال في سورة النسا
في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي
الامر منكم وفي صحيح مسلم وغيره عن علقمة عن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات
والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله تعالى فبلغ
ذلك امراة من بني اسد يقال لها ام يعقوب فجاءت
فقالت بلغني انك لعنت كيت وكيت فقال وما لي لا
العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في
كتاب الله تعالى فقالت لقد قرات ما بين اللوحين
فما وجدت فيه ما تقول فقال لئن كنت قراتيه
فقد وجدتيه اما قرات وما اتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا قالت فانه قد نهى عنه الحديث
فائدة الوشم هو غرز العضو من الانسان بالابرة
ثم حشيه بالكحل والمستوشمة هي التي تطلب ان يفعل
بها ذلك والنامصة هي التي تنتف الشعر من الوجه
والمتفلجة هي التي تتكلف تفريج ما بين ثناياها
بصناعة وقيل تتفلج في مشيها في كل شي عنه وقرا
حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش بالفتح بين
اللفظين والباقون بالفتح والهمزة ممدودة بلا خلاف
لانها حتى الاعطا واتقوا الله اي واجعلوا لكم رسوله
الله صلى الله عليه وسلم وقاية من عذاب الملك الاعظم
المحيط علما وقدرة وعلل ذلك بقوله تعالى ان الله اي
الملك له الجلال والاكرام على الاطلاق شديد العقاب

اي العذاب الواقع بعد الذنب قال الجاامي ومن
زعم ان منها ما في هذه السورة نسخ بشي مما في
سورة الانفال فقد اخطا لان الانفال نزلت
في بدر وهي قبل هذه بمدة وقوله تعالى **للفقراء**
اي الذي كان الانسان منهم يعصب الحجر على بطنه
من الجوع ويتخذ الحفرة في الشتا تقيه البرد ما له دثار
غيرها بدل من لذي القربى وما عطف عليه قاله
الزمخشري والذي منع الابدال من الله ورسوله
والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لان الله تعالى اخرج رسوله صلى الله عليه
وسلم من الفقرا في قوله تعالى وينصرون الله
ورسوله وانه تعالى يترفع برسوله صلى الله عليه
وسلم عن تسميته بالفقير وقال غيره انه خبر لمبتدا
محذوف اي ولكن الفي للفقرا وقيل تقديره ولكن
يكون للفقرا وقيل تقديره اعجبوا للفقرا واقتصر
على هذا التقدير الجلال المحلي وانما جعله الزمخشري
بدلا من لذي القربى لانه حنفي والحنفية يشترطون
الفقر في اعطاء ذوي القربى من الفي اي كالشافعي
خصص الابدال بما بعده او الفي بين الفقير
والغني وانهم كانوا عند نزول الاية كذلك ثم خصص
بالوصف بقوله تعالى **المهاجرين** وقيد ذلك بقوله
الذين اخرجوا من ديارهم لان الهجرة قد تطلق على من
هجر اهل الكفر من غير مفارقة الوطن وكذا قوله
تعالى **واموالهم** اشارة الى ان الكمال لما كان بستره

الانسان

الانسان كان كانه ظرف له ولما كان طلب الدنيا
من النقائص بين انه اذا كان طلبه لها من الله
تعالى لم يكن كذلك وانه لا يكون قادحا في الاخلاص [الخلاص]
فقال تعالى **يبتغون** اي اخرجوا لكونهم يطلبون
على وجه الاخفا دونه اذ لا يجب عليه سبحانه
لاحد شي بقوله تعالى **فضلا من الله** اي الملك
الاعظم الذي لا كفو له لانه المختص بجميع صفات
الكمال فيغنيهم بفضله عن من سواه **ورضوانا** اي بان
يوفقهم لما يرضيه عنهم ولا يجعل رغبتهم في العوض
منه قادحا في الاخلاص فيوصلهم الى دار كرامته
وقراءتهم بعينها لراد الباقون يكسوها **وينصرون** اي
على سبيل التجديد والاستمرار **الله** اي دين الملك
الاعظم **ورسوله** الذي عظمته بانفسهم واموالهم
ليضمحل حزب الشيطان **اولئك** اي العالو الرتبة
في الاخلاص الفاضلة **هم الصادقون** اي الراسخون
في هذا الوصف لان مهاجرتهم لما ذكر وتركهم لما وصف
دل على كمال صدقهم فيما ادعوه من الايمان بالله
ورسوله صلى الله عليه وسلم حيث نابذوا من عاداهما
ووالوا لباهما وان بعدت دارهم وشط مزارهم
ثم اتبع ذلك المهاجرين بذكر الانصار الذين كانوا
في كل حال معه صلى الله عليه وسلم كالميت بين يدي
الغاسل مهما شا فعل ومهما اراد منهم صار اليه بقوله
تعالى **والذين تبوؤا** اي جعلوا لنا بانه جهدهم **الدار** اي

الكاملة في الدور التي جعلها الله تعالى في الازل
للهجرة وهياها للنصرة وجعلها محلا لهم وفي قوله
تعالى والايمان اوجه احدها انه ضمن تبوؤا معنى
لزموا فيصح عطف الايمان عليه اذ الايمان لا يتبوأ
ثانيها انه منصوب بمقدر اي واعتقدوا والفوا واحبوا
او واخلصوا كقول القائل علفتها تبنا وماء باردا
وقال الاخر ومتقلدا سيفا ورمحا ثالثها انه يجوز في
الايمان فجعل لاختلاطه بهم وثباتهم عليه كالمكان المحيط
بهم فكانهم نزلوه عليه فهذا انما يكون جمع بين الحقيقة
والمجاز في كلمة واحدة وفيه خلاف مشهور رابعها
ان يكون الاصل دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف
في الدار مقام المضاف اليه منها خامسها ان يكون
سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان
قال هذه الوجوه الزمخشري وليس فيه الا قيام
الى مقام المضاف اليه فالكوفيون يجوزونه كقوله
تعالى فان الجنة هي الماوى اي ماواه والبصريون
يمنعونه ويقولون الضمير محذوف اي الماوى له
واما كونها عوضا عن المضاف اليه فقاله ابن
عادل لا نعرف فيه خلافا سادسها انه منصوب على
النصب المفعول معه اي مع الايمان قال وهب سمعت
مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها من الافاق
فقال ان المدينة تبوأت بالايمان والهجرة وان غيرها
من القرى افتتحت بالسيف ثم قرا والذين تبوؤا

الدار

٢٩

تكرار

الدار والايمان من قبلهم اي وهم الانصار يحبون
اي على سبيل التجديد والتكرار من هاجر وزادهم محبة
فيهم بقوله تعالى اليهم لان النصر الى الانسان يوجب
حقه عليه لانه لو كمال الكبته لم ما خصه بالقصد
اليه ولا يجدون في صدورهم اي التي هي مساكن قلوبهم
فضلا عما تنطق السنتهم حاجة قال الحسن حسدا
وحزازة وغيظا مما اوتوا اي الفي البين المهاجرين
من اموال بني النضير وغيرهم واطلق لفظ الحاجة
على الحسد والغيظ والحزازة لان هذه الاشياء لا تنفك
عن الحاجة فاطلق اسم اللازم على الملزوم على سبيل
الكناية فعلى هذا يكون الضمير الاول للجائي بعد
المهاجرين وفي اوتوا للمهاجرين وقيل ان الحاجة
على بابها من الاحتياج الا انها واقعة موقع المحتاج
اليه والمعنى ولا يجدون طلب محتاج اليه مما اوتي
المهاجرين من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة
تقول خذ منه حاجتك واعطاه من ماله حاجته
قاله الزمخشري والضميران على ما تقدم وقال ابو
البقاء لحاجة اي انه حذف المضاف اليه فقال
ابن عادل لا نعرف فيه خلافا سادسها انه منصوب
على المفعول معه اي مع الايمان قال وهب سمعت
مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها من القرى
افتتحت بالسيف ثم قرا والذين تبوؤا الدار والايمان
/ / / اي وهم الانصار / / / اي على سبيل

التجديد والتكرار من هاجر وزادهم محبة فيهم بقوله
تعالى اليهم لان القصد الى الاحسان يوجب حقه
عليه لانه لولا كمال محبته لما خصه بالقصد اليه
ولا يجدون في صدورهم اي التي هي مساكن قلوبهم
فضلا عن ان تنطق السنتهم حاجة قال الحسن حسدا
وحزازة وغيظا مما اوتوا اي التي اعطي المهاجرين
من اموال بني النضير وغيرهم واطلق لفظ الحاجة
على الحسد والغيظ والحزازة لان هذه الاشيا
لا تنفك عن الحاجة فاطلق اسم اللازم على الملزوم
على سبيل الكناية فعلى هذا يكون الضمير الاول
للجائي بعد المهاجرين وفي اوتوا للمهاجرين وقيل
ان الحاجة على بابها من الاحتياج الا انها واقعة
موقع المحتاج اليه والمعنى ولا يجدون طلب محتاج
اليه مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج
اليه يسمى حاجة تقول خذ منه حاجتك واعطا
من ماله حاجته قال الزمخشري والضميران على
ما تقدم وقال ابو النحاس لحاجة اي انه حذف
المضاف للعلم به وعلى هذا فالضميران للذين
تبوؤا الدار والايمان قال القرطبي كان المهاجرون
في دور الانصار فلما غنم صلى الله عليه وسلم
اموال بني النضير دعا الانصار وشكرهم فيما صنعوا
مع المهاجرين في انزالهم اياهم منازلهم واشراكهم
في الاموال ثم قال صلى الله عليه وسلم ان احببتم

قسمت

قسمت ما افاء الله علي من بني النضير بينكم وبينهم
وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في
مساكنهم واموالكم وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من
دياركم فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ بل تقسمه
بين المهاجرين ويكونون في ديارنا كما كانوا ونادت
الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقالوا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار
وابناء الانصار واعطى رسول الله صلى الله عليه
وسلم المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة
نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل
ابن حنيف والحارث بن الصمة ولما اخبر تعالى
عن تخليهم عن الرذائل اتبعه الاخبار بتحليهم
بالفضائل فقال عز من قائل ويؤثرون على انفسهم
فيبذلون لغيرهم كائنا من كان ما في ايديهم فان
الايثار تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية
رغبة في الحظوظ الاخروية وذلك ينشا عن قوة
اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة وذكر
النفس دليل على انهم في غاية النزاهة عن
الرذائل فان النفس اذ اطهرت كان القلب
اطهر واكد ذلك بقوله تعالى ولو كان اي كونا هو
هو في غاية المكنة بهم اي خاصة لا بالمؤثر خصاصة
اي فقر وحاجة الى ما يؤثرون به روي عن ابي
هريرة ان رجلا بات به ضيف ولم يكن عنده الا قوته

وقوت صبيانه فقال لامراته نومي الصبية
واطفي السراج وقربي للضيف ما عندك فنزلت
هذه الاية وعنه ايضا قال جا رجل الي النبي صلي
الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الي
بعض نسايه فقالت والذي بعثك ما عندي الا
ما فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم من يضيف
هذا الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال
انا يا رسول الله فانطلق به الي رحله فقال لامراته
هل عندك شي قالت لا الا قوت صبياني قال
فعلليهم بشي فاذا دخل ضيفنا فاطفي السراج وذكر
نحو الحديث الاول وفي رواية فقام رجل من
الانصار يقال له ابو طلحة فانطلق به الي رحله
وذكر المهدوي انها نزلت في ثابت بن قيس ورجل
من الانصار يقال له ابو المتوكل ولم يكن عنده الا قوته
وذكر القشيري قال اهدي لرجل من اصحاب رسول
الله صلي الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي
فلانا وعياله احوج الي هذا منا فبعثها اليهم فلم
يزل يبعث بها واحد الي اخر حتي تداولها سبعة
ابيات حتي رجعت الي الاول فنزلت الاية
وذكر القرطبي عن انس قال اهدي لرجل من
الصحابة راس شاة وكان مجهودا فوجه بها الي جار
له فتداولها سبعة انفس في سبعة ابيات حتي
رجعت الي الاول فنزلت فان قيل فرمح في

الخبر

الخبر النهي عن التصدق بجميع ما يملكه المرء اجيب
بان محل النهي فيمن لا يوثق منه بالصبر علي الفقر
وخاف ان يتعرض للمسالة اذا فقد ما ينفقه واما
الانصار الذين اثني الله تعالي عليهم بالايثار
علي انفسهم فكانوا كما قال تعالي والصابرين في
الباساء والضراء وحين الباس فكان الايثار فيهم
افضل من الامساك والامساك لمن لا يصبر ويتعرض
للمسالة اولي من الايثار كما روي ان رجلا جا الي
النبي صلي الله عليه وسلم بمثل البيضة من الذهب
فقال هذه صدقة فرماه بها وقال ياتي احدكم
بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يقعد فيتكفف الناس
والايثار بالنفس فوق الايثار بالمال وان عاد
الي النفس ومن الامثال والجود بالنفس اقصي
غاية الجود وافضل من الجود بالنفس الجود علي
حماية رسول الله صلي الله عليه وسلم ففي الصحيح
ان ابا طلحة ترس علي رسول الله صلي الله عليه
وسلم يوم احد وكان النبي صلي الله عليه وسلم
يتطلع ليري القوم فيقول له ابو طلحة لا تشرف يا
رسول الله صلي الله عليه وسلم فلته وقال حذيفة
العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي
فاذا برجل يقول اه اه فاشار الي ابن عمي ان انطلق
اليه فاذا هو هشام بن العاص فاشار ان نعم فسمع
اخر يقول اه اه فاشار هشام ان انطلق اليه فجئته

اليه فاذا هو قد امات فرجعت الى هشام فاذا هو
قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال
ابو يزيد البسطامي ما غلبني احد ما غلبني من اهل
بلخ قدم الينا حاجا فقال لي يا ابا يزيد ما حد الزهد
عندكم فقلت وما حد الزهد عندكم فقال اذا فقدنا
شكرنا واذا وجدنا اثرنا وسئل ذو النون ما حد
الزهد قال ثلاث تفريق المجموع وترك تطلب المفقود
والايثار عند القوت وحكي عن الحسن الانطاكي
انه اجتمع عنده نيف وثلاث رجلا بقرية من
قرى الري وبينهم ارغفة معدودة ولا تشبع
جميعهم فكسروا الرغفان واطفاو السراج وجلس
الطعام فلما فرغوا فاذا الطعام بحاله لم ياكل احد
منهم شيئا ايثار لصاحبه على نفسه ومن يوق
شح نفسه اي يجعل بينه وبين اخلاقه الذميمة
المشار اليها بالنفس وقاية تحول بينه وبينها فلا
يكون مانعا لما عنده حريصا على ما عند غيره
حسدا قال ابن عمر الشح ان تطمح عين الرجل
فيما ليس له قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الشح فانه
اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم
واستحلوا محارمهم وقال القرطبي الشح والبخل
سوا وجعل بعض اهل الشح اشد من البخل وفي
الصحاح الشح البخل مع حرص والمراد بالشح في الاية
الشح بالزكاة وما ليس بفرض من صلة ذوي الارحام
والضيافة

والضيافة وما شاكل ذلك وليس بشحيح ولا بخيل
من انفق في ذلك وان امسك عن نفسه ومن وسع
على نفسه ولم ينفق فيما ذكر من الزكاة والطاعات
فلم يوق شح نفسه روى الاحوصي عن ابن مسعود
ان رجلا اتاه فقال اني اخاف ان اكون قد هلكت قال
وما ذاك قال سمعت الله يقول ومن يوق شح نفسه
وانا رجل شحيح لا اكاد اخرج من يدي شيئا فقال
ابن مسعود ليس ذلك الذي ذكر الله تعالى انما الشح
ان تاكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل ان يبخل
الانسان فيما بيده والشح ان يشح بما في ايدي الناس
يحب ان يكون له ما في ايديهم بالحل والحرام فلا يقنع
وقال بعضهم ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان
تطمح عين الرجل فيما ليس له وقال ابن جبير الشح منع
الزكاة وادخار الحرام وقال ابن عيينة الشح الظلم
وقال الليث ترك الفرائض وانتهاك المحارم وقال
ابن عباس من اتبع هواه ولم يقبل الايمان فذلك
الشحيح وقال ابن زيد من لم ياخذ شيئا نهاه
الله تعالى عنه ولم يمنع شيئا امر الله تعالى باعطائه
فقد وقاه الله شح نفسه وعن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال بري من الشح من ادى الزكاة واقرى
الضيف واعطى في النائبة وعنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يدعو اللهم اني اعوذ بك من شح
نفسي واسرافها ووسواسها وقال ابن الهياج الاسكر

رأيت رجلا في الطواف يدعو اللهم قني شح نفسي
لا يزيد عليه ذلك فقلت له فقال إني إذا وقيت شح نفسي
لم أسرق ولم أزن ولم أفعل فإذا الرجل عبد الرحمن
بن عوف قال القرطبي ونزل عليه هذا قوله صلى
الله عليه وسلم اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيا مة
واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم نه
حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم
وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد
أبدا وقال كسرى لأصحابه أي شيء أضر بابن آدم
قالوا الفقر فقال الشح أضر من الفقر لأن الفقير إذا
وجد شبع والشحيح إذا وجد لم يشبع أبدا فأولئك
أي العالو المنزلة هم المفلحون أي الكاملون في الفوز
بكل مراد قال القشيري وتجرد القلب من الأعراض
والأملاك صفة السادة والأكابر لا من أسرته
الأخطار ولما أثنى سبحانه على المهاجرين والأنصار
وهم أهل الاتباع ذكر التابعين لهم بإحسان إلى
يوم الدين فقال تعالى والذين جاءوا أي من الطائفة
كانوا من بعدهم أي بعد المهاجرين والأنصار وهم
من آمن بعد انقطاع الهجرة بالفتح وبعد إيمان الأنصا ر
الذين أسلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى يوم
القيامة يقولون على سبيل التجديد والاستمرار
تصديقا لإيمانهم بدعائهم ربنا أي أيها المحسن إلينا
بإيجاد

بإيجاد من مهد الدين قبلنا اغفر لنا أي محُ
ستر النقائص آثارها وأعيانها ولإخواننا أي في الدين
فإنهم أعظم أخوة وبينوا العلة بقولهم الذين سبقونا
بالإيمان قال ابن عباس الناس على ثلاث منازل
مضت منزلتان وبقيت منزلة فأحسن ما أنتم عليه
أن تكونوا بهذه المنزلة بقيت وعن جعفر بن محمد عن
أبيه عن جده أنه جاء رجل فقال يا ابن بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما تقول في عثمان فقال له يا أخي
أنت من قوم قال الله تعالى فيهم للفقراء المهاجرين
الآية قال لا قال فأنت من قوم قال الله تعالى فيهم
والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم الآية
قال لا قال والله إن لم تكن من أهل الآية الثالثة
لتخرجن من الإسلام وهي قوله تعالى والذين
جاءوا من بعدهم الآية وروي أن نفرا من أهل
العراق جاءوا إلى محمد بن علي بن الحسين
أبو بكر وعمر ثم عثمان فأكثروا فقال لهم أمن المها جرين
الأولين أنتم فقالوا لا قال أمن الذين تبوءوا
الدار والإيمان قالوا لا قال فقد تبرأتم من هذين
الفريقين أنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله
تعالى والذين جاءوا من بعدهم قوموا فعل الله
بكم وفعل تنبيه هذه الآية دليل على وجوب
محبة الصحابة رضي الله عنهم لأنه جعل لمن بعدهم
حظا في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم

والاستغفار لهم ومن ابغضهم او واحدا منهم او
اعتقد فيهم شرا انه لا حق له في الفيء قال مالك من
كان يبغض احدا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم او كان في قلبه لهم غل فليس له حق في المسلمين
ثم قرا والذين جاءوا من بعدهم والاية عامة في جميع
التابعين والاتين بعدهم الى يوم الدين يروى ان
النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام
عليكم دار قوم مومنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون
وددت لو رايت اخواننا فقالوا يا رسول الله السنا اخوانك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انتم اصحابي
واخواننا الذين لم ياتوا بعد وانا فرطهم على الحوض
فبين صلى الله عليه وسلم ان اخوانه كل من ياتي
من بعدهم لا كما قال السدي والكلبي انهم الذين هاجروا
بعد ذلك وعن الحسن ايضا ان الذين جاءوا من
بعدهم من قصد الى النبي صلى الله عليه وسلم الى
المدينة بعد انقطاع الهجرة واعلم بداوا في الدعا لانفسهم
لكونه صلى الله عليه وسلم الدعاء ابدا بنفسك وقال
الشعبي تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة
بخصلة سئلت اليهود من خير ملتكم فقالوا اصحاب
موسى وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا بالاستغفار لهم
فسبوهم وعن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعن

اخرها

اخرها اولها اعاذنا الله تعالى وحمانا من الاهوا المضلة
ولا تجعل في قلوبنا غلا اي ضغنا وحسدا وحقدا وهو
الحرارة والغليان يوجب الانتقام للذين امنوا اي قرنوا
للايمان وان كانوا في ادنى درجاته وقيد بالقلب
لان رد ابل النفس قبل ان تتمكن واهمالها كائنة
مع صحة القلب اوشك ان لا يوثر ربنا اي يا المحسن
الينا بتعليم ما لم نكن نعلم واكدوا اعلاما بانهم يعتقدون
ما يقولون بقولهم انك رءوف اي راحم اشد الرحمة
بما كانت له بك وصلة من افعال الخير رحيم مكرم
غاية الاكرام لمن اردت ولو لم تكن له وصلة فانت
جدير بان تجيبنا لانا نحب ان تكون لنا وصلة به
فنكون من اهل الرافة فنكون من اهل الرحمة
فقد افادت هذه الاية ان من كان في قلبه غل على
احد من الصحابة فليس ممن عنى الله تعالى بهذه
الاية وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي بقصر
الهمزة والباقون بمدها ولما ذكر الله حال المومنين
اتبعهم بذكر حال المنافقين فقال تعالى الم تر اي تعلم
علما هو في قوة الجزم بالمشاهدة يا اعلى الخلق
وبين بعدهم عن جنابه العالي ومنصبه الشريف العالي
باداة الانتهاء فقال تعالى الى الذين نافقوا اي اظهروا
غير ما اضمروا وبالغوا في اخفاء عقائدهم وهم عبد
الله بن ابي واصحابه قالوا والنفاق لفظ اسلامي
لم تكن العرب تعرفه قبله وهو استعارة مما للضب فيها

نفقا

وقاسمانه وصورها لهم بقوله تعالى يقولون لاخوانهم
الذين كفروا اي محطوا انوار المعارف التي دلتهم على
الحق من اهل الكتاب وهم اليهود من بني قريظة
والنضير والاخوان هم الاخوة وهي هنا تحتمل وجوها
تحتمل وجوها احدها الاخوة في الاخرة لان اليهود
والمنافقين اشتركوا تحت عموم الكفر بمحمد صلى الله عليه
وسلم وثانيها الاخوة بسبب المصادقة والموالاة
والمعاونة وثالثها الاخوة بسبب اشتراكهم في عداوة
محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا لليهود لئن اخرجتم اي
من مخرج ما من المدينة لنخرجن معكم اي منها ولا نطيع
فيكم اي في خذلانكم احدا اي يريد خذلانكم من الرسول
والمومنين واكدوا بقولهم ابدا اي مادمنا نعيش وبحمل
هذا العزم استحق الكافر الخلود الابدي في العذاب
وان قوتلتم اي من اي مقاتل كان قتالكم ولم يخرجوا
لننصرنكم اي لنعيننكم ولنقاتلن معكم ولما كان قولهم
هذا كله مما يقضي عليه سامعه بالصدق من حيث
كونه موكدا مع كونه مبتدا من غير سوال اخبر بين حاله
سبحانه بقوله تعالى والله اي يقولون ذلك والحال انه
المحيط بكل شي قدرة وعلما يشهد انهم اي المنافقين
لكاذبون اي فيما قالوه ووعدوا وهذا من اعظم دلايل
النبوة لانه اخبار بغيب بعيد عن العادة ثم اخبرنا تعالى
عن حال المنافقين بقوله تعالى لئن اخرجوا اي بنو النضير
من مخرج كان لا يخرجون اي المنافقين معهم اي لوحشة

لهم

لهم يعلمها الله تعالى ولئن قوتلوا اي اليهود من
اي مقاتل كان فكيف باشجع الخلق واعلمهم صلى الله
عليه وسلم لا ينصرونهم اي المنافقون ولقد صدق
الله تعالى وكذبوا في الامرين من القتال والاخراج
لا نصروهم ولا خرجوا معهم فكان ذلك من اعلام النبوة
وعلم به من كان شاكا فضلا عن المومنين ولئن نصروهم
اي المنافقون في وقت من الاوقات ليولن اي
المنافقون ومن ينصرونه وحضرهم بقوله تعالى
الادبار اي لعدم وجود نصرهم لولوا الادبار
منهزمين ثم لا ينصرون اي لا يتجدد لهم نصرهم ولو لواحد
منهما نصرة في وقت من الاوقات ولم يزل المنافقون
واليهود في الذل لانتم ايها المومنون اشد رهبة اي
خوفا في صدورهم اي اليهود ومن ينصرهم من الله اي
لتاخير الشدة بدفع حزن واضطراب والمعنى انهم
يرهبونكم ويخافون منكم اشد الخوف واشد من رهبتهم
من الله لما مر ذلك اي الامر العظيم وهو خوفهم
الثابت اللازم من مخلوق مثلهم ضعيف لرويتهم
لذو عدم خوفهم الثابت اللازم من الخلق على ماله
من العظمة في ذاته ولكونه غنيا عنهم بانهم قوم
اي على ما لهم من القوة لا يفقهون اي لا يتجدد لهم
بسبب كفرهم واعتمادهم على مكرهم واعتمادهم على
مكرهم في وقت من الاوقات فهم يشرح صدورهم
ليدركوا بها ان الله هو الذي ينبغي ان يخشى لا غيره بل

هم كالانعام لا نظر لهم الى الغيب اعماهم مع المحسوسات
والفقه هو العلم بمفهوم الكلام ظاهره وخفيه وغامضه
يخفى بسرعة فطنة وجودة قريحة لا يقاتلونكم اي اليهود
والمنافقون جميعا اي قتالا يقصدونه مجاهرة وهم
مجتمعون كلهم في وقت من الاوقات ومكان من الاماكن
الا في قرى محصنة اي ممتنعة بحفظ الدروب وهي
السكك الواسعة بالابواب والخنادق ونحوها او من
وراء جدر اي محيط بهم سوا كانت بقرية ام بغيرها لشدة
خوفهم وقد اخرج هذا ما حصل من بعضهم عن غزوة
كالسيرة من كان ينزل من اهل خيبر من يحصن بارز
ونحو ذلك فانه لم يكن عن اجتماع او يكون هذا خاصا
ببني النضير في هذه الكسرة وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر
الجيم وفتح الدال والف بعدها وامال الالف ابو عمرو والبا
قون بضم الجيم والدال بأسهم اي حربهم بينهم شديد
اي بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم بعضا شديدة
وقيل باسهم بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد
فاذا خرجوا اليكم فهم اجبن خلق الله تعالى تحسبهم
اي اليهود والمنافقين باعلى الخلق وبابها للناظر
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائي بكسر السين
والباقون بفتحها جميعا لما هم فيه من اجتماع الاشباح
وقلوبهم شتى اي متفرقة اشد افتراق وموجب هذا
الشتات اختلاف الاهوا التي لا جامع لها من نظام
العقل كالبهايم وان اجتمعوا في عداوة اهل الحق كاجتماع

البهايم

البهايم في الهرب من الذين قال القشيري اجتماع النفوس
مع تنافر القلوب واختلافها اصل كل فساد وموجب كل
تخاذل ومقتضى لتجاسر العدو واتفاق القلوب والاشتراك
في الهمة والتساوي في القصد موجب كل ظفر وكل
سعادة وقرا شتى وحسبهم حمزة والكسائي بالامالة محضة
وورش بالفتح وبين اللفظين وابو عمرو بين والباقون
بالفتح وعلى وزن فعلى ذلك اي الامر الغريب من
الافتراق بعد الاتفاق الذي يحيل الاجتماع بانهم قوم
اي مع شدتهم لا يعقلون اي لا دين لهم مثل
في ترك الايمان كمثل الذين من قبلهم اي يهود من
قريب وهم كما قال ابن عباس بنو قينقاع من اهل دينهم
اليهود اظهروا باسا شديدا عند ما قصدهم النبي
صلى الله عليه وسلم في اثر غزوة بدر وعظهم وحذرهم
بامر الله تعالى فقالوا لا يغرنك يا محمد انك لقيت قوما
اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم اما والله لو قاتلتنا
لعلمت انا نحن الناس ثم مكروا بامراة من المسلمين
اراودوها عن كشف وجهها فابت فعقد طرف ثوبها
من تحت خمارها فلما قامت انكشفت سوءتهما فصاحت
فغار لها شخص من الصحابة فقتل اليهودي الذي عقد
ثوبها فقتلوه فانتقض عهدهم فانزلهم النبي صلى الله
عليه وسلم بساحتهم فاذلهم الله تعالى ونزلوا من
حصنهم على حكمه صلى الله عليه وسلم وقد كانوا حلفا
ابن ابي ولم يغن عنهم شيئا غير انه سال النبي صلى الله

عليه وسلم فوالله لا يقتلهم وعليه حتى كف عن قتلهم
فذهبوا عن المدينة الشريفة بانفسهم من غير حشر لهم
بالالزام بالجلاء ذاقوا وبال امرهم اي عقوبة في
الدنيا من القتل وغيره ولهم عذاب اليم اي مولم في
الاخرة ومثلهم اي مثل الذي سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم
كمثل الشيطان اي البعيد من كل خير لبعده من الله تعالى
المحترق ببعده ابدا والشيطان هنا مثل المنافقين اذ
قال للانسان وهو هنا مثل اليهود اكفر اي بالله بما
زينه له ووسوس اليه من اتباع الشهوات القايم
مقام الامر فلما كفر اي اوجد الانسان الكفر على
اي وجه ودلت الفا على اسراعه في متابعته ترتيبه
قال اي الشيطان الذي هو هنا عبارة عن المنافقين
اني بريء منك اي ليس بيني وبينك علاقة في شيء
اصلا ظنا منه ان هذه البراءة تنفعه شيئا مما استوجبه
المامور بقبوله لامره وذلك مثل ضربه الله تعالى
للمنافقين واليهود في اتخاذلهم وعدم الوفا في
نصرهم وحذف حرف العطف ولم يقل وكمثل الشيطان
لان حذف حرف العطف كثير كقولك انت عاقل انت كريم
الذين من قبلهم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الانسان الذي قال له الشيطان راهب نزلت عنده
امراة اصابها لمم ليدعو لها فزينه له الشيطان فوطئها
فحملت ثم قتلها خوفا من ان يفتضح فدل الشيطان قومها
على موضعها فجاوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاءه

الشيطان

الشيطان فوعده ان سجد له انجاه منهم فسجد له فتبرا
منه وروى عطا وغيره عن ابن عباس قال كان راهب
يقال له برصيصا تعبد في صومعة له سبعين اعياه في
امره الحيل فجمع فقال له الابيض وهو صاحب الانبيا
عليهم السلام وهو الذي تصدى النبي صلى الله عليه
وسلم وجاءه في صورة جبريل عليه السلام ليوسوس
اليه على وجه الوحي فدفعه جبريل عليه السلام الى اقصى
ارض الهند فقال الابيض لابليس انا اكفيك امره
فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط راسه
واتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل
عن صلاته الا في كل عشرة ايام مرة ولا يفطر في كل
عشرة ايام الا مرة فلما راه الابيض انه لا يجيبه اقبل
على العبادة في اصل صومعته فلما انفتل برصيصا
اطلع عن صومعته فراى الابيض انه لا يجيبه اقبل
على العبادة في اصل صومعته قايما يصلي في هيئة
حسنة من هيئة الرهبان فلما راى ذلك من حاله
ندم على نفسه حين لم يجبه فقال انك حين ناديتني
كنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال حاجتي اني
احببت ان اكون معك فاتادب بادبك واقتبس من علمك
ونجتمع على العبادة وتدعو لي وادعو لك فقال
برصيصا اني لفي شغل عنك فان كنت مومنا فان
الله سيجعل لك فيما ادعو للمومنين نصيبا ان استجاب
لي ثم اقبل على صلاته وترك الابيض فاقبل الابيض

يصلي فلم يلتفت اليه برصيصا اربعين يوما فلما
التفت بعدها قايما يصلي فلما راى برصيصا شدة
اجتهاد الابيض قال له ما حاجتك قال حاجتي ان
تاذن لي ان ارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه في صومعته
فاقام حوله يتعبد فلا يفطر الا في كل اربعين يوما مرة
ولا ينفتل من صلاته الا كذلك وربما مد الى الثمانين
فلما راى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه
شان الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا
ان لي صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما
رايت وكان بلغنا عنك انك غير الذي رايت فدخل
من ذلك على برصيصا امر شديد وكره مفارقته للذي
راه من شدة اجتهاده فلما ودعه الابيض قال له
ان عندي دعوات اعلمكها تدعو بهن فهو خير مما انت
فيه يشفي الله تعالى به المريض ويعافي بها المبتلى والمجنون
قال برصيصا اني اكره هذه المنزلة لان لي في نفسي
شغلا واني اخاف ان اعلم بها الناس يشغلوني عن
عبادة ربي عز وجل فلم يزل به الابيض حتى علمه
ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال له والله قد اهلكت الرجل
فانطلق حتى اتى رجلا فخنقه ثم جاه في صورة
رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا افاعالجه
قالوا نعم فقال اني لا اقوى على جنيته ولكن سار
شدكم الى من يدعو الله تعالى فيه فيعافيه انطلقوا الى
برصيصا فان عنده الاسم الذي اذا دعي به اجاب

فانطلقوا به اليه فسالوه فدعى بتلك الكلمات
فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل ذلك بالناس
ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق
الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني اسرائيل
وكان لها ثلاثة اخوة وكان ابوهم هو الملك فلما
مات استخلف اخاه فكان عمها ملك بني اسرائيل فعذب
بها وخنقها ثم جاء اليهم في صورة رجل متطبب فقال انا
عالجها قالوا نعم قال ان الذي عرض لها عليه مارد
لا يطاق ولكن سارشدكم الى رجل تثقون به تدعو
منها عنده اذا جاءها شيطانها دعا لها حتى تعلموا
انها قد عوفيت فتردونها صحيحة قالوا ومن هو قال
برصيصا قالوا وكيف لنا ان يجيبنا الى هذا وما هو اعظم
شانا من ذلك قال ابنوا صومعة الى جنب صومعته
ولتكن لزيق صومعته حتى تشرف عليه فان
قبلها والا فتضعونها في صومعتها وقالوا يا برصيصا
هذه اختنا امانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا
فلما انفتل برصيصا من صلاته عاين الجارية وما
هي عليه من الجمال فوقعت في قلبه ودخل عليه امر
عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها
وتتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال له ويحك واقعها
فلن تجد مثلها وستتوب بعد ذلك ويتم لك ما تريد من
الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على ذلك يأتيها
حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا

قد افتضحت فهل لك ان تقتلها وتتوب فان سالوك
فقل ذهب بها شيطانها ولم اقدر عليه فدخل فقتلها
ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان
وهو يدفنها ليلا فاخذ بطرف ازارها فبقي خارجا
من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته واقبل على صلاته
اذ جاء اخوتها يتعاهدون اختهم وكانوا يجيئون في
بعض الايام يسالون عنها ويوصونه عليها فلما لم يجدوها
قالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا قال قد جاء شيطانها
فذهب بها ولم اطقه فصدقوا وانصرفوا فلما امسوا مكرو بين
جاء الشيطان الى اكبرهم في منامه فقال ويحك ان
برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها في موضع
كذا وكذا فقال الاخ هذا حلم وهو من عمل الشيطان
برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث
فانطلق الى الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط
له مثل ما قال الاكبر ولم يخبر به احدا فانطلق الى اصغرهم
بمثل ذلك فقال الاوسط له مثل ما قال الاكبر ولم يخبر
به احدا فانطلق الى اصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر
لاخويه والله لقد رايت كذا وكذا فقال الاوسط
انا والله رايت مثله وقال الاكبر انا والله رايت مثله
فانطلقوا الى برصيصا وقالوا له ما فعلت باختنا
فقال اليس قد اعلمتكم بحالها فكانكم اتهمتموني
فقالوا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم
الشيطان وقال ويحكم انها مدفونة في موضع

كذا

كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من التراب فا
نطلقوا فراوا اختهم على ما راوا في النوم فذهبوا اليه
ومعهم غلمانهم ومواليهم بالفؤوس والمساحي فهد موا
صومعة برصيصا وانزلوه منها وكتفوه ثم اتوا
به الى الملك فاقر على نفسه وذلك ان الشيطان
اتاه فقال تقتلها ثم تكابر فيجتمع عليك امران قتل
ومكابرة اعترف فلما اعترف امر الملك بقتله وصلبه
على خشبة فلما صلب اتاه الابيض فقال يا برصيصا
تعرفني قال لا قال انا صاحبك الذي علمتك الدعوات
فاستجيب لك ويحك اما اتقيت الله تعالى في ا
مانة خنت اهلها وانك زعمت انك اعبد بني
اسرائيل اما استحييت فلم يزل يعيره ثم قال الم يكفك
ما صنعت حتى اقررت على نفسك وفضحت
نفسك واشباهك من الناس فان مت على هذه
الحالة فلم يفلح احد من نظرائك قال فكيف اصنع
قال تطيعني في خصلة واحدة حتى انجيك مما انت
فيه فاخذ باعينهم واخرجك من مكانك قال وما
هي قال تسجد لي قال افعل فسجد له فقال يا برصيصا
هذا الذي اردت منك صارت عاقبة امرك ان
كفرت بربك اني بريء منك صارت عاقبة امرك
ان كفرت بربك اني اخاف الله ا نو اهلككما الذي لا امر
لاحد معه وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح اليا
والباقون بسكونها رب العالمين اي الذين وجدهم

من العدم وربّاهم بما يدل على جميع الاسماء الحسنى
والصفات العليا فلم يغن احد من خلقه عن احد
شيئا الا باذنه فكان اي فتسبب عن قوله ذلك انه كان
عاقبتهما اي الغارّ والمغرور انهما في النار حال كونهما
خالدين فيها لانهما ظلما ظلما لا فلاح معه وذلك اي
العذاب الاكبر جزاء الظالمين اي كل من وضع العبادة
في غير محلها وهم الكافرون لقوله تعالى ان الشرك
لظلم عظيم قال ابن عباس ضرب الله تعالى هذا
المثل ليهود بني النضير والمنافقين من اهل المدينة
ودس المنافقون اليهم وقالوا لا تجيبوا محمدا الى ما
دعاكم اليه ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم
فاجابوهم وان اخرجوا خرجنا معكم فاجابوهم فدربوا
على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر
المنافقين فناصبوهم الحرب رجاء نصر المنافقين فخذلوهم
وتبرءوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله
فكان عاقبة الفريقين في النار قال ابن عباس وكانت
الرهبان بعد ذلك في بني اسرائيل لا يمشون الا
بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسوق في الاحبار ورموهم
بالبهتان حتى كان امر جريج الراهب فلما براه الله
تعالى مما رموه به انبسطت بعده الرهبان وظهروا
للناس وكانت قصة جريج ما روي عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد
الا ثلاثة عيسى ومريم وصاحب جريج وكان جريج

رجلا

رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته امه وهو
يصلي فقالت يا جريج فقال رب امي وصلاتي واقبل
على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد اتته
فقال مثل مقالته الاولى فقالت لا تمته حتى ينظر
في وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته
وكانت امراة بغي يتمثل بحسنها فقالت ان شئتم
لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت
راعيا كان ياوي الى صومعته فامكنته من نفسها
فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج
فاتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه
فقال ما شانكم فقالوا زنيت بهذه البغي فحملت منك
فقال اين الصبي فجاءوا به فقال دعوني حتى اصلي
فلما انصرف من صلاته اتى الصبي وطعن في بطنه
وقال يا غلام من ابوك قال فلان الراعي قال فاقبلوا
الى جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبني صومعتك
من ذهب قال لا اعيدوها من طين كما كانت ففعلوا
والثالث كلم امه وهي ترضعه في قصة مشهورة
يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان باللسان اتقوا الله
اي اجعلوا لكم وقاية تقيكم سخط الملك الاعظم باتباع
اوامره واجتناب نواهيه واحذروا عقوبته بسبب التقصير
فيما حده لكم من امره ونهيه ولتنظر نفس ما قدمت لغد
اي في يوم القيامة لان هذه الدنيا كلها كيوم واحد
يجيء فيه ناس ويذهبون اخرون والموت والاخرة لا بد
من كل منهما وكل ما لا بد منه فهو في غاية القرب والقر

لكنه عن المستقبل بالغد وقيل ذكر الغد تنبيها على ان
الساعة قريبة كقول القايل وان غدا للناظر قريب
وقال الحسن وقتادة قرب الساعة حتى جعلها كالغد لان
كل آت قريب والموت لا محالة آت ومعنى ما قدمت
اي من خير او شر وتنكير النفس لاستقلال الانفس
التي تنظر فيما قدمت للاخرة كانه قال فلتنظر
نفس واحدة في ذلك وتنكير لتعظيمه وابهام امره
كانه قال الغد لا تعرف كنهه لعظمته وقوله تعالى
واتقوا الله اي الجامع لجميع صفات الكمال تاكيد وقيل
كرر لتغاير متعلق التقويين فمتعلق الاولى اداء الفرايض
لاقترانه بالعمل والثانية ترك المعاصي لاقترانه بالتهديد بد
والوعيد قال معناه الزمخشري ان الله اي الذي له
الاسماء الحسنى والصفات العليا خبير اي عظيم الاطلاع ع
على ظواهركم وبواطنكم والاحاطة بما تعملون فلا
تعملون عملا الا كان مراى منه ومسمع فاستحيوا منه
ولا تكونوا ايها المخاطبون اي التحذير وهم الذين
امنوا كالذين نسوا الله اعرضوا عن اوامر ونواهي
الملك الاعظم وتركوها ترك الناسي لمن برزت
عنه مع ما له من صفات الجلال والاكرام فانساهم
اي فتسبب عن ذلك ان انساهم بما له من الاحاطة
بالظواهر والبواطن انفسهم اي فلم يقدموا لها ما
ينفعها وان قدموا شيئا كان سوءا بالمفسدات
من الريا والعجب فكانوا ممن قال فيه تعالى وجوه خاشعة
عاملة ناصبة الاية لانهم لم يدعوا بابا من ابوابه

الفسق

الفسق فان راس الفسق الجهل بالله وراس العلم ومفتاح
الحكمة معرفة النفس فاعرف الناس بنفسه اعرفهم بربه
اولئك اي البعداء من كل خير هم الفاسقون اي الخارجون
في المروق من دايرة الدين لا يستوي اي بوجه
من الوجوه اصحاب النار اي التي محل الشقا الاعظم
واصحاب الجنة اي التي هي دار النعيم الاكبر لا في
الدنيا ولا في الاخرة واستدل بهذه الاية ان المسلم
لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفايزون اي الناجون
من كل مكروه المدركون لكل محبوب واصحاب النار
هم الهالكون في الدارين كما وقع في هذه الغزوة
بين المومنين وبني النضير ومن والاهم من المنافقين
شتان ما بينهما لو انزلنا اي بعظمتنا العليا التي لها هذا
الجميع الانزال هذا القران اي الجامع لكل حكم على جبل اي
جبل كان وجعلنا فيه تمييزا كما للانسان لرايته باشرف
الخلق وان لم يتاهل غيرك لتلك الرؤية خاشعا متصدعا
من خشية الله اي من الخوف العظيم ممن له الكمال كله
وفي هذا حث على تامل مواعظ القران وتدبر اياته
وتلك الامثال اي التي لا يضاهيها شي نضربها
للناس لعلهم يتفكرون فيعملون والمعنى انا لو انزلنا
هذا القران على الجبل لخشع لوعده وانتم ايها المشهو
رون بالحجارة لا ترغبون في وعيده والغرض من
هذا الكلام التنبيه على قساوة قلوب هولاء
الكفار وغلظ طباعهم ونظيره ثم قست قلوبكم من هولاء

بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وقيل الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم اي لو انزلنا هذا القرآن
يا محمد على جبل لما ثبت وتصدع من نزوله عليه
وقد انزلناه عليك وثبتناك له فيكون ذلك امتنانا
عليه ان ثبته لما لم تثبت عليه الجبال وقيل انه خطاب به
للامة والله تعالى لو انزل هذا القرآن الجبال لتصدعت
من خشية الله تعالى والانسان اقل قوة واكثر ثباتا
فهو يقوم بحقه ان اطاع ويقدر على رده ان عصى
لانه موعود بالثواب ومزجور بالعقاب ولما وصف
تعالى القرآن بالعظيم ومعلوم ان عظم الصفة تابع
لعظم الموصوف اتبع ذلك بوصف عظمته تعالى فقال
عز من قايل هو اي الذي وجوده من ذاته فلا عدم
له بوجه من الوجوه فلا شيء يستحق الوصف هو
غيره لانه الموجود اي ازلا وابدا فهو حاضر في كل ضمير
غايب بعظمته عن كل حس فلذلك تصدع الجبل من خشيته
ولما عبر عنه باخص اسمايه اخبر عنه لطفا بنا وتنزلا
لنا باشهرها الذي هو مسمى الاسما كلها بقوله تعالى
الله اي المعبود الذي لا ينبغي العبادة ولا الالهية الا له
الذي لا اله الا هو اي فانه مجانس له ولا يليق ولا يصح
ولا يتصور ان يكافيه او يدانيه شيء والا لما ادله
اسم الله تعالى فلذلك لا يكون احد مسلما الا بتوحيده
فتوحيده فرض وهو اساس كل فريضة عالم الغيب
اي الذي غاب عن جميع خلقه والشهادة اي وجد فكان

يحسه

يحسه ويطلع عليه بعض خلقه وقال ابن عباس معناه
عالم السر والعلانية وقيل ما كان وما يكون وقال سهل
عالم بالاخرة والدنيا وقيل استوى في علمه السر والعلانية
والموجود والمعدوم وقوله تعالى هو الرحمن الرحيم
معناه ذو الرحمة ورحمة الله تعالى ارادته الخير والنعمة
والاحسان الى خلقه وقيل ان رحمن اشد مبالغة
من رحيم ولذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم الاخرة لانه
باحسانه في الدنيا يعم المومن والكافر وفي الاخرة
يختص انعامه واحسانه بالمومنين هو الله اي الذي
لا يقدر على تعميم الرحمة لمن اراد وتخصيصها بمن يشاء
الا هو الذي لا اله الا هو اي لا معبود بحق الا هو الملك فلا
ملك في الحقيقة الا هو لانه لا يحتاج الى شيء لانه ما
اراد كان فهو متصرف بالامر والنهي في جميع خلقه فهم
تحت ملكه وقهره وارادته القدوس اي البليغ في النزاهة
عن كل وصف يدركه حس او يتصوره خيال او يسبق
اليه وهم او يختلج اليه ضمير وبنظيره السبوح الملايكة
سبوح قدوس رب الملايكة والروح السلام الذي
سلم من النقايص وكل افة تلحق الخلق فهو معطي
السلامة ومنزل دار السلام وسلام عليكم وهو مبالغة
في وصف كونه سليما من النقايص او في اعطايه السلامة
المومن قال ابن عباس هو الذي امن الناس من ظلمه
وامن من امن به عذابه وقيل المصدق لرسله باظهار
المعجزات لهم والمصدق للمومنين بما وعدهم من الثواب

وبما اوعد الكافرين من العذاب وقال مجاهد المومن
الذي وحد نفسه لقوله تعالى شهد الله انه لا اله
الا هو وقال ابن عباس اذا كان يوم القيامة اخرج
اهل التوحيد من النار واول من يخرج من وافق
اسمه اسم نبي حتى اذا لم يبق فيها من وافق اسمه
اسم نبي قال الله تعالى لباقيهم انتم المسلمون وانا
السلام وانتم المومنون وانا المومن فيخرجهم من
النار ببركة هذين الاسمين المهيمن قال ابن عباس
اي الشهيد على عباده باعمالهم الذي لا يغيب
عنه شي وقيل هو القايم على خلقه بقدرته وقيل
هو الرقيب الحافظ لكل شي مفعل من الامن قلبت
همزته ها العزيز الذي لا يوجد له نظير وقيل هو الغالب
القاهر الجبار الذي جبر خلقه على ما اراده او جبر حالهم
بمعنى اصلحه والجبار في صفة الله صفة مدح وفي
صفة الناس صفة ذم وكذا قوله تعالى المتكبر الذي
تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصا في حقه تعالى
صفة مدح لانه له جميع صفات العلو والعظمة وفي
صفة الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذي يظهر من
نفسه التكبر وذلك نقص في حقه لانه ليس له كبر
ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا اظهر الكبر كان كذابا
في فعله سبحان الله اي تنزه الملك العلي الذي اختص
بجميع صفات الكمال تنزها لا تدرك العقول منه اكثر
من انه علا عن اوصاف الخلق فلا بد انه شي من

من

من نقص تعالى عما يشركون اي من هذه المخلوقات
من الاصنام وغيرها مما في الارض او في السما من صغير
وجليل وحقير هو اي الذي لا شي يستحق ان يطلق
عليه هذا الضمير غيره لان وجوده من ذاته ولا
شي غيره الا وهو ممكن ولما ابتدا بهذا الغيب المحض
الذي هو اظهر الاشيا اخبر عنه باشهر الاشيا الذي
لم يقع فيه شركة بوجه فقال تعالى الله اي الذي ليس
له سمي ولا كفوا له فهو المعبود بالحق فلا شريك
له بوجه الخالق اي المقدر للاشيا على مقتضى حكمته
البارئ اي المخترع المنشي للاشيا من العدم الى الوجود
بريا من التفاوت وقوله تعالى المصور الذي يخلق
صور الاشيا على ما يريد بكسر الواو ورفع الرا
اما صفة واما خبر واحترزت بهذا الضبط عن قراة
امير المومنين علي بن ابي طالب والحسن فانهما قرا
بفتح الواو ونصب الرا وهي قراة شاذة وانما تعرضت
لها لابين وجهها وهي ان تخرج هذه القراة على
ان يكون المصور منصوبا بالبارئ والمصور هو
الانسان اما ادم واما هو وبنوه وعلى هذه القراة
يحرم الوقف بل يجب الوصل ليظهر النصب في الرا
والا فقد يتوهم منه في الوقف ما لا يجوز له اي
خاصة الاسما الحسنى اي التسعة والتسعون اسما
الواردة فيها الحديث وقد ذكرتها في سورة الاسرا
والحسنى تانيث الاحسن يسبح اي يكرر التنزيه

الاعظم عن كل شايبة نقص على سبيل التجديد
والاستمرار له اي على وجه التخصيص ما في السموات
اي السموات ومن فيها والارض ومن فيها وهو اي والحال
انه وحده العزيز اي الذي يغلب كل شي ولا يغلبه
شي الحكيم اي الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة
الي الكمال في القدرة والعلم عن معقل بن يسار ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث
مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
وقرا الثلاث ايات من سورة الحشر وكل الله به سبعين
الف ملك يصلون عليه حتي يمسي كان كذلك اخرجه
الترمذي وقال حسن غريب وعن ابي هريرة انه قال
سالت خليلي ابا القاسم رسول الله صلي الله عليه
وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر سورة الحشر
فاكثر قراتها فاعدت عليه فاعاد علي وقال جابر
بن زيد ان اسم الله الاعظم هو الله لمكان هذه الاية
وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلي الله
عليه وسلم قال من قرا سورة الحشر غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر حديث موضوع

سورة الممتحنة مدنية

وهي ثلاث عشرة اية وثلثماية وثمان واربعين كلمة
والف وخمسماية وعشرة احرف بسم الله الذي من
تولاه اغناه عن من سواه الرحمن الذي شمل برحمته
البيان من حاطة بالعقل ووعاه الرحيم الذي خص

بالتوفيق من احبه وارتضاه ونزل في حاطب بن ابي
بلتعة يايها الذين امنوا لا تتخذوا اي انتم تدعون
موالاتي عدوي اي العريق في عداوتكم ما دمتم علي
مخالفته في الدين وعدوكم اولياء وذلك ما روي ان مولاة
لابي عمرو بن صيفي يقال لها سارة اتت النبي صلي
الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال
لها امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت
لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والعشيرة
وقد ذهبت الموالي يعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة
شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني فقال صلي
الله عليه وسلم فاين انت من شبان اهل مكة وكانت
مغنية نائحة قالت ما طلب مني شي بعد وقعة
بدر فحثت رسول الله صلي الله عليه وسلم بني عبد
المطلب علي اعطايها فكسوها وحملوها وزودوها
فاتاها حاطب بن ابي بلتعة واعطاها عشرة دنانير
وكساها بردا واستحملها كتابا الي اهل مكة نسخته
من حاطب بن ابي بلتعة الي اهل مكة اعلموا
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم
وقد توجه اليكم بجيش كالليل واقسم بالله لو لم
يسر اليكم الا وحده لاظفره الله تعالي بكم وانجز
له موعده فيكم فان الله وليه وناصره فخرجت سارة ونزل
جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلي الله عليه وسلم عليا
وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا

في سنانا وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان
بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه
منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوا العجوز
وحلفت ما معها كتاب ففتشوا امتعتها فلم يجدوا معها
كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا
كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه
وقال اخرجي الكتاب والا والله لاجردنك ولاضربن
عنقك فلما رات الجد اخرجته من عقاص شعرها
فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وروي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وروي امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة
هي احدهم فاستحضرها رسول الله صلى الله عليه
وسلم حاطبا وقال له هل تعرف هذا الكتاب اسلمت
ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ
فارقتهم ولكني كنت امرا ملصقا في قريش وروي
عزيزا فيهم اي غريبا ولم اكن من انفسها وكل من
معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم
واموالهم غيري فخشيت على اهلي فاردت ان
اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل
عليهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيا فصدقه
وقبل عذره فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد
اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد
غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم

واضافة

واضافة العدو الى الله تعالى تغليظا في جرمهم
وهذه السورة اصل في النهي عن موالاة الكفار
وتقدم نظيره في قوله لا يتخذ المومنون الكافرين
اولياء وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة
من دونكم روي انه خاطبه بيا ايها الذين امنوا على
عليه من المنع بخطاب الايمان ثم انه تعالى
استانف بيان هذا الاتخاذ بقوله تعالى مشيرا الى
غاية الاسراع والمبادرة الى ذلك بالتعبير بقوله
تعالى تلقون اي جميع ما هو في حوزتكم مما لا تطمع
فيه القا الشي لتخيل من علو اليهم على بعدهم
منكم حسا ومعنى بالمودة اي بسببها قال القرطبي تلقون
اليهم بالمودة يعني بالظاهر لان قلب حاطب كان
سليما بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اما صاحبكم فقد صدق هذا نص في سلامة
فواده وخلوص اعتقاده وقرا حمزة بضم الهاء والباقون
بكسرها وقوله تعالى وقد كفروا اي غطوا جميع
ما لكم من الادلة بما اي بسبب ما جاءكم من الحق اي
الامر الثابت الكامل في الثبات الذي لا شيء اعظم
ثباتا منه من فاعل تلقون اي لا تتولوهم ولا توادوهم وهم
وهذه حالهم وقوله تعالى يخرجون الرسول يجوز ان
مستانفا وان يكون تفسيرا لكفرهم فلا محل له على
هذين وان يكون حالا من فاعل كفروا وقوله تعالى
واياكم عطف على الرسول وقدم عليهم تشريفا له صلى

الله عليه وسلم وقوله تعالى ان تؤمنوا اي لاجل ان توقعوا
حقيقة الايمان مع التجدد والاستمرار بالله اي الذي
اختص بجميع صفات الكمال ربكم اي المحسن اليكم فتلبسل
يخرجون والمعني يخرجون الرسول ويخرجونكم من
مكة لان تؤمنوا بالله اي لاجل ايمانكم بالله قال ابن
عباس وكان حاطب ممن اخرج مع النبي صلى الله
عليه وسلم وفي ذلك تغليب المخاطب والالتفات
من التكلم الي الغيبة للدلالة علي ما يوجب
الايمان ان كنتم خرجتم اي عن اوطانكم وقوله
تعالى جهادا في سبيلي اي بسبب ارادتكم تسهيل طريقي
التي شرعتها لعبادي ان يسلكوها وابتغاء مرضاتي
اي ولاجل تطلبكم اعظم الرغبة لرضائي علة للخروج
وعمدة التعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا
وقرا الكسائي بالامالة محضة والباقون بالفتح وقوله
تعالى تسرون اي توجدون ما يدل علي مناصحتهم
والتودد اليهم بالمودة اي بسببها بدل من تلقون
قاله ابن عطية قال ابن عادل ويشبه ان يكون
بدل اشتمال لان القاء المودة يكون سرا وجهرا
او استئناف واقتصر عليه الزمخشري وانا اي والحال اني
اعلم اي من كل احد حتى من نفس الفاعل وقرا
نافع بمد الالف بعد النون بما اخفيتم وما اعلنتم قال
ابن عباس بما اخفيتم في صدوركم وما اظهرتم
بالسنتكم اي فاي فائدة لاسراركم ان كنتم تعلمون

اي

اي عالم به وان كنتم تتوهمون اني لا اعلمه فهي
المعصية ومن يفعله اي يوجد اسرار خبرا اليهم وبكا
تبهم منكم اي في وقت من الاوقات فقد ضل اي
عمي ومال واخطا سواء السبيل اي قوام الطريق
الواسع الموصل الي القصد قويمة وعدلة قال
القرطبي هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل علي
فضله وكرامته ونصيحة لرسوله صلى الله عليه
وسلم وصدق ايمانه فان المعاتبة لا تكون الا من
محب لحبيب كما قال القايل ٥٥
اذا ذهب العتاب فليس ود ٥ ويبقي الود ما بقي العتاب
وقرا قالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال عند
الضاد والباقون بالادغام ان يثقفوكم اي وان
يظفروا بكم للمودة اليهم يكونوا لكم اعداء اي خالصة
وان كان هناك في ذلك الوقت من غير من قتل
اعز الناس عليهم ويبسطوا اي بالضرب ان استطاعوا اليكم ايديهم
والسنتهم اي بالشتم مضمومة الي فعل الايدي فعل من
ضاق صدره بما يجرع من اذى المقصص حتى اوصل
لغاية الشدة بالسوء اي بكل ما من شانه ان يسوء
وودوا اي تمنوا قبل هذا لو تكفرون لان مصيبة
الدين اعظم فهي اليها اسرع لان داب العدو القصد
الي اعظم ضرايره لعدوه وعبر بما يفهم التمني الذي
يكون في المحالات ليكون المعني انهم احبوا ذلك
غاية المحبة وتمنوه وفيه بشري لانه من قبيل المحال

وقدم الاول لانه ابين في العداوة وان كان الثاني
انكارها كانت عداوتهم معروفة وانما غطاها محبة
القرابات لان تعبه للشي يعمي ويصم فخطابهم
في موالاتهم بما اعلمهم به من حالهم فقال تعالى مبينا
اعلاما بانها خطا على كل حال لن تنفعكم اي بوجه
من الوجوه ارحامكم اي قراباتكم الحاملة لكم على
رحمتكم والعطف عليهم ولا اولادكم اي الذين هم
اخص الارحام لكم ان واليتم اعداء الله لاجلهم فينبغي
ان لا تعدوا قربهم منكم بوجه اصلا ثم علل ذلك وبينه
بقوله تعالى يوم القيامة اي القيام الاعظم يفصل
اي الفيصل وهو الفرقة العظيمة بانقطاع جميع الاسباب
وقرا عاصم بفتح اليا واسكان الفا وكسر الصاد مخففة
وقرا ابن عامر بضم اليا وفتح الصاد مشددة وحمزة
والكسائي كذلك الا انهما يكسران الصاد والباقون بضم
وسكون الفا بينكم اي ايها الناس فيدخل من يشاء
من اهل طاعته الجنة ومن يشاء من اهل معصيته النار
فلا ينفع احد منكم بشي من الاشيا الا ان كان قد اتى
الله تعالى بقلب سليم فاذن الله تعالى في اكرامه بذلك
والله اي الذي له الاحاطة التامة بما تعملون اي
من كل عمل في كل وقت بصير فيجازيكم عليه في الدنيا
والاخرة ولما نهى الله تعالى عن موالاة الكفار ذكر
قصة ابراهيم عليه السلام وان سيرته التبري
من الكفار بقوله قد كانت اي وجدت وجودا تاما

وكان

وكان تانيث الفعل اشارة الى الرضا بها ولو كانت
على ادنى الوجوه لكم اي ايها المومنون اسوة
اي قدوة موضع اقتدا وتاسيه في ابراهيم وطريقة
مرضية وقرا اسوة في الموضعين عاصم بضم الهمزة
والباقون بكسرها حسنة اي يرغب فيها في ابراهيم
اي في قول ابي الانبيا عليه السلام والذين معه اي ممن
كان قبله من الانبيا قال البقاعي ومن امن به
في زمانه كابن اخيه لوط عليه السلام وهم قدوة
اهل الجهاد والهجرة وقيل المراد بمن معه اصحابه
من المومنين وقرا هشام بفتح الها والف بعدها
والباقون بكسر الها ويا بعدها اي فاقتدوا به الا
في استغفاره لابيه قال القرطبي الاية نص في الامر
بالاقتدا بابراهيم عليه السلام في فعله وذلك
يدل على ان شرع من قبلنا شرع لنا فيما اخبر
الله تعالى ورسوله وقيل انه شرع لنا ان ورد في
شرعنا ما يقرره وقيل ليس بشرع لنا مطلقا وهو
الاصح عندنا اذ اي حين قالوا وقد كان من امن
بهم اقل منكم واضعف لقومهم اي الكفرة وقد كانوا اكثر من
عددكم واقوى وكان لهم فيهم ارحام وقرابات ولهم
فيهم رجا بالمقام والمحاولات انا براء اي متبرئون
تبرية عظيمة منكم وان كنتم اقرب الناس الينا ولا
ناصر لنا منهم غيركم ومما تعبدون اي توجدونه
عبادة في وقت من الاوقات من دون الله اي

الملك الاعظم كفرنا بكم اي جحدناكم وانكرنا دينكم وبدا اي
ظهر ظهورا عظيما بيننا وبينكم العداوة وهي المباينة
في الافعال بان يعدو كل علي الاخر والبغضاء وهي المباينة
بالقلوب بالبغض العظيم ولما كان ذلك قد يكون
سريع الزوال قالوا ابدا اي علي الدوام وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو في الوصل بابدال الهمزة الثانية
المفتوحة بعد المضمومة واوا خالصة والباقون
بتحقيقهما وهم علي مراتبهم في المدود ووقف حمزة
وهشام بابدال الهمزة الفا مع المد والتوسط والقصر
ولهما ايضا التسهيل مع المد والقصر والروم معهما
ولما كان ذلك موئسا من صلاح الحال وقد يكون
لحظ نفس بين غايته بقولهم حتى تؤمنوا بالله
اي الملك الذي له الكمال كله وحده اي تكونوا مكذبين
بكل ما يعبد من دون الله تعالى وقوله تعالى
الا قول ابراهيم لابيه فيه اوجه احدها انه استثنا
متصل من قوله تعالى في ابراهيم ولكن لا بد
من حذف مضاف ليصح الكلام تقديره في مقا
لات ابراهيم الا قوله كيت وكيت فانها انه تستثني
من اسوة حسنة واقتصر علي ذلك لكمال
الجلي وجاز ذلك لان القول ايضا من جملة
الاسوة لان الاسوة الاقتدا بالشخص في اقواله
وافعاله فكانكم قيل لكم فيه اسوة في جميع احواله
من قول وفعل الا قوله كذا وهذا واضح لانه

غير

غير محتاج الي تقدير مضاف وغير مخرج الاستثنا من
الاتصال الذي هو اصله الي الانقطاع ولذلك
لم يذكر الزمخشري غيره ثانيها قال ابن عطية ويحتمل
ان يكون الاستثنا من التبري والقطيعة التي
ذكرت اي لم يبق صلة الا كذا رابعها انه استثنا منقطع
اي لكن قول ابراهيم وهذا بنا من قائله علي ان
القول لم يندرج تحت قوله اسوة وهو ممنوع قال
القرطبي معنى قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه
لاستغفرن لك اي فلا تتاسوا به في الاستغفار فتستغفروا
للمشركين فانه كان عن موعدة منه له قاله قتادة
ومجاهد وغيرهما وقيل معنى الاستثنا ان ابراهيم
هجر قومه وباعدهم الا في الاستغفار لابيه ثم
بين عذره في سورة التوبة وفي هذا دلالة علي
تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى ساير
الانبيا لانا حين امرنا بالاقتدا به امرنا مطلقا
في قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وحين امرنا بالاقتدا بابراهيم استثنى
بعض افعاله وهذا انما جرى لانه ظن انه اسلم
فلا يجوز الاستغفار لمن يظن انه اسلم وانتم لم
تجدوا مثل هذا الظن فلم توالوهم وقوله وما املك
لك من الله اي من عذاب او ثواب الملك الاعلى
المحيط بنعوت الكمال من شي من تمام قوله المستثنى
ولا يلزم من استثنا المجموع استثنا جميع احواله

وقوله ربنا ايها المحسن الينا عليك اي لا علي غيرك توكلنا
اي فوضنا امرنا اليك يجوز ان يكون من مقول ابرهيم
عليه السلام والذين معه فهو من جملة الاسوة لكنه
وفصل بينهما بالاستثنا ويجوز ان يكون منقطعا
عما قوله علي اضمار قول وهو تعليم من الله تعالي
لعباده كانه قال لهم قولوا ربنا عليك توكلنا واليك
اي وحدك انبنا اي رجعنا بجميع ظواهرنا وبواطننا
واليك وحدك المصير اي الرجوع في الاخرة ربنا اي
ايها المربي لنا والمحسن الينا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا
اي بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله
او فيظنوا انهم علي حق فيفتتنوا بذلك وقيل لا
تعذبنا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هولا
علي الحق لما اصابهم ذلك وقيل لا تسلط عليهم
الرزق دوننا فان ذلك فتنة لهم واغفر لنا اي
استر ما وقع منا من الذنوب وامح عينه واثره
ربنا اي ايها المحسن الينا واكدوا اعلا ما بلذة ر
رغبتهم في حسن الثنا عليه قالوا انك انت اي
وحدك لا غيرك العزيز الذي يغلب كل شي ولا
يغلبه شي الحكيم اي الذي يصنع الاشيا في اتقن
محالها فلا يستطاع نقضها ومن كان كذلك فهو
حقيق بان يعطي من امله ما طلبه ثم قوله
تعالي لقد كان لكم اي يا امة محمد جواب قسم مقدر
فيهم اي ابراهيم ومن معه من الانبيا والاوليا

اسوة حسنة اي في التبري من الكفار كرر للتاكيد
وقيل نزل الثاني بعد الاول بمدة قال القرطبي
وما اكثر المكررات في القران علي هذا الوجه
وقوله تعالي لمن كان يرجوا الله اي الملك المحيط
بجميع صفات الكمال واليوم الاخر الذي يحاسب فيه
علي النقير والقطمير بدل من الضمير في لكم بدل
بعض من كل وفي ذلك بيان ان هذه الاسوة
لمن يخاف الله ويخاف عذاب الاخرة ومن يتول اي
يوقع الاعراض عن اوامر الله تعالي فيوالي الكفار
فان الله اي الذي له الحمد المحيط لاحاطته با
وصاف الكمال فهو حميد في نفسه وصفاته او حميد
الي اوليايه واهل طاعته ولما نزلت الاية
الاولي عادت المسلمون اقرباهم من المشركين
فعلم الله تعالي شدة وجد المسلمين في ذلك فنزل
هو الغني الحميد اي انتم حديرون بان تطمعوا في
الملك المحيط بكل شي قدرة وعلما عسي الله اي كلما
لا تعلمون بها ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي
كفار مكة مودة اي بان يلهمهم الايمان فيصيروا
لكم اوليا وقد حصل ذلك عام الفتح فتحقق
لما رجاه سبحانه لان عسي من الله تعالي وعد
وهول علي ما يريده فهو يقدر علي تقليب القلوب
وتيسير العسير والله اي الذي له جميع صفات الكمال
غفور اي محاء لاعيان الذنوب واثارها رحيم بكرم

مخاطبين اذا ارادوا التوبة بالجزاء غاية الاكرام
فيغفر ما فرط منكم في موالاتكم من ضيل وما بقي
في قلوبكم من ميل الرحم وقوله لا ينهاكم الله اي الذي
اختص بالجلال والاكرام عن الذين لم يقاتلوكم اي
بالفعل في الدين الاية رخصة من الله تعالى في صلة
الذين لم يعادوا المومنين ولم يقاتلوهم قال ابن زيد
هذا في اول الاسلام عند الموادعة وترك الامر
بالقتال ثم نسخ قال قتادة نسخها فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وقال ابن عباس نزلت في خزاعة
وذلكم انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فرخص
الله تعالى في برهم وقال اكثر اهل التاويل انها محكمة
واحتجوا بان اسما بنت ابي بكر قدمت امها وهي
مشركة عليها المدينة بعدا ان قالت اسما لا اقبل
منكن هدية ولا تدخلي علي بيتنا حتى استاذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته فانزل
الله تعالى هذه الاية فامرها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان تدخل منزلها وان تقبل هديتها
وتكرمها وتحسن اليها وفي ذلك اشارة الى الاقتصاد
في العداوة والعلانية كما قال صلى الله عليه وسلم
احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك
يوما ما وابغض بغيضك هونا وما روي عامر بن
عبد الله بن الزبير عن ابيه ان ابا بكر الصديق

طلق

طلق امراته قتيلة في الجاهلية وهي ام اسماء بنت
ابي بكر فقدمت عليهم في المدة التي كانت فيها المهادنة
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار
قريش فاهدت الى اسما بنت ابي بكر قرطا
واشيا فكرهت ان تقبل منها حتى اتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله تعالى
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم
يخرجوكم من دياركم ان اي لا ينهاكم عن تبروهم
بنوع من انواع البر الظاهرة فان ذلك غير صريح
في قصد الموادة وتقسطوا اليهم اي تعطوهم قسطا
من اموالكم على وجه الصلة قال ابن العربي وليس
يريد به من العدل فان العدل واجب فيمن قاتل
وفيمن لم يقاتل وحكي ان القاضي اسماعيل بن
اسحاق دخل عليه ذمي فاكرمه فاخذ عليه
الحاضرون في ذلك فتلى عليهم هذه الاية ان الله
اي الذي له الكمال كله يحب اي يثيب المقسطين
اي الذين هم يلوون الجور ويرقبون العدل انما
ينهاكم الله اي الذي له الاحاطة الكاملة علما
وقدرة عن الذين قاتلوكم اي جاهدوكم متهيئين لقتالكم
في الدين اي عليه فليس شي من ذلك خارجا
عنه واخرجوكم من دياركم اي بانفسكم لبغضكم وهم
عتاة اهل مكة وظاهروا اي عاونوا غيرهم على اخراجكم
وهم مشركوا مكة وقوله تعالى ان تولوهم بدل اشتمال

من الذين اي تتخذوهم اوليا وقرا البزي بالتشديد
التا والباقون بالتخفيف ولما كان التنذير يغني
الطاع فاوليك هم المفلحون عطف عليه قوله تعالى
ومن يتولهم اي يكلف نفسه ان يحمل عليه غير ما تدعوا
اليه الفطرة الاولى من المنابذة واطلقه ولم
يقيد عمكم ليعم المهاجرين وغيرهم والمومنين
فاوليك اي الذين ابعدوا عن العدل هم الظلمون اي
العريقون في ايقاع الاشيا في غير مواضعها ولما
كان امر المسلمين بترك موالاة المشركين اقتضى
ذلك مهاجرة المسلمين من بلاد الشرك الى بلاد
الاسلام وكان التناكح من اوكد اسباب الموالاة
فبين احكام مهاجرة النسا بقوله تعالى يايها الذين امنوا
اي اقروا بالايمان اذا جاكم المومنات اي بانفسهن
مهاجرات اي من الكفار بعد الصلح معهم في الحديبية
فامتحنوهن اي بالحلف انهن ما هاجرن الا رغبة
في الاسلام لا بغضا في ازواجهن الكفار ولا عشقا
لرجال من المسلمين كذا كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحلفهن قيل ان سبب الامتحان ان
كانت من ارادت منهن اضرار زوجها قالت ساها
جر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك امر
النبي صلى الله عليه وسلم بامتحانهن الله المحيط
بكل شي قدرة وعلما اعلم منكم ومن انفسهن بايمانهن
هل هو كاين ام لا على وجه الرسوخ ام لا فان

يحيط

يحيط بما غاب كاحاطته بما شوهد وانما وكل الامر
اليكم في ذلك سترا للناس فان علمتموهن مومنات
اي العلم الممكن وهو الظن المؤكد بالامارات
الظاهرة بالحلف وغيره فلا ترجعوهن اي بوجه من
الوجوه الى الكفار وان كانوا ازواجا قال ابن عباس
لما جرى الصلح مع مشركي قريش عام الحديبية
على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم جاءت
سبيعة بنت الحارث الاسلمية بعد الفراغ والنبي
صلى الله عليه وسلم بالحديبية بعد فاقبل زوجها
وكان كافرا وكان صيفي بن الراهب وقيل مسافر
المخزومي فقال يا محمد اردد علي امراتي فا
نك طالق ذلك وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد
فانزل الله تعالى هذه الاية وروي ان ام كلثوم
بنت عقبة بن ابي معيط جاءت للنبي صلى الله
عليه وسلم فجا اهلها يسالونه ان يردها وقيل
هربت من زوجها عمرو بن العاص ومعها اخواها
عمارة والوليد فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخويها وحبسها فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
ردها علينا للشرط فقال صلى الله عليه وسلم كان
الشرط في الرجال لا في النساء فانزل الله تعالى هذه
الاية وعن عروة قال كان مما اشترط سهيل بن عمرو
على النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية ان
لا ياتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته

الينا وخليت بيننا وبينه فكره المومنون ذلك
وابي سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلي الله عليه وسلم
فرد يومئذ ابا جندل الي ابيه سهيل بن عمرو ولم ياته
احد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان مسلما
حتي انزل الله تعالي في المومنات ما انزل وهذا يومي
الي ان الشرط في رد النساء نسخ بذلك وهذا مذهب
من يري نسخ السنة بالقران وقال بعض العلما
كله منسوخ بالقران وقالت طايفة لم يشرط ردهن
في العقد لفظا وانما اطلق العقد في رد من اسلم
فكان ظاهر العموم اشتماله عليهن مع الرجال فبين
الله تعالي خروجهن عن عمومه وفرق بينهن
وبين الرجال لامرين احدهما انهن ذوات
فروج تحرمن عليهم الثاني انهن ارق قلوبا
واسرع تقلبا منهم فاما المقيمة منهن علي شركها
فمردودة عليهم لا هن اي المومنات حل اي موضع
حل لانهن لهم اي الكفار لاستمتاع ولا غيره وقوله
تعالي ولا هم اي لا تحل لهم وقال البيضاوي رحه
والتكرير للمطابقة والمبالغة والاولي لحصول
الفرقة والثانية للمنع عن الاستئناف وقيل ارادة
استمرار الحكم بينهم فيما يستقبل كما هو في الحال ما
داموا مشركين وهن مومنات والمعني لم يحل الله
تعالي مومنة لكافر في حال من الاحوال وهذا
اول دليل علي ان الذي اوجب فرقة المسلمة من
زوجها

زوجها الكافر اسلامها لا هجرتها وقال ابو حنيفة
الذي فرق بينهما هو اختلاف الدارين والصحيح
كما قال ابن عادل الاول لان الله تعالي بين العلة
وهو عدم الحل بالاسلام لا باختلاف الدار ولما نهي
عن الرد وعلله امر بما قدم من الاقسام اليهم فقال
تعالي واتوهم اي اعطوهم الازواج ما انفقوا اي عليهن
من المهور فان المهر في نظير اصل العشرة ودوامها
وقد فوتتها المهاجرة فلا يجمع عليه خسارة الزوجية
والمالية واما الكسوة والنفقة فانهما لما يتجدد من
الزمان تنبيه امر الله تعالي برد ما انفقوا الي
الازواج وان المخاطب بهذا الامام وهل يجب ذلك
او يندب ظاهر الاية الوجوب ولكن رجح الندب وعليه
الشافعي لان البضع ليس بمال فلا يشمل الامان
كما لا يشمل زوجته والاية وان كان ظاهرها الوجوب
محتملة للندب الصادق بعدم الوجوب الموافق للاصل
وقال مقاتل يرد المهر للذي يتزوجها من المسلمين
وليس لزوجها الكافر شيء وقال قتادة الحكم في رد
الصداق انما هو في نساء اهل الذمة فاما من لا
عهد بينه وبين المسلمين فلا يرد عليهم الصداق
قال القرطبي والامر كما قال ولا جناح اي حرج وميل عليكم
ايها المسلمون المخاطب ان تنكحوهن اي تجددوا ازوا حكم
بهن بعد الاستبرا وان كان ازواجهن من الكفار
ثم يطلقوهن لزوال العلق منهن عنهن لان الاسلام

فرق بينهم قال الله تعالى ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا ولما كان قد امر برد مهور
الكفار ظان ربما ظن انه معفى عن تجديد مهر لهن
اذا نكحهن المسلم نفى ذلك بقوله اذا آتيتموهن اي
لاجل النكاح اجورهن اي مهورهن وفي شرط ايتاء
المهر في نكاحهن ايذان ان ما اعطي ازواجهن لا يقوم
مقامه المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة
وهي هنا عقد النكاح اي من كانت له امراة كافرة بمكة
فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمتها فلا تكن بينكم
وبينهن عصمة ولا علقة زوجية والكوافر جمع
كافرة كضوارب وضاربة قال النخعي المراد بالاية
هي المراة المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وكان الكفار
يتزوجون المسلمات والمسلمون يتزوجون المشركات
ثم نسخ هذه الاية فطلق عمر ابن الخطاب امراتين
له بمكة مشركتين قريبة بنت ابي امية فتزوجها
معاوية ابن ابي سفيان وهما على شركهما بمكة
وام كلثوم بنت عمرو الخزاعية ام عبد الله ابن
المغيرة فتزوجها ابن جهم بن حذافة وهما على
شركهما بمكة فلما ولي عمر قال ابو سفيان لمعاوية
طلق قريبة لئلا يرى عمر سلبه في بيتك فابى معاوية
وكانت عند طلحة بن عبيد الله اروى بنت
ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ففرق الاسلام
بينهما ثم تزوجها في الاسلام خالد بن سعيد بن

العاص

[illegible]

العاص بن امية وقال الشعبي كانت زينب بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاص
بن الربيع اسلمت ولحقت بالنبي صلى الله عليه
وسلم واقام ابو العاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة
واسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
روى ابو داود عن عكرمة عن ابن عباس بالنكاح
الاول ولم يحدث شيئا قال محمد بن عمرو في حديثه
بعد ست سنين وقال الحسن ابن علي بعد سنتين
قال ابو عمر فان صح هذا فلا يخلو من وجهين
اما انها لم تحض حتى اسلم زوجها واما الامر
فيها منسوخ بقوله تعالى وبعولتهن احق بردهن
في ذلك يعني في عدتهن وهذا مما لا خلاف فيه انه
عني به العدة قال الزهري في قصة زينب هذه
كانت قبل ان تنزل الفرائض وقال قتادة كان
هذا قبل ان تنزل سورة براءة بقطع العهود بينهم
وبين المشركين تنبيه المراد بالكوافر هنا عبدة
الاوثان ومن لا يجوز ابتداء نكاحها وقيل هي
عامة نسخ منها نساء اهل الكتاب فعلى الاولى
ان اسلم وثني او مجوسي ولم تسلم امراته فرق
بينهما وهو قول بعض اهل العلم منهم مالك
والحسن وطاوس وعطاء وعكرمة وقتادة لقوله
تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وقال بعضهم ينتظر
بها تمام العدة وهو قول الزهري والشافعي واحمد

واحتجوا بان ابا سفيان بن الحارث اسلم قبل هند
بنت عتبة امراته وكان اسلامه بمر الظهران ثم
رجع الى مكة وهند بها كافرة مقيمة على كفرها
فاخذت بلحيته وقالت اقتلوا الشيخ الضال ثم اسلمت
بعده بايام فاستقرا على نكاحهما لان عدتها لم تكن انقضت
قالوا ومثله حكيم بن حزام اسلم قبل امراته ثم اسلمت
بعده فكانا على نكاحهما قال الشافعي ولا حجة لمن
احتج بقوله تعالى بعصم الكوافر لان نسا المومنين
محرمات على الكفار كما ان المسلمين لا تحل لهم الكوافر
الوثنيات ولا المجوسيات لقوله تعالى لا هن حل لهم
ولا هم يحلون لهن ثم بينت السنة ان مراد الله تعالى
من قوله هذا انه لا يحل بعضهم لبعض الا ان اسلم الثاني
منهما في العدة وقال ابو حنيفة واصحابه في الكافرين
الذميين اذا اسلمت المراة عرض على الزوج الاسلام
فان اسلم والا فرق بينهما قالوا ولو كانا حربيين فهي
امراته حتى تحيض ثلاث حيض اذا كانا جميعا
في دار الحرب والاخر في دار الاسلام انقطعت العصمة
بينهما وقد تقدم ان اعتبار الدار ليس بشي وهذا
الخلاف انما هو في المدخول بها فاما غير المدخول
بها فلا نعلم خلافا في انقطاع العصمة اذ لا عدة
عليها وكذا يقول مالك في المراة ترتد وزوجها مسلم
تنقطع العصمة بينهما لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم
الكوافر وهو قول الحسن البصري والحسن بن صالح

وقال

وقال الشافعي واحمد ينتظر بها تمام العدة فان كان
الزوجان نصرانيين فاسلمت الزوجة فذهب
مالك والشافعي واحمد الى تمام العدة الخ وهو قول
مجاهد وكذا الوثني تسلم زوجته ان اسلم في عدتها
فهو احق بها كما ان صفوان بن امية وعكرمة بن
ابي جهل احق بزوجتيهما لما اسلما في عدتهما لما ذكر
مالك في الموطا قال بعض اهل العلم كان بين اسلام
صفوان وبين اسلام امراته نحو من شهر قال ولم
يبلغنا ان امراة هاجرت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وزوجها الا ان يقدم زوجها مهاجرا قبل
ان تنقضي عدتها وقال بعضهم ينفسخ النكاح
بينهما لما روي يزيد بن علقمة قال اسلم جدي
ولم تسلم جدتي ففرق بينهما عمر وهو قول طاوس
وعطا والحسن وعكرمة قالوا لا سبيل له عليها الا
بخطبة واسالوا ايها المومنون الذين ذهبت زوجاتهم
الى الكفار مرتدات ما انفقتم اي من مهور نسائكم
وليسالوا اي الكفار ما انفقوا اي من مهور ازواجهم
اللاتي اسلمن قال المفسرون كان من ذهب من
المسلمات مرتدات الى الكفار من اهل العهد يقال
للكفار هاتوا مهرها ويقال للمسلمين اذا جاء احد من
الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا الى الكفار مهرها
وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالتين ذلكم اي الحكم
الذي ذكر في هذه الايات البعيد تعلق المرتبة عن

كل سفيه حكم الله اي الملك الذي له صفات الجلال فلا
تلحقه شائبة نقص يحكم اي الله اذ حكمه على سبيل
المبالغة بينكم اي في هذا الوقت وفي غيره وعلى
هذا المنهاج البديع وذلك لاجل الهدنة التي كانت
وقعت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم واما
قبل الحديبية فكان النبي صلى الله عليه وسلم يـ
يمسك النساء ولا يرد الصداق والله اي الذي له الاحاطة
التامة عليم بالغ العلم لا يخفى عليه شيء حكيم اي فهو
لتمام علمه يحكم كل امور غاية الاحكام فلا يستطيع
احد نقض شيء منها روي ان المسلمين قالوا رضينا
بما حكم الله تعالى وكتبوا الى المشركين فامتنعوا فنزل
قوله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم اي واحدة
فاكثر منهن او شيء من مهورهن بالذهاب الى الكفار
مرتدات فعاقبتم فغزوتم وغنمتم من اموال الكفار
فجاءت نوبة ظفركم باداء المهر الى اخوانكم طاعة وعدله
عقب نوبتهم التي اقتطعوا فيها ما انفقتم ظلما
فاتوا اي فاعطوا واعطوا من مهر المهاجرة الذين ذهبت
ازواجهم اي منكم من الغنيمة مثل ما انفقوا اي لفواته
عليهم من جهة الكفار روى الزهري عن عروة
عن عائشة انها قالت حكم الله تعالى بينهم فقال
جل ثناؤه واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا فـ
فكتب اليهم المسلمون قد حكم الله تعالى بيننا بانه
ان جاءتكم امرأة منا ان توجهوا الينا صداقها وان

جا

جاءتنا امرأة منكم وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا اما
نحن فلا نعلم لكم عندنا شيئا فان كان لنا عندكم
شيء فوجهوا به فانزل الله تعالى وان فاتكم شيء من
ازواجكم الى الكفار الاية وقال ابن عباس في قوله
تعالى ذلكم حكم الله اي بين المسلمين والكفار من اهل
العهد من اهل مكة يرد بعضهم على بعض قال
الزهري ولولا العهد لامسك النساء ولم يرد اليهم صداقا
وقال قتادة ومجاهد وانما امروا ان يعطوا الذين
ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا اي من المهور وقال
ابن عباس معنى الاية ان لحقت امرأة مؤمنة بكفار
اهل مكة وليس بينكم وبينهم عهد ولها زوج مسلم
قبلكم فغنمتم فاعطوا هذا الزوج المسلم مهره من
الغنيمة قبل ان تخمس وقال الزهري يعطى من مال
الفيء وعنه يعطى من مال الفيء وعنه يعطى من
صداق من لحق بهم تنبيه محصل مذهب
الشافعي في هذه الايات ان الهدنة لو عقدت بشرط
ان يردوا من جاءهم منا مرتدا صح ولزمهم الوفاء به
سواء كان رجلا او امرأة حرا او رقيقا فان امتنعوا
منه فهم ناقضون للعهد لمخالفتهم الشرط او عقدت
على ان لا يردوه جاز ولو كان المرتد امرأة فلا
يلزمهم رده لانه صلى الله عليه وسلم شرط ذلك
في مهادنة قريش حيث قال لسهيل بن عمرو وقد
جاء رسوله منهم من جاءنا منكم رددناه ومن جا

منكم فسحقا سحقا ومثله ما لو اطلق العقد كما فهم
بالاولى ويغرمون فيهما مهر المرتدة فان قيل لم غرموا
مهر المرتدة ولم نغرم نحن مهر المسلمة على ما تقدم من
تحليفه اجيب بانهم قد فوتوا عليه الاستتابة الواجبة
علينا والحيض المانع من استتابتها والزوج غير متمكن
منها بخلاف المسلمة الزوج متمكن منها بالاسلام
وكذا يغرمون قيمة رقيقه ارتدوا اليهم فان عاد
الرقيق المرتد الينا بعد اخذنا قيمته رددناها عليهم
بخلاف نظيره في المهر لان الرقيق بدفع القيمة
يصير ملكا لهم والنساء لا يصرن زوجات فان قيل
كونه يصير ملكا لهم مبني على بيع المرتد للكافر
والصحيح خلافه اجيب بان هذا ليس مبنيا عليه
لان هذا ليس بيعا حقيقة فاغتفر ذلك لاجل المصلحة
وان شرطنا عدم الرد فان قيل هل يغرم الامام
لزوج المرتدة ما انفق من صداقها لانا بعقد الهدنة
حلنا بينه وبينها ولولاه لقتلناهم حتى يردوها
اجيب بان هذا ينبني على ان الامام هل يغرم
لزوج المسلمة المهاجرة ما انفق وقد تقدم على
ذلك فائدة روي عن ابن عباس انه قال لحق بالمشركين
من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم
بنت ابي سفيان وكانت تحت شداد بن عياض
الفهري وفاطمة بنت ابي امية ابن المغيرة اخت ام
سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان

يهاجر

يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت
شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزيز بن نضلة و
زوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل بن هشام
كانت تحت هشام بن العاص بن وائل وام كلثوم بنت
جرول كانت تحت عمر بن الخطاب رجعن عن الاسلام
فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن
مهور نسائهم من الغنيمة ولما كانت التقوى في مثل
ذلك عسرة لان الامور تتفاوت تارة وتتساوى تارة
اخرى قال تعالى واتقوا اي في الاعطاء والمنع وغير
ذلك الله الذي له صفات الكمال وقد امركم بالتخلق
بصفاته على قدر ما تطيقونه الذي انتم به مؤمنون
اي متمكنون في رتبة الايمان ولما خاطب المؤمنين
الذين هم موضع الحماية والنصرة للدين امر النبي
صلى الله عليه وسلم بعد حكمكم بايمانهن بما يمتحنهن
بقوله تعالى يا ايها النبي مخاطبا له بالوصف المقتضي للعلم
اذا جاءك المؤمنات حال اقبالهن عليه السلام لاسيما
مع الهجرة مصححا لاطلاق الهجرة عليهن يبايعنك
على ان لا يشركن اي كل واحدة منهن شيئا يمكن على
عدم الاشراك في وقت من الاوقات بالله اي الملك
الذي كفؤ له شيئا اي من اشراك على الاطلاق
ولا يسرقن اي يأخذن مال الغير بغير استحقاق في
خفية ولا يزنين اي يمكن احدا من وطئهن
بغير استحقاق في خفية عقد صحيح ولا يقتلن

ولا يقتلن اولادهن اي بالوأد كما كان يفعل في الجاهلية
من وأد البنات اي دفنهن احيا خوف العار والفقر
ولا ياتين ببهتان اي بولد ملقوط او يلحقنه باب يفترينه
اي يلحقنه كذبا بان ينسبنه للزوج ووصفه صفة
الولد الحقيقي بقوله تعالى بين ايديهن اي لا تحمل في
البطون لان بطنها الذي تحمل فيها الولد بين يديها
وارجلهن اي بالوضع من الزوج لان فرجها الذي
تلد منه بين يديهن السنتهن لا للنميمة ومعنى بين
ارجلهن فروجهن وقيل ما بين ايديهن من قبلة
او حبسه وبين رجليها الجماع وروي ان هندا لما
سمعت ذلك قالت والله ان البهتان لامر قبيح وما
يامر الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولا يعصينك اي على
حال من الاحوال في معروف وهو ما وافق طاعة
الله تعالى كقولك النياحة وتمزيق الثياب وجز الشعر
وشق الجيب وخمش الوجه فبايعهن اي التزم لهن
لا وعدت عليه ذلك من اعطا الثواب التي نظير
ما الزمن انفسهن من الطاعة فبايعهن صلى
الله عليه وسلم بالقول ولم يصافح واحدة منهن
قالت عائشة والله ما اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم على النسا قط الا بما امر الله عز وجل
وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة
قط وروي انها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم
يبايع النسا بالكلام بهذه الاية ان لا يشركن بالله شيا

الى

الى اخرها قالت وما مست يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم يد امرأة الا امرأة يملكها وقالت اميمة بنت
رقيقة بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة
فقال فيما استطعتن واطقتن فقلت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ارحم بنا من انفسنا وقلت يا رسول الله
صافحنا فقال لا اصافح النسا انما قولي لامرأة كقولي
لمائة امرأة وروي انه صلى الله عليه وسلم بايع
النسا وبينه وبينهن ثوب وكان يشترط عليهن
وقالت ام عطية لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة جمع نساء الانصار في بيت ثم ارسل
الينا عمر بن الخطاب فقام على الباب فسلم فرددن
عليه السلام فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليكن ان لا تشركن بالله شيا الاية فقلن نعم
فمد يده من خارج البيت ومددنا ايدينا من
داخل البيت ثم قال اللهم اشهد وروي عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا بايع النسا دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه
فغمسن ايديهن فيه وروي انه صلى الله عليه وسلم
لما فرغ من بيعة الرجال يوم فتح مكة وهو على
الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه وهو يبايع النساء
هو فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبرزها
لما صنعت بحمزة يوم احد فقالت والله انك لتاخذ
علينا ما رايتك اخذته على الرجال وكان بايع الرجال

يوم بيعة على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان
رجل شحيح واني اصيب من ماله قوتنا فلا ادري
ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت شيا فيما
مضى وما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت
عتبة قالت نعم فاعف على ما سلف عفا الله عنك
وروي انها قالت يا رسول الله ان ابا سفيان رجل
مسيك فهل علي حرج اذا اخذت ما يكفيني وولدي
قال لا الا بالمعروف فخشيت هند ان تقتصر على
ما يعطيها فتضيع او تاخذ اكثر من ذلك فتكون
سارقة ناكثة للبيعة المذكورة فقال لها النبي صلى
الله عليه وسلم ذلك اي لا حرج عليك فيما اخذت
بالمعروف يعني من غير استطالة الى اكثر من الحاجة
ثم قال ولا يزنين فقالت هند اوتزني الحرة فقال
ولا يقتلن اولادهن اي بالوأد ولا سقط الاجنة
فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتهم يوم بدر كبارا
وانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان
قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ولا ياتين ببهتان
يفترينه بين ايديهن وارجلهن فقالت والله ان البهتان
لامر قبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق
فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا

مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شي قال اكثر
المفسرين معناه لا تلحق ولدا من غيرهن وكانت المراة
تلتقط ولدا فتلحقه بزوجها وتقول هذا ولدي منك
فكان هذا من البهتان والافترا وهذا عام في الا
نبات تولد وتحافه بالزوج وان سبق النهي عن
الزنا تنبيه ذكر تعالى في هذه الاية لرسوله
صلى الله عليه وسلم في صفة البيعة خصالا ستا
صرح فيهن باركان النهي ولم يذكر اركان وهي ستة
اعني الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج والا
غتسال من الجنابة وذلك لان النهي دايم في كل زمان
وكل الاحوال فكان التنبيه على اشتراط الدايم
وقيل ان هذه المناهي كان في النسا كثير من يرتكبها
ولا يحجزهن عنها شرف النسب فخصت بالذكر
لهذا ونحو هذا قوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد
القيس وانهاكم عن الدبا والحنتم والنقير والمزفت
فنهاهم عليه ترك المعصية في شرب الخمر دون
ساير المعاصي لانها كانت شهوتهم وعادتهم واذا
ترك المرء شهوته من المعاصي هان عليه ترك
المعصية في سايرها مما لا شهوة له فيها ولما كان
الانسان محل النقصان لا سيما النسوان رجاهن
سبحانه بقوله تعالى واستغفر اي اسال لهن الله اي
الملك الاعظم ذا الجلال والاكرام محو الغفران ان وقع
منهن تقصير وهو دافع لانه لا يقدر الله تعالى حق
قدره ان الله اي الذي له صفات الكمال غفور اي

بالغ الستر للذنوب عينا واثرا رحيم اي بالغ الاكرام بعد
الغفران تفضلا منه واحسانا وروي ان اناسا من فقرا
المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم
فنهاهم الله عن ذلك بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تتولوا اي لا تصاحبوا انفسكم ان تتولوا قوما اي ناسا لهم
قوة عليهم بما يعادونه فغيرهم من باب اولى غضب الله
اي اوقع الملك الاعظم الغضب عليهم لان ما لهم على
ما احاط بهم من خطايا فهو عام في كل من اتصف
بذلك فيتناول اليهود تناوله اوليا قد يئسوا اي
تحققوا عدم الرجا من الاخرة اي من ثوابها مع ايقانهم
بها لعنادهم النبي صلى الله عليه وسلم مع علمهم انه
الرسول المبعوث في التوراة كما يئس الكفار من اصحاب
القبور اي من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا احيا وقيل
من اصحاب القبور بيان للكفار اي كما يئس الكفار
الذين قبروا من خير الاخرة ان تعرض عليهم مقاعدهم
من الجنة لو كانوا امنوا وما يصيرون اليه من النار
فتبين لهم قبح حالهم وسوء منقلبهم وما قاله البيضاوي
تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من
قرا سورة الممتحنة كان له المومنون والمومنات شفعا
يوم القيامة حديث موضوع

سورة الصف مكية

في قول الاكثرين وذكر النحاس عن ابن عباس انها
مكية وهي اربع عشرة اية وماتيان واحدى وعشرون
كلمة وهي اربع عشرة وماتان واحدى وعشرون كلمة

و

وتسمية حرف بسم الله الملك الاعظم الذي له الكمال كله
الرحمن الذي عم بفضله كل احد من خلقه الرحيم الذي خص
من يشاء من عباده فهداهم لعبادته واهله سبح لله
اي اوقع التنزيه الاعظم للملك الاعظم ما في السموات
من جميع الاشيا من الملائكة وغيرها كالافلاك والنجوم
وما في الارض كذلك من الادميين وغيرهم كالشجر
والجماد وقيل اللام مزيدة اي نزه الله واتى بما دون
من قال الجلال المحلي تغليبا للاكثر انتهى فان قيل
ما الحكمة في انه تعالى قال في بعض السور سبح لله
بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع وفي
بعضها سبح بلفظ الامر اجيب بان الحكمة في ذلك
تعليم العبد ان يسبح لله تعالى على الدوام لان الماضي
يدل عليه في الماضي من الزمان والامر يدل عليه
في الحال فان قيل هلا قيل سبح لله ما في السموات والارض
وما فيهما وهو اكثر مبالغة اجيب بان المراد بالسماء
جهة العلو فيشمل السماء وما فيها وبالارض جهة السفل
فيشمل الارض وما فيها وهو اي وحده العزيز اي
الغالب على غيره اي شي كان ذلك الغير ولا يمكن
ان يغلبه عليه غيره الحكيم اي الذي يضع الاشيا في اتقن
مواضعها روى الدارمي في مسنده قال انبانا محمد بن
كثير عن الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير عن ابي
سلمة عن عبد الله ابن سلام قال قعدنا نفرا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم

اي الاعمال احب الى الله تعالى لعملناه فانزل الله
تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو
العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا اي ادعوا الايمان لم تقولون
ما لا تفعلون حتى ختمها قال عبد الله فقراها علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها قال ابو
سلمة فقراها علينا ابو يحيى فقراها علينا الاوزاعي
فقراها علينا الى اخره انتهى ولحبه بان انها متصل
الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن عباس
قال عبد الله بن رواحة لو علمنا احب الاعمال الى
الله تعالى لسارعنا اليه فنزل هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم فمكثوا زمانا يقولون لو نعلمها
لاشتريناها بالاموال والانفس والاهلين فدلهم
الله تعالى عليها بقوله تعالى تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم الاية
فابتلوا يوم احد ففروا فنزلت تعيرهم بترك الوفا
وقال محمد بن كعب لما اخبر الله تعالى نبيه صلى
الله عليه وسلم بثواب شهداء بدر قالت الصحابة
اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا
ففروا يوم احد فعيرهم الله تعالى بذلك وقال قتادة
والضحاك نزلت في قوم كانوا يقولون نحن جاهدنا
وابلينا ولم يفعلوا وقيل كانوا يقولون نحن جاهدنا
قد اذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله وانتحل
قتله اخر فقال عمر لصهيب اخبر النبي صلى الله عليه

وسلم انك قتلته فانه يزعم انه قتله فقال عمر يا رسول الله
قتله صهيب قال كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت
في المنتحل وقال ابن زيد نزلت في المنافقين وبذا بهم
بالايمان تهكما بهم وبايمانهم وكانوا يقولون للنبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه ان خرجتم وقاتلتم خرجنا
معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتخلفوا وقال
القرطبي هذه الاية توجب على كل من لزم نفسه
عملا فيه طاعة ان يفي به وفي صحيح مسلم عن ابي
موسى انه بعث الى قراء اهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة
رجل قد قرا القران فقال انتم خيار اهل البصرة
وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسو
قلوبكم كما قست قلوب من قبلكم وانا كنا نقرا سورة فشبهها
في الطول والشدة ببراءة فانسيتها غير اني قد حفظت
منها لو كان لابن ادم واديان من مال لابتغى واديا
ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب وكنا نقرا
سورة فشبهها باحدى المسبحات فانسيتها غير
اني حفظت منها يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا
تفعلون فتكتب شهادة في اعناقكم فتسالون عنها يوم
القيامة قال ابن العربي وهذا كله ثابت في الدين
لفظا ومعنى في هذه السورة واما قوله شهادة في
اعناقكم فتسالون عنها يوم القيامة فمعنى ثابت
في الدين فان من التزم شيا لزمه شرعا وقال

القرطبي ثلاث آيات منعتني أن أقضي على الناس
أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وما أريد
أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه يا أيها الذين آمنوا لم تقولون
ما لا تفعلون وعن أنس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أتيت ليلة أسري بي على
قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار كلما قرضت
عادت قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء أمتك
الذين يقولون ولا يفعلون ويقرؤون كتاب الله
ولا يعملون به قوله تعالى لم تقولون ما لا
تفعلون استفهام على جهة الإنكار والتوبيخ على
أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله
أما في الماضي فيكون كذبا وأما في المستقبل فيكون
خلفا وكلاهما مذموم قال الزمخشري لم هي لام الإضافة
داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها
من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم وإلام
وإنما حذفت الألف لأن ما والحرف كشيء واحد ووقع
في استعمالها كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال
الأصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان
ومن أسكن في الوصل فلإجرائه مجرى الوقف كما
سمع ثلاثة اربعة بالهاء وإلقاء حركة الهمزة عليها محذوفة
انتهى ووقف البزي لمه بهاء السكت بخلف عنه كبر
أي عظم وقوله تعالى مقتا تمييز والمقت أشد
البغض

البغض وزاد في تسميته زيادة في التنفير منه بقوله
تعالى عند الله أي الملك الأعظم الذي يحقر عنده كل
متعاظم وقيل إن كبر من أمثلة التعجب وقد عده ابن
عصفور في التعجب المبوب له في النحو فقال صيغة
ما أفعله وأفعل به وكفعل نحو كرم الرجل وأما
الزمخشري فقال هذا من أفصح الكلام وأبلغه في معناه
قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله ش
غلت ناب كليب بواؤها ش
ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين لأن
التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله
وقوله تعالى أن تقولوا أي عظم من ذلك بجهنم أن
يقع في وقت من الأوقات أو حال من الأحوال قولكم
ما لا تفعلون فاعل كبر قال البرهان وجه تعلق هذه
السورة بما قبلها هو أن في السورة التي قبلها ندب الخروج
إلى الجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته بقوله تعالى
إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي
وفي هذه السورة بين ما يحمل المؤمن ويحثه على
الجهاد بقوله تعالى إن الله أي الذي له جميع صفات الكمال
يحب أي يفعل فعل المحب مع الذين يقاتلون أي يوقعون
القتال في سبيله أي بسبب تسهيل طريقه الموصلة
إلى رضاه وقوله تعالى صفا حال التساوي في الاصطفاف
كالبدن الواحد لأنهم من شدة التراص والمساواة سا

لعدو ورا المناكب والثبات في المركز بنيان وزاد في التنكيل
بقوله تعالى مرصوص اي ملتزق بعضه الى بعض
ثابت باحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه فيسمونه اهل مكة
المرصوص وقال الرازي يجوز ان يكون المعنى على ان
يستوي شانهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع
الكلمة وموالاة بعضهم بعضا كالبنيان المرصوص قال
القرطبي استدل بعضهم بهذه الآية على ان قتال
الراجل افضل من قتال الفارس لان الفرسان
لا يصطفون على هذه الصفة قال المهدوي وذلك
غير مستقيم لما جاء في فضل فارس من الاجر والغنيمة
ولا يخرج الفرسان من معنى الآية لان معناها
الثبات ولهذا يحرم الخروج من الصف ان قاومنا
هم الا متحرفا ليتبعه العدو الى موضع يسهل للقتال او
متحيزا الى فيئة يستنجد بها ولو بعيدة قليلة او كبيرة
فيجوز انصرافه لقوله تعالى الا متحرفا لقتال ويجوز
المبارزة لكافر لم يطلبها لكن وندب لقوي اذن
له الامام او نائبه لا فراره صلى الله عليه وسلم وهي
ظهور اثنين من الصفين للقتال من البروز للامر
بها وهي الظهور فان طلبها كافر سنت للقوي المأذون
له للامر بها في خبر ابي داود ولان في تركها اضعافا
لنا وتقوية لهم والا كرهت ولما ذكر تعالى الجهاد
ذكر قصة موسى وعيسى عليهما السلام تسلية لنبيه

صلى

صلى الله عليه وسلم ليصبر على اذى قومه مقتديا بقصة
موسى عليه السلام لتقدمه فقال تعالى واذ اي واذكر يا
اشرف الخلق اذ قال موسى لقومه اي بني اسرائيل
وقوله يا قوم استعطاف لهم واستنهاض الى نصرة ربهم
لم تؤذونني اي تجددون اذاي مع الاستمرار
وذلك حين رموه بالادرة كما مر في سورة الاحزاب
ومن الاذى قولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقولهم
فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون وقولهم
انت قتلت هارون وغير ذلك وقوله تعالى وقد تعلمون
جملة حالية اي علمتم علما قطعيا مع تجدده لكم كل وقت
بتجدد اسبابه بما اتيتكم به من المعجزات والكتاب
الحافظ لكم من الزيغ اني رسول الله اي الملك الاعظم
الذي لا كفؤ له اليكم ورسوله يعظم ويحترم لا ان تنتهك
حرمته ويحتقر وانا لا اقول لكم شيئا الا عنه ولا انطق
عن الهوى فلما زاغوا اي عدلوا عن الحق بمخالفة
اوامر الله تعالى ونواهيه وقرا حمزة بالامالة والباقون
بالفتح ازاغ الله اي الملك الذي لا امر لغيره قلوبهم
اي امالها عن الهدى على وفق ما قدره في الازل
والله اي الذي له الحكمة البالغة والمستجمع لصفات
الكمال لا يهدي اي لا يوفق بعد هدايته البيان القوم
الفاسقين اي العريقين في الفسق الذين لهم قوة المحاولة
فلم يجعلهم على الفسق صفة فاحذروا ان تكونوا مثلهم
في الجرائم فتتمادوا في عقوبات الجرائم وهذا تنبيه

على عظم ابذاء الرسل حتى ان اذاهم يودي الى الكفر
وزيغ القلوب عن الهدى ثم ذكر القصة الثانية بقوله
تعالى واذ اى واذكر يا اشرف المرسلين اذ قال عيسى
ووصفه بقوله ابن مريم ليعلم انه من غير اب وثبتت
نبوته بالمعجزات يا بني اسرائيل من التمسك بالاسلام
ولم يقل يا قوم كما قال موسى عليه السلام لانه لااب
له فيهم وان كانت امه فيهم فان النسب انما هو من
جهة الاب واكد لانكار بعضهم فقال اني رسول الله
اي الملك الاعظم اليكم اي لا الى غيركم مصدقا لما
بين يدي اي قبلي من التوراة التي تعلمون ان الله
تعالى انزلها على موسى عليه السلام وهي اول الكتب
التي نزلت بعد الصحف وحكم النبوة تصديقي بمجي
لها مع انا بيدي بها وبدلا من ما اقتم من الدلائل
حق ومبين انها دليل مما لم اسنح منها كالاستدلال
بما قدمه من الاعلام ويراعيه بصره وقرا ابو عمرو
وابن ذكوان والكسائي بالامالة محضة وقرا حمزة
ونافع بين بين بخلاف عنه عن قالون والباقون
بالفتح ومبشرا اي حال تصديقي للتوراة برسول اي
الى كل من شملته الربوبية ياتي من بعدي اي
بعد التوراة فكانه قيل ما اسمه قال اسمه احمد
والمعنى ارسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدمني
من التوراة وفي حال تبشيري برسول ياتي من
بعدي يعني ان ديني التصديق بكتب الله تعالى

وانبيائه

[illegible] ١٤

وانبيائه جميعا ممن تقدم وتاخر فان قيل بما انتصب
مصدقا ومبشرا اما في الرسول من معنى الرسالة ام
باليكم اجيب بانه بمعنى الارسال لان اليكم صلة
للرسول فلا يجوز ان يعمل شيا لان حروف الجر لا تعمل
بانفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت
الصلاة لم تتضمن معنى فعل فمن اين تعمل وعن كعب
ان الحواريين قالوا لعيسى يا رسول الله هل بعدنا من
امة قال نعم امة احمد حكما علما ابرارا اتقيا كانهم من
الفقه انبيا يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى
الله منهم باليسير من العمل وعن جبير ابن مطعم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما
انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر
وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا
العاقب الذي ليس بعدي نبي وقد سماه الله تعالى
رءوفا رحيما وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اسمي
في التوراة احيد لاني احيد امتي عن النار واسمي
في الانجيل احمد وفي القران محمد لاني محمود في اهل
السماء والارض بل ذكر بعض العلما انه الف اسم قال
البغوي والالف في احمد للمبالغة في الحمد وله وجهان
احدهما انه مبالغة من الفاعل اي ومعناه ان الانبيا
حامدون لله تعالى وهو اكثر حمدا من غيره والثاني
مبالغة من المفعول اي ومعناه ان الانبيا كلهم محمو
دون لما فيهم من الخصال وهو اكثر مبالغة وان

جمع الفضايل والمحاسن والاخلاق التي يحمد بها
المنتهي وعلى كلا الوجهين منعه من الصرف للعلمية
والوزن الغالب الا انه على الاحتمال الاول يمتنع
معرفة وينصرف نكرة وعلى الثاني يمتنع تعريفا
وتنكيرا لانه يخلف العلمية الصفة واذا نكر بعد كونه
علما جرى فيه خلاف سيبويه والاخفش وهي
مسالة مشهورة بين النحاة والاستحسان يوجهه
عليه الاول من حيث يرشد والطيبون على المبارك احمد
احمد بدلا دبيات للمبارك واما محمد فمنقول من صفة
النص وهو في معنى محمود ولكن في معنى المبالغة
والتكرار فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة قال القرطبي
كما ان المكرم من الكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدوح
ونحو ذلك واسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه
وتعالى سماه قبل ان يسمي به نفسه فهذا علم من
ونبع منه من العلم لحكمة وهو محمود في الاخرة
بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ
ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد حمد ربه فنباه وشرفه
فلذلك تقدم اسم احمد على الاسم الذي هو محمد
فذكره عيسى فقال اسمه احمد وذكره عليه السلام
حين قال لربه تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني
من امة محمد فباحمد ذكره قبل ان يذكره بمحمد لان حمده
لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان
محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد

التي

التي يفتحها عليه فيكون احمد الناس لربه ثم يشفع
علي شفاعته فدل ذلك على انه صلى الله عليه
وسلم اشرف الانبيا فاتحا لهم وخاتما عليهم وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو وشعبة بفتح اليا والباقون بالسكون
وقوله تعالى **فلما جاءهم** يحتمل ان يعود فيه الضمير لاحد
ابوها الكفار واقتصر على ذلك الجلال المحلي ويحتمل
عوده لعيسى اي جا لبني اسرائيل **بالبينات** اي من
المعجزات العظيمة التي لا سبيل لعاقل الا التسليم
لها ومن الكتاب المبين **قالوا** اي عند مجيئها من غير نظره
لتامل **هذا** اي الماتي به من البيان في سحريته وقرا
حمزة والكسائي بفتح السين والف بعدها لان هذا وصف
لهم لانهم سوابقهم ذلك امل **سحر مبين** اي في غاية
البيان في سحريته وقرا حمزة والكسائي بفتح السين
والف بعدها وكسر الحا وهذه القراة مناسبة للتفسير
الثاني والباقون بكسر السين وسكون الحا وهذه مناسبة
للتفسير الاول ومن اي لا احد **اظلم** اي اشد ظلما
ممن افترى اي تعمد **على الله** اي الملك الاعلى **الكذب**
اي نسبة الشريك والولد اليه ووصف اياته بالسحر
ووصف انبيايه انه الذي هو احسن بالسحرة **وهو** اي
والحال انه **يدعى** اي من اي داع كان **الى الاسلام**
انه الذي هو احسن الاديان فان له فيه سعادة الدارين
فيجعل مكان اجابته افترا الكذب على الله تعالى **والله**
اي الذي فيجعل مكان اجابته افترا الكذب على الله تعالى

والله أي الحال أنه لا أمر كله فلا أمر لأحد معه لا يهدي
القوم أي لا يخلق الهداية في قلوب من فيهم قوة المجادلة
للأمور بالصعاب الظالمين الذين يخبطون في عقولهم
خبط من هو في الظلام يريدون أي يوقعون
إرادة للرسالة بافترائهم ليطفئوا أي لأجل أن
يطفئوا نور الله أي الملك الذي لا شيء يخافيه
بأفواههم أي بما يقولون من كذب لا منشأ له غير الأفواه
لأنه لا اعتقاد له في القلوب تنبيه الإطفاء والإخماد
يستعملان في النار وفيما يجري مجراها من الضياء
والظهور ويفرق بين الإطفاء والإخماد من حيث
أن الإطفاء يستعمل في القليل فيقال أطفأت السراج
ولا يقال أخمدت السراج وفي هذه اللام أوجه أحدها
أنها تعليلية كما مر ثانيها أنها مزيدة في مفعول الإرادة
قال الزمخشري أصله يريدون أن يطفئوا كما في سورة
التوبة وكأن هذه اللام زائدة مع فعل الإرادة توكيدا
له لما فيها من معنى الإرادة في قولك جئتك
لأكرمك كما زيدت اللام في لا أبا لك تأكيدا لمعنى
الإضافة في قولك جئت لأكرمك كما زيدت اللام
في لا أبا لك قال الماوردي بسبب نزول هذه الآية
ما حكاه عطاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله
عليه وسلم أبطأ عليه الوحي أربعين يوما فقال
كعب بن الأشرف يا معشر يهود أبشروا فقد أطفأ
الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان الله تعالى

هذه

هذه الآية وانفصل الوحي بعدها واختلف في المراد
بالنور فقال ابن عباس هو القرآن أي يريدون إبطاله
وتكذيبه بالقول وقال السدي الإسلام أي
يريدون رفعه بالكلام وقال الضحاك إنه محمد صلى
الله عليه وسلم أي يريدون هلاكه بالأراجيف وقال
ابن جريج حجج الله تعالى ودلائله يريدون إبطاله
وتكذيبه بالقول وقال السدي الإسلام أي يريدون
رفعه بالكلام وقال الضحاك إنه محمد صلى الله عليه
وسلم أي يريدون هلاكه بالأراجيف وقال ابن جريج
بإنكارهم وتكذيبهم وقيل إنه مثل مضروب أي من
أراد إطفاء نور الشمس بفيه فوجده مستحيلا ممتنعا
كذلك من أراد إطفاء الحق والله أي الذي لا مدافع له
لتمام عظمته متم نوره فلا يضره ستر أحد له بتكذيبه
ولا إرادة إطفائه ثم زاد ذلك بقوله تعالى ولو كره أي
إتمامه له الكافرون أي الراسخون في جهة الكفر
المجتهدون في المحاماة عنه هو أي الذي ثبت
أنه جامع لصفات الكمال والجلال وحده من غير أن
يكون له شريك أو وزير الذي أرسل رسوله أي لا
ينبغي بأن يعظمه كل من بلغه أمره لأن عظمته من
عظمته ولم يذكر حرف الغاية إشارة إلى عموم الإرسال
إلى كل من شمله ملكه كما يعني بالهدى أي البيان الشافي
بالقرآن أو المعجزة ودين الحق أي والملة الحنيفية
ليظهره أي يعليه مع الشهرة وإذلال الممانع على الدين

اي حبس الشرعية التي تجعل لجاذب من يسلكها
ومن يزيغ عنها بما يشرع فيها من الاحكام كله فلا يبقي
دين الا كان دونه واممحق به وذل اهله اذ لا يقاس
ذل ولو كره اي اظهار المشركون المعاندون في كفرهم
الراسخون في تلك المعاندة فان قيل قال اولا ولو
كره الكافرون وقال ثانيا ولو كره المشركون فما الحكمة في
ذلك اجيب بانه تعالي ارسل رسوله وهو من نعم الله
تعالي والكافرون كلهم في كفران النعم سوا فلهذا قال
ولو كره الكافرون لان لفظ الكافر اعم من لفظ المشرك
فالمراد من الكافرين هنا اليهود والنصاري والمشركون
فلفظ الكافر اليق به واما قوله تعالي ولو كره المشركون
واختلف في سبب نزول قوله تعالي يا ايها الذين امنوا
اي اقروا بالايمان هل ادلكم اي وانا المحيط علما
وقدرة في ايجاب في المعني ذكر بلفظ الاستفهام به
تشريفا ليكون اوقع على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم اي مولم فقال مقاتل نزلت في عثمان بن
مظعون قال يا رسول الله لو اذنت لي طلقت خولة
وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا انام بليل ابدا
ولا افطر بنهار ابدا فقال صلى الله عليه وسلم ان
من سنتي النكاح ولا رهبانية في الاسلام انما رهبانية
امتي الجهاد في سبيل الله وخصا امتي الصوم ولا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم ومن سنتي انام واقوم وافطر
واصوم فمن رغب عن سنتي فليس مني فقال عثمان

والله

والله لوددت يا رسول الله اي التجارات احب الي
الله تعالي فاتجر فيها فنزلت وقيل ادلكم سادلكم والتجارة
الجهاد قال الله تعالي ان الله اشترى من المومنين
انفسهم واموالهم الاية وهذا خطاب لجميع المومنين
وقيل نزل هذا حين قالوا لو نعلم احب الاعمال
الي الله تعالي لعملنا به قال البغوي وجعل ذلك
بمنزلة التجارة يربحون بها رضي الله تعالي ونيل
جنته والنجاة من النار وقرا ابن عامر بفتح النون
وتشديد الجيم والباقون بسكون النون وتخفيف
الجيم ثم بينه سبحانه تلك التجارة بقوله تعالي تومنون
اي تدومون على الايمان بالله اي لجميع صفات
الكمال وعلي هذا فلا ينافي ذلك قوله تعالي يا ايها
الذين امنوا وقيل المراد من هذا الايمان المنافقون
وهم الذين امنوا في الظاهر وقيل اهل الكتاب
وهم اليهود والنصاري فانهم امنوا بالكتب المتقدمة
ورسوله الذي تصديقه اي الاذعان للعبودية
وتجاهدون بيانا لصحة ايمانكم علي سبيل التجديد
والاستمرار في سبيل الله اي الملك الاعظم لذبه
لالامر لغيره باموالكم وانفسكم وقدم الاموال لانها
في ذلك الزمان لا بها قوام الانفس فمن بذل ماله
كله لم يبخل بنفسه لان المال قوامها وقال القرطبي
ذكر الاموال اولا لانها التي يبدا فيها في الانفاق
ذلكم اي الامر العظيم من الايمان وتصديقه بالا

بالايمان خير لكم اي اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون
اي ان كان يمكن ان يتجدد لكم علم في وقت فانتم
تعلمون ان ذلك خير لكم فاذا علمتم انه خير قبلتم
عليه فكان لكم به امر عظيم وان كانت قلوبكم قد
طبعت طبعا لا رجاء لصلاحه فصلوا على انفسكم
صلاة الموت وقوله تعالى يغفر لكم فيه اوجه
احدها انه مجزوم على جواب الخبر بمعنى الامر اي
آمنوا وجاهدوا والثاني انه مجزوم على جواب
الاستفهام كما قاله الفراء والثالث انه جواب بشرط
مقدر اي ان تؤمنوا يغفر لكم قال القرطبي وادغم
بعضهم فقال يغفر لكم والاحسن ترك الادغام لان
الراء متكرر قوية فلا يحسن الادغام في اللام لان الاقوى
لا يدغم في الاضعف انتهى وتقدم في اخر سورة
البقرة مثل ذلك للزمخشري والبيضاوي ورد عليهما
ذنوبكم اي محوا عينها واثارها كلها ويدخلكم اي
بعد التزكية بالمغفرة رحمة لكم جنات اي بساتين تجري
من تحتها اي من تحت اشجارها وغرفها وكل مكان
فيها الانهار فهي لا تزال غضة زهرا ولم يجمع هذا
الاسلوب الى ذكر الخلود لاغنائها عنه ودل
على الكثرة المفرطة في الدور بقوله تعالى في صفة
مساكن بجموع ومساكن طيبة روى الحسن قال
سألت عمران بن حصين وابا هريرة عن قوله تعالى
ومساكن طيبة فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال قصر من لؤلؤة
في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة
حمراء في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء في كل
بيت سبعون سريرا في كل سرير سبعون فراشا
من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور
العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون
لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة
فيعطي الله المؤمن من القوة في غداة واحدة
ما ياتي على ذلك كله في جنات عدن اي بساتين
هي اهل للاقامة بما لا يحتاج في اصلاحها الى شيء
خارج يحتاج في تحصيله الى الخروج عنها قال حمزة
الكرماني في كتابه جوامع التفسير هي اي جنات
قصبة الجنات ومدينة الجنة اقربها الى العرش ذلك
اي الامر العظيم جدا الفوز العظيم اي السعادة
الدائمة الكبيرة واصل الفوز الظفر بالمطلوب ولما
ذكر تعالى ما انعم به عليهم في الاخرة بشرهم بنعمة
في الدنيا بقوله واخرى تحبونها اي ولكم الى هذه
النعمة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض
بانهم يؤثرون العاجل على الاجل وقوله تعالى
نصر من الله اي الذي احاطت عظمته بكل شيء
خبر مبتدا مضمر اي تلك النعمة الكاملة الاخرى
نصر من الله وفتح قريب اي غنيمة في عاجل
الدنيا قبل فتح مكة قال الكلبي هو النصرة على

قريش وقال ابن عباس يريد فتح فارس والروم
وقوله تعالى وبشر المومنين عطف على محذوف
مثل قل يا ايها الذين امنوا وبشروا على يومنون فانه
في معنى الامر كانه قال امنوا وجاهدوا ايها المومنون
وبشرهم يا اشرف الرسل بالنصر في الدنيا والجنة
في الاخرة يا ايها الذين امنوا اي اقروا بذلك كونوا
اي بغاية جهدكم انصار الله اي لدينه وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو انصارا بالتنوين وجر اللام
من الاسم الجليل وترقيقها والباقون بغير تنوين
وتفخيم اللام كما اي كونوا لاجل اني ندبتكم انا
بقولي من غير واسطة ولندبكم خطابي مثل
ما كان لكوا دون انصار الله حين قال عيسى ابن مريم
حين ارسله الى بني اسرائيل ناسخا لشريعة
موسى عليه السلام للحواريين اي خلص اصحابه
وخاصة منهم من انصاري الى الله اي المحيط بكل
شيء اي انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين
لما قال لهم عيسى عليه السلام من انصاري الى الله
اي من ينصرني مع الله تعالى قال الحواريون معلمين
انهم جادون في ذلك جدا لا مزيد عليهم انا اجا
به اجابة الله تعالى لانه لا ينطق عن الهوى
فليس كلامه الا عن الله تعالى نحن اي باجمعنا وكانوا
اثني عشر رجلا وهم اول من امن بعيسى انصار
الله اي الملك الاعلى القادر على تمام نصرنا

ولو

ولو كان عدونا كل اهل الارض وكما كان التقدير
لم دعوا من خالفهم من بني اسرائيل وبارزهم
تسبب عنه قوله تعالى فامنت اي به طايفة اي
ناس فيهم اهلية الاستدارة لما لهم من الكثرة من
بني اسرائيل قومه وكفرت طايفة اي منهم واصل
الطايفة القطعة قالوا كان الله فارتفع وفرقة
قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وفرقة وهم
المومنون واتبع كل فرقة طايفة من الناس فاقتتلوا
وظهرت الفرقتان الكافرتان حتى بعث الله تعالى
محمدا صلى الله عليه وسلم وظهرت الفرقة المومنة
على الكافرة فذلك قوله تعالى فايدنا اي قوينا
بعد رفع عيسى عليه السلام الذين امنوا اي اقروا
بالايمان المخلص على عدوهم اي الذين عادوهم
لاجل ايمانهم فاصبحوا اي صاروا بعدما كانوا فيه من الذل
ظاهرين اي عالمين غالبين قاهرين تحت اقوالهم
وافعالهم لا يخافون احدا ولا يستخفون منه وروى
المغيرة عن ابراهيم قال فاصبحت حجة من امن
بعيسى عليه السلام ظاهرة بتصديق محمد صلى
الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام كلمة الله
وعبده ورسوله وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الصف
كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في
الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه حديث موضوع

سورة الجمعة مكية

وهي احدى عشرة اية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة
وعشرون حرفا روى مسلم عن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت عليه الشمس
يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه
اخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة وعنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون
يوم القيامة ونحن اول من فاختلفوا فهدانا الله
تعالى لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فهذا يومهم
الذي اختلفوا فيه هدانا الله له قال يوم الجمعة
فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى بسم الله
الذي احاط علمه بكل شيء معلوم فتم بيانه
الرحمن الذي عمت نعمة بيانه فهو العظيم شانه الرحيم
الذي خص حزبه بالتوفيق فثبت عندهم حبه
وايمانه يسبح اي يوقع التنزيه الاعظم الاوفى الاكمل
لله اي الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلما ما في السموات
اي من جميع الاشياء من الملائكة وغيرها كالافلاك
والنجوم وما في الارض كذلك من الادميين
وغيرهم كذلك من الادميين وغيرهم كالشجر والثمار
وقيل اللام مزيدة اي نزه الله واتى بما دون من
قال المحلي تغليبا للاكثر ويحتمل ان يكون
المراد بالسماء جهة العلو فيشمل السماء وما فيها الملك
اي الذي له جميع الكمالات فهو يتصرف من يشاء

من

من جنده ولو كان ذليلا فيصبح ظاهرا القدوس
اي المنزه عما لا يليق به وعن احاطة احد من الخلق
بعلمه وادراكه كنه ذاته فليس في ايدي الخلق الا
التردد في شهود افعاله والتدبر لمظاهر نعوته
وجلاله واحقهم بالقرب والعدا في حزبه
المتخلق باوصافه على قدر اجتهاده فمنتهى المؤمن
المتنزه عن ان يقول ما لا يفعل او يبقي شيا من
اموره عليه غير الحكام العزيز اي الذي يغلب
كل شيء ولا يغلبه شيء الحكيم اي الذي يوقع كلما
اراد في احكم مواقعه واتمها واتقنها هو اي وحده
الذي بعث في الاميين اي العرب لان اكثرهم لا يكتبون
ولا يقرؤون والامي من لا يقرا ولا يكتب رسولا
منهم اي من جملتهم اميا مثلهم وهو محمد صلى
الله عليه وسلم وما من حي من العرب الا ولرسول صلى
الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد ولدوه قال
ابن اسحاق الا بني تغلب فان الله تعالى طهر
نبيه صلى الله عليه وسلم فلم يجعل لهم عليه
ولادة وكان اميا لم يقرا من كتاب ولم يتعلم
صلى الله عليه وسلم ثم علمه الله ما لم يكن يعلم من غير
تطلب فكانت الاثار البشرية عنده مندرسة وانوار
الحقائق عليه لائحة وذلك لئلا يتوهم الافتقار
الى الاستعانة بالكتبة لان مشاكلته لحال من بعث
فيهم اقرب الى مساواتهم لو لا امكانهم فيكون معاني

عدم امكان المساواة ادل على الاعجاز وبعثه الى
العرب لا ينفي بعثه الى غيرهم لا سيما مع ما ورد فيه
من صرائح الدلائل القطعية فذكر موضع البعثة
وابتداءه فتكون الغاية مطلقة تعديتها الى عامة
الخلق يتلوا اي يقرأ منجما بعضها بعضا على وجه
الكثرة والعلو والرفعة عليهم مع كونه اميا مثلهم
اياته اي يأتيهم بها على سبيل التجدد والمواصلة
وهي القرآن الذي اعجز الجن والانس ان ياتوا
بسورة من مثله ويزكيهم اي يطهرهم من الشرك
والاخلاق الرذيلة والعقائد الزائغة فكانت
تزكيته لهم مدة حياته بنظره الشريف اليهم وتعليمه
لهم وتلاوته عليهم فربما نظر الى الانسان نظرة تزكاه
الله تعالى بها بحسب القابليات والامور التي
قضى الله تعالى ان تكون مهيئات فكانه اعتق فكانت
لاتباعه الزم فكان في كتاب الله وسنته ارسخ
اي القرآن المنزل عليه الجامع لكل خير ديني ودنيوي
في الاولى والاخرى والحكمة وهي غاية الحكم للكتاب
في قوة فهمه والعمل به وهي العمل المترتب على العلم المتقن
به وقال الحسن الكتاب القرآن والحكمة السنة
وقال ابن عباس الكتاب الخط بالقلم لان الخط انما نشأ
في العرب بالشرع لما امروا بتقييد الخط وقال
مالك بن انس الحكمة الفقه في الدين وان اي وانه
انهم كانوا اي كانوا وكونها هو الجبلة لهم من قبل اي قبل

ويعلمهم الكتاب

الرسالة اليهم لفي ضلال اي بعد عن المقصود
مبين اي ظاهر وظنهم انهم على شيء في نفسه مناد لهم
انه في ضلال باعتقادهم الاباطيل الظاهرة وظنهم
انهم على شيء وعموم الجهل لهم ورضاهم به واختيارهم
له وقوله تعالى واخرين منهم فيه وجهان احدهما انه
مجرور عطفا على الاميين اي وبعث في اخرين
من الاميين اي الموجودين والاتين منهم بعدهم
لما اي لم يلحقوا بهم في السابقة والفضل
الثاني انه منصوب عطفا على الضمير المنصوب
في يعلمهم اي ويعلم اخرين لما يلحقوا بهم وسيلحقون
وكل من تعلم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم
معلمه بالقوة لانه اصل ذلك الخير العظيم والفضل
الجسيم تنبيه الذين لم يلحقوا بهم هم الذين لم يكونوا
في زمنهم وسيجيئون بعدهم قال ابن عمر وسعيد
بن جبير هم العجم وفي الصحيحين عن ابي هريرة
قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت
عليه سورة الجمعة فلما قرأ واخرين منهم لما يلحقوا بهم
قال رجل من هؤلاء يا رسول الله فلم يراجعه النبي
صلى الله عليه وسلم حتى سأله مرة او مرتين او ثلاثا
قال وفينا سلمان الفارسي قال فوضع النبي صلى
الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان
عند الثريا لتناوله رجل من هؤلاء وفي رواية لو
كان الدين عند الثريا لذهب به رجال من فارس

اي قال من ابنا فارس حتى تناوله وقال عكرمة هم
التابعون وقال مجاهد هم الناس كلهم يعني من
بعد العرب الذين بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم
وقال ابن زيد ومقاتل ابن حيان قالا هم من دخل
في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم
القيامة لما روي عن سهل بن سعد الساعدي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان في اصلاب امتي رجالا
ونساء يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلا واخرين منهم
لما يلحقوا بهم قال ابن زيد عادل والعقوا الا ولـ
اثبت وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
رايتني اسقي غنما سودا ثم اتبعها غنما عفرا اولها
يا ابا بكر قال اما السود فالعرب واما العفر فالعجم تتبعك
بعد العرب فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذلك
اولها الملك يعني جبريل عليه السلام رواه ابن
ابي ليلى عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو علي بن ابي طالب وهو ايه ولكان
انه وحده العزيز اي الذي يقدر على كل ما اراده
ولا يغلبه شي فهو يزكي من شا ويعلمه ما اراد
من اي طائفة كان ولو كان اجهل تلك الطائفة
لان الاشيا كلها بيده الحكيم فهو اذا اراد شيا
موافقا شرعه وامره جعله على اتقن الوجوه
واوثقها فلا يستطاع نقضه ومهما اراده كيف كان
فلا بد من انفاذه فلا يطاق رده بوجه ولما كان

هذا

هذا امرا باهلها عظيما بقوله تعالى علي وجه الاستمرار
من قدرته ذلك اي الامر العظيم الرتبة من تفضيل
الرسول وقومه وجعلهم متبوعين بعد ان كان العرب
اتباعا لا وزن لهم عند غيرهم من الطوائف فضل الله
اي الذي له جميع صفات الكمال والفضل ما لم يكن مستحقا
على وجه الفرض يؤتيه من يشاء قال ابن عباس
حيث الحق العجم بقريش وقال الكلبي يعني الاسلام
فضل الله يؤتيه من يشا وقال مقاتل يعني الوحي
والنبوة وقيل انه المال ينفقه في الطاعة لما روي
صالح عن ابي هريرة ان فقرا المهاجرين اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب اهل الدثور
بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك
فقالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون
ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم افلا اعلمكم شيا تدركون به من
سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون احد افضل
منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول
الله قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة
ثلاثا وثلاثين مرة قال ابو صالح فرجع فقرا المهاجرين
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا
من اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه انقياد الناس الى
تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهم في دينه

وبحضرته والله اي الملك المحيط بكل شي قدرة وعلما ذو
الفضل العظيم ولما ترك اليهود العمل بالتوراة ولم يومنوا
بمحمد صلي الله عليه وسلم ضرب الله تعالي لهم مثلا
بقوله تعالي مثل الذين حملوا التوراة اي كلفوا
والزموا حمل الكتاب الذي اتاه الله تعالي لبني اسرائيل
علي لسان موسي عليه السلام بان علمهم اياه سبحانه
وكلفهم حفظ الفاظها عن التغيير والنسيان ومعانيها
عن التحريف والتلبيس وحدودها واحكامها عن
الاهمال والتضييع ثم لم يحملوها بان حملوا الفاظها
ولم يعملوا بما فيها من الوصية باتباع عيسي عليه السلام
اذا جاءهم ثم محمد صلي الله عليه وسلم اذا جاء فهي صارة
لهم شهادتها عليهم فانه لهم خزي النار من غير نفع
اصلا كمثل اي مثل الحمار اي الذي ابلد الحيوان فهو
مثل في البلادة حال كونه يحمل اسفارا اي كتبا كبارا
من كتب العلم حال كونه جمع سفر وهو الكتاب الكبير
المسفر عما فيه في عدم الانتفاع بها لانه يمشي ولا
يدري منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب
وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله ومثل ذلك قول
الشاعر

زوامل للاشعار لا علم عندهم ٭ بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدري البعير اذا غدا ٭ باحماله او راح ما في الغرائر

من انشاد الشيخ ابن الخباز بئس مثل القوم اي
الذين لهم قوة شديدة علي محاولة ما يريدون

الذين

١٢٥

الذين كذبوا اي عمدا علي علم بايات الله اي
دلالات علي رسله ولاسيما محمد صلي الله عليه وسلم
والمخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل والله
اي الذي له جميع صفات الكمال لا يهدي القوم اي لا يخلق
الهداية في قلوب الذين تعمدوا الزيغ الظالمين
اي الذين تعمدوا الظلم بمنابذة الهدي الذي هو
البيان الذي لم يدع لبسا حتي صار الظلم لهم وصفة
راسخة ولما ادعت اليهود الفضيلة وقالوا نحن
ابناء الله واحباؤه نزل قوله تعالي قل اي يا اشرف
الرسل يا ايها الذين هادوا اي تدينوا باليهودية ان زعمتم
اي قلتم قولا هو معرض للتكذيب ولذلك كذبوه
انكم اولياء لله اي الملك الاعلي الذي لا امر لاحد
معه خصكم بذلك خصوصية مبتداة من دون اي
ادني رتبة من رتب الناس فلم تتعدوا الولاية لتلك
الرتبة الدنيا الي احد منهم غيركم بل خصكم بذلك عن
كل من فيه اهلية لحركة لا سيما الاميين فتمنوا الموت
واخبروا عن انفسكم بذلك للنقلة من دار البلاء الي
محل الكرامة ولا لا ان كنتم اي كونا راسخا صادقين
اي عريقين عند انفسكم في الصدق فان من علامة
المحبة الاشتياق الي المحبوب ومن المقطوع به ان كان
في كدر وكان له ولي قد وعده عند الدخول اليه
الراحة التي يسر بها ضد تمني النقلة اليه وقد روي
انه صلي الله عليه وسلم قال لهم والذي نفسي بيده لا

لا يتمنونها احد منكم الا غص بريقه فلم يقلها منهم
احد علما منهم بصدقه صلى الله عليه وسلم فلم يقولوا
ولم يومنوا عنادا منهم ثم اخبر الله تعالى عنهم انهم لا
يتمنونه في المستقبل ايضا بقوله تعالى ولا يتمنونه اي في
المستقبل ابدا بما قدمت ايديهم اي بسبب ما قدموا من
الكفر والمعاصي التي احاطت بهم فلم تدع لهم حظا
في الاخرة تنبيه قال تعالى هنا ولم يتمنونه وفي
البقرة ولن يتمنوه قال الزمخشري لا فرق بين لا ولن
في ان كل منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تاكيدا
وتشديدا ليس في لا فاتي مرة بلفظ التاكيد ولن
يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه ابدا قال ابن عادل
وهذا رجوع منه عن مذهبه وهو ان لن
تقتضي النفي على التاكيد اي منهب لما عندهم
انها لا تقتضيه قال بعضهم وليس فيه رجوع غاية
ما فيه انه سكت عنه وتشريكه بين لا ولن في نفي المستقبل
لا ينفي اختصاص لن بمعنى اخر ودعواهم الولاية
الموصل الى المحبة لا يلزمها الاختصاص بالنعم
بدليل ان الدنيا ليست خالصة لله وليا لحقيقة لهم
الولاية بل البر والفاجر مشتركون فيها والله اي الذي
له الاحاطة بكل شيء قدرة وعلما عليم اي بالغ
العلم محيط بهم هكذا كان الاصل ولكنه تعالى قال
بالظالمين تعميما وتعليقا بالوصف لا بالذات فالمعنى
انه عالم باصحاب هذا الوصف الراسخين فيه منهم

ومن

اشرف الكمالات

ومن غيرهم فهو يجازيهم على ظلمهم قل اي لها باشرف
الرسل ان الموت الذي تفرون منه بالكف عن التمني
فانه ملاقيكم اي لا تفوتونه لاحق بكم تنبيه في هذه
الفا وجهان احدهما انها داخلة لما تضمنه الاسم من
معنى الشرط وحكم الموصوف بالموصول حكم الموصول
في ذلك قال الزجاج لا يقال ان زيدا فمنطلق وههنا
قال فانه ملاقيكم لما في معنى الذي من الشرط والجزاء
اي ان فررتم منه فانه ملاقيكم ويكون مبالغة في
الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه الثاني انها مزيدة
محضة لا للتضمن المذكور ولما كان المكث في البرزخ
امرا لا بد منه مهولا نبه عليه وعلى طوله بأداة
التراخي فقال تعالى ثم تردون الى عالم الغيب اي السر
والشهادة اي العلانية وكلما غاب عن الخلق وكلما
شوهد فينبئكم اي يخبركم اخبارا عظيما مستقصى مستوفى
بما كنتم اي بما هو لكم كالجبلة تعملون اي بكل جزء من
مما برز الى الخارج وما كان في جبلاتكم ولو بقيتم
لعملتموه ليجازيكم يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالسنتهم
بالايمان اذا نودي اي من مناد كان من اهل النداء
للصلوة اي صلاة الجمعة من اي في يوم الجمعة كقوله
تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض والمراد بهذا
النداء الاذان في عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم على المنبر اذن بلال وعن السائب بن يزيد
قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام

على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي
بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني
على الزوراء زاد في رواية فثبت الامر على ذلك
وعن ابي داود قال كان يوذن بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس يوم الجمعة على
المنبر على باب المسجد فاذا نزل اقام للصلاة
ثم كان ابو بكر وعمر وعلي بالكوفة على ذلك حتى
كان عثمان وكثرت الناس وتباعدت المنازل
زاد اذانا اخر فامر بالتاذين الاول على داره التي
تسمى زورا فاذا سمعوا اقبلوا حتى اذا جلس عثمان
على المنبر اذن الاذان الثاني الذي كان على
زمن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا نزل اقام للصلاة
فلم يعب ذلك عليه لقوله تعالى صلى الله عليه
وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفا الراشدين من
بعدي قال الماوردي اما الاذان الاول فمحدث
فعله عثمان بن عفان ليتاهب الناس لسماع الخطبة
عند اتساع المدينة وكثرة اهلها وكان عمر امر ان
يوذن في السوق قبل المسجد ليقوم الناس عن سوقهم
فاذا اجتمعوا اذن في المسجد فجعله عثمان اذانين
في المسجد قال ابن العربي وفي الحديث الصحيح
ان الاذان كان على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم واحد فلما كان زمن عثمان زاد النداء
الثالث على الزوراء وسماه في الحديث ثالثا

لانه

لانه اضافه الى الاقامة كقوله صلى الله عليه وسلم
بين كل اذانين صلاة لمن شاء يعني الاذان والاقا مة
وتوهم بعض الناس انه اذان مستقل فجعلوا المؤذنين
ثلاثة قال ابن عباس فكان وهما ثم جمعوهم في وقت
واحد فكان وهما على وهم واختلفوا في تسمية
هذا اليوم جمعة فمنهم من قال لان الله تعالى جمع
فيه خلق ادم عليه السلام وروى مالك عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير يوم
طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم عليه
وفيه اهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم
الساعة وهو عند الله يوم المزيد وروي انه صلى
الله عليه وسلم قال اتاني جبريل وفي كفه مراة بيضا
وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا
ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن
ندعوه في الاخرة يوم المزيد ومنهم من قال لان الله
تعالى فرغ من خلق الاشيا فاجتمعت فيه المخلوقات
ومنهم من قال لاجتماع الجماعات للصلاة وقيل اول
من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لوي قال ابو
سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لوي وكان اول
من سمى الجمعة جمعة وكان يقال له يوم العروبة وعن
ابن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبي
صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم
الذين سموها الجمعة وقيل ان الانصار قالوا لليهود

يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك
فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى فيه
ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى
فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى اسعد ابن زرارة فصلى
بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم
فيه ثم انزل الله تعالى اية الجمعة فهي اول جمعة كانت
في الاسلام وروي عن عبد الله بن كعب بن مالك
عن ابيه كعب انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة
ترحم لاسعد بن زرارة فقلت له انك اذا سمعت النداء
ترحمت لاسعد بن زرارة قال لانه اول من جمع بنا
في هزم النبيت من حرة بني بياضة في نقيع يقال
له نقيع الخضمات قلت لكم كنتم يومئذ قال اربعون
اخرجه ابو داود واما اول جمعة جمعها النبي صلى الله
عليه وسلم باصحابه فقال اهل السير لما قدم النبي صلى
الله عليه وسلم مهاجرا نزل قبا على بني عمرو بن عوف
يوم الاثنين لاثني عشر ليلة خلت من شهر ربيع
الاول حين اشتد الضحى ومن ذلك السنة بعد
التاريخ فاقام بها الى يوم الخميس واسس مسجدهم
ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلاة
الجمعة في بني سالم ابن عوف في بطن واديهم فاتخذ
القوم في ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب وهي
اول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله احمده
واستعينه واستغفره واستهديه واومن به ولا اكفره

واعادي

واعادي من يكفر به واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله
بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على
فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس
وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من
الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص
الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا
اوصيكم بتقوى الله فانه خير مثل ما اوصى
به المسلم لان يحضه على الاخرة وان يامره بتقوى
الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه فان تقوى
الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عنوان
صدق ما تبغون من الاخرة ومن يصلح الذي بينه
وبين الله من امره في السر والعلانية لا ينوي
به الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره وذخرا فيما
بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان
من سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا
ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد وهو الذي
صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه ما
يقول ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد
فاتقوا الله في عاجل امركم واجله في السر والعلانية
فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا
ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله
توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وان

تقوى الله تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة
فخذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم في
كتابه واوضح لكم سبله ليعلم الذين صدقوا ويعلم
الكاذبين واحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداه
وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم
المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من
حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فاكثروا
ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فانه من يصلح ما
بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك
بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه
ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال بعضهم لما ابطل
الله تعالى قول اليهود في ثلاث افتخروا بانهم اوليا
الله واحباوه فكذبهم في قوله تعالى فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين وبانهم اهل الكتاب والعرب
لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل اسفارا وبالسبت
وانه ليس للمسلمين مثله فشرع الله تعالى لهم
الجمعة ذكره قال ابو حنيفة ان قصر الخطيب على
مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز
وعن عثمان انه صعد المنبر فقال الحمد لله فارتج
عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام
مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام
قوال وستاتيكم الخطبة ثم نزل وكان ذلك بحضرة

الصحابة فلم ينكر عليه احد وعند صاحبيه والشافعي
لا بد من كلام يسمى خطبة ولها اركان وشروط
مذكورة في الفقه فان قيل كيف يفسر ذكر الله بالخطبة
وفيها ذكر غير الله اجيب بان من ذكر رسوله
والثنا عليه وعلى خلفائه الراشدين والانبيا المومنين
والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله واما ما
عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثنا عليهم
والدعا لهم وهم احق بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان
وهو من ذكر الله على مراحل فان المنصت للخطبة
اذا قال لصاحبه صه فقد لغا افلا يكون الخطيب
المغالي في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام
ونكد الايام وقد خاطب الله تعالى المومنين بالجمعة
دون الكافرين تشريفا لهم وتكريما فقال يا ايها
الذين امنوا ثم خصه بالندا وان كان قد دخل
في عموم قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلاة ليدل
على وجوبه وتاكيده قال بعض العلما كون الصلاة
الجمعة هاهنا معلوم بالاجماع لا من نفس اللفظ
بنكتة وهي قوله تعالى من يوم الجمعة وذلك يفيد
لان الندا الذي يختص بذلك اليوم وهو ندا تلك
الصلاة واما غيرها فهو عام في ساير الايام ولو لم
يكن المراد به ندا الجمعة لم يكن لتخصيصه بها واضافته
اليها معنى ولا فايدة واختلف في معنى قوله تعالى
فاسعوا اي لتكونوا اوليا الله ولا تبتغوا في ذلك

فقال الحسن والله ما هو سعي على الاقدام ولكنه سعي
بالقلوب والنية وقال الجمهور السعي العمل لقوله تعالى ومن
اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله تعالى
ان سعيكم لشتى وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما
سعى وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا اقيمت الصلاة فلا تاتوها وانتم تسعون ولكن
ائتوها تمشون وعليكم السكينة فما ادركتم فصلوا وما
فاتكم فاتموا واختلفوا ايضا في معنى قوله تعالى الى ذكر
الله اي الملك الاعظم فقال سعيد بن المسيب هو موعظة
الامام وقال غيره الخطبة والصلاة المذكرة بالملك الاعظم
الذي من انقطع عن خدمته هلك ولما امر بالمبادرة
الى تجارة الاخرة قال تعالى ناهيا عن تجارة الدنيا التي
تعوق عن الجمعة وذروا البيع اي اتركوا البيع والشرا لان
اسم البيع يتناولهما جميعا وانما يحرم البيع والشرا عند
الاذان الثاني قال الزهري عند خروج الامام وقال
الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشرا وانما خص
البيع من بين الامور الشاغلة عن ذكر الله تعالى
لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من بواديهم وقراهم
وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت هبوطهم
واجتماعهم واختصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار
وتعالى الضحى ودنى وقت الظهيرة وحينئذ تحر للذهو
بالبيع والشرا فلما كان ذلك الوقت مظنة للذهول
بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل بادروا
تجارة

تجارة الاخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله
ذلكم اي الامر العالي الرتبة مع فعل السعي وترك
الاشتغال بالدنيا خير لكم لان الامر الذي امركم به
الذي له الامر كله وهو يريد تطهيركم في اديانكم وابدانكم
واموالكم وبيده اسعادكم واشقاكم فان قيل اذا كان
البيع في هذا الوقت محرما فهل هو فاسد اجيب
بان عامة العلماء على ان ذلك لا يوجب فساد البيع
قالوا لان البيع لا يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول
عن الواجب فهو كالصلاة في الارض المغصوبة والثوب
المغصوب والوضوء بما مغصوب وعن بعض الناس
انه فاسد وزاد في الحث على ذلك بقوله تعالى ان كنتم
اي بما هو لكم كالجبلة تعلمون اي يتجدد لكم علم في
يوم من الايام فانتم ترون ذلك خيرا لكم وصلاة
الجمعة فرض عين تجب على كل من جمع الاسلام والبلوغ
والعقل والحرية والذكورة والاقامة اذا لم يكن عنده
عذر مما ذكره الفقها ومن تركها استحق الوعيد
قال صلى الله عليه وسلم لينتهين اقوام عن ودعهم
الجمعات او ليختمن الله تعالى على قلوبهم ثم ليكونن
من الغافلين وروي انه صلى الله عليه وسلم قال
من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونا بها طبع الله على
قلبه قال ابن عادل ونقل عن بعض الشافعية ان الجمعة
مما يتصور هنا فلا تجب عليه وتجب على الاعمى وجد
قائدا وشيخا او زمنا وجدا مركبا لا يشق ركوبه عليهما

واختلف اهل العلم في موضع اقامة الجمعة وفي العدد
الذي تنعقد بهم الجمعة وفي المسافة التي يجب ان يوتى
منها فذهب قوم الى ان كل قرية اجتمع فيها اربعون
رجلا بالصفة المتقدمة تجب عليهم اقامة الجمعة
فيها وهو قول عبد الله بن عمر وعمر بن عبد العزيز
وبه قال الشافعي واحمد واسحاق قالوا لا تنعقد الجمعة
باقل من اربعين رجلا على هذه الصفة وشرط
عمر بن عبد العزيز مع الاربعين ان يكون فيهم
وال وعند ابي حنيفة تنعقد باربعة والوالي شرط
ولا تقام عنده الا في مصر جامع وقال الاوزاعي
وابو يوسف تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال
ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا ولا تجب الجمعة على
اهل البوادي الا اذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه
الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم
وبه قال الشافعي واحمد واسحاق والشرط ان
يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت في وقت تكون
الاصوات هادية والرياح ساكنة فكل قرية تكون
من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب
على اهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب
على اهلها حضور الجمعة في القرب على هذا القدر
يجب على من اواه المبيت قال الزهري يجب على من
كان على ستة اميال وعن ربيعة على اربعة اميال
وقال مالك والليث على ثلاثة اميال وقال ابو حنيفة

لا جمعة على اهل البوادي سواء كانت القرية قريبة
ام بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ما روى البخاري
عن ابن عباس ان اول جمعة جمعت بعد جمعة في
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد
عبد القيس بجواثا من البحرين تنبيه فضل يوم
الجمعة مشهور واحاديثه كثيرة مشهورة تقدم بعضها
ان الله تعالى فضل من البلدان مكة ومن الشهور
رمضان ومن الايام الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم
من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة
القبر وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة
على ابواب المساجد بايديهم صحف من فضة واقلام
من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم
قال الزمخشري وكانت الطرقات في ايام السلف وقت
السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون
بالسرج وقيل اول بدعة احدثت في الاسلام
ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود انه بكر فراى ثلاثة
نفر سبقوه فاغتم واخذ يعاتب نفسه ويقول اراك
رابع اربعة وما رابع اربعة بسعيد وعن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة
غسل الجنابة اي مثل غسلها ثم راح في الساعة
الاولى كان كمن قرب بدنة ومن راح في الساعة
الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة
فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة

فكانما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة
فكانما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة
يستمعون الذكر وروي لنسايي وبالخامسة كالذي يهدي
عصفورا وفي السادسة بيضة ثم من جاني اول
ساعة منها ومن جاني اخرها مشتركان في كانت
في تحصيل البدنة مثلا لكن بدنة الاول اكمل من بدنة
الاخر وبدنة المتوسط متوسطة وهذا في حق
غير الامام اما هو فيسن له التاخير الى وقت الخطبة
اتباعا للنبي صلي الله عليه وسلم وخلفايه ويسن
اكثار الدعا يومها وليلتها اما يومها فرجا ان
يصادف ساعة الاجابة وهي ساعة خفيفة
وارجاها من جلوس الخطيب الي اخر الصلاة كما في
خبر مسلم قال النووي واما خبر يوم الجمعة ثنتا عشرة
ساعة فيه ساعة لا يوجد مسلم يسال الله شيا الا
اعطاه اياه فالتمسوها اخر ساعة بعد العصر فيحتمل
ان هذه الساعة منتقلة تكون يوما في وقت ويوما
في اخر كما هو المختار في ليلة القدر واما ليلتها فقياسا
علي يومها وقد قال الشافعي بلغني ان الدعا يستجاب
في ليلة الجمعة ويسن اكثار الصلاة علي النبي صلي
الله عليه وسلم في يومها وليلتها لخبر اكثروا علي من
الصلاة ليلة الجمعة ويوم الجمعة فمن صلي علي صلاة
صلي الله عليه بها عشرا واكثار قراة سورة الكهف
يومها وليلتها لخبر من قرا سورة الكهف في الجمعة اضا له

من

من النور ما بين الجمعتين وفي هذا القدر كفاية
ولما حث علي الصلاة وارشد الي ان وقتها لا يصلح
لطلب شي غيرها بين لهم وقت المعاش بقوله
تعالي فاذا قضيت الصلاة اي اوقع الفراغ منها
علي اي وجه كان فانتشروا اي فابوا وتفرقوا بجهد
في ذلك في الارض اي جميعها للتجارة والتصرف
في حوايجكم ان شيتم لا جناح عليكم ولا حرج رخصة
من الله تعالي لكم وابتغوا اي اطلبوا الرزق من فضل
الله اي الذي بيده كل شي ولا شي لغيره وهذا امر
اباحة كقوله تعالي واذا حللتم فاصطادوا قال
ابن عباس ان شيت فاخرج وان شيت فاقعد وان
شيت فصل الي العصر وقيل فانتشروا في الارض
ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور
جنازة وزيارة اخ في الله تعالي وقال الحسن وسعيد
بن جبير ومكحول وابتغوا من فضله هو طلب
العلم واذكروا الله كثيرا اي بحيث لا تغفلون عنه بقلوبكم
اصلا ولا بالسنتكم حتي عند الدخول الي الخلا وعند
اول الجماع واستثني من الثاني وقت التلبس الي
بالعذر كوقت قضا الحاجة والجماع لعلكم تفلحون اي
تفوزون بالجنة والنظر الي وجهه الكريم وعن جابر
بن عبد الله ان النبي صلي الله عليه وسلم كان يخطب
قايما يوم الجمعة فجات عير من الشام فانفتل الناس
اليها حتي لم يبق الا اثني عشر رجلا وفي رواية

انا فيهم فانزل الله تعالى واذا راوا تجارة اي حمولة
هي موضع للتجارة او لهوا اي ما يلهي عن كل نافع
انفضوا اي تفرقوا مسرعين من العجلة اليها اي
التجارة لانها مطلوبهم دون اللهو واختير العطف
باو فافراد الضمير اولى وقال الزمخشري تقديره
واذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه
فحذف احدهما لدلالة المذكورة عليه وذكر الكلبي
وغيره ان الذي قدم بها دحية بن خليفة الكلبي
من الشام عن مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع
ما يحتاج اليه الناس من بر ودقيق وغيره فنزل
عند احجار الزيت وضرب الطبل ليؤذن الناس
بقدومه فخرج الناس الا اثني عشر رجلا وقال ابن
عباس في رواية الكلبي لم يبق في المسجد الا ثمانية
رهط وقال الحسن وابو مالك اصاب اهل المدينة
جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة
زيت من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب
يوم الجمعة فلما راوه قاموا اليه بالبقيع خشوا ان
يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم
الا رهط منهم ابو بكر وعمر فنزلت هذه الاية
فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي محمد بيده
لو تتابعتم حتى لم يبق منكم احد لسال الوادي
نارا وقال مقاتل ابن حبان ومقاتل بن سليمان
بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة

ان

ان قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة
وكان اذا قدم المدينة لم يبق بالمدينة عاتق الا اتته
وكان يقدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وغيره
فينزل عند احجار الزيت وكان في سوق المدينة
ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج
اليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وكان
ذلك قبل ان يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو قائم على المنبر يخطب فخرج الناس اليه ولم
يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا وامراة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت عليهم الحجارة
من السماء وانزل الله تعالى هذه الاية واراد باللهو
الطبل والتصفيق وقال علقمة سئل عبد الله اكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب قائما او قاعدا
قال اما تقرا وتركوك قائما وعن جابر بن عبد الله قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة
خطبتين قائما يفصل بينهما بجلوس وذكر ابو داود
في مراسيله السبب الذي رخصوا لانفسهم في
ترك سماع الخطبة وقد كانوا خليقا لفضلهم ان لا
يفعلوا فقال حدثنا محمد بن خالد قال حدثنا الوليد
قال اخبرني بكير بن معروف انه سمع مقاتل ابن حبان
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة
قبل الخطبة كالعيدين حتى كان يوم جمعة والنبي صلى
الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل فقال

لدحية بن خليفة قدم بتجارة وكان دحية اذا
قدم تلقاه اهله بالدفوف فخرج الناس فلم يظنوا
الا انه ليس في ترك الخطبة شيء فانزل الله تعالى هذه
الاية فقدم النبي صلى الله عليه وسلم الخطبة يوم الجمعة
واخر الصلاة فكان لا يخرج احد لرعاف او احداث بعد
النهي حتى يستاذن النبي صلى الله عليه وسلم يشير
اليه باصبعه التي تلي الابهام فياذن له النبي صلى
الله عليه وسلم ثم يشير اليه بيده فكان المنافقين
من تثقل عليه الخطبة والجلوس في المسجد فكان
اذا استاذن رجل من المسلمين قام المنافق الى جنبه
مستترا به حتى يخرج فانزل الله تعالى قد يعلم الله الذين
يتسللون منكم لواذا الاية قال السهيلي وهذا
الخبر وان لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل باصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم يوجب ان يكون صحيحا
وقال قتادة وبلغنا انهم فعلوه ثلاث مرات كل مرة
عير تقدم من الشام وكل ذلك يوافق الجمعة وقيل
خروجهم لقدوم دحية بتجارته ونظرهم الى العير يمر
لهو لا فائدة فيه الا انه كان مما لا اثم فيه لو وقع
على ذلك الوجه ولكنه لما اتصل به الاعراض عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفضاض عن
حضرته غلظ وكبر ونزل فيه من القران وتهجينه
باسم اللهو ما نزل وقوله تعالى **وتركوك** اي تخطب حتى
بقيت في اثني عشر رجلا قال جابر انا احدهم ونزل

تعالى

تعالى **قائما** جملة حالية من فاعل انفضوا وقد
مقدرة عند بعضهم **تنبيه** في قوله تعالى قائما تنبيه
على مشروعية في الخطبتين وهو من الشروط للقادر
على القيام اما اركانها فخمسة حمد الله تعالى وصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم بلفظهما ووصية
بتقوى الله وهذه الثلاثة في كل من الخطبتين وقراءة
اية مفهمة ولو في احداهما والاولى اولى ودعا
المؤمنين في ثانية ومن الشروط كونهما عربيتين
وكونهما في الوقت وولاء وطهر وستر كالصلاة **قل** يا
اشرف الخلق للمؤمنين **ما عند الله** اي المحيط بجميع
صفات الكمال **خير** ما موصولة مبتدا وخير خبرها
من اللهو ومن التجارة والمعنى ما عند الله تعالى من
ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم وقيل
ما عند الله تعالى من رزقكم الذي قسمه لكم خير مما
اقتسمتموه من لهوكم وتجارتكم **والله** اي ذو الجلال والا
كرام وحده **خير الرازقين** اي خير من رزق واعطى
منه فاطلبوا واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده
من خيري الدنيا والاخرة وما قاله البيضاوي تبعا
للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ
سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
من اتى الجمعة ومن لم يأتها من امصار المسلمين حديث
موضوع **سورة المنافقين مدنية** ه
وهي احدى عشرة اية ومائة وثمانون كلمة وسبعماية

وستة وسبعون حرفا بسم الله الذي له الاحاطة العظمى
علما وقدرة الرحمن الذي يشمل بعموم رحمته من اراد من
عباده الرحيم الذي وفق اهل وده لما يحبه ويرضاه اذا
جاءك يا ايها الرسول المبشر بك في التوراة والانجيل
وقرا حمزة وابن ذكوان بالامالة والباقون بالفتح
واذا وقف حمزة سهل الهمزة مع المد والقصر المنافقون
اي الذين يبقون في وصف النفاق وهم عبد الله بن
ابي بن سلول واصحابه قالوا مؤكدين لاجل استشعارهم
لتكذيب من سمعهم بما عندهم من الارتياب نشهد
قال الحسن هو بمنزلة كانهم قالوا نقسم انك لرسول الله
اي الملك الذي له الاحاطة الكاملة فراضوا الحق
بظاهر احوالهم وخالفوا بقلوبهم وافعالهم وقوله
تعالى والله يعلم اي وعلمه هو العلم في الحقيقة واكد
سبحانه بحسب انكار المنافقين فقال تعالى انك لرسوله
سواء شهد المنافقون بذلك ام لا فالشهادة بذلك
حق بما يطابق لسانه قلبه جملة معترضة بين قولهم
نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون
لئلا يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله
والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام والله اي المحيط
بجميع صفات الكمال يشهد شهادة هي الشهادة لانها
محيطة بدقائق الظاهر والباطن ان المنافقين اي
الراسخين في وصف النفاق لكاذبون اي في اخبارهم
عن انفسهم انهم يشهدون لان قلوبهم لا تطابق السنتهم

فهم

فهم لا يعتقدون ذلك ومن شرط قول الحق ان
يتصل ظاهره بباطنه وسره بعلانيته ومتى تخالف
ذلك فهو كذب الا ترى انهم كانوا يقولون بالسنتهم
نشهد انك لرسول الله وسماه الله تعالى كذبا لان قولهم
خالف اعتقادهم اتخذوا ايمانهم اي كلها من شهادتهم
وكل يمين سواها جنة اي سترة على اموالهم ودمائهم روى
البخاري عن زيد بن ارقم قال كنت مع عمي فسمعت عبد
الله بن ابي سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول
الله حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد
الله بن ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكذبني فاصابني هم لم
يصبني مثله فجلست في بيتي فانزل الله تعالى اذا جاءك
المنافقون الى قوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا
على من عند رسول الله وقوله ليخرجن الاعز منها
الاذل فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
ان الله قد صدقك وروى الترمذي عن زيد بن
ارقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان معنا اناس من الاعراب فكنا نبتدر الماء وكان
الاعراب يسبقوننا فسبق الاعرابي اصحابه فيملأ الحوض
ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء اصحابه
قال فاتى رجل من الانصار اعرابيا فارخى زمام ناقته

لتشرب فابى ان يدعه فانتزع حجرا ففاض الما فرفع
الاعرابي خشبة فضرب بها راس الانصاري فشجه
فاتى عبد الله بن ابي راس المنافقين فاخبره وكان
من اصحابه فغضب عبد الله بن ابي ثم قال لا تنفقوا
على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعني
الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله اذا انفضوا
من عند محمد فاتوا محمدا بالطعام فلياكل هو ومن
عنده ثم قال لاصحابه لئن رجعتم الى المدينة
ليخرجن الاعز منكم الاذل قال زيد وانا ردف عمي
فسمعت عبد الله بن ابي فاخبرت عمي فانطلق
فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني قال فجاء عمي
الي فقال ما اردت ان مقتك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكذبك والمنافقون قال فوقع علي من
جراتهم ما لم يقع على احد قال فبينما انا اسير مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قد خفقت
راسي من الهم اذ اتاني رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعرك اذني وضحك في وجهي فما كان يسرني
ان لي بها الخلد في الدنيا ثم ان ابا بكر لحقني فقال
ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت
ما قال شيئا الا انه عرك اذني وضحك في وجهي فقال
ابشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لابي بكر فلما

اصبحنا

اصبحنا قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين
قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وروي انه
صلى الله عليه وسلم حين لقي بني المصطلق على المر
يسيع وهو ما لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الما
جهجاه بن سعيد اجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهني
حليف لعبد الله بن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه بالمها
جرين وسنان بالانصار فاعان جهجاه جعال من فقرا
المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وانت
هناك وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله
ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك ياكلك
اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم احللتموهم
بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم
عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولا
وشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى
ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم
وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل المبغض
في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين
فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر دعني
اضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد
انوف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري

فأمر به انصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا
يقتل اصحابه وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله انت
صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي انزل
الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب فهو
كقوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول
الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى
ان يكون قد وهم فروي انه صلى الله عليه وسلم
قال لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله اخطأ سمعك
قال لعله شبه عليك قال فلما نزلت لحق صلى
الله عليه وسلم زيدا من خلفه فعرك اذنه وقال وفت
اذنك يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين
تنبيه سئل حذيفة بن اليمان عن المنافق
فقال الذي يصف الايمان ولا يعمل به وروى ابو
هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اية المنافق
ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن
خان وروى عبد الله بن عمر ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اربع من كن فيه منافقا خالصا
ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة
من النفاق حتى يدعها اذا اؤتمن خان واذا حدث
كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وروي لكن
لما ذكر هذا الحديث فقال ان بني يعقوب حدثوا
فكذبوا ووعدوا فاخلفوا وائتمنوا فخانوا انما هذا
القول من النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل

الله

الانذار للمسلمين والتحذير لهم ان يعتادوا هذه
الخصال شفقا ان تفضي بهم الى النفاق وليس المعنى
من ندرت منه هذه الخصال من غير اختيار واعتياد
انه منافق وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن اذا حدث
صدق واذا وعد انجز واذا ائتمن وفى والمعنى المؤمن
الكامل **فصدوا** اي بسبب اتخاذهم هذا ان
اعرضوا بانفسهم مع سوء البواطن وحرارة ما في
الصدور وحملوا غيرهم على الاعراض **عن سبيل الله**
اي عن طريق الملك الاعظم الذي شرعه لعباده
ليصلوا به الى محل رضوانه ووصلوا الى ذلك جدا عنهم
ومكرهم بجراءتهم على الايمان الكاذبة **انهم ساء ما كانوا** اي
جبلة وطبعا **يعملون** اي يجددون عمله مستمرين
عليه بما هو كالجبلة من جراءتهم على الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم وخلص عباده بالايمان الكاذبة
ولما كانت المعاصي تعمي القلب فتكسف باعظمها علله
بقوله تعالى **ذلك** اي سوء عملهم **بانهم امنوا ثم كفروا**
فان قيل ان المنافقين لم يكونوا الا على الكفر الثابت
الدائم فما معنى قوله تعالى امنوا ثم كفروا اجيب
بثلاثة اوجه احدها امنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة
وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم
ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليهم من قولهم
ان كان ما يقول محمد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة
تبوك ايطمع هذا الرجل ان تفتح له قصور كسرى وقيصر

هيهات ونحوه قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا
كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وظهر كفرهم بعد
ان اسلموا ونحوه لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم
والثاني امنوا اي نطقوا بالايمان عند المومنين
ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام
بقوله واذا لقوا الذين امنوا الى قوله انما نحن
مستهزؤن وهذا اعلام من الله تعالى لان المنافقين
كفار الثالث ان يراد ان ذلك في قوم امنوا ثم
ارتدوا فطبع اي فحصل لهم الطبع وهو الختم مع
انه معلوم انه لا يقدر على ذلك غيره تعالى على
قلوبهم اي لتحصل اجترائهم على ما هو اكبر الكباير
عليهم وهو النفاق فهم اي فتسبب عن ذلك انهم لا يفقهون
اي لا يقع لهم فقه شي من الاشيا فهم لا يميزون
صوابا من خطا ولا حقا من باطل واذا رايتهم اي ايها
الرسول على ما لك من الفطنة ونفوذ الفراسة
او ايها الرائي كائنا من كان بعين البصر تعجبك
اجسامهم اي لضخامتها وصباحتها فان عنايتهم
كلها بصلاح ظواهرهم وترفيه انفسهم فهم اشباح
وقوالب ليس وراها الباب وحقايق قال ابن
عباس كان ابن ابي جسيما صحيحا فصيحا ذلق اللسان
وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤسا
المدينة وكانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله
عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم وان يقولوا

اي

اي يوجد منهم قول في وقت من الاوقات تسمع
لقولهم اي لفصاحته فيلتذ السمع ويروق الفكر
كانهم اي في حسن ظواهرهم وسوء بواطنهم وفي
عدم الانتفاع بهم في شي خشب جمع كثرة لخشبة
وهو دليل على كثرتهم مسندة اي قطعت من مغارسها
ممالة الى الجدار وقرا ابو عمرو والكساي بسكون الشين
والباقون بضمها يحسبون اي لضعف عقولهم وكثرة
ارتيابهم لكثرة ما يباشرون من سوء اعمالهم كل صيحة
اي من مناد في انشاد ضالة او انفلات
دابة او نحو ذلك واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم
وهلعهم لما في قلوبهم من الرعب ان ينزل فيهم ما
يبيح دماءهم ومنه اخذ الاخطل ما زلت تحسب
كل شي بعدهم ، خيلا تكر عليهم ورجالا ومنه قول الاخر
كان بلاد الله وهي عريضة ، على الخائف المطلوب كفة حابل
يخال اليه ان كل ثنية ، يتممها ترمي اليه بقاتل
هم العدو اي الكامل العداوة بما دل عليه الاخبار
بالمفرد الذي يقع على الجمع اشارة الى انهم في شدة
عداوتهم للاسلام واهله وكمال قصدهم وشدة
تشبههم فيه على قلب واحد وان اظهروا التودد
في الكلام والتقرب بدا الى اهل الاسلام فان السنتهم
معكم اذا لقوكم وقلوبهم عليكم مع اعدايكم فهم عيون
لهم عليكم فاحذرهم لان اعدا عدوك من يباسطك
وتحت ضلوعه الد الكمنة يكون للطف الله تعالى

دايم لكنه لان منكوسا في اكثر تقلباته بيوا العهد وكرمه
قوله تعالى قاتلهم الله اي اهلكهم الملك المحيط
قدرة وعلما فعل من يقاتله عدو قاهر له اشد مقاتلة
علي عادة الفعل الذي يكون بين اثنين وقال ابن
عباس اي لعنهم الله وقال ابو مالك هي كلمة ذم
وتوبيخ وقد تقول العرب قاتله الله ما اشعره فيضعونه
موضع التعجب انى يوفكون اي كيف لا يرجعوا عما هم
عليه وقال ابن عباس انى يوفكون اي يكذبون
وقال مقاتل اي يعدلون عن الحق وقال الحسن
يصرفون عن الرشد وقيل معناه كيف تضل عقولهم
عن هذا مع وضوح الدلايل وهو من الافك واذا
قيل لهم اي من قايل كان تعالوا اي ارفعوا انفسكم
مجتهدين في ذلك بالمجي الى اشرف الخلق الذي
لا يزال مكانه عاليا لعلو مكانته يستغفر لكم اي
يطلب لكم الغفران لاجلكم خاصة من اجل هذا
الكذب اي الذي انتم مصرون عليه رسول الله
اي اقرب الخلق الى الملك الاعظم الذي لا شبيه
لوجوده لووا روسهم اي فعلوا اللي بغاية الشدة
والكثرة وهو الصرف الى جهة اخرى اعراضا وعتوا
واظهارا للبغض والنفرة ورايتهم اي بعين البصيرة
يصدون اي يعرضون اعراضا قبيحا عما دعوا اليه
مجددين لذلك كلما دعوا اليه والجملة في موضع
المفعول الثاني النفرة وهم مستكبرون اي ياتون الكبر

عما دعوا اليه وعن احلال انفسكم في محل الاعتذار
لهم لشدة غلظهم لا يدركون قبح ما هم عليه ولا
يهتدون الى دوايه واذا ارشدهم غيرهم ونبههم لا ينتبهون
فقد روي انه لما نزل القران فيهم اتاهم عشايرهم
من المومنين وقالوا ويحكم افتضحتم واهلكتم انفسكم
فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوبوا اليه من
النفاق واسالوه ان يستغفر لكم فلووا روسهم اي حركوها
اعراضا وابا، قاله ابن عباس وعنه انه كان لعبد الله
بن موقف في كل سبت يحض على طاعة الله وطاعة
رسوله فقيل له وما ينفعك ذلك ورسول الله صلى
الله عليه وسلم عليك غضبان فاته يستغفر لك
فابى وقال لا اذهب اليه وروي ان ابي راسهم لوى
راسه وقال لهم امرتم علي بالايمان فامنت وامرتم
علي بان اعطي زكاة مالي ففعلت ولم الا ان تامروني
بالسجود لمحمد فنزل واذا قيل لهم تعالوا ولم يلبث
الا اياما قلايل حتى اشتكى ومات ولما كان صلى
الله عليه وسلم يحب صلاحهم فهو يحب ان يستغفر لهم
وربما ذهب الى ذلك لبعض اقاربهم قال تعالى منبها
على انهم ليسوا اهل الاستغفار لانهم لا يومنون سوا
عليهم استغفرت لهم المستغني بهمزة الاستفهام عن همزة
الوصل ام لم تستغفر لهم اي لرسوخهم في الكفر لن الله
اي الذي له كمال الصفات لا يهدي القوم اي الناس الذين
لهم قوة في انفسهم على ما يريدونه الفاسقين اي

لانهم لا عذر لهم في الاصرار على الفسق وهو المروق
من حصن الاسلام بخرقه وهتكه مرة بعد مرة
والتمرن عليه حتى استحكم فهم راسخون في النفاق
وخرج من مظنة الاصلاح هم اي خاصة لخالص
بواطنهم الذين يقولون اي اوجدوا هذا القول لكل
الانصار ولا يزالون يجددونه لانهم كانوا امروا بوطني
بالاسباب محجوبين عن شهود التدبير لا تنفقوا
اي المخلصون في النصرة على من اي الذين عند
رسول الله اي الملك المحيط بكل شيء وهم فقراء
المهاجرين حتى ينفضوا اي يتفرقوا فيذهب كل احد
منهم الى اهله وشغله الذي كان له قبل ذلك
قال البقاعي وما دريه ان حلف انهم لو فعلوا ذلك
اتاح الله تعالى غيرهم للانفاق او امر رسوله صلى
الله عليه وسلم فدعا في الشيء اليسير فصار كثيرا وكان
بحيث لا ينفد واعطى كل يسيرا من طعام على كيفية لا ينفد
منها كتمر ابي هريرة وشعير عائشة وعكة ام ايمن
وغير ذلك كما روي غير مرة ولكن من يضلل الله فما له
من هاد ولذلك عبر في الرد عليهم بقوله تعالى ولله اي
قالوا ذلك واستمروا عليه بتجديد قوله والحال ان للملك
الذي لا امر لغيره خزائن السموات اي كلها والارض
كذلك من الاشياء المعدومة الداخلة تحت مقدوره وانما
امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ومن الاشياء
التي اوجدها فهو يعطي من يشاء منها حتى من ايديهم

لا

لا يقدر احد على منع شيء من ذلك لا مما في يده
ولا مما في يد غيره ونبه على سوء عبادتهم وانهم تقيدوا
بالوهم حتى سفلوا عن رتبة البهائم كما قال بعضهم ان
كان محمد صادقا فنحن شر من البهائم بقوله تعالى
ولكن المنافقين اي العريقين في وصف النفاق لا
يفقهون اي لا يتجدد لهم فهم اصلا كالبهائم بل هم
اضل لان البهائم اذا رات شيئا ينفعها يوما في مكان
طلبته مرة اخرى وهؤلاء راوا غير مرة ما اخرج الله
تعالى من خوارق البركات على يد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم ينفعهم ذلك ودل على عدم فقههم
بقوله تعالى يقولون اي يوجدون هذا القول ويجد
دونه موكدين لاستعلائهم بان اكثر قومهم ينكر
لئن رجعنا اي ايها العصابة المنافقة الى المدينة اي
من غزاتنا هذه وهي غزوة بني المصطلق حي
من هذيل خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم
يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل ليخرجن
الاعز يعنون انفسهم منها اي المدينة الاذل يعنون
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وهم كاذبون
في هذا لكونهم تصوروا لشقوة عبادتهم ان العزة لهم
وانهم يقدرون على اخراج المومنين ولله اي والحال
ان كل من له نوع بصيرة يعلم ان الملك الاعلى هو الذي له
وحده له العزة الغلبة كلها ولرسوله وان عزته من عزته
وللمومنين فعزة الله قهره من دونه وكل ما عداه دونه

وعزة رسوله اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين
نصر الله تعالى اياهم على اعدائهم ولكن المنافقين اي الذين
استحكم فيهم مرض القلوب لا يعلمون اي لا يوجد لهم
علم الان ولا يتجدد في حين من الاحيان فلذلك هم
يقولون مثل هذا الهذيان روي انه لما نزلت هذه الاية
جا عبد الله ولد عبد الله بن ابي بن سلول الذي نزلت
هذه الايات بسببه لما راى ابيه وذلك في غزوة المر
يسيع لبني المصطلق فاخذ بزمام ناقته وقال انت
والله الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز فلما
اراد ان يدخل عبد الله بن ابي اعترضه ابنه حباب وهو
عبد الله غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه وقال
ان حباب اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله
لا تدخلها حتى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز
وانا الاذل فلم يزل حبيسا في يده حتى امره رسول الله
صلى الله عليه وسلم بتخليته وروي انه قال لئن لم تقر لله
ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فقال ويحك افاعل
انت قال نعم فلما راى من الجد قال اشهد ان العزة لله
ولرسوله وللمؤمنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابنه
جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فان قيل ما
الحكمة في انه تعالى ختم الاية الاولى بقوله تعالى
لا يفقهون وختم الثانية بقوله تعالى لا يعلمون اجيب
بانه ليعلم بالاولى قلة كياستهم وفهمهم وبالثانية
حماقتهم وجهلهم ويفقهون من فقه يفقه كعلم يعلم

او

او من فقه يفقه كعظم يعظم فالاول لحصول الفقه
بالتكلف والثاني لا بالتكلف فالاول علاجي والثاني
مزاجي ثم نهى تعالى المؤمنين عن التشبه بالمنافقين
فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان وقلوبهم
مذعنة كظواهرهم لا تلهكم اي لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم
سواء كان ذلك في اصلاحها او التمتع بها حيث تغفلون
عن ذكر الله اي الملك الاعظم حذرا من
اخلاق المنافقين اي لا تشتغلوا باموالكم كما فعل المنافقون
ان قالوا لاجل الشح باموالهم كما فعل المنافقون لا تنفقوا
على من عند رسول الله قال الضحاك اي عن الصلوات
الخمس نظيره قوله تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر
الله وقال الحسن من جميع الفرائض كانه قال عن طاعة
الله تعالى وقيل عن الحج والزكاة وقيل عن قراءة القران
وقيل عن ادامة الذكر وقيل هذا خطاب للمنافقين
اي امنتم بالقول فامنوا بالقلب ولما كان التقدير
فمن انتهى فهو من الفائزين عطف عليه قوله تعالى
ومن يفعل اي يوقع في زمن من الازمان على سبيل
التجديد والاستمرار فعل ذلك اي الامر البعيد عن
افعال ذوي الهمم من الانقطاع الى الاشتغال
بالفاني والاعراض عن الباقي فاولئك اي البعداء عن
الخير هم الخاسرون اي العريقون في الخسارة في تجارتهم
حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني حتى كانهم
مختصون بها دون الناس وذلك ضد ما ارادوا وانفقوا

اي مما امرتم به من واجب او مندوب كما قال بعض
المفسرين وقال ابن عباس يريد زكاة الاموال وهو
ظاهر الامر ثم ان الله تعالى زاد في الترغيب بالرضا
منهم باليسير بقوله تعالى **مما رزقناكم** اي بعضه تفضلنا قال
الزمخشري يريد مما رزقناهم للتبعيض والمراد الانفاق
الواجب انتهى ثم قال تعالى محذرا من الاغترار با
لتسويف في اوقات العمل منه **من قبل ان ياتي احدكم**
الموت اي يرى دلائله وامارته فكل لحظة مرت فهي
دلائله وامارته وقال القرطبي وهذا دليل على
وجوب تعجيل اخراج الزكاة ولا يجوز تاخيرها اصلا
اي بلا عذر وكذا سائر العبادات اذا دخل وقتها وقال
الرازي وبالجملة فقوله تعالى لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله تنبيه على المحافظة على الذكر
قبل الموت وقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم تنبيه على
الشكر لذلك ولما كانت الشدة تقتضي الاقبال الى
الله تعالى سبب عن ذلك قوله تعالى **فيقول** اي
سائلا في الرجعة مشيرا الى ترقيقها وللتلويح بقوله
تعالى **رب لولا** اي هلا ولم لا **اخرتني** اي اخرت
موتي امهالا **الى اجل** اي زمان وقوله **قريب** يعني
به ان مراده استدراك ما فات ليس الا وقيل لا زائدة
ولو للتمني اي لو اخرتني الى اجل قريب **فاصدق** اي
للتزود في سفري هذا الطويل الذي انا مستقبله
وعن ابن عباس تصدقوا قبل ان ينزل عليكم سلطان

الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع احدكم
اذا كان له مال ان يزكي وان طاق الحج ان يحج من قبل
ان ياتيه الموت فيسال ربه الكرة فلا يعطاها وعنه انها
نزلت في مانعي الزكاة ووالله لو رأى خيرا ما سال
الرجعة فقيل له اما تتقي الله يسال المومنون الكرة
قال نعم انا اقرا عليكم قرآنا يعني انها نزلت في المومنين
وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن ما من احد لم يزك
ولم يصم ولم يحج الا سال الرجعة وقال الضحاك لا ينزل
باحد لم يحج ولم يود الزكاة الموت الا وسال الرجعة
وعن عكرمة نزلت في اهل القبلة وقيل نزلت في
المنافقين ولهذا نقل عن ابن عباس انه قال هذه
الاية تدل على ان القوم لم يكونوا من اهل التوحيد لانه
لا يتمنى الرجوع الى الدنيا والتاخير فيها احد له
عند الله تعالى خير في الاخرة اي ان لم يكن بالصفة
المتقدمة قال القرطبي الا الشهيد فانه يتمنى الرجوع
حتى يقتل لما يرى من الكرامة وقرا **واكن من الصالحين**
اي العريقين في هذا الوصف بالتدارك ابو عمرو بواو
بعد الكاف ونصب النون واختلفت عبارات الناس
في ذلك فقال الزمخشري عطفا على محل فاصدق
كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن وقال ابن عطية
عطفا على الموضع لان التقدير ان اخرتني اصدق
واكن هذا مذهب ابي علي الفارسي وقال القرطبي
عطفا على موضع الفاء لان قوله فاصدق لو لم تكن

الفالكات بمجزوعها اي صدق ثم زاد تعالى في الحث
على المبادرة بالطاعات قبل الفوات بقوله تعالى
موكدا لاهل عظيم الرجا من هذا المختصر بالتاخير
عطفا على ما تقديره فلن يوخره الله ضمونه ما اراد
ولن يوخر الله اي الملك الاعظم الذي لا كفوء له فلا
اعتراض عليه نفسا اي نفس كانت وحقق الاجل
بقوله تعالى نفسا اذا جاء اجلها اي وقت موتها الذي
حده الله تعالى لها فلا يوخر الله نفس هذا القايل
لانها من جملة النفوس التي شملها النفي وقرا قالون
والبزي وابو عمرو باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر
وقرا ورش وقنبل بتسهيل الثانية بعد تحقيق الاولى
مع المد والقصر وعنهما ايضا ابدالها الفا والباقون
بتحقيقهما والله اي الذي له الاحاطة الشاملة علما
وقدرة خبير اي بالغ الخبرة والعلم ظاهرا وباطنا
بما تعملون اي توقعون عمله في الماضي والحال والمال
كله باطنه وظاهره وقرا شعبة بالياء التحتية على الغيبة
على نحو من مات وقال هذه المقالة والباقون
بالفوقية وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من
انه صلى الله عليه وسلم قال من سورة المنافقين
بري من النفاق حديث موضوع

سورة التغابن مدنية

في قول الاكثرين وقال الضحاك مكية وقال الكلبي
مدنية ومكية وعن ابن عباس ان سورة التغابن
نزلت

نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفا اهله وولده
فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم الى اخرها وهي ثمان عشرة اية
ومايتان واحدى واربعون كلمة والف وسبعون حرفا
بسم الله مالك الملك فلا كفو له ولا مثيل الرحمن
الذي وسع خلقه نعمه بره بجليل الرحيم الذي خص من
عمه توفيقهم للجميل يسبح اي يوقع التنزيه التام
مع التجديد والاستمرار لله الذي له الاحاطة باوصاف
الكمال ما في السموات اي كلها وما في الارض كذلك وقيل
زايدة اي نزه الله تعالى قال الجلال المحلي واتى بما دون
من تغليبا للاكثر له وحده الملك اي كله مطلقا في الدنيا
والاخرة وله اي وحده الحمد الاحاطة باوصاف الكمال
كلها فلذلك نزه جميع مخلوقاته وقدم الظرفان
ليدل بتقديمها على معنى اختصاص الملك والحمد
بالله تعالى وذلك بان الملك على الحقيقة له لانه
مبدي كل شي ومبدعه والقايم به والمهيمن عليه
وكذا الحمد لان اصول النعم وفروعها منه واما ملك
غيره فتسليط منه واسترعا وحمده اعتداد بان
نعمة الله جرت على يده وهو على كل شي قدير اي
وحده الذي خلقكم اي اناكم على ما انتم عليه فمنكم
اي فتسبب عن خلقه لكم وتقديره كافر اي عريق في
صفة الكفر ومنكم مومن اي راسخ في الايمان في حكم الله

تعالى في الازل قال ابن عباس ان الله خلق بني
ادم مومنا وكافرا ويعيدهم في القيامة مومنا وكافرا
وروى ابو سعيد الخدري قال خطبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عشية فذكر شيئا مما يكون
فقال يولد الناس على طبقات شتى يولد الرجل مومنا
ويعيش مومنا ويموت كافرا اكتفا بالمقابل وقال
ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله
تعالى فرعون في بطن امه كافرا وخلق يحيى بن
زكريا عليهما السلام في بطن امه مومنا وفي الصحيح
من حديث ابن مسعود وان احدكم ليعمل بعمل اهل
الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وفي صحيح مسلم عن
سهل بن اسعد الساعدي ان رسول الله عليه
وسلم قال ان الرجل ليعمل عمل اهل النار فيما يبدو
للناس وهو من اهل الجنة قال القرطبي قال
علماونا والمعنى تعلق العلم الازلي بكل معلوم فيجري
ما علم واراد وحكم فقد يريد ايمان شخص على
عموم الاحوال وقد يريده على وقت معلوم وكذلك
الكفر وقيل في الكلام محذوف تقديره فمنكم مومن
ومنكم كافر ومنكم فاسق فحذف لما في الكلام من
الدلالة عليه قاله الحسن وقال غيره لا حذف لان
المقصود ذكر الطرفين وقيل انه خلق الخلق ثم
كفروا وامنوا والتقدير هو الذي خلقكم ثم وصفهم

فقال

[illegible]

فقال فمنكم كافر ومنكم مومن كقوله تعالى والله خلق
كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه الاية
قالوا فانه خلقهم والمشي فعلهم وهذا اختيار الحسين
بن الفضل قال لو خلقهم مومنين وكافرين لما وصفهم
بفعلهم في قوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مومن واحتجوا
بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة
فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال القرطبي
وروينا عن ابن عباس عن ابي بن كعب قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر
طبع على الكفر وقال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وروى
انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وكل الله
بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي
رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقها قال
يا رب اذكر ام انثى شقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل
فيكتب ذلك في بطن امه وقال الضحاك فمنكم
كافر في السر مومن في العلانية كالمنافق ومنكم مومن
في العلانية وزيد وقال عطا بن ابي رباح فمنكم
كافر بالله مومن بالكواكب ومنكم مومن بالله كافر
بالكواكب يعني في شان الانوا كما في الحديث قال
القرطبي وقال الزجاج وهو احسن الاقوال والذي
عليه الايمة ان الله خلق الكافر وكفره فعل له
وكسب واختياره بتقدير الله تعالى ومشيئته فالمومن
بعد خلقه الله اياه يختار الايمان لان الله تعالى اراد

ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق
الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدره عليه وعلمه
منه ولا يجوز ان يوجد من كل منهما غير الذي قدره
عليه وعلمه منه لان وجود خلاف المقدور عجز
ووجود خلاف المعلوم جهل فلا يليقان بالله تعالى
قال المنوفي وهذا طريق اهل السنة من سلك
اصاب الحق وسلم من الجبر والقدر قال الرازي
فان قيل ان الله تعالى حكيم وقد سبق في علمه انه تعالى
اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر فاي حكمة دعت الى
خلقهم فالجواب اذا علمنا انه تعالى حكيم علمنا ان
افعاله كلها على وفق الحكمة فيكون خلقه تعالى
هؤلاء الطائفة على وفق الحكمة ولا يلزم من عدم
علمنا بذلك ان لا يكون كذلك بل اللازم ان يكون
خلقهم على وفق الحكمة والله اي الذي له الاحاطة
الكاملة بما تعملون اي يوقعون عمله كسبا بصير
اي بالغ العلم بذلك فهو الذي خلق جميع اعمالكم
التي تنسب كسبها اليكم وهو خالق جميع الاستعدادات
والصفات كما خلق الذوات خلافا للقدرية
لانه لا يتصور ان يخلق الخالق ما لا يعلمه ولو سئل
الانسان كم مشى في يومه من خطوة لم يدر فكيف
لو سئل الانسان اي موضع مشيه ومتى زمانه فكيف
وانه ينسى اكثر مشيه وهو غافل عنه ومن جهل
افعاله كما وكيفا واينا وغير ذلك لم يكن خالقها بوجه ولما

ذكر

ذكر المظروف ذكر ظرفه دالا على تمام احاطته
بالبواطن والظواهر فقوله تعالى خلق السموات اي
على علوها وكبرها والارض على سعتها بالحق اي له
الامر الذي يطابقه الواقع لما اراد وصوركم اي ادم
عليه السلام خلقه بيده كرامة له قاله مقاتل وقيل
جميع الخلائق صوره لم تخف شيئا من صور العلويات
ولا السفليات ولا فيها صور يوافق الاخرى من كل
وجه فاحسن صوركم فجعلها احسن الحيوانات كلها كما
هو مشاهد وبدليل ان الانسان لا يتمنى ان يكون
على خلاف منتصبا غير منكب كما قال تعالى لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم فان قيل
قد يوجد في افراد هذا النوع من كل مشوه الخلقة
سمج الصورة اجيب بانه لا سماجة لان الحسن
في المعاني وعلى طبقات ومراتب وانحطاط بعض ما
الصور عن مراتب ما فوقه لا يمنع حسنه فهو داخل
في حيز الحسن غير خارج عن حده فقبح القبيح منه
انما هو بالنسبة الى احسن منه ولذا قال الحكماء شيئان
لا غاية لهما الجمال والبيان فقدرة الله تعالى لا تتناهى
قال البقاعي فاياك ان تصغي لما وقع في كتب الغزالي
انه ليس في الامكان ابدع مما كان فان ذلك يجر
الى انه سبحانه لا يقدر على ان يخلق احسن من
هذا العالم وهذا لا يقوله احد الا شقي وهو لا ينقص
مقدار الغزالي فان كل احد يوخذ من كلامه ويرد
عليه كما قاله الامام مالك وعزاه الغزالي نفسه الى

ابن عباس وقال الشافعي صنفت هذه الكتب وما
الوت فيها جهدا اني لاعلم ان فيها الخطا لان
الله تعالى يقول ولو كان من عند الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا ولما كان التقدير فكان سبحانه المبدا
عطف عليه قوله تعالى واليه وحده المصير اي المرجع
بعد البعث فيجازي كلا بعمله يعلم اي علمه حاصل
في الماضي والحال والمال ما اي كل شي في السموات
والارض كذلك ويعلم اي على سبيل الاستمرار ما تسرون
اي تخفون وما تعلنون اي تظهرون من الكليات والجز
ئيات والله اي الذي له الاحاطة التامة عليم اي
بالغ العلم بذات اي صاحب الصدور من الاسرار
والخواطر التي لم تبرز في الخارج سوا كان صاحب
الصدور قد علمها ام لا وعلمه لكل ذلك على
حد سوا لا تفاوت فيه بين علم الخفي وعلم الجلي
نبه بعلمه ما في السموات والارض ثم بعلمه ما يسره
العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذات الصدور ان شيا
من الجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه ولا
يجزا عليه شي مما يخالف رضاه وتكرار العلم في معنى
تكرير الوعيد وكلما ذكره بعد قوله فمنكم كافر
ومنكم مومن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر
والانكار ان يعصي الخالق ولا يشكر نعمته الم ياتكم
ايها الناس ولا سيما الكفار نبا اي خبر الذين كفروا
من قبل كقوم نوح وهود وصالح فذاقوا اي اشرفوا

و

وبال امرهم اي ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل
ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل المطر الثقيل
القطر ولهم عذاب اليم اي مولم في البرزخ ثم يوم
القيامة التي هي موضع الفصل الاعظم ذلك اي الامر
العظيم من الوبال الدال قطعا على ان الكفر ابطل
الباطل وانه مما يغضب الخالق بانهم اي بسبب ان الشان
العظيم البالغ في الفظاعة كانت تاتيهم على عادة
مستمرة رسلهم اي رسل الله الذين ارسلهم اليهم بالبينات
اي الحجج الظاهرات على الاعيان فقالوا اي الكل لرسلهم
منكرين غاية الانكار تكبرا وتحولهم ابشر يهدوننا
يجوز ان يرتفع بشر على الفاعلية ويكون من الاشتغال
وهو الارجح لان الاداة تطلب الفعل ويجوز ان يكون
مبتدا وخبرا وجمع الضمير في يهدوننا اذ البشر اسم
جنس وقد ياتي الجمع بمعنى الواحد بمعنى الجمع فيكون
اسما للجنس وقد ياتي الجمع بمعنى الواحد كقوله تعالى
ما هذا بشرا فانكروا على الملك الاعظم ارساله لهم
فكفروا اي بهذا القول ان قالوه استصغارا ولم
يعلموا ان الله تعالى يبعث من يشاء الى عباده
وتولوا عن الايمان فان قيل قوله تعالى فكفروا
يفهم منه التولي فما الحاجة الى ذكره اجيب
بانهم كفروا وقالوا ابشر يهدوننا وهذا في معنى
الانكار والاعتراض بالكلية وهذا هو التولي
فكانهم كفروا وقالوا قولا يدل على التولي فلهذا

قال فكفروا وتولوا وقيل كفروا بالرسل وتولوا بالبرهان
واعرضوا عن الايمان والموعظة وفيه تعويل تعالي
واستغني الله اي الملك الاعظم الذي له امر لا حد
معه عليه اذ هذا انما هو صالح للخلق فهو غني عن كل شي
فان قيل قوله تعالي وتولوا واستغني الله يوهم وجود
التولي والاستغنا معا والله تعالي لم يزل غنيا اجيب
بان معناه وظهر استغنا الله حيث لم يلجئهم الي
الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته علي ذلك والله
اي المستجمع لصفات الكمال غني عن خلقه حميد اي
محمود في افعاله زعم الذين كفروا اي ادعوا السر
لما دلت عليه العقول عن وحدانية الله تعالي ولو
علي ادني الوجوه وزعم قال ابن عربي كنية الكذب
وقال الزمخشري الزعم ادعا العلم ومنه قوله عليه الصلاة
والسلام زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شي
كنية وكنية الكذب زعموا في حديث ابن مسعود عند
ابي داود بيس مطية الرجل زعموا ان لن يبعثوا اي
من باعث ما بوجه من الوجوه قل يا اشرف الرسل
لهولا البعدا بلي اي لتبعثن ثم اكده بصريح القسم فقال
وربي اي المحسن الي بالانتقام ممن كذب بي لتبعثن
اي باهون شي وايسر امر ثم لتنبئن اي لتخبرن اخبارا
عظيما ممن يقيمه الله تعالي لاخباركم بما عملتم اي
باعمالكم لتجزون عليها وذلك اي الامر العظيم عندكم
من البعث والحساب علي الله اي المحيط بصفات

الكمال

١٥٧

الكمال وحده يسير اذ الاعادة اسهل من الابتدا
فان قيل كيف يفيد القسم في اخباره عن البعث
وهم قد انكروا الرسالة اجيب بانهم انكروا الرسالة
لكنهم يعتقدون انه يعتقد ربه اعتقادا جازما فيعلمون
انه لا يقدم علي القسم بربه الا وان يكون الاخبار
عنده صدقا اظهر من الشمس في اعتقاده ثم انه
تعالي لما اخبر عن البعث والاعتراف بالبعث من
لوازم الايمان قال تعالي فآمنوا بالله اي الملك الذي
له الاحاطة الكاملة بكل شي ورسوله اي من كل من
ارسله ولا سيما محمد صلي الله عليه وسلم والنور اي
القرآن الذي انزلنا اي بما لنا من العظمة لانه نور
يهتدي به بالنور في الظلمات فان قيل هلا قيل ونوره
بالاضافة فكانه قيل ورسوله ونوره والله اي المحيط
علما وقدرة بما تعملون خبير اي بالغ العلم بما تسرون
وما تعلنون فراقبوه في السر والعلانية وقوله
تعالي يوم يجمعكم منصوب بقوله تعالي لتنبؤن
عند النحاس وبخبير عند الحوفي لما فيه من معني
الوعيد كانه قال والله يعاقبكم يوم يجمعكم وباذكر
مضمرا عند الزمخشري فيكون مفعولا به او بما دل
عليه الكلام اي تتغابنون يوم يجمعكم قال ابو
البقا ليوم الجمع اي لاجل ما يقع في ذلك اليوم وهو
يوم القيامة الذي يجمع الله تعالي فيه الاولين
والاخرين من الانس والجن وجميع اهل السماء

والارض وقيل يوم يجمع الله فيه بين كل عبد وعمله
وقيل يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل يجمع فيه
بين كل نبي وامته وقيل يجمع فيه ثواب اهل الطاعات
وعقاب اهل المعاصي بل هو جامع لجميع ما ذكره ذلك
اي اليوم العظيم يوم التغابن والتغابن مستعار
من تغابن القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا
لنزول السعداء منازل الاشقياء التي كانوا ينزلونها
لو كانوا اشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان نزولهم ليس
بغبن وبهذا قيل التفاعل هنا واحد لا من اثنين
وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده
من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار
الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وهو
معني ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في
غير ذلك اليوم استعظام له وان تغابنه هو
التغابن في الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا وان
جلت وعظمت وذكر في بعض التفاسير ان التغابن
هو ان يكتسب الرجل ماله من غير وجهه ليرثه
غيره فيعمل فيه بطاعة فيدخل الاول النار والثاني
الجنة بذلك المال فذلك هو الغبن البين والمغا
بن ما انثني من البدن كالابطين والفخذين
والمغبون من غبن في اهله ومنازله في الجنة
ويظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الايمان وغبن
كل مومن بتقصيره في الاحسان وتضييعه الايام

قال

قال الزجاج ويغبن من ارتفعت منزلته في الجنة
بالنسبة الي من هو اعلا منزلة منه فان قيل فاي
معاملة وقعت بينهما حتي يقع الغبن فيها اجيب
بانه تمثيل في الشراء والبيع كقوله تعالي اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدي فما ربحت تجارتهم فلما
ذكر ان الكفار اشتروا الضلالة بالهدي وما ربحوا
في تجارتهم بل خسروا ذكر ايضا انهم غبنوا وذلك ان اهل
الجنة اشتروا الاخرة بترك الدنيا واشتري اهل النار
بترك الاخرة وهذا نوع مبادلة اتساعا ومجازا وقد
فرق الله تعالي الخلق فريقين فريقا للجنة وفريقا
للنار وقال الحسن وقتادة بلغنا ان التغابن على
ثلاثة اصناف رجل علم علما فضيعه ولم يعمل به فشقي
به ورجل علم علما وعمل به فنجا به ورجل اكتسب
ماله من وجوه يسال عنها وشح عليه وفرط في
طاعة الله بسببه ولم يعمل فيه خيرا وتركه لوارث لا حساب
عليه فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة ربه ورجل كان
له عبد فعمل ذلك العبد بطاعة ربه فسعد وعمل
السيد بمعصية ربه فشقي وروي القرطبي عن
النبي صلي الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالي
يقيم الرجل والمراة يوم القيامة بين يديه فيقول
الله تعالي لهما قولا ما انتما قائلين فيقول الرجل يا رب
اوجبت نفقتها علي فانفقتها من حرام او من حلال
وهؤلاء الخصوم يطلبون ذلك ولم يبق لي مال اوفي

فتقول المراة يارب عصى ان يقول اكتسبه حراما واكلته
حلالا وعصاك في مرضاتي ولم ارض له بذلك
فبعدا له وسحقا فيقول الله تعالى قد صدقت فيؤمر
به الى النار ويؤمر بها الى الجنة فتطلع عليه من
طبقات الجنة فتقول له غبناك سعدنا بما شقيت
انت به فذلك يوم التغابن وقال بعض علماء
الصوفية ان الله تعالى كتب الغبن على الخلق اجمعين
فلا يلقى احد ربه الا مغبونا لانه لا يمكنه الاستيفا للعمل
حتى يحصل له استيفا الثواب قال صلى الله عليه وسلم
لا يلقى الله احد الا نادما ان كان مسيئا ان لم يحسن
وان كان محسنا ان لم يزدد تنبيه استدل بعض
العلما بقوله تعالى ذلك يوم التغابن انه لا يجوز
الغبن في المعاملات الدنيوية لان الله تعالى
خصص التغابن بيوم القيامة فقال تعالى ذلك
يوم التغابن وهذا الاختصاص يفيد انه لا غبن
في الدنيا فكل من اطلع على غبن في مبيع فانه
مردود اذا زاد على الثلث واختاره البغداد
يون واحتجوا عليه بقوله صلى الله عليه وسلم
لحبان بن منقذ اذا بعت فقل لا خلابة ولك الخيار
ثلاثا ولان الغبن في الدنيا ممنوع منه بالاجماع
في حكم الدين اذ هو من باب الخداع المحرم شرعا
في كل ملة لكن اليسير منه لا يمكن الاحتراز عنه
ليمضي في البيوع اذ لو حكمنا برده ما نفذ بيع ابدا

لانه

لانه لا يخلو منه فاذا كان كثيرا امكن الاحتراز منه
فوجب الرد به والفرق بين القليل والكثير في الشريعة
غير معلوم فقدر بالثلث وهذا الحد اعتبره الشارع
في الوصية وغيرها ويكون معنى الاية على هذا
يوم التغابن الجائز مطلقا من غير تفصيل وذلك
يوم التغابن الذي لا يستدرك ابدا ومن يؤمن اي
يوقع الايمان ويجدده على سبيل الاستمرار بالله اي
الملك الاعظم الذي لا كفؤ له ويعمل تصديقا لايمانه
صالحا اي عملا هو مما ينبغي الاهتمام بتحصيله
لانه لا مثل له في جلب المصالح ودفع المضار يكفر عنه
سيئاته التي غلبه عليها نقصان الطبع واتبع ذلك
بكامل العز وهو التوجيه بجلب المسار لان الانسان
يطير الى ربه سبحانه بجناحي الخوف والرجا والرهبة
والرغبة والنذارة والبشارة ويدخله اي رحمة منه
واكراما وفضلا جنات اي بساتين ذات اشجار
عظيمة واغصان طويلة تستر داخلها وربا من
منيرة متنوعة الازاهير عطرة النشر يهيج
بهاؤها انسا رائيه ودوام بها بقوله تعالى تجري من
تحتها اي من تحت قصورها واشجارها الانهار
وقرا يكفر عنه ويدخله نافع وابن عامر بالنون فيهما
اي بحق ما لنا من العظمة والباقون بالياء التحتية
اي الله الواحد القهار خالدين اي مقدرين الخلود
فيها واكده بقوله ابدا فلا خروج لهم منها ذلك اي

الامر العالي جدا من الغفران والاكرام الفوز العظيم
لانه جامع لجميع المصالح ودفع المضار وجلب المسار ومن
جملة ذلك النظر الي وجهه الكريم ولما ذكر تعالي الفايز
بلزومه التقوي ترغيبا اتبعه بضده ترهيبا فقال
عن ما قابل والذين كفروا اي غطوا ادلة ذلك اليوم
فكانوا في الظلام وكذبوا اي اوقعوا جميع التغطية بجميع
التكذيب باياتنا اي بسببها مع ما لها من العظمة
باضافتها الينا وهي القران فلم يعملوا به اولئك اي
البعداء البغضاء اصحاب النار خالدين اي مقدرين
الخلود فيها وبئس المصير هي قال الرازي
فان قيل قال تعالي في حق المومن ومن يومن بالله
بلفظ المستقبل وفي الكفار قال والذين كفروا بلفظ
الماضي فالجواب ان تقدير الكلام ومن يومن بالله
من الذين كفروا وكذبوا باياتنا يدخله جنات ومن
لم يومن منهم اولئك اصحاب النار انتهي فان قيل
قال تعالي يومن بلفظ الواحد وخالدين بلفظ
الجمع اجيب بان ذلك بحسب اللفظ وهذا بحسب
المعني فان قيل ما الحكمة في قوله تعالي وبئس المصير
بعد قوله خالدين فيها وذلك بئس المصير بعد
قوله وان كان في معناه فهو تصريح بما يوكده كما في
قوله تعالي ابدا ما اصاب احد من مصيبة اي مصيبة
كانت دينية او دنيوية في نفس او مال او قول
او فعل يقتضي هما او يوجب عقابا باجل او عاجل

الا باذن الله اي بتقدير الملك الاعظم وقال
الفرا يريد الا بامر الله وقيل الا بعلم الله وقيل سبب
نزول هذه الاية ان الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون
حقا لصانهم الله تعالي عن المصايب في الدنيا فبين
الله تعالي انه ما اصاب من مصيبة الا باذن الله
اجيب بانه يتعلق بقوله تعالي فامنوا بالله ورسوله
كما ان من يومن بالله يصدق بانه لا تصيبه مصيبة
الا باذن الله ومن يومن بالله اي يصدق بانه لا تصيبه
مصيبة الا بقضاء الملك الاعظم وتقديره واذنه يهد
قلبه قال ابن عباس هو ان يجعل في قلبه اليقين
حتي يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم
يكن ليصيبه اي فيسلم لقضاء الله وتقديره وقال
الكلبي هو اذا ابتلي صبر واذا انعم عليه شكر واذا ظلم
غفر وقيل يهد قلبه الي نيل الثواب في الجنة وقيل
يثبته علي الايمان وقال ابو عثمان الحيري من
صح ايمانه يهد الله قلبه لاتباع السنة وقيل يهد قلبه
عند المصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون قال ابن
جبير والله اي الملك الذي لا نظير له بكل شيء مطلقا
من غير استثناء عليم فلا يخفي عليه تسليم من انقاد
لامره فاذا اتفق من هدي قلبه ذلك زاح عنه كل
اعتقاد باطل من كفر وبدعة او صفة خبيثة واطيعوا الله
اي الملك الاعلي الذي له الامر كله واطيعوا الرسول اي هو
نوا علي انفسكم المصايب واشتغلوا بطاعة الله واعملوا

بكتابه واطيعوا الرسول في العمل بسنته فان توليتم
اي عن الطاعة فانما على رسولنا اضافه اليه على
وجه العظمة تعظيما له وتهديدا لمن يتولى عنه البلاغ
المبين اي الظاهر في نفسه المظهر لكل احد انه اوضح
له غاية الايضاح ولم يدع لبسا وليس اليه خلق الهداية
في القلوب الله اي المحيط بجميع صفات الكمال لا اله
الا هو فهو القادر على خلق الهداية في القلوب والا
قبال بها لا يقدر على ذلك غيره وعلى الله اي الذي له
الامر لا على غيره فليتوكل المومنون لان ايمانهم بان الكل
منه يقتضي ذلك وقال الزمخشري هذا بعث لرسول
الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه والتقوي به
في امره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه واختلف
في سبب نزول قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم
اي وان اظهرن غاية المودة واولادكم اي وان اظهر
غاية الشفقة عدوا لكم فقال ابن عباس نزلت
بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكا الى النبي
صلى الله عليه وسلم جفا اهله وولده فنزلت ذكره
النحاس وحكاه الطبري عن عطا بن يسار قال نزلت
سورة التغابن كلها بمكة الا ايات منها يا ايها الذين
امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فانها نزلت
في عوف بن مالك الاشجعي كان ذا اهل وولد
وكان اذا اراد الغزو بكوه ورققوه وقالوا الى من
تدعنا فيرق فيقيم هذه الاية الى اخر السورة بالمدينة

فقال وروى الترمذي عن ابن عباس وسئل عن هذه
الاية فقال هولاء رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا
ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم
ان يدعوهم ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما اتوا
النبي صلى الله عليه وسلم راوا الناس قد تفقهوا في
الدين فهموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى هذه الا
ية حديث حسن صحيح وفي صحيح البخاري عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
الشيطان قعد لابن ادم في طريق الايمان فقال له
اتومن وتردد دينك ودين ابايك فخالفه فامن ثم
قعد له على طريق الهجرة فقال له اتهاجر وتترك اهلك
ومالك فخالفه فهاجر ثم قعد له على طريق الجهاد
فقال له اتجاهد فتقتل نفسك فتنكح نساوك ويقسم
مالك فخالفه فجاهد فقتل فحق على الله ان يدخله
الجنة وقعود الشيطان يكون بوجهين احدهما يكون
بالوسوسة والثاني ان يحمل على ما يريد من ذلك
الزوج والولد والصاحب قال تعالى وقيضنا لهم
قرنا فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وفي حكمة
عيسى عليه السلام من اتخذ اهلا ومالا وولدا كان
في الدنيا عبدا وقال عليه الصلاة والسلام تعس من
اتخذ اهلا ومالا وولدا كان في الدنيا عبدا وقال عليه
الصلاة والسلام تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس
عبد الخميصة تعس عبد القطيفة ولا دناءة اعظم من دناءة

الدنيا والدرهم ولا احسن من هذه ثم تنفع بثوب جديد
ويدخل في قوله تعالى ان من ازواجكم الذكر والانثى فكما ان
الرجل تكون زوجته عدوا له كذلك المراة تكون زوجها
عدوا لها بهذا المعنى فاحذروهم اي ان تطيعوهم في
التخلف عن الخير ولا تامنوا غوائلهم وان تعفوا اي
تولوا المجاوزة عن ذنوبهم بعدم العقاب عليها
فانه لا فائدة في ذلك فان من طبع على شي لا يرجع
عنه وانما النافع الحذر الذي ارشد اليه تعالى لئلا تكون
سببا للوم المنهي عنه وتصفحوا اي بالاعراض عن
المقابلة بالتثريب باللسان وتغفروا اي بان تستروا
ذنوبهم سترا تاما شاملا للعين والاثر لانه التجاوز فان الله
اي الجامع لصفات الكمال غفور اي بالغ المحو لاعيان
الذنوب وآثارها جزاكم على غفرانكم لهم وهو جدير
بان يصلحهم لكم بسبب غفرانكم رحيم يكرمكم بعد ذلك
الستر بالانعام فتخلقوا باخلاقه تعالى يزدكم من فضله
انما اموالكم اي عامة واولادكم كذلك فتنة اي اختبار
من الله تعالى لكم وهو اعلم بما في نفوسكم منكم لكن ليظهر
في عالم الشهادة من يميله ذلك فيكون عليه نقمة ومن
لا يميله فيكون عليه نعمة فربما اهتم الانسان بصلاح ماله
وولده فبالغ فافسد نفسه ثم لا يصلح ذلك ماله ولا ولده
روى ابو نعيم في الحلية في ترجمة سفيان الثوري عنه
الله قال يؤتى برجل يوم القيامة فيقال اكل عياله حسناته
وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وكفى في فتنة

المال

المال قصة ثعلبة ابن حاطب احد من نزل فيه قوله تعالى
ومنهم من عاهد الله وقال ابن مسعود لا يقول احدكم اللهم
اعصمني من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى مال
ولا ولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني
اعوذ بك من مضلات الفتن وقال الحسن في قوله تعالى
ان من ازواجكم واولادكم ادخل من للتبعيض لان كلهم ليسوا
باعداء ولم يذكر في قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة
لانهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما روى
الترمذي وغيره عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال
رايت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين
رضي الله عنهما وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران
فنزل صلى الله عليه وسلم فحملهما ووضعهما بين يديه ثم
قال صدق الله عز وجل انما اموالكم واولادكم فتنة
نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر
حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم اخذ في خطبته تنبيه
قدم الاموال على الاولاد لان فتنة الذكر المال اكثر
من وترك الازواج في الفتنة قال البقاعي لان منهن
من تكون صلاحا وعونا على الاخرة والله اي ذو الجلال
عنده وناهيك بما يكون منه بسبيل جلاله وعظمته
اجر ثم وصفه بقوله تعالى عظيم اي لمن ائتمر باوامره
التي امره بها وقوله تعالى فاتقوا الله اي الملك الاعلى
ما استطعتم اي جهدكم ووسعكم ناسخ لقوله تعالى اتقوا
الله حق تقاته قال جا امر شديد قال ومن يعرف قدر

هذا ويبلغه فلما علم الله تعالى انه قد اشتد عليهم نسخه
عنهم وجاء بهذه الاية الاخرى فقال اتقوا الله ما
استطعتم وقال ابن عباس هي محكمة لا نسخ فيها
ولكن حق تقاته ان تجاهدوا فيه حق جهاده ولا تا
خذكم في الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على
انفسهم واباهم وابنائهم فان قيل اذا كانت الاية غير
منسوخة فكيف الجمع بين الايتين وما وجه الامر
باتقائه حق تقاته مطلقا من غير تخصيص ولا مشروطه
بشرط الاستطاعة اجيب بان قوله تعالى فاتقوا الله
ما استطعتم معناه فاتقوا الله ايها الناس وراقبوه فيما
جعله فتنة لكم من اموالكم واولادكم ان تغلبكم وتصدكم
عن الواجب لله عليكم من الهجرة من ارض الكفر
الى ارض الاسلام فتتركوا الهجرة وانتم مستطيعون وذلك
ان الملائكة ظالمي انفسهم الى قوله تعالى فاولئك
عسى الله ان يعفو عنهم فاخبر تعالى انه قد عفى
عن من لا يستطيع حيلة ولا يهتدون سبيلا بالاقامة
في دار الشرك فكذلك معنى قوله تعالى ما استطعتم
في الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام ان تتركوها
فتنة اموالكم واولادكم ويدل على صحة هذا ان قوله
تعالى فاتقوا الله ما استطعتم عقب قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
فاحذروهم ولا خلاف بين علماء التاويل في ان هذه
الايات نزلت بسبب قوم كفار تاخروا عن الهجرة من

دار

دار الشرك الى دار الاسلام بتثبيط اولادهم اياهم عن
ذلك كما تقدم وهذا اختيار الطبري وقال ابن جبير
قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فيما تطوع به من
نافلة او صدقة فانه لما نزل قوله تعالى اتقوا الله حق
تقاته اشتدت على القوم فقاموا حتى ورمت عراقيبهم
وقرحت جباههم فانزل الله تعالى تخفيفا عنهم
فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الاولى قال الماوردي
ويحتمل ان يثبت هذا النقل بان المكره على المعصية
غير مواخذ بها لانه لا يستطيع اتقاها واسمعوا اي سماع
اذعان وتسليم لما توعظون به وجميع اوامره واطيعوا
اي وصدقوا ذلك الاذعان بمباشرة الافعال
الظاهرة في الاسلاميات من القيام بامر الله والشفقة
على خلق الله في كل امر ونهي على حسب الطاقة
وحذف المتعلق ليصدق الامر بكل طاعة وانفقوا اي
اوقعوا الانفاق كما حد لكم فيما وجب او ندب اليه
والانفاق لا يختص نوعا بل يكون بكل ما رزق الله
من الذاتي والخارجي وقوله تعالى خيرا لانفسكم في
نصبه اوجه احدها قال سيبويه انه مفعول بفعل
مقدر دل عليه وانفقوا تقديره قدموا خيرا لانفسكم
كقوله تعالى انتهوا خيرا لكم الثاني تقديره الانفاق
خيرا فهو خبر كان المضمرة وهو قول ابي عبيد الثالث
تقديره انه نعت مصدر محذوف وهو قول الكسائي والفرا
اي انفاقا خيرا لانفسكم فان الله يعطي خيرا منه في الدنيا

مع ما تزكي به النفس ويدخر عليه من الجزا في الاخرة
مما لا يجري كنهه فلا يحزنكم عاجل شي عليه من الجزا
في الاخرة صن ذلك فانما هو نزر حقير ولما ذكر ما في الانفاق
من الاخير عمم في جميع الاوامر بقوله تعالى **ومن يوق**
شح نفسه فيفعل في ماله جميع ما امر به موقنا به
مطمئنا اليه حتى يرتفع عن قلبه الاخطار وتبرز
عن رق المكنونات والشح خلق باطني هو الداعي الى الخصال
والبخل فعل ظاهر ينشا عن الشح والنفس تارة تشح
بترك الشهوة من المعاصي فتفعلها وتارة باعطاء
الاعضا في الطاعات فتتركها وتارة بانفاق المال
ومن فعل ما فرض عليه خرج عن الشح ولما كان الواقي
هو الله تعالى سببه عن وقايته قوله تعالى **فاولئك** اي
العالوا الرتبة **هم المفلحون** اي الفايزون الذين حازوا
جميع المرادات بما اتقوا الله فيه ثم رغب بالانفاق
بقوله تعالى **ان تقرضوا الله** اي الملك الاعلي ذا الغنا
المطلق الحايز لجميع صفات الكمال **قرضا حسنا** والقرض
الحسن هو التصدق من الحلال مع طيب نفس ومع
الاخلاص والمبادرة **يضاعفه لكم** اي لاجلكم خاصة
اقل ما يكون للواحد عشر امثاله الى ما لا يتناهى على حسب
النيات قال القشيري يتوجه الخطاب بهذا على الاغنيا
في بذل اموالهم وعلى الفقرا في اخلاء ايامهم واوقاتهم
من مراداتهم وايثار مراد الحق على مراد انفسهم فالغني
يقال له اثر حكمي على مرادك في مالك وغيره والفقير

يقال

[illegible] ١٨

يقال له اثر حكمي في نفسك وقلبك ووقتك ولما كان
الانسان لما له من النقصان وان اجتهد لا يبلغ جميع ما
امر به لان الدين وان كان يسيرا فهو متين لن يشاده احد
الا غلبه قال تعالى **ويغفر لكم** اي يوقع الغفران وهو محو
ما فرط عينا واثرا **والله** اي الذي لا تقاس عظمته بشي
شكور اي بليغ الشكر لمن يعطي لاجله ولو كان قليلا
فيثيبه ثوابا جزيلا خارجا عن الحصر وهو ناظر
الى المضاعفة **حليم** فلا يعجل بالعقوبة على ذنب من
الذنوب وان عظم بل يمهل طويلا ليتذكر العبد الاحسان
مع العصيان فيتوب ولا يهمل طويلا ولا يغتر بحلمه
فان غضب الحليم لا يطاق وهو راجع الى الغفران
عالم الغيب وهو ما غاب عن الخلق كلهم فيعمل ما هو
داخل القلب مما تريده الجبلة ولا علم لصاحب القلب
به فضلا عن غيره **والشهادة** وهو ما ظهر وما كان
بحيث يعلمه الخلق وهذا الوصف داع الى الاحسان
من حيث انه موجب للمومن ترك ظاهر الاثم
وباطنه وكل قصور وفتور وغفلة وتهاون فيعبد
الله تعالى كانه يراه **العزيز** اي الذي يغلب كل شي ولا
يغلبه شي **الحكيم** اي بالغ الحكمة التي يعجز عن ادراكها
لكل شي وقال ابن المبارك الحكيم هو المحكم للخلق
الاشيا فصرف عن مفعل الى فعيل ومنه قوله تعالى
الم تلك ايات الكتاب الحكيم فصرف عن مفعل الى فعيل
ومنه قوله تعالى وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري

من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة التغابن
دفع الله عنه موت الفجاءة حديث موضوع

سورة الطلاق مدنية

وهي احدى عشرة اية وقيل اثنا عشرة وقيل ثلاث
عشرة اية ومائتان وتسع واربعون كلمة والف وستون
حرفا بسم الله الذي له جميع صفات الكمال الرحمن الذي
عم برحمته والنوال الرحيم الذي خص بتمام النعمة ذوي
الهمم العوال وقرا يا ايها النبي نافع بالهمزة وسهل الهمزة
من اذا ابدلها الياء واذ خص صلى الله عليه
وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي امام امته
وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا
كيت وكيت اظهارا للتقدم واعتبارا للرياسة وانه
لسان قومه والذين يصدرون عن رايه ولا يستبدون
بامر دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا
مسد جميعهم وقيل انه على اضمار قول اي يا ايها النبي
قل لامتك اذا طلقتم النساء اي اردتم طلاق هذا
النوع واحدة منه فاكثر وقيل انه خطاب له ولامته
والتقدير يا ايها النبي وامته فحذف المعطوف لدلالة
ما بعده عليه كقوله اذ اخذته رجلها اي
ويدها وكقوله سرابيل تقيكم الحر وقيل انه خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم خوطب بلفظ الجمع بلفظ الجمع
تعظيما له كقوله شعر
فان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

قال

قال الرازي وجه تعلق اول هذه السورة باخر التي
قبلها هو انه تعالى اشار في اخر التي قبلها الى كمال
علمه بمصالح النساء والاحكام المخصوصة بطلاقهن
فكان بين ذلك الكلي بهذه الجزئيات وروى
ابن ماجة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وعن
انس قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
حفصة فاتت اهلها فانزل الله تعالى يا ايها النبي اذا
طلقتم النساء وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهي
من ازواجك في الجنة ذكره الماوردي والقشيري
ونزل في خروجها الى اهلها قوله تعالى لا تخرجوهن
من بيوتهن وقال الكلبي سبب نزول هذه الاية
غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حفصة
لما اسر اليها حديثا فاظهرته لعائشة فطلقها تطليقة
فنزلت وقال السدي نزلت في عبد الله بن عمر طلق
امراته حائضا تطليقة واحدة فامر النبي صلى الله
عليه وسلم بان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض
ثم تطهر فان شاء امسكها وان شاء طلقها قبل ان
يجامع فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء
وهو قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي في وقت
العدة الذي يشرعن فيه في العدة وقد قيل ان رجالا
فعلوا مثل ما فعل عبد الله بن عمر منهم عبد الله بن
عمرو بن العاص وعمر بن سعيد ابن العاص وعتبة

ابن غزوان قال الطلاق على اربعة وجوه وجهان
حلالان ووجهان حرامان ان يطلقها طاهرا عن غير جماع
وان يطلقها حاملا مستبينا حملها واما الحرام فان يطلقها
حائضا وان يطلقها حين يجامعها لا يدري ايشتمل الرحم
على ولد ام لا تنبيه الطلاق ينقسم الى سني وبدعي
والاولى تطلاق الا فرا عقب الطلاق ولم يطاها في
طهر طلقها فيه او علق طلاقها بمضي بعضه ولا
وطئها في نحو حيض قبله ولا في نحو حيض طلقت مع
اخره او علق باخره وذلك لاستعقابه الشروط في
العدة وعدم الندم فيمن ذكرت والا فبدعي وان
سالته طلاقها بلا عوض وطلاق غير الموطوءة
المذكورة بان لم توطا وكانت صغيرة او ايسة او حاملا
منه وخلع زوجته في زمن حيض بعوض لا سني
ولا بدعي والبدع حرام للنهي عنه وقسم جماعة
الطلاق الى واجب وطلاق المولي اي واجب بخير
ان لم يكن عذر وعني ان كان عذر شرعي كالاحرام
ومندوب كطلاق غير مستقيمة الحال لسيئة الخلق
ومكروه كمستقيمة الحال وحرام كطلاق البدعة واشار
الامام الى المباح بطلاق من لا يهواها ولا تسمح
نفسه بمؤنتها من غير تمتع بها وروى الثعلبي
من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق وعن
علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تزوجوا

ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وعن ابي موسى
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ما خلق
الله تعالى شيا على وجه الارض احب اليه من العتاق
ولا خلق الله تعالى شيا ابغض اليه من الطلاق وعن
معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما احل الله شيا ابغض اليه من الطلاق واختلفوا
في الاستثنا في الطلاق والعتق فقال طائفة يجوز
وهو مروي عن طاووس وبه قال حماد الكوفي
والشافعي وابو ثور واصحاب الراي وقال مالك
والاوزاعي لا يجوز الاستثنا في الطلاق والعتق
وقال قتادة لا يجوز الاستثنا في الطلاق خاصة قال ابن
المنذر وبالقول الاول اقول ولما كان نظر الشارع الى
العدة شديدا اتبع تحسينه الامر فقال واحصوا اي اضبطوا
ضبطا كانه في اتقانه بحسوس العدة ليعرف زمان
الرجعة والنفقة والسكنى وحل النكاح لاخت المطلقة
مثلا ونحو ذلك من الفوائد الجليلة واتقوا اي في ذلك
الله اي الملك الاعظم الذي لا تخلف والا من
ربكم اي لاحسانه في تربيتكم في حملكم على الحنيفية
السمحا ورفع جميع الاصار عنكم لا تخرجوهن ايها الرجال
في حال العدة من بيوتهن اي المساكن التي وقع الفراق
فيها وهي مساكنهن التي وقع يسكنها قبل العدة
وهي بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها
بهن من حيث السكنى وقرا ورش وابو عمرو وحفص

وضم الباء الموحدة والياء وبكسرها ولا يخرجن الى من
بيوتهن حتى تنقضي عدتهن ولو وافقه الزوج على ذلك
وعلى الحاكم المنع منه لان في العدة حقا لله تعالى وقد
وجبت في ذلك المسكن وقوله تعالى الا ان يأتين بفاحشة
مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذوا على الزوج
فانه كالنشوز في اسقاط حقها وقال ابن عباس الفاحشة
المبينة ان تبذوا على اهل زوجها فيحل اخراجها لسوء
خلقها وقال ابن مسعود اراد بالفاحشة المبينة ان
تزني فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها وقال
قتادة الفاحشة النشوز وذلك ان يطلقها على النشوز
فتحول عن بيته ويجوز ان يكون مستثنى من الثاني
للمبالغة في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة
هذا كله عند عدم العذر اما العذر كان لم يكن لها
نفقة على المفارق نحو طعام كقطن وكتان نهارا
وغزلها ونحوه كحد ليلها وتأتيها عند جارتها ليلا و
ترجع وتبيت ببيتها فانه جائز للحاجة الى ذلك
وكخوف على نفس او مال من نحو هدم وغرق وصحبة
مجاورين لها وشدة تأذيها بجيران وشدة تأذيهم
بها الحاجة الى ذلك بخلاف الاذى اليسير اذ لا يخلو
منه احد ومن الجيران الاحماء وهم اقارب الزوج
نعم ان اشتد اذاها بهم او عكسه وكانت الدار ضيقة
نقلهم الزوج عنها وخرج بالجيران ما لو طلقت ببيت
ابويها وتأذت بهما او هما بها فلا تنقل لان الوحشة

لا

لا تطول بينهما ولو انتقلت لبلد او مسكن باذن زوجها ثم
وجبت العدة ولو قبل وصولها اليه اعتدت فيه لانها ما
مورة بالمقام فيه فان انتقلت لذلك بلا اذن تعتد
في الاول وان وجبت العدة بعد وصولها الثاني لعصيانها
بذلك نعم ان اذن لها بعد انتقالها ان تقيم في الثاني
فكما لو انتقلت بالاذن ولو اذن لها في الانتقال
فوجبت العدة قبل خروجها اعتدت في الاول ولو سافرت
باذن زوجها فوجبت في الطريق فعودها اولى من مضيها
فان مضت وجب عودها بعد انقضاء حاجتها ان سا
فرت لها مدة في سفر غيرها حاجتها ولو خرجت فطلقها وقال
ما اذنت في الخروج او قال وقد قالت اذنت في نقلتي
لا لنقله صدق بيمينه ولو كان المسكن ملكا له وتليق بها
تعين لان تعتد فيه كما مر ويصح بيعه في عدة
اشهر كالمكتري ولو كان مستعارا او مكتريا وانقضت
مدة الكرا نقلت منه ان امتنع من اعارة والانتقال منه كما لو
كان المسكن خسيسا وتخيرت ان كان نفيسا وسكنى
المعتدة عن فرقة واجبة على الزوج حيث تجب نفقتها
عليه لو لم تفارق سواء كانت الفرقة بطلاق او فسخ
او وفاة لقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم
وقيس به الفسخ بانواعه بجامع فرقة النكاح في الحياة
ولخبر في فريعة بنت مالك في الوفاة ان زوجها قتل
فسألت النبي صلى الله عليه وسلم ان ترجع الى اهلها
وقالت ان زوجي لم يتركني في منزل يملكه فاذن لها في

الرجوع قالت فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة او في المسجد
دعاني فقال امكثي حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت
فيه اربعة اشهر وعشرا فاحتج الشافعي بمذهبه وغيره وقرا
ابن كثير وابو بكر بفتح اليا المحتية والباقون بكسرها
وتلك اي الاحكام العالية جدا لما فيها من تحلي لتقربنا
الى الملك الاعلى من هذا الذي ذكر في هذه السورة
وغيرها حدود الله اي الملك الاعظم ومن يتعد
اي يقع منه في وقت من الاوقات انه تعمد ان يعدو
حدود الله اي الملك الذي لا كفو له او بعضها
كان طلق بدعيا فقد ظلم نفسه اي عرضها للعقاب
وقرا قالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال عند
الظا والباقون بالادغام لا تدري اي النفس اي
انت ايها النبي او المطلق لعل الله اي الذي بيده
القلوب ومقاليد جميع الامور يحدث اي يوجد
شيا حادثا لم يكن ايجادا ثابتا لا تقدر تخلق
على التسبب في زواله بعد ذلك اي الحادث من
الاساءة والبغض امرا بان يقلب قلبه من بغضها
الى محبتها ومن الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق
الى الندم عليه فيراجعها وقال اكثر المفسرين اراد
بالامر هنا الرغبة في الرجعة ومعنى الكلام التحريض
على طلاق الواحدة والنهي عن الثلاث وهذا
احسن الطلاق واحله في السنة وابعد من الندم
ويدل عليه ما روي عن ابراهيم النخعي ان اصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون ان لا
يطلقوا للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى
تنقضي العدة وكان احسن عندهم من ان يطلق
الرجل ثلاثا في ثلاثة اطهار وقال مالك ابن انس
لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث
مجموعة كانت او مفرقة واما ابو حنيفة واصحابه
فانما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فاما
مفرقا في الاطهار فلا لما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لابن عمر حين طلق امراته وهي حائض
ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا
لكل قرء تطليقة وروي انه قال لعمر مر ابنك فليراجعها
ثم ليدعها تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك
العدة التي امر الله ان تطلق بها النساء وعند الشافعي
لا باس بارسال الثلاث وقال لا اعرف في عدد الطلاق
سنة ولا بدعة وهو مباح ومالك يراعي في طلاق
السنة الواحدة والوقت وابو حنيفة يراعي التفريق
والوقت والشافعي يراعي الوقت وحده قال الزمخشري
فان قلت هل يقع الطلاق المخالف للسنة قلت
نعم وهو اثم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان رجلا طلق امراته ثلاثا بين يديه فقال
اتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهركم وفي حديث ابن
عمر انه قال يا رسول الله ارايت لو طلقتها ثلاثا قال
اذا عصيت وبانت منك امراتك وعن عمر انه كان

لا يوتي برجل طلق امراته ثلاثا الا اوجعه ضربا
واجاز ذلك عليه وعن سعيد ابن المسيب وجماعة
من التابعين ان من خالف السنة فى الطلاق فاوقعه
في حيض او ثلث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاقه
السنة فخالف فان قيل قوله تعالى اذا طلقتم النسا
عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول من ذوات
الاقرا والايسات والصغاير والحوامل فكيف يصح
تخصيصه بذوات الاقرا المدخول بهن اجيب
بانه لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النسا اسم جنس
للاناث من الانس وهذه الجنسية معنا قايم في كلهن
وفي بعض فجاز ان يراد بالنسا هذا وذاك فلما قيل
فطلقوهن لعدتهن علم انه اطلق على بعضهن وهن
المدخول بهن من المعتدات بالحيض ولما حد سبحانه
ما يفعل في العدة اتبعه ما يفعل عند انقضايها
بقوله تعالى **فاذا بلغن** اي المطلقات **اجلهن** اي شا
رفن انقضا العدة مشارفة عظيمة **فامسكوهن** اي
بالمراجعة وهذا يدل على ان الاولى من الطلاق
ما دون الباين لا سيما الثلاث **بمعروف** اي حسن
عشرة لا بقصد المضارة بطلاق اخر لاجل ايجاب
عدة اخرى او غير ذلك **او فارقوهن** بعدم المراجعة
لتتم العدة فتملك نفسها **بمعروف** اي بفا الحق
مع حسن الكلام ولكل امر حسنه الشرع فلا يقصد
اذاها بتفريقها من ولدها مثلا او منه ان كانت

عاشقة لم تقصد الاذى فقط من غير مصلحة وكذا
ما اشبه ذلك من انواع الضرر بالفعل والقول
فقد تضمنت الاية بافصاحها الحث على فعل الخيرات
وبافهامها اجتناب المنكرات تنبيه قال بعض
العلما في قوله تعالى فامسكوهن بمعروف او فارقوهن
بمعروف وقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح
باحسان ان الزوج له حق في بدن المراة ولها
حق في بدنه وذمته فكل من له دين في ذمة
غيره سوا كان مالا ام منفعة من ثمن او مثمن
او اجرة او بدل متلف او ضمان مغصوب او نحو ذلك
فعليه ان يودي ذلك الحق الواجب باحسان وعلى
صاحب الحق ان يتبع باحسان كما قال تعالى في
اية القصاص فمن عفي له من اخيه شي فاتباع با
لمعروف وادا اليه باحسان وكذا الحق الثابت في
ذمته مثل حق الاستمتاع والاجارة على عينه
ونحو ذلك فالطالب يطلب بمعروف والمودي
يوديه بالاحسان ولما كان الاشهاد اقطع للنزاع
قال تعالى حاثا على الكيس والفطنة والتبري
افعال الغفلين الغرة **واشهدوا** اي على المراجعة
او المفارقة وقيل المعنى واشهدوا عن الرجعة
والفرقة جميعا **ذوي عدل منكم** قطعا للتنازع ٤
وهذا الاشهاد مندوب اليه عند الجمهور كقوله
تعالى واشهدوا اذا تبايعتم واوجب الاشهاد

في الرجعة الامام احمد في احدى الروايتين وعنه
الشافعي كذلك لظاهر الامر وقال مالك وابو حنيفة
واحمد والشافعي في القول الاخر ان الرجعة لا تفتقر الى
القبول فلم تفتقر الى الاشهاد كسائر الحقوق واذا جامع
او قبل او باشر او لمس بشهوة فهو رجعة وقيل
وطئه مراجعة على كل حال نواها ام لم ينوها
وهذا مذهب احمد واليه ذهب الليث وبعض اصحاب
مالك قال القرطبي وكان مالك يقول اذا وطئ ولم
ينو الرجعة فهو وطء فاسد ولا يعود الى وطئها
حتى يستبرئها من مائه الفاسد وله الرجعة في
بقية العدة الاولى وليست له الرجعة في هذا
الاستبراء تنبيه قوله تعالى منكم قال الحسن من
المسلمين وعن قتادة من احراركم وذلك يوجب
اختصاص الشهادة على الرجعة بالذكور دون
الاناث لان ذوي للمذكر وقوله تعالى واقيموا اي
ايها المامورون حيث كنتم شهودا الشهادة اي
التي تحملتموها باداءها على الحال احوالها لله اي
مخلصين لوجه الله لا على الاجل المشهود له
والمشهود عليه ولا شيء سوى وجه الله فيه حث
على اداء الحاكم الذي يؤدي عنده ورعا بعد
مكانه وكان للعدل في الاداء عوائق اليهم
ذلكم اي الذي ذكرت لكم ايها الامة من هذه
الامور البديعة النظام العالية المرام واولاها

بذ

١٧٠

بذلك هذا الاشهاد واقامة الشهادة يوعظ اي
يلين ويرقق به من كان اي كونا راسخا من جميع يؤمن
بالله اي الذي له الكمال كله واليوم الاخر فانه المحيط
الاعظم للترقيق واما من لم يكن متصفا بذلك فكانه
لقساوة قلبه ما وعظ لانه لم ينتفع به وقوله تعالى
ومن يتق الله اي يخف الملك الاعظم فيجعل بينه
وبين ما يسخطه وقاية مما يرضيه وهو امتثال
ما امر به واجتناب ما نهى عنه من الطلاق وغيره
وباطنا لان التقوى اذا انفردت في القران عن
مقارنة تحت الامر والنهي وان اقترنت بغيرها
عن احسان او رضوان خصت المناهي يجعل
اي بسبب التقوى له مخرجا جملة اعتراضية مؤكدة
لما سبق بالوعد على اتقائه عما نهي عنه صريحا
او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة
واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله تعالى
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عمن طلق
ثلاثا او الفا هل من مخرج فتلاها وقال ابن عباس
والكلبي والضحاك هذا في الطلاق خاصة
اي من طلق كما امره الله تعالى يكن له مخرج في
الرجعة في العدة وان يكون كاحد الخطاب بعد
العدة وعن ابن عباس ايضا يجعل له مخرجا ينجيه
من كل كرب في الدنيا والاخرة وقيل المخرج هو
ان يقنعه الله بما رزقه قاله علي بن صالح

وقال الكلبي ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له
مخرجا من النار الى الجنة وقال الحسن مخرجا مما نهى
الله عنه وقال ابو العالية مخرجا من كل شدة ضاق
على الناس وقال الحسين ابن الفضل ومن يتق
الله في اداء الفرائض يجعل له مخرجا من النار العقوبة
ويرزقه اي الثواب من حيث لا يحتسب اي يبارك له
فيما اتاه وقال سهل ابن عبد الله ومن يتق الله
في اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة البدع
ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب وقال ابو سعيد
الخدري ومن تبرا من حوله وقوته بالرجوع الى الله
تعالى يجعل له مخرجا مما كلفه الله بالمعونة له وتاول
ابن مسعود ومسروق الاية على العموم وهذا
هو اللائق بقوله لكفهم وتلا ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال مخرجا من
شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد
يوم القيامة وقال اكثر المفسرين نزلت في عوف بن
مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو اليه
الفاقة وقال ان العدو اسر ابني وجزعت الام
فما تامرني فقال صلى الله عليه وسلم اتق الله
واصبر وامرك واياها ان تكثرا من قول فنفعل
العدو ومن ابنه فضاق عنهم وجاء النبي صلى الله
عليه وسلم تلك الاغنام لذروي انه جاء وقد اصاب

الله

الله من العدو وكان فقيرا فقال الكلبي انه اصاب
خمسين بعيرا وفي رواية فافلت ابنه من الاسر وركب
ناقة للقوم ومر بسرح لهم فاستاقه وقال مقاتل اصاب
غنما ومتاعا فقالوا ابوه للنبي صلى الله عليه وسلم
ايحل لي ان اكل مما اتى به ابني قال نعم ونزل ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
وروى الحسن عن عمران بن حصين قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله
كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع
الى الدنيا وكله الله اليها وقال الزجاج اي اذا اتقى
واثر الحلال والصبر على اهله فتح الله عليه ان
كان ذا ضيقة ورزقه من حيث لا يحتسب وعن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكثر
الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل
ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل
اي يسند اموره كلها اليه معتمدا فيها على الله
اي الملك الذي بيده كل شي ولا كفو له فهو اي
الله في غيبة فضلا عن الشهادة بسبب توكله
حسبه اي كافيه ما اهمه وحذف المتعلق للتعميم
وحرف الاستعلاء للاشارة الى انه كان حمل اموره
كلها عليه سبحانه لانه القوي العزيز الذي يرفع
عنه كل ضار ويجلب له كل سار الحق عزوجل لكنه من احكام
في الكبار فلا يبدو له في عالم الشهادة شي منه

وقيل من اتقى الله وجانب المعاصي وتوكل على
الله كله فيما يعطيه في الاخرة من ثوابه كفاية ولم يرد
الدنيا لان التوكل قد يصاب في الارض وقد يقتل
وفي الحديث لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ويفهم
من هذا ان التوكل يكون مع مباشرة الاسباب
لانه صلى الله عليه وسلم قال تغدو خماصا وتروح
بطانا وهو من المقامات العظيمة قال الشافعي
نقل عن الملوية والاتكال وليس مقام بل خسة
همة وعدم مروة لانه ابطال لحكمة الله تعالى
التي احكمها في الدنيا من ترتيب المسببات على
الاسباب انتهى ولما كان ذلك امرا لا يكاد يحيط به
الوهم علله بقوله مهولا له بالتاكيد والاظهار
في موضع الاضمار ان الله اي المحيط بكل كمال المنزه
عن كل شائبة نقص بالغ امره اي جميع ما يريده
فلا بد من نفوذه سوا حصل توكل ام لا قال مسروق
يعني قاض امره ممن توكل عليه وفيمن لم يتوكل
عليه الا ان من توكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم
له اجرا وقرا حفص بالغ بغير تنوين امره بالجر مضافا
اليه على التخفيف والباقون بالتنوين امره
نصبه الراء ومن الهاقال ابن عادل وهو الاصل
خلافا لابن حيان قد جعل الله اي الملك الذي لا كفو
له لكل شي كرخا وشدة قدرا اي تقديرا لا يتعداه في

مقد

مقداره وزمانه وجميع عوارضه واحواله وان
اجتهد جميع الخلائق في ان يتعداه فمن توكل استغنا د
الاجر وخفف عنه الالم وقذف في قلبه السكينة
ومن لم يتوكل لم ينفعه ذلك وزاد المه
وطال غمه ببعده سعيه وخيبة اسبابه التي
يعتقد انها هي المنجية فمن رضي فله الرضا ومن
سخط فله السخط جف القلم فلا يزاد في المقا
دير شي ولا ينقص منها شي وحكي ان رجلا
اتى عمر فقال اولني مما اولاك الله فقال اتقرا القران
قال لا قال انا لا نولي من لا يقرا القران فانصرف
الرجل واجتهد حتى تعلم القران رجاء ان يعود
الى عمر فيوليه فلما تعلم القران رجاء تخلف عن عمر
فراه ذات يوم فقال يا هذا اهجرتنا فقال يا امير
المومنين لست ممن يهجر ولكني تعلمت القران
فاغناني الله عن عمر وعن باب عمر قال فاي اية
اغنتك قال قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له
مخرجا فمن توكل على غيره سبحانه المنفرد بعلم
ذلك كله ولا يعلمه حق علمه غيره تنبيه
الاية تفهم ان من لم يتق الله يقتر عليه وهو موافق
لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القدر
الا الدعا ولا يزيد في العمر الا البر وان الرجل ليحرم
الرزق بالذنب يصيبه يفهم انه من لم يتوكل لم
يكف شيا من الاشيا وقال عبد الله بن رافع لما نزل

قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نحن اذا توكلنا على
الله نرسل ما كان لنا ولا نحفظه فنزل ان الله بالغ
امره فيكم وعليكم وقال الربيع بن خثيم ان الله
قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن
امن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق
به نجاه ومن دعاه اجاب له وتصديق ذلك في
كتاب الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ومن يتوكل على
الله فهو حسبه ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه
لكم ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم
واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب
دعوة الداع اذا دعان ولما بين تعالى امر الطلاق
والرجعة في التي تحيض وكانوا قد عرفوا عدة ذوات
الاقراء عرفهم في هذه السورة عدة التي لا ترى الدم
قال ابو عثمان عمر بن سليمان نزلت عدة النسا
في سورة البقرة في المطلقة والمتوفى عنها زوجها
قال ابي بن كعب يا رسول الله ان ناسا يقولون
قد بقي من النسا من لم يذكر فيهن شيء الصغار
والكبار وذات الحمل فنزل واللائي يئسن اي من المطلقات
من المحيض اي الحيض الاية وقال مقاتل لما ذكر
قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة
قروء قال خلاد بن النعمان يا رسول الله فما عدة التي
لم تحض وعدة التي الكبيرة التي يئست فنزلت وقال

كان هذه الاية واردة في المستحاضة لا تدري دم حيض
هو او دم علة واختلف في سن الياس فالذي
عليه الاكثر انه اثنان وستون سنة وقيل ستون
ولما كان هذا الحكم خاصا بازواج النبي المسلمين
لحرمة فراشهم وحفظ انسابهم قال تعالى من نسائكم
اي ايها المسلمون سواء كن مسلمات او من اهل الكتاب
ان ارتبتم اي شككتم في عدتهن فعدتهن ثلاثة اشهر
كل شهر يقوم مقام حيضة لان اغلب عوائد النسا
ان يكون لكل قرء في شهر واللائي لم يحضن اي لصغرهن
او لانه لا حيض لهن اصلا وان كن بالغات
فعدتهن ثلاثة اشهر ايضا هذا كله في غير المتوفى
عنهن ازواجهن اما هن فعدتهن ما في اية
يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا وقرا
واللائي في الموضعين ابن عامر والكوفيون بالهمز
وياء بعده وقرا قالون وقنبل بالهمز ولا ياء بعدها
والبزي وابو عمرو ولهم ابدال الهمزة ياء ساكنة
مع المد وغيره ولما فرغ من ذكر غير الحوامل اتبعه ذكر
الحوامل بقوله تعالى واولات الاحمال اي من جميع
الزوجات المسلمات والكافرات المطلقات والمتوفى
عنهن اجلهن اي منتهى العدة سواء كان لهن
مع الحمل حيض ام لا ان يضعن حملهن وهذا على
عمومه مخصص لاية يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا لان المحافظة على عمومه اولى من المحافظة

علي عموم ذلك في قوله تعالى ازواجا لان عموم هذه
بالذات لان الموصول من صيغ العموم وعموم ازواجا
بالعرض لانه بدل لا يصلح لجميع الازواج في حال
واحد والحكم معلل هنا بوصف الحيلية فعلى ذلك
ولان هذه الاية متاخرة النزول عن اية البقرة فتقدم
فتقديمها علي تلك تخصيص وتقديم تلك في العمل
بعمومها رفع لما في الخاص من الحكم فهو نسخ والاول
هو الراجح للوفاق ولان سبيعة بنت الحارث
وضعت حملها بعد وفاة زوجها بليال فاذن لها النبي
صلى الله عليه وسلم ان تتزوج تنبيه اذا وضعت
المراة ما في بطنها من علقة او مضغة حلت عند
مالك وقال الشافعي واحمد وابو حنيفة لا تحل الا بوضع
ما يتبين فيه شيء من خلق الانسان فان كانت
حامل بتوامين لم تنقض عدتها حتى تضع الثاني
منهما ولابد ان يكون الحمل منسوبا لذي العدة اما اذا
كان من زنا فلا حرمة له والعدة بالحيض ولما كانت
امور النسا في المعاشرة والمفارقة على غاية المشقة
كرر الحث علي التقوى اشارة الى ذلك وترغيبا
في لزوم ما حده سبحانه فقال عاطفا على ما تقديره
فمن لم يحفظ هذه الحدود عسر الله تعالى عليه اموره
ومن يتق الله اي يوجد الخوف من الملك الاعظم ايجادا
مستمرا ليجعل بينه وبين سخطه وقاية من طاعته
امتثالا بالمامور واجتنابا للمنهي **يجعل له** اي يوجد

ايجادا مستمرا باستمرار التقوى ان الله لا يحل حتى تملوا
من امره اي كله في النكاح وغيره **يسرا** اي سهولة
وفرجا وخيرا في الدارين بالدفع والنفع وذلك اعظم
من مطلق الخروج المتقدم في الاية الاولى وقال مقاتل
ومن يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له من امره
يسرا في توفيقه لطاعته **ذلك** اي الامر المذكور
من جميع هذه الاحكام العالية المراتب **امر الله** اي
الملك الاعلى الذي له الكمال كله **انزله اليكم** وبينه
لكم **ومن يتق الله** الذي لا امر لاحد معه في احكامه
فيراعي حقوقها **يكفر** اي يغطي تغطية عظيمة **عنه
سياته** ليتحلى عن المبعدات فان الحسنات يذهبن
السيات **ويعظم له اجرا** بان يبدل سياته حسنات
ويوفيه اجرها في الدارين مضاعفة فيتحلى بالمقربات
وهذا اعظم من مطلق اليسر المتقدم **اسكنوهن** قال
الرازي اسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى
في قوله تعالى ومن يتق الله كانه قيل كيف نعمل بالتقوى
في شان المعتدات فقيل اسكنوهن وقوله تعالى **من
حيث سكنتم** فيه وجهان احدهما ان من للتبعيض قال
الزمخشري مبعضها محذوف معناه اسكنوهن مكانا من
حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى
يغضوا من ابصارهم اي بعض ابصارهم قال قتادة
ان لم يكن الا بيت واحد اسكنها في بعض جوانبه
قال الرازي وقال الكسائي من صلة والمعنى اسكنوهن

حيث سكنتم والثاني انها لابتداء الغاية قاله الحوفي
وابو البقا قال ابو البقا والمعنى تسببوا الى اسكانهن من
الوجه الذي تسكنون انفسكم ودل عليه قوله تعالى
من وجدكم اي من وسعكم اي مما تطيقونه وفي اعرابه
وجهان احدهما انه عطف بيان لقوله تعالى من حيث
سكنتم والبيان بحرفيه وتبعه البيضاوي به قال
ابن عادل اظهرهما انه بدل من قوله من حيث بتكرار
العامل واليه ذهب ابو البقا كانه قيل اسكنوهن
من وسعكم ولا تضاروهن حال السكنى في المسكن
ولا في غيره لتضيقوا عليهن حتى يلجئهن الى الخروج
وان كن اي المطلقات اولات حمل اي من الازواج من
طلاق بائن او رجعي فانفقوا عليهن فان مضت
الاشهر حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا
يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل
من المعتدات البوائن والاحاديث تؤيده قال
القرطبي اختلف العلما في المطلقة ثلثا على ثلثة
اقوال فمذهب مالك والشافعي ان لها السكنى ولا نفقة
لها ومذهب ابي حنيفة واصحابه ان لها السكنى
والنفقة ومذهب احمد واسحاق وابي ثور لا نفقة
لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس قالت
دخلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي اخو
زوجي فقلت ان زوجي طلقني وان هذا يزعم
ان ليس لي سكنى ولا نفقة قال بل لك السكنى والنفقة

قال

قال ان زوجها طلقها ثلاثا فقال صلى الله عليه
وسلم انما السكنى والنفقة وعن الشعبي قال لقيني
الاسود بن يزيد فقال يا شعبي اتق الله وارجع
عن حديث فاطمة بنت قيس فان عمر كان يجعل
لها السكنى والنفقة وعن الشعبي قال لقيني الاسود
فقلت لا ارجع عن شي حدثتني به فاطمة بنت
قيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نزاع
كان لها السكنى لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان تعتد في بيت ام مكتوم واجيب عن ذلك بما
روت عايشة انها قالت كانت فاطمة في مكان
وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما
نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وقال قتادة
وابن ابي ليلى لا سكنى الا للرجعية لقوله تعالى
لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك وقوله تعالى اسكنوهن
راجع لما قبله وهي المطلقة الرجعية فان ارضعن لكم
اي بعد انقضاء علقة النكاح فآتوهن اجورهن
اي على ذلك الرضاع وللرجل ان يستاجر امراته
للرضاع الاستيجار اذا كان الولد منهن مالم تبن
ويجوز عند الشافعي مطلقا وقوله تعالى وأتمروا خطاب
للازواج والزوجات اي ليأمر بعضكم بعضا
في الارضاع والاجر فيه وغير ذلك وليقبل بعضكم بعضا
امر بعض وقال الكسائي ائتمروا وامروا قول امرئ القيس
ويعدو على المرء ما ياتمر وزادهم رغبة في ذلك بقوله

بينكم اي ان هذا الخبر لا يعدوكم واكد ذلك بقوله
تعالى بمعروف وذكره سبحانه تخفيفا على الامة لا ارضا
بالمستطاع وهو يكون مع الاختلاف لا الارضاء فدفع
النفس بالخلاف وان تعاسرتم اي طلب منكم ما يعسر
على الاخر كان طلبت المراة الاجرة وطلب الزوج
ارضاعها مجانا فسترضع له اي الاب اخرى اي مرضعة
غير الام رضي الله تعالى عنها وليس له ان يكر ههها
على ذلك ان الم يقبل ثدي غيرها وان لم يوجد
غيرها اجبرت على ذلك بالاجرة وهذا الحكم لا يختص
بالمطلقة بل المنكوحة كذلك واختلفوا فيمن يجب
عليه رضاع الولد فقال مالك رضاع الولد على
الزوجة ما دامت الزوجة لشرفها ومرضها فعلى
الاب رضاعه الولد يومئذ في ماله وقال ابو
حنيفة الام اجرة المثل وهناك اجنبية ترضى
بدون اجرة المثل او متبرعة تخير الاب بينهما ولا يقضى
على الاب بدفع الاجرة لانه صلى الله عليه وسلم
ما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما
او قطيعة رحم وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة
محضة وقرا ورش بين بين والباقون بالفتح
لينفق ذو سعة اي مال واسع ولم يكلف تعالى جميع
وسعه بل قال تعالى من سعته اي لينفق الزوج
على زوجته وولده الصغير على قدر وسعه فيوسع
اذا كان موسعا عليه ومن قدر اي ضيق عليه رزقه

فعلى

فعلى قدر ذلك فتقدر النفقة بحسب حال المنفق
والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة
قال تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف
وقال صلى الله عليه وسلم لهند خذي ما يكفيك
وولدك بالمعروف لكن نفقة الزوجة مقدرة عند
الشافعي محدودة فلا اجتهاد للحاكم ولا للمفتي فيها
وتقديرها هو بحسب حال الزوج وحده من يسره
وعسره ولا اعتبار بحالها فيجب لابنة الخليفة ما يجب
لابنة الحارث فيلزم الزوج الموسر مدان والمتوسط
مد ونصف والمعسر مد لظاهر قوله تعالى لينفق
ذو سعة من سعته فجعل الاعتبار بالزوج في العسر
واليسر ولان الاعتبار بحالها يؤدي الى الخصومة
لان الزوج يدعي انها تطلب فوق كفايتها وهي
تزعم انها تطلب قدر كفايتها فقدرت قطعا للخصومة
وقوله تعالى فلينفق اي وجوبا على المرضع وغيرها
من كل ما اوجبه الله تعالى عليه مما آتاه الله
اي الملك الذي لا ينفد ما عنده ولو من راس
المال ومتاع البيت لا يكلف الله اي الملك الذي لا
ينفد ما عنده ولو من راس الذي له الكمال كله نفسا
اي نفس كانت نفسا الا ما آتاها اي اعطاها من المال
سيجعل الله اي الملك الذي له الكمال كله فلا خلف
لوعده بعد عسر اي بعد كل عسر يسرا وقد صدق
الله وعده فيمن كانوا موجودين بعد نزول الاية

فنفتح عليهم جميع جزيرة العرب ثم فارس والروم
حتى صاروا اعني الناس وصدق الاية دايم غير
انه في الصحابة رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم
امين لان اعمالهم اتم قال القشيري والانتظار اليسر
من الله صفة المتوسطين في الاحوال الذين انحطوا
عن درجة الرضا وارتقوا عن حد الياس والقنوط
ويبقون في فناء الرجاء ويتعللون بحسن المواعيد
انتهى ولما ذكر الاحكام والمواعظ والترغيب لمن
اطاع حذر من خالف بقوله تعالى وكاين هي كاف
الجر دخلت على اي بمعنى كم من قرية اي وكثير من
القرى وقرا ابن كثير بالالف بعد الكاف وبعد الفها باخفة
مكسورة مشددة وعبر عن اهل القرية بها مبالغة
فقال عتت اي استكبرت وجاوزت الحد في عصيانها
وطغيانها فاعرضت عنادا عن امر ربها اي الذي
احسن اليها ولا محسن اليها غيره ورسله فلم تقبل
منهم ما جاؤا به عن الله تعالى فان طاعته فحاسبناها
اي في الاخرة وان لم تجي لتحقق وقوعها حسابا
شديدا اي بالمناقشة والاستقصا وعذبناها عذابا
نكرا اي منكرا فظيعا وهو عذاب النار وقيل العذاب
في الدنيا فيكون على حقيقته اي جازيناها بالعذاب
في الدنيا وعذبناها عذابا نكرا في الاخرة وقيل في
الكلام تقديم وتاخير اي فعذبناها عذابا نكرا في الدنيا
بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ وساير

المصايب وحاسبناها في الاخرة حسابا شديدا وقرا نافع
وابن ذكوان وشعبة بضم الكاف والباقون بسكونها
فذاقت اي فتسبب عن ذلك انها ذاقت وبال اي عقوبة
امرها اي كفرها وكان عاقبة امرها خسرا اي في الدنيا
بالاسر وضرب الجزية وغير ذلك وفي الاخرة بعذاب
النار وقال من زرع الشوك كما قال القشيري لا يجني
الورد ومن اضاع حق الله تعالى لا يطاع في حظ
نفسه ومن احترق بمخالفة امر الله تعالى فليصبر
على عقوبته ثم استانف جوابا عمن يقول هل لها
غير هذا في غير هذه الدار بقوله تعالى اعد الله اي
الملك الاعظم لهم بعد الموت وبعد البعث عذابا شديدا
وفي ذلك تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى
المامور بها فاتقوا الله اي الملك الذي له الامر كله
بامتثال اوامره واجتناب نواهيه يا اولي الالباب
اي يا اصحاب العقول الصافية النافذة من الظواهر
والبواطن وقوله تعالى الذين امنوا منصوب باضمار
اعني بيانا للمنادى او نعتا له اي اخلصوا من دايرة
الشرك واوجدوا الايمان حقيقة قد انزل الله
اي الذي له صفات الجلال اليكم ذكرا هو القران وفي
نصب رسولا اوجه احدها قال الزجاج والفارسي انه
منصوب بالمصدر المنون قبله لانه ينحل لحرف مصدري
وفعل كانه قيل ان رسوله ويكون ذكره الرسول قوله
محمد رسول الله والمصدر المنون عامل كقوله تعالى او اطعام

في يوم ذي مسغبة يتيما الثاني جعل نفس الذكر مبالغة
فابدله منه ويكون محمولا علي المعني كانه قال قد اظهر
لكم ذكرا رسولا فيكون من باب بدل الشي من الشي
وهو هو الثالث بدل منه علي مضاف من الاول
تقديره انزل ذا ذكر رسولا الرابع انه بدل منه علي
حذف مضاف من الثاني اي ذكرا ذكر رسول الخامس
انه منصوب بفعل مقدر اي وارسل رسولا يتلوا عليكم
ايات الله هي دلايل الملك الاعظم الظاهرة جدا
حال كونها مبينات اي لا لبس فيها بوجه واختلف
الناس في رسول هل هو النبي صلي الله عليه وسلم
او جبريل الاكثر علي الاول واقتصر عليه الجلال
المحلي واقتصر الزمخشري علي الثاني وهو قول الكلبي
وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكسايي بكسر الباء
الموحدة والباقون بالفتح ليخرج الذين امنوا اي اقروا
بالشهادتين وعملوا تصديقا لما قالوه بالسنتهم وتحقيقا
لانه من قلوبهم الصالحات اي ليحصل لهم ما هم عليه
الان من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم
او قدر انه مومن من الظلمات اي الضلالة الي النور
اي الهدي ومن يومن اي يجدد في كل وقت علي الدوام
الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه
مومن بالملك الاعلي بان لا يزال في ترق في معارج
معارفه ويعمل علي التجديد المستمر صالحا لله وفي
الله فله دوام النعما وهو معني ادخاله الجنة كما قال

تعالي

تعالي يدخله اي عاجله مجازا بما يفتح الله له من
لذات المعارف ويفتح له من الانس واجلا حقيقة
جنات اي بساتين هي في غايتها تكون من جمع
جميع الاشجار وحسن الدار وبين دوام ريها بقوله
تعالي تجري من تحتها اي من تحت غرفها الانهار فهي
في غاية الري بحيث ان ساكنها يجريها في اي موضع
اراد نهرا وقرا نافع وابن عامر ندخله بالنون والباقون
بالياء التحتية خالدين فيها واكد معني الخلود بقوله
تعالي ابدا ليفهم الدوام بلا انقضا وقوله قد احسن الله
اي الملك الاعلي ذو الجلال والاكرام له اي خاصة
رزقا اي عظيما عجيبا فيه يعجب ويعظم بما رزقوا
من الثواب وقال الطبري لحسن ما كانت علي حد
الكفاية لا نقصان فيه يتعطل عن اموره بسببه ولا
زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رزق لحرصه كذلك
ارزاق القلوب احسنها ان تكون لدي من الاحوال
ما يستقل بها من غير نقصان ولا زيادة لا يقدر
علي الاستمرار عليها ثم بين كمال قدرته بقوله
تعالي الله الذي له جميع صفات الكمال التي القدرة
بجليتها الشاملة احدها الذي خلق اي اوجد وحده
من العدم بقدرته علي وفق ما رتب بعلمه
علي هذا المنوال الغريب البديع وانتم تشهدون
انه لا يقدر عليه الا تام القدرة والعلم
الكامل سبع سموات ومن الارض اي سما الكون

السموات سبعا بعضها فوق بعض فلا خلاف فيه
لحديث الاسرا وغيره واما الارضون فقال الجمهور انها
سبع ارضين فلا خلاف فيه لحديث طبقا فوق بعض
بين كل ارض وارض مسافة كما بين السما والارض
وفي كل ارض سكان من خلق الله تعالى وقال
الضحاك انها سبع ارضين ولكنها منطبقة بعضها
فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي
والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما روي
البخاري وغيره وروى ابو مروان عن ابيه ان
كعبا حلف له بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا
حدثه ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد
دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات
السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن
ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما
اذرين انا نسالك خير هذه القرية وخير اهلها
ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر من فيها
وروى مسلم عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم قيد شبر
من ارض طوقه يوم القيامة من سبع ارضين قال
الجاحظ رايت في التعدد حقيقة حديثا صريحا
لكن لا ادري حاله ذكره ابن برجان في اسمه تعالى
الملك من شرحه الاسما الحسنى قال النبي صلى الله
عليه وسلم قال اتدرون ما تحت هذه الارض قالوا

الله

الله ورسوله اعلم قال هوا اتدرون ما تحت ذلك
قالوا الله ورسوله اعلم حتى عد سبع ارضين ثم رايته
في الترمذي عن ابي رزين العقيلي ولفظه هل
تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم
قال انها الارض ثم قال اتدرون ما تحت ذلك
قالوا الله ورسوله اعلم قال ان تحتها ارضا اخرى
بينهما خمسمائة سنة ثم رايت في الفردوس عن
ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين
السماء الى السما خمسمائة عام وعرض كل سماء
وثخانة كل منها خمسمائة عام وما بين السما الى السما
خمسمائة عام وعرض كل سما وثخانة كل سما ما بين
السماء السابعة وبين الكرسي والعرش مثل ذلك
وما بين السما الى الارض مسيرة خمسمائة عام
والارضون وعرضهن وثخانتهن مثل ذلك
قال الماوردي وعلى انها سبع ارضين يختص
دعوة اهل الاسلام بالارض العليا ولا يلزم من
في غيرها من الارضين يختص دعوة اهل الاسلام
بالارض العليا ولا يلزم من في غيرها من
الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق مميز
وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها
قولان احدهما انهم يشاهدون السما من كل جانب
من ارضهم ويستمدون الضيا منها قال ابن عادل
وهذا قول من جعل الارض مبسوطة الثاني انها

لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم ضياء
يشاهدونه قال ابن عادل وهذا قول من جعل الارض
كرة وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
انها سبع ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض
تفرق بينها البحار وتظل جميعهم السما فعلى هذا
ان لم يكن لاحد من اهل الارض وصول الى ارض
اخرى اختصت دعوة الاسلام بهذه الارض وان كان
لقوم منهم وصول الى ارض اخرى احتمل ان تلزمهم
دعوة الاسلام لامكان الوصول اليهم لان فصل
البحار اذا امكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم
حكمه واحتمل ان لا تلزمهم دعوة الاسلام لانها لو
لزمتهم لكان النص بها واردا ولكان النبي صلى
الله عليه وسلم بها مامورا وقال بعض العلما السما
في اللغة عبارة عما علاك فالارض الاولى بالنسبة الى السما
الثانية ارض وكذلك السما التحتية بالنسبة الى ما تحته
وبالنسبة الى ما فوقه ارض فعلى هذا تكون
السموات السبع وهذه الارض الواحدة سبع
سموات وسبع ارضين مثلهن يتنزل اي بالتدريج الامر
قال مقاتل وغيره اي الوحي وعلى هذا يكون
قوله تعالى بينهن اشارة الى بين هذه الارض
العليا التي هي اولاها وبين السما السابعة التي
هي اعلاها والاكثرون على ان الامر هو القضا
والقدر فعلى هذا يكون المراد بقوله بينهن

اشارة

اشارة الى ما بين الارض السفلى التي هي اقصاها
وبين السماء السابعة التي هي اعلاها فيجري
امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن وعن
قتادة في كل ارض من ارضه وسما من سمائه
خلق من خلقه وامر من امره وقضا من قضائه
وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وعن
ابن عباس ان نافع بن الازرق ساله هل تحت
الارض من خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما
ملائكة او جن وقال مجاهد يتنزل الامر من السموات
السبع الى الارضين السبع وقال الحسن بين كل سما بين
ارض وامر وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة بعض
وموت بعض وغنا قوم وفقر قوم وقيل ما يدبر
فيهن من عجائب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات
وياتي بالليل والنهار والصيف والشتا ويخلق
الله الحيوانات على اختلاف انواعها وهيآتها
فينقلهم من حال الى حال قال ابن كيسان وهذا
على اتساع اللغة كما يقال للموت امر الله وللريح
والسحاب ونحوها وقوله تعالى لتعلموا متعلق
بمحذوف اي اعلمكم بذلك الخلق والانزال لتعلموا
ان الله اي الملك الاعلى الذي له الاحاطة كلها
على كل شي اي من غير هذا العالم ممكن ان يدخل
تحت المشية قدير اي بالغ القدرة فياتي بعالم اخر
مثل هذا العالم وابدع منه وابدع من ذلك الى ما

لانهاية له بل لا يستدل بهذا العالم فان من قدر
على ايجاد ذرة من العدم قدر على ايجاد ما هو
دونها ومثلها وفوقها الى ما لا نهاية له لانه لا فرق
في ذلك بين قليل وكثير جليل وحقير ما في خلق
الرحمن من تفاوت قال البقاعي واياك ان تصغى
الى من قال انه ليس في الامكان ابدع من هذا
العالم فانه مذهب فلسفي خبيث والاية نص في
ابطاله وان نسبه بعض الملحدين الى الغزالي فانه
لا شك انه مدسوس عليه وان مذهب فلسفي
خبيث بشهادة الغزالي كما بينت ذلك في كتاب
من كتبه واسنده في بعضها للغزالي والغزالي
بري منه بشهادة ما وجد من عقائده في الاحيا
وغيره انتهى والبقاعي ممن يقول بكفر ابن عربي
وابن المقري ويقول بكفره وكفر طائفته وقد تقدم
الكلام على كل منهم وان الله الذي له جميع صفات
الكمال قد احاط بتمام قدرته بكل شي مطلقا علما
فله الحكمة التامة بما يامر به من الاحكام في العالم
بمصالحه ومفاسده فلا يخرج شي عن علمه
وقدرته فعاملوه معاملة من يعلم انه رقيب
عليه تسلموا في الدنيا وتسعدوا في الاخرة
تنبيه علما منصوب على المصدر لمؤكد لان
احاط بمعنى علم وقيل بمعنى والله احاطة علما
وما قاله البيضاوي تبعا للكشاف وغيره من انه صلى

الله عليه وسلم قال من قرا سورة الطلاق مات
على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث
موضوع

سورة التحريم مدنية

وهي ثنتا عشرة اية ومائتان واربعون كلمة والف
وستون حرفا بسم الله الذي له الكمال على الدوام
الرحمن الذي عم عباده بعظيم الانعام الرحيم الذي
اتم على خواصه نعمة الاسلام واختلف في سبب
نزول قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك
الذي لا امراة معه لك فقالت عائشة ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان عند زينب بنت جحش فشرب
عندها عسلا قال فتواطات انا وحفصة ان ايتنا
قد دخل النبي صلى الله عليه وسلم عليها فلتقل
اني اجد منك ريح مغافير فدخل على احداهما فقالت
له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت
جحش ولن اعود له فنزلت لم تحرم ما احل الله لك الى
قوله تعالى ان تتوبا لعائشة وحفصة وعنها ايضا
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب
الحلوا والعسل فكان اذا صلى العصر دار على
نسائه فدخل على حفصة فاحتبس عندها اكثر
مما كان يحتبس فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت
اليها امراة من قومها عكة عسل فسقت رسول
الله صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله
لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل

عليك فإنه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله
أكلت مغافير فإنه سيقول لك فقولي ما هذه الريح
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه
أن يوجد منه الريح فإنه سيقول لك سقتني
حفصة شربة عسل فقولي له جرست نحله العرفط
فلما دخل علي قلت ما هذه الريح قال سقتني
حفصة شربة عسل قال ثم دخل على صفية
فقالت مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت يا رسول
الله لا أسقيك منه قال لا حاجة لي به قالت
تقول سودة لقد حرمناه قالت قل لها اسكتي ففي
هذه الروايات التي شرب عندها النبي صلى الله
عليه وسلم حفصة وفي الأولى زينب وروى ابن
أبي مليكة عن ابن عباس أنه شربه عند سودة
وقيل إنما هي أم سلمة رواه أسباط عن السدي
وقاله عطاء ابن أبي مسلم تنبيه شرح غريب
الألفاظ الحديث وما يتعلق بها قولها كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلواء والعسل
الحلواء بالمد والقصر قال في المصباح وهو كل شيء
حلو وذكر العسل بعدها وإن كان داخلا في جملة
الحلو تنبيها على شرفه ومزيته وهو من باب
الخاص بعد العام وقولها فتواطيت أنا وحفصة
هكذا وقع في الرواية وأصلها فتواطأت بالهمز
أي اتفقت أنا وحفصة وقولها أن أية واحدة منكن

ريح

ريح مغافير وهو بغين معجمة وفاء بعدها ياء وراء وهو
صمغ حلو كالناطف وله رائحة كريهة ينضحه شجر
يقال له العرفط بضم العين المهملة والفاء يكون
بالحجاز وقيل العرفط نبات له ورق يفرش على
الأرض له شوك وثمرة خبيثة الرائحة وقال أهل
اللغة العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك
وقيل رائحته كرائحة النبيذ وكان النبي صلى
الله عليه وسلم يكره أن يوجد منه رائحة كريهة
قولها جرست نحله العرفط بالجيم والراء والسين
المهملتين ومعناه أكلت نحله العرفط فصار
منه العسل قال القاضي عياض والصواب أن
شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره
النووي في شرح مسلم وكذا ذكره أيضا القرطبي وقال
أكثر المفسرين في سبب نزول ذلك أن النبي صلى
الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان
يوم حفصة استأذنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في زيارة أبيها فأذن لها فلما خرجت
أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جاريته
مارية القبطية فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها
فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست
عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال صلى الله
عليه وسلم ما يبكيك فقالت إنما أذنت لي من أجل

ذلك ادخلت امتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي على
فراشي اما رايت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا
بامراة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليس هي جاريتي قد احلها الله لي وهي حرام
علي التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امراة
منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عايشة
فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد حرم عليه امته مارية وان الله قد اراحنا
منها واخبرت عايشة بما رات وكانتا متصافيتين
متظاهرتين على ساير ازواج رسول الله صلى
الله عليه وسلم فغضبت عايشة فلم يزل نبي الله
صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها وعن انس
بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان له امة يطاوها فلم تزل عايشة وحفصة
حتى حرمها على نفسه فانزل الله تعالى يايها النبي
لم تحرم ما احل الله لك يوهم ان هذا الخطاب
بطريق العتاب وخطاب النبي صلى الله عليه وسلم
بنا في ذلك لما فيه من التشريف والتعظيم اجيب
بانه ليس بطريق العتاب بل بطريق التنبيه
على ان ما صدر منه لم يكن على ما ينبغي فان
قيل لم تحرم ما احل الله غير ممكن فكيف قال لم تحرم
ما احل الله لك اجيب بان المراد بهذا التحريم هو

الامتناع من الانتفاع بالازواج لا اعتقاد كونها
حلالا فان من اعتقد ان هذا التحريم هو تحريم ما احل
الله فقد كفر فكيف يضاف الى النبي صلى الله عليه
وسلم تبتغي اي تريد ارادة عظيمة من مكارم اخلاقك
وحسن صحبتك مرضات ازواجك اي الاحوال والا
فعال والامور والمواضع التي يرضين بها وهن اولى
بان يبتغين رضاك وكذا جميع الخلق لتتفرغ لما يوحي
اليك من ربك لكن ذلك للزوجات الكد والله اي
الملك الاعلى غفور رحيم اي محا ستور لما سبق
على خلص عباده مكرم له فقد غفر لك هذا التحريم
ثم علل وبين ذلك بقوله تعالى قد فرض الله اي قدر
ذو الجلال والاكرام الذي لا شريك له ولا الامر لاحد
معه وعبر بالفرض حثا على قبول الرخصة
اشارة الى ان ذلك لا يقدح في الورع ولا يخل
بحرمة اسم الله قال تعالى لكم ايتها الامة التي انت
راسها تحلة اي تحليل ايمانكم بالكفارة المذكورة ايتها
الامة التي انت في سورة المايدة وقيل قد شرع
الله تعالى لكم الاستثنا في ايمانكم من قولك حلل
فلان في يمينه ان استثنى بمعنى استثن في
يمينك اذا اطلقتها بان تقول ان شا الله متصلا
بحلفك وتوبه قبل الفراغ منه واختلف اهل العلم
في لفظ التحريم فقال ابو قوم هو ليس بيمين فان قيل
قال لزوجته انت حرام او حرمتك فان نوى به

طلاقا فهو طلاق وان نوى به ظهارا فهو ظاهر
وان نوى تحريم ذاتها واطلق فعليه كفارة يمين
وان قال لطعام حرمته على نفسي فلا شي عليه
وهذا قول ابن مسعود واليه ذهب الشافعي وروى
عطا الدارقطني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
انه اتاه رجل فقال اني جعلت امراتي علي حراما
فقال كذبت ليست عليك بحرام وتلا هذه الاية
وذهب جماعة الى انه يمين فان قال ذلك لزوجته
او جاريته فلا تجب الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف
لا ياكله فلا كفارة عليه ما لم ياكل يروى ذلك عن ابي
بكر وعايشة وبه قال الاوزاعي وابو حنيفة وعند
ابي حنيفة ان نوى الطلاق بالحرام كان باينا وان
قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم
ينو والا فعلى ما نوى نقله الزمخشري وعن عمر
اذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي ثلاث
وعن زيد واحدة باينة وعن ابن عباس قال
اذا حرم الرجل امراته فهي يمين يكفرها وقال لقد
كان لكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة
حسنة قال مقاتل فاعتق رسول الله صلى الله
عليه وسلم في هذه الواقعة رقبة قال زيد بن اسلم
وعاد الى ربه وقال الحسن لم يكفرها لانه مغفور
له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكفارة اليمين في هذه
السورة انما امر بها الامة قال ابن عادل والاول

اصح

اصح وان المراد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم
ثم الامة تقتدي به في ذلك **والله** اي والحال ان
المختص باوصاف الكمال **مولاكم** اي يفعل معكم فعل
القريب الصديق فهو سيدكم ومتولي اموركم **وهو**
اي وحده **العليم** اي البالغ العلم بمصالحكم وغيرها
الى ما لا نهاية له **الحكيم** اي الذي يصنع كل ما يصدر
عنه لكم في اتقن محاله بحيث لا يقدر غيره ان يغيره
ولا شيا منه والعامل في قوله تعالى **واذ** اي واذكر
فهو مفعول له لا ظرف والمعنى اذكر اذ **اسر النبي**
اي الذي شانه ان يرفعه الله تعالى دايما فانه
ما ينطق عن الهوى **الى بعض ازواجه** وابهمها لم يعينها
تشريفا له صلى الله عليه وسلم ولها وهي حفصة
صيانة لها لان حرمتهن من حرمته صلى الله عليه
وسلم **حديثا** ليس هو من شان الرسالة ولو كان
من شانها لعم به ولم يخص به ولا اسره وذلك تحريمه
فتاته على نفسه وقوله لحفصة لا تخبري بذلك
احدا وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس اسر الخلافة
بعده فحدثت حفصة وقال الكلبي اسر اليها ان
اباك وابا عايشة يكونان خليفتي بعدي **فلما نبات**
اي اخبرت **به** عايشة ظنا منها انه لا حرج عليها
في ذلك **واظهره الله** اي اطلعه الملك الذي له
الاحاطة بكل شي **عليه** اي الحديث على لسان جبريل
عليه السلام لانه قد افشى ما ناصحته له في اعلامهم

مما يقع في غيبته لتحذره ان كان شرا وتثبت عليه
ان كان خيرا وقيل اظهره الله لحديث على النبي
من الظهور عرف اي النبي صلى الله عليه وسلم التي
اسر اليها بعضه اي بعض ما فعلت واعرض عن بعض
اي اعلام ببعض تكرما منه ان يستقصي في العبارات
وحيا وحسن عشرة قال الحسن ما استقصى كريم
قط وقال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام
وانما عاتبها على ذكر الامامة واعرض عن ذكر الخلافة
خوفا من ان ينتشر في الناس فربما اثار حسد بعض
المنافقين واورث الحسود للصديق توكيدا وقال
بعض المفسرين انه اسر الى حفصة شيا فحدثت
به غيرها فطلقها مجازاة على بعض ولم يواخذها
بالباقي وهو من قبيل قوله تعالى وما تفعلوا من
خير يعلمه الله اي يجازيكم عليه وقيل المعرف حديث
الامامة والمعرض عنه حديث مارية روي انه قال
لها ويلك امر اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك
بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله
تعالى بها اباها فلما نباها به اي بما فعلت على وجه لم يبادر
من ذلك الذي عرفها به شيا منه ولا من عوارضه
لئن زاد دهشة روي انها قالت لعايشة سترا
فانا اعلم انها لا تظهره قال الحلوي وهو معنى قوله
تعالى قالت اي ظنا منها ان عايشة افشت عليها
من انباك هذا اي من اخبرك اني افشيت السر

قال

١٢٥

قال نبأني وحذف المتعلق اختصارا للفظ وتكثير
للمعنى بالتعميم اشارة الى انه اخبره بجميع ما دار بينهما
وبين عايشة على اتم ما كان العليم اي المحيط العلم
الخبير اي المطلع على الضماير والظواهر فهو اولى ان
يحذر فلا يتكلم سرا او جهرا الا بما يرضيه وقوله تعالى
ان تتوبا الى الله اي الملك الاعظم شرط وفي جوابه
وجهان قوله تعالى فقد صغت قلوبكما والمعنى
ان تتوبا فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل
قلوبكما عن الواجب في مخالفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم في حب ما يحب وكراهة ما يكره وصغت
مالت وزاغت عن الحق قال القرطبي وليس قوله
فقد صغت قلوبكما جزاء الشرط لان هذا الصغو كان
سابقا فجزاء الشرط محذوف للعلم به اي ان تتوبا
كان خيرا لكما اذ قد صغت قلوبكما الثاني ان الجواب
محذوف تقديره فذلك واجب عليكما او فتاب الله
عليكما قاله ابو البقاء ودل على المحذوف فقد صغت
لان اصغاء القلب الى ذلك ذنب وقد قال بعضهم
وكانه زعم ان ميل القلب ذنب وكيف يحسن ان
يكون جوابا وقد غفل عن المعنى الصحيح لكونه
جوابا تنبيه قوله تعالى قلوبكما من افصح الكلام
حيث اوقع الجمع موقع المثنى استثقالا لمجيء تثنيتين
لو قيل قلباكما ومن شان العرب اذا ذكروا الشيئين

اما اثنين جمعوهما لانه لا لبس والاحسن في هذا
الباب الجمع ثم الافراد ثم التثنية كقوله
فتخالسا نفسيهما بنوافذ ، العبط الذي لم يرقع
وقال ابن عصفور لا يجوز الافراد في ضرورة كقوله
حمامة بطن الواديين ترنمي ، سقاك من الغر الغوادي مطيرها
وتبعه ابو حيان وغلط ابن مالك في كونه جعل الاحسن
من التثنية قال ابن عادل وليس بغلط لكراهة
توالي تثنيتين مع امن اللبس وقوله تعالى ان تتوبا
فيه التفات من الغيبة الى الخطاب والمراد بهذا
الخطاب اما المومنين بنتا الشيخين الكريمين عايشة
وحفصة حثهما على التوبة على ما كان منهما من
الميل الى خلاف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اجتناب جاريته واجتناب العسل وكان صلى الله
عليه وسلم يحب العسل والنسا وقال ابن زيد مالت قلوبهما
بان سرهما ان يحتبس عن ام ولده فسرهما ما كرهه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قد مالت قلوبكما
بان سرهما ان يحتبس عن امراته التوبة روى مسلم
عن ابن عباس انه قال مكثت سنة وانا اريد ان
اسال عمر ابن الخطاب عن اية فما استطيع ان اساله
هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجع وكان
ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت
حتى فرغ ثم سرت معه باداوة ثم جا فسكبت على

يديه منها فتوضا فلما رجع قلت يا امير المومنين من
اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
تلك حفصة وعايشة قال فقلت والله ان كنت لاريد
ان اسالك عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبة لك قال
فلا تفعل ما ظننت ان عندي من علم فسلني عنه
فان كنت اعلمه اخبرتك وفي رواية قال واعجبا لك
يا ابن عباس قال الزهري كره والله ما ساله عنه ولم
يكتمه قال هما عايشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث
قال كنت انا وجار لي من الانصار وكان منزلي في
بني امية وهم من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول
على النبي صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وانزل يوما
فاذا نزلت جيته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي
او غيره واذا نزل فعل مثل ذلك وكنا معشر قريش نغلب
النساء فلما قدمنا المدينة على الانصار اذا هم قوم
تغلبهم نساوهم فطفق نساونا يتعلمن من نسايهم
فصخبت على امراتي فراجعتني فانكرت ان تراجعني
قالت لم تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وان احداهن لتهجره
اليوم حتى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة
فقلت لها اي حفصة اتغاضب احداكن النبي صلى الله
عليه وسلم اليوم حتى الليل قالت نعم فقلت قد خبت
وخسرت افتامنين ان يغضب الله لغضب رسوله
لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تساليه

شيا وسلبني ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك
هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريد عايشة قال عمر وكنا قد تحدثنا ان غسان تنعل
الخيل لتغزونا فنزلت الانصاري يوما نوبته ثم
اتاني عشا فضرب بابي ضربا شديدا ففزعت
فخرجت اليه فقال قد حدث اليوم امر عظيم قلت
ما هو اجا غسان قال لا بل اعظم من ذلك واهول
واطلق النبي صلى الله عليه وسلم نساه فقلت خابت
حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك ان يكون
حتى اذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم
نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت اطلقكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا ادري ما هو
ذا معتزل في المشربة فاتيت غلاما اسود فقلت
استاذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له
فصمت ثم انطلقت حتى اتيت المنبر فاذا عنده رهط
جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني
ما اجد فاتيت الغلام فقلت استاذن لعمر فدخل
ثم خرج فقال ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا
عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا
ثم غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت استاذن
لعمر فدخل ثم خرج فقال ذكرتك له فصمت فوليت
مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد اذن
لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله
عليه

عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير وليس
بينه فراش قد اثر الرمال بجنبه متكيا على وسادة
من ادم حشوها ليف ثم قلت وانا قايم يا رسول الله ا
اطلقت نساك فرفع الي بصره وقال لا فقلت الله
اكبر ثم قلت وانا قايم لو رايتنا يا رسول الله وكنا معشر
قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما
تغلبهم نساوهم فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم
ثم قلت يا رسول الله لو رايتني دخلت على حفصة
فقلت لها لا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عايشة فتبسم
النبي صلى الله عليه وسلم تبسمة اخرى فجلست حين
رايته تبسم فرفعت بصري في بيته فوالله ما رايت
فيه شيا يرد البصر غير اهبة ثلاث فقلت يا رسول
الله ادع فليوسع على امتك فان فارس والروم
قد وسع عليهم واعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكان متكيا وقال
اوفي هذا انت يا ابن الخطاب ان اوليك قوم عجلوا لهم
طيباتهم في حياتهم الدنيا فقلت يا رسول الله
استغفر الله لي فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم
من اجل ذلك الحديث حين افشته حفصة الى عايشة
تسعا وعشرين ليلة وكان قال ما انا بداخل عليهن
شهرا من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله تعالى
فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عايشة

فبدا بها فقالت له عائشة يا رسول الله انك كنت اقسمت
ان لا تدخل علينا شهرا وانما اصبحت من تسع وعشرين
ليلة اعدها عدا فقال الشهر تسع وعشرون وكان ذلك
الشهر تسعا وعشرين ليلة قالت عائشة ثم انزل الله التخيير
فبدا بي اول امراة من نسائه فاخترته ثم خيرهن
فقلن مثلها وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم جاءها حين امره الله ان يخير ازواجه قالت
فبدا بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني
ذاكر لك امرا فلا عليك ان تستعجلي حتى تستامري
ابويك وقد علم ان ابوي لم يكونا يامراني بفراقه قالت
ثم قال ان الله ارسلني مبلغا وفي رواية قال دخلت
على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
ما يشق عليك من امر النساء فان كنت طلقتهن فان
الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وانا وابو بكر
والمؤمنون معك وملائكته واقل ما تكلمت واحمد
الله بكلام الا رجوت ان الله يصدق قولي الذي
اقول ونزلت هذه الاية عسى ربه ان طلقكن ان
يبدله ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه الاية
وفي رواية انه استاذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يخبر الناس انه لم يطلق نساءه فاذن له
وانه قام على باب المسجد ونادى باعلى صوته
لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه شرح
بعض الفاظ هذا الحديث قوله فنزلت معه الى

فنزلت

فنزلت معه بالادواة اي الركوة والعوالي جمع عالية
وهي اماكن باعلى ارض المدينة وقوله لا يغرنك ان كانت
جارتك يريد بها الضرة وهي عائشة واوسم منك
اي اكثر حسنا وقوله فكنا نتناوب النزول التناوب
هو ان يفعل الانسان مرة ويفعله الاخر بعده والمشربة
بضم الرا وفتحها الغرفة وقوله فاذا هو متكي على رمال
حصير يقال رملت الحصير اذا ظفرته ونسجته
والمراد انه لم يكن على السرير وطا سوى الحصير
وقوله ما رايت ما يرد البصر الا اهبة ثلاث الاهبة
والاهب وهو الجلد وقوله من شدة موجدته الموجدة
الغضب وقرا وان تظاهرا الكوفيون بتخفيف الظاء
والباقون بتشديدها اي تتعاونا عليه اي النبي
صلى الله عليه وسلم فيما يكرهه فان الله اي الملك الاعظم
الذي لا كفو له وقوله تعالى هو يجوز ان يكون فصلا
وقوله مولاه خبره وان يكون مبتدا ومولاه خبره والجملة
خبر ان والمعنى فان الله وليه وناصره فلا يضره ذلك
التظاهر منهما وقوله تعالى وجبريل وصالح المؤمنين
معطوف على محل اسم ان فيكونون ناصريه ويجوز ان
يكون جبريل مبتدا وما بعده عطف عليه وظهير خبر
لجميع فتختص الولاية بالله واختلف في صالح المؤمنين
فقال عكرمة هو ابو بكر وعمر وقال المسيب بن شريك
هو ابو بكر وقال سعيد بن جبير هو عمر وعن اسماء
بنت عميس هو علي ابن ابي طالب وقال العلبي

هو خيار المؤمنين وصالح اسم جنس كقوله تعالى ان
الانسان لفي خسر وقال قتادة هو الانبياء وقال ابن زيد
هو الملائكة وقال السدي هو اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم والاولى ان يشمل هذه الاقوال والملائكة اي
كلهم بعد ذلك اي الامر العظيم الذي تقدم ذكره
ظهير اي ظهراء واعوان له في نصره عليكما تنبيه
اخبر عن الجمع باسم الجنس اشارة الى انهم على كلمة
واحدة ومنهم جبريل عليه السلام فهو مذكور خصوصا
وعموما ثلاث مرات على القول بان صالح المؤمنين
هم الملائكة ان قلنا بالعموم وذلك اظهار الشدة محبته
ومولاته للنبي صلى الله عليه وسلم وهذه الاية
عكس اية البقرة وهي قوله تعالى من كان عدوا لله
وملائكته ورسله وجبريل فانه ذكر الخاص بعد
العام تشريفا له وهنا ذكر العام بعد الخاص قال
ابن عادل ولم يذكر الناس الا القسم الاول وفي
جبريل لغات تقدم ذكرها في البقرة ولما كانت
اشد ما على المراة ان تطلق ثم ان اطلقت ان
يستبدل بها ثم يكون البدل خيرا منها قال تعالى
محذرا لهن عسى ربه اي المحسن اليه بجميع انواع
الاحسان التي عرفتموها وما لم تعرفوها منها
اكثر جدير وحقيق وما بين عسى وخبرها
اهتماما بتخويفهن قوله تعالى ان طلقكن اي بنفسه
من غير اعتراض عليه جميعكن او بعضكن قبل

كل

كل عسى في القران واجب الا هذه الاية وقيل هو
من واجب ولكن الله تعالى علقه بشرط وهو التطليق
ولم يطلقهن فان طلقكن شرط معترض بين اسم
عسى وخبرها وجوابه محذوف او متقدم اي ان
طلقكن فعسى ربه وقوله تعالى ان يبدله اي بتجديد
طلاقه وقرا نافع وابو عمرو بفتح الباء وتشديد الدال
والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال والباقون
بسكون الموحدة وتخفيف الدال والباقون بسكون
الموحدة وتخفيف الدال خيرا منكن ازواجا خيرا خبر منكن
عسى والجملة جواب الشرط ولم يقع التبديل لعدم وجود
الشرط فان قيل كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم
يكن على وجه الارض نساء خيرا منهن لانهن امهات
المؤمنين اجيب بانه اذا طلقهن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعصيانهن وايذائهن اياه كان غيرهن
من الموصوف بالصفات الاتية مع الطاعة له صلى
الله عليه وسلم خيرا وان هذا على سبيل الفرض وهو
عام في الدنيا والاخرة فلا يقتضي وجود من هو
خير منهن مطلقا وان قيل بوجوده في خديجة
لما جرب من تحاملها على نفسها في حقه صلى الله
عليه وسلم وبلوغها في حبه والادب معه باطنا وظاهرا
الغاية القصوى او مريم احصنت حين كانت من
القانتين فذلك في الاخرة وتعليق تطليق الكل
لا يدل على انه لم يطلق حفصة فقد روي انه

طلقها ولم يزدها ذلك الا فضلا لان الله تعالى امره
ان يراجعها لانها صوامة قوامة ثم بين تعالى الخيرية
بقوله مسلمات اي مقرة وهو ما نعت اوجال او محقق
على الاختصاص قال سعيد بن جبير مسلمات يعني
مخلصات وقيل مسلمات لامر الله عز وجل وامر
رسول الله خاضعات لله تعالى بالطاعات مومنات
اي مصدقات بتوحيد الله تعالى وقيل مصدقات
بما امرت به ونهين عنه وقيل مسلمات مقرات
بالاسلام مومنات مخلصات قانتات اي مطيعات
والقنوت الطاعة او الملازمات سويا ان وقع منهن
شي من ذلك وقيل راجعات الى امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم تاركات لمحاب انفسهن تايبات
اي كثيرات العبادات لله تعالى وقال ابن عباس
صايمات وقال الحسن مهاجرات قال ابن زيد وليس
في امة محمد صلى الله عليه وسلم سياحة الا الهجرة
والسياحة الجولان في الارض وقال الفراء وغيره
سمي الصايم سايحا لان السايح لا زاد معه فلا
يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصايم
في امساكه الى ان يجي وقت افطاره وقيل
ذاهبات في طاعة الله تعالى من ساح الماء اذا
ذهب عابدات جمع ثيب وهي التي تزوجت ثم بانت
بوجه من الوجوه او زالت بكارتها بوجه من
غير نكاح وابكارا اي عذارى جمع بكر وهي ضد

سابحات

الثيب

الثيب وسميت بذلك لانها على اول حالها
التي خلقت بها وقدم الثيبات لانهن اخبر بالعشرة
لانه هذا سياقها ووسط الواو بين الثيبات
والابكار لتنافي الوصفين دون ساير الصفات
فان قيل كيف ذكر الثيبات فيما مقام المدح وهو من
جملة ما يقلل رغبة الرجل فيهن اجيب بانه يمكن
ان يكون بعض الثيبات خيرا من الابكار لاختصا
صهن بالمال والجمال ولما بالغ سبحانه في عتاب نساء
النبي صلى الله عليه وسلم مع صيانتهن عن التشبه
اكراما له صلى الله عليه وسلم اتبع ذلك امر الامة
بالتاسي به في هذه الاخلاق الكاملة فقال
تعالى منبها لهن بالموعظة الخاصة بموعظة عامة
دالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
للاقرب فالاقرب يا ايها الذين امنوا اي اقروا بذلك
قوا انفسكم اي اجعلوا لها وقاية بالتاسي به صلى
الله عليه وسلم وترك المعاصي وفعل الطاعات
وفي ادبه مع الخلق والخالق واهليكم من النسا والاولاد
وكل من يدخل في هذا الاسم قوهم نارا بالنصح و
التاديب ليكونوا متخلقين باخلاق اهل النبي صلى
الله عليه وسلم لما روى الطبراني عن سعيد بن العاص
ما نحل والد ولدا افضل من ادب حسن وفي الحديث
رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم
مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجعلكم معه في الجنة

وقيل ان اشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل
اهله وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرا قام من
الليل فصلى فايقظ اهله فان لم تقم رش على
وجهها الماء ورحم الله امراة قامت من الليل تصلي
وايقظت زوجها فان لم يقم رشت على وجهه من
الما وقال بعض العلما لما قال قوا انفسكم دخل فيه
الاولاد لان الولد بعض منه كما دخلوا في قوله تعالى
ليس عليكم جناح ان تاكلوا من بيوتكم وقوله عليه الصلاة
والسلام ان احل ما اكل الرجل من كسبه وان ولده
من كسبه فلم يفرد بالذكر افراد ساير القرابات فعلمه
الحلال والحرام وقال صلى الله عليه وسلم حق الولد
على الوالد ان يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه
وقودها اي الذي توقد به الناس اي الكفار والحجارة
كاصنامهم وعن ابن عباس انها حجارة الكبريت
وهي اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها واعمى انها
مفرطة الحرارة تتقد بما ذكره كنار الدنيا تتقد بالحطب
ونحوه عليها ملائكة خزنتها عدتهم تسعة عشر كما ياتي
ان شاء الله تعالى في سورة المدثر غلاظ اي غلاظ
القلوب لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب
وحبب اليهم العذاب كما حبب لبني ادم اكل
الطعام والشراب شداد اي شداد الابدان وقيل
غلاظ الاقوال شداد الافعال يدفع واحد منهم بالدفعة
الواحدة سبعين الفا في النار لم يخلق الله فيهم من

رحمة

رحمة وقيل في اخذهم اهل النار شداد عليهم يقال
فلان شديد على فلان اي قوي عليه يعذبه
بانواع العذاب وقيل غلاظ اجسامهم ضخمة شداد
اي اقويا قال ابن عباس ما بين منكبي الواحد
منهم مسيرة سنة وقال صلى الله عليه وسلم في خزنة
جهنم ما بين منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب
لا يعصون الله اي الملك الاعلى في وقت من الاوقات ما
وقوله تعالى ما امرهم بدل من الله اي لا يعصون
امر الله وقوله تعالى ويفعلون ما يؤمرون تاكيد
هذا ما جرى عليه الجلال المحلي وقال الزمخشري فان
قلت اليست الجملتان في معنى واحد قلت لا فان
معنى الاولى انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها ولا
يابونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية انهم يفعلون
ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه
وقيل لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما
يؤمرون فيما يستقبل وهذه طريقة البغدادي فان قيل
انه تعالى خاطب المشركين في قوله تعالى فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى
مخاطبة للمؤمنين بذلك اجيب بان الفساق وان
كانت دركاتهم فوق دركات الكفار في دار واحدة فقيل
للذين امنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين
اعدت لهم هذه الدار الموصوفة ويجوز ان يامرهم

بالتوبة عن الارتداد والندم على الدخول في
الاسلام وان يكون خطابا للذين امنوا بالسنتهم وهم
المنافقون قاله الزمخشري وبعد ذلك قوله تعالى
على الاكثر يا ايها الذين كفروا اي بالاخلال بالادب مع
النبي صلى الله عليه وسلم فاداهم ذلك الى الاخلال
بالادب مع الله تعالى وبالادب مع ساير خلقه
لا تعتذروا اي تبالغوا في اظهار العذر وهو ابلاغ
الحيلة في وجه يزيل ما ظهر من التقصير اليوم فانه
يوم الجزا لا يوم الاعتذار وقد فات زمان الاعتذار
وصار الامر الى ما صار وهذا النهي لتحقق اليأس
انما تجزون اي في هذا اليوم ما كنتم اي بما هو لكم كالجبلة
والطبع تعملون في الدنيا ونظيره فاليوم لا ينفع الذين
ظلموا معذرتهم وقال البقاعي ولا يبعد على الله في ان
يصور لكل انسان صورة عمله بحيث لا يشك انها
عمله ثم يجعل تلك الصورة عذابه الذي يجد فيه
من الالم ما علم الله تعالى انه يجده استحقاقا ولما
بين تعالى ان المعذرة لا تنفع في ذلك اليوم بالتوبة
في الدنيا فقوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا اي
ارجعوا رجوعا تاما الى الله اي الملك الذي لا نظير
له توبة وقوله نصوحا صيغة مبالغة اسند النصح
اليها مجازا اي فيهم ناصح اي خالص وقرا شعبة
بضم النون والباقون بفتحها شبهه امرهم بالتوبة
وهي فرض على الاعيان في كل الاحوال وفي كل

الا

الازمان واختلفوا في معناها فقال عمر ومعاذ
التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود
اللبن في الضرع وقال الحسن هي ان يكون العبد
نادما على ما مضى مجمعا على ان لا يعود فيه وقال
الكلبي ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن
وعن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق
بالنار وعن سماك ان تنصب الذنب الذي اقللت فيه
الحيا من الله تعالى امام عينك وتستعد لمنظرك وعن
السدي لا تصح الا بنصيحة النفس ونصيحة المومنين
لان من صحت توبته احب ان يكون الناس
مثله وقال سعيد بن المسيب توبة ينصحون فيها
انفسهم وقال القرطبي توبة يجمعها اربعة اشيا الاستغفار
باللسان والاقلاع بالقلب للابدان واضمار ترك العود
للجنايات ومهاجرة سيء الاخوان وقال الفقها التوبة
التي لا تتعلق لحق ادمي فيها فلها ثلاث شروط
احدها ان يقلع عن المعصية وثانيها ان يندم على
ما فعله وثالثها ان يعزم على ان لا يعود اليها
فاذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحا
وان فقد شرط منها لم تصح توبته وان كانت تتعلق
بادمي فشروطها هذه الثلاثة المتقدمة والرابع
ان يبرا من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا
ونحوه رده الى مالكه وان كانت حد قذف ونحوه
مكنه من نفسه او طلب العفو منه وان كانت غيبة

استحله منها قال العلما التوبة واجبة من كل معصية
كبيرة او صغيرة على الفور ولا يجوز تاخيرها
وتجب من جميع الذنوب وان تاب من بعضها
صحت توبته عما تاب منه وبقي عليه الذي لم
يتب منه هذا مذهب اهل السنة والجماعة وقد قال
صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني
اتوب في اليوم مائة مرة وعن ابي هريرة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاستغفر
الله واتوب اليه اكثر من سبعين مرة وعن انس بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره
وقد اضله في ارض فلاة وعن ابي موسى الاشعري
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده
بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار
ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها
وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن علي انه
سمع اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك واتوب اليك
فقال يا هذا ان سرعة الاستغفار بلا توبة توبة
الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة اشيا
على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة
ورد المظالم واستحلال الخصوم وان يعزم على
ان لا يعود وان تذيب نفسك في طاعة الله كما اذ

بيتها

بيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذ
قتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل من
الشر ان يتوب من الذنب ثم يعود فيه وقوله تعالى عسى
ربكم اي المحسن اليكم ان يكفر اي يغطي بفضيلة عظيمة
عنكم سيئاتكم اي ما بدا منكم مما يسوء بالتوبة اطماع
من الله لعباده في قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما
لا وجوبا عليه وان كان التائب على خطر فما ظنك
بالمصر ولكن الفضل واسع ولما ذكر التوبة وذكر
تفضله في دفع المضار ذكر نفعها في جلب المسار بقوله
تعالى ويدخلكم اي يوم الفصل جنات اي بساتين كثيرة
الاشجار يستر داخلها تجري من تحتها اي من تحت
غرفها واشجارها الانهار فهي لا تزال ريا وقوله تعالى
يوم لا يخزي الله اي الملك الاعظم النبي الذي
شاه الله تعالى بما يوجب له الرفعة لما له من الاخبار
التي هي في غاية العظمة منصوب بيدخلكم او باضمار
اذكر ومعنى يخزيه هنا يعذبه او لا يعذبه وقوله
تعالى والذين امنوا معه يجوز وجهان احدهما ان
يكون معطوفا على النبي صلى الله عليه وسلم اي ولا
يخزي الذين امنوا معه وعلى هذا يكون قوله تعالى
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم مستانفا والحال الثاني
ان يكون مبتدا وخبره نورهم يسعى الخ وقوله تعالى
يقولون خبر ثان او حال تنبيه الفقيد بلا ايمان
لا ينبغي ان لهم نورا على شمائلهم بل لهم نور لكن لا

لا يلتفتون اليه لانهم امامهم السابقين واما من اهل
اليمين فهم يمشون في هاتين الجهتين ويؤتون صحايف
اعمالهم منها واما اصحاب الشمال فيعطونها من ورا
ظهورهم ومن شمايلهم وهم بما لهم من النوران قالوا
سمع لهم وان يشفعوا يشفعوا ربنا اي ايها المتفضل علينا
بهذا النور وبكل خير كنا او نكون فيه اتمم لنا نورنا
اي الذي مننت به علينا حتى تكون في غاية
التمام قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفي نور
المنافقين اشفاقا وعن الحسن الله متممه لهم لكنهم
يدعون تقربا الى الله كقوله تعالى واستغفر لذنبك
وهو مغفور له وقيل يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون
من النور قدر ما يبصرون مواطي اقدامهم لان النور
على قدر الاعمال فيسالون اتمامه تفضلا وقبل السابق
الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم
كالريح حبوا وزحفا فاولئك الذين يقولون ربنا اتمم
لنا نورنا واغفر لنا اي وامح عنا كل نقص كان يميل
بنا الى احوال المنافقين عينه واثره وهذا النور
من صور اعمالهم في الدنيا لان الاخرة تظهر فيها
حقايق الاشيا وتتبع الصور معانيها وهو شرع الله
الذي شرعه وهو الصراط الذي يضرب به بين
ظهراني جهنم لان الفضايل في الدنيا متوسطة بين
الرذايل فكل فضيلة يكتنفها رذيلتان افراطا وتفريطا
فالفضيلة هي الصراط المستقيم والرذيلتان ما كان

من

[illegible]

١٩٢

من جهنم عن يمينه وشماله فمن كان يمشي في الدنيا
على ما امر به من غير افراط ولا تفريط كان نوره تاما
ومن كل لهيب هي صور الشهوات فيميل به في النار
بقدر ميله اليها والمنافق يظهر له نور اقراره بكلمة
التوحيد فاذا مشى طفي لان اقراره لا حقيقة له
انك اي وحدك على كل شي يمكن دخول المشية
فيه قدير اي بالغ القدرة وكان ذكر ما تقدم من ثنية صلى
الله عليه وسلم لاضعف الناس السنا وحسن ادبه وكرم
عشرته لانه مجبول على الشفقة على عباد الله والرحمة
لهم امره سبحانه بالغلظة والشدة على اعدايه يايها النبي
جاهد الكفار اي بكل ما يجهدهم فيكفهم من السيف وما
دونه من المواعظ الحسنة والدعا الى الله تعالى ليعرف
ان ذلك الذي لاهل الله تعالى انما هو من تمام عقلك
وعزير علمك ونصحك والمنافقين اي جاهدهم بما
يليق بهم من الحجة والسيف ان احتيج اليه ان ابدوا نوع
مظاهرة وعرفهم احوالهم في الاخرة وانهم لا نور لهم يجوزون
به على الصراط مع المومنين وقال الحسن وجاهدهم
باقامة الحدود عليهم واغلظ عليهم بالفعل والقول
بالتوبيخ والزجر والابعاد والنحر فالغلظة عليهم من
اللين لله تعالى وتراحمه تعالى وقراحمه نضيالها
والبا فرث الهار انكسرها ومأواهم اي في الاخرة
جهنم وبيس المصير اي هو ولما كان للكفار قرابات
بالمسلمين ربما توهم انها تنفعهم وللمسلمين قرابات

بالكفار توهم انها تضرهم ضرب الله لكل مثلا ونبدا
بالاول فقال تعالى ضرب الله اي الملك الذي احاط
بكل شي قدرة وعلما مثلا للذين كفروا اي غطوا
الحق على انفسهم وعلى غيرهم وقوله تعالى امراة
نوح عليه السلام الذي اهلكه الله تعالى من
كذبه بالغرق وامراة لوط عليه السلام الذي اهلك
الله تعالى من كذبه بالحصب والخسف والاغراق
يجوز ان يكون بدلا من قوله مثلا على تقدير
حذف المضاف اي ضرب الله مثلا امراة نوح
وامراة لوط ويجوز ان يكونا مفعولين وضرب
الله تعالى هذا المثل تنبيها على انه لا يغني احد
عن قريب ولا نسيب في الاخرة اذا فرق بينهما
الدين قال مقاتل وكان اسم امراة نوح والهة واسم
امراة لوط والعة وقال الضحاك عن عايشة ان
جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه
وسلم فاخبره ان اسم امراة نوح واغلة واسم
امراة لوط والهة تنبيه رسم امراة في الثلاثة
وابت بالتا المجرورة فوقف عليهن بالها ابن كثير
وابو عمرو والكسائي ووقف الباقون بالتا وقوله
تعالى كانتا اي مع كونهما كافرتين تحت عبدين جملة
مستانفة كانها مفسرة لضرب المثل ولم يات بضميرهما
فيقال تحتهما اي تحت نوح ولوط لما قصد من
تشريفهما بهذه الاضافة التشريفية قال القايل ه

لانه عاي

لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي ه
ودل على كثرة عبيده تنبيها على غناه بقوله تعالى
من عبادنا ووصفهما باجل الصفات وقوله تعالى صالحين
واختلف في معنى قوله تعالى فخانتاهما فقال عكرمة
والضحاك بالكفر وعن ابن عباس كانت امراة نوح
تقول للناس انه مجنون واذا امن به احد اخبرت
الجبابرة من قومه وكانت امراة لوط تخبر باضيافه
وعن ابن عباس ما بغت بني قط وانما كانت خيا
نتهما في الدين وكانتا مشركتين وقيل كانتا منافقتين
وقيل خيانتهما النميمة اذا اوحى اليهما شيا افشتاه
الى المشركين قاله الضحاك وقيل كانت امراة لوط
اذا نزل به ضيف دخنت ليعلم قومه انه قد نزل به
ضيف لما كانوا عليه من اتيان الرجال فلم اي فتسبب
عن ذلك ان العبدين الصالحين يغنيا عنهما اي
المراتين بحق النكاح من الله اي من عذاب الملك
الذي لا اله معه فلا امر لغيره شيا اي من اغنا
لاجل خيانتهما وقيل اي للمراتين ممن اذن له في
القول النافذ الذي لا مرد له ادخلا النار اي قيل لهما
ذلك عند موتهما او يوم القيامة مع الداخلين اي
مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة
بينهم وبين الانبيا فلم يغن نوح ولوط عن امراتيهما
شيا من عذاب الله تعالى وفي هذا المثل تعريض
باي المومنين عايشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير

لهما على اعلى وجه واشده وفيه تنبيه على ان
العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة وقيل ان كفار
استهزؤا وقالوا ان محمدا يشفع لنا فبين تعالى
ان الشفاعة لا تنفع كفار مكة وان كانوا اقرباء كما لا ينفع
نوح امرأته ولا لوط امرأته مع قربهما لهما لكفرهما ثم
شرع تعالى في ضرب المثل الثاني فقال تعالى
ضرب الله اي الملك الاعلى الذي له صفات الكمال
مثلا للذين امنوا امرأة فرعون واسمها اسية بنت
مزاحم امنت وعملت صالحا فلم تضرها الوصلة بالكافر
لانه زوجها التي هي من اعظم الوصل ولا نفعه ايمانها
كل امرئ بما كسب رهين واثابها ربها تعالى ان جعلها
في الاخرة زوجة خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم
في دار كرامته بصبرها على عبادة دليل على
حقيقة وعدم رحمته لها وهو من اعدائه
وقوله تعالى **اذ قالت** ظرف للمثل المحذوف اي مثلهم
مثلها حين قالت **رب** اي ايها المحسن الي بالهداية
وانا في حبالة هذا الكافر الجبار **ابن لي عندك**
بيتا وبينت مرادها بالعندية فقالت **في الجنة**
اي دار الخلود وقد اجابها الله سبحانه بان جعلها
زوجة اكمل خلقه صلى الله عليه وسلم فكانت معه
في منزله الذي هو اعلى المنازل **ونجني من فرعون**
اي فلا اكون عنده **وعمله** ولا تسلطه علي بما يغريني
عندك في الاخرة فلا اعمل بشيء من عمله وهو شركه

وقال

وقال ابن عباس جماعة **ونجني** اعادت العامل تاكيدا
من القوم الظالمين اي الناس الاقوياء العريقين الذين
يضعون اعمالهم في ... واستجاب الله دعاها واحسن
اليها لاجل محبتها المحبوب وهو كليم الله موسى عليه السلام
لما غلب السحرة امنت فلما تبين لفرعون ايمانها اوتد
يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس فاذا
انصرفوا عنها اظلتها الملائكة وفي القصة ان فرعون
امر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما اتوها بالصخرة قالت
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة وابصرته من مرمرة
بيضا وانتزعت روحها فالقيت الصخرة جسدا لا روح
فيه ولم تجد الما وقال الحسن وابن كيسان رفع الله تعالى
امرأة فرعون الى الجنة فهي فيها تاكل وتشرب وقوله تعالى
ومريم ابنت عمران عطف على امرأة فرعون تسلية
للارامل **التي احصنت فرجها** اي عفت عن السوء وجميع
مقدماته كانت كالحصن العظيم المانع من العدو
فاستمرت على حالها الى الممات فزوجها الله تعالى
في الجنة جزاء لها بخير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم
وقال بعض المفسرين اراد بالفرج هنا الجيب لقوله تعالى
فنفخنا اي بما لنا من العظمة بواسطة ملكنا جبريل
عليه السلام **فيه** اي في جيب درعها كما قال البقاعي او في
فرجها الحقيقي وعلى هذا فلا حاجة الى التاويل **من**
روحنا اي من روح خلقناه بلا توسط اصل وهو روح
عيسى عليه السلام **وصدقت بكلمات ربها** اي المحسن اليها

واختلف في تلك الكلمات فقال مقاتل يعني بالكلمات
عيسى وانه نبي وعيسى كلمة الله وقال البغوي
يعني الشرايع التي شرعها الله تعالى للعباد بكلماته
المنزلة وقيل هي قول جبريل عليه السلام لها انما انا رسول
ربك الاية وعلى كل قول استحقت ان تسمى لذلك
صديقة وقرا وكتبه ابو عمرو وحفص بضم الكاف والتاجا
والباقون بكسر الكاف وفتح التا وبعدها الف افراد
والمراد افراد او المراد منه الكثرة فالمراد به الجنس فيكون
في معنى كل كتاب انزله الله تعالى على ولدها وغيره
وقوله تعالى وكانت من القانتين يجوز في من وجهان
احدهما انها لابتدا والغاية والثاني انها للتبعيض وقد
ذكرهما الزمخشري فقال من للتبعيض ويجوز ان تكون
لابتدا الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من
اعقاب هارون اخي موسى صلوات الله وسلامه على
نبينا وعليها وعلى ساير الانبيا والهم اجمعين قال
الزمخشري فان قلت لم قيل من القانتين على التذكير
قلت لان القنوت صفة تشمل من ذكر والعقبلتين
فغلب ذكوره على اناثه وقيل اراد من القوم القانتين
ويجوز ان يرجع هذا الى اهل بيتها فانهم كانوا مطيعين
لله والقنوت الطاعة وقال عطا من المصلين
بين المغرب والعشا وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لخديجة وهي تجود بنفسها اتكرهين ما قد نزل
على من اتك فاقريهن مني السلام مريم بنت عمران

وآسية

وآسية بنت مزاحم وفضل عايشة على النسا كفضل
الثريد على ساير الطعام وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري
من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة التحريم اتاه الله
توبة نصوحا حديث موضوع

سورة الملك مكية وتسمى الواقية

والمنجية وتدعى في التوراة المانعة لانها تقي وتنجي
من عذاب القبر وعن ابن شهاب انه كان يسميها المجادلة
لانها تجادل عن صاحبها في القبر وهي ثلثون اية
وثلثماية وثلثون كلمة والف وثلثماية حرف بسم الله
الذي خضعت لكمال عظمته الملوك الرحمن الذي عم
بنعمة الايجاد كل من في الوجود الرحيم الذي يخص اوليا
بالنعيم بدار الخلود تبارك اي تكبر وتقدر وتعالى وتعاظم
وثبت ثباتا لا مثل له مع اليمن والبركة وقيل دام ضو
الدايم الذي لا اول لوجوده ولا اخر لدوامه الذي بيده
اي بقدرته وتصرفه لا بقدرة غيره الملك اي له
الامر والنهي وملكه السموات والارض في الدنيا
والاخرة وقال ابن عباس بيده الملك يعز من يشا ويذل
من يشا ويحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع
قال الرازي وهذه الكلمة تستعمل للتاكيد كونه تعالى
ملكا ومالكا كما يقال بيد فلان الامر والنهي والحل
والعقد وذكر اليد انما هو تصوير للاحاطة ولتمام القدرة
لانها محلها مع التنزه عن الجارحة وعن كل ما يفهم حاجة
او شبهها وهو على كل شي اي من الممكنات قدير اي

تمام القدرة تنبيه احتج اهل السنة بهذه الاية على
انه لا يوثر الا قدرة الله تعالى وابطلوا القول بالطبايع
كقول الفلاسفة وابطلوا القول بالمتولدات كقول
المعتزلة وابطلوا القول بكون العبد موجدا لافعال
نفسه لقوله تعالى وهو على كل شي قدير ودلت هذه
الاية على الوحدانية لانا لو قدرنا ثانيا فاما ان يقدر
على ايجاد شي لم يكن اليها وان قدر كان مقدورا لكل
الاله الثاني شيا فيلزم كون ذلك الشي مقدورا
لله لا اله الا هو لقوله وهو على كل شي قدير فيلزم وقوع
مخلوق من خالقين وانه محال لانه اذا كان كل واحد
منهما مستقل بالايجاد يلزم ان يستغني كل واحد منهما
عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما وغنيا عنهما
وذلك محال وقرا وهو على كل شي قدير وهو العزيز
الغفور وهو اللطيف وما اشبه ذلك ابو عمرو وقالون
والكسائي بسكون الهاء والباقون بضمها وخرج
بقولنا من الممكنات انه تعالى ليس قادرا على نفسه
واجاب بعضهم بان هذا علم مخصوص ودل على عام
قدرة قوله تعالى الذي خلق اي قدر واوجد الموت والحياة
قيل خلق الموت في الدنيا والحياة في الاخرة وقدم
الموت على الحياة لان الموت الى القهر اقرب كما قدم
البنات على البنين فقال يهب لمن يشاء اناثا ويهب
لمن يشاء الذكور وقيل قدمه لانه اقدم لان الاشيا
في الابتدا كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحو

وقال قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الله اذل بني ادم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم
دار موت وجعل الاخرة دار جزا ثم دار بقا وعن ابي
الدردا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ثلاث ما طاطا
ابن ادم راسه الفقر والمرض والموت وقيل انما قدم
الموت على الحياة لان من نصب الموت بين عينيه كان
اقوى الدواعي الى العمل وحكي عن ابن عباس والكلبي
ومقاتل ان الموت والحياة جسمان والموت في هيئة
كبش لا يمر بشي ولا يجد ريحه الا مات وخلق الحياة
على صورة فرس من انثى بلقا وهي التي كان جبريل
عليه السلام والانبيا عليهم السلام يركبونها خطوتها
مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشي الا حيي
وهي التي اخذ السامري من اثرها ولا يجد ريحها الا حيي
ولا تطا على شي الا حيي وهي التي اخذ السامري من
اثرها فالقاه على العجل فحيي حكاه الثعلبي والقشيري
عن ابن عباس وعن مقاتل خلق الموت يعني النطفة والعلقة
والمضغة وخلق الحياة يعني خلق انسانا ونفخ فيه
الروح فصار انسانا قال القرطبي وهذا احسن يدل عليه
قوله تعالى ليبلوكم اي يعاملكم وهو اعلم بكم من انفسكم
معاملة المختبر لاظهار ما عندكم من العمل بالاختبار
ايكم احسن عملا اي من جهة العمل اي عمله احسن من
عمل غيره وروي عن عمر مرفوعا احسن عملا اي احسن
عقلا واورع من محارم الله واسرع في طاعة الله

وقال الفضيل ابن عياض احسن عملا اخلصه واصوبه
وقال العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص
اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقال
الحسن ايكم ازهد في الدنيا واترك لها وقال السدي
ايكم اكثر للموت ذكرا واحسن استعدادا واشد خوفا
وحذرا وقيل يعاملكم معاملة المختبر فيبلوا العبد بموت
من يعز عليه ليبين صبره وبالحياة ليبين شكره وقيل
خلق الله الموت للبعث والجزاء وخلق الحياة للابتلاء
فان قيل الابتلاء هو التجربة والامتحان حتى يعلم انه
هل يستطيع او يعصي وذلك في حق الله تعالى العالم
بجميع الاشياء محال اجيب بان الابتلاء من الله تعالى هو
ان يعامل عبده معاملة تشبه المختبر كما مرت الاشارة
اليه وهو اي والحال انه وحده العزيز الغفور اي الذي
يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء من اقبل اليه احسن
تلقيه كما قال تعالى في الحديث القدسي ومن اتاني
يمشي اتيته هرولة وقوله تعالى الذي خلق اي ابدع
على هذا التقدير من غير مثال سبق سبع سموات
يجوز ان يكون تابعا للعزيز الغفور او بيانا او بدلا وان
يكون منقطعا عنه خبر مبتدا محذوف او مفعول فعل
مقدر وقوله تعالى طباقا صفة لسبع وفيه ثلاثة اوجه
احدها انه جمع طبقة نحو جبل وجبال والثاني انه جمع
طبقة نحو رحبة ورحاب والثالث انه مصدر طابق
يقال طابق مطابقة وطباقا ثم اما ان يجعل نفس

المصدر مبالغة او على حذف مضاف اي ذات طباق
واما ان ينتصب على المصدر بفعل مقدر اي طوبقت
طباقا من قولهم طابق النعل اي جعله طبقة فوق
اخرى روي عن ابن عباس طباقا اي بعضها فوق بعض
قال البقاعي بحيث يكون كل جزء منها مطابقا للجزء من
الاخرى ولا يكون جزء منها خارجا عن ذلك قال وهي
لا تكون كذلك الا ان تكون الارض كرة والسماء
الدنيا محيطة بها احاطة قشر البيضة من جميع الجوانب
والثانية محيطة بالدنيا وهكذا الى ان يكون العرش
محيطا بالكل والكرسي الذي هو اقربها بالنسبة اليه
كحلقة ملقاة في فلاة فما ظنك بما تحته وكل سماء في
التي فوقها بهذه النسبة وقد قرر اهل الهيئة انها
كذلك وليس في الشرع ما يخالفه بل ظواهره توافقه
ولا سيما التشبيه بالحلقة الملقاة في فلاة فسبحان
اللطيف الخبير ولا شك ان من تفكر في هذه العظمة مع
ما لطف بنا فيما هيأ فيها لنا من المنافع اثره سبحانه بالحب
وافرده عن كل ضد كما نقطع بالالتجا اليه ولم يعول الا عليه
في كل دفع ونفع ويسارع في مرضاته ويحاذر في كل
خفض ورفع تنبيه دلت هذه الاية على القدرة
من وجوه احدها من حيث بقاؤها في جو الهواء معلقة
بلا عماد ولا سلسلة ثانيا ان كل منها اختص بحركة
خاصة مقدرة بقدر معين من السرعة والبطء الى
جهة معينة ثالثها كونها في ذاتها محدثة وكل ذلك

وكل ذلك يدل على استنادها الى قادر تام القدرة
وقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن اي للسموات
وغيرها خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب
وكذا القول في قوله تعالى فارجع البصر ثم ارجع
البصر ينقلب اليك البصر من تفاوت اي من اعوجاج
ولا تناقض ولا تباين بل هي مستوية دالة على
خالقها وان اختلف صورة وقيل المراد بذلك السموات
خاصة اي ما ترى في خلق الرحمن السموات من
عيب واصله من الفوت وهو ان يفوت بعضها
بعضا فيقع الخلل بعدم استوائها يدل عليه قول ابن
عباس من تفرق وقال السدي اي من اختلاف
وعيب يقول الناظر لو كان كذا لكان احسن وقيل
من التفاوت الفطور لقوله تعالى بعد ذلك فارجع البصر
هل ترى من فطور ونظيره قوله تعالى وما لها من
فروج قال القفال ويحتمل ان يكون المعنى ما ترى في
خلق الرحمن من تفاوت في الدلالة على حكم الها نع
وانه لم يخلقها عبثا تنبيه دلت هذه الاية
على كمال علم الله تعالى وذلك ان الحس دل على
ان هذه السموات السبع اجسام مخلوقة على وجه
الاحكام والاتقان وكل فاعل كان فعله محكما متقنا
فلا بد وان يكون عالما فدلت الاية على كونه
فعله محكما تعالى عالما بالمعلومات فقوله تعالى ما
ترى في خلق الرحمن من تفاوت اشارة الى كونها

محكمة

محكمة متقنة وقرأ ما ترى وهل ترى ابو عمرو وحمزة
والكسائي وقرأ من تفاوت حمزة والكسائي بغير الف
بعد الفاء وتشديد الواو مع الف والباقون بالف
بعد الفاء وتخفيف الواو وقوله تعالى فارجع البصر
مسبب عن قوله تعالى ما ترى وقوله تعالى هل
ترى من فطور جملة يجوز ان تكون معلقة لفعل
محذوف يدل عليه فارجع البصر اي فارجع البصر
فانظر هل ترى وان يكون فارجع البصر مضمنا
معنى انظر لانه بمعناه فيكون هو المعلق والفطور
جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر
ناب البعير كما يقال شق ومعناه شق اللحم وطلع وقال
المفسرون الفطور الصدوع والشقوق قال القائل
شققت القلب ثم ذررت فيه هواك فليط فالتام الفطور
ثم ارجع البصر وقوله تعالى كرتين نصب على المصدر كمرتين
وهو مثنى لا يراد به حقيقته بل التكثير بدليل قوله تعالى
ينقلب اليك البصر خاسئا اي صاغرا ذليلا بعيدا عن
اصابة المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار وهو حسير
اي كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة وهذان الو
صفان لا يأتيان بنظرتين ولا ثلاث وانما المعنى كرات
وهذا كقولهم لبيك وسعديك وحنانيك ودواليك
وهذاذيك لا يريدون بهذه التثنية تشفيع الواحد
انما يريدون التكثير اجابة لك بعد اجابة ولا التنافي
الغرض والتثنية تفيد التكثير لقرينة كما يفيده اصلها

وهو العطف لقرينة كقوله لو عد قبر وقبر كنت اكرمهم
اي قبور كثيرة ليتم المدح وقال ابن عطية كرتين
معناه مرتين ونصبهما على المصدر وقيل الاولى
ليرى حسنها واستواءها والثانية ليبصر كواكبها
في سيرها وانتهائها وهذا ظاهره يفهم التثنية
فقط وروى النووي عن كعب انه قال السماء الدنيا
موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة
حديد والرابعة صفراء وقال نحاس والخامسة فضة
والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وبين السماء
السابعة والحجب السبعة صحاري من نور ثم ذكر تعالى
دلالة اخرى بعد تلك الدلالة تدل على تمام قدرته
بقوله تعالى ولقد زينا بما لنا من العظمة السماء الدنيا
اي القربى لانها اقرب السموات الى الارض وهي
التي تشاهدونها بمصابيح جمع مصباح وهو السراج
اي بنجوم متقدة عظيمة جدا تفوت الحصر ظاهرة
سائرة مضيئة ظاهرة وهي الكواكب التي تنور
الارض بالليل انارة السرج التي تنورون بها سقوف
دوركم وتسمى الكواكب مصابيح لانها زينة
لان الناس يزينون مساجدهم ودورهم بالمصابيح
فكانه قال ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم
فيها بمصابيح والتزين بها لا يمنع ان تكون مركوزة
فيما فوقها من السموات وهي تراءى بحسب الشفوف
لاجرام السماء من الصفاء ولذلك المصابيح من نوره

الاضاءة وجعلناها اي المصابيح بما لنا من العظمة مع
كونها زينة واعلاما للهداية رجوما للشياطين
اي الذين يحق لهم الطرد من لعن بما لهم من
الاحتراق حراسة للسماء التي هي محل تنزل امرنا با
لقضاء والقدر وانزال هذا الذكر الحكيم لئلا يفسدوا
باستراق السمع فيها على الناس دينهم بخف ويلبسوا
عليهم امرهم بخلط الحق الذي ختمنا به الاديان
بالباطل والرجوم رجم وهو مصدر في الاصل اطلق
على المرجوم كضرب الامير ويجوز ان يكون باقيا
على مصدريته ويقدر مضاف اي ذات رجوم وجمع
المصدر باعتبار انواعه والشهاب المرجوم به منفصل
بنار الكواكب وهو قار في فلكه على حاله كقبس النار
يوخذ منها وهي باقية لا تنقص وذلك يسوغ
تسميتها بالرجوم فمن لحقه الشهاب منهم قتله او
صفقع امره وخبله وقال ابو علي جوابا لمن قال
كيف تكون زينة وهي رجوم لا تبقى كيفية الرجم
ان يوخذ نار من ضوء الكواكب يرمي بها الشيطان
والكواكب في مكانه لا يرجم به وقيل الرجوم هنا
الظنون والشياطين شياطين الانس كما قال
القائل: وما هو عنها بالحديث المرجم
فيكون المعنى جعلناها ظنونا ورجوما بالغيب
لشياطين الانس وهم المنجمون يتكلمون بها رجما
بالغيب في اشياء عظيم الاثم وعن قتادة

خلقت النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين
وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك اخطأ
وتكلف ما لا علم له به وتعدى وظلم واعتدنا اي هيأنا
في الاخرة مع هذا الذي في الدنيا بما لنا من
العظمة لهم اي للشياطين عذاب السعير اي التي في غاية
الاتقاد في الاخرة قال المبرد سعرت النار فهي مسعورة
وسعير مثل مقتولة وقتيل وهذه الاية تدل
على ان النار مخلوقة الان لان قوله تعالى واعتدنا
لهم اخبر تعالى عن تهيئة العذاب لهم بالخصوص
اخبر عن تهيئة لكل عامل بأعمالهم على وجه
الذي راجهم فيه فقال عز من قائل وللذين كفروا
اي اوقعوا التغطية لما من حقهم ان يظهر ولا يستر
من الاذعان للاله بربهم اي الذي تفرد بايجادهم
والاحسان اليهم فانكروا ايجاده لهم بعد الموت
كفرا بما شاهدوا من اختراعه لهم من العدم عذاب
جهنم اي الدركة النارية التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة
والغضب وبئس المصير اي هي اذا القوا اي طرح
الكفار فيها اي في نار جهنم من اي طارح امرناه
بطرحهم كما يطرح الحطب في النار العظيمة سمعوا
لها اي جهنم نفسها شهيقا اي صوتا هائلا اشد
نكارة من اول صوت الحمار لشدة توقدها وغليانها
قال ابن عباس الشهيق لجهنم عند القاء الكفار فيها
كشهيق البغلة للشعير اول اكلها على حذف مضاف

كما

كما قال عطاء الشهيق للكفار اي سمعوا من انفسهم شهيقا
كقوله تعالى فيها زفير وشهيق قال القرطبي الشهيق
في الصدر والزفير في الحلق وقد مضى في سورة هود
وهي تفور اي تغلي بهم ومنه قول حسان ٠
تركتم قدركم لا شيء فيها * وقدر القوم حامية تفور ٠
قال ابن عباس تغلي بهم كغلي المراجل وقرا قالون
وابو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون بكسرها تكاد
تميز اي تقرب من ان ينفصل بعضها من بعض كما يقال
يكاد فلان ينشق من غيظه وفلان غضب فطارت
شقة منه في الارض وشقة في السماء كناية عن
شدة الغضب وقرا البزي بتشديد التاء من تميز في
الوصل والسوسي على اصله بادغام الدال في التاء
من الغيظ اي عليهم وقال سعيد بن جبير تكاد تميز
من الغيظ يعني تتقطع وينفصل بعضها من بعض
وقال ابن عباس تتفرق من شدة الغيظ على اعداء
الله تعالى وذلك كله لغضب سيدها وتاتي يوم
القيامة وتقاد الى المحشر بالف زمام لكل زمام
سبعون الف ملك يقودها به وهي من شدة الغيظ
تقوى على الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الازمة
جميعا وتحطم اهل المحشر فلا يردها عنهم الا النبي
صلى الله عليه وسلم يقابلها بنوره فترجع مع ان لكل ملك
من القوة ما لو امر ان يقلع الارض وما عليها من الجبال
ويصعد بها في الجو فعل من غير كلفة وهذا اطفاها

في الدنيا بنفخة روى ابو داود عن ابن عمرو انه قال
انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكر صلاته الى ان قال ثم نفخ في اخر سجوده
فقال اف اف الم تعدني ان لا تعذبهم وانا فيهم الم
تعدني ان لا تعذبهم وهم يستغفرون ولما ذكر تعالى حالها
اتبعه حالهم فقال تعالى كلما القي فيها اي في جهنم
بدفع الزبانية لهم فوج اي جماعة في غاية الاسراع
والافواج الجماعات في تفرقة ومنه قوله تعالى فتاتون
افواجا والمراد هنا بالفوج جماعة من الكفار سالهم
اي اولئك الفوج خزنتها اي النار وهم مالك واعوانه
سؤال توبيخ وتقريع الم ياتكم اي في الدنيا نذير
اي رسول يخوفكم هذا اليوم حتى تحذروا قال
الزجاج وهذا التوبيخ زيادة لهم في العذاب
قالوا بلى قرا حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش
بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح والوقف
عليها كما في قد جاءنا نذير اي محذر بليغ التحذير
تنبيه ذلك دليل على جواز الجمع بين حرف الجواب
ونفس الجملة المجاب بها اذ لو قال بلى لفهم المعنى
ولكنهم اظهروه تحسرا وزيادة في تحسرهم على تفريطهم
في قبول قول النذير وليعطفوا عليه قولهم فكذبنا
اي فتسبب عن مجيئه انا اوقعنا التكذيب بكل ما قاله
النذير وقلنا اي زيادة في التكذيب ما نزل الله
اي الذي له الكمال كله عليكم ولا على غيركم من شيء

له

لا وحيا ولا غيره وما كفانا هذا الفجور حتى قلنا مؤكدين
ان اي ما انتم ايها النذر المذكورون في نذير
المراد به الجنس الا في ضلال اي بعد عن الطريق
كبير فبالغنا في التكذيب والسفه لاستجهال
والاستحقاق وقيل قوله تعالى ان انتم الا في ضلال
مبني من كلام الملائكة للكفار حين اخبروا بالتكذيب
وقالوا اي الكفار زيادة في توبيخ انفسهم لو كنا اي
بما لنا من الغريزة نسمع اي كلام الرسل اي فنقبله جملة
من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم
بالمعجزات او نعقل اي بما ادته الينا حاسة السمع فنتفكر
في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا اي كونا دائما
في اصحاب السعير اي في عداد من اعدت لهم النار التي
هي في غاية الاتقاد تنبيه في الاية اعظم فضيلة
للعقل روي عن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله
فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفجار
لو كنا نسمع الاية فاعترفوا اي بالغوا في الاعتراف
حين لا ينفعهم الاعتراف بذنبهم اي في دار الجزاء لما بالغوا
في التكذيب في دار العمل والذنب لم يجمع لانه في الاصل
مصدر والمراد به تكذيب الرسل فسحقا اي فبعدا
لهم من رحمة الله تعالى وهو دعاء عليهم مستجاب لاصحاب
السعير اي الذين تحتمت عليهم اعمالهم على نتنها وقال
سعيد بن جبير وابو صالح هو واد في جهنم يقال له

السحت وقرأ الكسائي بضم الحاء والباقون بسكونها ولما ذكر أصحاب السعير أتبعهم ذكر أضدادهم بقوله تعالى إن الذين يخشون أي يخافون ربهم أي المحسن إليهم خوفا أرق قلوبهم وأرق أعينهم بحيث لا يبقى لهم قرار من توقعهم العقوبة كلما ازدادوا طاعة ازدادوا خشية يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة بالغيب أي حال كونهم غائبين من عذابه سبحانه أو وعيده غائبا عنهم أو وهم غائبون عن أعين الناس فهم مع الناس يتكلمون وقلوبهم تتلظى بنيران الخوف وتتكلم بسيوف الهيبة فيتركون المعصية حيث لا يراهم أحد من الناس ولا يكون لهم هذا الأمر بإعانة عظيمة فعلى العاقل أن يطوع نفسه لترجع مطمئنة وأن ترضى بالله ربا لتدخل في رق العبودية وبالإسلام دينا لتصير عزيزا فيها ولا ينازع الملك في ردائه الكبرياء وإزاره العظمة وتاجه الجلال وحليته الجمال ولا ينازعه فيما يديره من الشرائع ويظهره من المعارف ويحكم به على عبيده من قضائه وقدره لهم مغفرة أي عظيمة تأتي على جميع ذنوبهم وأجر أي من فضل الله تعالى كبير يكون لهم به من الإكرام ما ينسيهم ما قاسوه في الدنيا من شدائد البلاء ويصغر في جنبه لذائذ الدنيا العظام وأسروا أي أيها الخلائق قولكم أي خيرا كان أو شرا أو اجهروا به أي فإنه يعلمه ويجازيكم به اللحظ بعظائم

والمراد

والمراد به الخبر يعني إن أخفيتم كلامكم في أمر محمد صلى الله عليه وسلم أو غيره أو جهرتم به إنه أي ربكم عليم أي بالغ العلم بذات الصدور أي بحقيقتها وكنهها وحالها وجبلتها وما حدث عنها من خير والشر قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل عليه السلام فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد وأسروا قولكم أو اجهروا به يعني وأسروا قولكم في محمد صلى الله عليه وسلم وقال غيره إنه خطاب عام لجميع الخلق في جميع الأعمال والمراد أن قولكم وعملكم على أي سبيل وجد فالحال واحد في علمه تعالى فاحذروا من المعاصي سرا كما تحترزون عنها جهرا فإن ذلك لا يتفاوت بالنسبة إلى علم الله تعالى ولما قال تعالى إنه عليم بذات الصدور ذكر الدليل على أنه عالم فقال تعالى ألا يعلم من خلق من خلق لا بد وأن يكون عالما بما خلقه لأن الخلق هو الإيجاد والتكوين على سبيل القصد والقاصد إلى الشيء لا بد وأن يكون عالما بحقيقة ذلك المخلوق كيفية وكمية المعنى ألا يعلم السر من خلق السر يقول أنا خلقت السر في القلب أفلا أكون عالما بما في قلوب العباد قال أهل المعاني إن شئت جعلته من أسماء الخالق تعالى ويكون المعنى ألا يعلم الخالق خلقه من وإن شئت جعلته من أسماء

المخلوقات والمعنى الا يعلم السر من خلق ولا بد ان
يكون الخالق عالما بما خلقته وما خلقه قال ابن المسيب
بينما رجل واقف بالليل في شجر كثير وقد عصفت
الريح فوقع في نفس الرجل اترى الله يعلم ما يسقط من
هذا الورق فنودي من جانب الغيضة بصوت عظيم
الا يعلم من خلق وهو اي والحال انه هو اللطيف الذي
يعلم ما بين في القلوب الخبير البالغ العلم بالظواهر
والبواطن فكيف يخفى عليه شيء من الاشيا وقال
ابو اسحاق الاسفرايني من اسما صفات الذات
ما هو للعلم منها العليم ومعناه تعميم جميع المعلومات
ومنها الحكيم ويختص بالعلم دقايق الاوصاف ومنها
الشهيد ويختص بانه يعلم الغايب والحاضر ومعناه
ان لا يغيب عنه شيء ومنها الحافظ ويختص بانه لا ينسى
شيا ومنها المحصي ويختص بانه لا تشغله الكثرة عن
العلم مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط الاوراق
فيعلم عند ذلك اجزا الحركات في كل ورقة وكيف لا يعلم
وهو الذي يخلق وقد قال الا يعلم من خلق وهو
اللطيف الخبير ولما كان هذا امرا غامضا دل عليه
بامر مشاهد ابدعه بلطفه واتقنه بخبره فقال
مستانفا هو اي وحده الذي جعل لكم الارض اي على
سعتها وعظمتها وحزونة كثير منها ذلولا اي مسخرة
لا تمتنع لتتوصلوا الى منافعكم بها قابلة للانقياد
لما تريدون منها من مشي وزرع حبوب وغرس

اشجا

اشجار وغير ذلك وقيل تثبتها بالجبال لئلا تزول باهلها
ولو كانت متمايلة لما كانت منقادة لنا وقيل لو كانت
مثل الذهب والحديد لكانت تسخن جدا وهذه الاية
بعد الايات المتقدمة تهديد للكفرة كقول السيد لعبده
الذي اسا اليه سرا يا فلان انا اعرف سرك وعلانيتك
فاجلس في هذه الدار التي وهبتها لك وكل هذا
الخبز الذي هيأته لك ولا تامن مكري تاديبي فكانه
تعالى يقول يا ايها الكفار انا عالم بسركم وجهركم
وضمايركم فخافوني فان الارض التي هي قراركم
انا ذللتها لكم ولو شئت خسفت بكم وقوله تعالى فامشوا
اي امشوا مكتسبين وغير مكتسبين ان شئتم من غير
صعوبة توجب لكم نوبا او حبوا في مناكبها مثل لفرط التذ
للل
وتجاوز نهاية الغاية لكون المنكبين وملتقاهما من الغارب
ارق شيء من البعير وانباه عن ان يطاه الراكب بقدمه
ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في منا
كبها لم يترك شيا وهذا امر اباحة وفيه اظهار الا
متنان وقيل خبر بلفظ الامر اي لكي تمشوا في اطرا
فها
فها ونواحيها واكامها وجبالها وقال ابن عباس وبشير
بن كعب وقتادة في مناكبها في جبالها وتذليلها
اذل هي تذليل غيرها ولكن مشيكم فيها وتصرفاتكم
بها واحيانا وسكونا استضارا لانفسكم وشكرا لمن
سخر لكم ذلك وروي ان بشير بن كعب كانت له سرية
فقال لها ان عرفت حرة فاراد ان يتزوجها فسال ابا الدردا

فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال مجاهد
في اطرافها وعنه ايضا في طرقها وفجاجها وهو قول السدي
والحسن وقال الكلبي في جوانبها ومنكبا الرجل جانباه
فائدة حكى قتادة عن ابي مجلد ان الارض اربعة
وعشرون الف فرسخ للسودان اثنا عشر الفا وللروم
ثمانية الاف وللفرس ثلاثة الاف وللعرب
الف ثم ذكرهم تعالى بانه سهلها لاخراج البركات
بقوله تعالى وكلوا ودل على ان الرزق فوق كفاية
بقوله تعالى من رزقه اي اودعه لكم فيها قال الحسن
مما احل لكم وقيل مما خلقه الله لكم رزقا في الارض
واليه اي وحده النشور اي وهو اخراج جميع الحيوانات
التي اكلتها الارض وافسدتها يخرجها سبحانه في
الوقت الذي يريده على ما كان كل منها عليه عند
الموت كما اخرج تلك الارزاق لا فرق بين هذا
وذاك خيرا لكم لا تتاملون فيما تاتون من شكر وباهلاك
من كفر فعودوا انفسكم بالخيرات لعلها تنقاد كما قيل
هي النفس ما عودتها تتعود وهما كان كانه لم يكن
بعد الاستعطاف الانذار قال تعالى مهددا للمكذبين
اامنتم قرا قنبل في الوصل بابدال الهمزة بعد
النون واوا وسهل الهمزة الثانية نافع وابن كثير
وابو عمرو وهشام والباقون بغير ادخال وقوله تعالى
من في السماء فيه وجوه احدها من ملكوته في السما
لانها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ

ومنها

ومنها ينزل قضاياه وكتبه واوامره ونواهيه والثاني
ان ذلك على حذف مضاف اي اامنتم خالق من في
السماء والثالث ان في بمعنى على اي على السما كقوله
ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل وانما
احتاج القائل بهذين الوجهين الى ذلك لانه اعتقد
ان من واقعة على الباري تعالى شانه وهو الظاهر
وثبت بالدليل القطعي انه ليس بمتحيز لئلا يلزم التجسيم
ولا حاجة الى ذلك فان من هنا المراد بها الملائكة
سكان السماء وهم الذين يتولون الرحمة والنقمة والرابع
انهم خوطبوا بذلك على اعتقادهم فان القوم كانوا
مجسمة مشبهة انه في السما قال الرازي هذه الاية
لا يمكن اجراؤها على ظاهرها باجماع المسلمين لان
ذلك يقتضي احاطة السماء به من جميع الجوانب فيكون
اصغر منها والعرش اكبر من السماء بكثير فيكون حقيرا بالنسبة
الى العرش وهو باطل بالاتفاق ولانه تعالى قال قل لمن
في السموات والارض فلو كان فيها لكان مالكا لنفسه
فالمعنى ان من في السما عذابه واما ان ذلك بحسب ما
كانت العرب تعتقده واما من في السما سلطانه وملكه وقدرته
كما قال تعالى وهو الله في السموات وفي الارض فان الشي
الواحد لا يكون دفعة في مكانين والغرض من ذكر السما
تفخيم سلطان الله سبحانه وتعالى وتعظيم قدرته والمراد
الملائكة الموكل بالعذاب وهو جبريل ع وقوله تعالى ان يخسف
بكم الارض بدل من في السماء بدل اشتمال وقال القرطبي

يحتمل ان يكون المعنى أأمنتم خالق من في السماء ان
يخسف بكم الارض كما خسفها بقارون وقرأ من في السماء
ان نافع وابن كثير وابو عمرو بابدال الهمزة الثانية
المفتوحة بعد الكسرة ياء في الوصل والباقون بتحقيقها
فاذا هي اي الارض التي انتم عليها تمور اي تضطرب
وهي تهوي بكم وتجري هابطة في الهواء وتنكفأ الى
حيث شاء سبحانه قال في القاموس المور الاضطراب
والجريان على وجه الارض والتحرك وقال الرازي
ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى
تضطرب وتتحرك فتعلو عليهم وهم يخسفون
فيها منه هبوط والارض فوقهم تمور فتقلبهم الى
اسفل السافلين وقال القرطبي قال المحققون امنتم من
فوق السما لقوله تعالى فسيحوا في الارض اي فوقها
لا بالمماسة والتحيز لكن بالقهر والتدبير والاخبار
في هذا معجبة كثيرة منتشرة مشيرة الى العلو لا يدفعها
الا ملحد او جاهل او معاند والمراد بها توقيره وتنزيهه
عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة لا بالاما
كن والجهات والحدود لانها صفات الاجسام وانما ترفع
الايدي بالدعا الى السماء لان السماء مهبط الوحي ومنزل
القطر ومحل القدس ومعدن المطهرين من الملائكة
واليها ترفع اعمال العباد وفوقها عرشه وجنته
كما جعل الله تعالى الكعبة قبلة للصلاة ولانه تعالى
خلق الاماكن وهو غير متحيز وكان في ازله قبل خلق

المكان

المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان وهو الان على
ما عليه كان وقوله تعالى ام امنتم اي ايها المكذبون
من في السماء ان يرسل بدل من من في السماء بدل اشتمال عليكم
اي من السما حاصبا قال ابن عباس اي حجارة من السماء
كما ارسلنا على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريح فيها
حجارة وحصبا كانها تقلع الحصبا لشدتها وقوتها وقيل هي
سحاب فيها حجارة فستعلمون اي عن قريب بوعد لا يخلف
عند معاينة العذاب كيف نذير اي نذيري انذاري
البليغ اذا شاهدتم العذاب وهو حينئذ لا استطاع ولا تعلق
الاطماع بكشفه لدول دفاع قال البقاعي وحذف اليا
منه ومن نكير اشارة الى انه وان كان خارجا عن
الطوق ليس منتهى مقدوره بل لديه من بدل غاية
له بوجه ولا يحذر اي على قراءة اكثر القرا فقد قرا ورش
باليا في الوصل فيهما دون الوقف والباقون بغير يا وقفا
ووصلا ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير اي
انكاري عليهم لما اصبتهم به من العذاب ولما ذكر
تعالى ما تقدم من الوعيد ذكر البرهان على كمال
قدرته بقوله تعالى اولم يروا الى الطير وهو جمع
طاير فوقهم اي في الهوا وقوله تعالى صافات اي
باسطات اجنحتهن يجوز ان يكون حالا من الطير
وان يكون حالا من فوقهم اذا جعلناه حالا فتكون
متداخلة وفوقهم ظرف لصافات على الاول او ليروا
وقوله تعالى ويقبضن عطف الفعل على الاسم لان معناه

اي وقابضات فالفعل هنا مؤول بالاسم عكس قوله تعالى
ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله فان الاسم هناك
مؤول بالفعل وقال ابو حيان وعطف الفعل على الاسم
لما كان في معناه ومثله قوله تعالى فالمغيرات صبحا فاثرن
عطف الفعل على الاسم لما كان المعنى فاللاتي اغرن
فاثرن ومثل هذا العطف فصيح وكذا عكسه الا عند
السهيلي فانه قبيح وقال الزمخشري صافات باسطات
اجنحتهن في الجو عند طيرانها لانها اذا بسطتها صففن
قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن
فان قلت لم قال ويقبضن ولم يقل قابضات قلت
لان الاصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران
في الهوا كالسباحة في الما والاصل في السباحة مد الاطراف
وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار
به على التحرك فجي بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل
على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد
تارة كما يكون من السابح انتهى وقال ابو جعفر
النحاس يقال للطائر اذا بسط جناحيه صاف واذا
ضمهما قابض لانه يقبضهما وقيل ويقبض
اجنحتهن بعد بسطها اذا وقفن من الطيران **ما يمسكهن**
اي من الوقوع في حال البسط والقبض **الا الرحمن**
اي الملك الذي رحمته عامة لكل شيء بان
هياهن بعد ان افاض عليهن رحمة الايجاد على اشكال
مختلفة وخصايص مفرقة هياهن للتحرك في الهوا

انه

انه اي الرحمن سبحانه **بكل شيء بصير** اي بالغ البصر
والعلم بظواهر الاشياء وبواطنها فاراد كان واكمل او لم
يسند لوا بسقوط الطير في الهوا على قدرتنا ان نفعل
بهم ما تقدم وغيره من العذاب وقوله تعالى **امن**
مبتدا وقوله تعالى **هذا** خبره وقوله تعالى **الذي** بدل
من هذا وقوله تعالى **هو جند لكم** اي اعوان لكم صلة
الذي وقوله تعالى **ينصركم** صفة جند **من دون الرحمن**
اي غيره يدفع عنكم عذابه اي لا ناصر لكم وقال ابن
عباس جند لكم اي حزب ومنعة لكم ولفظ الجند موحد
ولذلك قال تعالى هذا الذي هو جند لكم وهو استفهام
انكاري اي لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله من دون
الرحمن اي من سوى الرحمن وقرا ابو عمرو بسكون الراء
للدوري واختلس الضمة السوسي والباقون بالاتمام **ان**
الكافرون اي ما الكافرون **الا في غرور** اي من الشيطان
يغرهم بان لا عذاب ولا حساب قال بعض المفسرين
كان الكفار يمتنعون عن الايمان ويعاندون النبي صلى
الله عليه وسلم معتمدين على شيئين احدهما
قوتهم بما لهم وعددهم والثاني اعتقادهم ان الاوثان
توصل اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الافات
فابطل الله تعالى عليهم الاول بقوله تعالى امن هذا
الذي هو جند لكم ينصركم الاية ورد عليهم الثاني
بقوله تعالى **امن هذا الذي يرزقكم** اي على سبيل التجديد
والاستمرار **ان امسك رزقه** بامساك الاسباب

التي ينشأ عنها كالمطر ولو كان الرزق موجودا او كثر
او سهل التناول فوضع الآكلة في فيه فامسكه الله تعالى
عنه قوة الازدراد عجز اهل السموات والارض عن
ان يسوغوه تلك اللقمة وجواب الشرط محذوف
دل عليه ما قبله اي فمن يرزقكم اي لا يرزقكم غيره
بل لجوا اي تمادوا سفاهة لا احتباطا وشجاعة قال
الراغب في اللوامع واللجاج تقحم الامر مع كثرة الصوارف
عنه في عتو اي تطرد فيه للعناد وتكبر عن الكف
وعن رجوع الى فاحش الفساد ونفور اي تباعد عن كف
واستولى ذلك عليهم حتى احاطتهم مع انه لا قوة
لاحد منهم في جلب سار ولا دفع ضار والداعي
الى ذلك الشهوة والغضب افمن يمشي مكبا اي
واقعا على وجهه اهدى امن يمشي سويا اي معتدلا
على صراط اي طريق مستقيم وخبر من الثانية
محذوف دل عليه خبر الاولى اي اهدى والمثل
في المؤمن والكافر اي ايهما اهدى وقيل المراد
بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوي البصير وقيل
المكب هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي
سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة وقال ابن عباس
والكلبي عنى بالذي يمشي مكبا على وجهه ابا جهل
وبالذي يمشي سويا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل ابو بكر وقيل حمزة وقيل عمار بن ياسر قال
عكرمة وقيل عام في الكافر والمؤمن اي ان الكافر

لا يدري اعلى حق هو ام على باطل اي أهذا الكافر
اهدى ام المسلم الذي يمشي سويا معتدلا يبصر الطريق
وهو على صراط مستقيم وهو الاسلام وقرأ قنبل بالسين
وقرأ خلف بالاشمام اي بين الصاد والزاي والباقون
بالصاد الخالصة قل اي يا اشرف الخلق واشفقهم عليهم
مذكرا لهم بما دفع عنهم الملك من المفسدات وجمع لهم من
المصلحات ليرجعوا اليه ولا يعولوا في حال من احوالهم
الا عليه هو اي الذي شرفكم بهذا الذكر وبين لكم هذا
البيان الذي انشأكم اي اوجدكم ودرجكم في مدارج التربية
حيث طوركم في اطوار الخلقة في الرحم ويسر لكم بعد
الخروج في الرحم ويسر لكم بعد الخروج اللبن حيث كانت
المعدة ضعيفة عن اكثف منه وجعل لكم السمع اي لتسمعوا
ما تعقله قلوبكم فيهديكم ووحده لقلة التفاوت
فيه ليظهر سر تصرفه سبحانه في القلوب بغاية
المفاوتة مع انه اعظم الطرق الموصلة للمعاني اليها
والابصار لتنظروا صنائعه فتعتبروا وتزدجروا عما
يرديكم والافئدة اي القلوب التي جعلها سبحانه في
غاية التوقد بالادراك بما لا يدركه بقية الحيوانات
لتتفكروا فتقبلوا على ما ينفعكم وجمعها لكثرة التفاوت
في نور الابصار وادراكه الابصار قليلا ما تشكرون
اي باستماعها فيما خلقت له حلم وما مزيدة والجملة
مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم حثا على هذه النعم وهم
يدعون انهم اشكر الناس للاحسان واعلاهم في

الرفات قل هو اي وحده الذي ذرأكم اي خلقكم
وبثكم ونشركم وكثركم وانشأكم بعد ما كنتم كالذر اطفالا
ضعفا في الارض التي تقدم انه ذللها لكم ورزقكم
منها النبات وغيره واليه اي وحده بعد موتكم تحشرون
شيئا فشيئا الى البرزخ ودفعة واحدة يوم البعث للحسا
ب فيجازي كلا بعمله ويقولون اي يجددون هذا القول
تجديدا مستمرا استهزاء وتكذيبا متى هذا وزادوا
في الاستهزاء بقولهم الوعد اي يوم القيامة والعذاب الذي
توعدوننا به ان كنتم صادقين اي في انه لا بد لنا
منه وانكم مقربون عند الله فلو كان لهم ثبات العقل
لما كانوا طاشوا هذا الطيش بابراز هذا القول القبيح
ثم انه تعالى اجاب عن هذا السؤال بقوله عز وجل
قل اي يا اكرم الخلق لهولاء البعداء انما العلم اي علم
وقت قيام الساعة ونزول العذاب عند الله اي
الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال فهو الذي يكون
عنده وبيده جميع ما يراد منه لا يطلع عليه غيره
وانما انا نذير اي كامل في امر النذارة التي يلزم منها
البشارة لمن اطاع التدبر لا وظيفة لي عندكم الملكة
الاعظم غير ذلك فلا وصول الى سواه حتى يوجب
لي في السؤال عنه مبين اي بين الانذار باقامة
الادلة حتى يصير ذلك كانه مشاهدة لمن له قبول
العلم فلما راوه اي العذاب بعد الحشر زلفة اي ذا
قرب عظيم منهم سيئت قال ابن عباس اسودت

وجوه

وجوه واظهر في موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف
فقال تعالى الذين كفروا اي اظهروا السوء وعاقبة
الكراهة في وجوه من اوقع هذا الوصف تنبيه الاهل
ساء اي احزنت وجوههم العذاب ورؤيته ثم بين المقول
وساهنا لبست المرادفة لبئس واشم كسرة السين نافع
وابن عامر والكسائي والباقون باخلاص الكسرة
وقيل اي وقال لهم الخزنة تقريعا وتوبيخا هذا الذي كنتم
اي جبلة وطبعا به اي بسببه ومن اجله تدعون اي
تتمنون وتسألون وتزعمون انكم لا تبعثون وهذه
حكاية حال تاتي عبر عنها بطريقة المضي لتحققه وقد
وقرأ هشام والكسائي بضم القاف والباقون بكسرها قل
يا اكرم الخلق لهولاء الذين طال نصحي لهم منك وهم
يتمنون هلاكك كما قال تعالى ام يقولون شاعر
نتربص به ريب المنون ارأيتم اي اخبروني خبرا انتم
في الوثوق به على ما هو كالرؤية ان اهلكني الله
اي اماتني بعذاب او غيره الذي له من الجلال والاكرام
ما يعصم به وليه ويقصم عدوه وقرأ قل ارأيتم في الموضعين
نافع بتسهيل الهمزة بعد الواو ولورش ايضا ابدالها
الفا واسقطها الكسائي والباقون بالتحقيق واذا
وقف حمزة سهل الهمزة وقرأ اهلكني الله حمزة
بسكون الياء والباقون بفتحها ومن سكن الياء وقف
اللام من الاسم الجليل ومن فتحها فخم ومن معي اي من
المؤمنين او رحمنا اي بالنصر واظهار الاسلام كما نرجو

فاعجانا بذلك من كل سورة ووقانا كل محذور وقرأ نافع
وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص بفتح الياء والباقون
بالسكون فمن يجير الكافرين اي الراسخين في الكفر بان يدفع
عنهم ما يدفع المجار عن جاره من عذاب اليم اي لا يجير لهم
منه قل اي يا خير الخلق هو اي الله وحده الرحمن اي الشامل
الرحمة امنا به اي انا ومن امن بي وعليه اي وحده
توكلنا اي لانه لا شي في يد غيره والا لرحم من يريد
عذابه او عذب من يريد رحمته فكل ما جرى على
ايدي خلقه من رحمة او نعمة فهو الذي اجراه لانه
الفاعل بالذات المستجمع لما يليق به من الصفات
نحن نرجو خيره ولا نخاف غيره فستعلمون اي عند
معاينة العذاب عما قليل بوعد لا خلف فيه من هو
في ضلال مبين اي بين الخزا لم نتم وقرا الكسائي بعد
السين بياء الغيبة نظرا الى قوله الكافرين والباقون
بتاء الخطاب اما على الوعيد واما على الالتفات من
الغيبة المرادة في قراءة الكسائي وهو تهديد لهم قل
يا اعظم خلقنا واعلمهم نبأ ارايتم اي اخبروني اخبارا
لا لبس فيه ان اصبح ماؤكم اي الذي تعدونه في ايديكم
مما نبهت عليه الاضافة غورا اي غائرا ذاهبا
في الارض لا تناله الدلاء وكان ماؤهم من بئرين
بئر زمزم وبئر ميمونة فمن ياتيكم على ضعفكم واخلاء
قلوبكم واضطراب افكاركم بماء معين اي دائم
لا ينقطع وظاهر للاعين سهل الماخذ وقال ابن عباس

بمعين اي ظاهر تراه العيون فهو مفعول وقيل هو من
معن الماء اي كثر فهو على هذا فعيل وعن ابن عباس
المعنى ان اصبح فمن ياتيكم بماء عذب اي لا ياتيكم بماء عذب
اي لا ياتيكم به الا الله فكيف تنكرون ان يبعثكم ويستحب
ان يقول القارئ عقب معين الله رب العالمين كما في
الحديث وتليت هذه الاية عند بعض المتجبرين فقال
تاتي به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينه وعمي نعوذ
بالله من الجراة على الله وعلى اياته وروى ابو هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سورة من كتاب
الله ما هي الا ثلاثون اية شفعت لرجل يوم القيامة
فاخرجته من النار وادخلته الجنة وهي سورة تبارك
وعن عبد الله بن مسعود قال اذا وضع الميت
في قبره يؤتى من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل
لانه قد كان يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من قبل راسه
فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل كان يقرا بي سورة الملك
ثم قال هي المانعة من عذاب الله وهي في التوراة
سورة الملك من قراها في ليلة فقد اكثر واطيب
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وددت ان تبارك الملك في قلب كل مؤمن وما رواه البيضاوي
تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا
سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر حديث موضوع

سورة ن وتسمى القلم مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس

وقتادة من أولها إلى قوله تعالى سنسمه على الخرطوم
مكي ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى يعلمون مدني ومن
بعد ذلك إلى قوله تعالى من الصالحين مدني وباقيها
مكي قاله الماوردي وهي اثنان وخمسون حرفا بسم
الله الذي له الإحاطة الكاملة فهو بكل شيء عليم
الرحمن الذي عمت نعمة إيجاده لأهل سعادة البري منهم
والسقيم الرحيم الذي أتم تلك النعمة على من رضي
عنه فألزمه صراطه المستقيم وقوله ن كقوله تعالى ص
والقرآن وجواب القسم الجملة المنفية بعدها واختلفوا
في تفسير ذلك فقال ابن عباس هو الحوت الذي على
ظهره الأرض وهو قول مجاهد ومقاتل والسدي والكلبي
وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال أول ما خلق
الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ثم
خلق النون فبسط الأرض على ظهره فتحرك النون
فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فإن الجبال لتفخر على الأرض
ثم قرأ ابن عباس ن الآية واختلفوا في اسمه فقال
الكلبي ومقاتل بهموت وقال الواقدي ليوثا وقال
كعب لوثا وقال علي بلهوث وقال الرواة لما خلق الله
الأرض وفتقها بعث من تحت العرش ملكا فهبط
إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين
حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله
عز وجل من الفردوس ثورا له أربعون ألف قرن
وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه

فلم

فلم يستقر قدماه فأخذ الله تعالى ياقوتة خضراء من
أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها
بين سنام الثور إلى أذنه فاستقرت عليه قدماه وقرن
ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض ومنخره في
البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فإذا تنفس مد البحر
وإذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور موضع
قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع
أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة
التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة ولم يكن للصخرة
مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع
الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر
والبحر على متن الريح والريح على القدرة تقل الدنيا
كلها بما عليها حرفان قال لها الجبار كوني فكانت قال
كعب الأحبار إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهره
الأرض فوسوس إليه فقال له أتدري ما على ظهرك
فهم لو شيئا ما تفعل فبعث الله تعالى دابة فدخلت
منخره فوصلت إلى دماغه فعج الحوت إلى الله تعالى منها
فأذن لها الله تعالى فخرجت فوالذي نفسي بيده
إنه لينظر إليها وتنظر إليه إن هم بشيء من ذلك عادت
إليه كما كانت وقال بعضهم نون آخر حروف الرحمن وهي
رواية عكرمة عن ابن عباس وقال الحسن وقتادة والضحاك
النون الدواة وهو مروي أيضا عن ابن عباس وقال
القرطبي عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم بقوله اول ما خلق الله القلم ثم خلق
النون وهي الدواة ومنه قول الشاعر ٥٥ ٥٥
اذا ما الشوق برح بي اليهم ٥ الفت النون بالدمع السجام
ويكون على هذا اقسم بالدواة والقلم فان المنفعة
بهما عظيمة بسبب الكتابة فان التفاهم يحصل تارة
بالنطق وتارة بالكتابة وقيل النون لوح من نور
تكتب فيه الملائكة ما يومرون به رواه معاوية بن
قرة مرفوعا وقيل النون هو المداد الذي تكتب به
الملائكة وقال عطا وابو العالية هو افتتاح اسمه تعالى
نصير ونور وناصر وقال محمد بن كعب اقسم الله تعالى
بنصره المومنين وقال الزمخشري هذا الحرف من حروف المعجم
واما قولهم هو الدواة فما ادري اهو وضع لغوي او شرعي
ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا او
علما فان كان نون جنسا فاين الاعراب وايهما كان ولا
بد له من موقع في تاليف الكلام فان قلت هو مقسم
به وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه ويكون القسم
بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم وان كان
علما ان تصرفه وتجره او لا تصرفه وتفتحه للعلمية
والتانيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون
من النونات او يجعل علما للبهموت الذي تزعمون
والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة
نحو ذلك انتهى تنبيه في القلم المقسم به قولان
احدهما ان المراد به الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب

به

به في السماء والارض قال تعالى وربك الاكرم الذي
علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ولانه ينتفع به كما ينتفع
بالنطق قال تعالى خلق الانسان علمه البيان فالقلم
يبين كما يبين اللسان في المخاطبة بالكتابة للغائب
والحاضر والثاني انه القلم الذي جاء في الخبر عن ابن
عباس اول ما خلق الله تعالى القلم ثم قال له اكتب
قال ما كان وما يكون وما هو كائن الى يوم القيامة
من عمل او اجل او رزق او اثر فجرى القلم بما هو كائن
الى يوم القيامة ثم قال ختم فم القلم فلم ينطق ولا
ينطق الى يوم القيامة قال وهو قلم من نور طوله
كما بين السماء والارض وروي مجاهد اول ما خلق
الله تعالى القلم فقال اكتب القدر فكتب ما هو كائن
الى يوم القيامة وانما يجري في الناس على امر
قد فرغ منه قال ابن عادل قال القاضي هذا
الخبر يجب حمله على المجاز لان القلم الة مخصوصة
بالكتابة لا يجوز ان يكون حيا عاقلا فيومر وينهى
لان الجمع بين كونه حيوانا مكلفا وبين كونه الة
الكتابة محال بل المراد منه انه تعالى اجراه بكل ما يكون
وهو قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
فانه ليس هناك امر ولا تكليف بل هو مجرد نفاذ
القدرة في المقدور من غير منازعة ولا مدافعة
انتهى وقوله فان الجمع الى قوله محال ممنوع فان الله
تعالى خلق فيه ذلك كما قال للسموات والارض ائتيا

طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقال الزمخشري
اقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة
على الحكمة العظيمة لما فيه من المنافع والفوائد
التي لا يحيط بها الوصف وقيل القلم المذكور هاهنا
هو العقل وانه شيء كالاصل لجميع المخلوقات قالوا
والدليل عليه انه روي في الاخبار اول ما خلق الله
تعالى القلم وفي خبر اخر اول ما خلق الله تعالى العقل
فقال الجبار ما خلقت خلقا اعجب الي منك وعزتي
وجلالي لاكملنك فيمن احببت ولانقصنك فيمن ابغضت
قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل الناس
عقلا اطوعهم لله واعملهم بطاعته وفي خبر اخر
اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة
فذابت وسخنت فارتفع منها دخان وزبد فخلق
من الدخان السموات ومن الزبد الارض قالوا
فهذه الاخبار بمجموعها تدل على ان القلم والعقل
وتلك الجوهرة التي هي اصل المخلوقات شيء واحد
والا حصل التناقض وقال الجوزي القلم الذي كتب
الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء
والارض ويقال اول ما خلق الله تعالى القلم
ونظر اليه فانشق بنصفين ثم اجري بما هو كائن
الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وحفص وحمزة
وورش بخلف عنه باظهار النون عند الواو

هنا

هنا والباقون بالادغام **وما يسطرون** اي الملائكة
من الخير والصلاح وقيل وما تكتبه الملائكة الحفظة من
اعمال بني ادم وقيل وما يكتبون الى الناس ويتفا
همون به وقال ابن عباس معنى وما يسطرون وما يعلمون
وما موصولة او مصدرية قال الزمخشري ويجوز ان
يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه
قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم ويراد
بهم كل من يسطر او الحفظة وقال البقاعي وما يسطرون
اي قلم القدرة وجمعه واجراه مجرى اولي العلم للتعظيم
لانه فعل افعالهم او الاقلام على ارادة الجنس ويجوز
ان يكون الاسناد الى الكاتبين بما دل عليهم
من ذكره واما الملائكة ان كان المراد ما كتب في الكتاب
المبين واللوح المحفوظ وغيره مما يكتبونه واما كل
من يكتب منهم ومن غيره وقوله تعالى **ما انت** اي
يا اعلى المتاهلين لخطابنا **بنعمة** اي بسبب انعام **ربك**
اي المربي لك بتلك الهمم العالية والسجايا الكا
ملة بان خصك بالقران الذي هو الجامع لكل علم
وحكمة **بمجنون** جواب القسم وهو نفي قال الزجاج
انت هو اسم ما وبمجنون الخبر وقوله تعالى بنعمة
ربك كلام وقع في الوسط اي انتفى ذلك الجنون
بنعمة ربك كما يقال انت بحمد ربك عاقل بل الذي
وصفك بهذا هو الحقيق باسم الجنون وقال البغوي
ما انت بنعمة ربك بنبوة ربك بمجنون اي انك لا تكون

مجنونا وقد انعم الله تعالى عليك بالنبوة والحكمة
وقيل بعصمة ربك وقيل هو كما يقال ما انت بمجنون
والنعمة لربك كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك اي والحمد
لك وروي عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم
غاب عن خديجة الى حرا فطلبته فلم تجده فاذا به
ووجهه متغيرا ممتلا غبارا فقالت له ما لك فذكر
جبريل عليه السلام وانه قال له اقرا باسم ربك فهو
اول ما نزل من القران قال ثم نزل بي الى قرار
الارض فتوضا وتوضات ثم صلى وصليت معه
ركعتين وقال هكذا الصلاة يا محمد فذكر النبي صلى
الله عليه وسلم ذلك لخديجة فذهبت خديجة الى
ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف دين
قومه ودخل في النصرانية فسالته فقال ارسلي
الى محمدا فارسلته فقال هل امرك جبريل عليه
السلام ان تدعو احدا قال لا فقال هل امرك جبريل
عليه السلام والله لئن بقيت الى دعوتك لانصرنك
نصرا عزيزا ثم مات قبل دعاء الرسول صلى الله
عليه وسلم ووقعت تلك الواقعة في السنة كفار
قريش فقالوا انه مجنون واقسم الله تعالى على
انه ليس بمجنون وهو خمس ايات من اول هذه
السورة وقال ابن عباس اول ما نزل قوله تعالى
سبح اسم ربك الاعلى وهذه الاية هي الثانية
نقلها الرازي وذكر القرطبي ان المشركين كانوا يقولون

للنبي صلى الله عليه وسلم مجنون به شيطان وهو
قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فانزل
الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لقولهم ما انت بنعمة
ربك بكاهن ولا مجنون اي برحمة ربك والنعمة
هاهنا الرحمة وقال عطاء وابن عباس يريد بنعمة
ربك عليك بالايمان والنبوة وقال القرطبي يحتمل
ان النعمة هاهنا قسم تقديره ما انت ونعمة ربك
بمجنون لان الواو والباء من حروف القسم وقال الرا
زي ان الله تعالى وصفه بصفات ثلاثة الاولى نفي
الجنون عنه ثم قرن بهذه الدعوة ما يكون كالدلالة
القاطعة على صحتها لان قوله بنعمة ربك يدل على
ان نعم الله تعالى ظاهرة في حقه من الفصاحة التامة
والعقل الكامل والسيرة المرضية والبراءة من كل
عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم
المحسوسة ظاهرة ووجودها منافي حصول الجنون
فالله تعالى نبه على ان هذه الدقيقة جارية
مجرى الدلالة اليقينية على كذبهم في قولهم مجنون
الصفة الثانية قوله تعالى وان لك اي على ما تحملت
من اثقال النبوة وعلى صبرك عليهم فيما يرمونك
به وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم لاجرا اي ثوابا
غير ممنون اي مقطوع ولا منقوص في دنيا ولا اخرة
يقال من الشيء اذا ضعفه ويقال مننت الحبل اذا قطعته
وحبل منين اذا كان غير متين قال لبيد ~~وانك لعلى خلق~~

عباس كراسب لا يمن طعامها ط اي لا ينقطع يصف كلابا
صائدة ونظيره قوله تعالى غير مجذوذ وقال مجاهد
ومقاتل والكلبي غير ممنون اي غير محسوب عليك
قال الرازي محسوب لانه ثواب تستحقه على عملك وليس
بتفضل ابتداء وانما يمن التفضل لا الاجور على الاعمال
الشيء وهذا قول المعتزلة فان الله تعالى لا يجب عليه
شيء وقال الحسن غير مكدر بالمن وقال الضحاك اجرا
بغير عمل واختلفوا في هذا الاجر على اي شيء حصل
فقيل معناه ان ذلك على احتمال هذا الطعن والقول
القبيح اجرا عظيما دائما وقيل ان ذلك في اظهار النبوة
والمعجزات وفي دعاء الخلق الى الله تعالى وفي بيان
الشرع لهم هذا الاجر الخالص الدائم فلا تمنعك نسبتهم
اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا المهم العظيم فان
ذلك بسبب المنزلة العالية الصفة الثالثة قوله
تعالى **وانك لعلى خلق عظيم** استعظم خلقه لفرط
احتمال الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته
لهم قال ابن عباس ومجاهد على دين عظيم
من الاديان ليس دين احب الى الله ولا ارضى
عنده منه وروى مسلم عن عائشة ان خلقه كان
القرآن وقال هو على ادب القرآن وقيل رفقه
بامته واكرامه اياهم وقال قتادة هو ما كان يأتمر
به من الله وينتهي عنه مما نهى الله تعالى عنه وقيل
انك على طبع كريم وقيل هو الخلق الذي امره الله

تعالى به في قوله خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن
الجاهلين وقال الماوردي حقيقة الخلق في اللغة
ما يأخذ به الانسان في نفسه من الادب يسمى خلقا
لانه يصير كالخلقة فيه فاما ما طبع عليه من الادب
فهو الخيم فيكون الخلق الطبع المتكلف والخيم الطبع
الغريزي قال القرطبي ما ذكره مسلم في صحيحه عن
عائشة اصح الاقوال وسئلت ايضا عن خلقه
صلى الله عليه وسلم فقرأت قد افلح المؤمنون الى
عشر آيات قال الرازي وهذا اشارة الى ان نفسه
القدسية الشريفة كانت بالطبع منجذبة الى عالم
الغيب فالى كل ما يتعلق بها وكانت شديدة النفرة
عن اللذات البدنية والسعادات الدنيوية بالطبع
ومقتضى الفطرة وقالت ما كان احد احسن خلقا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد
من الصحابة ولا من اهل بيته الا قال لبيك ولذلك
قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولم يذكر خلق
محمود الا وكان للنبي صلى الله عليه وسلم منه الحظ
الاوفر وقال الجنيد سمي خلقه عظيما لاجتماع
مكارم الاخلاق فيه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن
الافعال وعن ابي اسحاق قال سمعت البراء يقول كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها
واحسن الناس خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير

وعن انس ابن مالك قال خدمت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال
لشي صنعته لم صنعته ولا لشي تركته لم تركته
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس
خلقا ولا مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيا كان الين
من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت
مسكا ولا عنبرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم
احسنكم اخلاقا وعن انس ان امراة عرضت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم في طريق من طرق المدينة
فقالت يا رسول الله ان لي اليك حاجة فقال يا ام
فلان اجلسي يا رسول الله ان لي اليك حاجة
فقال يا ام فلان اجلسي في اي سكك المدينة شئت
اجلس اليك قالت ففعلت فقعد اليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى قضيت حاجتها وعن
انس بن مالك قال كانت الامة من اما اهل المدينة
لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به
حيث شاءت وعن انس ايضا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا صافح رجلا لم ينزع يده حتى يكون
هو الذي ينصرف وجهه عن وجهه ولم ير مقدما
ركبتيه بين يدي جليس له وعن عايشة قالت ما ضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيا قط الا ان

يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادما ولا امراة وعنها
قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين قط
الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس
منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في
شي قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم وعن انس قال
كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد
نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه جبذة
شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية البرد من
شدة جبذته ثم قال مر لي من مال الله الذي عندك
فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك
وامر له بعطا وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم احسن الناس خلقا وكان لي اخ يقال له ابو عمير
وهو فطيم كان اذا جانا قال يا ابا عمير ما فعل النغير
نغير كان يلعب به والنغير طاير صغير يشبه العصفور
الا انه احمر المنقار وعن الاسود قالت سالت عايشة
ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل في بيته
قالت كان في مهنة اهله فاذا حضرت الصلاة توضا
ويخرج الى الصلاة والمهنة الخدمة وعن عبد الله ابن
الحارث قال ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن ام الدردا تحدث عن ابي الدردا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اثقل شي يوضع
في ميزان المومن يوم القيامة خلق حسن وان الله

يبغض الفاحش البذي وعن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه اتدرون اكثر ما
يدخل النار قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اكثر ما يدخل
الناس الاجوفان الفرج والفم اتدرون اكثر ما يدخل
الناس الجنة التقوى وحسن الخلق وعن عايشة قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المومن
يدرك بحسن خلقه درجة قايم الليل وصايم النهار
فستبصر اي فستعلم عن قريب يوم عدل خلف فيه علما
انت في تحققه كالمبصر بالحس الظاهر ويبصرون
اي يعلم الذين رموك بالبهتان علما هو كذلك وقوله
تعالى بايكم المفتون هو فيه اربعة اوجه احدها
ان الباء مزيدة في المبتدا والتقدير ايكم المفتون كزيدت
كزيادتها في نحو بحسبك زيد والى هذا ذهب قتادة
قال ابن عادل الا انه ضعيف من حيث ان الباء لا تزاد
في المبتدا الا في حسبك فقط الثاني ان الباء بمعنى
في ظرفية كقولك زيد بالبصرة اي فيها والمعنى
في اي فرقة وطايفة منكم المفتون اي المجنون
افي فرقة الاسلام ام في فرقة الكفار واليه ذهب مجاهد
والفرا الثالث انه على حذف مضاف اي بايكم فتن
المفتون فحذف المضاف اليه مقامه واليه ذهب
الاخفش وتكون الباء سببية الرابع ان المفتون مصدر
جا على مفعول كالمعقول والميسور والتقدير بايكم
الفتنة وقيل المفتون المعذب من قول العرب فتنت

الذهب

الذهب بالنار اذا حميته قال تعالى يوم هم على النار
يفتنون في دينه وكانوا يقولون انه به شيطان وعنوا
بالمجنون هذا فقال تعالى سيعلمون غدا بايهم الشيطان
الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل فايدة
بايكم رسمت هنا بيايين اذ ربك اي الذي رباك احسن
تربية وفضلك على ساير الخلق هو اي وحده
اعلم اي من كل احد بمن ضل اي حاد عن سبيله اي دينه
وسلك غير سبيل القصد واخطا موضع الرشد وهو اي
وحده اعلم بالمهتدين اي الثابتين على الهدى وهم
اولو الارحام والنهى اي لذو علم تنبيه قوله تعالى
وهو اعلم وهو مكظوم وهو مذموم قرا قالون وابو عمرو
والكسائي بسكون الهاء والباقون بضمها وقوله تعالى
فلا تطع المكذبين اي الرؤساء في التكذيب وهم مشركو
مكة فانهم كانوا يدعونه الى دين ابايه فنهاه ان
يطيعهم بتهييج التصميم على معاداتهم ودوا اي تمنوا واحبوا
محبة واسعة متجاوزة للحد بما لهم الاستمرار على
ذلك لو مصدرية تدهن فيدهنون قال الضحاك
لو تكفر فيكفرون وقال الكلبي لو تلين لهم فيلينون لك وقال
الحسن لو تصانعهم في دينك فيصانعونك في دينهم
وقال زيد بن اسلم لو تنافق وترايي فينافقون ويراوون
وقال ابن قتيبة ارادوا ان تعبد الهتهم مدة ويعبدون
الله مدة وقال ابن العربي ذكر المفسرون في ذلك نحو
عشرة اقوال كلها دعاوى على اللغة والمعنى وامثلها

ودوا لو تكذب فيكذبون ودوا لو تكفرون وقال القرطبي
كلها ان شاء الله صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى
تنبيـــه في رفع فيدهنون وجهان احدهما انه
عطف على تدهن فيكون داخلا في حيز لو والثاني
انه خبر مبتدا مضمر اي فهم يدهنون وقال الزمخشري
فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو
جواب التمني قلت قد عدل به الى طريق اخر
وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اي فهم يدهنون
كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا على معنى
ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون
لطمعهم في ادهانك واختلفوا في سبب نزول قوله
تعالى ولا تطع كل حلاف اي كثير الحلف بالباطل فقال
مقاتل يعني الوليد بن المغيرة عرض على النبي صلى
الله عليه وسلم مالا وحلف له ان يعطيه ان رجع عن دينه
وقال ابن عباس هو ابو جهل بن هشام وقال عطاء هو
الاخنس بن شريق لانه حليف ملحق في بني زهرة فلذلك
سمي زنيما وقال مجاهد هو الاسود بن عبد يغوث
مهين اي ضعيف حقير قيل هو فعيل من المهانة وهي
قلة الراي والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب
من الاول لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه
عليه وقال الحسن وقتادة هو المكثار في الشر وقال
الكلبي المهين العاجز هماز اي كثير العيب للناس في
غيبتهم وقال المهين العاجز الحسن هو الذي يغمز با

خيه

خيه في المجلس وقال ابن زيد الهماز الذي يذكر الناس
في وجوههم واللماز الذي يذكرهم في غيبتهم وقال
مقاتل بالعكس وقال مرة هما سواء ونحوه عن ابن عباس
وقتادة مشاء اي كثير المشي بنميم اي قتات يلقي
النميمة بين الناس ليفسد بينهم فينقل ما قاله الانسان
في اخر وان اخذ سرا يريد صاحبه اظهاره على وجه
الافساد اي مبالغ في ذلك مناع اي كثير المنع شديده
للخير اي كل خير من المال والايمان وغيرهما من نفعه
وغيره من الدين والدنيا وقال ابن عباس مناع للخير
اي الاسلام يمنع ولده وعشيرته من الاسلام وكان له
عشرة من الولد يقول لئن دخل احد منكم في دين محمد
لا انفعه بشيء ابدا معتد اي ثابت المجاوز للحدود
في كل ذلك اثيم اثيم اي مبالغ في ارتكاب ما يوجب الاثم
فيترك الطيبات ويأخذ الخبائث يرغب في المعاصي
ويتطلبها ويدع الطاعة ويزهد فيها عتل العتل
الغليظ الجافي وقال الحسن هو الفاحش الخلق وقال
الفرا هو الشديد الخصومة في الباطل وقال الكلبي
هو الشديد في كفره وكل شديد في كفره وكل شديد
عند العرب عتل واصله من العتل وهو الدفع بالعنف
وقال ابو عبيدة بن عمير العتل الاكول الشروب
القوي الشديد الذي لا يوزن في الميزان شعيرة
يدفع الملك من اولئك سبعين الفا دفعة واحدة
بعد ذلك اي مع ذلك يريد مع ما وصفناه به زنيم

وهو الدعي الملصق بالقوم وليس لهم وقال عطاء عن
ابن عباس يريد مع هذا هو دعي في قريش وقال
مرة الهمداني انما ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة
سنة وقيل الزنيم الذي له زنمة الشاة وروى
عكرمة عن ابن عباس انه قال في هذه الاية نعت
فلم يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت زنمة في عنقه
يعرف بها وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها وقال مجاهد
زنيم له ستة اصابع في يده في كل ابهام له اصبع
زائدة قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله تعالى وصف
احدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد
بن المغيرة فالحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة
وعن حارثة بن وهب الخزاعي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف
متضعف لو يقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار
كل عتل جواظ مستكبر وفي رواية كل جواظ زنيم
متكبر الجواظ الجموع وقيل الكثير اللحم المختال في مشيته
وقيل القصير البطين وقال عكرمة هو ولد الزنا
الملحق في النسب بالقوم وكان الوليد دعيا في قريش
ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده قال الشاعر
زنيم ليس يعرف من ابوه   بغي الام ذو حسب لئيم
قيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت الاية وهذا لان
الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد كما روي

ان

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد الزنا
ولا ولده ولا ولد ولده وقال عبد الله بن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان اولاد الزنا يحشرون يوم
القيامة في صورة القردة والخنازير ولعل مراده به الدخول
مع السابقين والا فمن مات مسلما دخل الجنة وقالت
ميمونة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا تزال امتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشي
فيهم ولد الزنا اوشك ان يعمهم الله بعذابه وقال
عكرمة اذا كثر ولد الزنا قحط المطر قال القرطبي
ومعظم المفسرين على ان هذه الاية نزلت في الوليد
بن المغيرة وكان يطعم اهل منى حيسا ثلاثة ايام وينادي
الا لا يوقدن احد تحت برمة الا لا يزجين احد بكراع الا من
اراد الحيس فلما مات الوليد بن المغيرة وكان ينفق في الحجة
الواحدة عشرين الفا واكثر ولا يعطي المسكين درهما
واحدا وقيل مناع للخير وفيه نزل وويل للمشركين
الذين لا يؤتون الزكاة ولما كان حطام الدنيا كله عرضا
فانيا وظلا متقلصا زائلا لا يفتخر به ولا يلتفت اليه
الا من كان بهذه الاوصاف فاذا كان ذلك اكبر همه
ومبلغ علمه امره بالترفع على المعروف والتكبر على
العباد قال الله تعالى ان اي لاجل انه كان ابو هذا
الموصوف ذا مال اي مذكورا بالكثرة وبنين اي انعمنا
عليه بهما فصار بطاع لاجلهما فكان بحيث يجب عليه
شكرنا بسببهما اذا تتلى اي تذكر على سبيل المتابعة عليه

ولو كان على سبيل الخصوص لا **آياتنا** اي العلامات الدالة
دلالة هي في غاية الظهور على الملك الاعلى وعلى
ما له من صفات العظمة **قال** اي مفاجاة من غير تامل
ولا توقف عوضا عن شكرنا **اساطير** جمع سطور جمع
سطر **الاولين** اي اشيا سطروها ودونوها وفرغوا
منها فجعله دين طبعه عليه تكبره بالمال فورطه في التكذيب
لاعظم ما يمكن سماعه فجعل الكفر موضع الشكر ولم
يستح من كونه يعرف كذبه كل من يسمعه فاعرض عن
الشكر ووضع موضعه الكفر فكان هذا دليلا على جميع
تلك الصفات السابقة مع التعليل بالاسناد الى ما هو
عند العاقل اوهى من بيت العنكبوت والاسناد اليه
وحده كاف في الاتصاف بالرسوخ في الدناءات وقرا
ابن عامر وشعبة وحمزة بهمزتين مفتوحتين وابن
عامر يسهل الثانية وشعبة وحمزة تحقيقها وهشام
على اصله يدخل بينهما الفا والباقون بهمزة واحدة
مفتوحة قال القرطبي فمن قرا بهمزة واحدة مفتوحة
قال القرطبي فمن قرا بهمزة مطولة او بهمزتين محققتين
فهو استفهام والمراد به التوبيخ ويحسن له ان يقف
على زنيم ويبتدي ان كان على معنى الان كان
ذا مال وبنين يكفر ويستكبر ودل عليه ما تقدم من
الكلام فصار كالمذكور بعد الاستفهام ومن قرا ان كان
بغير استفهام فهو مفعول من اجله والعامل فيه فعل
مضمر والتقدير يكفر لانه كان ذا مال وبنين ودل

عليه

على هذا الفعل اذا تتلى عليه وقال لان ما بعد ان لا يعمل فيما
قبلها لان اذا تضاف الى الجمل التي بعدها ولا يعمل المضاف
اليه فيما قبل المضاف وقال جواب الجزاء ولا يعمل فيما قبل
الجزاء لان حكم العامل ان يكون قبل المعمول فيه وحكم
الجواب ان يكون بعد الشرط فيصير مقدما مؤخرا
في حال واحد ويجوز ان يكون المعنى لا تطعه لان
كان ذا يسار وعدد قال ابن الانباري ومن قرا بالاستفهام
لم يحسن ان يقف على زنيم لان المعنى لان كان ذا مال
كان فان متعلقة بما قبلها وقال غيره يجوز ان تتعلق
بقوله تعالى مشاء بنميم والتقدير يمشي بنميم لان كان
ذا مال وبنين واجاز ابو علي ان تتعلق بعتل
ومعنى اساطير الاولين اباطيلهم وترهاتهم **سنسمه**
اي نجعل له سمة اي علامة يعرف بها **على الخرطوم** اي
الانف يعير بها ما عاش قال ابن عباس سنسمه سنخطمه
بالسيف قال وقد خطم الذي نزلت فيه يوم بدر
بالسيف فلم يزل مخطوما الى ان مات والتعبير
عن الانف بهذا للاستهانة والاستخفاف وقال قتادة
سنسمه يوم القيامة على انفه سمة يعرف بها وقال
الكسائي سنكويه على وجهه وقال ابو العالية ومجاهد
سنسمه على الخرطوم اي على انفه ونسود وجهه
في الاخرة فيعرف بسواد وجهه قال تعالى يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه فهي علامة ظاهرة ونحشر المجرمين
يومئذ زرقا وهذه علامة اخرى ظاهرة وافادت

هذه الآية علامة ثالثة وهي الوسم على الأنف
بالنار وهذا كقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ
بالنواصي قال القرطبي والخرطوم الأنف من الإنسان
ومن السباع موضع الشفة وخراطيم القوم سادتهم
قال الفراء وإن كان الخرطوم قد خص بالسمة فإنه في معنى
الوجه لأن بعض الشيء يعبر عنه الكل وقال القرطبي
نبين أمره تبيانا واضحا فلا يخفى عليهم كما لا تخفى
السمة على الخراطيم وهذا كله نزل في الوليد بن
المغيرة ولا شك أن المبالغة العظيمة في ذمه لإهانته
في الدنيا ولا في الآخرة كالوسم على الخرطوم وقيل
ما ابتلاه الله تعالى به في الدنيا في نفسه وأهله
وماله من سوء وذل وصغار وقال النضر بن شميل
المعنى سنحده على شرب الخمر والخرطوم كما قيل
لها سلافة وهي ما سلف من عصير العنب أول ما
تقطر في الخياشيم تسميته الأنف أكرم موضع في الوجه
لتقدمه ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا
منه الأنفة وقالوا الأنف في الأنف وحمي أنفه
وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع أنفه
ورغم أنفه فعبروا بالوسم على الخرطوم عن غاية
الإذلال والإهانة لأن السمة على الوجه شين وإذ
لال فكيف بها على أكرم موضع منه ولقد وسم
العباس أباعره في وجوهها فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم أكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها

ولما

ولما ذكر تعالى في أول الملك أنه خلق الموت والحياة
للابتلاء في الأعمال وختم هنا بعيب من يغتر بالمال
والبنين وهو يعلم أن الموت وراءه أعاد ذكر الابتلاء
وأكده بقوله تعالى **إنا** أي بما لنا من القهر والعظمة **بلوناهم**
أي عاملنا أهل مكة بما وسعنا عليهم به معاملة
المختبر مع علمنا بالظاهر والباطن فغرهم ذلك وظنوا
أنهم أحباب ومن قترنا عنه أولياءنا أعداء واستهانوا
بهم وسبوهم لعجل نقلهم من الدنيا إلى السعة ولكن
وكان ابتلاؤنا لهم بالقحط الذي دعا عليهم به رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا الجيف **كما بلونا** أي
اختبرنا **أصحاب الجنة** أي البستان عاملناهم معاملة المختبر
مع علمنا بالظاهر وحاصله أنه استخراج ما في البواطن
ليعلمه العباد في عالم الشهادة كما يعلمه الخالق في عالم
الغيب والابتلاء كناية عن الجزاء وعرف أهل الجنة لأنها كانت
شهيرة عندهم وهي بستان عظيم كان دون صنعاء
بفرسخين يقال له الضروان يطؤه أهل الطريق كان
صاحبه ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما
أخطأه المنجل أو ألقته الريح أو بعد عن البساط الذي
يبسط تحت النخلة أو ألقته الريح فكان يجتمع لهم شيء كثير
فلما مات شح بنوه بذلك وقالوا إن فعلنا ما كان يفعل
أبونا ضاق علينا الأمر ونحن ذو عيال فحلفوا على أن
يجذوها قبل الشمس حتى لا يأتي الفقراء إلا بعد فراغهم
وذلك معنى قوله تعالى **إذ** أي حين **أقسموا** ودل على

تأكيد القسم بالتأكيد فقال تعالى ليصرمنها عبر به
عن تحذ لله لته على القطع البائن المستأصل المانع
للفقراء من الصريم الذي يرضى على ثم تحذف ليسل
يرضع او من الصرم القارة التي لا ماء بها والناقة
القليلة اللبن مصبحين داخلين في اول وقت الصباح
قبل ان يشعر بهم المساكين فلا يعطوهم منها ما كان ابوهم
يتصدق به عليهم منها ولا اي والحال انهم لا يستثنون
في يمينهم اي لا يقولون ان شاء الله فان قيل
لم سمي استثناء لانه اخراج لشيء يكون حكمه غير
المذكور اولا وكان الاصل فيها لا ان يشاء الله
فالحق بان ان شاء الله لرجوعه اليه في اتحاد الحكم
فطاف اي فتسبب عن فعلهم هذا ان طاف عليها
اي جنتهم طائف عذاب مهلك محيط وهو نار احرقتها
ليلا لم تدع منها شيئا والطائف غلب في الشر وقال
الفراء هو الامر الذي ياتي ليلا ورد عليه بقوله
اذا مسهم طائف من الشيطان وذلك لا يختص بليل
ولا نهار وقوله تعالى من ربك يجوز ان يتعلق بطاف
وان يتعلق بمحذوف صفة لطائف وهم اي والحال
ان اصحاب الجنة المقسمون نائمون وقت ارسال
الطائف فاصبحت اي فتسبب عن هذا الطائف الذي
ارسله القادر الذي لا يغفل اوله ينام
على مال من لا يزال اسيرا للعجز والنوم فعل لوقوة
كالصريم اي كالاشجار التي صرم عنها ثمرها او كا

الكيل

الكيل المظلم الاسود لانه يقال للصريم لسواده والصريم
ايضا النهار وقيل الصبح لانه انصرم من الليل
قال الاخفش وهو من الاضداد وقيل كالرماد
الاسود ليس بها ثمرة للغير حزمة قال ابن عباس
لان ذلك الطائف اتلفها لم يدع فيها شيئا لانهم طلبوا
الكل فلم يزكوه بما يمنع عنه الطوارق لضد ما كان
ابيهم من ثمرة عمله الصالح من الدفع عن ماله والبركة
في جميع احواله قال القرطبي وفي الاية دليل على ان العزم
مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان لا يفعلوا
فعوقبوا قبل فعلهم ونظيره قوله تعالى ومن يرد فيه
بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وفي الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان
بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول
الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على
قتل صاحبه وهذا محمول على العزم المصمم اما ما
يخطر بالبال في غير عزم فلا يؤاخذ به فتنادوا مصبحين
اي في حال اول دخولهم في الصباح وقوله تعالى
ان اغدوا اي بكروا جدا مقبلين ومستولين وقادرين
ويجوز ان تكون المفسرة لانها تقدمها ما هو بمعنى
القول على حرثكم اي محل فائدتكم الذي اصلحتموه
وتعبتم فيه فلا يستحقه غيركم قال مقاتل لما اصبحوا
قال بعضهم لبعض اغدوا على حرثكم يعني بالحرث الثمار
والزرع والاعناب ولذلك قال صارمين لانهم ارادوا

تقطع الثمار من الاشجار قال الزمخشري فان قلت هلا
قال اغدوا الى حرثكم وما معنى على قلت لما كان
الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول
غدا عليهم العدو قال الزمخشري ويجوز ان يضمن
الغدو معنى الاقبال اي فاقبلوا على حرثكم ان كنتم
صارمين اي مريدين القطع وجواب الشرط دل
عليه ما قبله اي فاغدوا ويجوز ان تكون المصدرية
ان تنادوا بهذا الكلام تنبيه مقتضى كلام
الزمخشري ان غدا متعد في الاصل بالى فاحتاج
الى تاويل فعدي بعلى قال ابن عادل وفيه نظر
لورود تعديته بعلى في غير موضع كقوله
وقد اغدوا على ثبة نشاوى واجدين لما نشا
واذا كان قد عدي مرادفه بعلى فليعده وقرا
ان اغدوا ابو عمرو وعاصم وحمزة في الوصل بكسر
النون والباقون بضمها واتفقوا على الابتدا
بالهمزة بالضم فانطلقوا اي تسبب عن هذا الحث
عقبه كانهم كانوا متمنين وهم اي والحال انهم يتخافتون
اي يقولون في حال انطلاقهم قولا هو في غاية
المراسة من الخفوت وهو السكون وخفا وخفت
وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفاش
ثم فسر ما يتخافتون به بقوله تعالى ان لا يدخلنها
وان لا هنا مقطوعة كما تراه واكده لانه لا يصدق
ان احدا يصل الى هذه الوقاحة وان جداذ

خلوا

اليوم

خلوا من سائل اي في جميع النهار مما دل عليه نزعه
كالفض لتكروا عليه مرارا وتفتشوه فلا تدعوا به ثمرة
واحدة ولا موضعا يطمع فيه احد في قصوركم عليكم
وانتم بها مسكين وهو نهي للمسكين في اللفظة للمبالغة
في نهي انفسهم ان لا يدعوه يدخل عليهم اي لا يمكنوه
من الدخول يدخل كقوله كقوله لا ارينك هاهنا فقال
لهم اوسطهم سنا وخيرهم نفسا واعدلهم طبعا مما يدل
عليه ما ياتي لا تقولوا هكذا واصنعوا من الاحسان
ما كان يصنع ابوكم قال البقاعي وكانه طواه سبحانه
لانه مع الدلالة عليه بما ياتي لم يوثر شيا وغدوا اي
ساروا اليها غدوة على حرد اي منع للمساكين قال ابو
عبيدة على حرد اي منع من حاردت حرادا اي قل
لبنها والحرود القليلة الدر وحاردت حردا اي قل
لبنها قل مطرها وخيرها وقال الشعبي وسفيان
على حنق وغضب من المساكين وعن ابن عباس
على قدرة قادرين عند انفسهم على جنتهم وثمارها
لا يحول بينهم وبينها احد اي بدليل عدم استثنا
ئهم فان الجزم على الفعل في المستقبل فضلا عن ان
يكون مع تخلفه فعل من الكفور قال الحسن وقتادة
على جد وجهد وقال القرطبي وعكرمة على امر
مجتمع ودل على قربها من منزلتهم بالفا فقال تعالى
فلما راوها اي بصرها يسير وليس للزرع ولا للثمر
بها اثر قالوا انا لضالون اي عن طريق جنتنا

لانه صارت المسودة حالها من ذلك الطائف بعيدة عن
حال ما كانت عليه عن قواعدهم وتغيير عم نباتهم
فادهشهم منظرها وحيرهم خبرها واكدوا الضلالة لهم
لا بتصدق مع قربه عهدهم وكثرة ملابستهم لها وقوة
معرفتهم بها ولما انجلى ما ادهشهم في الحال قالوا معترفين
عن الضلال بل نحن محرومون اي ثابت حرماننا كنا
فيه من الخير الذي ذهب عنه الا سواد الليل فحرمنا الله
تعالى اياه بما عزمنا عليه من حرمان المساكين ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقرا الكسائي
بادغام اللام في النون والباقون بالاظهار قال اوسطهم
اي رايه وعقلا ونسبا ونفعله منكرا عليهم الم اقل لكم
اي ما فعلتموه لا ينبغي وان الله تعالى بالمرصاد لمن غير
ما في نفسه وحاد لولا اي هلا ولم لا تسبحون اي
تستثنون فكان استثناؤهم سبحان الله فقال لهم هلا
تسبحون الله اي تقولون سبحان الله وتشكرونه على
ما اعطاكم وقال النحاس اصل التسبيح التنزيه لله
عز وجل فجعل مجاهد التسبيح التنزيه في موضع ان
شاء الله لان المعنى تنزيه الله ان يكون شيء لا يشيئه
وقال الرازي التسبيح عبارة عن تنزيهه عن كل سوء
فلو دخل شيء في الوجود على خلاف ارادة الله
تعالى لنسب النقص الى قدرة الله تعالى فقولك ان
شاء الله يزيل هذا النقص فكان ذلك تسبيحا وقيل
المعنى هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون اليه

من خبث نيتكم قبل ان العوم قال لهم اوسطهم توبوا
عن هذه المعصية قبل نزول العذاب فلما راوا العذاب
ذكرهم اوسطهم كلامه الاول قال الم اقل لكم لولا تسبحون
في حينئذ اشتغلوا بالتوبة بان قالوا اي من غير
تلعثم بما عاد عليهم من بركة ابيهم سبحان ربنا اي تنزه
المحسن الينا التنزيه الاعظم ان يكون وقع منه فيما
فعل مبدا ظلم وكذا قباحة فعلم هضما لانفسهم وخضوعا
لربهم وتحقيقا لتوبتهم انا كنا اي في جبلتنا من الفساد
ظالمين اي متجاوزين الحدود في فعلنا من التقاسم
على منع المساكين وعلى جزها في الصباح من غير
استثناء فاقبل بعضهم اي في الحال مبادرة للخضوع
على بعض يتلاومون اي يلوم بعضهم بعضا يقول
هذا لهذا انت اشرت علينا بهذا الراي ويقول ذلك
لهذا انت خوفتنا بالفقر ويقول الثالث لغيره انت
رغبتني في جمع المال ثم نادوا على انفسهم بالويل
بان قالوا منادين لما شغلهم قربه منهم وملازمته
لهم عن كل شيء يا ويلنا اي هذا وقت حضورك ايها
الويل ايانا ومنادمتك لنا فانه لا نديم لنا الان
غيرك والويل الهلاك والاسراف عليهم انا كنا اي
جبلة وطبعا طاغين اي عاصين نعم الله فلم نشكرها
كما شكرها اباؤنا من قبل ثم رجعوا الى انفسهم فقالوا
عسى ربنا اي الذي احسن الينا بتربية هذه الجنة
واهلك ثمرها الان تاديبا لنا ان يبدلنا اي من جنتنا

شيئا خيرا منها أي يعطينا أمرها حسنا فتنقلب أحوالنا هذه
التي نحن فيها من الهموم والبذاذة بتشديد الدال
والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال إنا إلى ربنا
أي المحسن إلينا والمربي لنا بالإيجاد ثم إلينا خاصة
لا إلى غيره راغبون أي ثابتة رغبتنا ورجاؤنا الخير
والإكرام وقد قيل إن الله تعالى رحمهم وأخلف عليهم
فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان كان القطف الواحد
منها يحمله وحده من كبره البغل رواه البغوي عن ابن مسعود
وقال أبو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود
منها كالرجل الأسود القائم وقال الحسن قول أهل الجنة
إنا إلى ربنا راغبون لا أدري أإيمانا كان ذلك منهم أو
على حد ما يكون من المشركين إن أصابهم الشدة
فتوقف في كونهم مؤمنين وسئل قتادة عن أصحاب
الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار قال لقد
كلفتني تعبا والأكثرون يقولون إنهم تابوا وأخلصوا
حكاه القشيري ولما كان المقام لترهيب من ركن إلى
ماله واحتقر الضعفاء من عباد الله ولم يجعلهم محلا له
طريق ذلك كرما أنعم به عليهم وذكر ما يخوفهم فقال
تعالى مرهبا كذلك أي مثل هذا الذي بلونا به أصحاب
الجنة من إهلاك ما كان عند أنفسهم في غاية
القدرة عليه والتمكن بجميع الاستحسانات لعقلهم والسطوة
وهددنا به أهل مكة فليبادروا إلى المتاب العذاب
أي الذي نحذرهم منه ونخوفهم به في الدنيا فإن الشأن

العجل

العجل الذي قدرناه لم أخذناهم به غير متعجلين وله
شرط بأنه يعجل الناقص يخاف الفوت ولعذاب الآخرة
أي الذي يكون فيها للعصاة أكبر أي من كل ما يتوهمون
لو كانوا أي الكفار يعلمون أي لو كان لهم علم بشيء
من عن أنفسهم في وقت من الأوقات لرجعوا عما هم فيه
ولما ذكر ما لأهل الجحود الذين لا يجوزون الممكنات
ذكر تعالى أضدادهم فقال تعالى مؤكدا لأجل إنكارهم
إن للمتقين أي الذين يتقون في صفة التقوى عند ربهم
أي المحسن إليهم في موضع نوم أولئك وجنة آمالهم
جنات جمع جنة وهو لغة البستان الجامع وفي عرف
الشرع مكانا اجتمع فيه جميع السرور وانتفى منه جميع
الشرور النعيم أي جنات ليس فيها إلا النعيم الخالص لا
يشوبهم ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا قال مقاتل
لما نزلت هذه الآية قال كفار مكة للمسلمين إن الله تعالى
فضلنا عليكم في الآخرة فإن لم يحصل التفضيل فلا أقل
من المساواة فأجابهم الله تعالى بقوله سبحانه أفنجعل
المسلمين أي الذين هم عريقون في الانقياد لأوامرنا
والصلة لما أمرنا بوصله طلبا لمرضاتنا فلا اختيار لهم
معنا في نفس ولا في غيرها بوصله لمرضاتنا فلا اختيار
لحسن حيلتهم كالمجرمين أي الراسخين في قطع ما أمرنا
به أن يوصل وأنتم لا تفرقون لهذا ففي ذلك إنكار لقول
الكفرة فإنهم كانوا يقولون إن صح أنا نبعث
كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون أحسن حالا

منهم كما نحن عليه في الدنيا وقوله تعالى ما لكم اي اي
شيء يحصل لكم من هذه الاحكام الجائرة البعيدة من
الصواب كيف تحكمون اي المختل دعاكم الى هذا الحكم الذي
يقتضي التسوية من السيد بين المحسن من عبيده والمسيء
التفاوت فهو تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار
بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج راي ام اي بل الكم
لكم كتاب اي سماوي معروف انه من عند الله خاص
بكم فيه اي لا في غيره من اساطير الاولين تدرسون
اي تقرؤن قراءة اتقنتكم ان لكم اي خاصة على وجه
التاكيد الذي لا رخصة في تركه فيه لما تخيرون اي
ما تختارونه وتشتهونه وكسرت وكان حقها الفتح
لدخول اللام لان ما بعدها هو المدروس ويجوز ان تكون
جملة حكاية للمدروس وان تكون استئنافية ام لكم
ايمان اي عهود ومواثيق علينا قد حلفنا لكم بها
بالغة اي واثقة نعتت لايمان وقوله تعالى الى يوم القيامة
اي متعلق بما تعلق به لكم من الاستقرار اي ثابتة لكم
الى يوم القيامة اي مبالغة اي تبلغ الى ذلك اليوم
وتنتهي اليه وقوله تعالى ان لكم لما تحكمون جواب
القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا اي اقسمنا لكم وهذا
تعجب منهم وتهكم بهم ذيل ذلك بتهكم اعلى منه كشف
عن ذاهم غاية الكشف فقال تعالى سلهم يا اشرف الخلق
ايهم بذلك اي بالامر العظيم الذي يحكمون به لانفسهم
من انهم يعطون في الاخرة افضل من المؤمنين زعيم اي

كفيل

كفيل وضامن او سيد او رئيس او متكلم بحجة او باصل
اللزوم في ادعائه صحة ذلك ام لهم شركاء اي موافقون
لهم في هذا القول يكفلون لهم فان كانوا كذلك فليأتوا
بشركائهم اي الكافلين لهم به ان كانوا صادقين اي
عريقين في هذا الوصف كما يدعونه وقوله تعالى يوم
منصوب بقوله تعالى فليأتوا بشركائهم يوم يكشف
اي يحصل الكشف فيه بني للمفعول لان المخيف وقوع
الكشف الذي هو كناية عن تفاقم الامر وخروجها عن حد
الطريق لا كونه من معين مع انه من المعلوم انه لا فاعل
هناك غيره سبحانه وتعالى عن ساق اي يشتد
فيه الامر غاية الاشتداد لان من اشتد عليه الامر
وجد فيه فضله شمر عن ساقه لاجله وشمرت حرمه
عن سوقهن غير محتشمات فهو كناية عن هذا ولذلك
نكره تهويلا له وتعظيما نقل هذا التاويل عن ابن عباس
وسعيد بن جبير وغيرهما قال الكشاف جميع الخلائق وظهور
جلائلها والدقائق من الاهوال وغيرها كما كشفت
هذه الايات جميع الشبه فتركت السامع بها في مثل ضوء
النهار ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اذكر فيكون على
هذا مفعولا به وعليه الدليل لا يوقف على صادقين تنبيه
علم مما تقرر ان كشف الساق كناية عن الشدة قال الراجز
عجبت من نفسي ومن اشفاقها … ومن طرادي الطير عن ارزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها … حمراء تبري اللحم عن عراقها
وقال الطائي

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا
وقال آخر
قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا
وقال أبو عبيدة إذا اشتد الأمر والحرب قيل كشف الأمر
عن ساقه والأصل فيه أن من وقع في شيء يحتاج فيه
إلى الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عنها
في موضع الشدة وقال القرطبي وأما ما روي أن الله
تعالى يكشف عن ساقه فإنه تعالى متعال عن الأعضاء
والأبعاض وأن يكشف عن نوره عز وجل وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم في قوله عن ساق قال يكشف عن
نور عظيم يخرون له سجدا وروى أبو بردة عن أبي
موسى قال حدثني أبو موسى قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول إذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم
ما كانوا يعبدون في الدنيا فيذهب كل قوم إلى ما كانوا
يعبدون ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم ما تنتظرون
وقد ذهب الناس فيقولون إن لنا ربا كنا نعبده
في الدنيا ولم نره قال أو تعرفونه إذا رأيتموه فيقولون
فكيف تعرفونه ولم تروه قالوا إنه لا شبيه له فيكشف
لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيخرون له سجدا ويبقى
أقوام ظهورهم كصياصي البقر فينظرون إلى الله تعالى
فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى
يوم يكشف عن ساق ويدعون أي من داعي الملك الديان
إلى السجود توبيخا على تركه الآن وتنديما وتعنيفا

لا تعبدا وتكليفا فيريدونه لينقذوا أنفسهم مما يرون من
المخاوف فلا أي فيتسبب عن ذلك أنهم لا يستطيعون
لأنهم غير سالمين لا أعضاء لهم تنقاد بديع شدة معالجتهم
لأنفسهم فيقول الله تعالى أي للساجدين عبادي ارفعوا
رؤوسكم فقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود
والنصارى في النار قال أبو بردة فحدثت هذا
الحديث عمر بن عبد العزيز فقال والله الذي لا إله إلا
هو لقد حدثك أبوك بهذا الحديث فحلف له ثلاث
أيمان فقال ما سمعت في أهل التوحيد حديثا هو أحب
إلي من هذا وأما غير الساجدين ففي ابن مسعود تعقم أصلا بهم
طبقا واحدا أي فقارة واحدة وقوله تعالى خاشعة
حال من يدعون وقوله تعالى أبصارهم فاعل بها ونسب
الخضوع لها لأن ما في القلب يعرف في العين وذلك
أن المؤمنين يرفعون رؤوسهم من السجود ووجوههم أضوأ
من الشمس ووجوه الكافرين والمنافقين سود مظلمة
ترهقهم أي تغشاهم ذلة أي عظيمة لأنهم استعملوا
الأعضاء التي أعطاهموها الله سبحانه ليتقربوا بها إليه
في دار العمل في غير طاعته وقد أي والحال أنهم قد كانوا
يدعون إلى السجود أي في الدنيا من كل داع يدعو إليها
وقال إبراهيم التيمي يدعون بالأذان والإقامة
فيأبون وقوله تعالى وهم سالمون أي معافون أصحاء حال
من مرفوع يدعون الثانية وقال سعيد بن جبير كانوا يسمعون
حي على الفلاح فلا يجيبون وقال كعب الأحبار والله

ما نزلت هذه الآية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات
ولما خوف الكفار بعظمة يوم القيامة زاد في التخويف
بما عنده وفي قدرته فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
فذرني اي اتركني على اي حالة اتفقت ومن يكذب اي
يوقع التكذيب لمن يتلو متجددات انزاله من كل شي
القديم على اي حالة كان ايقاعه وافرد الضمير نظرا
على تهديد كل واحد من المكذبين بهذا الحديث اي القرآن
اي خل بيني وبينهم لا تشغل قلبك به فاني اكفيك
امره لا مانع منه فلا تهتم به واصله سنستدرجهم اي
سنأخذهم بعظمتنا على التدريج لا على غرة اي
عذاب لا شك فيه من حيث اي من جهات لا يعلمون اي
لا يتجدد لهم علم ما في وقت من الاوقات فعذبوا يوم
بدر وقال ابو روق كلما احدثوا خطيئة جددنا لهم
نعمة وانسيناهم الاستغفار وقال سفيان الثوري
نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر وقال الحسن كم مستدرج
بالاحسان اليه وكم مفتون بالثناء عليه وكم مغرور
بالستر عليه وقال ابن عباس سنمكر بهم وروي
ان رجلا من بني اسرائيل قال يا رب كم اعصيك وانت
لا تعاقبني فاوحى الله الى نبي زمانهم ان قل له كم
من عقوبة لي عليك وانت لا تشعر ان جمود عينك
وقساوة قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت والا
ستدراج ترك المعاجلة واصله النقل من حال الى
حال كالتدريج ومنه قيل درجات وهي منزلة واستدرج

قلان

فلان فلانا استخرج ما عنده قليلا قليلا ويقال درجه الى كذا
واستدرجه معناه ادناه منه على التدريج فتدرج
ومعنى الآية انا لما انعمنا عليهم اعتقدوا ان ذلك
الانعام تفضيل لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب
لهلاكهم واملي لهم اي امهلهم واطيل المدة كقوله تعالى انما
نملي لهم ليزدادوا اثما والملاوة المدة من الدهر واملى
الله له اي اطال له واحد والملا مقصورا الارض الواسعة
سميت بذلك لامتدادها ان كيدي اي ستري لاسباب
الهلاك عمن اريد اهلاكه وادراجه في ذلك بفعل يشبه
الاحسان متين اي قوي شديد فلا يفوتني احد وسمى
احسانه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد
ووصفه بالمتانة لقوة اثره استحسانه في السبب للهلاك
ام تسألهم انت يا اعف الخلق واعلاهم هما اجرا على
تبليغ الرسالة فهم اي فتسبب عن ذلك وتعقب انهم من
مغرم اي غرامة كلفتهم بها مثقلون اي تقل حمل الغرامة
عليهم في بذل المال فثبطهم ذلك عن الايمان والمعنى
ليس عليهم كلفة في متابعتك بل يستولون بالايمان
على خزائن الارض ويصلون الى جنات النعيم ام
عندهم اي خاصة الغيب اي علمه من اللوح المحفوظ او
غيره فهم اي بسبب ذلك يكتبون كلما يريدون منه
ليكونوا قد اطلعوا عليه ان هذا الذكر ليس من عند الله
او انهم لا دركة عليهم في التكذيب به فقد علم من هذا
انهم لا شبهة لهم في ذلك عادية ولا شرعية وانما كيدهم

بمجرد خبث طباع وظلمة نفوس واماني فارغ واطماع
فاصبر اي اوقع الصبر واوجده على كل ما يقولونه فيك
وعلى غير ذلك من كل ما يقع منهم ومن غيرهم حتى يمر
القضا لحكم ربك اي القضا الذي قضاه وقدره المحسن
اليك الذي اكرمك بما اكرمك به من الرسالة والزمك
ما الزمك من البلاغ وحفظ لهم بالتكذيب ومد لهم
على ذلك في الاجل واسبغ عليهم النعم واجزما وعد
به من النصر وقال ابن بحر فاصبر لنصر ربك وقيل
ان ذلك منسوخ باية السيف وقال قتادة ان الله
تعالى يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ويامره بالصبر
ولا يعجل ولا تكن اي ولا يكن حالك يا اشرف الخلق في
الضجر والعجلة كصاحب اي كحال صاحب الحوت وهو
يونس عليه السلام وقوله تعالى اذ منصوب بمضاف
محذوف اي ولا يكن حالك كحاله اذ قصتك كقصته
نادى اي دعا ربه في الظلمات من بطن الحوت وظلمة
ما يحيط به من الجثة وظلمة اللجج لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين ودل على المحذوف ان الذوات
لا ينصب عليها الشيء انما ينصب على احوالها
وصفاتها وقوله تعالى وهو مكظوم جملة حالية من
الضمير من نادى والمكظوم الممتلي حزنا او غيظا
ومنه كظم السقا اذا ملاه قال ذو الرمة
وانت من حب مي مضمر حزنا ... عاني الفواد قريح القلب مكظوم
وقال القرطبي ومعنى وهو مكظوم اي مملوء غما وقيل

كربا

كربا فالاول قول ابن عباس ومجاهد والثاني قول عطا
وابن مالك قال الماوردي والفرق بينهما ان الغم في القلب
والكرب في الانفاس وقيل مكظوم محبوس والكظم الحبس
ومنه قولهم كظم غيظه اي حبس غضبه والمعنى
لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى
ببلائه ولما تشوف السامع الى ما كان من امره بعد هذا
الامر العجيب قال تعالى لولا ان تداركه اي ادركه ادراكا
عظيما نعمة اي عظيمة جدا بتنبيه حسن تذكير الفعل لفصل
الضمير في تداركه من ربه اي الذي احسن اليه بالرسالة
وتهذيبه للرسالة والتوبة عليه والرحمة وقال الضحاك
النعمة هنا النبوة وقال ابن جبير عبادته التي سلفت
وقال ابن زيد نداوه بقوله لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين وقال ابن بحر اخراجه من بطن الحوت
وقوله تعالى لنبذ اي لولا هذه الحالة الحسنية التي انعم
الله عليه بها لطرح طرحا هينا جدا بالعراء اي الارض الفضا
الواسعة التي لا بنا فيها ولا جبال ولا نبات البعيدة
من لبثي في بطن الحوت وهو اي والحال انه مذموم اي
ملوم على الذنب وقيل مبعد من كل خير وقال الرازي
وهو مذموم عليه كونه فاعلا للذنب قال والجواب من
ثلاثة اوجه الاول ان كلمة لولا دلت على ان هذه
المذمومية لم تحصل الثاني لعل المراد من المذمومية
ترك الافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين الثالث
لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله تعالى فاجتباه اي

اختاره لرسالته ربه والفاء للتعقيب قيل انه هذه الاية
نزلت باحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم
ما حل فاراد ان يدعوا على الذين انهزموا وقيل حين
اراد ان يدعو على ثقيف ثم تسبب عن اجتبائه قوله تعالى
فجعله من الصالحين اي الذين رسخوا في رتبة الصلاح
فصلحوا في انفسهم للنبوة والرسالة وصلح بهم غيرهم
فنبذ بالعراء وهو محمود قال ابن عباس رد الله تعالى
اليه الوحي وشفعه في نفسه وفي قومه وقيل نبوته
وجعله من الصالحين بان ارسله الى مائة الف او يزيدون
بسبب صبره فمن صبر اعظم من صبره كان اعظم اجرا
من اجره وانت كذلك فانت اشرف العالمين تنبيه
استدل اهل السنة على ان فعل العبد خلق الله تعالى
بقوله سبحانه وتعالى فجعله من الصالحين لان الصلاح انما
حصل بجعل الله تعالى وخلقه وقال الجبائي يحتمل ان يكون
معنى جعله انه اخبر بذلك ويحتمل ان يكون لطف به حتى
صلح اذ الجعل يستعمل في اللغة في هذه المعاني والجواب
ان ذلك مجاز والاصل في الكلام الحقيقة وان هي مخففة
اي وانه يكاد الذين كفروا اي ستروا ما ظهر عليه
مما جبلت به من الدلائل واظهر موضع الاضمار تعميما
وتعليقا للحكم بالوصف ولما كانت ان مخففة اتى باللام
التي هي علمها فقال ليزلقونك بابصارهم اي ينظرون
اليك نظرا شديدا يكاد ان يصرعك من مكانك الى
الارض كما يزلق الانسان فينطرح لما يرى في عيونهم

او يهلكونه من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني ويكاد
ياكلني اي لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعل قال القائل
يتقارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزل مواطئ الاقدام
وقيل ارادوا ان يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش
وقالوا ما راينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين
في بني اسرائيل فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا
يمر به شي فيقول لم اركاليوم مثله الا عانه حتى ان
البقرة السمينة او الناقة السمينة تمر باحدهم فيعاينها
ثم يقول يا جارية خذي المكتل والدرهم فاتينا بلحم هذه
الناقة فما تبرح حتى تقع الناقة للموت فتنحر وقال الكلبي
كان رجل من العرب يمكث لا ياكل ولا يشرب يومين ثم يرفع
جانب الخباء فتمر به الابل او الغنم فيقول لم اركاليوم ابلا ولا
غنما احسن من هذه فلا تذهب الا قليلا حتى تسقط
منها طائفة هالكة فسال الكفار هذا الرجل ان يصيب
لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعين واجابهم فلما مر النبي صلى
الله عليه وسلم انشد ٭ قد كان قومك يحسبونك سيدا ٭
واخالك سيد معيون ٭ فعصم الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم ونزلت هذه الاية وذكر الماوردي هذه الاية
ان العرب كانت اذا اراد احدهم ان يصيب احدا يعني في
نفسه وماله يجوع ثلاثة ايام ثم يتعرض لنفسه وماله
فيقول تالله ما رايت اقوى منه ولا اشجع ولا اكثر منه
ولا احسن فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله فانزل الله
تعالى هذه الاية وروى ابو نعيم قالت يا رسول الله ان

بني جعفر تصيبهم العين افاسترقي لهم قال نعم فلو كان شي
يسبق القضا لسبقته العين وقال الحسن دوا الاصابة بالعين
ان تقرا هذه الاية وقرا نافع بفتح اليا والباقون بضمها
وهما لغتان يقال زلقه يزلقه زلقا وازلقه يزلقه ازلاقا
وقال ابن قتيبة ليس يريد انهم يصيبونك باعينهم كما يصيب
العاين بعينه ما يعجبه وانما اراد انهم ينظرون اليك
لما سمعوا الذكر اي القران نظرا شديدا بالعداوة والبغضا
يكاد يسقطك وقال الزجاج يعني من شدة عداوتهم
يكادون بنظر البغضا ان يصرعوك ويقولون اي قولا
يزالون يجددونه حسدا وبغضا على انه لم يزدهم
تماديه الزمان الا حسنا انه لمجنون اي ينسبونه الى
الجنون اذا سمعوه يقرا القران فاجابهم الله تعالى بقوله
سبحانه وما هو اي القران الا ذكر للعالمين قال ابن عباس
موعظة للمومنين قال الجلال المحلي الانس والجن وظاهره
اخراج الملائكة وهو ماجرى عليه في شرحه على جمع
الجوامع وظاهر الاية انه ارسل لجميع الخلايق وهو ما قال
بعض المتاخرين الظاهر ويدل قول البيضاوي لما جننوه
لاجل القران بينا انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من
كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رايا وقوله تبعا للزمخشري
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القلم اعطاه
الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم حديث موضوع

سورة الحاقة مكية

وهي اثنان وخمسون اية والف واربعة وستون حرفا

بسم

بسم الله الذي بذكره الكمال كمل الرحمن الذي عم العالمين جوده
الرحيم الذي حض اهل وده بالوقوف عند حدوده وقوله
الحاقة مبتدا وقوله تعالى ما الحاقة مبتدا وخبر الجملة خبر
الاول والاصل الحاقة ما هي اي اي شي هي تفخيما
لشانها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه
اهول لها والحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة
المجي التي هي اتية لا ريب فيها اي التي فيها حواقة الامور
من البعث والحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها
الامور اي تعرف على الحقيقة من قولك لا احقه هذا اي لا
اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وقيل سميت القيامة
بذلك لانها احقت لاقوام الجنة ولاقوام النار وقوله تعالى وما
ادراك اي واي شي اعلمك ما الحاقة زيادة تعظيم لشانها
فالاولى مبتدا وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها
في محل المفعول الثاني لادري يعني انك لا علم لك بكنهها
ومدى عظمها وما هي عليه انه من العظم والشدة بحيث
لا يبلغه دراية احد ولا وهمه والنبي صلى الله عليه وسلم
كان عالما بالقيامة ولكن لا علم له بكنهها وصفتها فقيل
له ذلك تفخيما لشانها كانه ليس يعلمها اذ لم يعاينها وقال يحيى
ابن سلام بلغني ان كل شي في القران وما ادراك فقد ادراه
وعلمه وكل شي قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به وقرا
ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه
بالامالة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح ولما ذكر
الساعة وفخمها اتبع ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب

التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم
فقال تعالى **كذبت ثمود** قدمهم لان بلادهم اقرب الى
قريش وواعظ العرب اكبر واهلكهم بالصيحة وهي
اشبه بصيحة النفخة الصور المبعثرة بما في القبور **وعاد**
بالقارعة اي القيامة سميت بذلك لانها تقرع قلوب
العباد المخافة او لانها تقرع الناس باهوالها يقال
اصابتهم قوارع الدهر اي اهواله وشدائده وقوارع
القرآن الآيات التي يقرؤها الانسان اذا فزع
من الانس والجن نحو آية الكرسي كانه يقرع الشيطان
وقال المبرد القارعة ماخوذة من القرعة من
رفع قوم وحط آخرين وقوارع القيامة انفطار السماء
وانشقاقها والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم
بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير لتدل
على معنى القرع في الحاقة زيادة وصف لشدتها
وقيل عني بالقارعة العذاب الذي نزل بهم في الدنيا
وكان نبيهم يخوفهم بذلك فيكذبونه وثمود قوم صالح
وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز وقال ابن
اسحاق هو وادي القرى وكانوا عربا واما عاد فقوم
هود وكانت منازلهم بالاحقاف رمل بين عمان الى
حضرموت واليمن كله وكانوا عربا ذوي بسطة في الخلق
فاما ثمود فاهلكوا اي بامر من اوامرنا **بالطاغية**
اي الواقعة التي جاوزت الحد في الشدة فرجفت منها القلوب
واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة

وعن

وعن قتادة بعث الله تعالى عليهم صيحة فاهمدتهم وقال
مجاهد بالذنوب وقال الحسن بالطغيان فهي مصدر كالكاذبة
والعاقبة اي اهلكوا بطغيانهم وكفرهم قال الزمخشري وليس
بذلك لعدم الطباق بينها وبين قوله تعالى بريح صرصر
لكن قال ابن عادل ويوضحه كذبت ثمود بطغواها اهلكوا
بها لاجلها قال والباء سببية على الاقوال كلها الا على
قول قتادة فانها فيه للاستعانة كعملت بالقدوم **واما عاد**
فاهلكوا اي باشق ما يكون عليهم وبايسر ما يكون علينا
بريح صرصر اي شديد الصوت لها صرصرة وقيل هي
البادرة من الصر كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي
تحرق بشدة بردها وقال مجاهد هي الشديدة السموم
عاتية اي مجاوزة للحد في شدة عصفها والعتو استعارة
او عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار
ببناء او لياذ بجبل او اختفاء في حفرة فانها كانت تنزعهم
من مكانهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت
بلا كيل ولا وزن وروي انه صلى الله عليه وسلم قال
ما ارسل الله تعالى سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة
من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم
نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرا انا لما
طغى الماء حملناكم في الجارية وان الريح يوم عاد عتت
على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح صرصر عاتية
سخرها اي ارسلها **عليهم** وقال مقاتل سلطها عليهم **سبع**
ليال اي لا تفتر فيها الريح لحظة **وثمانية ايام** كذلك قال

وهي هي الايام التي تسميها العرب ايام العجوز ذات برد
وريح شديدة قيل سميت عجوزا لانها في عجز الشتاء وقيل
سميت بذلك لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها
الريح فقتلها قال مجاهد وقال قتادة متتابعة ليس فيها
فترة فعلى هذا هو من حسم الكي وهو ان يتابع على
موضع الداء المكواة حتى يبرأ ثم قيل لكل شي يتتابع حاسم
وجمعه حسوم مثل شاهد وشهود وقال الكلبي حسو
ما دايما وقال النضر بن شميل حسمتهم قطعتهم واهلكتهم
والحسم القطع والمنع ومنه حسم الداء وقال عطية حسوما
شوما كانها حسمت الخير عن اهلها تنبيه في اعراب
حسوما اوجه احدها ان ينتصب نعتا لما قبله ثانيها
ان ينتصب على الحال اي ذات حسوم ثالثها ان ينتصب
على المصدر بفعل من لفظها اي تحسمهم حسوما واختلفوا
في اولها فقال السدي غداة يوم الاحد وقال الربيع
بن انس غداة يوم الجمعة وقال يحيى بن سلام ووهب
بن منبه غداة يوم الاربعاء وهو اليوم النحس المستمر
قيل كان اخر اربعاء في السنة واخرها يوم الاربعاء وقال
البقاعي وهي من صبيحة الاربعاء لثمان بقين من شوال
الى غروب الاربعاء الاخر وهو اخر الشهر وقد لزم من زيادة
عدد الايام ان الابتداء كان بها قطعا والا لم تكن الليالي
سبعا فتامل ذلك فانه دقيق وهو ظاهر ولما كان انعكاسهم
المهلك مسببا عنه قوله تعالى مصورا لحالهم الماضية
فترى القوم اي الذين هم في غاية القدرة على ما

يجا

يجادلونه فيها اي تلك المدة من الايام والليالي لم يتاخر
احد منهم عنهم صرعى اي مجندلين على الارض موتى
جمع صريع وهي حال نحو قتيل وقتلى وجريح وجرحى
والضمير فيها للايام والليالي كما مر او للبيوت او للريح قال
ابن عباس والاول اظهر لقربه كانهم اعجاز اي اصول
نخل قد شاخت وهرمت فهي في غاية العجز خاوية
اي متآكلة الاجواف ساقطة من خوى النجم اذا سقط
للغروب ومن خوى المنزل اذا خلا من قطانه قالوا كانت
تدخل من افواههم فتخرج ما في اجوافهم من الحشو
من ادبارهم والوصف بذلك لعظم اجسامهم وتقطيع
الريح لهم وقطعها لرؤسهم وخلوهم من الحياة وتسويدها
لهم فهل ترى اي ايها المخاطب الخبير بالناس في جميع
الاقطار لهم اي خصوصا وعرف في النفي وعبر بالمصدر
الملحق بالهاء مبالغة فقال تعالى من باقية فيكون المراد
بالباقية البقاء كالطاغية بمعنى الطغيان اي من بقاء
والاحسن ان يكون صفة لفرقة او طائفة او نفس
او بقية او نحو ذلك وقيل فاعلة بمعنى المصدر
كالعاقبة والعافية قال المفسرون والمعنى هل ترى
لهم احدا باقيا قال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية
ايام احياء في عذاب الله تعالى من الريح فلما امسوا
في اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم في البحر
فذلك قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وقوله تعالى
فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ولما انه تعالى هلكها

عليه السلام ومن امن به من بينه ثمود ولم تنفرهم
الصاعقة وهود عليه السلام ومن امن به من عاد
ولم يهلك منهم احد فدل ذلك دلالة واضحة على انه
تعالى تام العلم بالجزئيات كما انه كامل الاحاطة
بالكليات وعلى قدرته واختياره وحكمته فلا يجعل
المسلم كالمجرم ولا المسيء كالمحسن والجواب هل لم ينج
منهم احد وجاء فرعون اي الذي ملكناه طاغية من الارض
وتجبر وادعى الالوهية ناسيا نعمتنا وقدرتنا وقوله
تعالى ومن قبله قرأه ابو عمرو والكسائي بكسر القاف
وفتح الباء الموحدة على انه ظرف اي ومن تقدمه
من الامم الكافرة والمؤتفكات اي اهلها وهي قرى قوم
لوط اي المنقلبات باهلها حتى صارت عاليها سافلها
لما حصل لاهلها من الافعال بالخاطئة اي بالفعلات
ذات الخطا الذي يتخطاه منها الى نفس الفعل القبيح
من اللواط والصفع والضراط مع الشرك وغير ذلك
من انواع الفسق ولمخالفة الرسل كما ترد الواحد لاتفاق
تعاضدهم في الدعاء الى الله تعالى والحمل على طاعته
قال مسببا عن تجنبهم لذلك موحدا في اللفظ ما هو
صالح للكثير بارادة الجنس فعصوا اي خالفوا رسول
ربهم اي خالفت كل امة منهم رسله المحسن اليها بايجادها
من العدم وابداعها الغريب وتربيتها وبعث رسولها
لارشادها اغترارا باحسانه ولم يجوزوا ان المحسن يقدر
على الضر كما قدر على النفع لانه الضار كما انه النافع

فللتنبيه

وللتنبيه على مثل ذلك لا يجوز فعل احد الا بمعنى عن
الاخر وسبب عن العصيان قوله تعالى فاخذهم اي ربهم اخذ
قهر وغضب اخذة الم تبق من امة منهم احدا ممن كذبوا الرسول
فلم تكن كمن ينصر على عدو من المؤمنين لا بد ان تفوته
كثير منهم وان اجتهد في الطلب وما ذاك الا لتمام علمه
سبحانه بالجزئيات وكلياته وشمول قدرته وتلك الاخذة
مع كونها بهذه العظمة مع انها اخذتهم كنفس واحدة جعلها
سبحانه رابية اي عالية عليهم زائدة في الشدة على غيرها
وعلى عذاب الامم يقال ربا الشيء يربو اذا زاد ومنه
الربا اذا اخذ في الذهب والفضة اكثر مما اعطي والمعنى
انها كانت زائدة في الشدة على عقوبات سائر
الكفار وقيل لان عقوبة آل فرعون متصلة بعذاب
الآخرة لقوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وعقوبة الآخرة
اشد من عقوبة الدنيا فتلك العقوبة كانت كانها تنموا
وتربوا ثم ذكر تعالى قصة نوح وهي قوله تعالى انا
اي على عظمتنا لما طغى الماء اي زاد عن الحد حتى علا
اعلى جبل في الارض بقدر ما يغرق من كان عليه حين
اغرقنا قوم نوح عليه السلام به فلم يخلصوا منه ولا
قوة بوجه من الوجوه وقال صلى الله عليه وسلم طغى
الماء على خزانه من الملائكة غضبا لربه تعالى
فلم يقدروا على حبسه قال المفسرون زاد على كل شيء
خمسمائة ذراع وقال ابن عباس طغى الماء زمن نوح على
خزانه فكثر عليهم فلم يدروا كم خرج وليس من الماء قطرة

تنزل قبله ولا بعده الا بتكميل معلوم غير ذلك اليوم المقصود
من قصص هذه الامم وذكر ما حل بهم من العذاب زجر
هذه الامة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول ثم من
عليهم بان جعلهم ذرية من نجي من الغرق بقوله تعالي
حملناكم اي في ظهور ابائكم في الجارية اي السفينة التي
جعلناها بحكمتنا عريقة في الجريان حتي كانه لا جارية
غيرها علي وجه الما الذي جعلنا من شانه الاغراق والحول
في الجارية انما هو نوح واولاده وكل من علي وجه
الارض من نسل بجوار المنشاة في البحر كالاعلام
وغلب استعمال الجارية في السفينة كقولهم في بعض الالغاز
رايت جارية في بطن جارية في بطنها رجل في بطنها حمل
ونوح عليه السلام اول من صنع السفينة وانما صنعها
بوحي من الله تعالي وحفظه له قال اجعلها كهيئة صدر
الطاير ليكون ما جري في الما مقارنا لما يجري في الهوا واغرقنا
سوي من في تلك السفينة ما جميع الارض من ادمي
او غيره لنجعلها اي هذه الفعلة العظيمة وهي انجا المومنين
بحيث لا يهلك منهم بهذا العذاب احد واهلاك الكافرين
عليه المحيط لا يشذ منهم احد وكذا السفينة التي حملنا
فيها نوحا عليه السلام ومن معه لكم ايها الناس تذكرة اي
عبرة ودلالة علي قدرته تعالي وعظمته ورحمته وقهره
فتهديكم ذلك اليه وتبني قلوبكم عليه وقوله تعالي
وتعيها عطف منصوب علي لنجعلها اي ولتحفظ قصة
السفينة وغيرها مما تقدم حفظا ثابتا مستقرا كانه يكون

في

في وما اذن اي عظيمة النفع واعية اي من شانها ان تحفظ
ما ينبغي حفظه من الاقوال والافعال الالهية والاسرار
الربانية لنفع عباد الله كما كانت نوح عليه السلام ومن معه
وهم قليل تسالك لاقامة النسل والبركة فيحيي امثاله منه
الارض والوعي حفظ في النفس والايعاء تحفظ في الوعا
كالاناء يحفظ به فان قلت لم قال اذن واعية علي التوحيد
والتنكير قلت للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ
للناس بقلة الوعي منهم وللدلالة علي ان الاذن الواحدة
اذا عقلت عن الله تعالي فهو السواد الاعظم عند الله
وان ما سواها لا يبالي بهم بالة وان ملوا ما بين الخافقين
انتهي وقرا نافع بسكون الذال والباقون بضمها ولما
ذكر تعالي القيامة وهول امرها بالتعبير بالحاقة وغيرها
شرع سبحانه وتعالي فاذا نفخ وبنا الفعل للمجهول دلالة
علي هوان ذلك عليه وان ما يتاثر عنه لا يتوقف علي
نافخ معين بل من اقامه لذلك من جنده فاثر هذه
ما يريده في الصور اي القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل
عليه السلام قال البقاعي كانه عبر عنه به دون القرن
مثلا لانه يتاثر تارة انعدام الصورة وتارة ايجادها
وردها الي اشكالها سعته كما بين السما والارض نفخة
واحدة للفصل بين الخلايق قال الزمخشري فان قلت
هما نفختان فلم قيل واحدة قلت معناه انها لا تثني
في وقتها ثم قال فان قلت فاي النفختين هي قلت الاولي
لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس

وهو روي عنه انها الثانية قال الشافعي وظاهر
السياق انها الثانية التي بها البعث وجزاء ما ذكر
بعد فناهم النسبة لا مذاهب وكونها الثانية اقوى الروايتين
ولكل قال المحلي على انها الثانية وهو الانسب كما قال الشافعي
ثم ان الزمخشري سال سوالا على انها النفخة الاولى بقوله
فان قلت اما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو
عند النفخة الثانية قلت جعل اليوم اسما للحين الواسع
الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف
للحساب فلذلك قال يومئذ تعرضون كما تقول جئتك
عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته
انتهى ولما ذكر التاثير في الاحيا اتبعه التاثير في الجمادات
وبدا منها بالسفليات لملابستها للانسان فتكون عبرته
بها اكثر فقال تعالى وحملت الارض والجبال اي رفعتا
بيانا حملتها الريح او الملائكة او القدرة من اماكنهما
فدكتا اي سحقت الحلتان الارض واوتادها وبسطت
ودق بعضها ببعض دكة واحدة اي فصارتا كثيبا
مهيلا وهباء منبثا فلم يتميز شي من الارض بل صارتا في غاية
الاستواء ومنه اندك سنام البعير اذا انفرش في ظهره
وقال البغوي فدكتا لانه جعل الجبال كلها كالجملة
الواحدة ولم يقل فدككن وهذا الدك كالزلزلة لقوله تعالى
اذا زلزلت الارض زلزالها وقوله تعالى فيومئذ منصوب
بوقعت وقوله تعالى وقعت الواقعة لا بد منه تاويل
وهو ان تكون الواقعة صارت علما بالغلبة على القيامة

او القيامة بالعظمة والا فقيام القائم لا يجوز الا لفائدة
فيه والتنوين في يومئذ للعوض من الجملة وتقديره يوم
اذ نفخ في الصور ونوع تعالى اسماء القيامة بالحاقة والواقعة
والقارعة تهويلا لها ولما ذكر تعالى تاثيرها في السفلي
ذكر العلوي بقوله تعالى [illegible] اي ذلك لشدة
وانشقت السماء
هول ذلك اليوم اي انصدعت وتفطرت وقيل انشقت
لنزول الملائكة بدليل قوله تعالى ويوم تشقق السماء با
لغمام ونزل الملائكة تنزيلا فهي يومئذ واهية اي ضعيفة
متساقطة خفيفة لا تماسك كالعهن المنفوش بعدما كانت
محكمة يقال وهى البناء يهي وهيا فهو واه اذا ضعف جدا
ويقال كلام واه اي ضعيف وقيل واهية اي متخرقة ماخوذ
من قولهم وهى السقاء اذا تخرق ومن امثالهم
خل سبيل من وهى سقاؤه ومن هريق بالفلاة ماؤه
اي من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه وقرا ابو عمرو
وقالون والكسائي بسكون الهاء والباقون بكسرها
والملك اي هذا النوع على ارجائها اي نواحي السماء واطرافها
وحواشيها ما لم ينشق منها قال الضحاك يكونون بها حتى يامرهم
الله تعالى فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها وقال
سعيد بن جبير المعنى والملك على حافات الدنيا اي ينزلون
الى الارض يحرسون اطرافها وقيل اذا صارت السماء
قطعا تقف الملائكة على تلك القطع التي ليست متشققة في
انفسها والارجاء في اللغة النواحي والاقطار بلغة هذيل
واحدها رجا مقصور وتثنيته رجوان مثل عصا وعصوان قال القائل

فلا ترمي بي الرجوان اني اقل القوم من يغني مكاني
قال ابن عادل ورجا هنا يكتب بالالف عكس رجال لانه من
ذوات الواو فان قيل الملائكة يموتون في الصعقة الاولى
لقوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض فكيف
يقال انهم يقفون على ارجاء السماء اجيب من وجهين
الاول انهم يقفون لحظة على ارجاء السماء ثم يموتون والثاني
المراد الذين استثنوا في قوله تعالى الا من شاء الله وقيل
ان الناس اذا راوا جهنم هالتهم فيندوا كما تند الابل فلا
ياتون قطرا من اقطار الارض الا راوا الملائكة فيرجعوا
من حيث جاءوا وقيل على ارجائها ينتظرون ما يومرون
به في اهل النار من السوق اليها وفي اهل الجنة من
التحية والكرامة وهذا كله يرجع الى قول ابن جبير
ويدل عليه قوله تعالى ونزل الملائكة تنزيلا قاله الزمخشري
فان قلت ما الفرق بين قولك والملك بين ان يقال
والملائكة قلت الملك اعم من قولك ما من ملك الا وهو
شاهد اعم من قولك ما من ملائكة انتهى وقال ابو حيان
ولا يظهر ان الملك اعم من الملائكة لان المفرد المحلى بالالف
واللام فصاراه ان يكون مرادا به الجمع المحلى ولذلك صح
الاستثناء منه ثم قال ولان قوله على ارجائها يدل على
الجمع لان الواحد لا يمكن ان يكون على ارجائها في وقت
واحد بل ينتقل عليه ارجائها في اوقات ولما كان الملك يظهر
في يوم العرض تسيير ملكه وتحل عزه قال تعالى ويحمل
عرش ربك اي المحسن اليك بكل ما تربيه لا سيما في ذلك

اليوم

اليوم بما يقع من رحمتك عليه سائر الخلق والضمير في قوله
تعالى فوقهم يومئذ اي في يوم وقعت الواقعة يجوز ان
يعود على الملك لانه بمعنى الجمع كما تقدم وان يعود على
الحاملين في قوله تعالى ثمانية اي وقيل يعود على جميع
العالم اي ان الملائكة تحمل عرش الله تعالى فوق العالم
كله واختلف في هذه الثمانية فقال ابن عباس ثمانية
صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقال
ابن زيد هم ثمانية املاك وعن الحسن الله اعلم كم هم ثمانية
ام ثمانية الاف ام ثمانية صفوف وفي الحديث انه صلى
الله عليه وسلم قال ان حملة العرش اليوم ثمانية فاذا كان يوم
القيامة امدهم الله تعالى باربعة اخرى فكانوا ثمانية على
صورة الاوعال وفي رواية ثمانية اوعال ما بين اظلافهم الى
ركبهم كما بين سماء الى سماء وفي حديث اخر لكل ملك منهم
وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه
منها يسال الله الرزق لذلك الجنس فان قيل اذا لم يكن
فيهم صورة فكيف سموا اوعالا اجيب بانه وجد الثور
اذا كانت له قرون اشبه الوعل وعنه انه صلى الله عليه
وسلم انه قال اذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة
الله تعالى من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه
مسيرة سبعمائة عام اخرجه ابو داود باسناد صحيح وعن
ابن عباس حملة العرش ما بين اخمص احدهم الى كعبه
مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبته خمسمائة ومن ركبته
الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمر

قال الذين يحملون العرش ما بين سوق احدهم الى موخر
عينه خمسمائة عام وفي الخبر ان فوق السماء السابعة ثمانية
املاك على صورة الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها
مسيرة سبعين عاما للطائر المسرع وروي ان ارجلهن في
الارض السابعة واضافة العرش الى الله تعالى كاضافة البيت
اليه وليس البيت للسكنى فكذلك العرش ليس للجلوس
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فانه خالق للعرش ولحملة
العرش ولا يحيط به جهة وهو العلي العظيم وعن شهر بن
حوشب قال حملة العرش ثمانية اربعة منهم يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك
واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد
على حلمك بعد علمك ولما بلغ تعالى النهاية في تحذير
العباد يوم التناد وكان لهم حالتان عامة وخاصة فالعامة
والخاصة التقسيم الى محسن ومسيء زاد عظمها بقوله تعالى
يومئذ اي ان الكائن جميع ما تقدم تعرضون على الله للحساب
كما يعرض السلطان الجند لينظر في امرهم ليختار منهم
المصلح للتقريب والاكرام والمفسد للابعاد والتعذيب
عبر بالعرض عن الحساب الذي هو جزؤه والمحسن لا يكون
لغير ذلك والمسيء يناقش لا تخفى منكم الا في ذلك
اليوم على احد بوجه من الوجوه وقرا حمزة والكسائي بالياء
التحتية لان التانيث مجازي والباقون بالتاء وهو ظاهر
خافية اي من السرائر التي كان من حقها ان تخفى في دار
الدنيا فانه عالم بكل شيء من اعمالكم ونظيره قوله تعالى لا يخفى

على

على الله منهم شيء قال الرازي والغرض المبالغة في التهديد
يعني تعرضون على من لا يخفى عليه خافية قال القرطبي
هذا هو العرض على الله تعالى ودليله وعرضوا على
ربك صفا وليس ذلك عرضا ليعلم ما لم يكن عالما به بل ذلك
العرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة وتقدير الاعمال
عليهم للمجازاة قال صلى الله عليه وسلم يعرض الناس
يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير
واما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ
بيمينه وآخذ بشماله قال تعالى فاما من اوتي كتابه
بيمينه اي الذي اثبت فيه اعماله فيقول لما راى من سعادته
تبجحا به واظهارا للنعمة ربه لان الانسان مطبوع
على ان يظهر ما اتاه الله تعالى من خير تكميلا لله به
قيل انه يكتب سيئاته في باطن صحيفته وحسناته في ظاهرها
فيقرا الباطن ويقرا الناس الظاهر فاذا انتهى قيل له قد
غفرها الله تعالى اقلب الصحيفة فحينئذ يكون قوله تعالى
هاؤم اقرؤا احذوا اقروا كتابيه يقول ذلك ثقة
بالاسلام وسرورا بنجاته لان اليمين عند العرب من دلائل
الفرح قال الشاعر ۞ اذا ما راية رفعت لمجد ۞ تلقاها عرابة باليمين
قال ابن عباس اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه
الامة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس قيل فاين ابو
عمر بن الخطاب وله شعاع بكر قال هيهات زفته الملائكة
الى الجنة وقال ابن زيد معنى هاؤم تعالوا فتعدى بالى
وقال مقاتل هلم وقال غيره خذ ومنه الحديث في الربا

الا ها وما اي يقول لكل لصاحبه خذوا هذا هو المشهور
ولذلك فسرت به الاية الكريمة وقيل هي كلمة وضعت
لاجابة الداعي عند الفرح والنشاط وفي الحديث انه صلى
الله عليه وسلم ناداه اعرابي بصوت عالي فاجابه النبي
صلى الله عليه وسلم هاؤم بصولة صوته وقيل معناها هـا
اقصدوا وزعم قوم انها مركبة من ها الكناية وامو امر
من الام وهو القصد فصيره التخفيف والاستعمال الى هاؤم
وقيل الميم ضمير جماعة الذكور وزعم القتبي ان الهمزة
بدل من الكاف قال ابن عادل فان عنى انها تحل محلها
فصحيح وان عنى البدل الصناعي فليس بصحيح تنبيه
كتابية منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين
باقرؤا لانه اقرب العاملين والاصل كتابي فادخل
الها لتبيين حركة اليا والها في كتابية وحسابية وسلطانية
وماليه للسكت وكان حقها ان تحذف وصلا وتثبت وقفا
وانما اجري الوصل مجرى الوقف او وقف بنية الوقف
في كتابية وحسابية اتفاقا فاثبت الها وكذلك في
ماليه وسلطانية وماهية في القارعة عند القرا كلهم
الا حمزة فانه حذف الها من هذه الكلم الثلاث وصلا
واثبتها وقفا لانها في الوقف يحتاج اليها لتحصين حركة
الموقوف عليه وفي الوصل يستغنى عنها فان قيل لم يفعل
ذلك في كتابية وحسابية اجيب بانه جمع بين اللغتين
اني ظننت قال ابن عباس اي ايقنت وعلمت وقيل
ظننت انه يؤاخذني الله بسياتي عذبني فقد تفضل
علي

علي بعفوه ولم يؤاخذني بها وقال الضحاك كل ظن من المومن
في القران فهو يقين ومن الكافر فهو شك وقال مجاهد
ظن الاخرة يقين وظن الدنيا شك وقال الحسن في هذه
الاية ان المومن احسن الظن بربه فاحسن العمل وان المنافق
اساء بربه الظن فاساء العمل اني ملاق اي ثابت لي مما سا
لا ينفك اني القى حسابية اي في الاخرة ولم ينكر البعث
يعني انه ما نجا الا بخوفه من يوم الحساب لانه تيقن ان الله
تعالى يحاسبه فعمل للاخرة تحقق الله تعالى رجاه وامن
خوفه فعلم الان ان الدنيا قبل الحساب وانما حسابه بالعرض
وهو الحساب اليسير فضلا من الله تعالى ونعمة فهو في عيشة
اي حالة من العيش وقوله تعالى راضية فيه ثلاثة اوجه
احدها انه على النسب اي ذات رضى نحو لابن وتامر
لصاحب اللبن والتمر لانه لا تبقى لها الرضا ودايم لها كلها
في غاية الحسن والكمال والعرب لا تعبر عن اكثر السعادات
باكثر من المعيشة الراضية بمعنى ان اهلها راضون بها
والمعتبر في كمال اللذة الرضا الثاني انه على اظهار جعل
المعيشة راضية لمحلها وحصولها في مستحقها وانه لو كان
للمعيشة عقل لرضيت لنفسها على التها الثالث قال ابو
عبيدة والفرا ان هذا مما جا فيه فاعل بمعنى مفعول نحو
ما دافق بمعنى مدفوق كما جعله مفعول بمعنى فاعل كما
في قوله تعالى حجابا مستورا اي ساترا وقال صلى الله
عليه وسلم انهم يشبون فلا يهرمون ابدا ويصحون فلا
يمرضون ابدا وينعمون فلا يبوسون ابدا ويشبون

انها في جنة اي بساتين جامعة لجميع ما يراد منها عالية اي
من نفقة في المكان والمكانة والابنية والدرجات
والاشجار وكل اعتبار وقوله تعالى قطوفها جمع كثرة
لقطف بالكسر وهو فعل بمعنى مفعول كالذبح وهو ما
يجنيه الجاني من الثمار واما القطف بالفتح فالمصدر
القطاف بالفتح والكسر وقت القطف دانية اي قريبة
المأخذ سهلة التناول لمجد الراكب والنايم والقاعد
والمضطجع كل ذلك على سواء بما من غير انقطاع لا كلفة
على احد في تناوله شيا من ذلك وقوله تعالى كلوا
واشربوا على اضمار القول اي يقال لهم ذلك وجمع الضمير
للمعنى لان قوله تعالى فاما من اوتي كتابه يتضمن معنى
الجمع وهذا امر امتنان لا امر تكليف هنيا اي اكلا
طيبا لذيذا شهيا مع البعد عن كل اذى وسلامة
العاقبة بكل اعتبار ولا فضلة هناك من بول ولا غائط
ولا بصاق ولا مخاط ولا عرق ولا وهن ولا صداع
ولا ثقل والباء في قوله تعالى بما اسلفتم سببية وما مصدرية
او اسمية اي بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخا ليه
اي الماضية في الدنيا التي انقضت وذهبت واراحكم
من تعبها ومن مجاهدة ايام الصيام اي كلوا واشربوا
بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله تعالى وروي
يقول الله تعالى يا اوليائي طال ما نظرت اليكم في
الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت
اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا

واشربوا

واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية ولما كانت الحالة
جارية بان اهل العرض ينقسمون الى مقبول ومردود
وذكر سبحانه المقبول بادئا به تشويقا الى حاله وتنشيطا
بعاقبته وحسن حاله اتبعه المردود تنفيرا عن اعماله
بما ذكر من قبايح احواله فقال تعالى واما من اوتي كتابه
اي صحيفته حسابه بشماله فيقول اي لما يرى من سوء
عاقبته التي كشف له عنها الغطا حتى لم يشك فيها لما راى
من قبايحه التي قدمها يا ليتني تمنيا للمحال لم اوت اي
من اي موت ما كتابيه اي هذا الذي ذكرت جميع
اعمالي وعرفني جزاها ولم اي ويا ليتني لم ادر ما حقيقة
حسابيه من ذكر العمل وذكر جزايه بل استمر جاهلا
لذلك كما كنت في الدنيا ثم يتمنى الموت ويقول يا ليتها
اي الموتة الاولى وان لم تكن مذكورة الا انها لظهورها
كانت كالمذكورة كانت القاضية اي القاطعة لحياتي بان
لا ابعث بعدها لم القى ما وصلت اليه قال قتادة يتمنى
الموت ولم يكن في الدنيا عنده شيء اكره من الموت وشر
من الموت ما يطلب منه الموت قال الشاعر ∴
وشر من الموت الذي انت لقيته تمنيت منه الموت والموت اعظم
والمعنى يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت
علي وقوله ما اغنى عني ماليه يجوز ان يكون نفيا
تاسفا على فوات ما كان يرجو منه والمفعول على هذا
التقدير محذوف للتعميم ويجوز ان يكون استفهام توبيخ
لنفسه حيث سولت له ما اورثه كل سوء وكل محال اي اي

شئ اعني ما كان لي من اليسار الذي منعت منه حق
الفقرا وتعظمت به عباد الله هلك عني سلطانية اي
ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن
عباس ان هذه الاية نزلت في الاسود بن عبد الاسد
ومن فنا حسرة الملقب بالعضد انه لما قال
عضد الدولة وابن ركنها ملك الاملاك غلاب القدر
لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطق لسانه الا بهذه الاية
وقال ابن عباس هلكت عني حجتي ومعناه بطلت
حججي التي كنت احتج بها في الدنيا وذكر الضحاك ان
الاية الاولى في اخي الاسود عبد الله بن عبد الاسد
المخزومي ولما كان كانه قيل هنا من قال ما تقال
له اجيب بانه يقال للزبانية عليه ركز الاشهاد خذوه
اي ايها الزبانية الذين كان مستهزيا بهم عند سماع ذكرهم
فغلوه اي اجمعوا يديه الى عنقه ورجليه الى وراه قفاه
الى ناصيته ثم الجحيم اي النار العظمى التي تجمع على
من يريد دفاعها وتحجم عنها من دامها لانها في غاية
الحمو والتوقد والتغيظ والشدة صلوه اي بالغوا في
تصليته اياها وكررها بغمسه في النار كالشاة المصلية
مرة بعد اخرى لانه كان يتعاظم على الناس فناسب ان
يصلى اعظم النيران وعبر بصيغة اداة التراخي للرتبة
مدخولها فقال موذنا بعدم الخلاص وتقديم المعمول يفيد
الاختصاص عند بعضهم ولذلك قال الزمخشري ثم لا تصلوه
الا الجحيم قال ابو حيان وليس ما قاله مذهبا لسيبويه ولا

لحذاق

لحذاق النحاة انتهى لكن كلام النحاة لا يابى ما قاله ثم في سلسلة
اي عظيمة جدا وقوله تعالى ذرعها سبعون ذراعا يحتمل
ان يكون هذا العدد حقيقة وعلى هذا قال ابن عباس
سبعون ذراعا بذراع الملك تدخل في دبره وتخرج من منخره
وقيل تدخل من فيه وتخرج من دبره وقال نوف البكالي
سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد مما بينك
وبين مكة وكان في رحبة الكوفة قال سفيان كل ذراع
سبعون ذراعا وقال الحسن الله اعلم اي ذراع هو ويحتمل
ان يكون مبالغة كما قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة
بريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد والذي
يدل على هذا ما رواه الترمذي وقال اسناده حسن
عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة
ارسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة
سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من راس
السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان
تبلغ اصلها وقعرها وعن كعب انه قال لو جمع حديد
الدنيا ما وزن حلقة منها اجارنا الله تعالى ومحبينا
منها وجميع المسلمين واشار سبحانه الى ضيقها على ما
يحيط به من بدنه بتعبيره بالسلك فقال تعالى فاسلكوه
اي ادخلوه بحيث يكون كانه السلك اي الخيط الذي يدخل
في ثقب الخرزة بعسر لضيق ذلك الثقب اما باحاطتها
ببعضه او بجميع بدنه بان تلف عليه قال الزمخشري والمعنى

في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على
التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كأنها افظع
من ساير مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة
على تفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينها وبين
السلك في السلسلة لا على تراخي المدة انتهى ولما ذكر
سبحانه على الاجمال عقابه اتبعه اسبابه فقال تعالى انه
كان اي جبلة وطبعا وان اظهر شيئا يلبس به على الضعفا
ويدلس على الاغنيا لا يؤمن اي الان ولا في مستقبل
الزمان بالله اي الملك الاعلى الذي يعلم السر واخفى
العظيم اي الكامل العظمة وهذا تعليل على طريق
الاستئناف وهو ابلغ كأنه قيل ما له يعذب هذا العذاب
الشديد فاجيب بذلك وفي قوله تعالى ولا يحض اي يحث
على بذل طعام المسكين دليلان قويان على عظم
الجرم في حرمان المسكين احدهما عطفه على الكفر وجعله
قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك
الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما احسن القايل
اذا نزل الاضياف كان عذورا على الحي حتى تستقل مراجله
يريد حضهم على القرى واستعجلهم وعن ابي الدردا انه
كان يحض امراته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان
يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها
الباقي بالطعام وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو
يشا الله اطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين ولما وصفه
سبحانه بافحش العقايد واشنع الرذايل تسبب عنها قوله تعالى

فليس

فليس له اليوم هاهنا اي في مجمع القيامة كله حميم اي
صديق خالص يحميه من العذاب لانهم كلهم له اعدا لانه
كان لا يرق على الضعفا لما هم فيه من الاقلال من حطام
الاموال ولا طعام الا من غسلين اي غسالة اهل النار
وصديدهم وقيحهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون
اي اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم
المشركون لا من الخطأ المضاد للصواب وهذا الطعام مقابل
ما في بطونهم من الاعيان والمعاني التي بها حرام صار جبها
وهي بمنزلة ما كانوا يمنعون من اموالهم التي اعطوها
وادخروها في خزائنهم واستاثروا بها على الضعفا فلا اقسم
اي لا يقع مني اقسام بما تبصرون اي من المخلوقات وما
لا تبصرون منها اي بكل الموجودات واجبها وجايزها معقولها
ومحسوسها لانها لا تخرج عن قسمي مبصر وغير مبصر
وقيل الدنيا والاخرة والاجسام والارواح والانس
والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة لان
الامر اوضح من ان يحتاج الى اقسام وان كنت اقسم
في غير هذا الموضع بما شئت ولو قيل بهذا في الواقعة
لكان حسنا وقيل لا زايدة وجرى على ذلك الجلال
المحلي انه اي القرآن لقول اي تلاوة رسول اي انا ارسلته
بروعي اخذه وليس فيه شي من تلقا نفسه انما
هو كلام رسالة واضح جدا انه انما جا به عن الله مجان
الذي يشهد الله كله بي كريم اي على الله تعالى فهو في
غاية الكرم الذي هو البعد من مساوي الاخلاق باظهار

معاليها لشرف النفس وشرف الآبا وهو محمد صلى الله
عليه وسلم وكرم النبي اجتماع الكمالات اللائقة
به فيه وقيل هو جبريل عليه السلام قاله الحسن والكلبي
لقوله تعالى رسول كريم ذي قوة والاستدلال الاول
بقوله تعالى **وما هو بقول شاعر** اي ياتي بكلام مقفى
موزون بقصد الوزن قال مقاتل سبب نزول هذه
الاية ان الوليد بن المغيرة قال ان محمدا ساحر وقال ابو
جهل شاعر وقال عقبة كاهن فرد الله تعالى ولجبريل
ولمحمد صلى الله عليه وسلم اجيب بان الاضافة يكفي فيها
ادنى ملابسة فالله تعالى اظهره في اللوح المحفوظ
وجبريل عليه السلام بلغه للنبي صلى الله عليه وسلم وهو
بلغه للامة **قليلا ما تؤمنون** منصوب نعتا لمصدر
او زمان محذوف اي ايمانا قليلا او زمانا قليلا والنا
صب يؤمنون وما يحتمل ان تكون نافية فينتفي ايمانهم
البتة ويحتمل ان تكون مصدرية وتتصف بالقلة
فهو الايمان اللغوي لا الشرعي لانهم قد صدقوا باشيا
يسيرة لا تغني عنهم شيا وهو اخلاصهم بالوحدانية
عند الاضطرار واقرارهم بخالق الخلق والربوبية
ولا بقول كاهن وهو المنجم الذي يخبر عن الاشيا
واغلبها ليس له صحة وقوله تعالى **قليلا ما تذكرون**
ياتي فيه ما تقدم في قليلا ما تؤمنون وقال البغوي
اراد بالقليل نفي اسلامهم اصلا كقولك لمن لا يزورك
قل ما تاتينا وانت تريد لا تاتينا اصلا وقرا قليلا

ما

[illegible]

ما يؤمنون ما يذكرون ابن كثير وابن عامر بخلف
عن ابن ذكوان بالياء التحتية فيهما والباقون وقوله
تعالى **تنزيل** خبر لمبتدا مضمر اي هو تنزيل على وجه
التنجيم قال البقاعي واشار الى الرسالة الى جميع
الخلق من اهل السموات والارض بقوله تعالى **من رب**
العالمين اي موجدهم ومدبرهم بالاحسان اليهم
بما يليق بكل منهم من هذا الذكر باتيانهم به وترتيب سبحانه
نظمه على وجه سهل على كل منهم يكفي في هدايته
انتهى وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم ارسل
للملائكة وهو الذي ينبغي وان لم يكونوا مكلفين تشريفا
لهم زيادة في شرفه برسالته صلى الله عليه وسلم
اليهم **ولو تقول** اي كلف نفسه ان يقوله مرة من الدهر
كذبا **علينا** اي على ما لنا من العظمة **بعض الاقاويل**
اي الذي لم نقلها او قلناها ولم ناذن له فيها قال
الزمخشري التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من
المفتعل وسمى الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا لها
وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع
افعولة من القول والمعنى لو نسب الينا قولا لم نقله
او لم ناذن له في قوله **لاخذنا** اي لنلنا **منه** اي عقابا
باليمين اي بالقوة والقدرة تنبيه الباء على اصلها
غير زائدة والمعنى لاخذناه بقوة منا فالباء حالية والحال
من الفاعل وتكون منه في حكم الزائدة واليمين هنا
مجاز عن القوة والغلبة فان قوة كل شيء في ميامنه

وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد ومنه قول الشماخ
اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين •
وقال ابو جعفر الطبري هذا الكلام خرج مخرج الاذلال
على عادة الناس في الاخذ بيد من يعاقب ويجوز
ان تكون الباء مزيدة والمعنى لاخذنا منه يمينه والمراد
باليمين الجارحة كما يفعل بالمقتول صبرا يواخذ بيمينه
ويضرب بالسيف في جيده مواجهة وهو اشد على
المصبور لنظره الى السيف اخذه بيمينه انتهى وقال
نفطويه المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف وقال السدي
ومقاتل المعنى انتقمنا منه بالحق واليمين على هذا
بمعنى الحق كقوله تعالى انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل
الحق ثم لقطعنا اي عاقبناه بالعظمة قطعا تتلاشى عنه
كل قطع منه الوتين اي نياط القلب وهو يتصل به من
الراس اذا انقطع مات صاحبه قال ابو زيد وجمع الوتين
وثلاثة اوتنة والموتون الذي قطع وتينه وقال
الكلبي هو عرق بين العلباء والحلقوم وهما علباوان بينهما
العرق والعلباء عصب العنق وقيل عرق غليظ تصادفه
شفرة الناحر وقال مجاهد هو حبل القلب الذي في
الظهر وهو النخاع فاذا انقطع بطلت القوى ومات
صاحبه وقال محمد بن كعب انه القلب ومراقه وما
يليه وقال عكرمة ان الوتين اذا قطع لا ان جاع عرف
ولا ان شبع عرف وقيل الوتين من مجمع الوركين
الى مجمع الصدر بين الترقوتين ثم تنقسم منه سائر العروق

الى

206

الى سائر الجسد ولا يمكن في العادة الحياة بعد قطعه
وقال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد انه
لو كذب لاماتناه فكان كمن قطع وتينه ونظيره قوله صلى
الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان
انقطاع ابهري والابهر عرق متصل بالقلب فاذا انقطع
مات صاحبه فكانه قال هذا اوان يقتلني السم وحينئذ
صرت كمن انقطع ابهره فما منكم اي ايها الناس واغرق
في النفي فقال من احد عنه اي القتل حاجزين اي لا يقدر
احد منكم ان يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه والرسول صلى
الله عليه وسلم اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه القائل بقوله
بعده وبينه تنبيه من احد اسم ما ومن زائدة
لتاكيد النفي ومنكم حال من احد وعنه حاجزين خبر ما
وجمع لان احدا في سياق النفي بمعنى الجمع وضمير عنه للقتل
او النبي كما مر وانه اي القرآن لتذكرة للمتقين لانهم
المنتفعون به لاقبالهم عليه اقبال مستفيد وانا اي بما لنا
من العظمة لنعلم اي علما عظيما محيطا ان منكم اي ايها
الناس مكذبين بالقرآن ومصدقين فانزلنا الكتب
وارسلنا الرسل لنظهر منكم الى عالم الشهادة ما كنا نعلمه
في الازل غيبا من تكذيب وتصديق فتستحقون بذلك
الثواب والعقاب فلذلك وجب في الحكمة ان يعيد الخلق
الى ما كانوا عليه من اجسامهم قبل الموت ليحكم بينهم فيجازي
كلا بما يليق به اظهارا للعدل وانه اي القرآن لحسرة اي ندامة
على الكافرين اي اذا رأوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين

بين

به وانه اي القران وقيل هذا اي يوم الجزا لحق اليقين اي
الامر الثابت الذي لا يقبل الشك فهو يقين مؤكد بالحق
من اضافة الصفة الى الموصوف وهو فوق علم
اليقين وقال ابن عباس انما هو كذلك عين اليقين
ومحض اليقين فسبح اي اوقع التنزيه الكامل عن كل
شائبة نقص باسم اي بسبب علمك بصفات ربك اي
الموجد والمربي لك والمحسن اليك بانواع الاحسان العظيم
اي الذي ملأت الاقطار كلها عظمته وزادت على
ذلك بما شاء سبحانه جلاله نعمه المقولة وقال ابن عباس
اي فصل لربك العظيم وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الحاقة
حاسبه الله حسابا يسيرا حديث موضوع

سورة المعارج مكية

وهي اربع واربعون اية وما ئتان وست عشر
كلمة والف واحدي وستون حرفا الرحمن الذي لا مطمع لاحد في
حصر اوصافه سال سائل اي دعا داع بعذاب واقع
فضمن سال معنى دعا فلذلك عدي تعديته وقيل البا
بمعنى عن كقوله تعالى فاسال به خبيرا اي عنه سال سايل
عن عذاب واقع والاول اولى لان التجوز في الفعل اولى
منه في الحرف لقوته واختلف في هذا الداعي فقال ابن
عباس هو النضر بن الحارث حيث قال اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم فنزل سواله وقتل يوم بدر صبرا

هو

بحمد الله الملك تسقط الاعناق ولا مال يحرز عن عقابه م

اللهم اجعلني الذي اصطفيت من عباده ... م

هو وعقبة بن ابي معيط لم يقتل صبرا غيرهما وقيل هو
الحارث بن النعمان وذلك انه لما بلغه قول النبي صلى الله
عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه ركب ناقته
فجاء حتى اناخ راحلته بالابطح ثم قال يا محمد امرتنا عن
الله ان نشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقبلنا
منك وان نصوم شهر رمضان في كل عام فقبلناه منك
وان نحج فقبلنا منك ثم لم ترض حتى فضلت ابن عمك
عليا افهذا الشي منك ام من الله تعالى فقال النبي صلى
الله عليه وسلم والذي لا اله الا هو ما هو الا من الله فولى الحارث
وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فوالله ما
وصل الينا فقتر حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على
دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت وقال الربيع هو نوح
عليه السلام سال العذاب على الكافرين وبدل عليه
قوله تعالى بعد ذلك فاصبر صبرا جميلا اي لا تستعجل
فانه قريب وقرا نافع وابن عامر بغير همز بعد السين
والباقون بهمزة مفتوحة بعد السين تنبيه ما تقدم
من الوجهين في كون سال ضمنا وان الباء بمعنى عن
هو على القراءة بالهمز واما على عدمه ففيه وجهان
احدهما انه لغة في السوال تقول سال يسال كخاف
يخاف وعين الكلمة واو قال الزمخشري وهو من لغة
قريش والثاني انه من السيل ومعناه اندفع عليهم
واد بعذاب وقيل سال واد من اودية جهنم وقوله تعالى
للكافرين فيه اوجه احدها انه يتعلق بسال مضمنا

معنى دعا كانه قال دعا داع بعذاب واقع الثاني انه يتعلق
بواقع واللام للعلة اي نازل لاجلهم الثالث ان يتعلق بمحذوف وف
صفة ثانية لعذاب اي كائن للكافرين الرابع ان يكون
جوابا للسائل فيكون خبر مبتدا مضمر اي هو واقع على
الكافرين ليس له اي يوجد من الوجوه ولا حيلة من قبل
دافع يرده وقوله تعالى من الله اي الملك الاعلى الذي
لا كفوء له يجوز ان يتعلق بدافع بمعنى ليس له دافع من
جهته اذا جاء وقته لتعلق ارادته به وان يتعلق
بواقع وبه بدا الزمخشري اي واقع من عنده ذي المعارج
اي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم
الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المومنون في سلوكهم
او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات قال ابن
عباس ذي السموات سماها معارج الملائكة لان
الملائكة يعرجون فيها فوصف نفسه بذلك او ذي
العلو والدرجات الفواضل والنعم لانها تتصل
الى الناس على مراتب مختلفة قال ابن عباس وقتادة
والمعارج مراتب انعامه وليا به الجنة عرفا وقرا
تعرج الملائكة الكسائي بالياء التحتية والباقون بالتاء
الفوقية وادغم جيم المعارج في تا تعرج هنا السوسي
واستضعفه بعضهم ذلك من حيث ان مخرج الجيم بعيد
من مخرج التاء واجيب عن ذلك بان الادغام يكون بمجرد
الصفات وانهما يتقاربان في المخرج والجيم تشاركه التا في الا
ستفال والانفتاح والشدة والجملة من تعرج مستانفة

وقوله

وقوله تعالى والروح من عطف الخاص على العام ان اريد
بالروح جبريل كما قاله ابن عباس لقوله تعالى نزل به الروح
الامين او ملك اخر من جنسهم عظيم الخلقة وقال ابو
صالح انه خلق من خلق الله كهيئة الناس وليس بالناس
وقال قبيصة بن ذويب انه روح الميت حين يقبض اليه
اي مهبط امره من السماء وقيل هو كقول ابراهيم عليه
السلام اني ذاهب الى ربي اي الى الموضع الذي
امرني به وقيل الى عرشه وعلق بالعروج او بواقع قوله
تعالى في يوم اي من ايامكم وبين عظمه بقوله تعالى كان
اي كونا هو في غاية الثبات مقداره اي لو كان الصاعد
فيه ادميا خمسين الف سنة من سني الدنيا وذلك
انه يصعد من منتهى امر الله تعالى من اسفل الارض
السابعة روي عن مجاهد انه مقداره هذا خمسين الف
سنة وقال محمد بن اسحاق لو سار بنو ادم من الدنيا
الى موضع العرش ساروا خمسين الف سنة وقال عكرمة
وقتادة هو يوم القيامة واراد ان موقفهم للحساب
حتى يفصل بين الناس خمسون الف سنة من سني الدنيا
ليس يعني به ان مقداره طوله هذا دون غيره لان
يوم القيامة ليس له اول ليس له اخر لانه يوم ممدود
ولو كان له اخر لكان منقطعا وروي عن ابن عباس
انه قال يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين
الف سنة فما اطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده ليخفف على المومن حتى

تكون اخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا
وقيل معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير
الله تعالى لم يفرغ منه في خمسين الف سنة قال عطا ويفرغ
الله تعالى في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا وقيل فيه
خمسون موطنا على الكافر كل موطن الف سنة وما و
رد ذلك على المومن الا كما بين الظهر والعصر وروي
عن الكلبي انه قال يقول الله تعالى لو وليت حساب
ذلك الملايكة والانس والجن وطوقتهم محاسبتهم
لم يفرغوا منه في خمسين الف سنة وانا افرغ منه في
ساعة من النهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون
موطنا كل موطن الف سنة وفيه تقديم وتاخير كانه
قال ليس له دافع من الله ذي المعارج في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة تعرج الملايكة والروح اليه
فان قيل كيف الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى
في سورة السجدة في يوم كان مقداره الف سنة اجيب
بانه يحتمل ان من اسفل العالم الى اعلا العرش خمسين الف
سنة ومن اعلا سما الدنيا الى الارض الف سنة
لان عرض كل سما خمسماية فقوله في يوم من ايام الدنيا
هو مقدار الف سنة لو صعدوا فيه الى سما الدنيا
ومقدار خمسين الف سنة لو صعدوا الى العرش وقوله
تعالى فاصبر صبرا جميلا متعلق بقال للذي سال
سايل لان استعجالهم بالعذاب كان على وجه الاستهزا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر والمعنى

جا

١٢٧

جا العذاب لقرب وقوعه فاصبر على اذى قومك
والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله
تعالى وقيل ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدري
من هو وقال ابن زيد والكلبي هذه الاية منسوخة
بالقتال انهم اي الكفار يرونه اي ذلك اليوم الطويل
او عذابه بعيدا اي زمن وقوعه لانهم يرونه غير
ممكن او يتخيلون افعال من يستبعده ونراه اي لما لنا
من العظمة التي تبعث بوجوده وهو علينا هين
قريبا سوا اريد بذلك الزمان او قرب المكان
فهو هين على قدرتنا وهو ات لا محالة وكل ات قريب
والقريب والبعيد عندنا على حد سوا وقرا ابو عمرو
وحمزة والكسايي بالامالة محضة وورش بين والبا
قون بالفتح وقوله تعالى يوم تكون السما متعلق بمحذوف
اي يقع فيه من الاهوال كالمهل اي كدردي الزيت
وعن ابن مسعود كالفضة البيضا في تلونها وتكون
الجبال اي التي هي اشد الارض واثقل ما فيها كالعهن
اي كالصوف في الخفة والطيران بالريح وقيل اول
ما تتغير الجبال تصير رملا ثم عهنا منفوشا ثم هبا
منثورا منبثا ولا يسال اي من شدة الاهوال حميم
حميما اي قريب في غاية القرب والصداقة قريبا مثله
عن شي من الاحوال لتشاغل ولانه قد كشفت
لهم انه لا تغني الانساب وعلم انه لا يجزي الا بالتقوى يبصرونهم
اي يبصر بهم بهم مبصر فلا يخفى احد على احد ان

بهم

يود مكانه يود المجرم اي يتمنى الكافر وهذا النوع
سواء كان كافرا او مسلما عاصيا علم الله تعذيبه بعصيانه
لو يعني ان يفتدي اي يفدي نفسه من عذاب يومئذ
اي يوم اذ كانت هذه المخاوف وقرأ نافع والكسائي بفتح
الميم والباقون بكسرها ببنيه اي باقرب الناس اليه
واعلقهم بقلبه لشدة ما يرى ولما ذكر الصق الناس
بالفؤاد واعز من يلزمه نصره والذب عنه اتبعه ما
يليه في الرتبة والمودة بقوله تعالى وصاحبته اي زوجته
التي يلزمه الذب عنها لا سيما عند العرب من اقبح العار
ولكونه دائما معها ولما ذكر الصاحبة لما لها من تمام
الوصلة اتبعها الشقيق الذي هو عليه شفيق بقوله
تعالى واخيه اي الذي لولا نصرته عليه من يريد قال الشاعر
اخاك اخاك ان من لا اخا له كساع الى الهيجا بغير سلاح
ولما كان من بقي من الاقارب بعد ذلك متفاوتا في
الرتبة ذكر اقربهم بقوله تعالى وفصيلته اي عشيرته
الذين هم اقرب من فصل عنه وقال ثعلب الفصيلة
الاباء الادنون وقال ابو عبيدة الفخذ وقال مجاهد
وابن زيد عشيرته الاقربون التي تؤويه اي تضمه
اليها عند الشدائد وتحميه لانه اقرب الناس اليها
واعزهم عليها ولما خصص عمم بقوله تعالى ومن في
الارض اي من الثقلين وغيرهم سواء كان فيهم
صديق لا صبر عنه ولا بد في كل حال منه ام لا ثم اكد
ذلك بقوله تعالى جميعا وقوله تعالى ثم ينجيه اي ذلك

الافتداء عطف على يفتدي وقوله تعالى كلا ردع
وزجر لما يوده وقال القرطبي وانها تكون بمعنى حقا وبمعنى
لا وهي هنا تحتمل الامرين فاذا كانت بمعنى حقا كان
تمام الكلام ينجيه واذا كانت بمعنى لا كان تمام الكلام
عليها اذ ليس من عذاب الله افتداء ولما كان الاضمار
قبل الذكر اعظم ذلك المضمر اشارة الى انه مستحضر
في الذهن لا يغيب قال تعالى انها اي النار وان لم يجر لها
ذكر لدلالة لفظ عذاب عليها وقيل الضمير للقصة وقيل
مبهم يفسره قوله تعالى لظى اي هي اللهب الخالص
المتناهي في الحر اسم لجهنم فتلظى اي تتوقد فيأكل بسبب
بعضها بعضا ان لم تجد ما تأكله وتأكل كلما وجدته
كائنا ما كان وقوله تعالى نزاعة للشوى جمع شواة
وهي جلدة الرأس اي شديدة النزع لجلود الرؤوس
وقال في القاموس اليدان والرجلان والاطراف وقحف
الرأس وما كان غير مقتل انتهى وقرأ حفص بالنصب
على الاختصاص والحال المؤكدة والمتنقلة على ان
لظى متلظية والباقون بالرفع على انها خبر ان
تدعوا من ادبر وتولى عن الايمان تقول الي يا مشرك
الي يا فاسق ونحو هذا ثم تلتقطهم التقاط الطير الحب
ولما كانت الدنيا والاخرة ضرتين كلما كان الاقبال على
احداهما دالا على الاعراض عن الاخرى قال تعالى دالا على
ادباره بقلبه وجمع اي كلما كان منسوبا الى الدنيا فاوعى
اي جعل ما جمعه في وعاء وكثره حرصا وطول امل ولم

ببط حق الله تعالى منه فكان همه الا عطا لا اعطاء واجب
من يحق اقبالا على الدنيا واعراضا عن الاخرة وتوا
لظى وللشوى وتدعو فادغم حمزة والكسائي بالامالة
محضة وورش وابو عمرو وبين بين والفتح من ورش
قليل والباقون بالفتح ان الانسان اي الجنس من عبر به
لما له من الانس بنفسه والروية لمحاسنه والنسيان
لربه ولدينه خلق هلوعا اي جبل جبلة هو فيها الهلع
المال والسرعة فيما لا ينبغي وعن ابن عباس انه الحريص
على ما لا يحل له وروي عنه ان تفسيره ما بعده وهو
قوله تعالى اذا مسه اي ادنى مس الشر اي هذا الجنس
وهو ما تطاير شرره من الضر جزوعا اي عظيم
الجزع وهو ضد الصبر بحيث يكاد صاحبه ينقد نصفين
وينفتت واذا مسه كذلك الخير هذا الجنس وهو ما يلائمه
فيجمعه من السعة في المال وغيره من انواع الرزق منوعا
اي مبالغا في الامساك عما يلزمه من الحقوق للانهماك
في حب العاجل وقصور النظر عليه ووقوفا مع المحسوس
لغلبة الجمود والبلادة وهذا الوصف ضد الايمان
لانه نصفان شكر وصبر فان قيل حاصل هذا الكلام
انه نفور عن المضار طالب للراحة وهذا هو اللائق
بالعقل فلم ذمه الله تعالى عليه اجيب بانه انما ذمه
عليه لقصور نظره على الامور العاجلة والواجب
عليه ان يكون شاكرا راضيا في كل حال وقوله تعالى الا
المصلين استثنا للموصوفين بالصفات الاتية من المطبوعين

على

٢٦٠

على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها
من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والا
شفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة
وكسر الشهوة وايثار الاجل على العاجل وتلك ناشئة
عن الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها الذين
هم اي بكلية ضمائرهم وظواهرهم على صلاتهم اي التي
هي معظم دينهم وهي النافعة لهم لا لغيرهم بما افادته
الاضافة والمراد الجنس الشامل لجميع الانواع لان معظم
المقصود الفرض ولذلك عبر بالاسم الدال على الثبات
في قوله تعالى دائمون اي لا فتور لهم عنها ولا انفكاك لهم منها
وقال عقبة بن عامر هم الذين اذا صلوا لم يلتفتوا يمينا
ولا شمالا والدائم الساكن وقال ابن جريج والحسن هم
الذين يكثرون فعل التطوع منها فان قيل كيف قال تعالى
على صلاتهم دائمون وقال تعالى في موضع اخر على صلواتهم
يحافظون اجيب بان دوامهم عليها ان لا يتركوها في وقت
ومحافظتهم عليها ترجع الى الاهتمام بحالها حتى تاتي
على اكمل الوجوه من المحافظة على شرائطها والاتيان
بها في الجماعة وفي المساجد الشريفة وفي تفريغ القلب
عن الوسواس والرياء والسمعة وان لا يلتفت يمينا ولا
وان يكون حاضر القلب فاهما لما يقوله مطلعا على حكم
الصلاة متعلق القلب بدخول اوقات الصلاة ولما ذكر تعالى
زكاة الروح اتبعه زكاة عديلها فقال تعالى مبينا للرسوخ في
الوصف بالعطف بالواو والذين في اموالهم الاتي من الله سبحانه

عليهم حق معلوم اي من الزكوات وجميع النفقات الواجبة
وقال ابن عباس من ادى زكاة ماله فلا جناح عليه
ان لا يتصدق للسائل اي الذي يسال والمحروم اي الذي
لا يسال فيحسب غنيا فيحرم فهو يتلظى بناره في ليله
ونهاره ولا مفزع له عند ربه المالك لعله يتنبه ويسر
الى افاضة مدامعه لذلك والانكسار وهذا امر
الله تعالى حث على تفقد ارباب الضرورات
ممن لا كسب له ومن افتقر بعد الغنا وقد كان للسلف
الصالح في هذا قصب السبق حكي عن زين العابدين
انه لما مات وجد في ظهره اثار سواد كانها السيور
فتعجبوا منها فقال بعد موته نسوة ارامل كان شخص ياتي
الينا ليلا بقرب الما على ظهره واجربة الدقيق ففقدناه
واحتجنا فعلموا انه هو وان تلك السود من ذلك وحكي
عن عمر بن الخطاب ان شخصا راه ماشيا في زمن خلافته
في الليل فتبعه فجا الى بيت نسوة ارامل فقال اعندكن
ماء والا املاه لكن فاعطينه جرة فاخذها وذهب
فملاها على كتفه واتى بها اليهن والحكايات عنهم
في هذا كثيرة والذين يصدقون اي يوقنون النفو بت
لمن يجيرهم ويجد دونه كل وقت بيوم الدين اي الجزا
الذي ما مثله يوم وهو يوم القيامة الذي يقع الحساب
فيه على النقير والقطمير والتصديق به حتى التصديق
الاستعداد له باعمال الصالحة والذين يعملون
لذلك هم العمال واما المصدقون بمجرد الاقوال فلهم

الوبال وان انفقوا امثال الجبال والذين هم اي بجميع
ضمائرهم وظواهرهم من عذاب ربهم اي المحسن اليهم لا من
عذاب غيره فان المحسن ادعى لان يخشى ولو من قطع
احسانه مشفقون اي خائفون في هذه الدار خوفا
عظيما هو في غاية الثبات من ان يعذبهم في الاخرة او
في الدنيا او فيهما فهم لذلك لا يفعلون الا ما يرضيه
سبحانه ان عذاب ربهم اي الذين هم مغمورون باحسانه
وهم عارفون بانه قادر على الانتقام ولو بقطع الاحسان
غير مامون اي لا ينبغي لاحد ان يامنه بل يكون ان
يجل برا وان بالغ في الطاعة لان الملك مالكه وهو تام
الملك له ان يفعل ما يشا ولا من جوز وقوع العذاب
ابعد من موجباته غاية البعد ولم يزل مترجحا بين
الخوف والرجا والذين هم اي ببواطنهم الغالبة على
ظواهرهم لفروجهم اي سوا كانوا ذكورا ام اناثا
حافظون اي حفظا ثابتا دايما عن كل ما نهى الله تعالى
يهن عنه الا على ازواجهم اي من الحرائر بعقد النكاح وقدم
نسوقهن وسوق الولد لهن ثم اتبعهن بقوله تعالى او
ما ملكت ايمانهم اي من السراري اللاتي هن محل الحرث
والنسل واللاتي هن اقل عقلا من الرجال ولهذا
عبر بما التي هي في الاغلب لغير العقل وفي اشارة
الى اتساع النطاق في احمالهن فانهم اي بسبب اقبالهم
بالتزوج عليهن واتخاذهن من اجل ذلك غير ملومين
اي الاستمتاع بهن من لايم ما كما نبه عليه البنا

للمفعول فهم يصحبونهن للتعفف وصون النفس وابتغاء
الولد للتعاون على طاعة الله تعالى واكتفى في مدحهم
بنفي اللوم لاقباله على تحصيل ما له من المرام فمن ابتغى
اي طلب وعبر بصيغة الافتعال لان ذلك لا يقع الا
عن اقبال عظيم من النفس واجتهاد في الطلب وقرا
حمزة والكسائي بالامالة محضة وقرا ورش بالفتح
وبين اللفظين والباقون بالفتح وراء ذلك اي شيئا من
هذا خارجا عن هذا الامر الذي احله الله تعالى له
والذي هو اعلى المراتب في امر النكاح وتمامه وحسنها
واجملها فاولئك اي الذين هم في الحضيض من الدناءة
وغاية البعد عن مواطن الرحمة هم اي بضمائرهم وظواهرهم دهم
العادون اي المختصون بالخروج عن الحد المأذون فيه
والذين هم لاماناتهم اي من كل ما ائتمنهم الله تعالى
من حقه وحق غيره وقرا ابن كثير بغير الف بعد النون
على التوحيد والباقون بالالف على الجمع وعهدهم
اي ما كان من الامانات بربط وتوثيق راعون
اي حافظون لها معترفون بها على وجه نافع
غير ضار والذين هم اي بغاية ما يكون من توجيه
القلوب بشهاداتهم اي التي شهدوا بها بطلب او غيره
وتقدم المعمول اشارة الى انهم في فرط قيامهم بها
ومراعاتهم لها كانهم لا شاغل لهم سواها قائمون اي
يحملونها ويؤدونها على غاية التمام والحسن اداء من هو
منتصب لها واقف في انتظارها وقرا حفص بالالف بعد

الدال

الدال على الجمع اعتبارا بتعدد الانواع والباقون بغير
الف على التوحيد اذ المراد الجنس قال الواحدي والافراد
اولى لانه مصدر فيفرد كما تفرد المصادر وان اضيف الى الجمع
كصوت الحمير قال اكثر المفسرين يقومون بالشهادة على
من كانت عليه من قريب وبعيد يقومون بها عند الحكام
ولا يكتمونها وقال ابن عباس بشهاداتهم ان الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله والذين هم على صلا تهم
اي في الفرض والنفل يحافظون اي يبالغون في حفظها
ويجددونه كانهم يبادرونها الحفظ ويسابقونها فيه
فيحفظونها ليحفظهم ويسابقون غيرهم في حفظها
وتقدم ان المداومة غير المحافظة فدوامهم عليها
محافظتهم على ادائها وشروطها واركانها وسننها بها
في ظواهرها وبواطنها من الخشوع والمراقبة وغير
ذلك من خلال الاحسان التي اذا فعلوها كانت
ولا ناهية لنا علما ان الصلوة تنهى عن الفحشا والمنكر
فتحمل على جميع هذه الاوامر وتبعد عن اضدادها
فالدوام يرجع الى نفس الصلوة والمحافظة الى
احوالها ذكره القرطبي ولما ذكر تعالى حالهم اتبعه ما
اعطاهم فقال عز من قائل مستأنفا او منتجا من غير
فاشارة الى ان رحمته هي التي اوصلتهم الى ذلك
من غير سبب منهم في الحقيقة اولئك اي الذين في غاية
العلو لما لهم من الاوصاف العالية في جنات اي في الدنيا
والاخرة اما في الاخرة فواضح واما في الدنيا فلانهم تما

جاهدوا فيه باتعاب انفسهم في هذه الاوصاف حتى
تخلقوا بها اعطاهم بما سرتها لذاذات من اسنى القرب
وحلاوة المناجاة لا يساوي بها شيء اصلا والجنة محل تجمع
فيه جميع الراحات والمستلذات والسرور وانتفى عنه
جميع المكروهات والشرور وهذها الدارون ادهم علي
ذلك بقوله تعالى مكرمون معبرا باسم المفعول اشارة الى
عموم الاكرام من الخالق والخلق الناطق وغيره لانه
سبحانه تقضي بان يعلي مقدارهم فيكرمهم بانواع
الكرامات فيتلقاهم بالبشرى حين الموت وفي قبورهم
ومن حين قيامهم من قبورهم الى دخولهم الى قصورهم
هذا حال المومنين واما حال الكافرين فقال تعالى
في حقهم فما للذين كفروا وقف ابو عمرو وعلي على الالف
وعلى اللام ووقف الباقون على اللام واما الابتدا
فالجميع يبتدؤون اول الكلمة اي اي شيء من الحوادث
للذين ستروا مرائي عقولهم عن الاقرار بمضمون
هذا الكلام الذي هو اوضح من الشمس حال كونهم
قبلك اي نحوك ايها الرسول الكريم فيما اقبل عليك
مهطعين اي مسرعين مع مد الاعناق وادامة النظر
اليك في غاية العجب من مقالك هيبة من يسعى
الى امر له حياة لا بدونه عن اي متجاوزين اليك
مكان من جهة اليمين اي منك حيث يتيمنون به وعن
الشمال اي منك وان كانوا يتشاءمون به وقوله تعالى
عزين حال من الذين كفروا وقيل من الضمير في

مهطعين

مهطعين فتكون حالا متداخلة اي جماعات وحلقا متفرقين
فرقا شتى افواجا لا يتمهلون ليأتوا جميعا جمع عزة واصلها
عزوة لان كل فرقة تعتزي الى غير ما تعتزي اليه الاخرى
فهم متفرقون قال الكميت «ونحن وجندل باغ تركنا
كتائب جندل شتى عزينا» وجمع عزة جمع سلامة شذوذا
وقيل كان المستهزؤون خمسة ارهط روي ان المشركين
كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون
كلامه ويقولون ان دخل هولاء الجنة كما يقول محمد لندخلنها
قبلهم فرد الله تعالى بقوله عز من قائل ايطمع اي هولاء البعد
المبغضا وعبر بالطمع اشارة الى انهم بلغوا الغاية في
السفه لكونهم طلبوا اعلى الاشياء من غير انتظار جماعة
لجماعة قال تعالى كل امرئ منهم اي على انفراده ان يدخل
اي وهو كافر من غير ايمان يزكيه كما يدخل القسم بتسوية
المسيء والمحسن جنة نعيم اي لا شيء فيها غير النعيم
وقوله تعالى كلا ردع لهم عن طمعهم ودخولهم الجنة
اي لا يكون ما طمعوا فيه اصلا لان ذلك تمن فارغ
لا سبب له بما دل عليه التعبير بالطمع دون الرجاء
ثم علل ذلك بقوله تعالى انا خلقناهم اي بالقدرة التي
لا يقدر احد ان يقاومها مما يعلمون اي انهم يعلمون
انهم مخلوقون من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة
لا مخلقة ساير جنسهم فليس لهم فضل يستوجبون
به الجنة وانما يستوجب بالايمان والعمل الصالح ورحمة
الله تعالى فيه وقيل كانوا يستهزئون بفقراء المسلمين ويتكبرون

عليهم فقال تعالى انا خلقناهم مما يعلمون اي من القذر
وهو منصبهم الذي اوضع منه ولذلك ابهم واخفي واشعار
بانه منصب يستحي من ذكره فلا يليق بهم هذا التكبر
ويدعون التقدم ويقولون ندخل الجنة قبلهم قال
قتادة في هذه الآية انما خلقت يا ابن آدم من قذر فاتق
الله وروي ان مطرف بن عبد الله ما هذه المشية التي
يبغضها الله تعالى فقال له اتعرفني قال نعم اولك نطفة
مذرة واخرك جيفة قذرة وانت فيما بين تحمل العذرة
فمضى المهلب ابن ابي صفرة يتبختر في مطرف
خز وجبة خز فقال له يا عبد الله ما هذه المشية التي
يبغضها الله تعالى فقال له اتعرفني قال نعم اولك نطفة
مذرة واخرك جيفة قذرة وانت فيما بين تحمل العذرة
فمضى المهلب وترك مشيته فائدة قال ابن عربي في
الفتوحات خلق الله الناس على اربعة اقسام قسم
لا من ذكر ولا من انثى وهو آدم عليه السلام وقسم
من ذكر فقط وهو حواء وقسم من انثى فقط وهو عيسى
عليه السلام وقسم من ذكر وانثى وهو بقية الناس
فلا زيدت فيه لا اقسم برب اي سيد ومبدع ومدبر
المشارق اي التي تشرق الشمس والقمر والكواكب
السيارة كل يوم في موضع منها على المنهاج الذي دبره
والطريق القانون الذي اتقنه وسخره ستة اشهر
صاعدة وستة اشهر هابطة والمغارب كذلك وهي التي
نشأ عنها الليل والنهار والفصول الاربعة فكان بها صلاح

العالم

العالم بمعرفة الحساب واصلاح المآكل والمشارب وغير ذلك
من المآرب فيوجد كل من المكونين بعد ان لم يكن والنبات
من النجم والشجر كذلك عادة مستمرة دالة على انه
قادر على الايجاد والاعدام فيفعل ما يريده كما يريده من
غير كلفة ما كما قال تعالى انا اي على ما لنا من العظمة
لقادرون على ان نبدل اي تبديلا عظيما بما لنا من
الجلال له عوضا عنهم خيرا منهم اي بالخلق او بتحويل الوصف
فيكونوا اشد بطشا في الدنيا واكثر اموالا واولادا واعلى
قدرا واكثر حشما وجاها وخدما فيكونوا عندك على
قلب واحد في سماع قولك وتوقيرك وتعظيمك والسعي
والسعي في كل ما يشرح صدرك بدل ما يعمل هؤلاء من
الهزء والتصفيق والتصفير وكل ما يضيق به صدرك
وقد فعل سبحانه ذلك بالمهاجرين والانصار والتابعين
لهم باحسان بالسعة في الرزق باخذ اموال الجبابرة
من كسرى وقيصر والتمكن في الارض حتى كانوا ملوك
الدنيا مع العمل بما يوجب لهم ملك الآخرة فرجوا الكرب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا في مرضاته
الانفس والاموال وما نحن بمسبوقين اي لا يفوتنا
شيء ولا يعجزنا امر نريده بوجه من الوجوه فذرهم
اي اتركهم ولو على سوء احوالهم يخوضوا اي في باطلهم
في مقالهم وفعالهم ويلعبوا اي يفعلوا في دنياهم فعل
اللاعب الذي لا فائدة لفعله الا ضياع الزمان واشتغل
انت بما امرت حتى يلاقوا اي يلقوا يومهم الذي يوعدون

اي وهو يوم كشف الغطا الذي اول تجليه عند الزجرة
وتناهيه النفخة الثانية وهذه الاية منسوخة باية
كما قاله البقاعي وابن عادل وقوله تعالى يوم يخرجون
يجوز ان يكون بدلا من يومهم او منصوبا باضمار اعني
من الاجداث اي القبور التي صاروا بتغييبهم فيها تحت
وقع الحوافر وخفف نعالهم بحيث لا يدفعون شيا يفعل بهم
بل هم كلهم تحت تهم ما صنع فان الحدث القبر والجدث
صوت الحافر والخف ومضغ اللحم وقوله تعالى سراعا
نحو صوت الداعي ذاهبين الى المحشر حال من فاعل
يخرجون جمع سريع كظراف في ظريف وقوله تعالى
كانهم الى نصب اي عامر وحفص بضم النون والصاد
والباقون بفتح النون واسكان الصاد على انه مصدر
بمعنى المفعول كما تقول هذا نصب عيني وهو بالاول
والنصب والنصب كل ما نصب فعبد من دون الله
يوفضون اي يسرعون الى الداعي مستبقين كما كانوا
يستبقون الى انصابهم وقال ابن عباس الى نصب اي
الى غاية وهي التي ينتصب اليها بصرك وقال الكلبي
هو شي منصوب علم او راية وقال الحسن كانوا يبتدرون
اذا طلعت الشمس الى نصبهم التي كانوا يعبدونها
من دون الله تعالى لا يلوي اولهم على اخرهم وقوله تعالى
خاشعة حال اما من فاعل يوفضون وهو اقرب او من
فاعل يخرجون وفيه بعد منه وفيه تعدد الحال لذي
واحدة وفيه الخلاف المشهور وقوله تعالى ابصارهم

فاعل والمعنى ذليلة خاضعة لا يرفعونها لما يتوقعونه من
عذاب الله تعالى ترهقهم اي تغشاهم فتعمهم وتحمل عليهم
فتكلفهم كل عسر وضيق على وجه الاسراع عليهم
ذلة اي ضد ما كانوا عليه في الدنيا لان من تعزز
في الدنيا على الحق ذل في الاخرة ومن ذل للحق في
الدنيا عز في الاخرة ذلك اي الامر الذي هو في غاية ما يكون
من علو الرتبة في العظمة اليوم الذي كانوا يوعدون
اي يوعدونه في الدنيا ان لهم فيه العذاب واخرج
الخبر بلفظ الماضي لان ما وعد الله تعالى به فهو حق
كائن لا محالة وهذا هو العذاب الذي سالوا عنه
اول السورة فقد رجع اخرها على اولها وما قاله
البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم
قال من قرا سورة سال اعطاه الله ثواب الذين هم
لاماناتهم وعهدهم راعون حديث موضوع.

سورة نوح عليه السلام

وهي سبع وعشرون اية ومائتان واربع وعشرون كلمة
وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا بسم الله ذي الجلال
والاكرام الرحمن الذي عم بما افاضه من ظاهر الانعام
الرحيم الذي خص اولياءه من الابتداء الى الختام ولما
ختمت سال بالانذار للكفار وكانوا عباد اوثان
بعذاب الدنيا والاخرة اتبعها اعظم عذاب كان في الدنيا
على تكذيب الرسل بقصة نوح عليه السلام فقال تعالى
انا اي بما لنا من العظمة البالغة ارسلنا نوحا الى قومه

اي الذين كانوا في غاية القوة على القيام مما يحاولونه
وهم بصدد ان يجيبوه ويكرموه لما بينهم من القرب بالنسب
واللسان وكانوا جميع اهل الارض من الادميين وروى
قتادة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اول نبي ارسل نوح وارسل الى جميع اهل الارض ولذلك
لما كفروا اغرق الله تعالى اهل الارض جميعا وهو
نوح عليه السلام بن لمك بن متوشلخ بن خنوخ وهو
ادريس ابن برد بن مهلائيل بن انوش بن قينان بن
شيث بن ادم عليه السلام قال وهب وكلهم مؤمنون
ارسل الى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس وهو ابن
اربعين سنة وقال عبد الله بن شداد بعث وهو ابن ثلثماية
وخمسين سنة ويجوز في قوله تعالى ان انذر اي احذر تحذيرا
عظيما قومك اي الاستمرار على الكفر ان تكون مفسرة فلا
يكون لها موضع من الاعراب لان في الارسال معنى الامر
فلا حاجة الى اضمار ويجوز ان تكون المصدرية اي ارسلنا
بالانذار قال الزمخشري والمعنى ارسلناه بان قلنا له
ان انذر قومك اي ارسلناه بالامر بالانذار وهو
الذي قدره جواب عن سوال وهو انهم قالوا ان المصدرية
يجوز ان توصل بالامر مشكل لانه يسبك منها ومما
بعدها مصدر فتفوت الدلالة على الامر الا ترى
انك اذا اولت كتبت اليه بان قم كتبت اليه القيام
تفوت الدلالة على الامر حال التصريح بالمصدر فينبغي
ان يقدر كما قدره الزمخشري اي كتبت اليه بان قلت له

قم

قم اي كتبت اليه بالامر بالقيام وقال الزمخشري اي بالانذار
قومك من قبل ان ياتيهم اي على ما هم عليه من الاعمال
الخبيثة عذاب اليم اي عذاب الاخرة او الطوفان قال نوح
عليه السلام يا قوم فاستعطفهم بتذكيرهم انه احدهم يهمه
ما يهمهم اني لكم نذير اي مبالغ في انذاركم مبين اي
امري بين في نفسه بحيث انه صار في شدة وضوحه
كانه مظهر لما يتضمنه مناد بذلك للقريب والبعيد
والفطن والغبي ويجوز في قوله تعالى ان اعبدوا الله اي الملك الاعظم
الذي له جميع الكمال ان تكون ان تفسيرية لنذير وان تكون
مصدرية والكلام فيها كما تقدم في اختها وقرا ابو عمرو وعاصم
وحمزة في الوصل بكسر النون والباقون بالضم والمعنى
وحدوا الله واتقوه اي اجعلوا بينكم وبين غضبه وقاية
تمنعكم من عذابه بان تنتهوا عن كل ما يكرهه فلا تتحركوا حركة ولا
تسكنوا سكنة الا في طاعته وهذا هو العمل الواقي من كل
سوء واطيعون اي لامركم ما تقصر عنه عقولكم من
صفات معبودكم ودينكم ومعادكم وادلكم على اجتلاب
اداب تهديكم واجتناب شبه تؤذيكم فمتى اطعتموني كف حكم
يوهي الهلك عنكم وقوله يغفر لكم جواب الامر وفي من
قوله من ذنوبكم اوجه احدها انها للتبعيض الثاني
انها لابتدا الغاية الثالث انها مزيدة قال ابن عطية
وهو مذهب كوفي ورد بان مذهبهم ليس ذلك لانهم يشترطون
تنكير مجرورها ولا يشترطون غيره والاخفش لا يشترط
شيئا فالقول بزيادتها هنا ماش على قوله لا على قولهم

قال القرطبي وقيل لا يصح كونها زائدة لان من لا تزاد في
الواجب وانما هي هنا للتبعيض وهو بعض الذنوب وهو
ما لا يتعلق بحقوق المخلوقين ويؤخركم اي بلا عذاب تاخيرا
ينفعكم الى اجل مسمى اي قد سماه الله تعالى وعلمه قبل
ايجادكم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه فيكون موتكم على
العادة او باخذكم جميعا فالامور كلها قد قدرت وفرغ
من ضبطها لاحاطة العلم والقدرة فلا يزاد فيها ولا
ينقص ليعلم ان الارسال انما هو مظهر لما قدره في الازل
ولا يظن انه قابل للاعتبار بتغيير ما سبق به القضا
من الطاعة والعصيان وقرا ويؤخركم ولا يؤخر ورش
بابدال الهمزة واوا وقفا ووصلا وحمزة في الوقف دون
الوصل والباقون بالهمز ان اجل الله اي الذي له الجلال كله
فلا راد له من اذا جاء لا يؤخر اي اذا جاء الموت لا يؤخر
بعذاب كان او بغير عذاب واضاف الاجل اليه سبحانه لانه
الذي اثبته وقد يضاف الى القوم كقوله تعالى اذا جا
اجلهم لانه مضروب لهم لو كنتم تعلمون اي لو كنتم
من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك ولكنهم لانهماكهم
في حب الدنيا كانهم شاكون في الموت ولما كان عليه السلام
اطول الانبيا عمرا وكان قد طال نصحه لهم ولم يزدادوا
الا طغيانا وكفرا قال مناديا لمن ارسله لانه تحقق انه لا
قريب منه غيره رب اي يا سيدي وخالقي اني دعوت قومي
اي الذين هم جديرون باجابتي لمعرفتهم بي وقربهم
مني وفيهم قوة المحاولة لما يريدون ليلا ونهارا اي

دايما

دايما متصلا لا افترا عن ذلك لما يوجب كون قبول معناه سرا وجهرا
فلم يزدهم دعاي اي شيا من احوالهم التي كانوا عليها
الا فرارا اي بعدا واعراضا عن الايمان كانهم حمر مستنفرة
استثنا مفرغ وهو مفعول ثان وقرا عاصم وحمزة والكسائي
بسكون اليا والباقون بفتحها وهم على مراتبهم في المد واني
كلما اي على تكرار الاوقات وتعاقب الساعات دعوتهم
اي الى الاقبال اليك بالايمان بك والاخلاص لك لتغفر
لهم اي ليؤمنوا فيمحوا ما فرطوا فيه في حقك فافرطوا
لاجل في التجاوز في الكفر بحوا بالغا فلا تبقي من ذلك
عينا ولا اثرا حتى لا تعاقبهم عليه ولا تعاتبهم جعلوا
اصابعهم كراهة منهم واحتقارا للداعي في اذانهم حقيقة
لئلا يسمعوا الدعا اشارة الى انا لا نريد ان نسمع ذلك
منك فان ابيت الا الدعا فانا لا نسمع لسدنا اسماعنا ودلوا
على الافراط في كراهة الدعا بما ترجم عنه قوله
واستغشوا ثيابهم اي اوجدوا التغطية لرؤسهم بثيابهم لتصير
كراهة النصح من حمر الوحش اذا صرا اذانها واقبل
عليها بكدها ويطردها واصروا اي اوجدوا الكر طالبين لح
راعيني غيرو اكد ذلك بقوله واستكبروا تنبيها على ان
فعلهم مناف للحكمة وقد فادت هذه الايات بالتصريح
في غير موضع انهم عصوا نوحا عليه السلام وخالفوه مخالفة
لا فيح منها ظاهرا بتعطيل الاسماع والابصار وباطنها
بالاصرار والاستكبار استكبارا ثم اني دعوتهم اي معلنا بالدعا
قال ابن عباس باعلى صوتي جهارا ثم اني اعلنت لهم اي كررت

لهم الدعا معلنا وقرا نافع وابن كثير بفتح اليا والباقون
بسكون اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي كررت
لهم قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل اكلمه سرا بيني
وبينه ادعوه الي عبادتك وتوحيدك فقلت اي في دعا ب
استغفروا ربكم اي اطلبوا من المحسن اليكم المبدع لكم المدبر
لاموركم ان يمحو ذنوبكم اعيانها واثارها بان تومنوا
بالله وتتقوه انه كان اي ازلا وابدا دايما وسرمدا
غفارا اي ستارا بصفة الستر على من رجع اليه يرسل
السماء اي المظلة لان المطر منها ويجوز ان يراد السحاب
والمطر عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين اي ويكثر
اموالكم واولادكم وذلك ان قوم نوح عليه السلام لما كذبوه
زمانا طويلا حبس الله تعالى عنهم المطر وعقم ارحام
نسايهم اربعين سنة فهلكت اموالهم ومواشيهم فقال
لهم نوح استغفروا ربكم من الشرك اي استدعوه المغفرة
بالتوحيد يرسل السماء عليكم مدرارا وروي الشعبي ان عمر
بن الخطاب خرج يستسقي بالناس فلم يزد على الاستغفار
فلما نزل قيل يا امير المومنين ما رايناك استسقيت فقال
لقد طلبت الغيث بمجاديح السما التي بها يستنزل القطر
ثم قرا هذه الاية فيه ان الاستغفار لا من الصادقة التي
لا تخص وعن الحسن ان رجلا يشكي اليه الجدب فقال استغفر
الله وشكي اليه اخر الفقر واخر قلة النسل واخر قلة ريع
ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار وتلا الاية ودلالة على انه
من وقعت له حاجة الي الله تعالى فلن يصل الي مراده

الا بتقديم الاستغفار وقال ان عمل قوم نوح كان بهذه لكن
كلما ازداد نوح عليه السلام في الضمان ووجوه الخير والحسنات
ازدادوا في الكفر والنسيان ويجعل لكم اي في الدارين جنات ازداد
اي بساتين عظيمة واعادة العامل لهما للتاكيد فقال ويجعل لكم
انهارا اي يخصكم بذلك عمن لم يفعل ذلك فان من لزم الا
ستغفار جعل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا وقال تعالى
ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من
السماء والارض ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل
اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال
تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا
مالكم لا ترجون لله وقارا اي ما لكم لا تاملون له توقيرا
اي تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حالة تاملون
فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر
ولو تاخر لكان صلة للوقار اذا ن بالمعرفة تركوا الاعما ل
وتصالح الاقوال انما سبق ابو بكر بشي وقر في صدره
وانما يصح تعظيمه سبحانه بان لا تري لك عليه حقا ولا
تنازع له اختيارا وتعظم امره ونهيه بعدم المعارضة
وقد اي والحال انه قد احسن اليكم مرة بعد مرة بما لا يقدر
على غيره فدل ذلك على تمام قدرته ثم لم يقطع احسانه انه
عنكم غيره فدل ذلك عليه تمام قدرته ثم لم يقطع
احسانه عنكم فاستحق ان تومنوا به لانه اهل جزا
الاحسان الا الاحسان ورجا لدوام احسانه وخوفا من
قطعه لانه خلقكم اي اوجدكم من العدم مقدرين اطوارا

اي تارات عناصر اولا ثم مركبات تغذي الحيوانات ثم اخلاطا
ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما واعصابا
ودما ثم خلقا اخر فاما ناطقا ذكورا واناثا الى غير ذلك
من الامور الدالة على قدرته على كل مقدور ومن
قدر على هذا ابتداء كان على الاعادة اعظم قدرة
الم تروا اي ايها القوم كيف خلق الله اي الذي له العلم
التام والقدرة البالغة والعظمة الكاملة سبع سموات
هن في غاية العلو والسعة والاحكام والزينة طباقا
اي متطابقة بعضها فوق بعض وكل واحدة في التي
تليها محيطة بها ما لها من فروج ولا يكون تمام المطابقة
الا كذلك بالاحاطة من كل جانب وجعل القمر اي الذي
ترونه فيهن نورا اي لامعا منتشرا كاشفا للمرئيات
احد وجهيه يضيء لاهل الارض والثاني لاهل السموات
قال الحسن يعني في السماء الدنيا كما تقول اتيت بني فلان
وانما اتيت بعضهم وفلان متوار في دور بني فلان
وهو في دار واحدة وبدا به لقربه وسرعة حركته وقطعه
جميع البروج في كل شهر وغيبوبته في بعض الليالي
ثم ظهوره وذلك العجب في القدرة ولما كان نوره مستفادا
من نور الشمس قال كما وجعل اي فيها الشمس اي في السماء
الرابعة سراجا اي نورا عظيما كاشفا لظلمة الليل عن
وعن ابن عباس وابن عمر ان الشمس والقمر وجوههما الى
السماء واقفيتهما الى الارض وجعلهما سبحانه اية على
رؤية عباده المحسنين له في الجنة والله اي الملك الاعظم

الذي

٢٦٩

الذي له الامر كله انبتكم اي خلق ابيكم ادم عليه السلام من
الارض اي كما ينبت الزرع وعبر بذلك تذكيرا لنا بما كان
من خلق ابينا ادم عليه السلام لانه ادل على الحدوث
والتكون من الارض نباتا اي انشأكم منها انشاء فاستعير
الانبات لانه ادل على الحدوث والتكون واصله انبتكم
فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم
بعدها على التدريج فيها اي الارض بالموت والبلى وان
طالت الآجال ويخرجكم اي منها بالاعادة واكد بالمصدر
بجانبه على العقل اشارة الى شدة العناية وتحتم وقوعه
لانكارهم له فقال تعالى اخراجا اي غريبا ليس هو كما تعلمون
بل تكونون به في غاية ما يكون من الحياة الباقية فلا تبلى
ارواحكم بها اجسامكم ملابسة لا انفكاك لاحدها
حكما عن الاخر والله اي المستجمع لجميع الجلال والاكرام جعل
لكم اي نعمة عليكم اهتماما بامركم الارض بساطا اي
سهلها عليكم التصرف فيها والتقلب عليها سهولة التصرف
في البساط ثم علل ذلك بقوله تعالى لتسلكوا اي متخذين
منها اي الارض مجددين ذلك سبلا اي طرقا واضحة
مسلوكة كثيرة فجاجا اي ذوات ذلك اتساع لتتوصلوا
الى البلاد الشاسعة برا وبحرا فيتم الانتفاع بجميع انواع
فالذي على ابداعكم واقداركم على التصرف في اصلكم
مع ضعفكم قادر على اخراجكم من اجداثكم التي لم تزل
طوع امره بكل عظيم وغيره ولما اكثروا مع نوح عليه السلام
الجدال ونسبوه الى الضلال وقابلوه باشنع الاقوال

والا فقال قال نوح اي بعد رفقه بهم ولينه لهم رب اي ايها
المحسن الي المدبر لي المتولي لجميع اموري انهم اي قومي الذين
دعوتهم اليك مع صبري عليهم الف سنة الا خمسين عاما
عصوني اي فيما امرتهم به ودعوتهم اليه كانوا ان يجيبوا
دعوتي وشردوا عني اشد شرود وخالفوني اقبح مخالفة
واتبعوا اي بغاية جهدهم نظرا الي المظنون العاجل من اي
روساهم البطرين باموالهم المفتخرين بولدانهم وشوههم
بقوله تعالي لم يزده اي شيا من الاشيا ماله اي كثرته
وولده كذلك الا خسارا اي بالبعد من الله تعالي في الدنيا
والاخرة وقرا نافع وابن عامر وعاصم بفتح الواو بي واللام
والباقون بضم الواو الثانية واسكان اللام ومكروا اي
هولاء الروسا في تنفير الناس عني مكرا وزاده تاكيدا بصيغة
هي النهاية في المبالغة بقوله كبارا فانه ابلغ من كبار
المخفف الابلغ من كبير واختلفوا في معني مكرهم فقال
ابن عباس قالوا قولا عظيما وقال الضحاك افتروا علي
الله تعالي وكذبوا رسله وقيل منع الروسا اتباعهم
عن الايمان بنوح عليه السلام فلم يدع واحد منهم
بذلك المكر بتبعد وحرشوهم علي قتله وقالوا اي لهم
لا تذرن اي لا تتركن الهتكم اي عبادتها علي حال من
الحالات لا قبيحة ولا حسنة واضافوها اليهم تحبيبا فيها
ثم خصوا بالتسمية زيادة في الحث وتصريحا بالمقصود فقالوا
مكررين للعامل تاكيدا ولا تذرن ودا قرا نافع بضم الواو والبا
قون بفتحها وانشد بالوجهين قول الشاعر ∘

جبال

جبال ود هداك لعبته ه وحرص با علا ذي بفنا المسجد
وقال القرطبي قال الليث ودا بفتح الواو صنم كان لقوم نوح
وودا بالضم صنم لقريش وبه سمي عمرو بن ود وفي الصحاح
والود بالفتح الوتد في لغة اهل نجد كانهم سكنوا التاء واد
غموها في الدال اه ثم اعادوا النفي تاكيدا فقالوا ولا سواعا
واكد ط نهايته وعلم ان المقصد التنهيه عن كل فرد لا عن ولا يغوث
المجموع تركوا التاكيد في قولهم ويعوق ونسرا للعلم
بارادته واختلف المفسرون في هذه الاسما فقال ابن عباس
وغيره هي اصنام وصور كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها
العرب وهذا قول الجمهور وقيل انها للعرب لم يعبدها غيرهم
وكانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فلذلك خصوها بالذكر
بعد قولهم لا تذرن الهتكم وقال عروة ابن الزبير اشتكي
ادم عليه السلام وعنده بنوه ود وسواع ويغوث ويعوق
ونسر وكان ود اكبرهم وابرهم به قال محمد بن كعب كان
لادم عليه السلام خمسة بنين ود وسواع ويغوث ويعوق
ونسر وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال فمات
الشيطان انا اصور لكم صورة مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه
قالوا افعل فصوره في المسجد من صفر ورصاص ثم مات
اخر فصوره حتي ماتوا كلهم وصورهم وتناقصت الاشيا
كما تناقصت اليوم الي ان تركوا عبادة الله تعالي بعد حين
فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون شيا قالوا وما نعبد قال
الهتكم والهة ابايكم الا ترونها في مصلاكم فعبدوها من
دون الله تعالي حتي بعث الله نوحا عليه السلام فقالوا لا تذ

رون

الهتكم ولا تذرن ودا الاية وقال محمد بن كعب القرظي ومحمد
ابن قيس بل كانوا قوما صالحين بين ادم ونوح عليهما السلام
وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا زين لهم ابليس
ان يصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم وليتسلوا بالنظر
اليها فصوروهم فلما ماتوا جاء اخرون فقالوا ليت شعري
ما هذه الصور التي كان يعبدها اباؤنا فجاءهم الشيطان
فقال كان اباؤكم يعبدونها فترحمهم وتسقيهم المطر فعبد ها
فابتدئ عبادة الاوثان من ذلك الوقت وبهذا المعنى
فسر ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة ان ام حبيبة
وام سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بارض الحبشة تسمى مارية فيها
تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اولئك كانوا اذا مات منهم الرجل
الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة
اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة وروي عن
ابن عباس ان نوحا عليه السلام كان يحرس جسد ادم عليه
السلام على جبل الهند فيمنع الكافرين ان يطوفوا بقبره
فقال لهم الشيطان ان هؤلاء يفخرون عليكم ويزعمون
انهم بنو ادم دونكم وانما هو جسد وانا اصور لكم مثله
تطوفون به فصور لهم هذه الاصنام الخمسة وحملهم على
عبادتها فلما كان يوم ايام الطوفان دفنها الطين والتراب
فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب
وكانت للعرب اصنام اخر فاللات كانت لثقيف واساف ونا ئلة
وهبل كانت لاهل مكة وكان اساف حيال الحجر الاسود

ونا

ونائلة حيال الركن اليماني وكان هبل في جوف الكعبة
وقال الماوردي اما ود فهو اول صنم معبود سمي ودا لودهم
له وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن
عباس وعطاء واما سواع فكان لهذيل بساحل البحر في قولهم
وقال الواقدي وسواع لهمدان واما يغوث فكان لغطيف من
مراد بالجرف من سبا في قول قتادة وقال المهدوي لمراد
ثم لغطفان وقال ابو عثمان الهندي رايت يغوث وكان
من رصاص وكانوا يحملونه على جمل ويسيرونه معهم ولا
ينيخونه حتى يبرك بنفسه فاذا برك نزلوا وقالوا رضي
لكم المنزل واما يعوق فكان لهمدان وقيل لمراد واما نسر
فكان لذي الكلاع من حمير في قول قتادة ومقاتل وقال
الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة
ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس
ونسر من الطير قال الشاعي ولا يعارض هذا انهم صور
لناس صالحين لان تصويرهم لهم يحكي ان يكون منتزعا
من معانيهم فكان ود اكمل في الرجولية وكان سواع
امراة كاملة في العبادة وكان يغوث شجاعا وكان يعوق
سابقا قويا وكان نسر عظيما طويل العمر ولما ذكر مكرهم
وما اظهروا من قولهم عطف عليه ما نوقع المسامع من
امرهم فقال تعالى **وقد اضلوا** اي الرؤساء او الاصنام وجمعهم
جمع العقلاء معاملة لهم معاملة العقلاء كقوله رب انهن
اضللن **كثيرا** من عبادك الذين خلقتهم على الفطرة السليمة
من اهل زمانهم وممن اتى بعدهم فانهم اول من سن هذه

السنة السيئة فعليهم وزرها ووزر من عمل بها الى يوم
القيامة وقول نوح عليه السلام ولا تزد الظالمين اي الراسخين
في الوصف الموجب للنار الا ضلالا اي طبعا على قلوبهم حتى
يعموا عن الحق عطف على قد اضلوا دعا عليهم بعدما اعلمه
تعالى انهم لا يؤمنون بقوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من
قد امن وكذلك دعا موسى وهارون عليهما السلام في
الشد على قلوب فرعون وملائه لئلا يؤمنوا في حالة
ينفعهم فيه وما في قوله تعالى مما خطاياهم اي من اجل
خطيئاتهم مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرا ابو عمرو بن العلاء
وبعدها بالتحتية ساكنة وبعدها الياء همزة مفتوحة بعدها
الف وبعد الالف تا فوقية مكسورة وكسر الها على وزن
قضياتهم اغرقوا اي بالطوفان طاف عليهم جميع الارض
السهل والجبل فلم يبق منهم احد وكذا الكلام فيما تسبب
عنه وتعقبه في قوله فادخلوا في الاخرة نارا اي عظيمة جدا
اخفها ما يكون من مبادئها في البرزخ قال الملوي عذبوا
في الدنيا بالغرق وفي الاخرة بالحرق وقال الضحاك في
حالة واحدة كانوا يغرقون من جانب ويحترقون في الما
من جانب بقدرة الله تعالى فلم يجدوا لهم اي عندما اباح
الله بهم سطوته واحل بهم نقمته من دون الله اي الملك
الاعظم الذي تضمحل المراتب تحت رتبة عظمته وتذل
لعزه وجليل سطوته انصارا تنصرهم على من اراد بهم ذلك
ليمنعوه مما اراده سبحانه من اغراقهم من غير ان يتخلف
منهم احد على كثرتهم وقوتهم لكونهم اعداء ولجنابه

عليه

عليه السلام ومن امن معه على ضعفهم وقلتهم لم يفقد منهم
احد على كثرتهم وقوتهم قال البقاعي يحكى قال لمن عمج
ما تقوله النصارى فهو ضلال اشد ضلال قال وقائل
ذلك هو ابن عربي صاحب الفصوص الذي لم يرد تصنيفه
الا لهدم الشريعة وزاد في الحط عليه وعلى ابن الفارض
وعلى الحلاج ومن شابههم وامرهم الى الله تعالى
فانه العالم بعواقب الامور وما يخفي الصدور وقال نوح
واسقط الاداة كما هو عادة اهل الحضرة تعالى رب لا تذر
اي لا تترك على الارض اي كلها من الكافرين اي الراسخين
في الكفر ديارا اي احد يدور فيها وهو من الفاظ العموم التي
تستعمل في النفي فيعال من الدور او الدار لا فعال
ولا لكان دوارا قال قتادة دعا عليهم بعد ان اوحى الله
عليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فاجاب
الله تعالى دعوته واغرق امته وهذا كقول النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم منزل الكتاب وهازم الاحزاب اهزمهم وزلزلهم
وقيل سبب دعائه ان رجلا من قومه حمل ولدا صغيرا
على كتفه فمر بنوح عليه السلام فقال احذر هذا فانه
يضلك فقال يا ابت انزلني فانزله فرماه فشجه فغضب
ودعا عليهم فان قيل ما ذنب صبيانهم حتى اغرقوا اجيب
بانهم اغرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون
بالانواع من اسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق
والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب الاباء والامهات اذا
ابصروا اطفالهم يغرقون ومنه قوله صلى الله عليه وسلم

يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن
الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله تعالى براءتهم فاهلكهم
بغير عذاب وقال محمد بن كعب ومقاتل انما قال هذا حين
اخرج الله تعالى كل مومن من اصلابهم وارحام نسائهم
واعقم ارحام امهاتهم وايبس اصلاب رجالهم قبل العذاب
باربعين سنة وقيل سبعين سنة فاخبر الله تعالى نوحا
انهم لا يومنون ولا يلدون مومنا كما قال تعالى انه لن يومن
من قومك الا من قد امن فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله تعالى
دعاه فاهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب
لان الله تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ولم يوجد
التكذيب من الاطفال وقال ابن عربي دعا نوح عليه السلام
على الكافرين اجمعين ودعا النبي صلى الله عليه وسلم
على من تحزب على المومنين وكفى بهذا اصلا في الدعا
على الكافرين في الجملة واما كافر معين لم تعلم خاتمته
فلا يدعى عليه لان ماله عندنا مجهول وربما كان عند
الله معلوم الخاتمة بالسعادة وانما خص النبي صلى الله
عليه وسلم عتبة واصحابه لعلمه بما لهم وما كشف له من الغطا
عن حالهم ولما كان الرسل عليهم لا يقولون ولا يفعلون
الا ما كان فيه مصلحة الدين علل دعاه بقوله انك
اي رب ان تذرهم اي تتركهم على اي حالة كانت في
ابقايهم سالمين على وجه الارض ولو كانت حالة دنية
يضلوا عبادك اي الذين امنوا بك والذين يولدون
على الفطرة السليمة ولا يلدوا اي ان قدرت بقاهم

الا

الا فاجرا اي مارقا من كل ما ينبغي الاعتصام به كفارا اي
بليغ الستر لما يجب اظهاره من ايات الله فان قيل بم علم
ان اولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة
اجيب بانه لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف طبا عهم
واحوالهم وكان الرجل ينطلق بابنه اليه ويقول احذر
هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشا
الصغير على ذلك وقد اخبر الله تعالى انه لن يومن من
قومك الا من قد امن ومعنى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا لم
يلدوا من يفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله
صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ولما دعا على
اعدا الله تعالى دعا له ولابويه وبدا بنفسه فقال مخطا الادا
على عادة المخصوصين رب اي ايها المحسن الي بانواع من
النعم وتجنب من تجنبني اغفر لي اي فانه لا يسعني
وان كنت معصوما الا حلمك وعفوك ومغفرتك ولوالدي
وكانا مومنين يريد ابويه اسم ابيه لملك بن متوشلخ
وامه شمخا بنت انوش وعن ابن عباس لم يكفر لنوح عليه السلام
اب فيما بينه وبين ادم عليه السلام وقيل هما ادم وحوا وابعد
لكن اظهارا للاهتمام قال ولمن دخل بيتي اي منزلي وقيل
مسجدي وقيل سفينتي مومنا اي مصدقا بالله تعالى فمومنا
حال وعن ابن عباس اي دخل في دينه فان قيل عليه
يصير قوله مومنا تكرارا اجيب بان من دخل في دينه ظاهرا
قد يكون مومنا وقد لا يكون فالمعنى ولمن دخل دخولا مع
تصديق القلب وللمومنين والمومنات حتى نفسه

اولا بالدعاء ثم من يتصل بهم لانهم اولى واحق بدعائه
ثم عم المؤمنين والمؤمنات الى يوم القيامة قاله الضحاك
وقال الكلبي من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قومه
والاول اولى واظهر ثم ختم الكتاب مرة اخرى بالدعاء على
الكافرين فقال ولا تزد الظالمين اي المزيدين في الظلم
في حال من الاحوال الا تبارا اي هلاكا مدبرا والمراد بالظالمين
الكافرين فهي عامة في كل كافر ومشرك وقيل اراد
مشركي قومه وتبارا مفعول ثان والاستثناء مفرغ وقيل
الهلاك الخسران وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة نوح كان من المؤمنين
الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام حديث موضوع

سورة الجن وتسمى قل اوحي مكية

وهي ثمان وعشرون اية ومايتان وخمس وثلاثون
كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا بسم الله المحيط بالكمال الرحمن
الذي خص من بين اهل الدعوة من شاء بمحاسن
الاعمال ولما كان نوح عليه السلام اول رسول ارسله
الله تعالى الى المخالفين من اهل الارض وكان
نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فهو اخر رسول
بعثه الله تعالى الى اهل الارض وغيرهم ناسب
ذكره بعد نوح فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
قل اي يا اشرف الرسل للناس اوحي الي وقال ابن عباس
قل يا محمد لامتك اوحي الي على لسان جبريل
انه استمع نفر من الجن والنفر الجماعة ما بين الثلاثة

الى

الى العشرة قال البغوي وكانوا تسعة من نفر نصيبين وقيل
كانوا سبعة وفي هذه العبارة دليل على انه صلى الله عليه
وسلم ما راهم ولا قرا عليهم وانما اتفق حضورهم
عند قراءته ففي صحيح مسلم عن ابن عباس قال انطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه
عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين
وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب قالوا ما ذاك
الا من شيء حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها
فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء
فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر
الذين اخذوا نحو تهامة وهو باصحابه بنخلة قاصدين
سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر
فلما سمع القران استمعوا له فقالوا هذا الذي حال بيننا
وبين خبر السماء وهل هذا الاستماع هو المذكور في
الاحقاف او غيره قال ابو حيان المشهور انه هو وقيل
غيره والجن الذين اتوه من نصيبين والذين اتوه
بنخلة جن نينوى والسورة التي استمعوها قال عكرمة
العلق وقيل الرحمن ولم يذكر هنا ولا في الاحقاف انه
راهم وعن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال امرت
ان اتلو القران على الجن فمن يذهب فسكتوا ثم قال الثانية
فقلت انا اذهب معك يا رسول الله قال فانطلق حتى
جاء الحجون عند شعب ابن ابي ذيب خط علي خطا فقال
لا تجاوزه ثم مضى الحجون فانحدروا عليه امثال الحجل كانهم

رجال الزط قال ابن الاثير في النهاية الزط قوم من
السودان والهنود وكان وجوههم امكاكي يزعون في
ذقونهم كما تفرع السوة في خوخها حتى غشوه فغاب عن
بصره فقمت فاوحى الي بيده ان اجلس ثم تلا القران
فلم صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى صرت
لا اراهم وفي رواية اخرى قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم من انت قال انا نبي قالوا فمن يشهد على
ذلك فقال هذه الشجرة تعالي ياشجرة فجاءت تجر
عروقها لها قعاقع حتى انتصبت بين يديه فقال على
ماذا تشهدين قالت اشهد انك رسول الله قال
اذهبي فرجعت كما جاءت حتى صارت كما كانت قال
ابن مسعود فلما عاد الي قال اردت ان تاتيني قلت
نعم يارسول الله قال ما كان ذلك لك هولاء الجن اتوا
يستمعون القران ثم ولوا الي قومهم منذرين فسالوني
الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا يستطيبن ان يستنجي
احدكم بعظم ولا بعر وفي رواية انه صلى الله عليه
وسلم لما فرغ وضع راسه على حجر ابن مسعود
فرقد ثم استيقظ فقال هل من وضوء قال لا الا ان معي
اداوة بنبيذ فقال هل هو الا تمر وماء فتوضا منه قال
الرازي وطريق الجمع بين رواية ابن عباس ورواية
ابن مسعود من وجوه احدها لعل ما ذكره ابن عباس
وقع اولا فاوحى الله تعالي اليه بهذه السورة ثم
امر بالخروج اليهم بعد ذلك كما روى ابن مسعود اي

فا

فالواقعة متعددة ثانيها انها واقعة واحدة الا انه صلى
الله عليه وسلم ما راهم ولا عرف ماذا قالوا ولا اي شي
فعلوا فالله تعالي اوحى اليه ان كان كذا وكذا ثالثها
انها كانت واحدة وانه صلى الله عليه وسلم راهم وسمع
كلامهم وهم امنوا به ثم رجعوا الي قومهم قالوا لهم على
سبيل الحكاية انا سمعنا قرانا عجبا وكان كذلك وكذا
فاوحى الله تعالي الي نبيه صلى الله عليه وسلم ما قالوه
لقومهم قال ابن عربي ابن مسعود اعرف من ابن عباس
لانه شاهده وابن عباس سمعه وليس الخبر كالمعاينة
قال القرطبي ان الجن اتوا النبي صلى الله عليه وسلم
دفعتين احداهما بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود
والثانية بنخلة وهي التي ذكرها ابن عباس وقال
البيهقي الذي حكاه ابن مسعود انما هو في اول ما
سمعت الجن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وعلمت
حاله وفي ذلك الوقت لم يقرا عليهم ولم يرهم كما
حكاه ابن عباس ثم اتاه داعي الجن مرة اخرى فذهب
معه وقرا عليهم القران كما حكاه ابن مسعود وقال
القشيري لما رجم ابليس بالشهب فرق الجن جنوده
لعلم ذلك فاتي سبعة منهم ببطن نخلة فاستمعوا الي
القران النبي صلى الله عليه وسلم فامنوا به ثم اتوا قومهم
فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي ولم يرجعوا الي ابليس
لما علموه من كذبه وسفاهته وجاءوا الي النبي صلى
الله عليه وسلم في سبعين من قومه فاسلموا فذلك قوله

تعالى وان صرفنا اليك الآيات **فقالوا** اي نسبب عن استماعهم
ان قالوا **انا سمعنا** اي حين تعمدنا له صغوا والقينا
اليه افهامنا **قرانا** اي كلاما هو في غاية الانتظام
في نفسه والجمع لجميع ما يحتاج اليه وقرا ابن كثير بالنقل
وقفا ووصلا وحمزة في الوقف دون الوصل والباقون
بغير نقل وقفا ووصلا ثم وصفوا القران بالمصدر
مبالغة في امره فقالوا **عجبا** اي بديعا خارجا عن
عادة امثاله من جميع الكتب الالهية فضلا عن
جميع الناس في جلالة النظم واعجاز التركيب **يهدي**
اي يبين غاية البيان **الى الرشد** اي الحق والصواب
فامنا اي كل من استمع منا لم يتخلف منا احد ولا توقف
بعد الاستماع **به** اي القران انه فاهتدينا به وصدقنا
من عند الله **ولن نشرك بربنا احدا** اي لا نرجع الى
ابليس ولا نطيعه ولا نعود الى ما كنا عليه من الاشراك
وهذا يدل على ان اوليك الجن كانوا مشركين قال
الرازي واعلم ان قوله تعالى قل امر لرسوله صلى الله
عليه وسلم ان يظهر لاصحابه ما اوحي اليه في واقعة
الجن وفيه فوايد احدها ان يعرفوا بذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الجن كما بعث الى
الانس ثانيها ان تعلم قريش ان الجن مع تمردهم
لما سمعوا القران وعرفوا اعجازه امنوا بالنبي صلى الله
عليه وسلم ثالثها ان يعلموا القوم ان الجن مكلفون
كالانس رابعها ان يعلم ان الجن يستمعون كلاما
نفهمه

نفهمه من لغتنا خامسها ان يظهر المومن منهم بدعوى
غيره من الجن الى الايمان وفي هذه الوجوه مصالح كثيرة
اذا عرفها الناس تنبيهات احدها اختلف العلماء في
اصل الجن فروي عن الحسن البصري ان الجن ولد ابليس
والانس ولد ادم ومن هولا وهولا مومنون وكافرون
وهم شركا في الثواب والعقاب فمن كان من هولا وهولا
كافر فهو شيطان وروي الضحاك عن ابن عباس
ان الجن هم ولد الجان وليسوا شياطين ومنهم المومن
والكافر والشياطين ولد ابليس لا يموتون الا مع
ابليس وروي ان اولئك النفر كانوا يهود وذكر الحسن
ان منهم يهودا ونصارى ومجوسا ومشركين ثانيها
اختلفوا في دخول الجن الجنة على حسب الاختلاف
في اصلهم فمن زعم انهم من الجان لا من ذرية ابليس قال
يدخلون الجنة بايمانهم ومن قال انهم من ذرية ابليس
فلهم فيهم قولان احدهما وهو قول الحسن يدخلونها
والثاني هو رواية مجاهد لا يدخلونها ثالثها قال القرطبي
قد انكر جماعة من كفرة الاطبا والفلاسفة الجن وقالوا
انهم بسايط ولا يصح طعامهم اجترا على الله تعالى
والقران والسنة ترد عليهم وليس في المخلوقات بسيط
بل مركب مزدوج انما الواحد سبحانه وغيره مركب ليس
بواحد وليس بممتنع ان يراهم النبي صلى الله عليه وسلم
في صورهم كما يرى الملايكة واكثر ما يتصورون لنا في
صورة الحيات ثم عطفوا على قولهم انا سمعنا **وانه** اي الشان

العظيم قال لكن تعالى انتهى في العلو الى حد لا يستطاع
جد اي عظمة وسلطان وقال حتى ربنا يقال جد
الرجل اي عظم ومنه قول انس كان الرجل اذا قرا
البقرة وال عمران جد فينا اي عظم قدره وقال
السدي جد ربنا اي امر ربنا وقال الحسن غنا ربنا
ومنه قيل للحظ جد ورجل مجدود اي محظوظ وفي
الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد قال ابو عبيدة والخليل
اي ذا الغنا منك الغنا انما تنفعه الطاعة وقال
ابن عباس قدرة ربنا وقال الضحاك فعله وقال
القرطبي الاؤه ونعماؤه على خلقه وقال الاخفش
علا ملك ربنا والاولى جميع هذه المعاني وقرا وانه
تعالى جد ربنا وما بعده الى قوله تعالى وانا منا
المسلمون وهي اثنى عشر موضعا ابن عامر وحفص
وحمزة والكسائي بفتح الهمزة في الجميع والباقون بالكسر
ولما وصفوه بهذا التعالي الاعظم المستلزم للغنا
المطلق والتنزه عن كل شائبة نقص بينوه بنفي
ما ينافيه من قولهم الباطل للباطل ما اتخذ صاحبة
اي زوجة لان الصاحبة لا بد وان تكون من نوع
صاحبها ومن له نوع فهو مركب تركيبا عقليا من جهة
مشتركة وجهة غيره ولا ولدا لان الولد لا بد وان يكون
جزءا منفصلا عن والده ومن له اجزاء فهو مركب تركيبا
حسيا ومن المقطوع به ان ذلك لا يكون الا محتاجا وان
الله تعالى متعال عن ذلك من تركيب حسي او عقلي

قال

قال القشيري ويجوز اطلاق لفظ الجد في حق الله تعالى اي
لو لم يجز لما ذكر في القرآن غير انه لفظ موهم فتجنبه اولى
لانه قيل انهم عنوا بذلك الجد الذي هو ابو الاب ويكون
ذلك من قول الجن قال ابو جعفر الصادق ليس لله
تعالى جد وانما قاله الجن للجهالة فلم يؤاخذوا به وقال
القرطبي معنى الاية وانه تعالى وحده ربنا ان يتخذ
ولدا وصاحبة للاستيناس بهما او للحاجة اليهما
والرب تعالى عن ذلك كما تعالى عن الانداد والنظراء
وانه اي وقالوا ان الشان هذا على قراءة الكسر واما
لانه على قراءة الفتح كان يقول اي قوله هو في
عراقته في الكذب بمنزلة الجبلة سفيهنا هو الجنس فيتناول
ابليس راس الجنس تناولا اوليا وكل من تبعه ممن لم يعرف
الله لان ثمرة العقل العلم وثمرة العلم معرفة الله تعالى
فمن لم يعرفه فهو الذي يقول على الله الذي له صفات
الكمال المنافية لقول هذا السفيه شططا اي كذبا
وعدوانا وهو وصفه بالشريك والولد والشطط والاشطاط
الغلو في الكفر وقال ابو مالك هو الجور وقال الكلبي
هو الكذب واصله البعد فيعبر به عن الجور لبعده من العدل
وعن الكذب لبعده من الصدق وانا اي معشر المسلمين
من الجن ظننا اي حسبنا بسلامة فطرتنا ان اي انه
وزاد في تاكيده لن تقول وبدا بافضل الجنسين
فقالوا الانس والحقوهم بهم فقالوا والجن على الله
اي الملك الاعلى الذي بيده النفع والضر كذبا اي قوله

هو لمراقبته في مخالفة الواقع نفس الكذب وانا كنا
نظنهم صادقين في قولهم ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا
القرآن وتبينا به الحق قيل انقطع الاخبار عن الجن هاهنا
وانه اي الشان كان رجال اي ذو قوة وباس من الانس
اي النوع الظاهر في عالم الحس يعوذون اي يلتجئون
ويتحصنون خوفا على انفسهم وما معهم اذا نزلوا
واديا برجال من الجن اي القبيل المستتر عن الابصار
وذلك ان القوم منهم كانوا اذا نزلوا واديا غيره من
العمر تعبث بهم الجن في بعض الاحيان لانه لا مانع
لهم منهم من ذكر الله ولا دين صحيح ولا كتاب
من الله تعالى صريح فحملهم ذلك على ان يستجيروا باعظمها بهم
فكان الرجل يقول عند نزوله اعوذ بسيد هذا الوادي
من سفهاء قومه فيبيت في امن وجوار وردوا عليه
هنالك قال مقاتل كان اول من تعوذ بالجن قوم
من اهل اليمن من بني حنيفة ثم فشا ذلك في العرب
فلما جاء الاسلام عاذوا بالله تعالى وتركوهم وقال
كردم ابن ابي السائب الانصاري خرجت مع ابي
الى المدينة في حاجة وذلك اول ما ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت الى راعي
غنم فلما انتصف النهار جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم
فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادى
مناد ولا نراه يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد
حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة فكان ذلك فتنة

للانس

للانس باعتقادهم في الجن غير ما هم عليه فتبعوهم في
الضلال وفتنة للجن بان يغتروا بانفسهم ويقولون
سدنا الانس والجن فضلوا واضلوا ولذلك سببه
عنه قوله تعالى فزادوهم اي الانس والجن باستعاذتهم
رهقا اي ضيقا وشدة وغشيانا لما هم فيه من احوال
الضلال التي يلزم منها الضيق والشدة وقال مجاهد
الرهق الاثم وغشيان المحارم ورجل رهق اذا كان
كذلك ومنه قوله تعالى وترهقهم ذلة وقال الاعشى
لا شيء ينفعني بدون رؤيتها هل يشتفي عاشق ما لم يصب رهقا
بيني اعما وقال مجاهد ايضا زادوهم اي الانس
زادوا الجن طغيانا بهذا التعوذ حتى قالت الجن
سدنا الانس والجن وقيل لا يطلق لفظ الرجال
على الجن فالمعنى وانه كان الرجل مثلا يقول اعوذ
بحذيفة بن بدر من جن هذا الوادي قال القشيري
وفي هذا تحكم اذ لا يبعد اطلاق لفظ الرجل على
الجن تشبيه قوله تعالى من الانس صفة لرجال
وكذا قوله من الجن وانهم اي الانس ظنوا والظن قد
يصيب وقد يخطي وهو الاكثر كما ظننتم اي ايها الجن
ويجوز العكس ان مخففة اي انه لن يبعث الله
اي الذي له الاحاطة الكاملة علما وقدرة احدا اي
بعد موته كما لبس ابليس عليهم حتى راوا حسنا
ما لبس بالجن واحدا من الرسل يزيل به عماية
الجهل وقد ظهر بالقرآن ان هذا الظن كاذب وانه

لابد من البعث في الامر منه قال لكن وانا لمسنا السماء
اي رمنا استراق السمع منها قال الكلبي السماء الدنيا اي
التمسنا اخبارها على ما كان من عادتنا من استماع
ما يقول به الانس واللمس المس فاستعير للطلب لان
الماس طالب متعرف والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع
كلام اهلها فوجدناها اي في وجد وجهان اظهرهما
انه متعدية لواحد لان معناها اصبنا وصادفنا وعلى
هذا فالجملة من قوله ملئت في موضع نصب على الحال
على اضمار قد والثاني انها متعدية لاثنين فتكون
الجملة في موضع المفعول الثاني ويكون حرسا منصوبا
على التمييز نحو امتلا الاناء ماء والحرس اسم جمع لحارس
نحو خدم لخادم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب
ويمنعونهم من الاستماع وجمع تكسيرا على حراس
والحارس الحافظ الرقيب والمصدر الحراسة شديدا
صفة لحرس على اللفظ ولو جاء على المعنى لقيل
شدادا بالجمع لان المعنى ملئت ملائكة شدادا كقولك
السلف الصالح يعني الصالحين قال القرطبي ويجوز
ان يكون حرسا مصدرا على معنى حرست حراسة
شديدة وشهبا جمع شهاب ككتاب وكتب وهو انقضاض
الكواكب المحرقة لهم المانع لهم عن استراق السمع وانا
كنا اي فيما مضى نقعد منها اسما مقاعد اي كثيرة
قد علمناها لا حرس فيها صالحة للسمع اي ان نسمع
منها بعض ما تتكلم به الملائكة بما امروا به بكرة

وقد

وقد جاء في الخبر ان صفة قعودهم هو ان يكون الواحد
منهم فوق الاخر ان صفة قعودهم هو حتى يصلوا الى
السماء فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها الى الكهان
فيزيدون معها الكذب فمن يستمع الان اي في هذا
الوقت وفيما يستقبل لا انهم ارادوا وقت قولهم فقط يجد
له اي لاجله شهابا اي شعلة من نار ساطعة
تحرقه رصدا اي ارصد به ليرمى به فتحرقه اختلفوا هل
كانت الشياطين تقذف قبل المبعث او ذلك امر حدث
بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقال قوم لم تكن السماء
تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
خمسمائة عام دائما كان ذلك من اجل بعثة النبي صلى
الله عليه وسلم فلما بعث منعوا من السموات كلها وحرست
بالملائكة والشهب وقال عبد الله بن عمر لما كان اليوم الذي
نبئ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين
ورموا بالشهب قال الزمخشري والصحيح انه كان قبل
المبعث وقد جاء شعر ه صح
والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكواكب
ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الاحوال
فلما بعث صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وازداد زيادة
ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق
اصلا وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم
في الجاهلية قال نعم قلت ارايت قوله وانا كنا نقعد
منها قال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي

صلى الله عليه وسلم وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم فقال صلى الله عليه وسلم انها لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى امرا في السماء فسأل اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر اهل كل سماء حتى ينتهي الخبر الى اهل هذه السماء وهذا يدل على ان هذه الشهب كانت موجودة قال ابن عادل وهذا قول الاكثرين فان قيل كيف تتعرض الجن لاحتراق انفسها بسبب سماع خبر بعد ان صار ذلك معلوما لهم اجيب بان الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة قال القرطبي والرصد قيل من الملائكة ورصدا اي من الملائكة والرصد الحافظ للشيء والجمع ارصاد وقيل الرصد هو الشهاب اي شهابا قد ارصد له ليرجم به فهو فعيل بمعنى مفعول واختلف فيمن قال وانا لا ندري اي بوجه من الوجوه اشر اريد اي بعدم استراق السمع بمن في الارض ام اراد بهم ربهم اي المحسن اليهم المدبر رشدا اي خيرا فقال ابن المنذر معنى الآية ان ابليس قال لا ندري هل اراد الله بهذا المنع ان ينزل على اهل الارض عذابا او يرسل اليهم رسولا وقيل هو من قول الجن فيما بينهم

قبل ان يسمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اي لا ندري اشرا اريد بمن في الارض بارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم فانهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه كما هلك من كذب من الامم ام اراد ان يؤمنوا فيهتدون فالشر والرشد على هذا الكفر والايمان وعلى هذا كان عندهم علم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا قراءته علموا انهم منعوا من السماء حراسة للوحي وقيل قالوه لقومهم بعد ان انصرفوا اليهم منذرين اي لما آمنوا اشفقوا ان لا يؤمن كثير من اهل الارض فقالوا انا لا ندري اكفر اهل الارض بما آمنا به ام يؤمنون قال الجن وانا منا الصالحون اي المرضيون في صفة الصلاح قال الجلال المحلي بعد استماع القرآن ومنا دون ذلك اي قوم غير صالحين كنا اي كونا هو كالجبلة طرائق قددا اي جماعات متفرقين واصنافا مختلفة قال سعيد بن المسيب معنى الآية كنا مسلمين ويهودا ونصارى ومجوس وقال الحسن والسدي الجن امثالكم فمنهم قدرية ومرجئة ورافضة وخوارج وشيعة وسنية وقال ابن كيسان شيعا وفرقا لكل فرقة هوى كهوى الناس وقال سعيد بن جبير الوانا شتى وقال ابو عبيدة اصنافا وقيل منا الصالحون ومنا المؤمنون لم يتناهوا في الصلاح قال القرطبي والاول احسن لانه كان في الجن من آمن بموسى وعيسى وقد اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا انا سمعنا كتابا

انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه وهذا
يدل على ايمان قوم منهم بالتوراة تنبيه القدد جمع
جمع قدة والمراد بها الطريقة واصلها السيرة يقال قدة
فلان حسنة اي سيرته وهو من قد السير اي قطعه
فاستعير للسيرة المعتدلة قال الشاعر القابض الباسط
الهادي بطلعته ٭ في فتنة الناس اذ اهواؤهم قدد ٭
وقال لبيد في اخ له ٭
لم تبلغ العين كل نهمتها ٭ يوم تمشي الجياد بالقدد والقد
والقد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ ويقال
ماله قد ولا قحف فالقد اناء من جلد والقحف اناء من
خشب **وانا ظننا ان لن نعجز الله** اي وانا علمنا وتيقنا
بالتفكر والاستدلال في ايات الله انا في قبضة الملك
وسلطانه لن نفوته بهرب ولا غيره لما له من الاحاطة
بكل شيء علما وقدرة لانه واحد لا مثل له تنبيه
اطلقوا الظن على العلم اشارة الى ان العاقل ينبغي
ان يجتنب ما يخيله ضارا ولو بادنى انواع التخيل
فكيف اذا تيقن وقولهم **في الارض** حال وكذلك
هربا في قولهم **ولن نعجزه** اي بوجه من الوجوه **هربا** فانه
مصدر في موضع الحال تقديره لا نفوته كائنين في
الارض او هاربين منها الى السماء فليس لنا مخلص
الا في قبضته فاين ام الى اين المهرب **وانا لما سمعنا**
اي من النبي صلى الله عليه وسلم **الهدى** اي القران الذي
لا مرية فيه الفائقة التامة في صفة البيان والدعاء

الي

الى الخير ما سوغ ان تطلق عليه نفس الهدى **امنا به**
ولا لله وصدقنا محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى
الانس والجن قال الحسن بعث الله تعالى محمدا صلى
الله عليه وسلم الى الانس والجن ولم يبعث الله تعالى
قط رسولا من الجن ولا من اهل البادية ولا من
النساء وذلك قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا
يوحى اليهم من اهل القرى وفي الصحيح وبعثت الى
الاحمر والاسود اي الانس والجن وفي ارساله الى
الملائكة خلاف قدمنا الكلام عليه **فمن يؤمن بربه** اي
المحسن الينا منا ومن غيرنا **فلا** اي فهو خاصة لا **يخاف
بخسا ولا رهقا** قال ابن عباس لا يخاف ان ينقص من
حسناته ولا ان يزاد في سيئاته لان البخس النقصان
والرهق العدوان وغشيان المحارم **وانا منا** لا بعض **المسلمون**
اي المخلصون في صفة الاسلام **ومنا القاسطون** اي
الكافرون اي وانا في سماع القران مختلفون فمنا من
اسلم ومنا من كفر والقاسط الجائر لانه عدل عن الحق
والمقسط العادل الى الحق قسط اذا جار واقسط اذا
عدل يقسط الثلاثي بمعنى جار واقسط الرباعي اذا
عدل وعن سعيد بن جبير ان الحجاج قال له حين اراد
قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما
احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال
الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما مشركا وتلا لهم قوله تعالى
واما القاسطون فكانوا لجهنم ثم الذين كفروا بربهم يعدلون

فمن اسلم اي احقق الاسلام كله بان اسلم ظاهره وباطنه
من لكنه وعبرهم فاولئك اي العالوا الرتبة تحروا اي توخوا
وتصدقوا بجهدهم رشدا اي صوابا عظيما وسددا كان
لما عندهم من النقائص تشاردا عنهم فعالجوا انفسهم
حتي ملكوه فجعلوه لهم منزله واما القاسطون اي المعوجون
في صفة لكونهم عن الصواب من الانس والجن فاولئك
اهملوا انفسهم فلم يتحروا لها فضلوا فابعدوا عن الطريقة
القويم فوقعوا في المهالك التي لا منجا منها فكانوا
لجهنم اي النار البعيدة القعر التي تلقاهم بالتجهم به
والكراهة والعبوسة حطبا اي توقد بهم النار وهي في
اتقاد ما داموا احياء ما دامت تتقد لا يموتون فيستريحو
ولا يحيون فينتفعون تنبيه قوله تعالي فكانوا
اي في علم الله عز وجل فان قيل لم ذكروا عقاب القاسطين
ولم يذكروا ثواب المسلمين اجيب بانهم في مقام الترهيب
فذكروا عقاب القاسطين وعقاب ماحيد رط طوبا
ماكيا العلم بان الله تعالي لا يضيع اجر من احسن
عملا بل لا بد ان يزيد عليه سعة اضعافه وعنده
المزيد وانهم ذكروا نفوسهم تحروا رشدا لو تحروا رشدا
عظيما لا يعلم كنهه الا الله تعالي ومثل هذا لا يتحقق
الا في الثواب فان قيل ان الجن مخلوقون من النار
فكيف يكونون حطبا للنار اجيب بانهم وان خلقوا
منها لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية فصيروا لحما ودما
هذا قيل وهذا الكلام لكن وان في قوله تعالي

وان

وان هي المخففة من الثقيلة واسمها محذوف اي وانه معطوف
علي وانه استمع اي واوحي الي ان الشان العظيم لو استقاموا
علي الطريقة اي طريق الاسلام لاسقيناهم اي جعلنا لهم
بما لنا من العظمة ماء غدقا اي لو امن هولاء الكفار لوسعنا
عليهم في الدنيا ولبسطنا لهم في الرزق وضرب الماء الغدق
مثلا لان الخير والرزق كله في المطر كما قال تعالي ولو
ان اهل القري امنوا واتقوا لفتحنا عليهم الاية وقال
تعالي ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم
من ربهم لاكلوا من فوقهم الاية وقال تعالي ومن يتق
الله يجعل له مخرجا الاية وقال تعالي استغفروا ربكم انه
كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الي قوله ويمددكم
باموال وبنين الاية لنفتنهم اي نعاملهم معاملة المختبر
بما لنا من العظمة فيه اي في ذلك الماء الذي تكون عنه
انواع النعم ليتكشف حال الشاكر والكافر قال الرازي
وهذا بعد ما حبس عنهم المطر سنين المال اه قالت
لحلول المحلي سبع سنين وقال عمر رضي الله عنه اينما
كانوا كان المال واينما كانت الفتنة وقال الحسن وغيره
كانوا سامعين مطيعين ففتحت عليهم كنوز كسري
وقيصر ففتنوا بها فوثبوا بامامهم فقتلوه يعني عثمان
رضي الله تعالي عنه قال البقاعي ويجوز ان يكون
مستعارا للعلم وانواع المعارف الناشئة عن العبادات
التي هي للنفوس كالنفوس للابدان وتكون الفتنة
بمعني التخليص من الهموم والرذائل في الدنيا والنعم

في الاخرة من فتنة الذهب اذا خلصته من غشه ومن يعرض
الى اخرها مستمرا الى الموت عن ذكر ربه اي يجاوزه
عن عبادة المحسن البر المربي له الذي كل احسان عنده
من غيره وقيل المراد بالذكر القرآن وقيل الوحي وقيل
الموعظة يسلكه اي ندخله عذابا يكون مظروفا فيه كالخيط
في ثقب الخرزة في غاية الضيق صعدا اي شاقا شديدا
يعلوه ويغلبه ويصعد عليه ويكون كل يوم اعلى مما قبله
جزاء وفاقا وقال ابن عباس هو جبل في جهنم قال
الخدري كلما جعلوا ايديهم عليه ذابت وعن ابن عباس
ان المعنى مشقة العذاب لان الصعد في اللغة هو
المشقة تقول تصعد في الامر اذا شق عليك ومنه قول
عمر ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح يريد
ما شق علي وما غلبني والشيء في الصعود يشق وقال
عكرمة هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فاذا انتهى
الى اعلاها حدر الى جهنم وقال الكلبي يكلف الوليد
بن المغيرة ان يصعد جبلا في النار من صخرة ملساء يجذب
من امامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى
يبلغ اعلاها ولا يبلغ في اربعين سنة فاذا بلغ اعلاها
احدر الى اسفلها ثم يكلف ايضا الصعود فذلك دأبه
ابدا وهو قوله تعالى سارهقه صعودا وقرا عاصم
وحمزة والكسائي بالياء التحتية على الغيبة لاعادة الضمير
على الله تعالى والباقون بالنون على الالتفات وهذا
كما في قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا ثم قال
باركنا

باركنا حوله لنريه من اياتنا واتفقوا على فتح الهمزة في
قوله تعالى وان اي واوحي الي ان المساجد لله اي مختصة
بالملك الاعظم والمساجد قيل جمع مسجد المبني وقال صلى الله
عليه وسلم يقول اينما كنتم فصلوا واينما صليتم فهو مسجد
وقيل انه جمع مسجد بالفتح مرادا به الاعضاء الواردة
في الحديث الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان
وهو قول سعيد ابن المسيب وابن حبيب والمعنى ان
هذه الاعضاء انعم الله تعالى بها عليك فلا تسجد لغيره
فتجحد نعمة الله قال مساجدك اعضاؤك التي امرت بالسجود
عليها لا تذللها لغير خالقها قال صلى الله عليه وسلم
امرت ان اسجد على سبعة اعظم وذكر الحديث وقال صلى
الله عليه وسلم اذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب قال
ابن الاثير الآراب الاعضاء وهذا القول اختاره ابن الانباري
وقيل جمع سجد وهو مصدر بمعنى السجود ويكون الجمع
لاختلاف الانواع وقال القرطبي المراد بها البيوت
التي تبنيها اهل الملك للعبادة قال سعيد بن جبير قالت
الجن كيف لنا ان ناتي المساجد ونشهد معك الصلاة
ونحن ناءون عنك فنزلت وان المساجد اي بنيت
لذكر الله تعالى وطاعته وقال ابن عباس المساجد هنا
مكة التي هي القبلة وسميت مكة مساجد لان كل احد
يسجد اليها قال القرطبي والقول بانها البيوت المبنية
للعبادة اظهر الاقوال ان شاء الله تعالى وهو مروي
عن ابن عباس واضافة المساجد الى الله تعالى اضافة

تشريف وتكريم وخص منها المسجد العتيق بالذكر فقال تعالى وطهر بيتي وهي وان كانت لله ملكا وتشريفا قد تنسب الى غيره تعريفا قال صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وفي رواية وان صلاة فيه خير من ماية صلاة في مسجدي هذا قال القرطبي وهذا حديث صحيح وفي حديث سابق صلى الله عليه وسلم بين الخيل التي لم تضمر من الثنية الى مسجد بني زريق وقيل لا مسجد فلان لا يتحبس ولا خلاف بين الامة في تحبيس المساجد والقناطر والمقابر وان اختلفوا في تحبيس غير ذلك **فلا تدعوا** اي فلا تعبدوا بها المخلوقات **مع الله** اي الذي له جميع العظمة **احدا** وهذا توبيخ للمشركين في دعواهم مع الله تعالى غيره في المسجد الحرام وقال مجاهد كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنايسهم وبيعهم اشركوا بالله فامر الله تعالى نبيه والمومنين ان يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد كلها يقول فلا تشركوا فيها صنما او غيره مما يعبد وقيل المعنى افردوا المساجد لذكر الله تعالى ولا تتخذوا لغير الله تعالى فيها نصيبا وفي الصحيح من نشد ضالة فقولوا لا ردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا وقال الحسن من السنة اذا دخل رجل المسجد ان يقول لا اله الا الله لان قوله لا تدعوا مع الله احدا في ضمنه امر بذكر الله تعالى ودعايه وروى الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا

سجد

سجد قدم رجله اليمنى وقال وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اللهم عبدك وزايرك وعلى كل مزور حق وانت خير مزور فاسالك برحمتك ان تفك رقبتي من النار فاذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال اللهم صب علي الخير صبا ولا تنزع عني صالح ما اعطيتني ابدا ولا تجعل معيشتي كدا واجعل لي في الارض جدا اي غنى وقرا **وانه** نافع وشعبة بكسر الهمزة على الاستيناف والباقون بالفتح اي واوحي الي انه **لما قام عبد الله** اي عبد الملك الاعلى الذي له الجلال كله والجمال فلا موجود يدانيه بل كل موجود من فايض فضله وعبد الله هو محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرا القران فان قيل هلا قيل رسول الله او النبي اجيب بان تقديره واوحي فلما كان واقعا في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جي به على ما يقتضيه التواضع والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد الله ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى **يدعوه** اي يعبده وقال ابن جريج يدعوه اي قام اليهم داعيا الى الله تعالى فهو في موضع الحال اي موحدا له **كادوا** اي قرب الجن المستمعون لقراءته **يكونون عليه** اي على عبد الله **لبدا** اي متراكمين بعضهم على بعض من شدة ازدحامهم حرصا على سماع القران وقيل كادوا يركبونه حرصا قاله الضحاك وقال ابن عباس رغبة في سماع القران وروى عن مكحول ان الجن بايعوا رسول

تشريف وتكريم وخص منها المسجد العتيق بالذكر فقال
تعالى وطهر بيتي وهي وان كانت لله ملكا وتشريفا
قد تنسب الى غيره تعريفا قال صلى الله عليه وسلم صلاة
في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد
الحرام وفي رواية وان صلاة فيه خير من مائة صلاة
في مسجدي هذا قال القرطبي وهذا حديث صحيح وفي
حديث سابق صلى الله عليه وسلم بين الخيل التي لم
تضمر بين الثنية الى مسجد بني زريق ويقال مسجد فلان
لا تحبيس ولا خلاف بين الامة في تحبيس المساجد والقناطر
والمقابر وان اختلفوا في تحبيس غير ذلك **فلا تدعوا** اي
فلا تعبدوا فيها المخلوقين **مع الله** اي الذي له جميع العظمة
احدا وهذا توبيخ للمشركين في دعواهم مع الله تعالى
غيره في المسجد الحرام وقال مجاهد كانت اليهود و
النصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فامر
الله تعالى نبيه والمومنين ان يخلصوا لله الدعوة اذا
دخلوا المساجد كلها يقول فلا تشركوا فيها صنما او غيره
مما يعبد وقيل المعنى افردوا المساجد لذكر الله تعالى
ولا تتخذوا لغير الله تعالى فيها نصيبا وفي الصحيح من
نشد ضالة فقولوا لا ردها الله عليك فان المساجد
لم تبن لهذا وقال الحسن من السنة اذا دخل رجل المسجد
ان يقول لا اله الا الله لان قوله لا تدعوا مع الله احدا
في ضمنه امر بذكر الله تعالى ودعائه وروى الضحاك
عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا

سجد

سجد قدم رجله اليمنى وقال وان المساجد لله فلا تدعوا
مع الله احدا اللهم انا عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق
وانت خير مزور فاسالك برحمتك ان تفك رقبتي من النار
فاذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال اللهم صب
علي الخير صبا ولا تنزع عني صالح ما اعطيتني ابدا
ولا تجعل معيشتي كدا واجعل لي في الارض جدا اي غنى وقرا
وانه نافع وشعبة بكسر الهمزة على الاستيناف والباقون
بالفتح اي واوحي الي انه **لما قام عبد الله** اي عبد
الملك الاعلى الذي له الجلال كله والجمال فلا موجود يدانيه
بل كل موجود من فائض فضله وعبد الله هو محمد صلى
الله عليه وسلم حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرا القران
فان قيل هلا قيل رسول الله او النبي اجيب بان تقديره
واوحي فلما كان واقعا في كلام رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع
والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد الله ليست بامر
مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا
ومعنى **يدعوه** اي يعبده وقال ابن جريج يدعوه اي قام
اليهم داعيا الى الله تعالى فهو في موضع الحال اي موحدا
له **كادوا** اي قرب الجن المستمعون لقراءته **يكونون عليه**
اي على الله **لبدا** اي متراكمين بعضهم على بعض من
شدة ازدحامهم حرصا على سماع القران وقيل كادوا
يركبونه حرصا قاله الضحاك وقال ابن عباس رغبة في
سماع القران وروي عن مكحول ان الجن بايعوا رسول

الله صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة وكانوا سبعين
الفا وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر وعن ابن
عباس ايضا ان هذا من قول الجن لما رجعوا الى
قومهم اخبروهم بما رأوا من طاعة اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وائتمامهم به في الركوع والسجود
وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني لما قام عبد الله
محمد بالدعوة تلبدت الانس والجن على هذا
الامر ليطفئوه فابى الله تعالى الا ان ينصره ويتم
نوره واختار الطبري ان يكون كادت العرب يجتمعون
على النبي صلى الله عليه وسلم ويتظاهرون على
اطفاء النور الذي جاء به وقرا هشام بضم اللام والاكثر
بكسرها فالاولى جمع لبدة بضم اللام نحو غرفة وغرف
وقيل بل هو اسم مفرد صفة من الصفات وعليه قوله
تعالى مالا لبدا واما الثانية فجمع لبدة بالكسر نحو
قربة وقرب واللبدة الشيء الملبد اي المتراكب بعضه
على بعض ومنه لبدة الاسد كقول زهير

لدى اسد شاكي السلاح مقذف ٭ له لبد اظفاره لم تقلم

ومنه اللبد لتلبد بعضه فوق بعض ولما قال كفار
قريش للنبي صلى الله عليه وسلم انك جئت بامر عظيم
وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك
قال صلى الله عليه وسلم مجيبا لهم انما ادعوا ربي
اي الذي اوجدني ورباني ولا نعمة عندي الا منه
لا ادعوا غيره حتى تجيروا مني ولا اشرك به احدا اي الان

وال

والا مستقبل الزمان بوجه من الوجوه احدا من ود وسواع
ويغوث ويعوق وغيرها من الصامت والناطق وقرا
عاصم وحمزة قل بصيغة الامر التفاتا اي قل يا محمد والباقون
قال بصيغة الماضي وتكبيرا اخبارا عن عبد الله وهو محمد
صلى الله عليه وسلم قال يمجد ربه وهو في المصحف كذلك
وقد تقدم لذلك في قل سبحان ربي في اخر الاسراء
وكذلك في اول الانبياء واخرها واخر المؤمنين قل الو يا
اسوف يخلق بقوله الذي هنا لقوله اني لا املك لكم
اي الان ولا بعده بنفسي من غير اقدار الله تعالى لي
ضرا ولا رشدا اي لا اقدر ادفع عنكم ضرا ولا اسوق
لكم خيرا وقيل لا املك لكم ضرا اي كفرا ولا رشدا اي هدى
لانه لا يؤثر شيء من الاشياء الا الله تعالى وانما علي البلاغ
وقيل الضر الموت والرشد الحياة قل اي لهولاء اني وزاد
في التاكيد لان ذلك في غاية الاستقرار في النفوس
فقال لن يجيرني اي يدفع عني ما يدفع في المجير عن
جاره من الله اي الذي له الامر كله ولا امر لاحد
معه احد اي كائن من كان ان ارادني سبحانه بسوء
ولن اجد اي اصلا من دونه اي الله ملتحدا اي محلا
وموضع ميل وركون ومدخولا وملتجا وحيلة وان
اجتهدت كل الجهد والملتحد الملجأ واصله المدخل
من اللحد وقيل محيصا ومعدلا وقوله الا بلاغا فيه اوجه
احدها انه استثناء منقطع اي لكن ان بلغت عن الله
رحمني لان البلاغ عن الله لا يكون داخلا تحت قوله

ولن اجد من دونه ملتحدا الا انه لا يكون من دون الله بل
يكون من الله تعالى وباعانته وتوفيقه الثاني انه متصل
وتاويله ان الاستجارة مستعارة من البلاغ اذ هو سببها
وسبب رحمته تعالى والمعنى ولن اجد شيا اميل اليه
واعتصم به الا ان ابلغ واطيع فيجيرني واذا كان متصلا
جاز نصبه من وجهين ارجحهما ان يكون بدلا من ملتحدا
لان الكلام غير موجب وهو اختيار الزجاج الثاني
انه منصوب على الاستثنا الثالث انه مستثنى من قوله
لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض
موكد لنفي الاستطاعة وقوله من الله اي الذي احاط
بكل شي قدرة وعلما فيه وجهان احدهما ان من بمعنى
عن لان بلغ يتعدى بها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
الا بلغوا عني والثاني انه متعلق بمحذوف على انه
صفة لبلاغا قال الزمخشري من ليست بصلة للتبليغ
وانما هي بمنزلة من في قوله تعالى براءة من الله بمعنى
بلاغا كائنا من الله وقوله ورسالاته فيه وجهان
احدهما انه منصوب نسقا على بلاغا كانه قيل لا املك
لكم الا التبليغ والرسالات ولم يقل الزمخشري غيره
والثاني انه مجرور نسقا على الجلالة اي الا بلاغا
عن الله تعالى وعن رسالاته كذا قدره ابو حيان وجعله
هو الظاهر ويجوز في جعل من بمعنى عن والتجوز في
الحروف اي كوفي ومع ذلك فغير منقاس عندهم ومن
يعص الله اي الذي له العظمة كلها ورسوله اي الذي

ختم

ختم به النبوة والرسالة فجعل رسالته محيطة بجميع
الملك في التوحيد او غيره على سبيل التجري فان له اي خاصة
نار جهنم اي التي تلقاه بالعبوسة والغيظ وقوله
تعالى حال مقدرة من الهاء في له والمعنى مقدرين خلودهم
خالدين والعامل الاستقرار الذي تعلق به هذا الجار
وحمل على معنى من فعل ذلك فوحد اولا للفظ وجمع
للمعنى واكد بقوله تعالى فيها ابدا ردا على من يدعي
الانقطاع قال البقاعي واما من يدعي انها لا تحرق وان
عذابها عذوبة فليس احد احمق الا من تابعه على
ضلاله وعميه ومحاله وليس لهم دوا الا السيف في الدنيا
والعذاب في الاخرة بما سموه عذوبة وهم صايرون
اليه وموقوفون عليه وحتى في قوله تعالى حتى
اذا راوا ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدار قبلها
اي لا يزالون على كفرهم الى ان يروا ما يوعدون
من العذاب في الاخرة او في الدنيا كوقعة بدر فسيعلمون
اي في ذلك اليوم يوعدون خلف فيه من اضعف
ناصرا اي من جهة المناصر انا وانت في هذا الوقت
وعيدا مستضعفا وهم واقل عددا وان كانوا الان بحيث
لا يحصيهم عدد الا الله تعالى فيا لله ما اعظم كلام
الرسل حيث يستضعفون انفسهم ويذكرون قوتهم
من جهة مولاهم الذي بيده الملك ولا يحيطوا بالسموات
والارض بخلاف الجبابرة فانه لا كلام لهم الا في تعظيم
انفسهم وازدراء غيرهم قال مقاتل لما سمعوا قوله تعالى

حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا
واقل عددا قال النضر بن الحارث متى يكون هذا الذي
توعدنا به قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
قل اي لهولاء في جوابهم بانه آتيهم العذاب وسألوهم عن
عن وقت وقوعه ان اي ما ادري بوجه من الوجوه
اقريب ما توعدون اي يكون الآن او قريبا من هذا
الآن وان حيث يتوقع عن قرب ام بعيد يجعل له اي لهذا
الوعد ربي اي المحسن الي ان قدمه او اخره امدا اي اجلا
مضروبا فلا يتوقع دون ذلك الامد فهو في كل حال
متوقع فكونوا على غاية الحذر لانه لا بد من وقوعه
لا كلام فيه وانما الكلام في تعيين وقته فان قيل
اليس النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت انا والساعة
كهاتين وكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال
هاهنا لا ادري اقريب ام بعيد اجيب بان المراد بقرب
وقوعه هو ان ما بقي من الدنيا اقل مما انقضى فهذا
القدر من قرب معلوم واما معرفة القرب المرتب وعدم
ذلك فغير معلوم فيه اقريب خبر مقدم وما توعدون
مبتدأ ويجوز ان يكون قريب مبتدأ لاعتماده على الهمزة
وما توعدون فاعل به اي اقريب الذي توعدون نحو
اقائم ابوك وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح اليا
والباقون بسكونها وقوله عالم الغيب بدل من ربي
او بيان او خبر مبتدأ مضمر اي هو عالم الغيب وهو
ما لم يره اي عالم الشهادة فهو مختص بعلمه سبحانه

فلذلك

فلذلك سبب عنه قوله تعالى فلا يظهر اي بوجه من الوجوه
في وقت من الاوقات على غيبه الذي غيبه عن غيره
فهو مختص به احدا لعزة علم الغيب فله خاصة الملك
الا من ارتضى وقوله تعالى من رسول تبيين لمن
ارتضى اي الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره
على ما يشاء من الغيب وتارة يكون ذلك الرسول ملكا
وتارة يكون بشرا وتارة يظهر على ذلك بواسطة ملك
وتارة بغير واسطة كموسى عليه السلام في اوقات المناجاة
وكمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج في العالم الاعلى
حضرت قاب قوسين او ادنى وقال القرطبي المعنى فلا
يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسوله فانه
يظهره على ما يشاء من غيبه لان الرسل مؤيدون
بالمعجزات ومنها الاخبار عن بعض المغيبات كما ورد في
التنزيل في قوله تعالى وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم
وقال الزمخشري في هذه الآية ابطال الكرامات وان
كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله تعالى
الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب
وفيها ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابها ابعد
شيء من الارتضاء وادخله في السخط اه وانكار الكرامات
مذهب المعتزلة واما مذهب اهل السنة فاثبتوها فانه
يجوز ان يلهم الله تعالى بعض اوليائه وقوع بعض
الوقائع في المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه
على ذلك ويدل على صحته ما روي عن ابي هريرة عن

النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان فيمن قبلكم من
الامم ناس محدثون من غير ان يكونوا انبيا وان يكن في
امتي احد فانه عمر اخرجه البخاري قال ابن وهب تفسير
محدثون ملهمون ولمسلم عن عايشة عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال يقول في الامم قبلكم محدثون فان
يكن في امتي منهم احد فان عمر بن الخطاب منهم ففي
هذا اثبات كرامات الاولياء فان قيل لو جازت الكرامة
للولي لما تميزت معجزة النبي من غيرها ولما تطرق
الى معرفة الرسول من غيره اجيب بان معجزة النبي امر
خارق للعادة مع عدم المعارضة مقترن بالتحدي ولا يجوز
للولي ان يدعي خرقا للعادة مع التحدي اذ لو ادعاه الولي
لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة واما
الكرامة وما ضاهاها فقال القرطبي ان العلما قالوا لما تمدح
سبحانه بعلم الغيب واستاثر به دون خلقه كان فيه دليل
على انه لا يعلم الغيب احد سواه ثم استثنى من
ارتضاه من الرسل فاعلمهم ما شا من غيبه بطريق
الوحي اليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على
نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ومن يضرب بالحصا
وينظر في الكواكب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من
رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه بل هو كافر بالله
مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه قال بعض العلما
وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها الف
انسان مختلفون الاحوال والرتب فيهم الملك والسوقة

والعالم

والعالم والجاهل والغني والفقير والكبير والصغير مع اختلاف
طوالعهم وتباين مواليدهم ودرجات نجومهم فعمهم حكم
الغرق في ساعة واحدة فان قال قايل انما اغرقهم الطالع
الذي ركبوا فيه فيكون على مقتضى ان هذا الطالع
ابطل احكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة
كل واحد منهم وما يقتضيه طالعه المخصوص به فلا فا
يدة اذن في عمل المواليد ولا دلالة فيها على شقي ولا
سعيد ولم يبق الا معاندة القران الكريم ولقد احسن
القايل ؎

حكم المنجم ان طالع مولدي ؎ يقضي علي بميتة الغرق
قل للمنجم صبحة الطوفان هل ؎ ولد الجميع بكوكب الغرق

وقيل لعلي رضي الله تعالى عنه لما اراد لقا الخوارج لقتالهم
والقمر في العقرب فقال فاين قمرهم وكان ذلك في اخر
السنة فانظر الى هذه الكلمة التي اجاب بها وما فيها
من المبالغة في الرد على من يقول بالنجم وقال لمسافر
بن عوف يا امير المومنين لا تسر في هذه الساعة وسر
بعد ثلاث ساعات تمضي من النهار فقال له علي ولم
قال انك ان سرت في هذه الساعة اصابك واصاب
اصحابك بلا وضر شديد وان سرت في الساعة التي امرتك
بها ظفرت وظهرت واصبت ما طلبت فقال علي ما
كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده ثم قال
فمن صدقك في هذا القول لم امن عليه ان يكون كمن اتخذ
من دون الله ندا وضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير

الا خبرك ثم قال للمتكلم نكذبك ونخالفك ونسير التي
نهانا عنها ثم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس اياكم
وتعلم النجوم الا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر
انما النجم كالكافر في النار والمنجم كالساحر والساحر في النار
والله لئن بلغني انك تنظر في النجوم او تعمل بها لاخلدنك
في الحبس ما بقيت وبقيت ولاحرمنك العطاء ما كان
لي سلطان ثم سافر في الساعة التي نهاه عنها فلقي
القوم فقتلهم وهي وقعة النهروان الثابتة في
صحيح مسلم ثم قال لو سرنا في الساعة التي امرنا
بها وظفرنا لقال انما كان ذلك بتنجيمي وما لمحمد منجم
وما لنا بعده وقد فتح الله تعالى علينا بلاد كسرى
وقيصر وساير البلدان ثم قال يا ايها الناس توكلوا على
الله وثقوا به فانه يكفي ممن سواه فانه اي الله سبحانه
يظهر ذلك الرسول على ما يريد من ذلك الغيب
وذلك انه اذا اراد اظهاره عليه يسلك اي يدخل
ادخال السلك في الجوهرة في نفوذه ونفوذه من
غير ادنى تعوج الى غير المراد من بين يديه اي الجهة
التي يعلمها ذلك الرسول ومن خلفه اي الجهة التي
تغيب عن علمه فصار ذلك كناية عن كل جهة قال
النقاعي ويمكن ان يكون ذكر الجهتين دلالة على الكل
وخصهما لان العدو متى امكنته واحدة منهما اتى
منها ومتى حفظتا لم يات من غيرهما لانه يصير بين
الاولى والاخرى رصدا اي حرسا من جنوده يحرسونه

و

ويحفظونه من الجن ان يسمعوا الوحي فيلقوا الى الكهنة
قبل الرسول فيطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم
حتى يبلغ ما يوحى اليه وقال مقاتل وغيره كان الله اذا
بعث رسولا اتاه ابليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله
تعالى من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة
يحرسونه ويطردون الشياطين فاذا جاءه شيطان في
صورة ملك اخبروه بانه شيطان فاحذره واذا جاءه
ملك قالوا له هذا رسول ربك وعن الضحاك ما بعث
نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا
بصورة الملك ليعلم اي الله علم ظهور كقوله تعالى حتى
نعلم المجاهدين ان مخففة من الثقيلة اي انه قد
ابلغوا اي الرسل رسالات ربهم وحد اولا على اللفظ
في قوله تعالى من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على
المعنى كقوله تعالى فان له نار جهنم خالدين فيها والمعنى
ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة
والنقصان وقيل ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان الرسل
قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم اي بما عند
الرسل من الحكم والشرايع لا يفوته منها شي ولا ينسى
منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها واحصى اي الملك
سبحانه وتعالى كل شيء اي من القطر والرمل وورق
الاشجار وزبد البحر وغير ذلك عددا ولو علمه قبل
مقاديره الذي فيما لم يزل وفيما لا يزال فكيف لا يحيط
بما عند الرسل من وحيه وكلامه وقال ابن جبير

والمعنى ليعلم الرسل ان ربهم قد احاط بما لديهم فيبلغوا
رسالته تنبيه هذه الاية تدل على انه تعالى عالم
بالجزئيات وبجميع الموجودات وعددا يجوز ان يكون تمييزا
منقولا من المفعول به والاصل احصى عدد كل شيء كقوله
تعالى وفجرنا الارض عيونا اي عيون الارض وان يكون
منصوبا على الحال اي وضبط كل شيء معدودا محصورا
وان يكون مصدرا في معنى الاحصاء وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا
سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا وكذب به
عتق رقبة حديث موضوع

سورة المزمل مكية

في قول الحسن وعكرمة وجابر وقال ابن عباس الا ايتين
منها واصبر على ما يقولون والتي تليها ذكره الماوردي
وقال الثعلبي ان ربك يعلم انك تقوم ادنى الى اخر
السورة فانه نزل بالمدينة وهي تسعة عشر وعشرون
اية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمان مائة وثمانية
وثلاثون حرفا بسم الله الذي من توكل عليه كفاه
في جميع الاحوال الرحمن الذي عم بنعمة الايجاد المهتدي
والضال الرحيم الذي خص حزبه بالسداد في الافعال
والاقوال وقوله تعالى يا ايها المزمل اصله المتزمل فادغمت
التاء في الزاي يقال تزمل يتزمل تزملا فاذا اريد
الادغام اجتلبت همزة الوصل وهذا الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة اقوال الاول قال

عكرمة

عكرمة يا ايها المزمل بالنبوة والملتزم للرسالة وعنه يا ايها
الذي ازمل هذا الامر اي حمله ثم فتر والثاني قال ابن
عباس يا ايها المزمل بالقرآن والثالث قال قتادة يا ايها
المزمل بثيابه قال النخعي كان متزملا بقطيفة عائشة
بمرط طوله اربعة عشر ذراعا قالت عائشة كان نصفه
علي وانا نائمة ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يصلي والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا
ابريسم ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا ذكره
الثعلبي ولحمة الثوب بفتح اللام وضمها والفتح افصح
ولحمة النسب كذلك افصح ولحمة البازي بالضم لا غير
لانها كاللقمة قال القرطبي وهذا القول من عائشة
يدل على ان السورة مدنية فان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يبن بها الا بالمدينة والقول بانها مكية قال
الضحاك تزمل لمنامه وقيل بلغه من المشركين قول
سوء فيه فاشتد عليه فتزمل وتدثر فنزلت يا ايها
المزمل ويا ايها المدثر وقيل كان هذا في ابتداء ما اوحي
اليه فانه صلى الله عليه وسلم لما جاءه الوحي في غار
حراء رجع الى خديجة زوجته يرجف فؤاده فقال زملوني بي
زملوني لقد خشيت على نفسي اي ان يكون هذا
مبادي شعر وكهانة وكل ذلك من الشيطان وان
يكون الذي ظهر له بالوحي ليس الملك وكان صلى الله
عليه وسلم يبغض الشعر والكهانة غاية البغضة فقالت
له وكانت وزيرة صدق رضي الله تعالى عنها كلا

والله لا يخزيك الله ابدا انك تصل الرحم وتقري الضيف
وتعين على نوائب الحق ونحو هذا من الكلام الذي يثبت
وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان نائما في الليل متزملا
في قطيفة فنودي بما يهجن تلك الحالة التي كان
عليها من التزمل في قطيفة فقيل له يا ايها المزمل
قم الليل اي الذي هو وقت الخلوة والخفية والستر
فصل لنا في كل ليلة من هذا الجنس وقف بين يدينا
بالمناجاة والانس بما انزل عليك من كلامنا فانا نريد
اظهارك واعلاء قدرك في البر والبحر والسر والجهر
وقيام الليل معناه في الشرع الصلاة فلذا لم يقيد
وهي جامعة لانواع الاعمال الظاهرة والباطنة وهي
عمادها فذكرها دال على ما عداها ولما كان للبدن
حظ في الراحة قال تعالى مستثنيا من الليل الا قليلا
اي من كل ليلة فان الاشتغال في اليوم فعل من لا همة
امور له يعنيه شان الاوقات الى قول ذي الرمة
وكاين تخطت ناقتي مفازة ۞ ومن نائم عن ليلها متزمل
يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم
الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق
والمتاعب ونحوه سعدا اذا نام نيل الوصل ومن
امثالهم اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا
سعد الابل فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف
الجد والكيس وامر بان يختار على الهجود التهجد وعلى
التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله

لا جرم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك مع
اصحابه حق التشمر واقبلوا على احيائهم ورفضوا الرقاد
والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت
الوانهم وظهرت السيما في وجوههم وترامى امرهم الى
حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقال الكلبي انما تزمل
صلى الله عليه وسلم تهيئا للصلاة وهو اختيار الفراء
فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين
لحاله التي كان عليها وامر بان يدوم على ذلك
ويواظب عليه وعن عكرمة ان المعنى يا ايها الذي زمل
امرا عظيما اي حمله والزمل الحمل قال البغوي قال الحكما
كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في اول الوحي
قبل تبليغ الرسالة ثم خوطب بعد بالنبي صلى الله
عليه وسلم والرسول وقال السهيلي ليس المزمل من
اسماء النبي صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه بعض
الناس وعدوه في اسمائه صلى الله عليه وسلم وانما المزمل
اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب
وكذلك المدثر وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان
احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة
المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته
التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي حين
غاضب فاطمة رضي الله تعالى عنها فاتاه وهو نائم
وقد لصق بجنبه التراب فقال له قم يا ابا تراب اشعارا له
بانه غير عاتب عليه وملاطفة له وكذلك قوله صلى

الله عليه وسلم لخديجة ثم بالزمان وكان نائما ملطفة
لدو استعمال بترك العتب والتأنيب فقول الله تعالى لمحمد
صلى الله عليه وسلم يا ايها المزمل قم فيه تأنيس له وملاطفة
ليستشعر انه غير عاتب عليه والفائدة الثانية التنبيه
لكل متزمل راقد ليله ان ينتبه الى قيام الليل وذكر
الله تعالى فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه
مع المخاطب من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة
والليل مدة من غروب الشمس الى طلوع الفجر قاله
القرطبي واختلف هل كان قيامه فرضا او نفلا والدليل
تقوله ان قيامه كان فرضا لان المندوب لا يقع على
بعض الليل دون بعض لان قيامه ليس مخصوصا
بوقت دون وقت واختلف هل كان فرضا او نفلا على
النبي صلى الله عليه وسلم وحده او عليه وعلى من كان
قبله من الانبياء او عليه وعلى امته على ثلاثة
اقوال الاول قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب اليه
الثاني قول ابن عباس قال كان قيام الليل فريضة
على النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء قبله الثالث
قول عائشة وابن عباس ايضا انه كان فرضا عليه
وعلى امته لما روى مسلم ان هشام بن عامر قال لعائشة
انبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
ان الله عز وجل افترض قيام الليل في اول هذه
السورة فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم حوله وامسك
الله عز وجل خاتمتها اثنى عشر شهرا في السماء حتى

انزل

انزل الله عز وجل في اخر السورة التخفيف فصار قيام الليل
تطوعا بعد فريضته وقيل عسر عليهم تمييز القدر
الواجب فقاموا الليل كله وشق عليهم فنسخ بقوله
تعالى اخرها فاقرؤا ما تيسر من القران وكان بين الوجوب
ونسخه سنة وقيل نسخ التقدير بمكة وبقي التهجد
حتى نسخ بالمدينة وروى وكيع ويعلى عن ابن عباس
قال لما نزلت يا ايها المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم
في شهر رمضان حتى نزل اخرها وكان بين نزول اولها
واخرها نحو من سنة وقال سعيد بن جبير مكث النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه عشر سنين يقومون الليل
فنزلت بعد عشر سنين ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من
ثلثي الليل فخفف الله عنهم وقيل كان قيام الليل
واجبا ثم نسخ بالصلوات الخمس والصحيح انه صلى الله
عليه وسلم بعث يوم الاثنين في رمضان وهو ابن اربعين
سنة وقيل ثلاث واربعين وامنت به خديجة ثم بعدها
قيل ابو بكر وقيل زيد بن حارثة ثم امر بتبليغ قومه
بعد ثلاث من بعثته فاول ما فرض عليه صلى الله
عليه وسلم بعد الانذار والدعا الى التوحيد من
قيام الليل ما ذكر في اول السورة ثم نسخ بما في اخرها
ثم نسخ بايجاب الصلوات الخمس الى بيت المقدس ليلة
الاسرا بمكة بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة اشهر ليلة سبع
وعشرين من رجب هذا ما ذكره النووي في روضته
وقال في فتاويه بعد النبوة بخمس او ست وجعل القبلة

من ربيع الاول وخالفهما في شرح مسلم وجزم بانها من
ربيع الاخر وقلة فيها القاضي عياض والذي عليه الاكثر
ما في الروضة واستمر يصلي الى بيت المقدس مدة
اقامته بمكة وبعد الهجرة ستة عشر شهرا او سبعة عشر
ثم امر باستقبال القبلة ثم فرض الصوم بعد الهجرة بسنتين
تقريبا وفرضت الزكاة بعد الصوم وقيل قبله وفي السنة
الثانية قيل في نصف شعبان وقيل في رجب حولت
القبلة وفيها فرضت صدقة الفطر وفيها ابتدا صلى الله
عليه وسلم صلاة عيد الفطر ثم عيد الاضحى ثم فرض
الحج سنة ست وقيل سنة خمس ولم يحج صلى الله عليه
وسلم بعد الهجرة الا حجة الوداع واعتمر اربعا وتوفي
صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت
من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة فائدة
الانبيا صلى الله عليه وسلم اجمعين كلهم معصومون
قبل النبوة من الكفر وفي المعاصي خلاف وبعدها
من الكبائر وكذا من الصغائر ولو سهوا عند المحققين وقوله
تعالى نصفه بدل من قليلا وقلته بالنظر الى الكل او انقص
منه اي من النصف قليلا اي من الثلث او زد عليه
اي على النصف الى الثلثين واو للتخيير فكان صلى الله
عليه مخيرا بين هذه المقادير الثلاث وكان صلى الله
عليه وسلم يقوم حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ الى
القدر الواجب وكذا بعض اصحابه واشتد ذلك
عليهم حتى انتفخت اقدامهم وقد تقدم ان ذلك عليهم

حتى

حتى انتفخت اقدامهم وقد تقدم ان ذلك نسخ بايجاب
الصلوات الخمس نصا وقيام الليل تطوعا فينبغي للمريد
المواظبة عليه خصوصا في الوقت الذي يبارك الله تعالى
بالتجلي فيه فانه صح ان ينزل سبحانه عن ان يشبه
ذاته شيئا او نزوله غيره بل هو كناية عن فتح باب السماء
الذي هو كناية عن وقت استجابة الدعا حتى يبقى
ثلث الليل وفي رواية حتى يبقى شطر الليل الاخر الى سما
الدنيا فيقول سبحانه هل من سائل فاعطيه هل من تائب
فاتوب عليه هل من كذا هل من كذا حتى يطلع الفجر ولما
امر بالقيام وقدر وقته وعينه امر بهيئة التلاوة التي
روح الصلاة على وجه عام فقال تعالى ورتل القران
اي اقراه على ترسل وتودد وتبيين حروفه واشباع
حركاته بحيث يتمكن السامع من عدها وتجي المتلو منه
شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان
وان لا تهذه هذا ولا تسرده سردا كما قال عمر بن الخطاب
شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة وقال ابن
مسعود لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر
ولكن قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم احدكم
اخر السورة وقوله تعالى ترتيلا تاكيد في الامر به
وانه لا بد منه للقاري وعن ابن عباس اقرا على هينتك
ثلاث ايات او اربعا او خمسا وروى الترمذي عن عائشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى اصبح باية والاية
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز

بحكم وسئلت عائشة عن قراته صلى الله عليه وسلم
لا كسرد كم هذا الوارد السامع ان يعد حروفها لعدها وسيد
انس كيف كانت قراة النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت
مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن
ويمد الرحيم وجا رجل الى ابن مسعود فقال قرات المفصل
الليلة في ركعة فقال هذا كهذا الشعر لقد عرفت النظاير
التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن وروى
ابو داود عن عبد الرحمن بن عوف قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم يوتى بقارئ القران يوم القيامة
فيوقف في اول درج الجنة ويقال له اقرا وارق ورتل
كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند اخر اية تقروها
وندب اصغا اليه وبكا عند القراة وتحسين بها جهرا
واعادتها لنحو تفصل طويل وجلوس لها واستقبال وتدبر
وتخشع وكرهت بفم نجس وجازت في حمام وهي نظرا
في المصحف افضل منها عن ظهر قلب نعم ان زاد به
خشوعه وحضور قلبه في القراة عن ظهر قلب فهي
افضل في حقه وهب افضل من ذكر لم يخص بمحل
وحرم توسد مصحف وندب كتبه وايضاحه ونقطه
وشكله ويحرم كتبه بنجس ومسه بنجس غير معفو
عنه ويحرم القراة بالشواذ وهي ما نقل احادا وبعكس
الاي وكره العكس في السور الا في تعليم وندب ختم
القران اول نهار واول ليل وختمه في الصلاة افضل
من ختمه خارجها وندب صيام يوم يختم الا ان

يبادر

يبادر يوما نهى الشرع عن صيامه وندب الدعا بعده
وحضوره والشروع بعده في ختمة اخرى وندب كثرة تلاوته
ونسيانه كبيرة وكذا نسيان شي منه ويحرم تفسيره بلا
علم انا اى بما لنا من العظمة سنلقي اى بوعد لا خلف فيه
عليك قوله اى قرانا واختلف في معنى قوله تعالى ثقيلا
فقال قتادة ثقيل والله فرايضه وحدوده وقال
مجاهد حلاله وحرامه وقال محمد بن كعب ثقيلا على
المنافقين لانه يهتك اسرارهم ويبطل اديانهم وثقيل
على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالهم
وسب الهتهم قال السدي ثقيل بمعنى كريم ماخوذ من
قولهم فلان ثقل علي اى تكرم علي وقال الفرا ثقيلا
اى رزينا وقال الحسن بن الفضل ثقيلا اى لا يحمله
الا قلب مويد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد
وقال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا
ثقل في الميزان يوم القيامة وقيل ثقيل اى ثابت كثبوت
الثقيل في محله ومعناه انه ثابت الاعجاز لا يزول
اعجازه ابدا وقيل ثقيل بمعنى ان العقل الواحد لا يفي
بادراك فوايده ومعانيه بالكلية فالمتكلمون غاصوا
في بحار معقولاته والفقها بحثوا في احكامه وكذا
اهل اللغة والنحو وارباب المعاني ثم لا يزال كل متاخر
يفوز منه بفوايد ما وصل اليها المتقدمون فعلمنا
ان الانسان الواحد لا يقوى على الاشتغال بحمله
فصار كالحمل الثقيل الذي يعجز الخلق عن حمله والاولى

ان جمل هذه المعاني كلها فيه وقيل المراد هو الوحي كما جاء في
في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحي
اليه وهو على ناقته وضعت جرانها اي صدرها على
الارض فما تستطيع ان تتحرك حتى يسرى عنه وعن
الحارث بن هشام انه سال النبي صلى الله عليه وسلم
كيف ياتيك الوحي فقال صلى الله عليه وسلم
احيانا ياتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا اشد
علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا
يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت
عائشة ولقد رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد
البرد فيفصم عني وقد وعيت عنه وان جبينه
ليتفصد عرقا اي يجري عرقه كما يجري الدم من
المفاصد وقوله فيفصم عني اي ينفصل عني ويفارقني
وقد وعيت اي حفظت ما قال وقال القشيري القول
الثقيل هو قوله لا اله الا الله لانه ورد في الخبر
لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان
وقال الزمخشري هذه الاية اعتراض ثم قال
واراد بهذا الاعتراض ما كلفه من قيام الليل
من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها
القران لان الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا
بد لمن احياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه اه
يعني فالاعتراض من حيث المعنى لا من حيث
الصناعة كذلك ان قوله تعالى ان ناشية الليل اي

القيام

القيام بعد النوم هي اشد وطا اي مواطاة السمع
للقلب على تفهم القران هي اشد مطابقة لقوله قم
الليل فكانه شابه الاعتراض من حيث دخوله بين
هذين المتناسبين والمعنى سنلقي عليك بافتراض صلاة
الليل قوله ثقيلا يثقل حمله لان الليل للمنام فمن
امر بقيام اكثره لم يتهيا له ذلك الا بحمل مشقة شد يدة
على النفس ومجاهدة الشيطان فهو امر ثقيل على
العبد ولما كان التهجد يجمع القول والفعل وبين ما
في الفعل لانه اشق فكان تقديم الترغيب بالمزية
احق اتبعه القول فقال واقوم قيلا اي واعظم سدادا
من جهة القيل في فهمه ووقعه في القلوب لحضور
القلب لان الاصوات هادية والدنيا ساكنة فلا
يضطرب على المصلي ما يقروه وقال قتادة ومجا هد
اصوب للقراءة واثبت القول لانه زمان التفهم
لربما قد الليل بهذا والاصوات وتجلي الرب سبحانه
لحصول البركات واخلص من الريا فبين الله
تعالى بهذه الاية فضل صلاة الليل على صلاة
النهار وان الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها
ما امكن اعظم للاجر واجلب للثواب كان علي بن
الحسين يصلي بين المغرب والعشا ويقول هو ناشية
الليل او ساعة وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما
في الليل كله لانه ينشا بعد النهار وهو اختيار مالك
قال ابن العربي وهو الذي يعطيه اللفظ وتقتضيه

اللغة وقالت عايشة وابن عباس ايضا ومجاهد
انما الناشئة القيام بالليل بعد النوم ومن قام قبل
النوم فما قام ناشئة وقال يمان وابن كيسان هو
القيام من اخر الليل واما قوله تعالى اشد وطا اي
اثقل علي المصلي من ساعات النهار لان الليل
وقت منام وراحة فاذا قام الي الصلاة الليل فقد
تحمل المشقة العظيمة هذا علي قراة الكسر الواو وفتح
الطا وبعدها الف ممدودة وهمزة منونة وهي
قراة ابي عمرو وابن عامر وقرا الباقون بفتح الواو
وسكون الطا وبعدها همزة فهي مصدر واطات وطا
اي وافقت عليه الامر من الوفاقة تقول فلان يواطي
اسمه اسمي اي يوافقه فالمعني اشد موافقة بين
القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع الاصوات
والحركات قاله مجاهد وغيره قال تعالى ليواطوا عدة
ما حرم الله اي ليوافقوا وقوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اشدد وطاتك علي مضر وقيل اشد مهادا
للتصرف في الفكر والتدبر وقيل اشد ثباتا من النهار
فان الليل يخلو فيه الانسان بما يعمله فيكون ذلك
اثبت للعمل والوطي الثبات تقول وطات الارض
بقدمي وفي محلة عبادة الليل اشد نشاطا واتم اخلاصا
واكثر بركة وابلغ في الثواب **ان لك** اي ايها المتزمل
او يا اكرم الخلق ان كان الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم **في النهار** الذي هو محل السعي في مصالح الدنيا

سبحا

سبحا طويلا اي تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا في
حوايجك واشغالك والسبح مصدر سبح البعد فيه
وقال القرطبي السبح الجري والدوران منه السباحة
في الما لتقلبه بيده ورجليه وفرس سابح شديد الجري
وقيل السبح الفراغ اي ان ذلك فراغا لحاجات النهار
وعن ابن عباس سبحا طويلا يعني فراغا طويلا لنومك
وراحتك فاجعل ناشئة الليل لعبادتك وقيل ان
فاتك من الليل شي فلك في النهار فراغ تقدر علي
تداركه فيه **واذكر اسم ربك** اي المحسن اليك والموجد
والمدبر لك بكل ما يكون ذكرا من اسم وصفة وثنا ونحو
وتسبيح وتحميد وصلاة وقراة ودعا واقبال علي
علم شرعي وادب مرعي ودم علي ذلك في ليلك
ونهارك واحرص بالذكر فقد حظيت المحبي بالتوحيد
والاخلاص وذلك عون لك علي مصالح الدارين
اما الاخرة فواضح واما الدنيا فقد ارشد النبي صلى
الله عليه وسلم اعز الخلق عليه فاطمة ابنته رضي الله
تعالى عنها لما سالته خادما يقيها التعب الي التسبيح
والتحميد والتكبير عند النوم **وتبتل** اي اجتهد في قطع
نفسك عن كل شاغل والاخلاص في جميع اعمالها
بالتدريج قليلا منتهيا **اليه** ولا تزل عليه ذلك حتي
يصير ذلك لك خلقا فتكون نفسك كانها منقطعة
بغير قاطع وقوله تعالى **تبتيلا** مصدر تبتل جي به رعاية
للفواصل وهو ملزوم التبتل قال الزمخشري لانه تلت

كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا قلت لان معنى تبتل بتل نفسه
فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل اهـ والتبتل
الانقطاع ومنه امراة بتول اي انقطعت عن النكاح
وفي الحديث انه نهى عن التبتل وقال يا معشر الشباب
من استطاع منكم الباءة اي مؤن النكاح فليتزوج
والمراد به في الاية الكريمة الانقطاع الى عبادة الله
تعالى كما مر لا الاشارة اليه دون ترك النكاح والتبتل
في الاصل الانقطاع عن الناس والجماعات
وقيل ان اصله عند العرب التفرد قاله ابن عرفة
وقال ابن العربي هذا فيما مضى واما اليوم وقد
مرجت عهود الناس وخفت اماناتهم واستولى
الحرام على الحطام فالعزلة خير من الخلطة والعزبة
افضل من التاهل ولكن معنى الاية وانقطع عن
الاوثان والاصنام وعن عبادة غير الله تعالى وكذلك
قال مجاهد معناه اخلص له العبادة ولم يرد التبتل
فصار التبتل مامورا به في القران منهيا عنه في
السنة ومتعلق الامر غير متعلق النهي فلا يتناقضا
وانما بعث لتبيين ما انزل اليهم فالتبتل المامور به
الانقطاع الى الله تعالى باخلاص العبادة كما قال
الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
والتبتل المنهي عنه هو سلوك مسلك النصارى
في ترك النكاح والترهب في الصوامع لكن عند
فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف

الجبال ومواضع القطر يفر بدينه من الفتن ولما كانت
الواجب على كل احد شكر المنعم بين سبحانه الذي انعم
بسكون الليل الذي امر بالتهجد فيه وبنشر النهار الذي
امر بالتسبيح فيه فقال تعالى رب المشرق اي موجد كل
الانوار التي بها يمحى هذا الليل الذي انت قائم فيه
وتضحي بها الصباح وعند الصباح يحمد القوم السرى
قال العلامة تقي الدين ابن دقيق العيد
كم ليلة فيك وصلنا السرى ۞ لا نعرف الغمض ولا نستريح
واختلف الاصحاب ماذا الذي ۞ يزيل من شكواهم او يريح
فقيل تعريسهم ساعة ۞ وقلت بل ذكراك وهو الصحيح
والمغرب اي الذي يكون عنده الليل الذي هو محل السكون
وموضع الخلوات ولذيذ المناجات فلا تضر به شمس
ولا قمر ولا نجم الا بتقديره لا اله الا اي لا معبود بحق الا هو
اي ربك الذي دلت تربيته لك على جامع العظمة
والنهي صفات الكمال والتنزه عن كل شائبة نقص وقرا ا
بن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي اي بكسر البا على
البدل من ربك وعن ابن عباس على القسم
باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله
الا هو كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد والباقون
برفعها على انه خبر مبتدا محذوف اي هو او مبتدا خبره لا اله
الا هو فاتخذه اي خذه بجميع جهدك وذلك بافرادك
اياه بكونه وكيلا اي عليك من حالك وان تفوض
جميع امورك اليه فانه يكفيكها كلها فانه المتفرد با

عليها ولا شي في يد غيره فلا تهتم بشي اصلا قال
البقاعي وليس ذلك بان يترك الانسان كل عمل فان
ذلك طمع فارغ بل لا الاجاع في طلب ما يندب الانسان
الي طلبه يكون متوكلا في السبب لا من دون سبب
فانه يكون حينئذ كمن يطلب الولد من غير زوجة
وهو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية علي الاسباب
ولو لم يكن في افراده بالوكالة الا انه لا يفارق الوكيل
بالعظمة والشرف والرفق من جميع الوجوه فان وكيلك
من الناس دونك وانت تتوقع ان يكل كثيرا في
مصالحك وسائله طويلا ووكيلك من الناس
اذا احصل مالك ويعطيك الاجر ووكيلك من الناس
ينفق عليك من مالك وهو سبحانه يرزقك وينفق
عليك من ماله ومن عشك بهذه الانتعاش حرا
كريما ومات خالصا شريفا ولقي الله تعالي عبدا
صافيا مختارا نقيا ومن شرط الموحد ان يتوجه
الي الواحد ويقبل عليه ويبذل له نفسه ويفوض اليه
امره ويترك التدبير ويثق به ويركن اليه ويتذلل
لربوبيته ويتواضع لعظمته واصبر علي ما يقولون
اي المخالفون المتهوهون من الوكالة من الاذى والسب
والاستهزاء ولا تجزع من قولهم ولا تمتنع من دعواهم
وفوض امرهم الي فاني اذا كنت وكيل لك اقوم
باصلاح امرك احسن من قيامك بامور نفسك
واهجرهم اي اعرض عنهم هجرا جميلا اي لا تتعرض

لهم

لهم ولا تشتغل بمكافاتهم فان ذلك ترك للدعاء الي الله
تعالي وكان قبل هذا الامر بالقتال فانه صلي الله عليه
وسلم منع في اول الاسلام من قتال الكفار وامر هو
واصحابه بالصبر علي اذاهم لقوله تعالي لتبلون في
اموالكم الاية ثم امر به ان ابتدأوا بالمقاتلة وقاتلوا في
سبيل الله الذين يقاتلونكم ثم ابيح له ابتداؤه في غير
الاشهر الحرم ثم امر به مطلقا من غير تقييد بشرط ولا
زمان لقوله تعالي لتبلون في اموالكم الاية ثم امر
به ان ابتدئ بالمقاتلة وقاتلوا في سبيل الله الذين
يقاتلونكم ثم ابيح لقوله تعالي واقتلوهم حيث
ثقفتموهم وذرني اي اتركني والمكذبين اي لا تحتاج
الي الظفر بمرادك ومشتهاك الا ان تخلي بيني وبينهم
بان تكل امرهم الي وتستكفينيه فانه في ما يفرغ بالك ويجلي
همك ثم منع حتي تطلب اليه ان تذره واياه الا لتوكل الاستكفاء
والتفويض لانه اذا لم يكل اليه امره فكانه يمنعه منه فاذا وكله
اليه فقد ازال المنع وترك واياه وفيه دليل علي التو
ثوق بانه يتمكن من الوفا باقصي ما تدور اليه امنية
المخاطب ومما يزيد عليه واختلف في سبب نزول هذه
الاية فقال مقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة
فلم يكن الا يسيرا حتي قتلوا ببدر وقال يحيي بن سلام
انهم بنوا المغيرة وقال سعيد بن جبير اخبرت انهم اثنى
عشر رجلا وقال الجوزي نزلت في صناديد قريش
ورؤساء مكة من المستهزئين وقوله تعالي اولي النعمة نعت

للمكذبين اي اصحاب التنعم والترفه فايدة النعمة في اللغة
بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة **ومهلهم** اي
اتركهم برفق وتان وتدريج ولا تهتم بشانهم وقوله تعالى
قليلا نعت لمصدر اي تمهيلا قليلا او لظرف زمانا محذوف
اي زمانا قليلا فقتلوا بعد يسير ببدر وقوله **ان لدينا
انكالا** جمع نكل بالكسر وهو القيد الثقيل الذي لا ينفك
ابدا وقال الكلبي اغلالا من حديد **وجحيما** اي نارا حامية
جدا شديدة الاتقاد عما كانوا يعتقدون به من
تبريد الشراب والتنعم برقيق اللباس وتكلف انواع
الراحة **وطعاما ذا غصة** اي نغص به في الحلق وهو الزقوم
او الضريع او الغسلين او شوك من نار لا يخرج ولا
ينزل **وعذابا اليما** اي مولما ومعنى الاية ان لدينا في
الاخرة ما يضاد تنعمهم في الدنيا وهي هذه الامور الاربعة
الانكال والجحيم والطعام الذي يغص به والعذاب
الاليم والمراد به ساير انواع العذاب وروي انه صلى
الله عليه وسلم قرا هذه الاية فصعق وصنع عنده
الليلة الثالثة فاخبر ثابت البناني ويحيى البكاي
ويزيد الضبي فجاءوا فلم يزالوا به حتى شرب شربة
من سويق وقوله تعالى **يوم ترجف** منصوب بالاستقرار
المتعلق بلدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة
فتزلزل **الارض** اي كلها **والجبال** اي التي هي اثرها **وكانت**
اي وتكون **الجبال** التي هي مراسي الارض واوتادها
وعبر عن ثبوت الاختلاف والتلاشي بالتوحيد فقال

تعالى **كثيبا** اي رملا مجتمعا من كثب الشي اذا جمعه
كانه فعيل بمعنى مفعول في اصله ومنه الكثبة من اللبن
مهيلا قال ابن عباس رملا سايلا يتناثر وقال الكلبي
هو الذي اذا اخذت منه شيا يتبعك ما بعده قال
القرطبي واصله مهيول وهو مفعول من قولك هلت
عليه التراب اهيله اهالة وهيلا اذا اصببته يقال
مهيل ومهيول ومكيل ومكيول ومدين ومديون قال الش ع
قد كان قومك يحسبونك سيدا واخال انك سيد معيون
وقال صلى الله عليه وسلم حين شكوا اليه الجدوبة اتكيلون
ام تهيلون استثقلت الضمة يهيل قال كيلوا طعامكم
يبارك لكم فيه واصل مهيل مهيول استثقلت الضمة
على اليا فنقلت الى الها فالتقى ساكنان فسيبويه واتبا عه
حذفوا الواو وكانت اولى بالحذف لانها زايدة وان
كانت القاعدة انما تحذف لالتقاء الساكنين
الاول ثم كسروا الها لتصح اليا ووزنه حينئذ مفعل
والكسايي ومن تبعه حذفوا اليا لان القاعدة حذف
الاول كما مر ولما خوف تعالى المكذبين اولي النعمة
باهوال القيامة خوفهم بعد ذلك باهوال الدنيا فقال
تعالى **انا** اي بما لنا من العظمة **ارسلنا اليكم** اي اهل مكة
شفاها لكم خاصة والى كل من بلغته الدعوة عامة
رسولا اي عظيما جدا وهو محمد صلى الله عليه وسلم
خاتم النبيين وامامهم واجلهم وافضلهم قدرا **شاهدا
عليكم** اي بما تصنعون ليوديه الشهادة عند طلبها

منه يوم تنزع من كل امة شهيدا وهو يوم القيامة كما
ارسلنا اي بما لنا من العظمة الى فرعون اي ملك مصر
رسولا وهو موسى عليه السلام وهذا تهديد لاهل مكة
بالاخذ الوبيل قال مقاتل وانما ذكر موسى وفرعون
دون سائر الرسل لان اهل مكة ازدروا محمدا صلى الله
عليه وسلم واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازد
را موسى لانه رباه ونشا فيما بينهم كما قال تعالى
حكاية عن فرعون الم نربك فينا وليدا وذكر الرازي
السؤال والجواب قال ابن عادل وهو ليس بالقوي
لان ابراهيم عليه السلام ولد ونشا فيما بين قوم نمرود
وكان ازر وزير نمرود على ما ذكره المفسرون وكذا
القول في هود ونوح وصالح ولوط لقوله تعالى في
قصة كل واحد منهم لفظة اخاهم لانه من القبيلة التي
بعث اليها انتهى وقد يقال الجامع بين محمد وموسى عليهما
السلام التربية فان ابا طالب ربي عنده النبي صلى
الله عليه وسلم وموسى عليه السلام تربى عند فرعون
ولم يكن ذلك لغيره فعصى فرعون الرسول اعا
عرفه لتقدم ذكره وهذه ال للعهد والعرب اذا قدمت
اسما ثم الحوا به ثانيا اتوا به معرفا بال او اتوا بضميره
لئلا يلتبس ثم اتوا به بغيرهما كقولك رايت رجلا فاكرمت الرجل
او فاكرمته ولو قلت فاكرمت رجلا لتوهم انه غيره و
وقال المهدوي دخلت الكتب سلام عليكم وفي اخرها
السلام عليكم ثم تسبب عن عصيانه قوله تعالى فاخذناه

اي

اي فرعون بما لنا من العظمة وبينا انه اخذ قهر وغضب
بقوله تعالى اخذا وبيلا اي ثقيلا شديدا او ضربا وبيلا
وعذابا وبيلا اي شديدا قال ابن عباس ومجاهد ومنه
قيل للمطر وابل وقيل مهلكا والمعنى عاقبناه عقوبة
غليظة وفي ذلك تخويف لاهل مكة ثم خوفهم بيوم
القيامة فقال تعالى فكيف تتقون ان كفرتم اي لا تجد ون
الوقاية التي تقي انفسكم ان كفرتم في الدنيا والمعنى
لا سبيل لكم الى التقوى اذا رايتم القيامة وقيل معناه
فكيف تتقون العذاب يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا
وقوله تعالى يوما مفعول تتقون اي عذابا اي باي
حصن تتحصنون من عذاب الله يوم يجعل الولدان
وقوله تعالى شيبا جمع اشيب والاصل في الشين الضم
وكسرت لمجانسة الياء ويقال في اليوم الشديد يوم يشيب
نواصي الاطفال وهو مجاز ويجوز ان يراد في الاية
الحقيقة والمعنى يصيرون شيوخا شمطا من هول
ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لادم عليه
السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم
القيامة يا ادم فيقول لبيك وسعديك وفي رواية
والخير في يديك فيناديه بصوت ان الله يامرك ان
تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يا رب وما بعث
النار قال من كل الف تسعماية وتسعين فحينئذ تضع كل حامل
حملها ويشيب الولد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى

ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس
حتى تغيرت وجوههم قالوا يا رسول الله اينا ذلك
الرجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من
يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعين ومنكم واحد ثم
قال وانتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب
الثور الابيض او كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود
وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار وهي بفتح الراء وسكون
القاف الاثر الذي في باطن عضد الحمار واني لارجوا ان
تكونوا ربع اهل الجنة فكبر القوم ثم قال ثلث اهل الجنة
فكبروا ثم قال شطر اهل الجنة فكبروا وفي هذا اشارة
الى الامتنان لان اعطاء الامتنان مرة بعد مرة دليل
على الاعتناء به بدوام ملاحظته وفيه الحث حملهم على
تجديد شكر الله تعالى وحمده على انعامه عليهم
وهو تكبيرهم بهذه الاشارة العظيمة ثم وصف هول
ذلك اليوم بقوله تعالى **السماء منفطر** اي ذات انفطار
اي انشقاق **به** اي بسبب ذلك اليوم لشدته فالباء سببية
وجوز الزمخشري ان تكون للاستعانة فانه قال
والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر
به وقال القرطبي ومعنى به اي فيه اي في ذلك اليوم
وقيل به اي بالامر اي السماء منفطر بما يجعل الولدان
شيبا وقيل منفطر بالله اي بامره تنبيه انما لم تؤنث
الصفة لوجوه منها قال ابو عمرو بن العلاء لانها
بمعنى السقف تقول هذا سماء البيت قال تعالى وجعلنا

السماء سقفا محفوظا ومنها انها على النسب اي ذات انفطار
نحو امرأة مرضع وحائض اي ذات ارضاع وذات حيض
ومنها انها تذكر وتؤنث الفراء يقول

فلو رفع السماء اليه قوما ، لحقنا بالسماء وبالسحاب

ومنها انه اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء
يقال سماءة واسم جنس يذكر ويؤنث ولهذا قال ابو علي
الفارسي هو كقوله تعالى منتشر واعجاز نخل منقعر يعني فجاء
على احد الجائزين اولان تأنيثها ليس بحقيقي وما
كان كذلك جاز تذكيره قال الشاعر

والعين بالاثمد الحاري مكحول

والضمير في قوله تعالى **كان وعده مفعولا** يجوز ان يكون
لليوم لله وان لم يجر له ذكر للعلم به فيكون المصدر مضافا
لفاعله والفاعل وهو الله تعالى مقدر قال المفسرون
كان وعده بالقيامة والحساب والجزاء مفعولا كائنا لا شك
فيه ولا خلف وقال مقاتل كان وعده بان يظهر دينه على
الدين كله **ان هذه** اي الايات الناطقة بالوعيد
الشديد او السورة **تذكرة** اي تذكير عظيم هو اهل
لان يتعظ به ويعتبر به المعتبرون لا سيما ما ذكر فيها
لاهل الكفر من العذاب ولما كان سبحانه قد جعل
للانسان عقلا يدرك به الحسن والقبيح واختيارا يتمكن
به من اتباع ما يريد فلم يبق له مانع من جهة اختيار
الاصلح والاحسن الا قدر المشيئة التي لا اطلاع له
عليها ولا حيلة له فيها سبب عن ذلك قوله تعالى

فمن شاء اتخذ اي بنيابة جهده الى ربه اي المحسن اليه
خاصة لا الى غيره سبيلا اي طريقا الى رضاه ورحمته
فليرغب فقد امكن له لما ظهر له الحجج والدلائل قيل
نسخت باية السيف وكذلك قوله تعالى فمن شاء ذكره
قال الثعلبي والاشبه انه غير منسوخ ان ربك اي المدبر
لامرك على ما يكون احسانا اليك ورفقا بك يعلم انك
تقوم اي في الصلاة كما امرت في اول السورة ادنى
اي زمانا اقل والادنى مشترك بين الاقرب والانقص
الانزل رتبة لان كل منهما يلزمه عن قلة المسافة من
ثلثي الليل وقرا ونصفه وثلثه ابن كثير وعاصم
وحمزة والكسائي بنصب الفا بعد الصاد ونصب المثلثة
بعد اللام ورفع الها فيهما عطف على ادنى والباقون
بكسر الفا والمثلثة وكسر الها فيهما عطف على ضمير
تقوم وقيامه كذلك مطابقة لما وقع التخيير فيه
اول السورة من قيام النصف بتمامه او الناقص
منه وهو الثلث والزايد عليه وهو الثلثان او الاقل
من الاقل من النصف وهو الربع وقوله تعالى وطائفة
من الذين معك عطف على ضمير تقوم رجالات
من غير تاكيد للفصل وقيام طائفة من اصحابه كذلك
للتاسي به ومنهم من كان لا يدري كم يصلي من الليل
وكم بقي منه فكان يقوم الليل كله احتياطا فقاموا
حتى انتفخت اقدامهم سنة او اكثر فخفف عنهم بقوله
تعالى والله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما يقدر اي تقديرا

عظيما

عظيما هو في غاية التحرير الليل والنهار وهو
العالم بمقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذي تقومون
من الليل والذي تنامون منه علم ان لن مخففة من
الثقيلة واسمها محذوف اي انه تحصوه اي الليل
لتقوموا فيما يجب القيام فيه الا بقيام جميعه وذلك يشق
عليكم فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القران اي رجع
بكم الى التخفيف بل لترخص لكم في ترك القيام المقدر
احدهما ان المراد بهذه القراة في الصلاة وذلك ان
القراة احد اجزا الصلاة فاطلق اسم الجزء على الكل
والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم قال الحسن يعني في صلاة
المغرب والعشا قال قيس ابن حازم صليت خلف ابن
عباس بالبصرة فقرا في اول ركعة بالحمد واول
اية من البقرة ثم قام في الثانية فقرا بالحمد والاية
الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف اقبل علينا
فقال ان الله تعالى يقول فاقرءوا ما تيسر منه
قال القشيري والمشهور ان نسخ قيام الليل كان
في حق الامة وبقيت الفريضة في حق النبي صلى
الله عليه وسلم وقال الشافعي رضي الله عنه بل نسخ
بالكلية فلا تجب صلاة الليل اصلا واذا ثبت ان قيام
الليل ليس فرضا فقوله تعالى فاقرءوا ما تيسر من
القران دراسة وتحصيل حفظه وان لا يعرض للنسيان
سوا كان في صلاة ام غيرها قال الكلبي من قرا في
ليلة مائة اية كتبه من القانتين وقال سعيد

خمسون آية قال القرطبي قول كعب أصح لقوله صلى الله
عليه وسلم من قام بعشر آيات من القرآن لم يكتب
من الغافلين ومن قام بمائة كتب من القانتين ومن قام
بألف آية كتب من المقنطرين أخرجه أبو داود والطيا
لسي وروى أنس بن مالك قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية في يوم أو في
ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من
القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم
القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتبت له قنطار من
الأجر وقوله من المقنطرين أي أعطي قنطارا من الأجر
وجاء في الحديث القنطار ألف ومائتا أوقية والأوقية خير
مما بين السماء والأرض وقال أبو عبيدة القناطير
واحدها قنطار ولا تجد العرب تعرف وزنه ولا واحد
للقنطار من لفظه وقال ثعلب المعول عليه عند العرب
أنه أربعة دينار فإذا قالوا قناطير مقنطرة فهي اثني
عشر ألف دينار وقيل إن القنطار ملء جلد ثور
ذهبا وقيل ثمانون ألفا وقيل هو جملة كثيرة مجهولة
من المال نقله ابن الأثير قال القرطبي والقول الثاني
أصح حملا للخطاب على ظاهر اللفظ والقول الأول
مجاز لا بد من تسمية الشيء ببعض ما هو من أعماله
وإن كان ذلك على قيام لا في قدر القراءة فلا دليل
فيه على أن الفاتحة لا تتعين في الصلاة بل هي
متعينة في كل ركعة لخبر الصحيحين لا صلاة لمن لم يقرأ

فيها

فيها بفاتحة الكتاب وخبر لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة
الكتاب رواه ابنا خزيمة وحبان في صحيحيهما ولفعله
صلى الله عليه وسلم كما في مسلم مع خبر البخاري صلوا
كما رأيتموني أصلي ويحمل قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه
مع خبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن على الفاتحة
وعلى العاجز عنها جمعا بين الأدلة ولما كان هذا
نسخا لما كان واجبا من قيام الليل أول السورة لعلمه
سبحانه بعدم إحصائهم ذلك العلم الجلي بعلمه فصل
بيان الحكمة الأخرى للنسخ فقال تعالى علم أن مخففة
من الثقيلة أي أنه سيكون بتقدير لا بد منه منكم
مرضى جمع مريض وهذه السورة من أول ما أنزل على
النبي صلى الله عليه وسلم ففي ذلك إشارة بأن أهل
الإسلام يكثرون جدا وآخرون غير المرضى يضربون
أي يوقعون الضرب في الأرض أي يسافرون لأنه
الماشي يجد ويضرب برجله في الأرض يبتغون أي
يطلبون طلبا شديدا من فضل الله أي بعض ما
أوجده الملك الأعظم لعباده بالتجارة وغيرها وآخرون
أي منكم أيها المسلمون يقاتلون أي يطلبون ويو
صون قتل أعداء الله ولذلك بينه بقوله تعالى في سبيل الله
أي الملك الأعظم وكل من الفرق الثلاث يشق عليهم
ما ذكر في قيام الليل وسوى سبحانه في هذه الآية بين
درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على
نفسه وعياله والإحسان فكان هذا دليلا على أن كسب

المال بمنزلة الجهاد لانه جمعه مع الجهاد في سبيل الله قال
صلى الله عليه وسلم ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد
فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهدا
ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرون يضربون
في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون
في سبيل الله وقال ابن مسعود رضي الله عنه ايما
رجل جلب شيا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا
فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهدا
وقرا واخرون الاية وقال ابن عمر رضي الله عنهما
ما خلق الله تعالى موتة اموتها بعد الموت في سبيل
الله احب الي من الموت بين شعبتي رحل ابتغي من
فضل الله ضاربا في الارض وقال طاوس الساعي
على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله واعاد
قوله تعالى فاقروا ما تيسر منه اي من القران للتاكيد
واقيموا الصلوة اي المكتوبة وهي خمس بجميع الامور
التي تقوم بها من اركانها وشروطها وابعاضها
وهياتها واتوا الزكوة اي زكاة اموالكم قال عكرمة
وقتادة الفطر لان زكاة الاموال وجبت بعد ذلك
وقيل صدقة التطوع وقيل كل فعل خير وقال ابن عباس
طاعة الله تعالى والاخلاص واقرضوا الله اي الملك
الاعلى الذي له جميع صفات الكمال التي منها الغنا
المطلق من ابدانكم واموالكم في اوقات صحتكم
ودنياكم قرضا حسنا من نوافل الخيرات كلها برغبة

تامة وعلى هيئة جميلة في البداية وانتهائه وقال
زيد بن اسلم القرض الحسن النفقة على الاهل
وقيل صلة الرحم وقري الضيف وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه هو النفقة في سبيل الله وما تقدموا لانفسكم
اي خاصة سلفا لاجل ما بعد الموت حيث لا تقدرون
على الاعمال من خير اي خير كان من عبادات البدن
والمال تجدوه اي تحفظوا لكم عند الله اي الملك المحيط بكل
شيء قدرة وعلما هو اي لا غيره خيرا اي لكم وجاز
ضمير الفصل بين غير معرفتين لانه فصل منه كالمعرفة
ولذلك يمتنع دخول اداة التعريف عليها والمعنى هو
خيرا من الذي تؤخرونه للوصية عند الموت قاله
ابن عباس رضي الله عنهما وقال الزجاج خيرا لكم
من متاع الدنيا وروى البغوي بسنده عن عبد
الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايكم ماله
احب اليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون
قالوا ما نعلم الا ذلك يا رسول الله قال انما مال احدكم
ما قدم ومال وارثه ما اخر واعظم اجرا قال ابو هريرة
رضي الله عنه يعني الجنة ويحتمل ان يكون اعظم
اجرا لاعطائه الجنة اجرا لما كان الانسان اذا عمل
ما يجب عليه ولا سيما ان اما كان المادح له ربه
ادركه الاعجاب بين له انه لا يقدر بوجه على ان يقدر
الله تعالى حق قدره فلا يزال مقصرا فلا يسعه
الا العفو فقال عز من قايل واستغفروا الله اي اطلبوا

واحد واستر الملك الاعظم الذي لا يحيطون بمعرفته
فكيف باداء حق خدمته لتقصيركم عنها وانا نفعل
ما يرضيه واجتنابه ما يسخطه ان الله اي الملك
الاعظم غفور اي بالغ الستر لعيوب الذنوب واثارها
حتى لا يكون عنها عقاب ولا عتاب رحيم اي بالغ
الاكرام بعد الستر افضالا واحسانا وتشريفا وامتنانا
وقول البيضاوي تبعا للكشاف ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من قرا سورة المزمل رفع الله
عنه العسر في الدنيا والاخرة حديث موضوع

سورة المدثر مكية

وهي خمس او ست وخمسون اية ومائتان وخمس وخمسون
كلمة والف وعشرة احرف بسم الله الملك الواحد
القهار الرحمن الذي عم برحمته الابرار والفجار الرحيم الذي
خص اصفياءه بما يوصلهم الى دار القرار لما ختمت
المزمل بالبشارة لارباب البصارة بعد ما بدئت
بالاجتهاد في الخدمة المهيئ للقيام باعباء الدعوة
افتتحت هذه بمحط حكمة الرسالة وهي النذارة فقال تعالى
يا ايها المدثر روي عن يحيى بن ابي كثير قال
سالت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن اول ما نزل
من القران قال يا ايها المدثر قلت يقولون اقرا باسم
ربك الذي خلق قال ابو سلمة سالت جابر بن عبد الله
عن ذلك وقلت له مثل ذلك الذي قلت فقال
لي جابر لا احدثك الا مثل ما حدثنا به رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت
جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار
شيئا ونظرت عن شمالي فلم ار شيئا ونظرت خلفي فلم
ار شيئا فرفعت راسي فرايت شيئا فاتيت خديجة فقلت
دثروني وصبوا علي ماء باردا قال فنزل يا ايها المدثر
الاية وذلك قبل ان تفرض الصلاة وفي رواية
فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي
وذكر نحوه وفيه فاذا هو على عرش في الهواء
يعني جبريل عليه السلام فاخذتني رجفة شديدة
وعن جابر من رواية الزهري عن ابي سلمة عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن
فترة الوحي فقال لي في حديثه فبينما انا امشي
سمعت صوتا من السماء فرفعت راسي فاذا الملك
الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض
فجثثت منه رعبا فقلت زملوني فدثروني فانزل
الله عز وجل يا ايها المدثر الى قوله فاهجر وفي رواية
فجثثت منه حتى هويت الى الارض فجئت الى
اهلي وذكره ثم حمي الوحي فان قيل هذا الحديث
دال على ان سورة المزمل اول ما نزل ويعارضه
حديث عائشة رضي الله عنها المخرج في الصحيحين
في بدء الوحي وسياتي في موضعه ان شاء الله
تعالى وفيه فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم
ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق حتى بلغ

مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق
حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم يرجف فؤاده الحديث لجيب بان الذي
عليه العلما ان اول ما نزل من القران على الاطلاق
اقرا باسم ربك الذي خلق كما صرح به في حديث
عايشة ومن قال ان سورة المدثر اول ما نزل من
القران فضعيف وانما كان نزولها بعد فترة الوحي
الى ان قال وانزل الله تعالى يا ايها المدثر ويدل عليه
قوله ايضا فاذا الملك الذي جاءني بحرا وحاصله
ان اول ما نزل من القران على رسول الله صلى الله
عليه وسلم سورة اقرا باسم ربك وان اول ما نزل
بعد فترة الوحي سورة المدثر وبهذا يحصل الجمع
بين الحديثين قوله فاذا هو قاعد على عرش بين
السماء والارض يريد السرير الذي يجلس عليه
وقوله يحدث عن فترة الوحي اي عن احتباسه
وعدم تتابعه وتواليه يحدث عن فترة الوحي اي
بعد تتابعه وتواليه في النزول وقوله فجثثت منه
روي بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثا مثلثة
ساكنة ثم بالضم وروي بثائين مثلثتين بعد الجيم
ومعناها فرعبت منه وفزعت وقوله وحمي الوحي
وتتابع اي كثر نزوله وازداد بعد فترته من قولهم
حميت الشمس والنار اذا ازداد حرها وقوله فصبوا علي
ما باردا فيه انه ينبغي لمن فزع ان يصب عليه

الماء

الماء ليسكن فزعه واصل المدثر المتدثر وهو الذي يتدثر في
ثيابه ليستدفي بها واجمعوا على ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانما سمي مدثرا لوجوه احدها قوله صلى الله
عليه وسلم دثروني وثانيها انه صلى الله عليه وسلم
كان نايما مدثرا بثيابه فجاءه جبريل عليه السلام وايقظه
صلى الله عليه وسلم وقال يا ايها المدثر قم فانذر اي حذر
الناس من العذاب ان لم يومنوا والمعنى قم من مضجعك
واترك التدثر بالثياب واشتغل بهذا المنصب الذي
نصبك الله عز وجل له وثالثها ان الوليد بن المغيرة
وابا جهل وابا لهب والنضر بن الحارث اجتمعوا وقالوا
ان وفود العرب يجتمعون في ايام الحج وهم يسالون عن
امر محمد وقد اختلفتم في الاخبار عنه فمن قايل هو
مجنون وقايل ساحر وقايل كاهن ويعلم العرب ان
هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فيستدلون باختلاف
الاجوبة على انها اجوبة باطلة سموا محمدا باسم
واحد تجتمعون عليه وتسميه العرب فقام رجل
منهم فقال انه شاعر فلما سمع صلى الله عليه وسلم
ذلك اشتد عليه ورجع الى بيته محزونا فتدثر
بقطيفة فانزل الله تعالى يا ايها المدثر وقيل انه
ليس المراد التدثر في الثياب وعلى هذا ففيه
وجوه ايضا احدها قال عكرمة المعنى يا ايها المدثر بالنبوة
والرسالة من قولهم البسه الله لباس التقوى وزينه
برداء العلم قال ابن العربي وهذا مجاز بعيد لانه

لم يكن نبيا تعدا به على القول بانها اول سورة نزلت
واما على انها نزلت بعد فترة الوحي فليس ببعيد
وثانيها ان المدثر بالثواب يكون كالمختفي فيه وهو
صلى الله عليه وسلم كان في جبل حرا كالمختفي من الناس
فكانه قال يا ايها المدثر بدثار الاختفا قم بهذا الامر
واخرج من زاوية الخمول واشتغل بانذار الخلق والدعوة
الى معرفة الحق وثالثها انه تعالى جعله رحمة للعالمين
فكانه قيل له يا ايها المدثر باثواب العلم العظيم و
الخلق الكريم والرحمة الكاملة قم فانذر عذاب ربك
وعلى كل القولين في ندايه بذلك ملاطفة في
الخطاب من الكريم الى الحبيب اذ ناداه بحاله وعبر عنه
بصفته ولم يقل يا محمد وربك الا خاصة فكبر اي
عظمه عما يقول عبدة الاوثان وصفه بانه اكبر من ان
تكون له صاحبة او ولد وفي الحديث انهم قالوا بم تفتتح
الصلاة فنزل وربك فكبر اي وصفه بانه اكبر قال
ابن العربي وهذا القول وان كان يقتضي بعمومه تكبير
الصلاة فانه يراد به تكبير التقديس والتنزيه
بخلع الانداد والاصنام دونه ولا يتخذ وليا غيره
ولا يعبد سواه وروي ان ابا سفيان قال يوم احد
اعل هبل وهو اسم صنم كان لهم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم قولوا الله اعلى واجل وقد صار هذا اللفظ
بعرف الشرع في تكبير العبادات كلها اذانا وصلاة
وذكرا بقول الله اكبر وحمل عليه لفظ النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم الوارد على الاطلاق في موارده منها قوله
تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والشرع يقتضي بعرفه
ما يقتضي بعمومه ومن موارده اوقات الاهلال
بالله تعالى تخليصا له من الشرك واعلانا باسمه بالنسك
وافراده لما شرع من امره بالنسك والمنقول عن النبي
صلى الله عليه وسلم في التكبير في الصلاة هو لفظ
الله اكبر وكان المعروف لما نزل قوله تعالى وربك
فكبر قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله اكبر فكبرت
خديجة رضي الله تعالى عنها وفرحت وعلمت انه
وحي من الله تعالى ذكره القشيري وقال مقاتل هو ان يقول
الله اكبر وقيل المراد منه التكبير في الصلاة واستشكل
ذلك على القول بانها اول سورة نزلت فان
الصلاة لم تكن فرضت واجيب بانه لا يمتنع انه صلى الله
عليه وسلم كان له صلوات تطوع فامر ان يكبر فيها تنبيه
دخلت الفا في قوله تعالى فكبر وفيما بعده لافادة
معنى الشرط كانه قيل وما يكن فكبر ربك او الدلالة
على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان
يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب
معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه
والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر اي من النجاسات
لان طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة لا تصح
الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلاة وقبيح
بالمؤمن الطيب ان يحمل خبثا قال الرازي ان اصحابنا

التطهير على حقيقة ففي الآية ثلاث احتمالات الاول
قال الشافعي رحمه الله المقصود من الآية الاعلام
بان الصلاة لا تجوز الا في ثياب طاهرة من الانجاس
وثانيها قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كان المشركون
لا يصونون ثيابهم عن النجاسات فامر الله تعالى ان
يصون ثيابه عنها وثالثها روي انهم القوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم سلا شاة فشق عليه فرجع
الى بيته حزينا وتدثر في ثيابه صلى الله عليه وسلم
فقيل يا ايها المدثر قم فانذر لا تمنعك تلك السفاهة
عن الانذار وربك فكبر عليه ان لا ينتقم منهم
وثيابك فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات
وقيل هو امر بتقصيرها وفي مخالفة العرب في
تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن
معه اصابة النجاسة قال صلى الله عليه وسلم ازرة
المؤمن الى انصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه
وبين الكعبين ما كان اسفل من ذلك ففي النار فجعل
صلى الله عليه وسلم الغاية في لباس الازار الكعب
وتوعد على ما تحته بالنار فما بال رجال يرسلون
اذيالهم ويطيلون ثيابهم ثم يتكلفون رفعها بايديهم
وهذه حالة الكبر وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله
له يوم القيامة قال ابو بكر يا رسول الله اني احد شقي
ازاري يسترخي الا اني اتعاهد ذلك منه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلاء

وقيل

وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن
من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل
اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق
وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلابس
الانسان ويشتمل عليه فكني به عنه الا ترى الى قولهم
اعجبني زيد ثوبه كما تقول اعجبني زيد عقله وخلقه
ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولان
الغالب ان من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الباطن
وتنقيته وابى الا اجتناب الخبيث وايثار الطهر
في كل شيء وقال عكرمة سئل ابن عباس رضي الله
عنهما عن قوله تعالى وثيابك فطهر فقال لا يلبسها
على معصية ولا على غدر ثم قال اما سمعت قول غيلان
ابن سلمة الثقفي

واني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة اتقنع
والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفا طاهر
الثياب ويقولون لمن غدر ولا علم ولا على اثم
لبسها وانت طاهر وقال الحسن والقرطبي وخلقك
فحسن وقال سعيد ابن جبير وقلبك وبيتك فطهر
وقال مجاهد وابن زيد وعملك فاصلح وروى منصور
عن ابي رزين قال يقول وعملك كان الرجل
خبيث العمل قالوا ان فلانا نجس الثياب ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم يحشر المرء في ثوبيه اللذين مات
فيهما يعني عمله الصالح والطالح ذكره الماوردي وقيل

المراد بالثياب الاهل اي طهرهم بالخطاب بالموعظة والتا
ديب والعرب تسمي الاهل ثوبا ولباسا وازارا قال
تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن وقيل المراد به
الدين اي دينك فطهر فجاء في الصحيح انه صلى الله
عليه وسلم قال رايت الناس وعليهم ثياب منها ما
يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك ورايت عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وعليه ازار يجره قالوا يا رسول الله فما
اولت قال الدين وقوله تعالى **والرجز** فهجره النبي صلى
الله عليه وسلم لا زال كان **فاهجر** اي دم على هجره وقيل
الزاي فيه منقلبة عن السين والعرب تعاقب بين السين
والزاي لقرب مخرجيهما دليل هذا التاويل قوله تعالى
فاجتنبوا الرجس من الاوثان وورد عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان معناه اترك الاثم وقرا
حفص بضم الرا والباقون بكسرها وهما لغتان
ومعناهما واحد وقال ابو العالية الرجز بضم الرا الصنم
وبالكسر النجاسة والمعصية وقال الضحاك يعني
الشرك وقال الكلبي يعني العذاب قال الحوفي ومجاز
الاية اهجر ما اوجب لك العذاب من الاعمال وقوله
تعالى **ولا تمنن تستكثر** اي مرفوع منصوب المحل على
الحال اي لا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا واجعله
خالصا لله تعالى ولا تطلب عوضا اصلا ومعنى
تستكثر اي طالبا للكثرة كارها ان ينقص المال بسبب
العطا فيكون الاستكثار هنا عبارة عن طلب العوض

كيف

كيف كان ليكون عطاؤه صلى الله عليه وسلم خاليا
عن انتظار العوض والتفات النفس اليه وقيل لا تعط
شيا طالبا للكثرة نهي عن الاستغزار وهو ان يطلب
شيا وهو يطمع ان يعوض من الموهوب له اكثر من
الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من
هبته وفيه وجهان احدهما ان هذا يكون نهيا
خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر الاية
لان الله تعالى اختار له اشرف الاداب واحسن الاخلاق
والثاني انه نهي تنزيه لا تحريم له ولامته وقيل
الله تعالى لما امره باربعة اشيا انذار القوم وتكبير
الرب وتطهير الثياب وهجر الرجز ثم قال ولا تمنن
على ربك بهذه الاعمال الشاقة كالمستكثر لما تفعله
ولربك فاصبر اي على الاوامر والنواهي متقربا
بذلك اليه غير ممتن به عليه وقال الحسن بحسناتك مستكثرها
وقال ابن عباس رضي الله عنهما ولا تعط عطية تلتمس
بها افضل منها وقيل لا تمنن على الناس بما تعلمهم
من امر الدين والوحي مستكثرا بذلك الانعام فانك
انما فعلت ذلك بامر الله تبارك وتعالى فلا منة
لك عليهم ولهذا قال تعالى ولربك فاصبر وقيل لا
تمنن عليهم بنبوتك اي تستكثر اي تاخذ منه اجرا
على ذلك تستكثر به مالك وقال مجاهد والربيع
لا تعظم عملك في عينك ان تستكثر من الخير فانه
مما انعم الله تعالى عليك وقال ابن كيسان لا تستكثر

عملك فتراه في نفسك انما عملك منه من الله تعالى عليك
ان جعل لك تعالى سبيلا الى عبادته وقال ابن زيد ابن اسلم
اذا اعطيت عطية فاعطها لربك لا تقل دعوت فلم يستجب
لي وقيل لا تفعل الخير لترائي به الناس ولما ذكر تعالى
ما يتعلق بارشاد النبي صلى الله عليه وسلم ذكر بعده
وعيدا لاشقيا بقوله تعالى **فاذا نقر** اي نفخ **في الناقور**
اي الصور وهو القرن النفخة فاعول من النقر بمعنى التصويت
واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفا للسببية
كانه قال تعالى اصبر على اذاهم فبين ايديهم زمان تلقى فيه عاقبة
صبرك واعداؤك عاقبة صبرهم واذا ظرف لما دلت
عليه قوله تعالى **فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين**
لان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة
الى وقت النقر وهو مبتدا خبره يوم عسير ويومئذ
بدل او ظرف للخبر اذ التقدير فذلك الوقت وقوع
يوم عسير وقرا على الكافرين واصحاب النار ابو عمرو
والدوري عن الكسائي بالامالة محضة وقرا ورش
بين اللفظين والباقون بالفتح ولما كان العسر قد يطلق
على الشيء وفيه يسر من بعض الجهات او يعالج
فيرجع يسيرا بين انه ليس كذلك بقوله تعالى **غير يسير**
فجمع فيه بين اثبات الشيء ونفي ضده تحقيقا لامره
ودفعا للمجاز عنه وتقييده بالكافرين يشعر بيسره
على المؤمنين فانهم لا يناقشون الحساب ويحشرون
بيض الوجوه ثقال الموازين قال الرازي ويحتمل

الله

عسير على المؤمنين والكافرين الا انه على الكافرين
اشد تنبيه قال الحليمي سمي الصور باسمين فاذا كان
الذي هو ينفخ فيه النفختان فان نفخة الاصعاق كالف
نفخة الاحيا وجاء في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد
الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب الثانية
فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذي
نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى
ذرني اي اتركني على اي حالة تقتضيه **ومن**
خلقت معطوف على المفعول او مفعول معه وقوله
تعالى **وحيدا** فيه اوجه احدها انه حال من اليا في
ذرني اي ذرني وحدي معه فانا اكفيكه في الانتقام
منه الثاني انه حال من التاء في خلقت اي خلقته
وحدي لم يشركني في خلقه احد الثالث انه حال من الهاء المحذوفة
وحده لا ولد له ولا مال قيل انه كان يزعم انه وحيد في فضله
وماله وليس في ذلك ما يقتضي صدق مقالته
لان هذا اللقب له شهرة به وقد يلقب الانسان بما
لا يتصف به وان كان لقبا يقتضي نصبه على الذم
قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الوليد يقول
انا الوحيد ابن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا
لابي المغيرة نظير قال الرازي ورد هذا القول بعضهم
بانه تعالى لا يصدقه في دعواه ذلك بانه وحيد
لا نظير له ذكره الواحدي وهو ضعيف من وجوه
ثلاثة لانه قد يكون الوحيد علما فيزول السؤال
لان اسم العلم لا يفيد في المسمى صفة بل هو قايم

بتمام الاشارة الثاني ان يكون ذلك بحسب ظنه
واعتقاده كقوله عز وجل ذق انك انت العزيز الكريم
الثالث انه وحيد في كفره وعناده وخبثه لان لفظ
الوحيد ليس فيه انه وحيد في العلو والشرف الرابع
قال ابو سعيد الوحيد الذي لا اب له كما تقدم في
الزنيم **وجعلت** اي بالاسباب اوجدتها انا وحدي
لا حول منه ولا قوة بدليل ان غيره اقوى منه بدنا وظهرا
واوسع فكرا وعقلا وهو دونه في ذلك **له مالا**
ممدودا اي مالا واسعا كثيرا قال ابن عباس رضي الله
عنهما هو ما كان للوليد بمكة والطائف من الابل
والنعم والجنود والركاب والعبيد والجواري واختلفوا
في مبلغه فقال مجاهد وسعيد بن جبير الف دينار وقال
قتادة ستة الاف دينار وقال سفيان الثوري
مرة اربعة الاف دينار ومرة الف الف دينار وقال
ابن عباس ستة الاف مثقال فضة وقال الرازي
الممدود هو الذي يكون له مددا ياتي منه الجزء
بعد الجزء دائما ولهذا فسره عمر رضي الله عنه بغلة
شهر بشهر وقال النعمان الممدود بالزيادة كالزرع
والضرع وانواع التجارات وقال مقاتل كان
له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا
وبنين اي وجعلت له بنين **شهودا** اي حضورا معه
لغناهم عن الاسفار بكثرة المال واشتغال الخدم وقوة
الاعوان وهم مع حضورهم في الذروة من الحضور و

بتمام

بتمام العقل وقوة الحذق فهم في غاية المعرفة ومع
ذلك فهم اعيان المجالس وصدور المحافل كان لا يشاهد
به غيرهم قال مجاهد كانوا عشرة وقال السدي والضحاك
كانوا اثني عشر رجلا وعن الضحاك سبعة ولدوا بمكة
وخمسة بالطائف وقال مقاتل كانوا سبعة لعله اقتصر
على من ولد بمكة وعلى كل قول اسلم منهم ثلاثة
خالد الذي من الله على المسلمين باسلامه فكان
سيف الله وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم
وهشام وعمارة **ومهدت** اي بسطت **له** العيش والعمر والولد
والتمهيد عند العرب التوطئة والتهيئة ومنه مهد
الصبي وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي وسعت
له ما بين اليمن الى الشام وعن مجاهد المال بعضه
فوق بعض كما يمهد الفراش فلم يرع هذه النعمة العظيمة
وقوله تعالى **تمهيدا** تاكيدا **ثم** اي بعد هذا الامر العظيم
الذي ارتكبه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه
وسلم **يطمع** اي يجدد بسببه بدل به ما جعلناه سبب
المزيد من الشكر **ان ازيد** اي فيما اتيته في دنياه وفي
اخرته وهو يكذب رسولنا صلى الله عليه وسلم وقال
الحسن ثم يطمع ان ادخله الجنة وكان الوليد يقول
ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي فقال الله
تعالى ردا عليه وتكذيبا له **كلا** اي وعزتنا وجلالنا
لا تكون له زيادة على ذلك اصلا واما النقصان
فسيرى ان استمر على تكذيبه فلم يرتدع عن هذا الطمع

ولينزجر وليرتجع فانه حق محض وزخرف بحت وعرف
صرف قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الاية
في نقصان من ماله وولده حتى هلك فقيرا تنبيه
كلا ردع للرجاء عما كان يطمع فيه من الزيادة فيكون
متصلا بالكلام الاول وقيل بمعنى حقا ويبتدأ بقوله
انه اي هذا الموصوف كان اي بخلقه كانه جبلة
او طبع لا يقدر على الانفكاك عنه لاياتنا على
ما لها من العظمة خاصية وطبع لا يقدر على
الانفكاك عنه لكونها هادية الى الوحدانية لا لغيرها
من الشبهة العائدة الى الشرك عنيدا قال
قتادة اي جاحدا وقال مقاتل معرضا وقال
مجاهد انه المجانب للحق وجمع العنيد عند مثل رغيف
ورغف والعنيد في معنى المعاند كما قال الملوي من
كبر في النفس ويبس في الطبع وشراسة في الاخلاق
او خبل في العقل وقد جمع ذلك كله ابليس لانه خلق
من نار وهي من طبعها اليبوسة وعدم الطواعية
تنبيه في الاية اشارة الى ان الوليد كان معاندا
في امور كثيرة منها انه كان يعاند في دلائل التوحيد
وصحة النبوة وصحة البعث ومنها ان كفره كان معاندا
لانه يعرف هذه الاشيا بقلبه وينكرها بلسانه وكفر العناد
اخبث انواع الكفر منها ان قوله كان يدل على ان
هذه حرفته من قديم الزمان سارهقه اي اكلفه
صعودا اي مشقة من العذاب لا راحة له فيها وروى

التر

الترمذي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه جبل من نار يصعد فيه سبعين
خريفا ثم يهوي به وفي رواية انه كلما وضع يده في معالجة
الصعود ذابت فاذا رفعها عادت وكذا رجله وقال
الكلبي انه صخرة ملسا في النار يكلف ان يصعدها
يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه
بمقامع الحديد فيصعدها في اربعين عاما فاذا بلغ
ذروتها اسقط اسفلها ثم يكلف ان يصعدها فذلك
دابه ابدا انه اي هذا العنيد فكر اي ردد فكره واداره
تابعا لهواه لاجل الوقوع على شي يطعن به في القران
او النبي صلى الله عليه وسلم وقدر اي اوقع تقدير
الامور التي يطعن بها وقايسها في نفسه ليعلم انها
اقرب الى العقول وذلك لان الله تعالى لما انزلت
على النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد والوليد
ابن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي
صلى الله عليه وسلم لاستماعه قراءته اعاد قراءة الاية
فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه بني
مخزوم فقال بلى والله لقد سمعت من محمد كلاما ما
هو كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان
يعلو ولا يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش
صبا والله الوليد والله لتصبان قريش كلهم فقال
ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق فقعد الى جنب الوليد
حزينا فقال له الوليد ما لي اراك حزينا يا ابن اخي

قال وما عسى ان لا احزن وهذه قريش يجمعون
لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت
كلام محمد وانك داخل على ابن ابي كبشة وابن ابي
قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال
الم تعلم اني من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد
واصحابه من الطعام فيكون لهم فضل ثم قام مع ابي
جهل حتى اتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا
مجنون فهل رايتموه يخنق قط فقالوا اللهم لا قال
تزعمون انه كاهن فهل رايتموه قط تكهن فقالوا اللهم
لا قال تزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا
قط قالوا لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه
شيئا من الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة من صدقه فقالت
قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه وقدر ساحر
قال الله تعالى فقتل اي هلك ولعن وطرد في
دنياه هذه كيف قدر اي على اي كيفية اوقع تقديره
هذا ثم قتل اي هلك ولعن هذا العنيد هلاكا ولعنا
هو في غاية العظمة فيما بعد الموت في البرزخ ثم
والقيامة كيف قدر ثم للدلالة على ان الثانية ابلغ
من الاولى ونحوه ، الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي
ومعنى قول القائل ،،
قتله الله ما اشجعه ، واخزاه الله ما اشعره ،
للاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد

ويدعى عليه حاسده بذلك واما ثم المتوسطة بين الافعال
التي بعدها فهي للدلالة على انه تانى في التامل وتمهل
وكان الافعال المتناسقة تتراخى وتتباعد وقوله تعالى
ثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما
والنظر اما في وجوه قومه واما فيما يقدح به في القران
ثم عبس اي قبض وجهه وكلحه ونظر مع تقبض جلد
ما بين العينين لكراهة شديدة كالمتهم المتفكر في
شي وهو لا يجد فيه فرجا لانه ضاقت عليه الحيل
لكونه لم يجد فيما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
مطعنا وقيل عبس وجهه في وجوه المؤمنين وذلك
انه قال لقريش بان محمدا ساحر فمر على جماعة
من المسلمين فدعوه الى الاسلام فعبس في وجوههم
وقيل عبس على النبي صلى الله عليه وسلم حين
دعاه وبسر اي زاد في التقبض والكلح يقال وجه
باسر اي منقبض اسود كالح متغير اللون قال قتادة
ثم اي بعد التروي العظيم ادبر اي عما اداه اليه
فكره من الايمان بسلامة المنظور فيه وعلوه عن
المطاعن فحاد عن دعوه له فكارا الى اقفائها واستكبر
اي وادخل الكبر عن الاعتراف بالحق ايجاد من هو
في غاية الرغبة فيه فقال اي عقب ما جره اليه
طبعه الخبيث من اتباع الكبر على هذا الوجه لكونه
راه نافعا لهم في الدنيا ان اي ما هذا اي القران الا قول
البشر اي ليس فيه شي عن الله تعالى فلا يفتخر

احد به ولا يبرح عليه فاربح المنادب فرحا ثم تفرقوا
متعجبين بقوله متعجبين منه قيل وهذا اشبه بما قالت
بعضهم، لو قيل ولم خمس وخمس لا اغتديك، يوما وليلة
نعدو تحسب، ويقول معضلة عجيب امرها، ولبي
عجبت لها لامرك العجب، خمس وخمس سنة او سبعة
قولان قالهما الخليل وثعلب، فلان قوله هذا اسبب
هلاكه فكان كما قال بعضهم،،
احفظ لسانك ايها الانسان، ليلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه، كانت تهاب لقاءه الشجعان
وقوله تعالى ساصليه اي ادخله سقر اي جهنم
بوعد لا بد منه عن قريب بدل من سارهقه صعودا
وقوله تعالى وما ادراك ما سقر اي تعظيم لشانها
وقوله تعالى لا تبقي ولا تذر بيان لذلك او حال من
سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي
شيئا يلقى فيها الا اهلكته فاذا اهلكته لم تذره
هالكا حتى يعاد او لا تبقى على شيء ولا تدعه
من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هلك لا محالة وسميت
سقر من سقرته الشمس اذا اذابته ولا تنصرف للتعريف
والتانيث قال ابن عباس رضي الله عنهما سقر
اسم للطبقة السادسة فان دركات النار سبعة، جهنم
ولظى، والحطمة، والسعير، والجحيم، وسقر، والهاوية
لواحة من لوح الهجر قال تقول ما لاحك يا مسافر،
يا ابنة عمي لاحني الهواجر، للبشر اي محرقة لظاهر

الجلد

الجلد فتدعه اشد سوادا من الليل قال تعالى تلفح
وجوههم النار وهم فيها كالحون والبشر اعالي البشرة
وجمع بشرة وجمع البشر ابشار وعن الحسن تلوح
للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين وقيل
اللوح شدة العطش كقوله تعالى ثم يقال لاح
العطش كقوله تعالى ولوحه اعين قال الاخفش
والمعنى انها معطشة للبشر اي لاهلها وانشد،
سقتني على لوح من الماء شربة،
، سقاها من الله الرهام الغواديا
يعني باللوح شدة العطش والرهام جمع رهمة بالكسر
وهي المطرة الضعيفة وارهمت السحابة اتت
بالرهام عليها تسعة عشر اي من الملائكة وهي
خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر وقيل التسعة
عشر نقيبا وقال اكثر المفسرين تسعة عشر ملكا
باعيانهم وقيل تسعة عشر الف ملك قال ابن جريج
نعت النبي صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم
فقال اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي
واشعارهم تمس اقدامهم يخرج لهب النار من
افواههم ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة نزعت
منهم الرحمة يدفع احدهم سبعين الفا فيرميهم
حيث اراد من جهنم قال عمرو بن دينار ان واحدا
منهم حيث يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم
اكثر من ربيعة ومضر قال ابن الانباري الصبا

صي

قرون البقر قال ابن عباس رضي الله عنهما لما
نزلت هذه الآية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم
امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبر ان خزانة النار
تسعة عشر وانتم الدهم يعني الشجعان فيعجز كل
عشرة منكم ان يبطشوا بواحد من خزنة جهنم
فقال ابو الاشد بن كلدة بن خلف الجمحي انا
اكفيكم منهم سبعة عشر على ظهري وسبعة على
بطني فاكفوني انتم اثنين وروي انه قال انا امشي
بين ايديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي
الايمن وتسعة بمنكبي الايسر في النار ونمضي
فندخل الجنة فانزل الله عز وجل وما جعلنا اي
بما لنا من العظمة وان خفي وجه العظمة فيه على
من عمي قلبه اصحاب النار اي خزنتها الا ملائكة
اي لم نجعلهم رجالا فتغالبوهم وانما جعلناهم ملائكة
لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس
فلا ياخذهم ما ياخذ المجانس من الرحمة والرافة
ولانهم اشد باسا واقواهم بطشا فقوتهم اعظم
من قوة الانس والجن ولذلك جعل الرسول
الى البشر منهم جنسهم ليكون لهم به رافة ورحمة
بهم فان قيل ثبت في الاخبار ان الملائكة مخلو
قين من النور فكيف تطيق الملائكة في النار اجيب
بان الله تعالى قادر على كل الممكنات فكما انه لا
استبعاد في انه يبقى الحي في مثل ذلك العذاب

الشديد

الشديد ابد الآباد ولا يموت اي بما لنا من العظمة
فكذا لا استبعاد في ابقاء الملائكة هناك من غير الم وما
جعلنا عدتهم اي مذكورة ومحصورة الا فتنة اي بلية
للذين كفروا اي وقال ابن عباس رضي الله عنهما
ضلالة وفتنة مفعول ثان على حذف مضاف اي سبب
فتنة وللذين صفة الفتنة وليست فتنة مفعولا
له وقول البيضاوي وما جعلنا عدتهم الا العدد
الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر تبعا
للزمخشري قال ابو حيان انه تحريف لكتاب الله اذ
زعم ان معنى الا فتنة للذين كفروا الا تسعة عشر
وهذا لا يذهب اليه عاقل ولا من له ادنى ذكاء
وقال الرازي انما صار هذا سببا لفتنة الكفار
من وجهين الاول ان الكفار يستهزؤن ويقولون
لم لا يكونوا عشرين وما المقتضي لتخصيص هذا
العدد والثاني ان الكفار يقولون هذا العدد
القليل كيف يكونون وافين بتعذيب اكثر العالم
من الجن والانس من اول ما خلق الله الى يوم
القيامة واجيب عن الاول بان هذا السؤال
لازم على كل عدد يفرض وعن الثاني بانه لا يبعد
ان الله تعالى يرزق ذلك العدد القليل قوة
تفي بذلك فقد اقتلع جبريل عليه السلام مداين
قوم لوط على احد جناحيه ورفعها الى السما حتى
سمع اهل السما صياح ديكتهم ثم اقلبها فجعل عاليها

سافلها وابعثهم فاحوال القيامة لا تناسب احوال
الدنيا ولا للعقل فيها مجال وذكر ارباب المعاني في تقرير
هذا العدد وجوها احدها ما قاله ارباب الحكمة
ان سبب فساد النفس الانسانية في قوتها النظرية
والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية هو القوى الحيوانية
هي الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة والشهوة و
الغضب فهذه اثنا عشر واما القوى الطبيعية فهي
الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية
والمولدة فالمجموع تسعة عشر فلما كانت هذه منابع
الآفات لا جرم كان عدد الزبانية هكذا وثانيها ان ابواب
جهنم سبعة ستة منها للكفار وواحد للفساق ثم ان
الكفار يدخلون النار لامور ثلاثة ترك الاعتقاد
وترك الاقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك
الابواب الستة ثلاثة فالمجموع ثمانية عشر واما
الباب الفساق فليس هناك الا ترك العمل فالمجموع تسعة
عشر وقوله تعالى ليستيقن الذين متعلق بجعلنا
الا فتنة وقيل بفعل مضمر اي فعلنا ذلك ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب اي اعطوا التوراة والانجيل
فانه مكتوب فيهما اي تسعة عشر فذلك هو موافقة
لما عندهم ويزداد الذين امنوا اي من اهل
الكتاب ايمانا اي تصديقا لموافقة النبي صلى الله
عليه وسلم ولا يرتاب اي لا يشك الذين اوتوا الكتاب
والمومنون في عددهم فان قيل قد اثبت الاستيقان

له

لاهل الكتاب وزيادة الايمان للمومنين فما فائدة
ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون اجيب
بان الانسان اذا اجتهد في امر غامض دقيق الحجة
كثير الشبه فحصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من
مقدمات ذلك الدليل الدقيق فيعود الشك فا
ثبات اليقين في بعض الاحوال لا ينافي طريان
الارتياب بعد ذلك ففائدة هذه نفي ذلك الشك
وانه حصل لهم يقين جازم لا يحصل عقبه شك
البتة وليقول الذين في قلوبهم مرض اي شك
ونفاق وان قيل نزول هذه السورة قبل وجود
المنافقين فهو علم من اعلام النبوة فانه اخبار
عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة ولا ينكر جعل
الله تعالى بعض الامور علة لصلاح ناس وفساد
اخرين لانه لا يسال عما يفعل على ان العلة قد
تكون مقصودة لشي بالقصد الاول ثم يترتب
عليها شي اخر يكون قصده بالقصد الثاني كقوله
اخرجت من الجلد لمخافة الشر ومخافة الشر
لا يتعلق بها الغرض والكافرون اي ويقول
الراسخون في الكفر المجاهرون بالتكذيب لسائر ود
ما دل عليه الادلة من الحق ماذا اي شي
اراد الله اي الملك الذي جميع العظمة بهذا اي
العدد القليل في جنب عظمته مثلا قال
الجلال المحلي سموه لغرابته بذلك واعرب حالا

وقال الليث المثل الحديث ومثل الجنة التي وعد
المتقون اي حديثها والخبر عنها وقال الرازي انما
سموه مثلا لانه لما كان هذا العدد عددا عجيبا ظن
القوم انه ربما لم يكن مراد الله تعالى منه ما اشعر
به ظاهره بل جعله مثلا لشي اخر وتنبيها على مقصود
اخر لا جرم سموه مثلا لانهم لما استغربوه ظنوه
انه ضرب مثلا لغيره ومثلا تمييز او حال
وتسمية هذا مثلا على سبيل الاستعارة لغرابته
ولما كانت التقدير اراد بهذا ضلاله من ضل وهو
لا يبالي كانه قيل هل يفعل مثل ذلك في غير هذا
فقال تعالى كذلك اي مثل هذا المذكور من الاضلال
والهداية يضل الله اي الذي له مجامع العظمة
ومقاعد العز من يشاء اي كلام شا كما اضل
الله تعالى ابا جهل واصحابه المنكرين لخزنة جهنم
ويهدي بقدرته التامة من يشاء بنفس ذلك
الكلام او بغيره كهداية اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم وهذه الاية تدل على مذهب اهل
السنة لانه تعالى قال في اول الاية وما
جعلنا عدتهم الا فتنة للذين في قلوبهم مرض
والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال
تعالى كذلك يضل الله من يشا وما يعلم جنود
ربك اي المحسن اليك بانواع الاحسان الا هو
اي الله سبحانه وتعالى قال مقاتل وهذا جواب

لابي جهل حيث قال اما لمحمد اعوان الا تسعة عشر
وقال مجاهد وما يعلم جنود ربك يعني من الملائكة
الذين خلقهم لتعذيب اهل النار ولا يعلم عدتهم
الا الله والمعنى ان تسعة عشر هم خزنة النار ولهم
من الاعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلم عدتهم
الا الله تعالى ولو اراد لجعل الخزنة اكثر من ذلك
فقد روي ان البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون
الفا من الملائكة لا يعودون اليه نوبة اخرى وروي
ان الارض في السماء كحلقة ملقاة في فلاة وكل
سماء في التي فوقها كذلك وورد في الخبر اطت
السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع
وفي رواية موضع قدم الا وفيه ملك قائم
يصلي وفي رواية ساجد وانما خص هذا العدد
لحكم لا يعلمها الا هو ثم رجع الى ذكر سقر فقال
تعالى وما هي اي النار التي من اعظم جنوده
الا ذكرى للبشر اي ليتذكروا ويعلمون كمال قدرة
الله وانه سبحانه لا يحتاج الى اعوان وانصار
وللبشر مفعول بذكرى واللام فيه مزيدة وقرا
ابو عمرو وحمزة بالامالة محضة وقرا ورش بين
بين والباقون بالفتح وقوله تعالى كلا ردع
لمنكريه هذا اقسم يقول حقا وقال الجلال
المحلي استفتاح بمعنى الا والقمر اي الذي
هو اية الليل الهادية من ضل بظلامه والليل

إذا أدبر أي مضى فالقلب راجع من حيث جاء فا
نكشف ظلامه وقرأ نافع وحمزة وحفص بسكون
الذال المعجمة والدال المهملة بعدها وهمزة قطع
مفتوحة بين المعجمة والمهملة الساكنين والباقون
بفتح الذال المعجمة وبعدها ألف وفتح المهملة
بعد الألف فالقراءة الأولى إذا أدبر والثانية
إذا دبر وكلاهما يقال دبر الليل وأدبر إذا ولى
مدبرا ذاهبا قال عمرو ودبر لغة قريش وقال
قطرب دبر أي أقبل يقول العرب دبرني فلان
أي جاء خلفي فالليل يأتي وتبعه وقوله تعالى
والصبح إذا أسفر أي أضاء وتبين وقوله تعالى إنها
لإحدى الكبر جواب للقسم أو تعليل لكلا والقسم
معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف
التأنيث كتائها فلما جمعت فعلة على فعل جمعت
فعلى عليها ونظير ذلك القواصع في جمع القاصعا
كأنها جمع فاعلة لحذف الشا وقوله تعالى
نذيرا تمييز من إحدى على معنى أنها لإحدى
الدواهي إنذارا كما تقول هي على معنى أنها
لإحدى الدواهي بأول السورة أي قم نذيرا
للبشر قال الزمخشري وهو من بدع التفاسير
وقوله تعالى لمن شاء أي بإرادته منكم بدل من
البشر أن يتقدم أي للخير والجنة بالإيمان أو يتأخر
أي إلى الشر والنار بالكفر كل نفس أي ذكرا أو

أنثى

أنثى على العموم بما كسبت أي خاصة لا ما كسب غيرها
رهينة أي مرهونة مأخوذة وليست لتأنيث رهين
في قوله تعالى كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس
لأنه لو قصدت الصفة لقيل رهين لأن فعيلا بمعنى
مفعول يستوي بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما
كسبت رهن ومنه بيت الحماسة

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب
رهينة رمس ذي تراب

كأنه قال والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله
غير مفكوك إلا أصحاب اليمين أي وهم المؤمنون
فكوا رقابهم بإيمانهم وبما أحسنوا من أعمالهم وقيل هم
الملائكة وروي عن علي رضي الله عنه أنهم أطفال
المسلمين وقال مقاتل هم أهل الجنة الذين كانوا
على يمين آدم عليه السلام يوم الميثاق حين
قال لهم الله هؤلاء في الجنة ولا أبالي وعنه أيضا الذين
أعطوا كتبهم بأيمانهم وقال الحسن هم المسلمون المخلصون
وقال القاسم كل نفس مأخوذة بكسبها بخير
أو شر إلا من اعتمد على الفضل فكل من اعتمد على
الكسب فهو رهين به ومن اعتمد على الفضل
فهو غير مأخوذ ولما أخرجهم من حكم الارتهان
الذي أطلق على الإهلاك لأنه سببه استأنف
بيان حالهم فقال تعالى في جنات أي بساتين في غاية
العظم لأنهم أطلقوا أنفسهم وفكوا رقابهم فلم يرتهنوا

يتساءلون اي فيما بينهم يسال بعضهم بعضا او يسالون
غيرهم عن المجرمين اي عن احوالهم ويقولون
لهم بعد اخراج الموحدين من النار ما محتملة للاس
تفهام والتعجب والتوبيخ سلككم اي ادخلكم ايها
المجرمون ادخالا هو في غاية الضيق حتى كانكم سلك
في الثقب وقرا السوسي بادغام الكاف والباقون
بالاظهار في سقر فاجابوا بانا قالوا لم نك من المصلين
اي صلاة يعتد بها فكان هذا تنبيها على ان رسوخ
القدم في الصلاة مانع من مثل حالهم وعلى انهم
معاقبون على فروع الشريعة وان كانت لا تصلح
منهم فلو فعلوا قبل الايمان لم يعتد بها وعلى ان
الصلاة اعظم الاعمال وان الكسالة بها تقدم على
غيرها ولم نك نطعم المسكين اي نعطيه ما يجب
علينا اعطاؤه وكنا نخوض اي نوجد الكلام الذي
هو في غاية مواقعة ولا علم لنا به ايجاد الماشي من
الخائض في ماء غمر مع الخائضين اي يجيب صار لنا
هذا وصفا راسخا فنقول في القران انه سحر وانه
شعر وانه كهانة وغير هذا من الاباطيل لا ننزع
عن شيء من ذلك ولا نقف مع عقل ولا نرجع الى صحيح
نقل فلما حذا الذين يبادرون الى الكلام في كل
ما يسالون عنه من انواع العلم من غير تثبت
منزلتهم من هنا وكنا نكذب اي يجيب صار لنا ذلك
وصفا ثابتا راسخا بيوم الدين اي بيوم البعث

والجزا

والجزا حتى اتانا اليقين اي الموت او مقدماته التي
قطعنا عن دار العمل قال الله تعالى حتى ياتيك
اليقين فان قيل لم اخر التكذيب وهو اخس الخصال
الاربع اجيب بانهم بعد اتصافهم بتلك الامور الثلاثة
كانوا مكذبين بيوم الدين والغرض من تعظيم
الذنب كقوله تعالى كان من الذين امنوا ولما اقروا
على انفسهم بما اوجب العذاب الدايم فكانوا
ممن فسد مزاجه فتعذر علاجه سبب عنه قوله
تعالى فما تنفعهم اي في حال اتصافهم بهذه الصفات
شفاعة الشافعين اي لا شفاعة لهم فلا انتفاع
بها وليس المراد ان ثم شفاعة غير نافعة كقوله
تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهذه الاية
تدل على صحة شفاعة الشافعين يدل على ان
غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله
بن مسعود يشفع شفاعة الشافعين قال عبد
الله بن يشفع نبيكم صلى الله عليه وسلم رابع
اربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى او عيسى ثم
نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملائكة ثم النبيون
ثم الصديقون ثم الشهدا ويبقى قوم في جهنم فيقال
لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين
الى قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال
عبد الله بن مسعود فهولاء الذين في جهنم فما لهم
عن التذكرة معرضين اي فما لاهل مكة قد اعرضوا

وولوا عن القرآن قال مقاتل معرضين عن القرآن
من وجهين احدهما الجحود والانكار والثاني ترك
العمل بما فيه وقيل المراد بالتذكرة العظة بالقرآن
وغيره من المواعظ ومعرضين حال من الضمير في الجار
الواقع خبرا عن ما الاستفهامية ومثل هذه الحال
تسمى حالا لازمة وعن التذكرة متعلق به اي
شيء حصل لهم في اعراضهم عن الاتعاظ **كأنهم** في
اعراضهم عن التذكرة من شدة النفور **حمر** اي
من حمر الوحش وهي اشد الاشياء ولذلك كان اكثر
تشبيهات العرب في وصف الابل بسرعة السير بالحمر
في عدوها اذا وردت ماء فاحست بما يريبها **مستنفرة**
اي موجدة للنفار بغاية الرغبة حتى كأنها تطلبها
من انفسها لانها شانها وطلبها وقرأ ابن عامر
ونافع بفتح الفاء على انه اسم مفعول اي نفرها
القناصون والباقون بكسرها بمعنى نافرة **فرت من**
قسورة اي قال مجاهد هي جماعة الرماة الذين
يتصيدونها لا واحد له من لفظه وهي رواية
عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير هي القناص
وعن زيد بن اسلم فريق من رجال اقويا وكل
ضخم شديد عند العرب واصواتهم وروى
عكرمة عن ابن عباس قال حبال الصيادين
وقال ابو هريرة هي الاسد وهو قول عطاء و
الكلبي وذلك ان الحمر الوحشية اذا عاينت

الا

الاسد هربت كذلك هؤلاء المشركين اذا سمعوا النبي
صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا وعن عكرمة
ظلمة الليل ويقال سواد الليل قسورة وفي
تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين
كما في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا شهادة عليهم
بالبله وقلة العقل ولما كان الجواب قطعا لا شيء
لهم في اعراضهم هذا اضرب عنه بقوله تعالى **بل يريد**
اي كل على دعواهم في زعمهم **كل امرئ منهم** اي
المعرضين من ادعائه الكمال في المروءة **ان يؤتى**
اي من السماء **صحفا** اي قراطيس مكتوبة **منشرة**
اي مفتوحة وذلك ان ابا جهل وجماعة من
قريش قالوا يا محمد لا نؤمن بك حتى تأتي كل
واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين
الى فلان بن فلان ويؤمر فيه باتباعك ونظيره
لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وعن
ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يقولون ان
كان محمد صادقا فليصبح عند راس كل واحد
منا صحيفة فيها براءة من النار وقال الكلبي ان المشركين
قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان
يصبح مكتوبا عند راسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل
ذلك وقالوا اذا كانت ذنوب الانسان تكتب عليه
فما لنا لا نرى ذلك قال البغوي والصحف
جمع صحيفة ومنشرة منشورة قال الله تعالى **كلا**

اي لا يؤتون الصحف وقيل هنا قال البغوي وكل
ما ورد عليك منه فهذا وجهه قال ابن عادل
والاول اجود لانه رد لقولهم ثم بين تعالى سبب
اعراضهم بقوله تعالى **بل لا يخافون** اي في زمن
من الازمان **الآخرة** فهذا هو السبب في اعراضهم
وقوله تعالى **كلا** استفتاح قال الجلال المحلي
وقال البيضاوي ردع عن اعراضهم وقال البغوي
وتبعه ابن عادل هنا **انه** اي القرآن **تذكرة** اي
عظيمة توجب ايجابا عظيما التباعد وعدم الانفكاك
عنه بوجه فليس لاحد ان يقول انا معذور
لم اجد مذكرا ولا معرفا فان عنده اعظم مذكر
واشرف معرف **فمن شاء** اي ان يذكره **ذكره** اي
اتعظ به وجعله نصب عينيه وعلم معناه وتخلق
به فمن فعل ذلك سهل عليه حفظه وبعض معانيه
فانه كالبحر الغزارة فمن شاء اغترف **وما يذكرون**
اي في وقت من الاوقات **الا ان يشاء الله** اي الملك
الاعظم الذي لا امر لاحد معه ذكرهم او مشيئتهم
كقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو
صريح في ان فعل العبد بمشيئة الله تعالى وقرا نافع
بتاء الخطاب وهو التفات من الغيبة الى الخطاب
والباقون بياء الغيبة حملا على ما تقدم من قوله
تعالى كل امرئ **هو** اي الله سبحانه وتعالى وحده
اهل التقوى اي ان يتقيه عباده ويحذروا

غضبه

غضبه بكل ما اتصل قدرتهم اليه لما له من الجلال
والعظمة والقهر وقرا حمزة والكسائي بالامالة
محضة وابو عمرو بين بين وقرا ورش بالفتح وبين
اللفظين **واهل المغفرة** اي وحقيق ان يطلب
غفرانه للذنوب لا سيما اذا اتقاه المذنب لانه
له الجلال واللطف وهو القادر ولا قدرة لغيره
فلا ينفعه شي ولا يضره روى احمد والترمذي
والحاكم عن انس بن مالك رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في
هذه الاية هو اهل التقوى واهل المغفرة يقول
الله تعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقى ان يشرك
بي غيري فانا اهل ان اغفر له ووقف الكسائي
على اهل المغفرة بالهاء والباقون على اصله وورش
بترقيق الراء وقفا ووصلا على اصله وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من قرا سورة المدثر اعطاه الله تعالى
عشر حسنات بعدد من صدق محمد صلى الله
عليه وسلم وكذب به حديث موضوع

سورة القيامة مكية

وهي تسع وثلاثون آية ومائة وتسعة وتسعون
كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا **بسم الله**
اي الذي له الجلال والكمال **الرحمن** الذي عم بنعمه
الايجاد اهل الهدى والضلال **الرحيم** الذي اسعد

لخير لم لا تستكثر منه وقيل تلوم نفسها على الشر
لم فعلته وعلى الخير عما تلوم عليه غيرها وقيل المراد
ادم عليه السلام لم يزل لائما نفسه على معصيته
التي اخرج بها من الجنة وقيل هي الملومة فتكون
صفة ذم وهو قوله من نفى ان تكون قسما وعلى
الاول صفة مدح فتكون القسم بها سائغا وقال
مقاتل هي نفس الكافر يلوم نفسه تحسرا في الاخرة
على ما فرط في جنب الله تعالى وجواب القسم
محذوف اي لتبعثن دل عليه قوله تعالى ايحسب
الانسان اي هذا النوع الذي جبل على الانس
بنفسه والنظر في عطفيه واسند الفعل الى النوع
كله لان اكثرهم كذلك لغلبة الحظوظ على العقل
الا من عصمه الله تعالى وقرا ابن عامر وعاصم
وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها ان اي انا لن نجمع
اي على ما لنا من العظمة عظامه اي التي هي قالب
بدنه فنعيدها كما كانت بعد تمزقها وتفتتها للبعث
والحساب وقيل نزلت في عدي بن ربيعة حليف
بني زهرة ختن الاخنس بن شريق الثقفي وذلك
ان عديا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا محمد حدثني عن القيامة متى تقوم وكيف امرها
وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد
بذلك فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ولم
اومن بك او يجمع الله العظام بعد تفرقها وتفتتها

ور

ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعدما
سفتها الرياح وطيرتها في اباعد الارض ولهذا
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري
السوء عدي بن ربيعة والاخنس بن شريق وقيل
نزلت في عدو الله ابي جهل انكر البعث بعد الموت
وذكر العظام والمراد نفسه كلها لان العظام قالب
الخلق تنبيه ان لن هنا موصولة وليس بين
الهمزة واللام نون في الرسم كما ترى وقوله تعالى بلى
ايجاب لما بعد النفي المنسحب عليه الاستفهام وهو
وقف حسن ثم يبتدا بقوله تعالى قادرين وقيل
المعنى بلى نجمعها قادرين مع جمعها على ان نسوي بنانه
اي اصابعه وسلامياته وهي عظامه الصغار
التي في يده خصها بالذكر لانها اطرافه واخر ما
يتم به خلقه ان نجمع بعضها على بعض على ما كانت
عليه قبل الموت لانا قدرنا على تفصيل عظامه
وتفتيتها فنقدر على جمعها وتوصيلها على جمع
صغار العظام فنحن على جمع كبارها اقدر وقال
ابن عباس واكثر المفسرين على ان نسوي بنانه
اي نجعل اصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير
او كحافر الحمار او كظلف الخنزير فلا يمكنه ان يعمل بها
شيئا ولكنا فرقنا اصابعه حتى يفعل بها ما يشاء وقيل
نقدر ان نصير الانسان في هيئة البهائم فكيف
في صورته التي كان عليها وهو كقوله تعالى وما نحن

بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون
وقوله تعالى بل يريد الانسان عطف على أيحسب
فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان
يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام ليفجر
امامه اي ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان
لا ينزع عنها ولا يتوب هذا قول مجاهد وقال
سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة فيقول
سوف اتوب اعمل حتى يأتيه الموت على اشر احواله
واسوأ اعماله وقال الضحاك هو الامل يقول
اعيش فاصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت
وقال ابن عباس يكذب بما امامه من البعث والحساب
واصل الفجور اي او استبعادا يسأل اي متى وقته
يكون ايان يوم القيامة ولما كان الجواب يوم يكون
كذا وكذا عدل عنه الى ما سبب عن استبعاده
لانه اهول فقال تعالى فاذا برق البصر اي
شخص ووقف لما يرى ما كان يكذب به هذا على
قراءة نافع بفتح الراء واما على القراءة بكسرها فالمعنى
تحير ودهش مما يرى وقيل مما لعيان في التحير
والدهشة وخسف القمر اي اظلم وذهب ضوؤه وقد
اشتهر ان الخسوف للقمر والكسوف للشمس وقيل يكونان
فيهما يقال خسفت الشمس وكسفت وخسف القمر
وكسف وقيل الكسوف اوله والخسوف اخره ولم تلحق
علامة التانيث في قوله تعالى وجمع الشمس والقمر

لان

لان التانيث مجازي وقيل التغليب التذكير
ورد لانه لا يقال قام هند وزيد عند الجمهور من
العرب وقال الكسائي حمل على جمع النيرين وقالت
العلماء بل جمعت لان المعنى جمع بينهما قال الفراء
والزجاج جمع بينهما في ذهاب ضوئهما فلا ضوء للشمس
كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه وقال ابن عباس وابن
مسعود رضي الله عنهم قرن بينهما في طلوعهما
من المغرب اسودين مكورين مظلمين بن يسار يجمع
بينهما يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان
نار الله الكبرى وقيل يجمعان في نار جهنم لانهما قد
عبدا من دون الله تعالى ولا تكون النار عذابا لهما
لانهما جماد وانما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت
الكفار وحسرتهم وقوله تعالى يقول الانسان اي
لشدة ردعه جريا مع طبعه جواب اذا من قوله
تعالى فاذا برق البصر يومئذ اي اذا كانت هذه
الاشياء وقوله تعالى اين المفر منصوب المحل بالقول
والمفر مصدر بمعنى الفرار قال الماوردي ويحتمل
وجهين احدهما اين المفر من الله تعالى استحياء منه
والثاني اين المفر من جهنم حذرا منها ويحتمل
هذا القول من الانسان وجهين احدهما ان يكون
من الكافر خاصة في عرصة القيامة دون المؤمن
لثقة المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا
منها وقيل ابو جهل خاصة وقوله تعالى كلا ردع

عن طلب المفر لا وزر اي لا ملجا ولا حصن
يستجير من الجبل قال السدي كانوا في الدنيا اذا
فزعوا تحصنوا في الجبال فقال الله تعالى لهم
لا وزر يعصمكم يومئذ مني واشتقاقه من الوزر
وهو الثقل الى ربك اي المحسن اليك بانواع
الاحسان لا الى شي غيره يومئذ اي اذا كانت
هذه الامور المستقر اي استقرار الخلق كلهم ناطقهم
وصامتهم ومكان قرارهم وزمانه الى حكمه سبحانه
ومشيئته ظاهرا وباطنا لا حكم لغيره بوجه من
الوجوه في ظاهر ولا باطن كما هو في الدنيا وقال
ابن مسعود المصير والمرجع قال الله تعالى الى ربك
الرجعى واليه المصير والمرجع وقال السدي المنتهى
نظيره وان الى ربك المنتهى ينبأ اي يخبر اخبارا
عظيما الانسان يومئذ اي ان كان هذا الزلزال الاكبر
بما قدم قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم
بما قدم قبل موته من عمل صالح وسيء واخر بعد
موته من سنة حسنة او سيئة يعمل بها وقال
عن عطية عن ابن عباس بما قدم من المعصية واخر
من الطاعة وقال قتادة بما قدم من طاعة الله
واخر من حق الله فضيعه وقال مجاهد باول عمله
واخره وقال عطا بما قدم في اول عمره وما اخر في
اخر عمره قال زيد بن اسلم بما قدم من اموال نفسه
وما اخر خلفه للورثة والاولى ان يقال ينبأ

بجميع

بجميع ذلك اذ لا منافاة بين هذه الاقوال بل الانسان
اي كل واحد من هذا النوع على نفسه اي خاصة
بصيرة اي حجة بينة على اعماله والهاء للمبالغة
يعني انه في غاية المعرفة باحوال نفسه فيشهد عليه
بعمله قال الجوزي ويحتمل ان يكون معناه بل الانسان
على نفسه يعني جوارحه فحذف حرف الجر كقوله
تعالى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم
ويجوز ان يكون نعتا لاسم مؤنث اي بل الانسان
عين بصيرة ولو القى اي ذكر بغاية السرعة ذلك
الانسان من غير تلعثم دلالة على غاية الصدق
والاهتمام والتملق وقوله معاذيره جمع معذرة على غير
قياس قال الجلال المحلي اي لو جاء بكل معذرة ما قبلت
منه وقال الزمخشري المعاذير ليس بجمع معذرة
وانما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر انتهى
قال ابو حيان وليس هذا البنا من ابنية اسماء
الجموع وانما هو من ابنية جموع التكسير وقيل
معاذير جمع معذار وهو الستر والمعنى ولو ارخى
ستوره والمعاذير الستور بلغة اليمن قاله الضحاك
وحكى الماوردي عن ابن عباس ولو القى معاذيره
اي ولو تجرد عن ثيابه ولما كان صلى الله عليه وسلم
اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة
ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا
من ان ينفلت عنه امره الله تعالى بان ينصت

له ملقيا إليه بقلبه وسمعه حتى يقضي الله تعالى وحيه
ثم يعقبه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه بقوله تعالى
لا تحرك به أي بالقرآن لسانك ما دام جبريل عليه
السلام يقرؤه لتعجل به أي لتأخذه على عجلة مخافة
أن يتفلت منك فإن هذه العجلة وإن كانت من
الكمالات بالنسبة إليك وإلى إخوانك من الأنبياء
عليهم السلام لما قال موسى عليه السلام وعجلت إليك
رب لترضى فينتقل صلى الله عليه وسلم من مقام إلى
أكمل منه ثم علل النهي عن العجلة بقوله تعالى إن
علينا أي بما لنا من العظمة لا على أحد سوانا
جمعه أي في صدرك حتى تثبته وتحفظه وقرآنه
أي وقراءتك إياه بمعنى جريانه على لسانك فإذا
قرأناه عليك بقراءة جبريل عليه السلام فاتبع
أي بغاية جهدك بإلقاء سمعك وإحضار قلبك
قرآنه أي قراءته مجموعة على حسب ما أراده رسولنا
وجمعناه لك في صدرك وكررناه حتى يصير
لك به ملكة عظيمة ويصير لك خلقا فيكون
قائدك إلى كل خير وروي عن ابن عباس رضي
الله عنهما في قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل
به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل
جبريل عليه السلام بالوحي كان مما يحرك به لسانه
وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فأنزل
الله تعالى الآية التي في لا أقسم بيوم القيامة

لا تحرك به لسانك الآية فكان صلى الله عليه وسلم إذا
أتاه جبريل عليه السلام أطرق فإذا ذهب قرأه كما
وعده الله تعالى قال سعيد بن جبير قال ابن عباس
فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحركهما فأنزل الله عز وجل الآية إن علينا أي بما لنا
من العظمة بيانه أي بيان ألفاظه ومعانيه
لك سواء سمعته من جبريل عليه السلام على
مثل صلصلة الجرس أم بكلام الناس المعتاد
بالصوت والحرف ولتغيرك على لسانك وعلى
ألسنة العلماء من أمتك والآية مشيرة إلى ترك
مطلق العجلة لأنه إذا نهي عنها في أعظم الأشياء وأهم
ما كان غيره بطريق الأولى والمناسبة بين هذه
الآية وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن
آيات الله وهذه الآية وما قبلها تضمنت المبادرة
إليها بحفظها وقوله تعالى كلا استفتاح بمعنى
ألا وقال الزمخشري ردع للنبي صلى الله عليه وسلم
عن عادة العجلة وقالت جماعة من المفسرين
حقا والأول جرى عليه الجلال المحلي وهو أظهر
بل تحبون متجددة على تجدد الأزمان العاجلة
بدليل أنهم يقبلون غاية الإقبال عليها وحبها
أوجب لهم ارتكاب ما يعلمون قبحه فإن الآخرة
والأولى ضرتان من أحدهما الأخرى تباعده
عن الأخرى فإن حبك للشيء يعمي ويصم وتذرون

الاخرة اي يتركون عليه اي وجه كان ولو انه مستحسن وجوه لانهم يبغضونها لانكارهم ما بعدهم فيها وجمع الضمير وان كان معنى الخطاب مع الانسان للمعنى وقرا يحبون ويذرون ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بالياء التحتية فيهما حملا على لفظ الانسان المذكور اولا لان المراد به الجنس لان الانسان بمعنى الناس والباقون بالخطاب فيهما اما خطابا للكفار قريش اي تحبون يا كفار قريش العاجلة اي الدار الدنيا والحياة فيها وتتركون الاخرة والعمل لها واما التفاتا عن الاخبار عن الجنس المتقدم والاقبال عليه بالخطاب ولما ذكر تعالى الاخرة التي اعرضوا عنها ذكر ما يكون فيها بيانا لجهلهم وسفههم وقلة عقولهم وترهيبا لمن ادبر عنها وترغيبا لمن اقبل عليها لطفا بهم ورحمة لهم فقال تعالى **وجوه** اي من المحشورين وهم جميع الخلق **يومئذ** اي اذ تقوم القيامة **ناضرة** من النضرة بالضاد وهي النعمة بحيث يدل ذلك على نعيم اصحابها **الى ربها** اي المحسن اليها خاصة باعتبار انه عند النظر الى غيره كلا نظر **ناظرة** اي دائما لا يطرفون ابصارهم لا غفلة لهم عن ذلك فان رفع الحجاب عنهم يبصرونه باعينهم بدليل التعدي بالى وذلك النظر جهرة من غير استتار ولا تضار ولا تضام

كما

كما قال ابن عباس واكثر المفسرين وجميع اهل السنة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة من وجوه كثيرة بحيث اشتهر غاية الشهرة وتكون الرؤية كما مثلت في الاحاديث كما يرى القمر ليلة البدر اي كل من يريد رؤيته من بينهم يراه جليا لا هذا وجه الشبه لا انه في جهة ولا في حالة بها تشبيه تعالى الله الكريم عن التشبيه من تلك الاحاديث ما روي عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وفي كتاب النسائي عن وهب قال ينكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم شيئا احب اليهم من النظر ولا اقر لاعينهم وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى ربنا عز وجل حتى ينظروا الى وجهه فيخرون له سجدا فيقول تعالى ارفعوا اهنئكم رؤوسكم فليس هذا يوم عبادة وقدم الجار الدال على الاختصاص اشارة الى ان هذا النظر مباين للنظر الى غيره فلا يعد ذلك نظرا بالنسبة اليه

وعبر بالوجوه عن اصحابها ادل علي ما يكون
عليه السرور وليكون ذكرها في ان المراد بالنظر
حقيقة رؤيته مسلم في قوله تعالي للذين احسنوا
الحسني وزيادة كان ابن عمر رضي الله عنه يقول
اكرم اهل الجنة علي الله من ينظر الي وجهه غدوة
وعشية ثم تلي هذه الاية وانكر الرؤية المعتزلة
واحتجوا بقوله تعالي لا تدركه الابصار ويقولون
النظر المقرون بالي ليس اسما للرؤية بل مقدمة الرؤية
تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرؤيته ونظر العين
بالنسبة الي الرؤية كنظر القلب بالنسبة الي المعرفة
وكالاصغاء بالنسبة الي السمع ويدل علي ذلك قوله
تعالي وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
فاثبت النظر حال عدم الرؤية فتكون الرؤية
غاية النظر وان النظر يحصل والرؤية غير
حاصلة قالوا ويمكن ان يكون معني قوله تعالي
ناظرة اي منتظرة كقولك انا انظر اليك في حاجتي
واجيب عن استدلالهم بقوله تعالي لا تدركه
الابصار بانه لا تدركه بالاحاطة والجهة فلا يكون
ذلك مانعا للرؤية لا علي هذا الوجه وعن بقية
استدلالهم بما ذكر بجوابين احدهما ان تقول
النظر هو الرؤية لقول موسى عليه السلام رب ارني
انظر اليك فلو كان المراد تقليب الحدقة نحو المرئي
لاقتضت الاية اثبات الجهة والمكان ولانه اخر

النظر

النظر عن الارادة فلا يكون بالحدقة جوابا للطالب
سلمنا ما ذكرتموه من ان النظر تقليب الحدقة تعذر
حمله علي الحقيقة فيجب حمله علي الرؤية اطلاقا
لاسم السبب علي المسبب وهو اولي من حمله علي
الانتظار لعدم الملازمة لان تقليب الحدقة كالسبب
للرؤية ولا تعلق بينه وبين الانتظار واما قولهم
بحمله علي الانتظار فاجيب عنه بانهم
لان الذي هو بمعني الانتظار في القران مقرون بالي
ليس الا بمعني الرؤية لان وروده بمعني الرؤية
ظاهر فلا يكون بمعني الانتظار دفعا للاشتراك ولما
ذكر تعالي اهل النعمة اتبعه اضدادهم من اهل النقمة
فقال تعالي ووجوه يومئذ اي في ذلك اليوم
بعينه باسرة اي شديدة العبوسة والكلوح
والتكره لما فيه من الهم كانها قد عرفت فيه وقال
من الهم كانها قد عرفت فيها لسوء باسرة متغيرة تظن
اي في ذلك اليوم بعينه ان يفعل بها اي بهم فانه
اذا اصيب الوجه الذي هو اشرف ما في الجملة كان ما
عداه اولي فاقرة وهي الداهية العظيمة قال ابو
عبيدة سميت بذلك لانها تكسر فقار الظهر ومنه الفقير
لانكسار فقاره من القلة وقال قتادة الفاقرة الشر
وقال الكلبي هو ان تحجب عن رؤية الرب عز وجل وقوله
تعالي كلا ردع عن ايثار الدنيا علي الاخرة
قاله البيضاوي تبعا للزمخشري وزاد الزمخشري كانه

قيل ان تدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم
من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم و
تنقلون الى الاجلة التي تبقون فيها مخلدين اذا
بلغت النفس التراقي واضمر النفس وان لم يجر
لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه
يدل عليها كما قال حاتم اماوي ما يغني الثرى
عن الفتى ، اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد
تسمعهم يذكرون السماء والتراقي جمع ترقوة وهي
العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمينه وشماله ولكل
انسان ترقوتان قال القاضي ولعله جمع المثنى
اشارة الى شدة انتشارها بغاية الجهد لما فيه
من الكرب لاجتماعها من اقاصي البدن الى هناك
انتهاء وهذا نهي عن الاشتغال عن الموت ذكرهم
صعوبة الموت هو اول مراحل الاخرة وحين تبلغ
الروح التراقي ودني زهوقها وقيل اي قال الحاضر
واصحابها وهو المحتضر بعضهم لبعض من راق اي
قال حاضرو المحتضر ايكم يرقيه مما به ليحصل له الشفا
وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو من كلام ملائكة
الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة
العذاب فالاول اسم فاعل من رقا يرقي بمعنى
الرقية بالفتح في الماضي والكسر في المضارع والثاني
الذي بمعنى الصعود بالكسر في الماضي والفتح في

المضارع

المضارع وظن اي ايقن المحتضر لما لاح له من انوار
الاخرة وقيل القايل هو من راق من اهله انه اي
الشان العظيم الذي هو فيه الفراق اي لما كان فيه من
محبوب العاجلة الذي هو الفراق العظيم الذي لا فراق
مثله ففي الخبر ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته
وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول السلام
عليك تفارقني وافارقك الى يوم القيامة وسمي
اليقين هنا بالظن لان الانسان ما دامت روحه
متعلقة ببدنه فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه
الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها وان المراد
الظن الغالب ان لا يحصل يقين الموت مع رجاء الحياة
وقيل سماه بالظن تهكما قال الرازي وهذه الاية
تدل على ان الروح جوهر قايم بنفسه باقي بعد
موت البدن لانه تعالى سمى الموت فراقا والفراق
انما يكون اذا كانت الروح باقية فان الفراق والو
صال صفة تستدعي وجود الموصوف والتفت
الساق بالساق اي اجتمعت احداهما على الاخرى
اذ الالتفات الاجتماع قال تعالى جيئنا بكم لفيفا
ومعنى الكلام اقبلت شدة اخر الدنيا بشدة اول
الاخرة قاله ابن عباس والحسن وغيرهما وقال الشعبي
التفت ساقا الانسان عند الموت من شدة الكرب
قال قتادة اما رايته اذا اشرف على الموت يضرب
برجله على الاخرى وقال سعيد بن المسيب هما ساقا

الانسان اذا التفا في الكفن قال زيد بن اسلم
التفت ساق الكفن بساق الميت وقال الضحاك
الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه
وقال الشعبي لا يخرج من كرب الا جاءه اشد منه واول
الاقوال كما قال الضحاك احسنها والعرب لا تذكر الساق
الا في الشدائد والمحن العظام ومنه قولهم قامت
الحرب على ساق وقالت اهل المعاني اذا اشتدت همه
شمر بها عن ساقيه فقيل للامر الشديد ساق قال
الجعدي شعر اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها
وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا ه
ولما صور وقت تاسفه على الدنيا واعراضها عنها
ذكر غاية ذلك فقال تعالى مفردا النبي صلى الله
عليه وسلم بالخطاب اشارة الى انه لا يفهم هذا
حق فهمه غيره الى ربك اي المحسن اليك بجميع ما انت
فيه يومئذ اي اذ وقع هذا الامر المساق اي السوق
الى حكمه تعالى فقد انقطعت عنه احكام الدنيا
فاما ان تسوقه الملائكة الى سعادة اما الى شقاوة والضمير
في قوله تعالى فلا صدق راجع للانسان المذكور في
ايحسب الانسان اي فلا صدق النبي صلى الله
عليه وسلم فيما اخبره به مما كان يعمل من الاعمال
الخبيثة ولا في ايمانه لانفاقه في وجوه الخير التي
ندب اليها واجبة كانت او مندوبة وحذف المعمول
لانه ابلغ في التعميم ولا صلى اي ما امر به من فرض

وغيره

وغيره فلا تمسك بحبل الخالق ولا وصل حبل الخلائق
وقال ابن عباس لم يصدق بالرسالة ولا صلى اي
دعا ربه عز وجل وصلى على رسوله صلى الله عليه
وسلم وقال قتادة فلا صدق بكتاب الله ولا صلى
لله جل ذكره ولكن اي فعل ضد ما امر به بان كذب
بما اتاه به النبي صلى الله عليه وسلم من قرآن
وغيره وتولى اي اعرض عنه وهذا الاستدراك
واضح اذ لا يلزم من نفي التصديق والصلاة
التكذيب والتولي وقال القرطبي معناه كذب
بالقرآن وتولى عن الايمان وقيل نزلت في ابي
جهل ثم ذهب اي هذا الانسان او ابو جهل الى اهله
غير متفكر في عاقبة ما فعل من التكذيب حال
كونه يتمطى اي يتبختر افتخارا بالتكذيب واعراضه
وعدم مبالاته بذلك واصله يتمطط اي يتمدد
لان المتبختر يمد خطاه وانما ابدلت الطاء الثانية
ياء كراهة اجتماع الامثال وقيل هو من المطا وهو
الظهر لانه يلويه تبخترا في مشيته وقوله تعالى اولى
لك فيه التفات من الغيبة والكلمة اسم فعل
واللام للتبيين اي وليك ما تكره فاولى اي فهو
اولى بك من غيرك وقوله تعالى ثم اولى لك
فاولى تأكيد وقيل هذه الكلمة تقولها العرب
لمن قاربه المكروه واصلها من الولي وهو القرب
قال الله تعالى قاتلوا الذين يلونكم وقال قتادة

ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
هذه الاية اخذ بمجامع ثوب ابي جهل بالبطحاء وقال
له اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال
ابو جهل اتوعدني يا محمد والله ما تستطيع انت
ولا ربك ان تفعلا بي شيئا واني والله لاعز من
مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر
مصرع وقتله اسوأ قتلة قال وكان النبي صلى
الله عليه وسلم يقول لكل امة فرعون وان فرعون
هذه الامة ابو جهل **ايحسب** اي يجوز لقلة عقله
الانسان اي الذي هو عبد مربوب ضعيف عاجز
محتاج مما يرى من نفسه واشباهه **ان يترك** اي
يكون تركه بالكلية **سدى** اي مهملا لا غاية له يكلف ولا
يجازى ولا يعرض على الملك الاعظم الذي
خلقه فيسأله عن شكره فيما اسدى اليه فان ذلك
مناف للحكمة فانها تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن
المساوي والجزاء على كل منهما واكثر الظالمين والمظلومين
يموتون من غير جزاء فاقتضت الحكمة ولا بد من
البعث للجزاء **الم يك** اي الانسان **نطفة** اي شيئا يسيرا
من مني اي من ماء من صلب الرجل وترائب المرأة
يمنى اي تصب في الرحم بسبب الله تعالى للانسان
المعالجة في اخراجها بما ركب فيه من الشهوة وجعل
من الزوج بسورها لتعاضد طرفيه حتى ان وقف
صبها في الرحم تصبه منه بغير اختيار حتى كانه

لا

لا فعل له فيها اصلا فان قيل ما فائدة معنى يمنى بعد
قوله تعالى من مني **اجيب** بانه فيه اشارة الى
حقارة حاله كانه قيل انه مخلوق من المني الذي
يجري على مجرى النجاسة فلا يليق بمثل هذا ان
يتمرد عن طاعة الله تعالى الا انه عبر عن هذا
المني على سبيل الرمز كما في قوله تعالى في عيسى
عليه السلام وامه مريم كانا ياكلان الطعام والمراد
منه قضاء الحاجة **ثم كان** اي كونا محكما **علقة** اي دما
احمر غليظا شديد الحمرة والغلظ **فخلق** اي قدر
سبحانه عقب ذلك لحمه وعظامه وعصبه وغير
ذلك من جواهره واعراضه **فسوى** اي عدل من
ذلك خلقا اخر غاية التعديل شخصا مستقلا **فجعل**
اي بسبب النطفة **منه** اي من المني الذي صار
علقة اي قطعة دم ثم مضغة اي قطعة لحم **الزوجين**
اي النوعين **الذكر والانثى** يجتمعان تارة وينفرد
كل منهما عن الاخر تارة قال القرطبي وقد احتج
بهذه الاية من راى اسقاط الخنثى **واجيب**
بان هذه الاية وقرينتها خرجت مخرج الغالب
او انه في نفس الامر ذكر او انثى **اليس ذلك** اي
الخالق المسوي الاله الاعظم الذي قدر على تمييز
ما يصلح من ذلك للذكر وما يصلح منه للانثى
بقادر على ان يحيي الموتى اي انه يعيد هذه
الاجسام كهيئتها للبعث بعد البلى روي انه صلى

الله عليه وسلم كان اذا قراها قال سبحانك اللهم
بلى رواه ابو داود والحاكم وقال ابن عباس رضي
الله عنهما من قرا سبح اسم ربك اماما كان او غيره
فليقل سبحان ربي الاعلى ومن قرا لا اقسم بيوم
القيامة الى اخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان
او غيره وروى البغوي بسنده من طريق ابي داود
عن اعرابي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والتين
والزيتون فانتهى الى اخرها اليس الله باحكم
الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين
ومن قرا لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى اليس
ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن
قرا والمرسلات فبلغ فباي حديث بعده يؤمنون
فليقل امنا بالله وروي ان رجلا كان يصلي فوق
بيته فكان اذا قرا اليس ذلك بقادر على ان يحيي
الموتى قال سبحانك اللهم بلى فسالوه عن ذلك
فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة القيامة شهدت
له انا وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا حديث
موضوع

سورة الانسان

وتسمى سورة هل اتى والامشاج والدهر
وهي مكية او مدنية وهي احدى وثلاثون اية

وما

وما ئتان واربعون كلمة والف واربعة وخمسون حرفا
واختلف فيها هل هي مكية او مدنية فقال ابن
عباس ومقاتل والكلبي وجرى عليه البيضاوي
والزمخشري وقال الجمهور مدنية وقاله الجلال المحلي
مكية او مدنية ولم يجزم بشيء وقال الحسن وعكرمة
هي مدنية الا اية وهي قوله تعالى فاصبر لحكم
ربك ولا تطع منهم اثما او كفورا وقيل فيها مكي
من قوله انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا الى
اخر السورة وما تقدم مدني بسم الله الذي
لا اله سواه الكافي الرحمن الذي تمم نعمه الذكور والانثى
الرحيم الذي خص منهم من شاء بمقام الاسنى
وبما تم الاستدلال على البعث والقدرة عليه تلاه
بهذا الاستفهام وهو قوله تعالى هل اتى قال
الزمخشري بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل
اهل بدليل قول الشاعر
سائل فوارس يربوع بشدتنا ... اهل راونا المقاع والاكم
فالمعنى قد اتى على التقدير والتقريب جميعا
اي اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من
الدهر لم يكن شيئا مذكورا اي كان شيئا غير
مذكور نطفة في الاصلاب انتهى فقوله على التقدير
يعني المفهوم للاستفهام وقوله والتقريب يعني
المفهوم من قد التي وقع موقعها ومعنى قوله في
الاستفهام خاصة ان هل لا تكون بمعنى قد وبقي

فيداهر وهوان يقول في الجمل الفعلية لانها متى دخلت
على جملة اسمية استحال كونها صفة فدل انها مختصة
بالافعال واجيب عنه بان هذا لاحتياج اليه
لانه تقرران قد لاتباشر الاسماء واختلف في المراد
من الانسان فقال قتادة وعكرمة والشعبي هو ادم
عليه السلام مرت عليه اربعون سنة قبل ان تنفخ
فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطايف وعن
ابن عباس في رواية انه خلق من طين فاقام
اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين سنة ثم من
صلصال اربعين سنة ثم خلقه بعد ماية وعشرين
سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن
عباس ان المذكور هنا هو الزمن الطويل الممتد
الذي لا يعرف مقداره وقال الحسن خلق الله تعالى
كل شي مايرى ومالا يرى من دواب البحر في الايام
الست التي خلق الله تعالى فيها السموات والارض
واخر ما خلق ادم عليه السلام فهو قوله تعالى
لم يكن شيا مذكورا روي ان ابا بكر رضي الله عنه
لما قرا هذه الاية قال ليتها تمت فلا نبتلي اي
ليت هذه المدة التي اتت على ادم عليه السلام
لم يكن شيا مذكورا تمت على ذلك فلا يلد
ولا نبتلي اولاده وسمع عمر رضي الله عنه رجلا
يقرا لم يكن شيا مذكورا قال عمر ليتها تمت يقول
ليته بقي على ما كان هذا وهما صحيحاه صلى

الله

الله عليه وسلم ولكن بعد ان القرب يكون الخوف فان
قيل ان الطين والصلصال والحما المسنون قبل نفخ
الروح فيه ما كان انسانا والاية تقتضي انه مضى
على الانسان حال كونه انسانا حين من الدهر مع انه
في ذلك الحين ما كان شيا مذكورا اجيب بان
الطين والصلصال اذا كان مصورا بصورة الانسان
ويكون محكوما عليه بانه سينفخ فيه الروح ويصير
انسانا صح تسميته بانه انسان روي الضحاك
عن ابن عباس في قوله تعالى لم يكن شيا مذكورا
لا في السماء ولا في الارض بل كان جسدا مصورا
ترابا وطينا لا يذكر ولا يعرف ولا يدري ما اسمه ولا
ما يراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا قال ابن
سلام لم يكن شيا مذكورا الاية خلقه بعد خلق
الحيوان كله ولم يخلق بعده حيوانا وقال الزمخشري
وتبعه جماعة من المفسرين ان المراد بالانسان
جنس بنو ادم بدليل قوله تعالى انا خلقنا الانسان
اي بعد خلق ادم عليه السلام من نطفة النطفة
هي شي يسير جدا من الرجل والمراة وكل ما قليل
في وعاء فهو نطفة كقول عبد الله بن رواحة يعاتب
نفسه

مالي اراك تكرهين الجنة هل انت الا نطفة في شنة
وعلى هذا فالمراد بالحين المدة التي هو فيها في
بطن امه لم يكن شيا مذكورا لانه علقة ومضغة

لانه في هذه الحالة جماد لا خطر له وقوله تعالى امشاج
اي اخلاط من ماء الرجل وماء المراة المختلطين الممتزجين
نعت لنطفة ووقع الجمع نعتا لمفرد لانه في
معنى الجمع كقوله رفرف خضر وجعله كل جزء من
النطفة نطفة فوصفت بالجمع وقال الزمخشري نطفة
امشاج كبرمة اعشار وبرد اكياش وهي الفاظ
مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد
يقال ايضا نطفة مشج قال الشماخ
طوت احشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين
ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان في
الافراد لوصف المفرد بهما انتهى تعقد منع ان يكون
امشاجا جمع مشج بالكسر قال ابو حيان وقوله مخالف
لنص سيبويه والنحويين على ان افعالا لا يكون
مفردا واجاب بعضهم بان الزمخشري انما قال جعل كل
نطفة من البرمة برمة وكل قطعة من البرمة
برمة وكل قطعة من البرد بردا فوصفها بالجمع والمعنى
من نطفة قد امتزج فيها الماءان وكل منهما مختلف
الاجزاء متباين الاوصاف في الرقة والثخن والقوام
والخواص يجتمع من الاخلاط وهي العناصر
الاربعة ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن
ماء المراة قال القرطبي وقد روي هذا مرفوعا ذكره
البزار وعن قتادة امشاج الوان واطوار يريد
انها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم خلقا

اخر

اخر وعن ابن مسعود رضي الله عنه هي عروق النطفة
وقال مجاهد نطفة بيضا وحمرا ونطفة المراة صفرا
وخضرا والغرض من هذا التنبيه على ان
الانسان لا بد له من محدث قادر على تصويره وقد
صوره على صورة مختلفة فمنها صغير وكبير وطويل
وقصير ومستدير وعريض ولما كان الانسان محتاجا
الى الحركة بجملة بدنه وببعض اعضائه جعل بين
العظام مفاصل ثم اوصلها باوتار وعروق ولحم ودور
الراس وشق في جانبيه السمع وفي مقدمه البصر
والانف والفم وشق في البدن سائر المنافذ
ثم مد اليدين والرجلين وقسم روسها بالاصابع
وركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة فسبحان
من خلق تلك الاشيا من نطفة سخيفة اليس ذلك
بقادر على ان يحيي الموتى وقوله تعالى نبتليه
يجوز فيه وجهان احدهما انه حال من فاعل خلقناه
حال كوننا مبتلين له والثاني انه حال من الانسان
وصح ذلك لان في الجملة ضميرين كل منهما يعود على
ذي الحال ثم هذه الحال يجوز ان تكون مقارنة
ان كان المعنى نبتليه نصرفه في بطن امه نطفة
ثم علقة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما
وان تكون مقدرة ان كان المعنى نبتليه نختبره بالتما
بالتكليف لانه وقت خلقه غير مكلف وفيما نختبره به
وجهان قال الكلبي نختبره بالخير والشر والثاني قال

بحسن تخييره شكره في السراء وصبره في الضراء وقيل
نبتليه نكلفه بالعمل بعد الخلق وقال مقاتل نكلفه
بالعمل ليكون مأمورا بالطاعة ومنهيا عن المعاصي
فجعلناه أي بما لنا من العظمة بسبب ذلك سميعا
بصيرا أي عظيم السمع والبصر والبصيرة ليتمكن من
مشاهدة الدلائل ببصره وسماع الآيات بسمعه
ومعرفة الحجج ببصره فيصح تكليفه وابتلاؤه فقدم
العلة الغائية لأنها متقدمة في الاستحضار على
التابع لها المصحح لورودها وقدم السمع لأنه أنفع
في المخاطبات ولأن الآيات المسموعة أبين من
الآيات المرئية وخصهما بالذكر لأنهما أنفع الحواس
ولأن البصر يفهم البصيرة وهي تتضمن الجميع وقال
بعضهم في الكلام تقديم وتأخير والأصل إنا جعلناه
سميعا بصيرا لنبتليه أي جعلناه كذلك للابتلاء و
وقيل المراد بالسميع المطيع كقولهم سمعا وطاعة
وبالبصير العالم يقال فلان بصير في هذا الأمر إنا
أي بما لنا من العظمة هديناه السبيل أي بينا له
وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر ببعث
الرسل وقال مجاهد بينا له السبيل إلى السعادة
والشقاوة وقال السدي السبيل هنا خروجه من
الرحم وقيل منافعه ومضاره التي يهتدي إليها
بطبعه وكمال عقله قال الرازي والآية تدل على
أن العقل متأخر عن الحواس قال وهو كذلك وقوله

تعالى

تعالى إما شاكرا أي لإنعام ربه عليه وإما كفورا أي
بليغ الكفر بالإعراض والتكذيب نصب على الحال
وفيه وجهان أحدهما أنه مفعول هديناه أي هديناه
مبينا له كلتا حاليه والثاني أنه حال من السبيل
المجاز قال الزمخشري ويجوز أن يكونا حالين من
السبيل أي عرفناه السبيل إما سبيلا شاكرا وإما
سبيلا كفورا لقوله تعالى وهديناه النجدين فوصف
السبيل بالشكر والكفر مجازا وروى الشيخان عن أبي
هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهود
انه أو ينصرانه أو يمجسانه الحديث وعن جابر بن
عبد الله كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب
عنه لسانه إما شاكرا وإما كفورا ولما قسمهم إلى قسمين
ذكر جزاء كل فريق فقال إنا أي على ما لنا من العظمة
أعتدنا أي هيأنا وأحضرنا بشدة وغلظة للكافرين
أي العريقين في الكفر خاصة وقدم الأسهل في
العذاب فالأسهل فقال تعالى سلاسل جمع سلسلة
أي يقادون ويوثقون بها وأغلالا في أعناقهم
تشد فيها السلاسل فتجمع أيديهم إلى أعناقهم
وسعيرا أي نارا حامية جدا شديدة الاتقاد وقرأ
نافع وهشام وشعبة والكسائي سلاسلا وصلا
بالتنوين والباقون بغير تنوين وأما الوقف على
الثانية فوقف عليها بغير ألف قنبل وحمزة ووقف

البزي وابن ذكوان وحفص بغير الف وبالالف
ووقف الباقون بلا الف وله وقف على الالف وفي
الرسم بالالف اما من نون سلاسلا فوجد
باوجه منها انه قصد منها بذلك التناسب
لما قبله وما بعده من منصوب ومنها ان الكسائي
وغيره من اهل الكوفة حكوا عن بعض العرب
انهم يصرفون جميع ما لا ينصرف الا افعل وقال
الاخفش سمعنا من العرب من يصرفه كل لا ينصرف
فيها وروي عن بعضهم انه يقول رايت عمرا
بالالف يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه وايضا
هذا الجمع قد جمع وان كان قليلا قالوا صواحب
وصاحبات وفي الحديث لكن صواحبات يوسف
ومنها انه مرسوم في الامام اي مصحف الحجاز والكوفة
بالالف رواه ابو عبيدة ورواه قالون عن نافع
وروي بعضهم ذلك عن مصاحف البصرة
ايضا وقال الزمخشري فيه وجهان احدهما ان
يكون صاحب هذه القراءة ممن ضري برواية
الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف
انتهى قال بعض المفسرين وفي هذه العبارة
فظاظة وغلظة لا سيما على مشايخ الاسلام وائمة
العلماء الاعلام واما من لم ينونه فوجهه ظاهر
لانه على صيغة منتهى الجموع وقولهم قد جمع
نحو صواحبات لا يقدح لان المحذور جمع التكسير

وهذا

وهذا جمع صحيح واما من لم يقف بالالف فواضح ولما
اوجز في جزاء الكافر اتبعه جزاء الكافر اتبعه جزاء الشاكر
واطنب تاكيدا للترتيب فقال تعالى **ان الابرار** جمع
بر كارباب جمع رب او بار كاشهاد جمع شاهد وفي
الصحاح وجمع البار البررة وهم الصادقون في ايمانهم
المطيعون لربهم الذين سمت همتهم عن المستحقرات
فظهرت في قلوبهم ينابيع الحكمة وروى ابن عمر
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال انما سماهم الله تعالى الابرار لانهم بروا الاباء
والابناء كما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك
عليك حقا وقال الحسن البر الذي لا يؤذي الذر
وقال قتادة الابرار الذين يؤدون حق الله ويوفون
بالنذر وفي الحديث الابرار الذين لا يؤذون احدا
يشربون من كاس هو اناء شرب الخمر وهي فيه والمراد
من خمر تسمية للحال باسم المحل ومن للتبعيض **كان**
مزاجها اي ما تمزج به **كافورا** لبرده وعذوبته
وطيب عرفه وذكر فعل الكون يدل على ان له شانا
في المزج عظيما يكون فيه كانه من نفس الجبلة
كما يقولون والكافور نبت معروف وكان اشتقاقه
من الكفر وهو الستر لانه يغطي الاشياء برائحته
والكافور ايضا كمام الشجر الذي هو ثمرتها والكافور
ايضا النخر والكافور النيل والكافور الساتر لنعم
الله تعالى والكافور الزراع لتوريته الحب في

الارض قال الشاعر
وكافر مات على كفره ⁂ وجنة الفردوس للكافر
تغطية الاثم في اليمين الفاجرة والنذور الكاذبة
بالمغفرة والكافور ما جرى في الشجر مكفور فيغرزونه
بالحديد فيخرج الى ظاهر الشجر فيضربه الهواء
فيجمد وينعقد كالصمغ الجامد على الاشجار فان
قيل مزج الكافور بالمشروب لا يكون لذيذا فما
السبب في ذكره اجيب بوجوه احدها قال ابن
عباس رضي الله عنهما الكافور اسم عين في الجنة
يقال لها عين الكافور اي يمازجها ماء هذه العين
التي تسمى كافورا في بياض الكافور ورائحته وبرده
ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته ثانيها ان رائحة
الكافور عرض والعرض لا يكون الا في جسم فخلق الله
تلك الرائحة في جرم ذلك الشراب فسمي ذلك الجسم
كافورا وان كان طعمه طيبا فيكون الكافور ريحها
لا طعمها ثالثها ان الله تعالى يخلق الكافور في الجنة
مع طعم طيب لذيذ ويسلب عنه ما فيه من المضرة
ثم انه تعالى يمزجه بذلك الشراب كما انه تعالى
يسلب عن جميع الماكولات والمشروبات ما معها
في الدنيا من المضار وقال سعيد عن قتادة يمزج
لهم بالكافور ويختم بالمسك وقيل تخلق فيها
رائحة الكافور وبياضه فكانها مزجت بالكافور
وقوله تعالى عينا في نصبه اوجه احدها انه بدل

من

من كافورا لان ماءها في بياض الكافور وفي رائحته
وبرده واقتصر على هذا الجلال المحلي الثاني انه
بدل من محل كاس قاله مكي ولم يقدر حذف
مضاف وقدر الزمخشري على هذا الوجه مضافا
كانه قيل يشربون خمرا خمر عين الثالث انه نصب
على الاختصاص قاله الزمخشري الرابع انه باضمار
اعني قاله القرطبي وقيل غير ذلك يشرب بها
قال الجلال المحلي منها وقال البقاعي اي بمزاجها وقال
الزمخشري بالخمر قال كما تقول شربت الماء بالعسل
والاول اصح عباد الله اي اولياؤه فان قيل
الكفار عباد الله وهم لا يشربون منها بالاتفاق
اجيب بان لفظ عباد مختص باهل الايمان
ولكن يشكل بقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر
مع انه سبحانه لا يرضى الكفر للكافر ولا لغيره وقد
يجاب بان هذا اكثري لا كلي او يقال حيث اضيف
العباد او العبد الى اسم الله الظاهر سواء كان بلفظ
الجلالة ام لا فالمراد به المؤمنون وان اضيف
الى ضميره تعالى فيكون بحسب المقام فتارة يختص
بالمؤمن كقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان وتارة يعم كقوله تعالى ولا يرضى لعباده
الكفر وقوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
يفجرونها اي يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم
وان علت تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم ولما كان

جزاهم ذكر وصفهم الذي يستحقون عليه ذلك
بقوله تعالى يوفون بالنذر وهذا يجوز ان
يكون مستانفا ويجوز ان يكون خبرا لكان مضمرة قال
الفرا التقدير كانوا يوفون بالنذر في الدنيا
وكانوا يخافون وقال الزمخشري يوفون من عسى
بقوله ما لهم يوفون ذلك قال ابو حيان واستعمل
عسى صلة لمن وهو لا يجوز واتى بالمضارع
بعد عسى غير مقرون بان وهو قليل او في الشعر
والوفا بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على ادا
الواجبات لان من اوفى بما اوجبه الله تعالى عليه
اوفى وقال الكلبي يوفون بالنذر اي يتمون
العهود لقوله تعالى واوفوا بعهد الله واوفوا بالعقود
امروا بالوفا بها لانهم عقدوها على انفسهم
باعتقادهم الايمان قال القرطبي والنذر حقيقة
ما اوجبه المكلف على نفسه من شي يفعله وان
شئت قلت في حده هو ايجاب المكلف على نفسه
من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه وروى
انه صلى الله عليه وسلم قال من نذر ان يطيع الله
فليطعه ومن نذر ان يعصيه فلا ولا وفا لهم
عليه لا متطابا عهم قال تعالى عاطفا دلالة
على حمهم لا سربي المتعاطفين فهم يفعلون الوفا
لاجل الخوف بل لكرم الطبع ويخافون اي مع فعلهم
للواجبات يوما قال ابن عبد السلام هو يوم ا

اهوال

اهوال يوم كان اي كونا هو في جبلته شره اي
ما فيه من الشدايد مستطيرا اي فاشيا منتشرا
غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ
من طار وقال قتادة كان شره فاشيا في السموات
وانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر
وفزعت الملائكة ونسفت الجبال وغارت المياه وتكسر
كل شي على الارض من جبل وبنا وفي ذلك اشعار
بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي فان الخوف
ادل دليل على عمارة الباطن فلولا ما فارق الخوف
قلبا الا خرب ومن خاف ادلج ومن ادلج بلغ
المنزل فان قيل لم قال تعالى كان شره ولم
يقل سيكون اجيب بانه كقوله تعالى اتى امر الله مما قيل
في ذلك تعالى هنا ويطعمون الطعام اي على حسب
ما تيسر لهم من قال وبدن وقوله تعالى على حبه
حال اما من الطعام اي كاينين على حبهم اياه في
غاية المكنة منهم والا شتغل على قلوبهم بغلبة
شهوتهم له وحاجتهم اليه كما قال تعالى لن تنا لوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون لبينهم انهم للفضل اشد
بذلا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في حق الصحابة
رضي الله تعالى عنهم لو انفق احدكم مثل احد
ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه لقلة الموجود
ان ذاك وكثرته بعد واما من الفاعل والضمير في
حبه لله اي على حب الله وعلى التقديرين فهو

مصدر مضاف للمفعول وقال الفضيل بن عياض
على حب الطعام مسكينا اي محتاجا احتياجا جابرا
فصاحب الاحتياج الكثير اولى ويتيما اي صغيرا
لا اب له واسيرا اي في ايدي الكفار وخص هولاء
لان كون المسكين عاجزا عن الكسب لعسره والاس
لا يمكن لنفسه نصرا ولا حيلة وقال سعيد بن
جبير الاسير المحبوس فدخل في ذلك المملوك
والمسجون والكافر الذي في ايدي المسلمين وقد
نقل في غزوة بدر بعض الصحابة رضي الله عنهم
كان يوثر اسيره على نفسه بالخبز وكان الخبز
اذ ذاك عزيزا حتى كان الاسير يعجبه من مكارمهم
حتى كان ذلك مما دعاه الى الاسلام وذلك
لان النبي صلى الله عليه وسلم لما دفعهم اليهم
قال استوصوا بهم خيرا وقيل الاسير المملوك وقيل
المراة لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في
النساء فانهن عندكم عوان اي اسيرات وقوله تعالى انما
نطعمكم على اضمار القول اي يقولون بلسانهم مقاله
او بحال انما نطعمكم ايها المحتاجون لوجه الله اي
لذات الملك الذي استجمع لكل الجلال والاكرام لكونه
امرنا بذلك وعبر بالوجه جزا اي لنا من عوارض
الدنيا ولا شكورا اي شيئا من قول ولا فعل روي
ان عائشة رضي الله عنها كانت تبعث بالصدقة
الى اهل بيت ثم تسال المبعوث ما قالوا فاذا ذكر

لانخافكم

دعا

دعا دعت لهم هذا على مثله ليبقى ثواب الصدقة
لها خالصا عند الله تعالى ثم عللوا هذا على وجه
التاكيد بقوله تعالى انا نخاف من ربنا اي لكمال فعلنا
المحسن الينا يوما اي اهوال يوم هو في غاية العظمة
وبينوا عظمه بقولهم عبوسا قال ابن عباس
رضي الله عنهما ووصف اليوم بالعبوس مجاز على
طريقين ان يوصف بصفة اهله من الاشقياء كقولك
نهارك صايم روي ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل
منه بين عينيه عرق مثل القطران وان يشبه
في شدته وضرره بالاسد العبوس او بالشجاع
الباسل قمطريرا قال ابن عباس طويلا وقال
مجاهد وقتادة القمطرير الذي يقبض الوجوه
والجباه بالتقبض وقال الكلبي العبوس الذي
لا انبساط فيه والقمطرير الشديد وقال الاخفش
القمطرير اشد ما يكون من الايام واطوله في
البلاء يقال يوم قمطرير وقماطير اذا كان شديد
كريها ولما كان فعلهم هذا خالصا لله تعالى سبب
عنه جزاهم فقال تعالى فوقاهم الله اي الملك
الاعظم بسبب خوفهم شر ذلك اليوم اي
الملك العظيم ولا بد لهم من نعيم ظاهر وباطن
ومسكن يقيمون فيه وملبس وقد اشار الى الاول
بقوله تعالى ولقاهم اي اعطاهم نضرة اي حسنا
دايما في وجوههم واشار الى الثاني بقوله وسرورا

اي عاني قلوبهم دايما مقابلة خوفهم في الدنيا واشار
الي الثالث بقوله وجزاهم بما صبروا اي بسبب ما
وجد منهم من الصبر علي العبادة من لزوم الطاعة
واجتناب المعصية ومنع انفسهم الشهوات وبذل
المحبوبات جنة اي ادخلوا بستانا جامعا ياكلون
منه ما يشتهون جزاء علي ما كانوا يطعمون وان كان
غيرهم يشاركهم في ذلك دونهم في الجزاء واشار
الي الرابع بقوله تعالي وحريرا اي الكسوة اي هو في
غاية العظمة ومما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري
عن ابن عباس ان الحسن والحسين رضي الله عنهما
مرضا فعادهما رسول الله صلي الله عليه وسلم
في ناس فقال يا ابا الحسن لو نذرت علي ولدك فنذر
علي وفاطمة وفضة جارية لهما صوم ثلاثة
ايام ان برئا فشفيا وما معهما شيء فاستقرض علي
من شمعون اليهودي الخيبري ثلاثة اصع من
شعير وطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة
اقراص علي عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا
فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم محمد مسكين
المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه
وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما
امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم فوقف عليهم
يتيم فآثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا
مثل ذلك زاد في الكشاف فلما اصبحوا اخذ علي

رضي

رضي الله عنه بيد الحسن والحسين فلما ابصرهم وهم
يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع فقال ما اشد ما يسوءني
ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فراى فاطمة رضي
الله عنها في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت
عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال
خذها يا محمد اي السورة هناك الله في اهل
بيتك فاقراه السورة حديث موضوع ثم بين حالهم
فيها بقوله تعالي علي الارائك اي في الجنة واختلفوا — متكئين فيها
في اعراب متكئين فقال الجلال المحلي حال من مرفوع
ادخلوها المقدر وقال ابو البقا يجوز ان يكون حالا
من المفعول في جزاهم وان يكون صفة واعترض
عليه في كونه صفة لانه لا يجوز عند البصريين
لانه يلزم الضمير فيقال متكئين هم فيها لجريان
الصفة علي غير من هي وقيل انه فاعل صبروا
واعترض بان الصبر كان في الدنيا والاتكاء في الاخرة
واجيب بانه يصح ان يكون حالا مقدرة لان
مآلهم بسبب صبرهم الي هذه الحالة ثم اشار الي
زيادة راحتهم بقوله تعالي لا يرون فيها اي الجنة
حال ثانية علي الحال المتقدم في الاولي ومع
جواز ان تكون الاولي صفة جوز في الثانية
وقيل انها حال من الضمير المرفوع المستكن في
متكئين فتكون حالا متداخلة شمسا اي حرا
ولا اي يرون فيها زمهريرا اي بردا شديدا فالاية

من الاحتباك دل بنفي الزمهرير الذي هو سبب
البرودة ثانيا على نفي الحر الذي سببه الشمس فافاد
هذا ان الجنة غنية عن النيرين لانها نيرة بذاتها
واهلها غير محتاجين الى معرفة زمان اذ لا تكليف
عن النيرين لانها نيرة بذاتها واهلها غير محتاجين
الى معرفة زمان اذ لا تكليف فيها بوجه وانها
ظليلة معتدلة دائما بخلاف الدنيا فان فيها
محتاجة الى ذلك والحر والبرد فيها من فيح جهنم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكت الى
ربها قالت يا رب اكل بعضي بعضا فجعل لها نفسين
في الشتاء ونفسا في الصيف فشدة ما تجدونه من
البرد من زمهريرها وشدة ما تجدونه من الحر
من سمومها وقيل الزمهرير بلغة طي وانشدوا
وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر
ويروى ما ظهر ودانية اي قريبة مع الارتفاع عليهم
ظلالها اي ما ظهر شجرها من غير ان يحصل منها
ما يزيل الاعتدال واختلف في نصب دانية فقال
الجوهري عطف على متكئين وقال الجلال المحلي عطف
على محل لا يرون وذكره الجوهري بعد الاول
بصيغة قيل قال البيضاوي او عطف على جنة اي
وجنة اخرى دانية لانهم وعدوا جنتين لقوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان فان قيل الظل انما
يوجد حيث توجد الشمس والجنة لا شمس فيها فكيف

يحصل

يحصل الظل اجيب بان اشجار الجنة تكون بحيث لو كا
ن شمس ولا شمس كان اشجارهم الذهب والفضة
وان كان لا وسخ ولا نتن وذللت قطوفها جمع قطف
بالكسر وهو العنقود واسم للثمار المقطوفة اي الجنية
تذليلا اي سهل تناولها تسهيلا عظيما لا يرد اليد
عنها بعد ولا شوك لكل من يريد اخذها على اي
حالة كانت من اتكاء وقعود فان كانوا قعودا او
مضطجعين تذللت اليهم وان كانوا قياما وكانت
على الارض ارتفعت اليهم وقال البراء ذللت لهم
فهم يتناولون منها كيف شاءوا ومن اكل قائما لم يؤذه
ومن اكل جالسا لم يؤذه ومن اكل مضطجعا لم يؤذه
وهذا جزاؤهم على ما كانوا يذللون انفسهم لله
تعالى ولما وصف تعالى طعامهم ولباسهم ومسكنهم
وصف شرابهم بقوله تعالى ويطاف البعض اي طائف
كان لكثرة الخدم عليهم بآنية جمع اناء كحمار والسقية
وجمع الانية اواني وهو ظرف المياه ومعنى يطاف
اي يدور عليهم هؤلاء الابرار الخدم اذا ارادوا الشراب
ثم بين تلك الانية بقوله تعالى من فضة قال
ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء اي الذي
في الجنة اشرف واعلى ولم تنف الانية الذهبية
بل المعنى يسقون في الاواني الفضة وقد يسقون
في الاواني الذهب كما قال تعالى سرابيل تقيكم
الحر اي والبرد فنبه بذكر احدهما عن الاخر وكما

جمع الآنية حينئذ فقال تعالى وأكواب جمع كوب وهو
كوز لا عروة له فيسهل الشرب منه من كل موضع فلا يحتاج
عند التناول إلى إدارة كانت أي تلك الأكواب كونًا هو
من جبلتها قوارير أي كانت بصفة القوارير من الصفا
والرقة والشفوف والاشراف جمع قارورة وهي
ما قر فيه الشراب ونحوه من كل إناء رقيق صاف
وقيل هو خاص بالزجاج ولما كان رأس الآية وكان
التعبير بالقوارير أفهم أنها من الزجاج وكان في
الزجاج من النقص سرعة الانكسار لإفراط
الصلابة قال تعالى معيدًا للفظ أول الآية الثانية
تأكيدًا للاتصاف بالصالح من أوصاف الزجاج
وبيانًا لنوعها قوارير من فضة أي جمعت صفتي
الجوهرين المتباينين صفاء الزجاج وشفوفه
وبريقه وبياض الفضة وشرفها ولينها وقال الكلبي
إن الله تعالى جعل قوارير كل قوم من تراب أرضهم
وإن أرض الجنة من فضة فجعلها منها قوارير يشربون
منها وقرأ نافع وشعبة والكسائي وصلًا بالتنوين
فيهما ووافقهم ابن كثير في الأول دون الثاني
والباقون بغير تنوين وأما الوقف فمن نون وقف
بالألف ومن لم ينون وقف بغير الألف إلا هشامًا
فإنه وقف بالألف وفي الوصل لم ينون فالقراءات
حينئذ على خمس مراتب أحدها تنوينهما والوقف
عليهما بالألف الثانية مقابله وهو تنوينهما وعدم

الو

١٤٢

الوقف بالألف فظاهر وأما من نون الأولى دون
الثانية فإنه ناسب بين الأول وبين رؤوس الآي
ولم يناسب بين الثاني وبين الأول والوجه في وقفه
على الأول بالألف وعلى الثاني بغير ألف ظاهر وأما
من لم ينونهما ووقف على الأول بالألف وعلى الثاني
بدونها فلأن الأول رأس آية فناسبه بينه وبين
رؤوس لأنه ليس برأس آية وأما من لم ينونهما
ووقف عليهما بالألف فإنه ناسب بين الأول وبين
رؤوس وناسب بين الثاني وبين الأول وقال
الزمخشري وهذا التنوين بدل من ألف الإطلاق
لأنها فاصلة وفي الثاني لاتباعه الأول يعني أنهم
يأتون بالتنوين بدلًا من حرف الإطلاق الذي للترنم
كقوله "يا صاح ما هاج العيون الذرفن"
وقوله تعالى قدروها تقديرا صفة لقوارير
من فضة وفي الواو في قدروها وجهان أحدهما
أنه للطائفين عليهم ويعني تقديرهم إياها أنها قدروها
في أنفسهم أن تكون على تقديرهم إياها أنها قدروها
وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا الثاني
للطائفين بها دل عليه قوله تعالى ويطاف عليهم
على أنهم قدروا شرابها على قدر الري وهو الذي
للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل
عنه ولا يعجز وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قدروها على ملء

الكف حتى لا تؤذيهم بثقل وبافراط صغر وجوز
ابو البقاء ان تكون الجملة مستانفة ويسقون اي من اراد
من خدمهم الذين لا يحصون فيها اي الجنة اي
تلك خدمهم الذين لا يحصون الاكواب كاسا اي خمرا
في اناء كان مزاجها اي ما تمزج به على غاية الاحكام
زنجبيلا اي في غاية اللذة وكانت العرب تلتذ بالشراب
الممزوج بعضه وطيبة الطعم والزنجبيل معروف
وسمي الكاس بذلك لوجود طعم الزنجبيل فيها قال الاعشى
كان القرنفل والزنجبيل * باتا بفيها واريا مشورا *
وقال المسيب بن علس *
* وكان طعم الزنجبيل به * اذ ذقته وسلافة الخمر *
وقوله تعالى عينا فيها اي في الجنة بدل من زنجبيلا
وكون الزنجبيل عينا فيه خرق العوائد لان الزنجبيل
عندنا شجر يحتاج في تناوله الى علاج فبين انه
هناك عين لا يحتاج في صيرورته زنجبيلا الى ان
تغلبه الارض بتخمير فيها حتى يصير شجرا يتحول
سلسبيلا عن طعم الماء الى طعم الزنجبيل تسمى اي تلك العين
لسهولة المساغ في الحلق فليس هو كالزنجبيل الدنيا
يلذع الحلق فيصعب اساغته والسلسبيل ما كان في
الشراب غاية في السلاسة زيدت فيه الباء زيادة
في المبالغة في هذا المعنى وقال مقاتل وابن حبان
سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في الطرق وفي
منازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن الى

اهل

اهل الجنان قال الحوفي وشراب الجنة في برد الكافور
وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير لذع وقال
مقاتل يشربها المقربون صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة
ولما ذكر تعالى المطوف به لانه الغاية المقصودة وصف
الطائف كما في طواف من العظمة المشهورة بقوله
تعالى ويطوف عليهم اي بالشراب وغيره من
اعلا نداء الحجاب ولدان غلمان هم في سن من هو دون
البلوغ ثم بعد البلوغ شباب وفتيان الى ثلاثين
ثم هم بعدها كهول الى اربعين ثم بعدها شيوخ واطلق
بعضهم ذلك من القران في حق بعض الانبياء عليهم
الصلاة والسلام قال الله تعالى في حق يحيى واتيناه
الحكم صبيا وفي حق عيسى عليه السلام قال الله تعالى
تكلم الناس في المهد وكهلا وعن ابراهيم عليه السلام
قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وعن يعقوب
انا لنراه شيخا كبيرا قالوا واقل اهل الجنة من يخدمه الف
غلام ويعطي في الجنة قدر الدنيا عشر مرات وقرا
حمزة بضم الهاء والباقون بكسرها ثم وصف تعالى تلك
الغلمان بقوله تعالى مخلدون اي قد حكم من لا يرد حكمه
بان يكونوا كذلك دائما من غير علة ولا ارتفاع عن
ذلك الحد مع انهم مزينون بالحلي وهو الحلق والاساور
والقرط والملابس الحسنة اذا رايتهم اي باعين الخلق
وانت اثبت الناس نظرا واصح الراي الشامل
لكل راي في كل حالة رايتهم فيها حسبتهم اي من بياضهم

وصفا الغانم وانتشارهم في الخدمة لؤلؤا منثورا
اي من سلكه او من صدفه وهو احسن منه في
غير ذلك قال بعض المفسرين هم غلمان ينشئهم الله
تعالى لخدمة المؤمنين وقال بعضهم اطفال المؤمنين
لانهم ماتوا على الفطرة وقال ابن برجان وارى
والله اعلم انهم من علم الله تعالى ايمانه من اولاد
الكفار ويكون خدما لاهل الجنة لما كانوا لنا في
الدنيا سببا وخدما واما اولاد المؤمنين فيلحقون
باباءهم سنا وملكا ويسر خدا لهم ويوميذ هذا قوله
صلى الله عليه وسلم في ابنه ابراهيم عليه السلام
ان له لظيرا تتم رضاعه في الجنة فانه يدل على
انتقال فيما هنالك وتنقله في الاحوال في
الدنيا وله دليل على خصوصية بذلك وقرا الكوفي
وشعبة بابدال الهمزة الاولى وقفا ووصلا
واذا وقف حمزة ابدل الاولى والثانية ولما ذكر
المخدوم والخدم ذكر المكان بقوله تعالى واذا رايت
اي وجدت منك الروية ثم اي هناك في اي مكا
كان في الجنة واي كان فيها وفعله تعالى رايت
جواب اذا اي رايت نعيما اي ليس فيه كدر بوجه
من الوجوه ولا تقدر على وصفه واصف وملكا كبيرا
اي لم يخطر على باله مما هو فيه من السعة وكثرة الوجود
والعظمة قال سفيان الثوري بلغنا ان الملك الكبير
تسليم الملائكة عليهم وقيل كون التيجان على

رؤسهم

الخامس ٤٥

٢٤٥

رؤسهم كما تكون على رؤس الملوك وقال الحكيم الترمذي
هو ملك التكوين اذا ارادوا شيا قال له كن فيكون وفي
الخبر ان الملك الكبير هو ان ادناهم منزلة ايه وما فيهم
دني في ملكه مسيرة الف عام ويرى اقصاه كما يرى
ادناه وان اعظمهم منزلة من ينظر الى وجه ربه سبحانه
وتعالى كل يوم اي قدر يوم من ايام الدنيا مرتين
ولما ذكر الدار وساكنيها من مخدوم وخدم ذكر لباسهم
بقوله تعالى عاليهم اي فوقهم ثياب سندس
هو مارق من الحرير خضر واستبرق وهو ما غلظ
من الديباج فهو كالبطائن والسندس الظهاير وقرا
نافع وحمزة عاليهم بسكون اليا بعد اللام وكسر الها
والباقون بفتح اليا وضم الها لان اليا لما سكنت
كسرت الها ولما تحركت الها فاما قراءة نافع وحمزة عاليهم
بسكون اليا بعد اللام وكسر الها والباقون ففيها اوجه
اوجه اظهرها كانه قال فوقهم ثياب قال ابو البقا لان
عاليهم بمعنى فوقهم والضمير المتصل به للمطوف
عليهم اي الخادم والمخدوم جميعا وان كانت تتفاوت
بتفاوت الرتب وقرا نافع وحفص خضر واستبرق
برفعهما وقرا حمزة والكسائي بخفضهما وقرا ابو عمرو
وابن عامر برفع خضر وجر استبرق وقرا ابن كثير
وشعبة بجر خضر ورفع استبرق وحاصل القراءات
في ذلك اربع مرات الاولى رفعهما الثانية
خفضهما الثالثة رفع الاولى وخفض الثانية الرابعة

عكس ذلك فاما القراة الاولي فان رفع خضر علي
النعت لثياب ورفع استبرق نسق علي الثياب
ولكن علي حذف مضاف اي وثياب استبرق واما
القراة الثانية فيكون جر خضر علي النعت لسندس
ثم استشكل علي هذا وصف المفرد بالجمع فقال
مكي هو اسم جمع وقيل هو جمع سندسة كتمر وتمرة
ووصف اسم الجنس بالجمع صحيح قال تعالي وينشي
السحاب الثقال واعجاز نخل منقعر ومن الشجر الا
الاخضر وان كان لايؤخذ وصفوا الحلي لكونه مرادا به
الجنس بالجمع في قوله اهلك الناس الدينار الحمر والدراهم
البيض وفي التنزيل او الطفل الذين فلان يوجد
ذلك في اسماء الاجناس الفارق بينها وبين واحدها
بالتاء التانيث بطريق الاولي وجر استبرق نسقا
علي سندس لان المعني ثياب من سندس وثياب
من استبرق واما القراة الثالثة فرفع خضر
نعتا للثياب وجر استبرق نسقا علي سندس اي ثياب
خضر من سندس ومن استبرق فعلي هذا الكون
الاستبرق علي النسق علي ثيابه بحذف مضاف
وثياب استبرق ثم اخبر تعالي عن تحليتهم بقوله
تعالي وحلوا اي المخدوم والخادم اساور من فضة
وان كانت تتفاوت الرتب وهي حالة
من الا عضا ما يبلغه التحجيل في الوضوء كما قال
صلي الله عليه وسلم تبلغ الحلية من المومن حيث يبلغ

الوضوء

الوضوء فلذلك كان ابو هريرة رضي الله عنه يرفع الي
المنكبين والي الساقين تنبيه قال هنا اساور
من فضة وفي سورة فاطر يحلون فيها من اساور من
ذهب وفي سورة الحج يحلون فيها من اساور من ذهب
ولؤلؤا فقيل حلي الرجل الفضة وحلي النساء الذهب
وقيل تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة
وقيل يجمع في يديه احدهم سواران من ذهب وسوار
ان من فضة وسواران من لؤلؤ ليجمع لهما
من محاسن الجنة قال سعيد بن المسيب وقيل يعطي
كل واحد ما يرغب فيه ويميل نفسه اليه وقيل
اسورة الفضة انما تكون للولدان واسورة الذهب
للنساء وقيل هذا للنساء والصبيان وقيل هذا بحسب
الاوقات وسقاهم ربهم اي الموجد لهم المحسن اليهم
المدبر لمصالحهم شرابا طهورا اي ليس هو كشراب
الدنيا سواء كان من الحرام من المدام من غيرهما
بالغ الطهارة وقال علي رضي الله عنه اذا توجه
اهل الجنة الي الجنة مروا بشجرة يخرج من ساقها
عينان فيشربون من احداهما فتجري عليهم نضرة
النعيم فلا تتغير ابشارهم ولا تشعث شعورهم
ابدا ثم يشربون من الاخري فيخرج ما في بطونهم
من الاذي ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال النخعي
وابو قلابة هو اذا شربوه بعد الاكل طهرهم وصار

ما اكلوه وما شربوه رشح وضمرت بطونهم وقال
مقاتل هو من عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق
شجرة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من
غش وغل وحسد وما كان في جوفه من اذى وعلى
هذا فيكون فعولا للمبالغة وقال الرازي قوله
تعالى طهورا فيه احتمالات احدها ان لا يكون
نجسا كخمر الدنيا وثانيها المبالغة في البعد عن الامور
المستقذرة لانه لم تعصره الايدي الوضرة
ولم تدسه الارجل الدنسة ولم يجعل في الدنان
والاباريق التي لم يعن بتنظيفها وثالثها انه
لا يؤول الى النجاسة لانها ترشح عرقا من ابدانهم
له ريح كريح المسك وعلى هذين الوجهين يكون
الطهور مطهرا لانه يطهر بطونهم من الاخلاق
الذميمة والاشياء المؤذية فان قيل هل هذا نوع
اخر غير ما ذكر قبل ذلك من انهم يشربون من الاكواب
والزنجبيل والسلسبيل ام لا اجيب بانه نوع اخر
لوجوه اولها رفع ثانيها انه تعالى اضاف هذا
الشراب الى نفسه بقوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا
طهورا وذلك يدل على فضل هذا دون غيره
ثالثها ما روي انه تقدم اليهم الاطعمة ذلك
بطونهم ويفيض عرقا من جلودهم مثل ريح المسك
وهذا يدل على ان ذلك الشراب مغاير لتلك
الاشربة ثم ان له مع هذا الهضم تاثيرا عجيبا

وهو

وهو انه يجعل سائر الاطعمة والاشربة عرقا يفوح
منه ريح كريح المسك ويطهر شاربه عن الميل
الى اللذات والركون الى ما سوى الحق فيتجرد
لمطالعة جلاله متلذذا بلقائه باقيا ببقائه وهو
منتهى درجات الصديقين وكل ذلك يدل على
المغايرة وقوله تعالى ان على اضمار القول اي ويقال
لهم ان هذا كان لكم جزاء اي على اعمالكم التي كنتم
تجاهدون فيها انفسكم عن هواها الى ما يرضي
ربكم والاشارة الى ما تقدم من عطاء الله تعالى لكم
وكان اي على وجه الثبات سعيكم مشكورا اي
لا نضيع شيئا منه ونجازيكم باكثر منه اضعافا مضاعفة
ولما بين تعالى القران العظيم الوعد والوعيد
ذكر سبحانه انه من عنده وليس هو بسحر ولا كهانة
ولا شعر بقوله تعالى انا نحن اي على ما لنا من العظمة
التي لا نهاية لها لا غيرنا نزلنا عليك وانت اعظم
الخلق انزالا استعليا حتى صار المنزل خلقا لك
القران اي الجامع لكل هدى تنزيلا قال ابن عباس
رضي الله عنهما متفرقا اية بعد اية ولم ينزل جملة
واحدة قال الرازي المقصود من هذه الاية تثبيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره فيما
نسبوه اليه صلى الله عليه وسلم من كهانة وسحر
فذكر تعالى ان ذلك وحي من الله تعالى فلانه تعالى
يقول ان كان هؤلاء الكفار يقولون ان ذلك كهانة

فان الله تعالى الملك لحقا اقول على سبيل التاكيد
ان الملك وحي حق وتنزيل صدق من عندي وفي
ذلك فايدتان الاولى ازالة الوحشة الحاصلة
بسبب طعن الكفار لان الله تعالى عظمه وصدقه
الثانية تقويته على تحمل مشاق التكليف فكانه يقول
اني ما نزلت القران عليك متفرقا الا لحكمة بالغة
تقتضي تخصيص كل شي بوقت معين وقد اقتضت
تلك الحكمة تاخير الاذن في القتال فاصبر لحكم
ربك الى المحسن اليك قال ابن عباس رضي الله
عنهما اصبر لما حكم عليك به من الطاعات وانظر
حكم الله ان وعدكم بالنصر عليهم ولا تستعجل فانه
كاين لا محالة ولا تطع منهم اي الكفرة الذين هم
ضد الشاكرين اثما اي داعيا الى اثم سواكان
مجردا عن مطلق الكفر او مصاحبا له او كفورا اي با
لغا في الكفر داعيا اليه وان كان كبيرا وعظيما
في الدنيا فانك اكبر من كل كبير وقال قتادة
اراد بالاثم والكفور ابا جهل وذلك انه لما فرضت
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نهاه ابو
جهل عنها وقال لين رايت محمدا يصلي لاطان على
عنقه وقال مقاتل اراد بالاثم عتبة بن ربيعة
وبالكفور الوليد بن المغيرة وكانا اتيا النبي صلى
الله عليه وسلم يعرضان عليه الاموال والتزوج
على ان يترك ذكر النبوة عرض عليه الاموال والتزوج

اعتبه

عتبة ابنته وكانت من اجمل النسا وعرض عليه الوليد
ان يعطيه من الاموال حتى يرضى ويترك ما هو عليه
فقرا عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر
ايات من اول حم السجدة الى قوله تعالى فان اعرضوا
فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فا
نصرفا عنه وقال احدهما ظننت ان الكعبة ستقع
علي فان قيل كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة
في قوله اثما او كفورا اجيب بان معناه ولا تطع منهم
راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر
كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوا الى مساعدتهم
على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى
ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث ثم قال فانه
قيل فما معنى ولا تطع احدهما فهلا جي بالواو ليكون
نهيا عن اطاعتهما جميعا اجيب بانه لو كان ولا تطعهما
لجاز ان يطيع احدهما وان قيل ولا تطع احدهما
علي ان الناهي عن طاعة احدهما نهي عن طا
عتهما جميعا انتهى كما انه اذا نهى ان يقول لابويه اف
علم انه نهي عن ضربهما بطريق اولى فان قيل
انه صلى الله عليه وسلم ما كان يطيع احدا منهم فما فايدة
هذا النهي اجيب بان المقصود بيان ان الناس
محتاجون الى التنبيه والارشاد لاجل ما تركب
فيهم من الشهوة الداعية الى الفساد وان الواحد
لو استغنى عن توفيق الله تعالى وارشاده لكان احق

الناس به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم المعصوم
دايما ابدا ومتى ظهر لك ذلك عرفت ان كل مسلم لابد
له من الرغبة الى الله تعالى والتضرع اليه اذ
تصونه عن الشهوات **واذكر** اي في الصلاة **اسم ربك**
اي المحسن اليك بكل جميل **بكرة** اي الفجر **واصيلا**
اي الظهر والعصر **ومن الليل** اي بعضه والباقي
الراحة بالنوم **فاسجد له** اي المغرب والعشا **وسبحه**
ليلا طويلا اي صل التطوع فيه كما تقدم من
ثلثيه ونصفه او ثلثه واذكره بلسانك بكرة عند
قيامك من منامك الذي هو الموتة الصغرى
وتذكرك الذي يحيي الموتى ويحشرهم جميعا واصيلا
اي عند انقراض نهارك وتذكرك طي هذا العالم
لاجل ايجاد يوم الفصل وفي ذكر الوقتين اشارة
دوام الذكر واذكر اسمه لازم ولذكره والذي عليه
اكثر المفسرين الاول قال ابن عباس رضي الله
عنهما كل تسبيح في القران فهو صلاة لان الصلاة
افضل الاعمال البدنية لانها اعظم ذكر اللسان
والجنان والاركان فوضعت فيها اركان لسانية
وحركات وسكنات على هيات مخصوصة من
عادتها ان تفعل الا بين يدي الملوك ولما خاطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعظيم والامر
والنهي عدل سبحانه الى شرح احوال الكفار المتمردين
فقال تعالى **ان هؤلاء** اي الذين يغفلون عن الله

من

من الكفار والمتمردين **يحبون** اي محبة تجدد عندهم
زيادتها في كل وقت **العاجلة** لقصور نظرهم
وجمودهم على المحسوسات التهالك فنال عليها منشا
الملاذ والقصور ومحدث الامراض للقلوب التي
في الصدور من تعاطي اسباب الامراض مرض ومن
كفورا ومن تعاطي ضد ذلك شفي وسمي شاكرا
ويذرون اي ويتركون **وراءهم** اي قدامهم على وجه
الاحاطة بهم وهم عنه معرضون كما يعرض الانسان
عما وراءه او خلف ظهورهم لا يعبؤون به وقوله تعالى
يوما مفعول يذرون ولا ظرف وقوله تعالى **ثقيلا**
وصف له استعير له الثقل لشدته وهوله من الشيء
الثقيل الباهظ قال في المختار بهظه الحمل اي اثقله
وعجز عنه فهو مبهوظ ولا يقطع وامر باهظ اي
شاق لحامله ونحوه ثقلت في السموات والارض
نحن خلقناهم اي بما لنا من العظمة **وشددنا** اي
قوينا **اسرهم** اي توصيل عظامهم بعضها ببعض
وتوثيق عظامهم بالاعصاب بعد ان كانوا نطفا
امشاجا في غاية الضعف واصل الاسر الربط والتو
ثيق ومنه اسر الرجل اذا وثق بالقيد وهو الاسار
وفرس ماسور الخلق **واذا شئنا** اي بما لنا من العظمة
ان نبدل ما نشاء من صفاتهم او ذواتهم **بدلنا امثالهم**
اي جئنا بامثالهم بدلا منهم اما بان نهلكهم ونأتي
ببدلهم من يطيع واما بتغيير صفاتهم كما نشاهد

في بعض الاوقات في المسخ وغيره وقوله تعالى
تاكيد قال الجلال المحلي ورفعت اذا موضع ان نحو
ان شاء يذهبكم لانه تعالى يشاء ذلك وان اما يقع
وفي ذلك رد لقولهم الزمخشري وحقه ابن جني بان
لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشاء
يذهبكم تبديلا اي السورة تذكرة او الايات
الغريبة ان هذه اي عظة الخلق فان في تصفحها تنبيها
للغافلين ومن تدبرها وتذكرها فوائد جمة للطالبين
السالكين من الحق سمعه او حضر قلبه وكانت
نفسه مقبلة على ما التي عليه سمعه تذكرة اي
بان يجتهد في وصوله الى ربه فمن شاء اي اخذ بجهده
من مجاهدة نفسه ومنعا لنفسه هواه اتخذ الى ربه اي
المحسن البر الذي ينبغي له ان يحبه بجميع جوارحه
وقلبه ويجتهد في القرب منه سبيلا اي طريقا
واضحا سهلا واسعا بافعال الطاعة التي امر بها
لانا بينا الامور غاية البيان وكشفنا اللبس وازلنا
جميع موانع الفهم فلم يبق مانع من استطراق
الطريق غير مشيئتنا وما تشاءون اي في وقت من
الاوقات شيئا من الاشياء وقرا ابو عمرو وابن عامر
وابن كثير بالياء التحتية على الغيبة والباقون
بالتاء على الخطاب واذا وقف حمزة سهل الهمزة
مع المد والقصر ولا تخفيف ابدالها واوا مع المد
والقصر الا وقت ان يشاء الله اي الملك الاعلى الذي

له الامر كله والملك كله على حسب ما يريد ويقدر
وقد صح بهذا ما قال الاشعري وسائر اهل السنة من
ان للعبد مشيئة تسمى كسبا لا تؤثر الا بمشيئة الله
تعالى وانتفى مذهب القدرية الذين يقولون انا
نخلق افعالنا ومذهب الجبرية القائلين لا فعل لنا
اصلا ومثل المطلوب ذلك بمن يريد قطع بطيخة وازال
عنها موانعه ثم وضعها على البطيخة فهي لا تقطع
دون ان يتحامل المريد لذلك ولو وضع عليها ما لا
يصلح للقطع كخشبة مثله لم تقطع ولو تحامل فالعبد
كالسكين خلقه الله تعالى وهيأه بما اعطاه من
القدرة للفعل فمن قال انا اخلق فعلي مستقلا فهو
كمن قال السكين تقطع بمجرد وضعها من غير تحامل
ومن قال الفاعل هو الله من غير نظر الى العبد
اصلا كان كمن قال هو يقطع البطيخة بتحامل يده
او قصبة ملسا من غير سكين والذي يقول انه
بالسكين يجود انه المهيأ لفعل خلقه الله تعالى لها
في ذلك الفعل كمن قال ان السكين قطعت بالتحا
مل عليها بهذا اجرى الله سبحانه وتعالى عادته في
الناس ولو شاء غير ذلك ولا يخفى ان هذا هو الحق
الذي لا مرية فيه ثم علل ذلك ولا يخفى باحاطته
بمشيئتهم بقوله تعالى ان الله اي المحيط علما وقدرة
كان اي ازلا وابدا عليما اي بما يشاء هل كل احد
حكيما اي بالغ الحكمة فهو يمنع منها حكما من

ان نبيا غيره مالم يأذن فيه ممن علم في جبلته
خيرا اعانه عليه ومن علم من انبيا غيره مالم يأذن
فيه ممن علم في جبلته خيرا اعانه عليه وحمله عليه
وهو معنى قوله تعالى يدخل من يشاء اي ممن علمه
من اهل السعادة في رحمته اي جنته وهم المومنون
وقوله تعالى والظالمين اي الكافرين منصوب بفعل
يفسره قوله تعالى اعد لهم مثل اوعد وكافا ليطابق
الجمل المعطوف عليها عذابا اليما اي موجعا فهم فيه
خالدون ابدا لا يدنى وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الانسان كان
جزاوه على الله جنة وحريرا حديث موضوع.

سورة المرسلات مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس
وقتادة الا اية منها وهي قوله تعالى واذا قيل لهم
اركعوا لا يركعون فمدنية وقال ابن مسعود نزلت
والمرسلات عرفا على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن
ونحن نسير حتى اوينا الى غار بمنى فنزلت فبينما نحن
نتلقاها منه وان فاه رطب بها اذ وثبت حية
فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت فقال النبي صلى
الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم انتهى
والغار المذكور مشهور في منى وقد زرته ولله
الحمد وعن قريب مولى ابن عباس قال قرات سورة
المرسلات عرفا فسمعتني ام الفضل امراة العباس

فبكت

فبكت وقالت والله يا بني لقد اذكرتني بقراءتك هذه
السورة انها لآخر ما سمعته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرا بها في صلاة المغرب وهي خمسون اية
واحدى وثمانون كلمة وثلثماية وستة عشر حرفا بسم
الله اي الملك الحق المبين الرحمن المنعم على الخلق
اجمعين الرحيم الذي خص بكرامته عباده المومنين
والمرسلات عرفا اي والرياح متتابعة كعرف الفرس
يتلو بعضها بعضا ونصبه على الحال بمعنى ما عليه
الجمهور من انها الرياح قال تعالى وارسلنا الرياح
وقال تعالى ويرسل الرياح وروى مسروق عن عبد
الله قال هي الملائكة ارسلت بالعرف من امر الله
تعالى ونهيه والخبر والوحي وهو قول ابي هريرة
ومقاتل والكلبي وقال ابن عباس رضي الله عنهما
هم الانبيا عليهم السلام ارسلوا بلا اله الا الله
وقال ابو صالح هم الرسل ترسل بما يعرفونه من
المعجزات وقيل المراد السحاب لما فيها من نعمة ونقمة
عارفة بما ارسلت عليه ومن ارسلت اليه فالعاصفات
هي الرياح الشديدة عصفا عطفا بما لها من النتائج
الصالحة وقيل الملائكة شبهت بسرعة جريها
في امر الله تعالى بالرياح وقيل الملائكة
تعصف بروح الكافر يقال عصفت بالشي اذا
اباده واهلكه وناقة عصوف اي تعصف براكبها
كانها ريح في السرعة وعصفت الحرب اي ذهبت

بهم وقيل يحتمل انها الآيات المهلكة كالزلازل والخسوف
والناشرات نشرا الرياح اللينة تنشر المطر وقال الحسن
هي الرياح التي يرسل الله تعالى بين يدي رحمته
وقيل الامطار لانها تنشر النبات يعني تحييه وروي
عن السدي انها الملائكة تنشر كتب الله تعالى وروي
الضحاك انها الصحف تنشر على الله تعالى باعمال
العباد تنبيه انما قال الله تعالى والناشرات بالواو لانه
استئناف قسم اخر فالفارقات فرقا اي الرياح
تفرق السحاب وتبدده قاله مجاهد وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هي الملائكة تفرق الاقوات
والارزاق والآجال وقيل هم الرسل فرقوا بين ما امر
الله تعالى به ونهى عنه اي بينوا ذلك وقيل
آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والحلال
والحرام فالملقيات ذكرا اي الملائكة تنزل بالوحي
الى الانبياء والرسل عليهم السلام وقيل هو جبريل عليه
السلام وحده سمي باسم الجمع تعظيما فان قيل ما المناسب
على هذا بين الرياح والملائكة في القسم اجيب
بان الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة
حركاتهم كالرياح وقيل المراد الرسل يلقون الى اممهم
ما انزل عليهم وذكرا مفعول لناصبه الملقيات
عذرا او نذرا مصدران من عذر اذا محا الاساءة
ومن انذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز
ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى

ال

الانذار او المنذر ونصبهما اما على البدل من ذكرا على
الوجهين الاولين او على المفعول له واما على الوجه
الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين او منذرين
وقرأ ونذرا نافع وابن كثير وابن عامر بضم الذال
والباقون بسكونها وقوله تعالى انما توعدون
لواقع جواب القسم ومعناه الذي توعدونه من
مجيء القيامة كائن لا محالة وقال الكلبي المراد ان كل
ما توعدون به من الخير والشر لواقع ثم بين وقته
ووقوعه فقال تعالى فاذا النجوم اي على كثرتها طمست
اي محي نورها او ذهب نورها ومحقت ذواتها وهو
موافق لقوله تعالى انتثرت وانكدرت قاله الزمخشري
ويجوز ان يمحق نورها وهو موافق لقوله تعالى
انتثرت وانكدرت قاله الزمخشري ويجوز ان يمحق
نورها ثم تنتثر ممحوقة النور واذا السماء اي على
عظمها فرجت اي فتحت وشققت فكانت ابوابا والفرج
الشق ونظيره اذا السماء انشقت واذا الجبال اي على
صلابتها نسفت اي ذهب بها كلها بسرعة اي من نسفته
الشيء اذا اختطفته او نسفت كالحب اذا نسف
بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا
مهيلا واذا الرسل اي الذين انذروا الناس ذلك
اليوم فكذبوا اقتت قال مجاهد والزجاج المراد
بهذا التأقيت تبيين الوقت الذي فيه يحضرون
للشهادة على اممهم اي جمعت لميقات يوم معلوم

وهو يوم القيامة والوقت الاجل الذي يكون عنده
الشيء المؤخر اليه فالمعنى جعل لها وقت اجل للفصل
والقضاء بينهم وبين الامم لقوله تعالى يوم يجمع الله
الرسل وقرا ابو عمرو بواو مضمومة والباقون بهمزة
مضمومة وهما لغتان والعرب تعاقب بين الواو والهمزة
كقولهم وكدت واكدت وقوله تعالى لاي يوم العظيم
متعلق بقوله تعالى اجلت وهذه الجملة معمولة لقول
مضمر اي يقال لاي يوم اجلت وهذا القول المضمر
يجوز ان يكون جوابا لاذا وان يكون حالا من
مرفوع اقتت اي يقول فيها لاي يوم اجلت اي اخرت
وهذا يوم عظيم وتعجيب له وقوله تعالى ليوم الفصل
بيان ليوم التاجيل وقيل اللام بمعنى الى ذكره مكي
قال ابن عباس رضي الله عنهما يوم فصل الرحمن
بين الخلائق كقوله تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم
اجمعين ثم اتبع هذا التعظيم تعظيما اخر بقوله تعالى
وما ادراك ما يوم الفصل اي ومن اين تعلم كنهه
ولم تر مثله في شدته ومهابته وقرا ابو عمرو وشعبة
وحمزة والكسائي وابن ذكوان بخلف عنه بالامالة
محضة وقرا ورش بين بين والباقون بالفتح ثم
اتبعه بتهويل ثالثا بقوله تعالى ويل يومئذ اي
ان يكون يوم الفصل للمكذبين اي بذلك قال
القرطبي ويل عذاب وخزي لمن كذب بالله تعالى وبرسله
وعليه تقدير تكذيبهم فان لكل مكذب بشيء

عذابا بتكذيبه بشيء اخر ورب شيء كذب به هو اعظم
في الرد على الله تعالى وانما يقسم له من الويل
على قدر ذلك وعلى قدر وفاقه وهو قوله تعالى
جزاء وفاقا فكرره لمعنى تكرار التخويف والوعيد
وروي عن النعمان بن بشير قال ويل واد في
جهنم فيه الوان العذاب وقاله ابن عباس وغيره
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي
جهنم فلم ار فيها واديا اعظم من الويل وروي ايضا
انه قال مجمع ما يسيل من قيح اهل النار وصديدهم
وانما يسيل الشيء فيما سفل من الارض وقد علم
العباد في الدنيا ان شر المواضع ما استنقع فيها مياه
الادناس والاقذار والغسالات والجيف وماء الحمامات
فذكر ان الوادي مستنقع صديد اهل الكفر والشرك
ليعلم العاقل انه لا شيء اقذر منه قذارة ولا انتن
منه نتنا تنبيه ويل مبتدا وسوغ الابتدا
به الدعاء ويومئذ ظرف للويل وللمكذبين خبره وقال
الزمخشري فان قلت كيف وقع النكرة مبتدا قلت
هو في اصله مصدر منصوب ساد مسد فعله
لكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات
الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم
واعترض بان المذكور ليس من المسوغات التي
ذكرها النحويون وانما المسوغ كونه دعاء وفائدة
العدول الى الرفع ما ذكر الم نهلك اي اما اهلكنا من

العظمة الاولين من لدن ادم عليه السلام الي
زمن محمد صلي الله عليه وسلم كقوم نوح وعاد وثمود
بتكذيبهم اي اهلكناهم ثم نتبعهم الاخرين
اي ممن كذبوا ككفار مكة فنهلكهم كما اهلكنا الاولين
ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم كذلك
اي مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بالمجرمين اي
بكل من اجرم فيما يستقبل اما بالسيف واما بالاهلاك
ويل يومئذ اي ان يوجد ذلك الفعل للمكذبين
اي بايات الله وانبيائه قال البيضاوي فليس تكرارا
وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين
بواحد لان الويل الاول لعذاب الاخرة وهذا
للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن
شائع في كلام العرب الم نخلقكم اي ايها المكذبون
بما لنا من العظمة التي لا تقدرها عظمة من ماء مهين
اي ضعيف حقير وهو المني وهذا نوع اخر من
تخويف الكفار وهو من وجهين الاول انه تعالي ذكرهم
انعامه عليهم وكلما كانت نعمه عليه اكثر كانت
جنايته في حقه اقبح وافحش الثاني انه تعالي ذكرهم
انه قادر علي الابتداء والقادر علي الابتداء قادر
علي الاعادة فلما انكروا هذه الدلالة الظاهرة
لاجرم قال تعالي في حقهم ويل يومئذ للمكذبين وهذه
الاية نظير قوله تعالي ثم جعل نسله من سلالة
من ماء مهين وقرا كل القراء بادغام القاف في

الكاف

الكاف وابقاء الصفة ولهم ايضا ادغام الصفة مع الحذف
فجعلناه اي بما لنا من القدرة والعظمة بالانزال
للماء في الرحم في قرار مكين الي اي وهو وقت الولادة كقوله
قدر معلوم
تعالي ان الله عنده علم الساعة الي قوله ويعلم ما
في الارحام فقدرنا اي ذلك دون غيرنا فنعم
القادرون نحن وقرا نافع والكسائي بتشديد الدال
فيصح علي هذه القراءة ان يكون المعني فقدرناه والبا
قون بالتخفيف وقال علي كرم الله وجهه ولا يبعد
ان يكون المعني في التخفيف والتشديد واحدا لان
العرب تقول قدر وقدر عليه الموت ويل يومئذ اي
اذا كان ذلك للمكذبين اي بقدرتنا علي ذلك
او علي الاعادة وقوله تعالي الم نجعل اي بما لنا
بما لنا من العظمة الارض كفاتا اي مصدر كفت
بمعني ضم وضامة احياء علي ظهرها في الدور
وغيرها وامواتا في بطنها في القبور وغيرها وقيل
الاحياء والاموات يرجع الي الارض اي الارض منقسمة
الي حي وهو الذي ينبت والي ميت وهو الذي لا ينبت
وقيل كفاتا جمع كافت كصيام وقيام جمع صائم وقائم
وقال الخليل تقليب الشي ظهرا لبطن او بطنا لظهر
ويقال انكفت القوم الي منازلهم اي انقلبوا فمعني
الكفات انهم يتصرفون علي ظهرها وينقلبون اليها
فيدفنون فيها وجعلنا اي بما لنا من القدرة التامة
فيها اي الارض رواسي اي جبالا لولاها لمادت

باهلها ومن العجائب بمراسيها من فوقها خلافا
لمراسي السفن **شامخات** اي مرتفعات جمع شامخ
وهو المرتفع جدا ومنه شمخ بانفه اذا تكبر وجعل كناية
عن ذلك كثني العطف وصعر الخد كما قال لقمان لابنه
ولا تصاعر خدك للناس **واسقيناكم** اي جعلنا من
العظمة **ماء** اي من الانهار والعيون والغدران
والابار وغير ذلك **فراتا** اي عذبا تشربون منه
ودوابكم وتسقون زرعكم وهذه الامور اعجب من
البعث ورئي في الارض من الجنة سيحان وجيحان والنيل
والفرات كل من انهار الجنة **ويل يومئذ** اي ان تقوم
الساعة **للمكذبين** اي امثال هذه النعم وقوله تعالى
انطلقوا اي على ارادة القول اي يقال للمكذبين
يوم القيامة انطلقوا **الى ما كنتم به تكذبون**
من العذاب يعني النار فقد شاهدتموها عيانا
انطلقوا الى ظل اي ظل دخان جهنم لقوله تعالى
وظل من يحموم **ذي ثلاث شعب** اي تشعب
لعظمه كما يرى الدخان العظيم يتفرق ذوائب
وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق
وتتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى
يفرغ حسابهم والمؤمنون في ظل العرش وقيل ان
الشعب الثلاث هي الضريع والزقوم والغسلين
لانها اوصاف النار وقوله **لا ظليل** كناية ظلهم
من حر ذلك اليوم تهكما بهم وردا لما يوهم لفظ الظل

ولا

ولا يغني اي ولا يرد عنهم شيئا **من اللهب** اي لهب
النار **انها ترمي** اي من شدة الاشتعال **بشرر** وهو
ما تطاير من النار **كالقصر** اي كل شرارة كالقصر
من البنا في عظمه وارتفاعه وقال ابن مسعود يعني
الحصون وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ترمي بشرر كالقصر قيل هي كالخشب العظام المقطعة
قال وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق
ذلك ودونه فندخرها للشتاء فكنا نسميها القصر
وقال سعيد بن جبير والضحاك هي اصول النخل
والشجر العظام واحدتها قصرة كجمرة وجمر وقوله تعالى
كانه اي الشرر **جمالات** قرا حمزة والكسائي وحفص
بغير الف بعد اللام على التوحيد والباقون
بالالف على انه جمع جمالة وهي التي قراها اولا وهي
جمع جمل مثل حجارة وحجر وقوله تعالى **صفر** جمع
اصفر في هيئتها ولونها وفي الحديث شرار الناس
اصفر كالقير والعرب تسمي سود الابل صفرا لشوب
سوادها بصفرة فقيل صفر في الاية سود لما ذكر
في شعر عمران حطان الخارجي
دعتهم باعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى
قال الترمذي وهذا القول ضعيف ومحال في
اللغة ان يكون من يشوبه شيء قليل فينسب كله
الى ذلك الشائب فالعجب ممن قد قال هذا وقد
قال الله تعالى جمالات صفر فلا نعلم شيئا من هذا

في اللغة وقيل شبهها بالجمالات لسرعة سيرها
وقيل لمتابعة بعضها بعضا ويل يومئذ اي ان
يكون ذلك للمكذبين اي بهذه الامور العظام
هذا اي يوم القيامة يوم لا ينطقون اي بشيء
من فرط الدهشة والحيرة وهذا نوع اخر من انواع
تخويف الكفار بين انه ليس لهم عذر ولا حجة
فيما اتوا به من القبائح وهذا في بعض المواقف
فان يوم القيامة يوم طويل ذو مواطن ومواقيت
ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك
ورد الامران في القرآن الكريم ففي بعضها
يختصمون ويتكلمون وفي بعضها ختم على
افواههم فلا ينطقون وروى عكرمة ان ابن عباس
سأله ابن الازرق عن قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون
فلا تسمع الا همسا واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
فقال ان الله تعالى يقول وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون فان لكل مقدار من هذه
الايام لونا من هذه الالوان وقال الحسن فيه
اضمار اي هذا يوم لا ينطقون فيه بحجة نافعة
فجعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع ومن
نطق بما لا ينفع فكانه ما نطق كما يقال لمن تكلم
بكلام لا يفيد ما قلت شيئا وقيل ان هذا وقت
جوابهم اخسئوا فيها ولا تكلمون ولا يؤذن لهم اي
في العذر وقوله تعالى فيعتذرون عطف على

يؤذن من غير تسبب عنه فهو داخل في حيز النفي
اي لا اذن فلا اعتذار ويل يومئذ اي اذا كان
الموقف للمكذبين اي الذين لا تقبل منهم معذرة
هذا يوم الفصل وهذا نوع اخر من انواع تهديد
الكفار وتخويفهم اي يقال لهم هذا اليوم الذي يفصل
فيه بين الخلائق فيتبين المحق من المبطل جمعناكم
ايها المكذبون من هذه الامة بما لنا من العظمة
والاولين من المكذبين قبلكم فتحاسبون وتعذ
بون جميعا قال ابن عباس رضي الله عنهما جمع
الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم والذين
كذبوا النبيين من قبل وقوله تعالى فان كان لكم
كيد اي حيلة في دفع العذاب عنكم فكيدون
اي فاحتالوا لانفسكم وتناصرون وان تجدوا ذلك
تقريع لهم على كيدهم لدين الله تعالى وذويه
وتسجيل عليهم بالعجز وقيل ان ذلك من قول
هود عليه السلام فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
ويل يومئذ اي ان يقال لهم هذا الكلام فيكون
زيادة في عذابهم للمكذبين اي الراسخين
في التكذيب في ذلك ثم ذكر ضد المكذبين ان المتقين
في ظلال اي تكاثف اشجار اذ لا شمس تظل من
حرها وعيون اي من ماء وعسل ولبن وخمر كما قال
تعالى فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم
يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار

من غسل مصحفي وقرا نافع وابو عمرو وهشام
وحفص بضم العين والباقون بكسرها **وفواكه مما**
يشتهون اي في هذا اعلام بان الماكل والمشرب في الجنة
بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا فبحسب ما يجد الناس
في الاغلب وقوله تعالى **كلوا واشربوا** في موضع
حال اي مستقرين في ظلال مقولا لهم ذلك وقوله
تعالى **هنيا** حال اي متهنئين **بما** اي بسبب ما
كنتم تعملون اي من طاعات الله **انا** اي بما لنا من
العظمة **كذلك** اي كما جزينا المتقين هذا الجزا
العظيم **نجزي المحسنين** اي نثيب الذين احسنوا في
تصديقهم بمحمد صلى الله عليه وسلم واعمالهم
في الدنيا **ويل يومئذ** اي ان يكون هذا النعيم
للمتقين المحسنين **للمكذبين** اي يمحض لهم العذا
المخلد وهم النعيم المويد وقوله تعالى **كلوا وتمتعوا**
خطاب للكفار في الدنيا **قليلا** اي من الزمان
وغايته الى الموت وهو زمان قليل لا بد زايل
مع قصر مدته في زمن الاخرة وفي هذا تهديد
لهم ويجوز ان يكون ذلك خطاب لهم في الاخرة
ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقا بان يقال لهم
وكانوا من اهله تذكيرا بحالهم السمجة بما جنوا
على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم
والملك الخالد وهذا ما جرى عليه الزمخشري اولا
وذكر الاول ثانيا واقتصر الجلال المحلي على ما

ذكرته

ذكرته اولا وهو اولى قال بعض العلما التمتع بالدنيا
من افعال الكافرين والسعي لها من افعال الظالمين
والاطمينان اليها من افعال الكاذبين والسكون
فيها على الاذن والاخذ منها على قدر الحاجة
من افعال اهل الدين واهل الحقيقة اجل خطرا
من ان يوثر فيهم حب الدنيا وبغضها وجمعها وتركها
ثم علل ذلك موكدا بقوله تعالى لانهم مشركون
وصفهم بذلك **انكم مجرمون** تنبيه دلالة
على ان كل مجرم يتمتع اياما قليلة ثم البقا في الهلاك
ابدا **ويل يومئذ** اي ان المعذبون باجرامهم
للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدايم
بالتمتع القليل **واذا قيل لهم** اي لهولا المجرمين من
اي قايل كان **اركعوا** اي صلوا الصلاة التي فيها
الركوع كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما
واطلقوا عليها تسمية لها باسم جزيها وخص هذا
الجزء لانه يقال على الخضوع والطاعة ولانه خاطب
بصلاة المسلمين **لا يركعون** اي لا يصلون كما قاله
الرازي وهذا ظاهر لان الركوع من اركانها وبين
تعالى ان هولا الكفار من صفتهم انهم اذا دعوا
الى الصلاة لا يصلون ويجوز ان يكون اركعوا
بمعنى اخشعوا وتواضعوا لله بقبول وحيه واتباع
دينه واطرحوا هذا الاستكبار لا يخشعون ولا
يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وان

يكون بمعنى اركعوا في الصلاة ان روي انها نزلت
في ثقيف حين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود قال في القاموس
حنى تجبية وضع يديه على ركبتيه او على الارض
او انكب على وجهه والتجبية ان يقوم قيام الراكع
واستدل بهذه الاية على ان الكفار مخاطبون
بفروع الشرعية وانهم حال كفرهم يستحقون
الذم في والعقاب بترك الصلاة لان الله تعالى
ذمهم حال كفرهم وعلى ان الامر للوجوب فان قيل
انما ذمهم لكفرهم من وجوه الا انه تعالى انما ذمهم
في هذه الاية لتركهم المامور به وقرا هشام ورد
والكسائي بضم القاف والباقون بكسرها ويل
يومئذ اي ان يكون الفصل للمكذبين اي عاموا
به قال الرازي انه تعالى لما بالغ في زجر الكفار
من اول هذه السورة الى اخرها بهذه الوجوه
العشرة المذكورة وحث على التمسك بالنظر
والاستدلال والانقياد للدين ختم السورة
بالتعجب من الكفار وبين انهم اذا لم يومنوا بهذه
الدلائل اللطيفة مع تجليها ووضوحها فباي
حديث بعده يومنون اي لا يمكن ايمانهم بغيره من
كتب الله تعالى بعد تكذيبهم به لاشتماله على
الاعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره واستدل بعض
المعتزلة بهذه الاية على ان القران حادث

لان

لان الله تعالى وصفه بانه حديث والحديث صفة
القديم والحدث ان لا يجتمعان فاذا كان حادثا وجب
ان لا يكون قديما واجيب بان المراد منه هذه
الالفاظ ولا نزاع في انها محدثة وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قرا سورة المرسلات كتب له انه ليس
من المشركين حديث موضوع

سورة عم يتساءلون وتسمى النبا مكية

وهي اربعون او احدى واربعون اية وثلاث مائة
وسبعون كلمة وسبعمائة وسبعون حرفا بسم الله
الذي له الملك كله الرحمن الذي عم الوجود بفضله
الرحيم الذي خص اولياءه بجنته وقوله تعالى
عم اصله عن ما على انه حرف جر دخل على ما
الاستفهامية وادغمت النون في الميم وحذفت الف
ما كقولهم فيم واستعمال الاصل قليل ومنه قول حسان
على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد
ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشان كانه قال عن
اي شان يتساءلون ونحوه قولك زيد ما زيد
جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كانه شيء
خفي عليك فانت تسال عن جنسه وتفحص عن
جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد اي شيء
هو من الاشياء هذا هو اصله ثم جرد للعبارة عن
التفخيم حتى وقع في كلام من لا يخفى عليه خافية

ولذا اعاد وقف البزي يلحق الميم هاء السكت على خلاف
عنه والضمير في يتساءلون لاهل مكة كانوا يتساءلون
عن البعث فيما بينهم وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد واخبرهم
بالبعث بعد الموت تلا عليهم القران جعلوا يتسا لون
بينهم فيقولون ماذا جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم ويسالون الرسول والمومنين عنه استهزاء
وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا
جميعا يسالون استهزاء ثم ذكر ان تساؤلهم عن ماذا
فقال تعالى عن النبأ العظيم قال مجاهد الاكثرون
هو القران دليله قوله تعالى قل هو نبأ عظيم
قال قتادة هو البعث فان قيل اذا كان الضمير
يرجع للكافر فكيف يكون قوله تعالى الذي هم
اي بصفتهم مع ادعائهم انها قوله فيه مختلفون
اي مع ان الكفار كانوا متفقين على انكار البعث
اجيب بانا لا نسلم اتفاقهم على ذلك بل
كان فيهم من يثبت المعاد الروحاني وهم جمهور
النصارى واما المعاد الجسماني فمنهم من يقطع
القول بانكاره ومنهم من يشك واما اذا كان
المتساءل عنه القران فقد اختلفوا فيه كثيرا وقيل
المتساءل عنه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى كلا ردع للمتسائلين هزءا سيعلمون
ما يحل بهم على انكارهم له وقوله تعالى ثم كلا سيعلمون

تاكيد

تاكيد وجيء فيه بثم للايذان بان الوعيد الثاني
اشد من الاول وقال الضحاك الاولى للكفار
والثانية للمومنين اي سيعلم الكافر عاقبة تكذيبهم
وسيعلم المومنون عاقبة تصديقهم ثم اوما تعالى
الى القدرة على البعث بقوله تعالى وجعلنا اي جعلنا
من العظمة نومكم سباتا اي فراشا كالمهد للصبي
وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للمهود بالمصدر
كضرب الامير وجعلنا اي التي تعرفون شدتها
وعظمها الليل اي تثبت بها الارض كما تثبت
الخيام بالاوتاد والاستفهام للتقرير فيستدل
بذلك على قدرته على جميع الممكنات واذا ثبت
ذلك ثبت القول بصحة البعث وانه قادر على
تخريب الدنيا بسمواتها وكواكبها وارضها وعلى ايجاد
عالم الاخرة تنبيه مهادا مفعول ثان لان
الجعل بمعنى التصيير ويجوز ان يكون بمعنى الخلق
فيكون حالا مقدرة وخلقناكم اي بما دل على ذلك
من مظاهر العظمة ازواجا اي اصنافا ذكورا واناثا
وقيل الوانا وجعلنا اي بما لنا من العظمة نومكم سباتا
اي راحة لابدانكم قال الزجاج السبات ان ينقطع
عن الحركة والروح فيه وقيل معناه جعلنا نومكم
قطعا لاعمالكم وقيل المسبوت الميت من السبت وهو
القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم احد التوفيين
وقوله وجعلنا اي بما لنا من العظمة الليل اي نجد

الم نجعل
الارض مهادا
والجبال
اوتادا

ن هاب الضيا حتى كانه لم يكن **لباسا** فيه استعارة
اي يستركم عن العيون بظلمته كما اذا اردتم هربا
من عدو وبيانا له او اخفا ما لا تحبون الاطلاع عليه
من كثير من الامور قال الشاعر شعر
وكم لظلام الليل عندك من يد ٭ تخبر ان المانوية تكذب
ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا فقال
تعالى **وجعلنا** اي بما لنا من العظمة والقدرة التامة
النهار اي الذي ابتدا الشمس **معاشا** اي جمع شد
يدة اي قوية محكمة لا يوثر فيها مرور الزمان
لا فطور فيها ولا فروج ونظيره قوله وجعلنا
السما سقفا محفوظا **وجعلنا** اي بما لنا من العظمة
بما لا يقدر عليه غيرنا **سراجا** اي مسيرا متلاليا **وهاجا**
اي وقادا وهي الشمس **وانزلنا** اي بما لنا من كمال
الاوصاف **من المعصرات** اي المسحبات ان اعصرت
اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقوله
حد الزرع اي حان ان يحصد واعصرت الجارية
اي اذا دنت ان تحيض وعن الحسن وقتادة
هي السموات وتاويله ان الما ينزل من السما الى
السحاب فكان السموات عصرن وقيل من
الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وقيل
الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدا الانزال
لانها تنشي السحاب وتدر اخلافه **ما ثجاجا**
اي منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث

وبنينا فوقكم سبعا شدادا

افضل

افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية
وصب دما الهدي وكان ابن عباس رضي الله عنهما
مثجا سيل غرب اي يثج الكلام ثجا في خطبته
لنخرج اي بعظمتنا التي ربطنا بها المسببات بالاسباب
به اي بذلك الما **حبا** اي نجما ذا حب مما يتقوت به
كالحنطة والشعير والارز **ونباتا** اي ما يتعلق به
كالتبن والحشيش كما قال تعالى كلوا وارعوا انعامكم
والحب ذو العصف والريحان **وجنات** اي بساتين تجمع
انواع الاشجار والنبات المقتات وغيره **الفافا**
اي ملتفة بالشجر جمع لفيف كشريف واشراف
وقيل هو جمع الجمع يقال جنة لفا وجمعها لف بضم اللام
وجمع الجمع الفاف وقيل لا واحد له كاوزاع واخ
ياف وقيل الواحد لف قال صاحب الاقليد
انشدني الحسن ابن علي الطوسي شعر
جنة لف وعيش مغدق ٭ وندامى كلهم بيض زهر
وقال الزمخشري ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير
حذف الزوائد لكان قولا وجيها **ان يوم الفصل**
اي بين الخلائق **كان** اي في علم الله تعالى وفي
حكمه كونا لا بد منه **ميقاتا** اي وقتا للثواب والعقاب
او وقتا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او ما فيها
من الخلائق وقوله تعالى **يوم ينفخ في الصور**
اي القرن بدل من يوم الفصل او بيان له والنافخ
اسرافيل عليه السلام او من اذن الله تعالى له

في ذلك فتأتون اي بعد القيام من القبور الى
الموقف أفواجا اي جماعات مختلفة وعن معاذ
انه سال عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا معاذ سالت عن امر عظيم من الامور
ثم ارسل عينيه باكيا وقال تحشر عشرة اصناف
من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم
على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم
فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا
وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي
مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم
يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم
وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من
نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون
جبابا من قطران لازقة بجلودهم ثم فسر هؤلاء
بقوله فاما الذين على صورة القردة فالقتات
من الناس يعني النمام واما الذين على صورة
الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على
وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون
في الحكم واما الصم والبكم فالمعجبون باعمالهم
واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص
الذين خالف قولهم فعلهم واما الذين قطعت
ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران
واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة

بالناس

بالناس الى السلطان واما الذين اشد نتنا من
الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ويمنعون
حق الله تعالى في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب
فاهل الكبر والفخر والخيلاء انتهى وقد تكلم في صحة
هذا الحديث نعوذ بالله تعالى من هوله ونساله
التوفيق لنا ولاحبابنا فانه كريم جواد لا يرد
من ساله وفتحت السماء اي شققت لنزول الملائكة
فكانت ابوابا اي فكانت قبل هذه الاية تقتضي
ان السماء بجملتها تصير ابوابا اجيب بوجوه اولها
ان تلك الابواب لما كثرت صارت كانها ليست الا
ابوابا منفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا
كان كلها عيونا تنفجرت ثانيها انه حذف مضاف
اي فكانت ذات ابواب ثالثها ان الضمير في قوله
فكانت ابوابا يعود الى مضمر والتقدير فكانت
تلك المواضع المفتوحة ابوابا وقيل الابواب
الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها وتصير
طرقا لا يسدها شيء وقرا عاصم وحمزة والكسائي
بتخفيف التاء بعد الفاء والباقون بتشديدها
وسيرت الجبال اي ذهب بها عن اماكنها فكانت
سرابا اي لا شيء كما ان السراب كذلك يظنه
الرائي ماء وليس بماء قال الرازي ان الله تعالى
ذكر احوال الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها
بان نقول اول احوالها الاندكاك وهو كقوله

تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة
والحالة الثانية ان تصير كالهباء وهو كقوله تعالى
وبست الجبال فكانت هباء منبثا الحالة الرابعة
ان تنسف لانها مع الاحوال المتقدمة قارة في مواضعها
فترسل الرياح فتنسفها عن وجه الارض فتصيرها
في الهواء وهو قوله تعالى ويسألونك عن الجبال
فقل ينسفها ربي نسفا الحالة الخامسة ان تصير
سرابا اي لا شيء كما يرى السراب من بعد وقرا ابو
عمرو وحمزة والكسائي بادغام تاء التانيث في السين
والباقون بالاظهار **ان جهنم** اي النار التي تلقى
اصحابها متجهمة لهم بغاية ما يكرهونه **كانت مرصادا**
اي مرصدا للكفار او موضع رصد يرصد فيه
خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسو هم
من فيحها في مرورهم عليها وروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان على جسر جهنم سبع محابس
يسأل العبد عند اولها عن شهادة ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله فان جاء بها تامة
جاز الى الثالث فيسال عن الزكاة فان جاء به تاما
جاز الى الخامس فيسال عن الحج فان جاء به تامة
جاز الى السابع فيسال عن المظالم فان خرج
منها والا يقال انظروا ان كان له تطوع اكمل
به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة واما
الكافر فهو مستقر في النار كما قال تعالى **للطاغين**

اي

اي الكافرين **مآبا** اي مرجعا يرجعون اليه وقرأ
حمزة **لابثين فيها** بغير الف بعد اللام والباء الموحدة
والباقون بالالف وهما لغتان والاول ابلغ قاله
البيضاوي وقوله تعالى **احقابا** جمع حقب والحقب
الواحد ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر
ثلاثون يوما كل يوم الف سنة روي ذلك عن علي
ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وقال مجاهد
الاحقاب ثلاثة واربعون حقبا وقال الحسن ان
الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة قال لابثين
فيها احقابا فوالله ما هو الا انه اذا مضى حقب
دخل اخر ثم الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود
روي عن عبد الله انه قال لو علم اهل النار
انهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا
ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون في الجنة عدد
حصى الدنيا لحزنوا وقال مقاتل وابن حبان
الحقب الواحد سبع عشرة الف سنة وقال وهذه
الاية منسوخة نسختها فلن نزيدكم الا عذابا اعني
ان العدد قد ارتفع والخلود قد دخل وعلى تقدير
عدم النسخ فهو من قبيل المفهوم فلا يعارض
المنطوق الدال على خلود الكفار ويجوز ان
يراد لابثين فيها احقابا **لا يذوقون** اي غير
ذائقين **فيها** اي النار **بردا ولا شرابا الا حميما**
وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق

لهم من حميم اخر من العذاب ويجوز ان يكون
جمع حقبة عاما اذا قل مطره وخيره وحقبة
فلان اذا اخطا الرزق فهو حقب وجمعه احقاب
فينقضيه تعالى لا يذوقون فيها بردا قال لكن
وعطا اي راحة وروحا اي تنفس عنهم حر
النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون
فيها حميما اي ماء حارا غاية الحرارة وغساقا
وهو ما يسيل من صديد اهل النار فانهم يذوقونه
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان البرد
النوم ومثله قال الكسائي وابو عبيدة تقول
العرب منع البرد البرد اي اذهب البرد النوم قال
الشاعر

فلو شئت حرمت النسا سواكم ** وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

وقرا حمزة والكسائي وحفص بتشديد السين والباقون
بتخفيفها وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده جوزوا بذلك جزاء وفاقا
اي موافقا لعملهم قال مقاتل وافق العذاب
الذنب فلا ذنب اعظم من الكفر ولا عذاب اعظم
من النار انهم كانوا لا يرجون حسابا اي بيانا
لما وافقه هذا الجزاء اي لا يخافون ان يحاسبوا
والمعنى انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا انهم محاسبون
والمعنى انهم كانوا لا يؤمنون بذلك وكذبوا باياتنا
اي بما جاءت به الانبيا عليهم السلام وقيل القران

كذابا

كذابا قرا الكسائي بالتشديد اي تكذيبا قال الفرا
وهي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر التفعيل
فعال وقال الزمخشري وفعال في باب فعل كله
فاش في كلام فصحاء العرب لا يقولون غيره وسمعني
بعضهم افسر اية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع
بمثله وقرا الكسائي بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل
قول الشاعر

فصدقتها وكذبتها ** والمرء ينفعه كذابه

قال الزمخشري وهو مثل قوله انبتكم من الارض
نباتا يعني وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا او تنصبه بكذبوا
لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب
وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا باياتنا
فكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها مكاذبين لانهم
اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون
عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة او لانهم يتكلمون
بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في امر
فيبلغ فيه اقصى جهده وكل شيء اي من الاعمال
وغيرها احصيناه اي ضبطناه وقوله تعالى كتابا
فيه وجهان احدهما انه مصدر في موضع احصاء
والاحصاء والكتب يتشاركان في معنى الضبط ثانيهما
ان يكون حالا بمعنى مكتوبا في اللوح المحفوظ
كقوله وكل شيء احصيناه في امام مبين وقيل
اراد ما كتبته الملائكة الموكلون بالعباد بامر الله

تعالى اياهم بالكتابة لقوله تعالى وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين والجملة اعتراض وقوله تعالى
فذوقوا فلن نزيدكم اي شيئا من الاشياء في وقت
من الاوقات الا عذابا بسبب عن كفرهم بالحساب
وتكذيبهم بالايات قال الرازي وفي هذه الاية
مبالغات منها لن للتاكيد ومنها الالتفات
ومنها اعادة قوله تعالى فذوقوا بعد ذكر العذاب
قال ابو بردة سالت النبي صلى الله عليه وسلم
فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا اي كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب
وكلما خبت زدناهم سعيرا ولما ذكر تعالى ما
للكافرين في النعم بذكر ما للمومنين فقال تعالى
ان للمتقين مفازا اي مكان فوز في الجنة وقوله
تعالى حدائق اي بساتين فيها انواع الاشجار
المثمرة بدل من مفازا بدل اشتمال او البعض
اي بيان له وقوله تعالى واعنابا اي كروما عطفا على
مفازا وكواعب اي جواري تكعبت ثديهن جمع
كاعب اترابا اي على سن واحد جمع ترب بكسر
التاء وسكون الراء وقيل الاتراب اللذات وكاسا
دهاقا اي خمرا مالية محالها وفي القتال وانهار
من خمر والدهاق المترعة وادهق ملوة وقال
عكرمة صافية لا يسمعون فيها اي الجنة في وقت
ما عند شرب الخمر وغيره من الاحوال لغوا اي

لفظا

لفظا يستحق ان يلغى اي ان يكون ليس له معنى وقوله
تعالى ولا كذابا قرا بالتخفيف الكسائي وبالتشديد
الباقون اي تكذيبا من واحد لغيره بخلاف ما يقع
في الدنيا عند شرب الخمر جزاء من ربك اي المحسن
اليك بما اعطاك جزاهم بذلك جزاء وقوله تعالى
عطاء بدل من جزاء وهو اسم مصدر وجعله الزمخشري
منصوبا بجزاء نصب المفعول به ورده ابو حيان
بانه جعل جزاء مصدرا موكدا لمضمون الجملة التي
هي ان للمتقين قال والمصدر الموكد لا يعمل لانه
لا ينحل لحرف مصدري والفعل ولا نعلم في ذلك
خلافا حسابا اي كافيا وافيا يقال احسب فلانا
اي اعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي وقال
ابن قتيبة اي عطاء كثيرا وقيل جزاء بقدر اعمالهم
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو رب السموات
والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون برفع رب
والرحمن وابن عامر وعاصم بخفضهما والاخوان
بخفض الاول ورفع الثاني اما رفعهما فمن
اوجه احدها ان يكون رب خبر مبتدا مضمر اي
هو رب والرحمن كذلك ومبتدا خبره لا يملكون
ثانيها ان يجعل رب مبتدا والرحمن خبره ولا يملكون
خبر ثان او مستانف ثالثها ان يكون رب مبتدا
والرحمن مبتدا ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر
الاول وحصل الربط بتكرير المبتدا بمعناه وهو

راي الاخفش ويجوز ان يكون لا يمكن حالا ويكون
لان مبتدا ما جرها فعلى البدل والنعت او يجعل
رب السموات تابعا للاول ورفع الثاني فعلى
الابتدا والخبر الجملة الفعلية وهي لا يملكون اي
الخلق منه اي من الله تعالى خطابا والضمير فيها لا
يملكون لاهل السموات والارض اي ليس في
ايديهم ما يخاطب به الله ويامر به امر الثواب
والعقاب خطابا واحدا يتصرفون فيه تصرف
الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه او لا يملكون
ان يخاطبوا بشي من نقص العذاب او زيادة
في الثواب الا ان يهب لهم ذلك وياذن لهم
فيه وقوله تعالى يوم متعلق بلا يملكون او لا يملكون
يقوم الروح والملائكة وقوله تعالى صفا
حال اي مصطفين والروح اعظم خلقا من
الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو ملك عظيم
ما خلق الله بعد العرش خلقا اعظم منه فاذا كان
يوم القيامة قام هو وحده صفا وقامت الملائكة
كلهم صفا واحدا فيكون عظم خلقه مثلهم وقال
الشعبي هو جبريل عليه السلام وقيل ملك موكل
على الارواح وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال
الروح ملك اعظم من السموات ومن الجبال
ومن الملائكة وهو في السماء الرابعة يسبح كل يوم

اثني

[illegible]

اثني عشر تسبيحة يخلق الله عز وجل من كل تسبيحة
ملكا يجي يوم القيامة صفا وحده وقال مجاهد
وقتادة الروح خلق على صورة بني ادم وليسوا
بناس يقومون صفا والملائكة صفا هولا جند
وهولا جند وروى مجاهد عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال خلق على صورة بني ادم وما
ينزل من السماء ملك الا معه واحد منهم وقال
الحسن هو بنو ادم ورواه قتادة عن ابن عباس
وقال هذا مما كان يكتمه ابن عباس وقيل هو
جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم
ارواح وايدي وارجل ياكلون الطعام وقيل ارواح
بني ادم وقال زيد بن اسلم هو القران وقرا
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وان كان
هولا لا يتكلمون وهم من افضل الخلق واشرفهم
واكثرهم طاعة واقربهم منه لا يملكون التكلم فما
ظنك بمن عداهم من اهل السموات والارض
ويجوز رجوع الضمير للخلق اجمعين الا من اذن
له اي في الكلام اذنا خالصا الرحمن اي الملك
الذي لا تكون النعمة الا منه وقال قولا صوابا
في الدنيا اي حقا من المومنين والملائكة
وهما شرطان ان يكون المتكلم ماذونا له
في الكلام وان يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير
مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى

لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقيل
القول الصواب لا اله الا الله ذلك اي المشار
اليه لبعد مكانته وعظم رتبته وعلو منزلته
اليوم الحق اي الكائن لا محالة وهو يوم القيامة
فمن شاء اتخذ الى ربه اي المحسن اليه مآبا
اي مرجعا وسبيلا لطاعته يسلم من العذاب
في ذلك اليوم فان الله تعالى جعل لهم قوة و
واختيارا ولكن لا يقدر احد منهم على مشيئة
الا بمشيئة الله تعالى انا اي على ما لنا من العظمة
انذرناكم اي يا كفار مكة عذابا قريبا اي عذاب
يوم القيامة الاتي وكل ات قريب وقوله
تعالى يوم ظرف لعذابا بصفته ينظر المرء اي
كل امرئ سواء كان مومنا او كافرا فلا يجد
لنفسه عملا فيتمنى ان يكون ترابا ولانه تعالى
ما قدمت يداه فعلم ان المراد بالمرء المومن وقيل
هو الكافر لقوله تعالى انا انذرناكم فيكون
الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم
ومعنى ما قدمت يداه من الشر كقوله تعالى
ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما
قدمت يداك وما يجوز ان تكون استفهامية
منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت
يداه او موصولة منصوبة بينظر يقال نظرته
بمعنى نظرت اليه والراجع اليه الصلة محذوف

وقال

وقال مقاتل نزل قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت
يداه في ابي سلمة ابن عبد الاسد المخزومي
ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في اخيه الاسود بن
عبد الاسد وقال الثعلبي سمعت ابا القاسم
بن حبيب يقول الكافر هنا ابليس وذلك بانه
عاب ادم عليه السلام بانه خلق من تراب وافتخر
بانه خلق من نار فاذا عاين يوم القيامة ما فيه
ادم وبنوه من الثواب والراحة وراى ما هو
فيه الشدة والعذاب تمنى انه كان بمكان
ادم فيقول يا ليتني كنت ترابا قال ورايته
في بعض التفاسير قال القشيري قال ابو هريرة
رضي الله عنه انه قال يحشر الخلق كلهم من
دابة وطائر وانسان ثم يقال للبهائم والطير
كونوا ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت
ترابا وقيل معنى يا ليتني كنت ترابا لم ابعث ولم
اعذب وقيل معه وقال ابو الزناد اذا قضى
بين الناس وامر باهل الجنة الى الجنة وقيل
اهل النار الى النار قيل لسائر الامم ولمؤمني
الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند
ذلك يقول الكافر حين يراهم يا ليتني كنت
ترابا فعند ذلك يقول وقال الليث عمر بن عبد
العزيز ومجاهد وغيرهما مؤمنو الجن حول
الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها والذي

عليه الأكثر أنهم مكلفون مثابون ومعاقبون
كبني آدم وقيل يجعل الله تعالى الحيوانات عبرا للمكلف
حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود
الكافر حاله وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري
من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة
عم سقاه الله تعالى بردا الشراب يوم القيامة
حديث موضوع

سورة والنازعات مكية

وهي خمس أو ست وأربعون آية ومائة وتسعون
كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفا بسم الله الذي
أحاط علمه بالكائنات الرحمن الذي أنعم
على سائر الموجودات الرحيم الذي خص أولياءه
بالجنات والنازعات أي الملائكة تنزع أرواح
الكفار غرقا أي تنزع أرواحهم من أجسادهم
بشدة كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية
المد بعد ما نزعها حتى إذا كانت تخرج رده إلى
جسده فهذا عملهم بالكفار وقال علي وابن
مسعود يريد نفس الكفار ينزعها ملك الموت
من أجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت
الأظافير وأصول القدمين نزعا كالسفود
ينزع من الصوف الرطب ثم يغرقها أي يرجعها
إلى أجسادهم ثم ينزعها فهذا عمله في الكفار
وقال السدي والنازعات هي النفوس حين

النفوس

النفوس حين تغرق في الصدور وقال مجاهد
هو الموت ينزع النفوس وقال الحسن وقتادة هي
النجوم تنزع من أفق إلى أفق تطلع ثم تغيب
وقال عطاء وعكرمة هي النفوس وقيل الغزاة
تنبيه غرقا يجوز أن يكون مصدرا على
حذف الزوائد بمعنى إغراقا يقال أغرق في الشيء
يغرق فيه إذا أوغل وبلغ أقصى غايته والناشطات
نشطا أي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين أي
تسلها برفق فتقبضها كما ينشط العقال من
يد البعير إذا حل عنه وفي الحديث كأنما أنشط من
عقال وعن ابن عباس رضي الله عنه هي الملائكة
تنشط أرواح الكفار ما بين الجلد والأظفار حتى
تخرجها من أفواههم بالكرب والغم والنشط الجذب
والنزع يقال نشط الثور من بلد إلى بلد إذا خرج
في سرعة ويقال حمار ناشط من برج كالثور
الناشط من بلد إلى بلد وقال الجوهري يعني
النجوم تنشط من برج كالثور من بلد إلى بلد
والسابحات سبحا أي الملائكة تسبح من السماء بأمره
أي ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد
يقال له سابح إذا أسرع في جريه وقال علي
هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين قال الكلبي
كالذي يسبح في الماء فأحيانا ينغمس وأحيانا
يرتفع يسلونها سلا رفيقا بسهولة ثم يدعونها

حتى تنزع وعن مجاهد السابحات الموت يسبح
في نفس بني ادم وقال قتادة ولكن هي النجوم
تسبح في افلاكها وكذا الشمس والقمر قال تعالى
كل في فلك يسبحون وقال عطا هي السفن في الماء
وقال ابن عباس رضي الله عنهما ارواح المومنين
تسبح شوقا الى لقاء الله تعالى ورحمته حتى تخرج
وقيل هي خيل الغزاة قال عنترة
والخيل حين تسبح في حياض الموت سبحا
فالسابقات سبقا اي الملائكة تسبق بارواح المومنين
الى الجنة وقال مجاهد هي الملائكة سبقت
ابن ادم بالخير والعمل الصالح وقال ابن مسعود هي
انفس المومنين تسبق الى الملائكة الذين
يقبضونها شوقا الى لقاء الله تعالى وكرامته
وقد عاينت السرور وقال قتادة هي النجوم يسبق
بعضها بعضا في السير وقال عطا هي الخيل
التي تسبق في الجهاد وقيل ما يسبق من الارواح قبل
الاجساد الى جنة او نار قال الجرجاني ذكر السابقات
بالفا لانها مسببة عن التي قبلها اي واللاتي
يسبحن فيسبقن قال الواحدي وهذا غير مطرد
في قوله تعالى فالمدبرات امرا اي الملائكة تدبر
امر الدنيا اي تنزل بتدبيره قال الرازي ويمكن
الجواب بانها لما امرت سبحت فسبقت فدبرت
ما امرت بتدبيره فتكون هذه افعال يتصل

بعضها

بعضها ببعض وقال ابن عباس رضي الله عنهما
المدبرات هي الملائكة وكلوا بامور عرفهم الله تعالى
العمل بها قال عبد الرحمن ابن سابط يدبر
الامر في الدنيا اربعة من الملائكة جبريل وميكائيل
وملك الموت واسرافيل عليهم السلام فاما جبريل
فوكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فوكل بالقطر
والنبات واما ملك الموت فوكل بقبض الارواح
واما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وليس
في الملائكة اقرب منه وبينه وبين العرش خمسمائة
عام وقيل هي الكواكب السبع حكى عن معاذ
بن جبل رضي الله عنه وفي تدبيرها الامور
وجهان احدهما تدبير طلوعها وافولها والثاني
في تدبيرها ما قضى الله تعالى فيها من تقليب
الاحوال اقسم سبحانه وتعالى بهذه الامور
على قيام الساعة والبعث واما حذف لدلالة
ما بعده عليه ولله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه
واما العباد فلا يصح لهم ان يقسموا بغير اسمائه
وصفاته وقوله تعالى يوم ترجف اي تضطرب
اضطرابا كبيرا من عجا الراجفة اي الصيحة منصوبة
بالجواب المضمر اي لتبعثن يا كفار مكة يوم ترجف الراجفة
وهي النفخة الاولى بها يرجف كل شيء اي يتزلزل
ويتحرك بها كل شيء ويموت منها جميع الخلق حيث
فوجئت بما يحدث منها تتبعها الرادفة اي الصيحة

التابعة لها وهي النفخة الثانية اردفت الاولي
وبينهما اربعون سنة والجملة حال من الراجفة
واليوم واسع للنفختين وغيرهما فصح ظرفيته
للبعث الواقع عقيب الثانية وقال قتادة هما
صيحتان فالاولي تميت كل شي والاخرى تحيي
كل شي والاخرى تحيي كل شي باذن الله
سبحانه وتعالي وقال عطا الراجفة القيامة
والرادفة البعث وعن ابي بن كعب انه قال
كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا ذهب ربع
الليل قام وقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت
الراجفة تتبعها الرادفة جا الموت بما فيه قلوب
يومئذ اي اذا قام الخلايق بالصيحة الثانية
لله تعالي واجفة اي خايفة قلقة مضطربة من
الرجيف وهو صفة القلوب وقال مجاهد وجلة
وقال السدي زايلة عن اماكنها نظيره اذ القلوب
لدي الحناجر ابصارها اي ابصار اصحابها فهو من
الاستخدام خاشعة اي ذليلة من الخوف ولهذا
اضافها الي القلوب كقوله تعالي خاشعين من
الذل يقولون اي ارباب القلوب والابصار
في الدنيا استهزا وانكارا للبعث ائنا لمردودون
اي بعد الموت في الحافرة اي في الحياة التي كنا
فيها قبل الموت وهي حالتنا الاولي فنصير
احيا بعد الموت كما تقول العرب رجع فلان في

حا

حافرته اي رجع من حيث جا والحافرة عندهم اسم
لابتدا الشي واول الشي وقال بعضهم الحافرة وجه
الارض التي تحفر فيها قبورهم سميت حافرة بمعني
المحفورة كقوله تعالي عيشة راضية اي مرضية وقيل
سميت حافرة لانها مستقر الحوافر اي انا لمردودون
الي الارض فنبعث خلقا جديدا نمشي عليها
وقال ابن زيد الحافرة النار ائذا كنا اي كونا صار
حيلتها لنا عظاما نخرة اي بالية متفتتة نحيي بعد
ذلك وقرا ايذا ايذا نافع وابن عامر والكسائي
بالاستفهام في الاول والخبر في الثاني والباقون
بالاستفهام فيهما وسهل نافع وابن كثير وابو
عمرو والباقون بالتحقيق وادخل بين الهمزتين
قالون وابو عمرو وهشام بخلف عنه الالف والباقون
بغير ادخال وقرا ناخرة حمزة وشعبة والكسائي
بالالف بعد النون والباقون بغير الف وهما
لغتان مثل الطمع والطامع والحذر والحاذر معنا ها
البالية وفرق بينهما فقالوا النخرة البالية
والناخرة المجوفة التي تمر فيها الريح فتنخر اي تصوت
قالوا اي المنكرون للبعث تلك اي رجعتنا
العجيبة اي الحياة اذا اي اذ صحت كرة اي
رجعة خاسرة اي ذات خسران او خاسر اصحابها
والمعني لان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا
وهو استهزا منهم وعن الحسن انه خطرة يعني

كانت أي لبست كائنة قال الله تعالى فإنما هي
أي الرادفة التي يتبعها البعث زجرة أي صيحة
لأنها تتضمن الأمر بالقيام والسوق إلى المحشر
والمنع من التخلف واحدة عبر بالزجرة لأنه أشد
من النهي لأنها صيحة لا يتخلف عنها القيام
أصلا فكأن كان بلسان قال عن تلك الصيحة
أيها الأجساد البالية انتهي عن الرقاد وقومي
إلى الميعاد عما حكمنا به من المعاد فقد انتهى
زمن الحصاد وآن الأوان لما قدم من
الزاد فيا خسارة من ليس له زاد فإذا هم فتسبب
عن تلك النفخة هي الثانية أن كل الخلق بالساهرة
أي صاروا على وجه الأرض ساهرة قال
بعض أهل اللغة تراهم سموها ساهرة لأن فيها
نوم الحيوان وسهرهم قال سفيان هي أرض
الشام وقال قتادة هي جهنم فإن قيل لم تعلقه
فإنما هي زجرة واحدة أجيب بأنه متعلق بمحذوف
معناه لا تستصعبوها فإنما هي زجرة واحدة
يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله تعالى
فإنها سهلة هينة في قدرته تعالى وقال
الزمخشري الساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك
لأن السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة
أي جارية الماء وفي ضدها نائمة قال الأشعث
بن قيس

وساهرة

وساهرة يضحي السراب مجللا لأقطارها قد جئتها متلثما
أو لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة وقال الراغب
هي وجه الأرض وقيل أرض القيامة وحقيقتها
التي يكثر الوطء بها كأنها سهرت من ذلك والأسه
ران عرقان في الأنف والساهور غلاف القمر الذي
يدخل فيه عند خسوفه وروى الضحاك عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال الساهرة أرض
من فضة لم يعص الله عليها قط جعلها حينئذ
وقيل الساهرة اسم الأرض السابعة يأتي بها
الله تعالى فيحاسب عليها الخلائق وذلك حين
تبدل الأرض غير الأرض وقال وهب بن منبه
جبل بيت المقدس وقال عثمان بن أبي
العاتكة إنه اسم مكان من الأرض بعينه
بالشام وهو الصقع الذي بين جبل أريحا وجبل
حسان يمده الله تعالى كيف شاء ثم إن الله تعالى
سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى هل
أتاك يا أشرف الخلق حديث موسى أليس قد أتاك
حديثه فيسليك على تكذيب قومك وتهددهم
عليه بأن يصيبهم مثل ما أصاب من هو أعظم منهم
فإنه كان أقوى أهل الأرض بما كان من كثرة
الجنود فلما أصر على التكذيب ولم يرجع والافادة
التأديب أغرقناه والله لم نبق منهم أحدا
وقد كانوا لا يحصون عددا بحيث قيل إن طليعته

كانت على عدد بني اسرائيل ستمائة الف فكيف
يقاومك الضعاف وقوله اذ اي حين ناداه منصوب
بحديث لا باتاك ربه اي المحسن اليه بالرسالة وغيرها
بالواد المقدس اي المطهر غاية الطهر بتشريف الله
تعالى له بانزال النبوة المفيضة للبركات وقوله
تعالى طوى اسم الوادي وهو الذي طوي فيه
الشر عن بني اسرائيل ومن اراد الله تعالى
من خلقه ونشر فيه الخير بركات النبوة
على جميع اهل الارض المسلم بالاسلام وغيره
برفع عذاب الاستئصال عنه فان العلماء
قالوا ان عذاب الاستئصال ارتفع حين
انزلت التوراة وهو واد بالطور بين ايلة
ومصر قراه نافع وابن كثير وابو عمرو بغير
تنوين والباقون بالتنوين وقوله اذهب
الى فرعون اي ملك مصر الذي كان يستعبد
بني اسرائيل على ارادة القول انه طغى اي تجاوز
الحد في الكفر وعلا وتكبر وقال الرازي لم
يبين انه طغى في اي شيء فقيل تكبر على الله
تعالى وكفر به فقيل تكبر على الخلق واستعبدهم
روي عن الحسن قال كان فرعون علجا من
همدان وقال مجاهد كان من اهل اصطخر
وعن الحسن ايضا كان من اصبهان يقال له ذو
الظفر طوله اربعة اشبار وقوله تعالى فقل اي له

هل

هل لك اي هل لك سبيل الى ان تزكى اي تتطهر
من الكفر والطغيان قال ابن عباس رضي الله عنهما
بان تشهد ان لا اله الا الله وقال ابو البقاء لما
كان المعنى ادعوك جاء بالى وقال غيره يقال
هل لك في كذا وهل لك الى كذا كما تقول هل ترغب
فيه وهل ترغب اليه وقرأ نافع وابن كثير
بتشديد الزاي والاصل تتزكى والباقون
بتخفيفها واهديك الى ربك اي وارشدك
الى معرفة المحسن اليك فتخشى لان الخشية
لا تكون الا بالمعرفة قال تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء اي العلماء به وذكر الخشية لانها
ملاك الامر من خشي الله تعالى اتى منه
كل خير ومن امن اجترأ على كل شيء ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج
بلغ المنزل بدا مخاطبته بالاستفهام الذي معناه
العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل
بنا واردفه الكلام الرفيق ليستدعيه بالتلطف
في القول ويستنزله بالمداراة من علوه كما امر
بذلك في قوله تعالى فقولا له قولا لينا الآية
وقال الرازي سائر الآيات تدل على انه تعالى
لما نادى موسى عليه السلام ذكر اشياء كثيرة نحو قوله
انا ربك الى قوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى
اذهب الى فرعون انه طغى انه من جملة

ما ناداه لا لكل ما نادى به وابيض فليس النقص انه
عليه السلام كان مسبوقا ببرص فابيض فليس اي فرعون
فقط بل الى كل من كان في الطرق الا انه خصه
بالذكر لان دعوته جارية مجرى كل القوم والعناء
في قوله تعالى فاراه عاطفة على محذوف يعني
فذهب فاراه الآية الكبرى كقوله تعالى فاضرب
بعصاك الحجر فانفجرت واختلفوا في الآية الكبرى
العلامة العظمى وهي المعجزة فقال عطاء وابن
عباس هي العصا وقال مقاتل والكلبي هي
اليد البيضاء تبرق كالشمس والاول اولى لانه
ليس في اليد الا انقلاب لونها وهذا حاصل
في العصا لانها لما انقلبت حية لا بد وان تتغير
اللون الاول فاذن كل ما في اليد فهو حاصل
في العصا وامور اخر وهي الحياة في الجرم الجامد
وتزايد اجزائه وحصول القدرة الكبيرة والقوة
الشديدة وابتلاعها اشياء كثيرة وزوال الحياة والقدرة
عنها وذهاب تلك الاجزاء التي عظمت وزوال
تلك اللون والشكل اللذين صارت العصا بهما
حية وكل واحد من هذه الوجوه كان معجزا مستقلا
في نفسه فعلمنا ان الآية الكبرى هي العصا
وقال مجاهد هي مجموع العصا واليد وقيل فلق
البحر وقيل جميع آياته التسعة فكذب اي نسب
عن رؤيته ذلك الى الكذب موسى عليه السلام

وعصى الله تعالى بعد ظهور الآية وتحقيق الامر
وقيل كذب بالقول وعصى بالتمرد والتجبر ثم ادبر
اي تولى واعرض عن الايمان بعد المهل والاناة
اعراضا عظيما بالتمادي على اعظم ما كان فيه
من الطغيان بعد خطوب جليلة ومشاهد طويلة
حال كونه يسعى اي يعمل بالفساد في الارض
او انه لما رأى الثعبان ادبر مرعوبا يسعى اي
يسرع في مشيه قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا
وتولى عن موسى يسعى ويجتهد في مكايدته
او اريد ثم اقبل يسعى كما تقول اقبل فلان يفعل
كذا بمعنى انشأ يفعل فوضع ادبر موضع اقبل
لئلا يوصف بالاقبال فحشر اي فتسبب عن ادباره
انه جمع السحرة للمعارضة وجنوده للقتال فنادى
حينئذ باعلى صوته قال حمزة الكرماني قال موسى
عليه السلام ان ربي ارسلني اليك لان آمنت
بربك تكون اربعمائة سنة في النعيم والسرور
ثم تموت فتدخل الجنة فقال حتى استشير هامان
فاستشاره فقال اتصير عبدا بعدما كنت ربا تعبد
ذلك اجمع بعث الشرط وجميع السحرة والجنود
فلما اجتمعوا قام عبد الله على سريره فقال انا ربكم
الاعلى اي لا رب فوقي وقيل اراد ان الاصنام
ارباب وانا ربها وربكم وقيل امر مناديا فنادى
في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال

ذلك فأخذه الله اي اهلكه بالغرق الملك الاعظم
الذي لا كفؤ له نكال اي عقوبة الآخرة اي هذه
الكلمة وهي قوله تعالى انا ربكم الاعلى والاولى
وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري قال ابن
عباس رضي الله عنهما وكان بين الكلمتين اربعون
سنة والمعنى امهله في الاولى ثم اخذه في الآخرة
فعذبه بكلمتيه وقال الحسن نكال الآخرة والاولى
هو ان اغرقه في الدنيا وعذبه في الآخرة وعن
قتادة الآخرة هي قوله انا ربكم الاعلى والاولى
تكذيبه موسى عليه السلام ثم انه تعالى ختم هذه
القصة بقوله تعالى ان في ذلك اي الامر العظيم
الذي فعله فرعون والذي فعل به حتى كذبه
وعصى لعبرة لمن يخشى اي لمن يخف الله
تعالى لان الخشية اساس الخير كما مرت الاشارة
اليه ثم خاطب تعالى منكري البعث بقوله تعالى
أأنتم اي ايها الاحيا مع كونكم خلقا ضعيفا اشد
خلقا اي اخلقكم بعد الموت اشد في تقديركم
ام السماء اي نحن قدرنا على خلق السماء على عظمها
من السعة والكبر والعلو والمنافع قدر على الاعادة
وهذا كقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من
خلق الناس والمقصود من الآية الاستدلال
على منكري البعث ونظيره قوله تعالى اوليس الذي
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق

مثلهم

مثلهم ومعنى الكلام التقريع والتوبيخ وقرا نافع وابن
كثير وابو عمرو وهشام بخلاف عنه بتحقيق الاولى
وتسهيل الثانية والباقون بتحقيقهما وادخل بينهما
الفا قالون وابو عمرو وهشام والباقون بغير ادخال
وقوله تعالى بناها بيان لكيفية خلقه اياها فالوقف
على السماء والابتدا بما بعدها وقوله تعالى رفع
سمكها جملة مفسرة لكيفية البنا والسمك والار
تفاع اي جعل مقدارها في سمت العلو مديدا
رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها اي فجعلها
مستوية ملسا ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها
بما علم انها تتم به واصلحها من قولك سوى فلان
امر فلان واغطش اي اظلم ليلها اي جعله مظلما
بغياب شمسها فاخفى ضياها بامتداد ظل الارض
على كل ما كانت الشمس ظهرت عليه فصار
لا يهتدى فيه الى ما كان في حال الضيا واضاف
الليل الى السماء لان الليل يكون بغروب الشمس
والشمس تضاف الى السماء ويقال نجوم الليل لان ظهورها
بالليل وقوله تعالى واخرج ضحاها فيه حذف
اي ضحى شمسها واضاف الليل والضحى لها للملابسة
التي بينها وبينهما وانما عبر عن النهار بالضحى
لان الضحى اكمل اجزا النهار بالنور والضوء والارض
بعد ذلك اي بعد المذكور كله دحاها اي
بسطها ومهدها للسكنى وتهيئة المنافع وكانت

مخلوقة قبل السماء من غير دحو فلا معارضة بينهما
وبين آية فصلت لانه خلق الارض اولا غير
مدحوة ثم خلق السماء ثم دحا الارض قال
ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى الارض
باقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء فسواهن
سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقيل
معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله تعالى
عتل بعد ذلك اي مع ذلك ومنه قولهم انت
احمق وانت بعد هذا سيء الخلق وقيل بعد بمعنى
قبل كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد
الذكر اي من قبل وروي عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال خلق الله تعالى الكعبة ووضعها
على الماء على اربعة اركان قبل ان يخلق الدنيا بالفي
عام ثم دحيت الارض من تحت البيت اخرج
منها اي من الارض ماءها اي بتفجير عيونها واجرا
فيها اليه دليل على انه مودوع فيها ومرعاها
اي النبات الذي يرعى مما ياكل الناس والانعام
من العشب والشجر والثمر والحب حتى النار
والملح لان النار من العيدان قال تعالى افرايتم
النار التي تورون الاية والملح من الماء واستعير
الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله تعالى عن
اخوة يوسف عليه السلام نرتع ونلعب والرعي
في الاصل موضع الرعي كمنسيه اخرج حاله

با

باصا رقدا اي بحرحا واصا رقد هو قول الجمهور وخالف
الكوفيون والاخفش والجبال ارساها اي اثبتها
على وجه الارض لتسكن ونظيره قوله تعالى والجبال
اوتادا وقوله متاعا مفعول له لمقدر او فعل ذلك
منفعة او مصدر لعامل مقدر اي متعكم تمتيعا
لكم وقوله تعالى ولانعامكم جمع نعم وهي الابل
والبقر والغنم وذكر الانعام لكثرة الانتفاع بها
فاذا جاءت الطامة الكبرى اي الداهية التي
تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب وفي امثالهم
جرى الوادي فطم على القرى قال ابن عباس رضي
الله عنهما وهي النفخة الثانية التي تكون معها البعث
وقال الضحاك هي القيامة سميت بذلك لانها
تطم على كل شيء فتعمه وقال القاسم بن الوليد الهمداني
هي الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة
واهل النار الى النار وقوله تعالى يوم يتذكر اي
تذكرا عظيما الانسان اي المكلف الانسي بنفسه
الفاعل عما خلق له بدل من اذا ما سعى في الدنيا
من خير او شر يعني اذا راى اعماله مدونة
في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله تعالى احصاه
الله ونسوه وما في ما سعى موصولة او مصدرية
وبرزت الجحيم اي ظهرت النار المحرقة اظهارا بينا
مكشوفا لمن يرى لكل راء كقولهم قد تبين الصبح
لذي عينين يريدون لكل من له بصر وهو مثل

في الامر المنكشف الذي لا يخفي علي احد لكن به
الناجي لا ينصرف بصره اليها فلا يراها كما قال تعالي
لا يسمعون حسيسها وجواب اذا قوله فاما من طغي
اي تجاوز الحد في العدوان حتي كفر به وآثر اي
قدم واختار الحياة الدنيا اي انهمك فيها ولم
يستعد للاخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم
اي النار الشديدة التوقد العظيمة هي اي خاصة
المأوى اي ماواه كما تقول للرجل غض الطرف
تريد طرفك وليست الالف واللام بدل عن
الاضافة ولكن علم ان الطاغي هو هي يجوز ان
تكون فصلا وان تكون مبتدا واما من خاف مقام
ربه اي قيامه بين يديه لعلمه بالمبدا والمعاد وقال
مجاهد خوفه في الدنيا من الله تعالي عند مواقعة
الذنب فيقلع عنه نظيره ولمن خاف مقام ربه
جنتان ونهي النفس اي الامارة بالسوء عن الهوى
وهي اتباع الشهوات وزجرها عنها وضبطها
بالصبر والتوطين علي ايثار الخير فان الجنة اي
البستان لكل ما يشتهي هي اي خاصة المأوى اي
ليس لها سواها ماوى وحاصل الجواب فالعاصي
في النار والطائع في الجنة قال الرازي هذان
الوصفان مضادان للوصفين المتقدمين فقوله
تعالي خاف مقام ربه ضد قوله فاما من طغي
ونهي النفس عن الهوى ضد واثر الحياة الدنيا

فلما

فلما دخل في ذينك الوصفين جميع القبائح دخل
في هذين الوصفين جميع الطاعات وقال عبد الله
بن مسعود انتم في زمان يقود الحق الهوى وسياتي
زمان يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمان
تنبيه اختلف في سبب نزول هاتين الايتين
فقيل نزلتا في مصعب ابن عمير واخيه روى
الضحاك عن ابن عباس قال اما من طغي فهو
مصعب بن عمير اسر يوم بدر فاخذته الانصار
فقالت من انت قال انا اخو مصعب بن عمير
فلم يشدوه في الوثاق واكرموه وبيتوه عندهم
فلما اصبحوا حدثوا مصعب بن عمير فلم يشدوه فقالوا
ما هو لي باخ شدوا اسيركم فان امه اكثر اهل
البطحاء حليا ومالا فاوثقوه حتي بعثت امه
فداه واما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير
وقي رسول الله صلي الله عليه وسلم بنفسه يوم
احد حين تفرق الناس عنه حتي نفذت المشاقص
في جوفه والمشاقص جمع مشقص وهو السهم
العريض فلما راه صلي الله عليه وسلم متشحطا في
دمه قال صلي الله عليه وسلم عند الله احتسبك وقال
صلي الله عليه وسلم لاصحابه لقد رايته وعليه
بردان ما تعرف قيمتهما وان شراك نعله من ذهب
وعن ابن عباس رضه نزلت في رجلين ابي جهل
بن هشام ومصعب بن عمير وقال السدي نزلت

الاية الثانية في ابي بكر الصديق رضي الله عنه
وقال الحلبي هاعامتان ولما سمع المشركون اخبار
القيامة ووصفها بالاوصاف الهائلة مثل الطامة
الكبرى والصاخة والقارعة سالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم استهزاء متى تكون الساعة نزلت
يسألونك اي يا اشرف الخلق عن الساعة اي البعث
الاخر لكثرة ما تتوعدهم بها عن امرنا ايان مرساها
اي في وقت ارساؤها اي اقامتها ارادوا متى
يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها او ايان منتهاها
ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث
تنتهي اليهم فاجابهم الله تعالى بقوله سبحانه فيم
اي في اي انت من ذكراها اي من ان تذكر
وقتها لهم وتعلمهم به تنبيه فيم خبر مقدم
وانت مبتدا موخر ومن ذكراها متعلق بما تعلق
به الخبر والمعنى انت في اي شي من ذكراها اي ما انت
ذكرها لهم وتبيين وقتها في شي من ذكراها اي ما
انت ذكراها وعن عايشة رضي الله عنها لم يزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل
عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره
لها كانه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكراها
والسوال عنها والمعنى انهم يسألونك عنها فلحرصك
على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها الى ربك
اي المحسن اليك بانواع النعم منتهاها اي منتهى

علمها

علمها ما لم يوت علمها احدا من خلقه كقوله تعالى
انما علمها عند ربي وقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة
قال القرطبي ويجوز ان يكون انكارا على المشركين
في مسالتهم اي فيما انت من ذلك حتى يسألونك
بيانه ولست ممن يعلمه روي معناه عن ابن عباس
رضي الله عنهما وقيل الوقف على قوله تعالى
فيم وهو خبر مبتدا مضمر اي فيم هذا السوال ثم يبتدا
بقوله تعالى انت من ذكراها اي ارسالك وانت
خاتم الانبياء واخر الرسل المبعوث في نسم الساعة
ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها فكفاهم
بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب
الاستعداد لها ولا معنى لسوالهم عنها انما انت
يا اشرف الرسل منذر اي انما بعثت لانذار من يخشاها
اي التخويف من يخاف هولها وهوله بيانا بسبب تعيين
الوقت وتخصيص لانه المنتفع به انما ينفع انذار كل
من يخافها وان كنت منذرا لكل مكلف كانهم قال
البغوي يعني كفار قريش يوم يرونها اي يعلمون
قيام الساعة علما هو كالروية ويرون ما يحدث
فيها بعد سماع الصيحة وقيامهم من القبور مع علمهم
بما مر من زمانهم وما اتى به لم يلبثوا اي في الدنيا
وفي القبور الا عشية اي من الزوال الى غروب الشمس
او ضحاها اي ضحى عشية من العشا وهو من البكرة
الى الزوال والاضافة تحصل بالادنى ملابسة

وهي ههنا كونها من نهار واحد فالمراد ساعة من
نهار من اوله او اخره لم يستكملوا نهارا تاما ولم يجمعو
بين طرفيه وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم
ما الدنيا في الاخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه في اليم
فلينظر بما يرجع فان قيل هل قال الا عشية او ضحى
ما فايدة الاضافة فاجيب بان ذلك للدلالة على
ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة
من عشية او ضحاها فلما ترك اليوم اضافة الى
عشية فهو كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من
نهار وحسن الاضافة وقوع الكلمة فاصلة
تنبيه قرئ حديث موسى طوى طغى تزكى
فتخشى وعصى يسعى فنادى الاعلى والاولى
ضحيها يسعى طغى الدنيا الماوى عن الهوى الماوى
حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش وابو عمرو
بين اللفظين والباقون بالفتح في الجميع وقول
البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من قرا سورة والنازعات كان ممن
حبسه الله تعالى في القبر والقيامة حتى يدخل
الجنة قدر صلاة المكتوبة حديث موضوع

سورة عبس مكية

وهي اثنان واربعون اية وماية وثلاثون كلمة
وثلثماية وثلاثون حرفا بسم الله الواحد القهار
الرحمن الذي عم بانعامه الابرار والفجار الرحيم

الذي

الذي خص اولياءه برحمته في دار القرار عبس
اي كلح وجه النبي صلى الله عليه وسلم وتولى اي
اعرض بوجهه لاجل ان جاءه الاعمى اي وهو ابن ام
مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمها عاتكة بنت عامر
بن مخزوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن
ربيعة الفهري من بني عامر بن لوي وذلك انه
جاءه وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا
ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب
وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى
الاسلام رجاء ان يسلم اولئك الاشراف تابعهم
فيعلموا كلمة الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تقطعه
لكلامه وعبس واعرض عنه وقال في نفسه
يقول هؤلاء الصناديد انما اتبعه العميان والعبيد
والسفلة فعبس وجهه واعرض عنه واقبل
على القوم الذين يكلمهم فانزل الله تعالى هذه
الايات فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك يكرمه واذا راه قال مرحبا بمن عاتبني
فيه ربي ويبسط له رداءه ويقول له هل لك من
حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين
غزاهما قال انس بن مالك رضي الله عنه فرايته
يوم القادسية راكبا وعليه درع وله راية سودا
وما يدريك اي واي شيء يجعلك داريا بحاله
لعله اي الاعمى يزكى فيه ادغام التاء في الاصل

في الزكاة اي يتطهر من الذنوب بما يسمع منك
وفي ذلك ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره او يذكر
فيه ادغام التاء في الذال اي يتعظ ويسبب عن تزكيته
وتذكره قوله تعالى فتنفعه الذكرى اي العظة
المسموعة منك وقرأ عاصم بنصب العين والباقون
برفعها فهو نسق على قوله تعالى او يذكر ومن
نصب فعلى جواب الترجي وقوله تعالى في غافر
فاطلع الى اله موسى وقال ابن عطية في جواب
التمني لان قوله تعالى او يذكر في حكم قوله تعالى
لعله يزكى واعترض عليه ابو حيان لان هذا ليس
تمنيا وانما هو ترج واجيب عنه بانه انما يريد
التمني المفهوم وقرأ الذكرى ابو عمرو وحمزة
والكسائي بالامالة محضة وورش بين اللفظين
والباقون بالفتح وقيل الضمير في لعله للكافر
يعني انك طمعت في ان يزكى بالاسلام او يذكر
فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما
طمعت فيه كائن اما من استغنى اي بالمال قال
ابن عباس استغنى عن الله وعن الايمان بما له من المال
فانت له اي دون الاعمى تصدى اي تتعرض
بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرأ نافع
وابن كثير بتشديد الصاد بادغام التاء الثانية في
الاصل والباقون بالتخفيف وما اي تفعلت ذلك
والحال انه ما عليك اي وليس عليك باس

ان لا يزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه
ان عليك الا البلاغ واما من جاءك حال كونه يسعى
اي يسرع في طلب الخير وهو ابن ام مكتوم وهو اي
والحال انه يخشى اي الله او الكفار في اذاهم على
الاتيان اليك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى
الكبوة وقرأ قالون وابو عمرو والسوسي بسكون الهاء
والباقون بضمها فانت عنه تلهى فيه حذف التاء
الحرفية في الاصل اي تتشاغل وقرأ وتولى الاعمى
يزكى من استغنى تصدى تزكى يسعى يخشى تلهى
حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش وابو
عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون
بالفتح وقوله تعالى كلا ردع عن المعاتب عليه
وعن معاودة فان قيل ما فعله ابن ام مكتوم
كان يستحق عليه التأديب والزجر فكيف عاتبه
الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم اجيب
بان تأديبه لا بد وان كان اعمى فقد سمع مخاطبته
صلى الله عليه وسلم لاولئك الكفار وكان
بسماعه يعرف شدة اهتمام النبي صلى الله عليه
وسلم بشأنهم فكان اقدامه عليه قطع كلام صلى
الله عليه وسلم بشأنهم فكان اقدامه على قطع كلامه
لغرض نفسه قبل تمام الكلام النبي صلى الله عليه وسلم
معصية عظيمة واجيب فان الله لم يقدم على ايذائهم
وكان قد اسلم ويتعلم ما يحتاج من امر الدين

وأما أولئك الكفار فلم يكونوا أسلموا وكان الإسلام منهم
سببا لإسلام غيرهم فكان كلام ابن أم مكتوم كالسبب
في قطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم
والثاني أن الله تعالى ذم الذين ينادونه من وراء
الحجرات لذاتهم فهذا النداء هو الصارف للكفار
عن الإيمان أولى أن يكون ذنبا والثالث جمع هذا
الا عتبا كيف لحق الأعمى والثاني فالنبي صلى
الله عليه وسلم لما أراد يؤدب أصحابه بما يراه مصلحة
والتنفير من ذلك الا لقيل أجيب بأنه ما فعله
ابن أم مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالما
بأن النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره وأنه
يرجو إسلامهم ولكنه لم يعلم بذلك والثاني أنه
سبحانه وتعالى إنما عاتبه على ذلك حتى لا ينكسر
قلوب الضعفاء وليعلم أن المؤمن الفقير خير من
الغني الكافر وقال ابن زيد إنما عبس النبي صلى
الله عليه وسلم لابن أم مكتوم وأعرض عنه لأنه أشار
إلى الذي كان يقوده أن يكفه فدفعه ابن أم مكتوم
وأبى إلا أن يتكلم مع النبي صلى الله عليه وسلم
فكان في هذا نوع جفاء منه ومع هذا نزل في حق
ذلك وأما ذكره بلفظ الأعمى فليس للتحقير بل
كأن بسبب عماه يستحق أن يزيده تعطفا وترفقا
وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب الناس بأدب الله
تعالى في هذا تأدبا حسنا فقد روي عن سفيان

الثوري أن الفقراء كانوا في مجلسه أمراء وأما كونه صلى
الله عليه وسلم كان مأذونا له في تأديب أصحابه
فلأن تأديبهم ربما يوهم ترجيح تقديم الأغنياء على
الفقراء فلهذا السبب عوتب قال الحسن لما نزل جبريل
عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه
الآيات عاد وجهه كأنما سف فيه عنه أي لم يفعل
مثل ذلك وقد بينا أن ذلك محمول على ترك الأولى
ثم قال الله تعالى **إنها** أي هذه السورة وقال مقاتل
آيات القرآن وإنه لتأنيث خبره وهو قوله تعالى
تذكرة أي عظة للخلق يجب أن يتعظ بها ويعمل
بموجبها **فمن شاء ذكره** أي كان حافظا له غير
ناس وذكر الضمير لأن التذكرة في معنى الذكر والوعظ
ثم إن الله تعالى أخبر عن جلالة ذلك فقال
سبحانه **في صحف** أي منتسخة من اللوح المحفوظ
وقيل من كتب الأنبياء عليهم السلام ودليله قوله
تعالى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم
وموسى **مكرمة** أي عند الله تعالى **مرفوعة** أي في
السماء السابعة أو مرفوعة المقدار **مطهرة** أي
منزهة عن أيدي الشياطين لا يمسها إلا أيدي ملائكة
كرام مطهرين كما قال تعالى **بأيدي سفرة** أي كتبة
ينسخونها من اللوح المحفوظ وهم الملائكة الكرام
الكاتبون واحدهم سافر يقال سفرت أي كتبت
ومنه قيل للكتاب سفر وهو الرسول وسفير القوم

هو الذي يسعى بينهم بالصلح و سفرت بين القوم
اذا اصلحت بينهم ثم اثنى تعالى عليهم بقوله
سبحانه كرام اي على الله تعالى وروى الضحاك
عن ابن عباس في كرام قال مكرمون اي يكونون
مع ابن ادم اذا اخلى بزوجته او تبرز لغائطه
وقيل يوثرون منافع انفسهم وقوله تعالى
بررة جمع بار كساحر وسحرة وفاجر وفجرة والبار
هو الصادق المطيع ومنه بر فلان في يمينه
اي صدق وفلان يبر خالقه اي يطيعه فمعنى بررة
مطيعين صادقين لله تعالى في اعمالهم ولما
ذكر تعالى ترفع صناديد قريش على فقراء المسلمين
عجب عباده المومنين من ذلك فقال سبحانه
قتل الانسان اي لعن الكافر وقوله تعالى ما اكفره
استفهام توبيخ اي ما اشد تغطيته للحق وجحده
له وعناده فيه لانكاره البعث واشراكه بربه
وغير ذلك مما حمله على الكفر وقوله تعالى من
اي شيء خلقه اي اوجده مقدارا على ما هو عليه
من التخلط من نطفة اي علقة ثم مضغة
الى اخر خلقه فكانه قال اي سبب في هذا الترفع
مع ان اوله نطفة مذرة واخره جيفة قذرة وهو
بين الوقتين حامل عذرة فان خلقة الانسان
تصلح ان يستدل بها على وجود الصانع لانه يستدل
بها على القول بالبعث ولكن قيل نزلت في عتبة

بن

بن ابي لهب والظاهر العموم فان قيل الدعاء على الانسان
انما يليق بالعاجز فالقادر على كل شيء كيف يليق به
ذلك اجيب بان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب
لبيان استحقاقهم لاعظم العقاب بحيث اتوا باعظم
القبائح كقولهم اذا تعجبوا من شيء قاتله الله ما
احسنه واخزاه الله ما اظلمه والمعنى اعجبوا من
كفر الانسان بجميع ما ذكرنا بعد هذا وقيل الاستفهام
استفهام تحقير له فذكر اول مراتبه وهو قوله تعالى
من نطفة خلقه ولا شك ان النطفة شيء حقير
مهان ومن كان اصله كذلك كيف يتكبر وقوله
تعالى فقدره اي اطوارا وقيل سواه كقوله تعالى ثم
سواك رجلا او قدر كل عضو في الكيفية والكمية
بالقدر اللائق لمصلحته كقوله تعالى وخلق كل
شيء فقدره تقديرا ثم ذكر المرتبة الوسطى بقوله
تعالى ثم بعد انتهاء المدة السبيل اي طريق
خروجه من بطن امه يسره اي سهل له امره
في خروجه بان فتح له الرحم والهمه الخروج منه
ولا شك ان خروجه من اضيق المسالك من اعجب
العجائب يقال انه كان راسه في بطن امه من فوق
ورجليه من تحت فاذا جاء وقت الخروج انقلب
فمن الذي اعطاه ذلك الا الهام المراد منه قوله
تعالى وهديناه النجدين اي التمييز بين الخير
والشر وطلب عن ابن عباس رضي الله عنهما

قال سبيل الشقاوة والسعادة وقال ابن زيد سبيل
الاسلام قال ابو بكر بن طاهر يسر على كل احد ما خلقه
له وقدر عليه لقوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما
خلق له ثم ذكر مرتبة الحيرة بقوله تعالى ثم اماته
واشار الى ايجاب المبادرة بالتجهيز بالفاء المعقبة في
قوله تعالى فاقبره اي جعله في قبر يستره اكراما
له ولم يجعله ممن يلقى على وجه الارض تاكله
الطير وغيره ثم اذا شاء انشره اي احياه بعد موته
للبعث ومفعول شاء محذوف اي شاء انشاره وانشره
جواب اذا وقرا قالون وابو عمرو والبزي باسقاط
الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل الثانية ورش
وقنبل وابدلها ايضا الفا والباقون بتحقيقهما وقوله
تعالى كلا ردع للانسان عما هو عليه وقيل معناها
حقا فالاول الزمخشري وتبعه البيضاوي وقال
الثاني الجلال المحلي لما يقض يفعل ما امره به
ربه من الايمان وترك التكبر وقيل لم يوف بالميثاق
الذي اخذ عليه في صلب ادم عليه السلام وقيل
المعنى ان ذلك الانسان الكافر لم يقض ما امره به
من التامل في دلائل الله تعالى من ذلك على جميع
الاسباب بقوله تعالى فلينظر الانسان اي يوقع
النظر التام بكل شيء يقدر على النظر به من بصره
وبصيرته الى طعامه اي الذي هو قوام حياته
كيف هيأنا له اسباب المعاش ليستعد بها للمعاد وقال

الحسن

وقال الحسن ومجاهد فلينظر الى طعامه الى مدخله
ومخرجه وروي عن الضحاك انه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا ضحاك ما طعامك
قلت يا رسول الله اللحم واللبن قال ثم يصير الى ماذا
قلت الى ما قد علمت قال فان الله تعالى ضرب ما يخرج
من ابن ادم مثلا للدنيا وروي عن ابن عمر رضي
الله عنهما ان الرجل يدخل الخلاء فينظر ما يخرج منه
فيأتيه الملك فيقول انظر الى ما بخلت به الى
ما صار وقرأ انا صببنا اي بما لنا من العظمة الماء
عاصم وحمزة والكسائي بفتح الهمزة على انه بدل
اشتمال بمعنى ان صبنا الماء سبب في اخراج الطعام
فهو مشتمل عليه بهذا التقدير او انه على تقدير
لام العلة اي فلينظر لانا ثم حذف الخافض وقال
البغوي انا بالفتح على تكرير الخافض مجازه فلينظر
الى انا وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف تقدير
النعمة عليه وقوله تعالى صبا تاكيدا والمراد
بالماء المطر ولما كان الانسان محتاجا الى جميع
ما في الوجود ولو نقص منه شيء اختل امره وبدأ
ولا بالسماوي لانه اشرف وبالماء الذي هو كالاثر
بالنسبة الى السماء فقال تعالى ثم اي بعد مهلة
من انزال الماء شققنا اي بما لنا من العظمة الارض
اي بالنبات الذي هو في غاية الضعف عن شق
اضعف الاشياء فكيف بالارض اليابسة وقوله تعالى

شقا تأكيد ثم تسبب عن الشق ما هو كالتفسير
له فقال تعالى فأنبتنا أي بما لنا من القدرة التامة
فيها أي بسبب الشق حبا أي قمحا وشعيرا وسلتا
وسائر ما يحصد ويدخر وقدم ذلك لأنه كالأصل
في التغذية وعنبا وذكره بعد الحب لأنه غذاء من وجه
وفاكهة من وجه وقضبا قال ابن عباس رضي الله قضبا
عنهما هو الرطب لأنه يقضب من النخل أي يقطع
ورجحه بعضهم لذكره بعد العنب لأنهما يتقارنان
كثيرا وقيل القت الرطب وقيل كل ما يقضب من
البقول لبني آدم وقيل هو الرطبة والقضاب أرضه
سمي بمصدر قضبه إذا قطعه لأنه يقضب مرة
وقيل القضب العلف للدواب وزيتونا وهو
ما يعصر منه الزيت يكون فيه حرافة وعفاصة
فيه إصلاح المزاج وقوله تعالى ونخلا جمع نخلة
وكل من هذه الأشجار مخالف للآخر في الشكل
والحمل وغير ذلك من الموافقة في الأرض والسقي
وقوله تعالى وحدائق غلبا جمع أغلب وغلباء كحمر
في أحمر وحمراء أي بساتين كثيرة الأشجار والأصل
في الوصف بالغلب الرقاب يقال رجل أغلب وامرأة
غلباء غليظة الرقبة فاستعير قال عمرو بن معديكرب
يمشي بها غلب الرجال كأنهم بزل كسين من الكحيل جلالا
وقال مجاهد ومقاتل الغلب الملتفة الشجر بعضه في
بعض وقال ابن عباس رضي الله عنهما الطوال

وقيل

وقيل غلاظ الأشجار وفاكهة وهي ما أكله الناس
من ثمار الأشجار كالتين والخوخ قال البغوي في منهاجه
ويدخل في الفاكهة رطبه وعنب ورمان وأترج ورطب
ويابس كالتمر والزبيب قال قلت والليمون والنبق
والبطيخ ولب فستق وبندق وغيرها في الأصح
وأبا وهو ما يأكله الدواب لأنه يؤب أي يؤم
وينتجع إليه وقال عكرمة الفاكهة ما يأكله الناس
والأب ما تأكله الدواب وقيل التين وعن أبي بكر
الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الأب فقال
أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت في كتابه
تعالى ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه
أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا عرفناه فما الأب
ثم رفض عصا كانت بيده ثم قال هذا لعمر الله
التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأب
ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما
لا فدعوه فإن قيل هذا يشبه النهي عن تتبع معاني
القرآن والبحث عن مشكلاته أجيب
بأنه لم يذهب إلى ذلك ولكن القوم كانت أكبر همتهم
عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من
العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فأراد أن الآية مسوقة
عندهم في الامتنان على الإنسان بطعمه واستدعاء
شكره وقد علم من فحوى الآية أن الأب بعض ما أنبته الله
للإنسان متاعا له أو لأنعامه فعليك بما هو أهم

من الشهوة بالشكر لله تعالى على ما بينه لكنه ولم
يشكل بما عدد من نعمه ولا تشاغل عنه بطلب معنى
الاب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له
واكتفى بالمعرفة الجملية انه نبات ينبت لكنه من سكان له
الارض متاعا اي تمتيعا او تمتعا كما تقدم في السورة
قبلها لكم اي الفاكهة ولانعامكم وتقدم ايضا في السورة
التي قبلها معرفة الانعام والحكمة في الاختصار
عليها ولما ذكر تعالى هذه الاشياء وكان المقصود
منها ثلاثة اولها الدلائل الدالة على التوحيد
وثانيها الدلائل الدالة على القدرة والمعاد وثالثها
ان هذا الاله الذي احسن الى عبيده بهذه
الانواع العظيمة من الاحسان لا يليق بالعاقل
ان يتمرد على طاعته وان يتكبر على عبيده ثم اتبع
ذلك بما يكون كالمؤكد لهذه الاغراض وهو
شرح احوال القيامة فان الانسان اذا سمعها
خاف فيدعوه ذلك الخوف الى التامل في
الدلائل والايمان بها والاعراض عن الكفر ويدعوه
ايضا الى ترك التكبر على الناس والى اظهار
التواضع فقال تعالى فاذا جاءت اي كانت ووجدت
لان كل ما هو كاين كانه لا تنفك رحا البتة الصاخة
اي صيحة القيامة وهي النفخة الثانية التي
تصخ الاذان اي تصمها لشدة وقعها ماخوذة
من صخه بالحجر اي صكه به وقال الزمخشري صخ

لحديثه مثل اصاخ فوصفت النفخة بالصاخة مجازا
لان الناس يصخون لها وقال ابن العربي الصاخة
التي تورث الصمم وانها لمسمعة وهذا من بديع
الفصاحة كقوله

اصمني سرهم ايام فرقتهم * وهل سمعتم بسر يورث الصمما

لاشتغال كل واحد بنفسه وقوله تعالى يوم يفر المرء
بدل من اذا من اخيه وامه وابيه وصاحبته
اي زوجته وبنيه لاشتغاله بما هو مدفوع اليه
ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيئا كقوله تعالى يوم لا يغني
مولى عن مولى شيئا فيفر المرء من هؤلاء الذين
كان يفر اليهم في دار الدنيا ويستجير بهم لكثرة ما
يشغله وبدا بالاخ لانه ادناهم رتبة في الحب الذي
ثم بالام لانها كانت مشاركة له في الالف ويلزم
من حمايتها اكثر مما يلزم للاخ وهو لها الف
وعليها احن وعليها ارق واعطف ثم بالاب
لانه اعظم منها في الالف لانه اقرب في النوع
وللولد عليه من العاطفة ما له من مزيد النفع
اكثر مما قبله ثم بالصاحبة لان الزوجة التي
هي اهل لان تصحب بالفؤاد واعرق
في الوداد وكان الانسان ادب عنها عند الشدائد
ثم بالولد لانه له من المحبة والمعاطفة بالسرور
والمشاورة في الامور ما ليس لغيره ولذلك يضيع
عليه رزقه وعمره فقدم ادناهم مرتبة في الحب

والذي فادناهم على سبيل الترقي والاحوال وجب في ذلك فاله وجب بخلاف ما في السورة سأل فكأنه قيل يفر المرء من اخيه بل من امه بل من ابيه بل من صاحبته بل من بنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان قصرت من برنا والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم عليه السلام ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح ولما ذكر الفرار اتبعه بسببه فقال تعالى لكل امرئ اي وان كان اعظم الناس مروة منهم يومئذ اي اذ تكون هذه الدواهي العظام والشدائد واللام لام شأن اي امر عظيم وقوله تعالى يغنيه حال اي يشغله عن شأن غيره وعن سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال صلى الله عليه وسلم قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه اي يصرفه عن قرابته ومنه يقال اغن عني وجهك اي اصرفه وقال اهل المعاني يغنيه اي ذلك الهم الذي حصل له قد ملأ صدره فلم يبق فيه متسع

لهم

لهم اخر فصار شبيها بالغني في انه ملك شيئا كثيرا ولما ذكر تعالى حال القيامة في الهول بين ان المكلفين على قسمين سعداء واشقياء فوصف سبحانه السعداء بقوله تعالى وجوه يومئذ اي اذ كان ما تقدم من الفرار وغيره مسفرة اي مضيئة متهللة مما اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس رضي الله عنه من قيام الليل لما روي في الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من اثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله تعالى ضاحكة اي مسرورة فرحة قال الكلبي يعني بالفراغ من الحساب مستبشرة اي بما اتاها الله تعالى من الكرامة ثم وصف الشقي بقوله تعالى ووجوه يومئذ اي اذا وجد ما ذكر عليها غبرة اي غبار ترهقها اي تعلوها قترة اي سواد كالدخان ولا يرى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما يرى من وجوه الزنوج اذا اغبرت اولئك اي البعداء البغضاء الذين يصنع بهم هذا هم اي خاصة الكفرة الفجرة اي جمع الكافر والفاجر وهو الكاذب والمفتري على الله تعالى فجمع تعالى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر وقول البيضاوي تبعا للزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر حديث موضوع وكان

وكان من حق البيضاوي أن لا يعبر بقال بل
يعني كالزمخشري أو نحوها ويأتي مثله في نظائره

، سورة التكوير مكية ،

وهي تسع وعشرون آية ومائة وأربع كلمات
وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفا بسم الله الذي
أحاط علمه بالكائنات الرحمن الذي عم جوده سائر
البركات الرحيم الذي خص حزبه بنعيم الجنات
واختلف في معنى قوله تعالى إذا الشمس أي التي
هي أعظم آيات السماء الظاهرة وأوضحها للحس
كورت فقال ابن عباس أظلمت وقال قتادة ذهب
ضوؤها وقال سعيد بن جبير غورت وقال
مجاهد اضمحلت وقال الزجاج لفت كما تلف العمامة
على رأس أكورها كورا وكورتها تكويرا إذا لففتها
وأصل التكوير جمع بعض الشيء إلى بعض فمعناه أن
الشمس يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف فإذا فعل بها
ذلك ذهب ضوؤها قال ابن عباس رضي الله
عنهما يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم
القيامة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضرمها
فتصير نارا وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران
يوم القيامة تنبيه ارتفاع الشمس على
الفاعلية ورافعها فعل مضمر يفسره كورت لأن إذا
تطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط وإذا النجوم

أي كلها كبارها وصغارها انكدرت أي انقضت وتسا
قطت على الأرض قال تعالى وإن الكواكب انتثرت
والأصل في الانكدار الانصباب قال العجاج في
مدحه لعمرو بن معدي كرب ""
أن الكرام ابتدروا الباغ ابتدر " تقضي البازي إذا البازي كسر
أبصر خربان قضاء فانكدر أي فانقض وسقط
والخربان جمع خرب وهو ذكر الحبارى والباغ يستعمل
في الكرم يقال فلان كريم الباغ والمعنى أن الكرام
إذا ابتدروا فعل المكرمات بدرهم عمرو أي أسرع
كانقضاض من البازي وروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما أن النجوم قناديل معلقة بين
السماء والأرض بسلاسل من نور بأيدي الملائكة
عليهم السلام فإذا مات من في السموات ومن في
الأرض تساقطت تلك الكواكب من أيدي الملائكة
لأنه مات من يمسكها وإذا الجبال أي التي هي
في العالم السفلي كالنجوم في العالم العلوي وهي
أصلب ما في الأرض سيرت أي ذهب بها عن
وجه الأرض فصارت هباء منبثا وصارت
الأرض قاعا صفصفا وإذا العشار أي النوق
الحوامل جمع عشراء كالنفوس جمع نفساء وهي التي
أتى عليها في حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها إلى أن
تضع لتمام السنة وهي أنفس ما يكون عند أهلها
روي أنه صلى الله عليه وسلم مر في أصحابه

بعشار من النوق فمضى بحوره فقيل له هذه انفس
اموالنا فلم تنظر اليها فقال قد ألهاني الله عن ذلك
بلبي ولا عمدت عينيك الاية **عطلت** اي تركت
مسيبة مهملة بلا راع وعطلها اهلها عن الحلب
والصر لاشتغالهم بانفسهم او السحاب عطلت
عن المطر والعرب تشبه السحاب بالحوامل والاول
على وجه المثل لان في القيامة لا تكون ناقة
عشرا والمعنى ان يوم القيامة بحال لو كان
للرجل ناقة عشرا لعطلها واشتغل بنفسه **واذا**
الوحوش اي دواب الارض التي لا تانس باحد
التي نظن انها لا عبرة بها ولا التفات اليها فما
ظنك بنبيها **حشرت** اي جمعت بعد البعث
ليقتص بعضها من بعض ثم تصير ترابا قال
قتادة يحشر كل شي حتى الذباب للقصاص وقيل
اذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما
فيه سرور لبني ادم واعجاب بصورته كالطاوس
ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما حشرها
موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس واموالهم
حشرتهم السنة وقرا **واذا البحار** اي على كثرتها
سجرت ابن كثير وابو عمرو بتخفيف الجيم والباقون
بتشديدها قال ابن عباس اوقدت فصارت
نارا تضطرم وقال مجاهد سجرت بعضها
في بعض العذب والملح فصارت البحار كلها بحرا

واحدا

واحدا وقال القشيري يرفع الله تعالى الحاجز الذي
ذكره فاذا رفع ذلك البرزخ تفجرت مياه البحار فعمت
الارض كلها فصارت بحرا واحدا وروى ابو العالية
عن ابي بن كعب قال ست ايات قبل القيامة
بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب الشمس فبيناهم
كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فتحركت واضطربت
وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت
الدواب والطير والوحش وماج بعضهم الى بعض
فذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت اختلطت
واذا البحار سجرت قال الجن للانس نحن ناتيكم
بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تتاجج قال
فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة
واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء
السابعة العليا فبيناهم كذلك اذ جاءتهم الريح فا
ماتتهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال هي
اثنا عشر خصلة ستة في الدنيا وستة في الاخرة
وهي ما ذكر من بعد **واذا النفوس** اي من كل ذي
النفس من الناس وغيرهم **زوجت** اي قرنت
باجسادها وروي ان عمر رضي الله عنه سئل عن
هذه الاية فقال يقرن بين الرجل الصالح في الجنة
ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار
وقال الحسن وقتادة كل امرئ بشيعته اليهود
والنصارى بالنصارى وقال عطاء زوجت نفوس المو

منين

بالحور العين وقرنت نفوس الشياطين بالكافرين
وإذا الموءودة أي الجارية المدفونة حية كانت
الرجل في الجاهلية إذا ولد له بنت فأراد أن
يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى
له الإبل والغنم في البادية وإن أراد قتلها تركها
حتى إذا كانت سداسية فيقول لأمها طيبيها
وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر لها
بئرا في الصحراء فيذهب بها إلى البئر فيقول لها
انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب
حتى تستوي بالأرض وقال ابن عباس رضي
الله عنهما كانت الحامل إذا قربت ولادتها حفرت
حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت
بنتا رمت بها في الحفرة وإن ولدت ذكرا حبسته
وكانوا يفعلون ذلك لخوف العار بهم من أجلهن أو لخوف
من الإملاق كما قال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية
إملاق وكانوا يقولون إن الملائكة بنات الله
وألحقوا البنات بهم فهو أحق بهن وكان صعصعة
بن ناجية ممن منع الوأد ففيه افتخر الفرزدق في قوله
ومنا الذي منع الوائدات وأحيى الوئيد فلم يوأد
سئلت بأي أي بسبب أي ذنب أيها كانوا يقتلون قتلت
أي استحقت به عندكم القتل وهي لم تباشر سوءا
لكونها لم تحصل لوقت التكليف فإن قيل ما معنى
سؤالها عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد

عن

عن موجب قتلها أجيب بأن سؤالها وجوابها تبكيت
لقاتلها نحو التبكيت في قوله لعيسى عليه السلام أأنت
قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال
سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق وروي
أن قيس بن عاصم جاء إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله إني وأدت ثمان بنات
كن لي في الجاهلية فقال له صلى الله عليه وسلم أعتق
عن كل واحدة منهن رقبة قال يا رسول الله إني
صاحب إبل فقال له صلى الله عليه وسلم أهد عن
كل واحدة منهن بدنة إن شئت وروي أنه صلى الله
عليه وسلم قال إن المرأة التي تقتل ولدها تأتي
يوم القيامة متعلقا ولدها بيدها ملطخا بدمائه
فيقول يا رب هذه أمي وهذه قتلتني وإذا
الصحف نشرت أي فتحت بعد أن كانت مطوية
والمراد صحف الأعمال التي كتبت الملائكة فيها أعمال
العباد من خير وشر تطوى بالموت وتنشر في القيامة
فيقف كل إنسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول
ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها
وروي عن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا قرأها قال
إليك يساق الأمر يا ابن آدم وروي أنه صلى
الله عليه وسلم قال يحشر الناس حفاة عراة فقالت
أم سلمة قالت وما يشغلهم قال نشر الصحف فيها
مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقرأ نافع وابن عامر

وعاصم بتخفيف الشين والباقون بتشديدها على
تكثير التسعير للمبالغة في تعذيب العاصين وتبشير المطيع
وقيل لتكثير لكل من الانسان وإذا السماء أي هذا
الجنس كل أفراده لأنه يعلم بالقدرة على بعض القدرة
على الباقي كشطت أي نزعت عن أماكنها كما
ينزع الجلد عن الشاة والغطاء عن الشيء قال
القرطبي يقال كشطت البعير كشطا نزعت جلده ولا
يقال سلخته لأن العرب لا تقول في البعير إلا كشطه
أو جلدته والمعنى أن تلف عما فوقها وقال القرطبي
طويت وإذا الجحيم أي النار الشديدة التأجج سعرت
أي أججت فأحضرت للكفار وزيد في إحمائها يقال
سعرت النار وأسعرتها روي أنه صلى الله عليه
وسلم قال أوقد على النار ألف سنة حتى
احمرت ثم أوقدت عليها ألف سنة حتى اسودت
فهي سوداء مظلمة واحتج بهذه الآية من قال
النار مخلوقة الآن لأنه يدل على أن سعيرها معلق
بيوم القيامة وقرأ نافع وابن ذكوان وعاصم
بتشديد العين والباقون بتخفيفها وإذا الجنة
أي البستان ذات الأشجار الملتفة والرياض
المحيطة أزلفت أي قربت لأهلها ليدخلوها وقال
الحسن إنهم يقربون منها لأنها تزول عن موضعها
وقال عبد الله بن زيد بن ثابت والزلفى في كلام
العرب القربة وقوله تعالى علمت نفس جواب

إذا أول السورة وما عطف عليها أي علمت نفس من
النفوس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة فالتنكير
فيه مثله في تمرة من جرادة ودلالة هذا السياق
للتهويل على ذلك يوجب التعميم فيه ما أي كل الذي
أحضرت من خير وشر روي عن ابن عباس
وعمر رضي الله عنهما أنهما قرآها فلما بلغا علمت نفس
ما أحضرت قالا لهذا أجريت القصة قال
الرازي ومعلوم أن العمل لا يمكن إحضاره فالمراد
إذن ما أحضرته في صحائفها أو ما أحضرته عند
المحاسبة وعند الميزان من آثار تلك الأعمال
وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن قارئا قرأها
عنده فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال
وانقطاع ظهراه فلا أقسم لا مزيدة أي أقسم بالخنس
الجوار الكنس هي النجوم الخمسة زحل والمشتري
والمريخ والزهرة وعطارد تخنس بضم النون
أي ترجع في مجراها وراءها بينا ترى النجم في آخر
البرج إذ كر راجعا إلى أوله وتكنس بكسر النون
تدخل في كناسها أي تغيب في المواضع التي
تغيب فيها فخنوسها رجوعها وكنوسها استتار ها
تحت ضوء الشمس وقيل جميع الكواكب تخنس
بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أي
تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها والليل أي هو
محل ظهور النجوم وزوال خنوسها وذهاب

كنوسها اذا عسعس قال المفسرون قال الحسن اقبل
بظلامه وقال آخرون ادبر ولم يبق منه الا قليل
والصبح اذا تنفس اي امتد حتى يصير نهارا بينا
يقال للنهار اذا زاد تنفس ومعنى التنفس خروج
النسيم اي اقباله روح ونسيم فجعل ذلك تنفسا
له على المجاز فقيل تنفس الصبح الثاني انه شبه
الليل المظلم المجان فقيل تنفس الصبح الثاني بالمكروب
المحزون الذي جلس بحيث لا يتحرك فاذا تنفس
وجد راحة فههنا لما طلع الصبح فكانه تخلص
من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس وقوله
تعالى انه اي القرآن لقول رسول كريم وهو
المقسم عليه والمعنى انه لقول رسول عند الله
تعالى كريم على الله تعالى اي انتفت عنه
وجوه المذام كلها وثبتت له وجوه المحامد كلها
وهو جبريل عليه السلام واضاف الكلام اليه لانه
قاله عن الله عز وجل ذي قوة اي شديد القوى
روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال من قوته قلعه مدائن قوم لوط بقوادم
جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وابصر ابليس
يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب
الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة القاه الى
اقصى جبل بالهند وصاح صيحة بثمود فا
صبحوا جاثمين ويهبط من السماء الى الارض ويصعد

في

في اسرع من الطرف عند ذي العرش اي المالك
الاعلى المحيط عرشه بجميع الاكوان الذي لا عند
في الحقيقة الا له وهو الله سبحانه وتعالى مكين
اي ذي مكانة تتمخض به عند ذي منزلة ومكانة
ليست عندية جهة بل عندية اكرام وتشريف كقوله
تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم وقيل قرب في ادا
طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها مطاع ثم
اي في السموات قال الحسن فرض الله تعالى
على اهل السموات طاعة جبريل عليه السلام
كما فرض على اهل الارض طاعة محمد صلى الله
عليه وسلم قال جبريل لرضوان خازن الجنان
افتح له ففتح فدخلها فراى ما فيها امين اي
بتبليغ الامانة على الوحي الذي مطاع اي
يطيعه من طاعة الله تعالى وما صاحبكم اي الذي
طالت صحبته لكم وانتم تعلمون انه في غاية
الكمال حتى انه ليس له وصف عندكم الا الامين
وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا عطف على
انه لجواب القسم عليه ما عرف في النفي فقال
بمجنون اي كما زعمتم في قوله بل جاء بالحق وصدق
المرسلين فالقران الذي يتلوه عليكم قول مجنون
ولا قول متوسط في العقل بل قول اعقل العقلاء
واكمل الكمل تنبيه استدل بذلك بعضهم على
فضل جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه

وسلم حيث عد فضايل جبريل عليه السلام وامتن
على نفي تكذيبهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
وهو كما قال البيضاوي ضعيف ان المقصود منه نفي
قولهم انما يعلمه بشر وقولهم افترى على الله كذبا
وقولهم ام به جنة لا تعداد فضيلة والموازنة
بينهما **ولقد رآه** اي راى رسول الله صلى الله عليه
وسلم جبريل عليه السلام على صورته التي
خلق عليها وله ستمائة جناح **بالافق المبين** اي
البين وهو الافق الاعلى الذي هو عند سدرة
المنتهى حيث لا يكون لبس اصلا ولا يكون
للشيطان على ذلك المكان سبيل فيزاحمه المرتبة
وقال مجاهد وقتادة بالافق الاعلى من ناحية
المشرق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام اني
احب ان اراك على صورتك التي تكون فيها
في السماء قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال
فاين تشاء ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا
يسعني قال فبمنى قال لا يسعني قال فبعرفات
قال ذلك بالحرى ان يسعني فواعده فخرج النبي
صلى الله عليه وسلم للوقت فاذا هو بجبريل قد
اقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ
ما بين المشرق والمغرب وراسه في السماء ورجلاه
في الارض فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم خر
مغشيا

مغشيا عليه قال فتحول جبريل في صورته فضمه
الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رايت اسرافيل
وراسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة
وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل احيانا من
مخافة الله تعالى حتى يصير مثل الوصع يعني
العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته وقيل
ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل
بالافق المبين وهو قول ابن مسعود وقد مر ذلك
في سورة النجم **وما** اي وسمعه وراه وكلا انه ما
هو اي محمد صلى الله عليه وسلم **على الغيب** اي ما
غاب من الوحي وخبر السماء ورؤية جبريل وغير
ذلك مما اخبر به وقرا **بظنين** ابن كثير وابو
عمرو والكسائي بالظاء المشالة من الظنة وهي
التهمة اي فليس بمتهم والباقون بالضاد موافقة
للرسوم من الظنة الضن وهو البخل اي فليس ببخيل
بالوحي فيزوي بعضه او يبدل تعليمه فلا يبلغه
كما يكتم الكاهن ما عنده حتى ياخذ عليه حلوانا
وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف
ابي بالضاد وكان صلى الله عليه وسلم يقرا بهما
قال الن محرربه انما ف الفصل بين الضاد
والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه
للقارئ فان اكثر اهل العجم لا يفرقون بين الحـ
رفين واذا فرقوا فرقا غير صواب وبينهما بون

النجم

بعيد فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان وما
يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره
وكان عمر بن الخطاب اضبط يعمل بكلتا يديه وكان
يخرج الضاد من جانبي لسانه وهي احد الاحرف
الشجرية اخت الجيم والشين واما الظا فمخرجها
من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وهي
احدى الحروف الذولقية اخت الذال والثاء ولو
استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان
اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم
والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب
فان قلت فان وضع المصلي احد الحرفين مكان
صاحبه قلت هو كوضع الذال مكان الجيم والثاء
مكان الشين لان التفاوت بين الضاد والظاء
كالتفاوت بين اخواتهما انتهى كلامه بحروفه
وما هو اي القرآن الذي من جملته مخبراته الاخبار
بالمغيبات واعرق في النفي بالتأكيد بالباء فقال
تعالى بقول شيطان اي مسترق السمع فيوحيه
اليه كما يوحيه الى بعض الكهنة رجيم اي مرجوم
مطرود مبعود عن الرحمة وذلك ان قريشا
كانوا يقولون ان هذا القرآن يجيء به شيطان
فيلقيه على لسانه يريدون الشيطان الابيض
الذي كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم
في صورة جبريل يريد ان يفتنه فنفى الله تعالى

ذلك

ذلك عنه قوله تعالى فاين منصوب بقوله تعالى
تذهبون وانه ظرف مبهم وقال ابو البقاء اي الى
اين فحذف الجار اي فاي طريق تسلكون من امر
النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن كقولك لتاركه
الجادة اين تذهب ان اي ما هو اي القرآن
الذي اتاكم به الا ذكر اي عظة وشرف للعالمين
من الانس والملك وقوله تعالى لمن شاء منكم بدل
من العالمين باعادة الجار ان يستقيم باتباع
الحق قال ابو جهل الامر الينا ان شئنا استقمنا
وان شئنا لم نستقم وهذا هو القدر وهو راس
القدرية فنزل وما تشاؤون الاستقامة على
الحق الا ان يشاء الله اي الا وقت ان يشاء الملك
الاعظم الذي بيده كل شيء منكم الاستقامة
عليه رب العالمين اي مالك الخلق وفي هذا
اعلام ان احدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى
ولا شرا الا بخذلانه وتقدم الكلام في اول السورة
باسناده الى ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى
الله عليه وسلم قال من احب ان ينظر الي يوم القيامة
فليقرأ اذا الشمس كورت واما قول البيضاوي تبعا
للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من
قرأ سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين
تنشر صحيفته فحديث موضوع

سورة الانفطار مكية

وهي تسع عشرة آية وثمانون كلمة وثلثمائة
وسبعة وعشرون حرفا بسم الله أي الذي خلق
كل شيء فقدره تقديرا الرحمن الذي دبر الكائنات
تدبيرا الرحيم الذي أرسل رسوله للخلق نذيرا
إذا السماء أي على شدة إحكامها واتساعها وارتفاعها
انشقت أي انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى
ويوم تشقق السماء بالغمام وإذا الكواكب أي النجوم
الصغار والكبار كلها غير الزاهرة الموقدة توقد
النار المرصعة ترصيع المسامير انتثرت أي
تساقطت متفرقة لأن عند انتقاض تركيب
السماء تنتثر النجوم على الأرض وإذا البحار أي
المتفرقة في الأرض وهي منا بعظم لها ثم ضبط
لنفع العباد على كثرتها فجرت أي فتح بعضها
في بعض فاختلط العذب بالملح وزال البرزخ
الذي بينهما فصارت البحار بحرا واحدا وروي
أن الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية
وهو معنى التسجير عند الحسن في قوله تعالى وإذا
البحار سجرت وقال هنا فجرت نعت وإذا القبور
أي مع ذلك كله بعثرت أي قلبت ترابها
بعثره وبحثره بالعين ولكنا قال الزمخشري وهما
مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة إليهما
فهما بمعنى والمعنى قلب أعلاها أسفلها وقلب
باطنها ظاهرها وخروج ما فيها من الموتى أحياء

وقيل

وقيل التبعثر إخراج ما في بطنها من الذهب والفضة
ثم يخرج الموتى بعد وجوابه إذا أول السورة وما
عطف عليه علمت نفس أي كل نفس وقت هذه
المذكورات وهو يوم القيامة ما قدمت من عمل
وأخرت أي جميع ما عملت من خير أو شر أو غيرهما
فإن قيل أي وقت من القيامة يحصل هذا العلم
قال الرازي أما العلم الإجمالي فيحصل في أول
زمان الحشر لأن المطيع يرى آثار السعادة والعاصي
يرى آثار الشقاوة في أول الأمر وأما العلم التفصيلي
فإنما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة وقوله تعالى
يا أيها الإنسان أي البشر الإنسي بنفسه الناسي
لما يعنيه خطاب لمنكري البعث وروى عطاء عن
ابن عباس أنها نزلت في الوليد بن المغيرة وقال
الكلبي ومقاتل نزلت في أبي الأشدين ضرب
النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله تعالى أول
مرة وقيل يتناول جميع العصاة لأن الاعتبار بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب ما غرك بربك أي
ما خدعك وسول لك الباطل حتى تركت
ما أوجب عليك المحسن إليك وأتيت بالمحرمات
الكريم أي الذي له الكمال كله المقتضي لأن لا يهمل
على الظالم ولا يسوي بين المحسن والمسيء هذا
إذا حملنا الإنسان على جميع العصاة فإن حملناه
على الكافر فهو ظاهر لأن المعنى ما الذي دعاك

الى الكرم والكار للحشر والنشور فان قيل كونه كريما
يقتضي ان يغتر الانسان بكرمه لانه جواد مطلق
والجواد الكريم يستوي عنده طاعة المطيع وعصيان
المذنب وهذا يوجب الاغترار كما يروى عن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه انه صاح بغلام
له مرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال
له لم لا تجيبني فقال لثقتي بحلمك وامني
عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا
ايضا من كرم ساء ادب غلمانه واذا ثبت ان كرمه
يقتضي الاغترار فكيف جعله هاهنا مانعا
من الاغترار اجيب بان حق الانسان ان لا
يغتر بتكرم الله تعالى عليه حيث خلقه حيا وتفضل
عليه فهو من كرمه لا يعاجل بالعقوبة بسطا في
مدة التوبة وتاخير الجزا الى ان يجمع الناس
للجزا فالحاصل ان تاخير العقوبة لاجل الكرم وذلك
لا يقتضي الاغترار بهذا التفضيل فانه منكر
خارج عن حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر غره
حمقه وجهله وقال الحسن غره حمقه والله
شيطانه الخبيث الذي زين له المعاصي وقال له
افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك
بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك اخرا حتى
ورطه وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك الله

يوم

يوم القيامة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول
له قال اقول غرني ستورك المرخاة وهذا على سبيل
الاعتراف بالخطا في الاغترار بالخطا في الا بالستر
وليس باعتذار كما يظنه المطاع ويظن به قصاص
الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم
دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول
غرني كرم الكريم وقال مقاتل غره عفو الله حين
لم يعاقبه اول مرة وقال السدي غره رفق الله تعالى
به وقال قتادة سبب غرور ابن ادم تسويل الشيطان
وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو
الله تعالى به يوم القيامة فيقول ما غرك بي
يا ابن ادم ماذا عملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا
اجبت المرسلين الذي خلقك اي اوجدك من
العدم مهيا بتقدير الاعضا فسواك عقب تلك
الاطوار بتصوير الاعضا والمنافع بالفعل فعدلك
اي جعل كل شي من ذلك سليما مودعا قوة المنافع
التي خلقها الله تعالى لها تنبيه قوله تعالى
الذي يحتمل الاتباع على البدل والبيان والنعت
والقطع الى الرفع والنصب واعلم انه سبحانه
وتعالى لما وصف نفسه بالكريم ذكر هنا الامور
الثلاثة كالدلالة على تحقيق ذلك الكرم فقال
سبحانه الذي خلقك اي بعد ان لم تكن لا شك
انه كريم لانه وجد الوجود وخير من العدم والحياة

خير من الموت كما قال تعالى كيف تكفرون بالله
وكنتم امواتا فاحياكم وقوله تعالى فسواك اي جعلك
مستوي الخلقة سالم الاعضا غاية في الكرم كما قال
تعالى اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة
ثم سواك رجلا اي معتدل الخلق والاعضا وقال
ن والنوت المصري اي سخر لك المكونات اجمع
وما جعلك مسخرا لشي منها ثم انطق لسانك
بالذكر وقلبك بالعقل وروحك بالمعرفة ومدك بالا
بيات وسرك بالامر والنهي وفضلك علي
كثير ممن خلق تفضيلا وقرا عاصم وحمزة والكسائي
بتخفيف الدال والباقون بالتشديد بمعنى
جعلك متناسب الاطراف فلم يجعل احدي
يديك او رجليك اطول ولا احدي عينيك اوسع
فهو من التعديل وهو كقوله تعالى بلي قادرين علي
ان نسوي بنانه وقال عطا عن ابن عباس جعلك
قائما معتدلا لاحسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية
وقال ابو علي الفارسي عدلك خلقك في احسن
تقويم مستويا علي جميع الحيوان والنبات وواصلا
في الكمال الي ما لم يصل اليه شي من اجسام هذا
العالم واما قراة التخفيف فتحتمل هذا اي عدل
بعض اعضائك ببعض وتحتمل ان يكون من العدول
اي صرفك الي ما شئت من الهيئات والاشكال
ونقل القفال عن بعضهم انهما لغتان بمعنى واحد

في

في اي صورة اي من الصور التي تعرفها والتي
لا تعرفها من الدواب والطيور وغير ذلك من
الحيوانات وغيره وما في قوله تعالى ما مزيدة
شاء متعلق بركبك في قوله تعالى ركبك اي
ركبك فيها اي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته
من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول
والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض
الاقارب وخلاف الشبه فان قيل هلا عطفت
هذه الجملة كما عطف ما قبلها اجيب بانها
بيان لعدلك ويجوز ان تتعلق بمحذوف اي
ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله النصب
علي الحال ان علق بمحذوف ويجوز ان يتعلق
بعدلك ويكون في اي معنى التعجب اي فعدلك
في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك من التركيب
يعني تركيبا حسنا وقوله تعالى كلا ردع عن
الاغترار بكرم الله تعالى والتلطف به وهو موجب
الشكر والطاعة اي عكسها الذي هو الكفر والمعصية
وقوله تعالى بل تكذبون اي يا كفار مكة بالدين
اضراب الي ما هو السبب الاصلي في اغترارهم
والمراد بالدين الجزا علي الاعمال والاسلام وان
اي والحال ان عليكم اي من اعمالكم من جنودنا
من الملائكة لحافظين اي علي اعمالكم بحيث لا يخفى
عليهم شي منها جليل ولا حقير كراما اي علي

الله تعالى كاتبين اي لهذه الاعمال لا تكتب السهو
منكم العهود وينفع الجزاء على غاية التحريم تنبيه
هذا الخطاب وان كان خطاب مشافهة لان
الامة اجمعت على عموم هذا الخطاب في حق المكلفين
وقوله تعالى حافظين جمع حافظ يحتمل ان يكونوا
حافظين لجميع بني ادم من غير ان يختص واحد
من الملائكة بواحد من بني ادم ويحتمل ان يكون
الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالاخر ويحتمل
ان يكون الموكل بكل واحد منهم جمعا من الملائكة
كما قيل اثنان بالنهار واثنان بالليل او كما قيل
انهم خمسة واختلفوا في الكفار هل عليهم حفظة
فقيل لا لان امرهم ظاهر وعملهم واحد قال
يعرف المجرمون بسيماهم وقيل عليهم حفظة وهو
ظاهر قوله تعالى بل تكذبون بالدين وان عليكم
لحافظين وقوله واما من اوتي كتابه بشماله وقوله
واما من اوتي كتابه وراء ظهره فاخبر ان لهم
كتابا وان عليهم حفظة فان قيل فاي شيء يكتب
الذي من يمينه ولا حسنة اجيب بان
الذي عن شماله يكتب باذن صاحبه ويكون
صاحبه شاهدا على ذلك وان لم يكتب وفي هذه
الاية دلالة على ان الشاهد لا يشهد الا بعد
العلم لوصف الملائكة بكونهم حافظين كراما كاتبين
يعلمون اي على التجدد والاستمرار ما تفعلون

فدله

فدل على انهم يكونون عالمين بها حتى انهم يكتبونها
فاذا كتبوها يكونون عالمين عند اداء الشهادة
وفي تعظيم الكتبة تعظيم لامر الجزاء فانه عند الله
من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط
ما يحاسب عليه وفيه انذار وتهويل للعصاة
ولطف للمؤمنين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها
قال ما اشدها من اية على الغافلين ولما وصف
تعالى الكرام الكاتبين لاعمال العباد وذكر احوالهم
العالمين وقسمهم قسمين وبدأ بقسم اهل السعادة
فقال تعالى ان الابرار اي المؤمنين الصا
دقين في ايمانهم باداء فرائض الله تعالى واجتناب
معاصيه لفي نعيم اي يحيط بهم ابدا الابدين وهو
نعيم الجنة الذي لا نهاية له ثم ذكر قسم اهل الشقاوة
بقوله تعالى وان الفجار اي الذين من شانهم الخروج
عن ما ينبغي الاستقرار فيه من رضى الله تعالى
الى سخطه وهم الكفار لفي جحيم اي نار محرقة
تتوقد غاية التوقد فهم فيها ابدا الابدين يصلونها
يدخلونها ويقاسون حرها يوم الدين اي يوم
الجزاء وهو يوم القيامة وما هم عنها اي الجحيم
بغائبين اي بخارجين ويجوز ان يراد يصلون
النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك
في قبورهم وقيل اخبر الله تعالى في هذه السورة
ان لابن ادم ثلاث حالات حالة الحياة التي

يحفظ فيها عمله وحالة الآخرة التي يجازى فيها
وحالة البرزخ وهو قوله تعالى عنها بغائبين وروي
ان سليمان بن عبد الملك قال لابي حازم المدني
ليت شعري ما لنا عند الله تعالى قال اعرض
عملك على كتاب الله تعالى فانك تعلم ما لك
عند الله تعالى قال فاني اجد ذلك في كتاب
الله قال عند قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم
الآية قال سليمان فاين رحمة الله تعالى قال
قريب من المحسنين ثم عظم سبحانه وتعالى ذلك
اليوم فقال وما ادراك اي وما اعلمك وان
اجتهدت في تطلب الدراية به ما يوم الدين
اي اي شيء هو في طوله وهوله وفظاعته وزلزاله
ثم كرره تعجبا لشانه فقال تعالى ثم ما ادراك
اي كذلك ما يوم الدين. اي يوم الدين بحيث
لا تدركه دراية دار كنهه في الهول والشدة وكيفما
تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه
والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل تعالى القول
في وصفه فقال سبحانه يوم لا تملك اي بوجه
من الوجوه في وقت ما نفس اي اي نفس كانت
لنفس شيئا اي قل او جل وقرا ابن كثير وابو عمرو
برفع يوم على انه خبر مبتدا مضمر اي هو يوم
وجوز الزمخشري ان يكون بدلا مما قبله يعني
يوم الدين والباقون بالفتح باضمار اعني

واذكر

واذكر والامر كله يومئذ اي ان كان البعث والجزاء لله
اي ملك الملوك لا امر لغيره فيه فلا يملك الله تعالى
في ذلك اليوم احدا شيئا كما ملكهم في الدنيا وقول
البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من قرا سورة انفطرت كتب له بعدد
كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة حديث
موضوع سورة المطففين مكية
في قول الحسن ومقاتل وهي اول سورة نزلت
بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة مدنية الا ثمان
آيات وهي قوله تعالى ان الذين اجرموا الى آخرها
فهو مكي وقال الكلبي وجابر بن زيد نزلت بين
مكة والمدينة ولعل هذا هو سبب الاختلاف
وقال ابن مسعود والضحاك مكية وهي ست
وثلاثون آية ومائة وتسع وستون كلمة وسبعمائة
وثلاثون حرفا بسم الله الذي من توكل عليه
كفاه الرحمن الذي عم جوده الابرار والعصاة الرحيم
الذي خص اهل طاعته بهداه ويل مبتدا وسوغ
الابتداء به كونه دعاء وهو اما كلمة عذاب او هلاك
ثابت عظيم في كل حال من احوال الدنيا والآخرة
او واد في جهنم وقوله تعالى للمطففين خبره
والتطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس
شيء طفيف حقير قال الزجاج وانما قيل للذي
ينقص المكيال والميزان مطفف لانه لا يكاد يسرق في

في المكيال والميزان الا الشيء اليسير الطفيف وروي
ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من اخبث
الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس
بخمس قيل يا رسول الله ما خمس بخمس قال ما نقض قوم
العهد الا سلط الله تعالى عليهم عدوهم ولا حكموا
بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر ولا ظهر
فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا
المكيال الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا
الزكاة الا حبس عنهم المطر وقال السدي قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يعرف
بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال
بالآخر فنزلت وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون
وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة
فنزلت وعن علي رضي الله عنه انه مر برجل
يزن الزعفران وقد ارجح فقال له اقم الوزن
بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كأنه امر
بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من
النفل وعن ابن عباس رضي الله عنهما انكم
معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان
قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم
يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين

في

في الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة
يكيلون وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يمر
بالبايع فيقول اتق الله واوف الكيل فان المطففين
يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن حتى ان
العرق ليلجمهم الى انصاف آذانهم وعن عكرمة اشهد
ان كل كيال او وزان في النار فقيل له ان ابنك
كيال او وزان فقال اشهد انه في النار وعن ابي
لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤوس المكاييل
والسن الموازين ثم بين تعالى المطففين من هم
بقوله تعالى الذين اذا اكتالوا اي عاملوا الكيل
على الناس عليهم اي لا يبقون من كانوا يكافون
شيئا ولا يراعون احدا بل صارت لهم خيانة والو
قاحة لهم دينا يستوفون اي ان كالوا منهم
وابدل على مكان من للدلالة على ان اكتيالهم
من الناس اكتيال يضرهم ويتحامل فيه عليهم
ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول
على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس
خاصة واما انفسهم فيستوفون لها وقال الفرا
من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق
عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت
ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت
منك واذا كالوهم اي كالوا للناس اي حقهم
اي ما لهم من حق او وزنوهم اي وزنوا لهم فحذف

تجار واوصل للفعل كما قال القائل
ولو جنبتك الوشاة عاذلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر
وقال آخر
والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك ومثاله
وزنتك حقك وكلتك طعامك اي وزنت لك و
نصحتك ونصحت لك وكسبتك لك والاكوجع
كماة والعساقل ضرب منها واصله عساقيل لانه واحد
معقول كعصفور فحذف اليا للضرورة وبنات
اوبر ضرب من الكماة ردي يخسرون جواب اذا
وهو يتعدى بالهمزة يقال خسر الرجل واخسرته
انا فمفعوله محذوف اي يخسرون الناس متاعهم
وقيل يخسرون اي ينقصون للمشتر فارس اي
ينقصون الكيل او الوزن وقوله تعالى الا يظن
اولئك اي الاحسبا البعد الارادا انهم مبعوثون ليوم
اي لمحله وفيه زاد التهويل بقوله تعالى عظيم
انكار وتعجب من حالهم في الاجترا على التطفيف
كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم
مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة
وقيل الظن بمعنى اليقين وقوله تعالى يجوز
نصبه بمبعوثون او باضمار اعني او بدل من
محل ليوم فناصبه مبعوثون يوم يقوم الناس
اي من قبورهم لرب العالمين اي لحكمه
لاجل امره وجزائه وحسابه وعن ابن عمر رضي

الله

الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقوم
الناس لرب العالمين حتى يغيب احدهم
في رشحه الى انصاف اذنيه وعن المقداد قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان
يوم القيامة ادنيت الشمس من العباد حتى تكون
قدر ميل او اثنين قال سليم لا ادري اي الميلين
يعني مسافة الارض او الميل الذي تكتحل به العين
قال فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق بقدر
اعمالهم فمنهم من ياخذه الى عقبيه ومنهم من يلجمه
الجاما فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يشير بيده الى فيه يقول الجمه الجاما وعن
قتادة اوف يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل
كما تحب ان يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان
سواد الوجوه يوم القيامة وعن عبد الملك بن
مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت به فما ظنك
بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل
ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن
ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله تعالى
خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين
بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف
وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام
بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل اخذ
واعطاء بل في كل قول وعمل وعن ابن عمر رضي

الله عنهما انه قرا هذه السورة فلما بلغ قوله تعالى
يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من
قراءة ما بعده وعن بعض المفسرين ان لفظ التطفيف
يتناول التطفيف في الوزن والكيل وفي اظهار
العيب واخفائه وفي طلب الانصاف والانتصاف
ويقال من لم يرض لاخيه المسلم ما يرضاه لنفسه
فليس بمنصف والمعاشرة والصحبة في هذه
المادة والذي يرى عيب الناس ولا يعطيهم
حقوقهم كما يطلبه وقوله تعالى كلا ردع اي ليس
الامر على ما هم عليه فليرتدعوا وههنا تم الكلام
وقال الحسن كلا ابتداء متصل بما بعده على معنى
حقا وجرى لكلا المحلي واكثر المفسرين على الاول
ان كتاب الفجار اي كتب اعمال الكفار واظهر الا
ضمار ذمهما وتعليقا للحكم بالوصف في معنى قوله
تعالى لفي سجين فقيل هو كتاب جامع هو ديوان
الشر دون الله تعالى فيه اعمال الشياطين واعمال
الكفرة والفسقة من الجن والانس وقيل هو
مكان تحت الارض السابعة وهو محل ابليس وجنوده
وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما سجين
في الارض السابعة السفلى فيها ارواح الكفار وعن
البراء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين وعليون في السما
السابعة تحت العرش وقال الكلبي هو صخرة

تحت

تحت الارض السابعة خضراء خضرة السموات منها
يجعل كتاب الفجار فيها قال وهب هي اخر سلطان
ابليس وعن كعب الاحبار ان روح الفاجر يعني
الكافر يصعد بها الى السماء فتابى السماء ان تقبلها
ثم يهبط بها الى الارض فتابى الارض ان تقبلها
فتدخل تحت سبع ارضين حتى ينتهى بها الى سجين
وهو موضع جند ابليس وذلك استهانة بها
ويشهدها الشياطين المدحورين كما يشهد
ديوان الخير الملائكة المقربون وقال عكرمة لفي
سجين اي في خسار وضلال وما ادراك اي جعلك
داريا وان اجتهدت في ذلك ما سجين وقال
الزجاج اي ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك
وقوله تعالى كتاب مرقوم ليس تفسير السجين
بل هو بيان للكتاب المذكور في قوله تعالى ان كتاب
الفجار اي هو كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة
مكتوب فيه اعمالهم مثبت عليهم كالرقم في الثوب
لا ينسى ولا يمحى حتى يجازون به او معلم يعلم
من راه انه لا خير فيه وقيل الرقم الختم بلغة
حمير ولا تقتصر على هذا لكلام المحلي وقال
قتادة رقم عليهم بشر كانما اعلم بعلامة يعرف بها
انه كافر والمعنى ان ما كتبه من اعمال الفجار
مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من
السجن وهو الحبس والتضييق في جهنم ولانه

مطروح تحت الارض كالامر فان قيل سجين هل هو
اسم او صفة اجيب بانه اسم علم منقول من وصف
كحاتم وهو منصرف كحاتم وهو منصرف لانه ليس
فيه الا سبب واحد وهو التعريف ويل اي اعظم
الهلاك يومئذ اي ان تقوم الناس لما تقدم للمكذبين
اي بذلك او بالحق وقوله تعالى الذين يكذبون
بيوم الدين اي الجزاء الذي هو سر الوجود بدل
او بيان للمكذبين ثم اخبر عن صفة من يكذب
بيوم الدين بثلاث صفات اولها قوله تعالى وما
اي فكانه ما يكذب به اي بذلك اليوم
الا كل معتد اي متجاوز عن النظر غال في التقليد
حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه فاحال
منه الاعادة ثم ذكر الصفة الثانية بقوله اثيم
اي منهمك في الشهوات المحدودة بحيث اشتغل
عما وراءها وحمله الانكار لما عداها ثم ذكر الصفة
الثالثة بقوله تعالى اذا تتلى عليه اياتنا
اي القرآن قال اساطير الاولين اي حكايات
سطرت قديما جمع اسطورة بالضم وذلك فرط
جهله واعراضه عن الحق فلا ينفعه شواهد
النقل كما لا تنفعه دلائل العقل وهذا عام في
كل موصوف بذلك وقال الكلبي هو الوليد
بن المغيرة وقيل هو النضر بن الحارث وقوله
تعالى كلا ردع وزجر اي ليس هو اساطير

الا

الاولين وقال الحسن معناه حقا كالامر بل ران
اي غلب واحاط وغطا تغطية الغيم للسماء على
قلوبهم اي كل من قال هذا القول ما كانوا يكسبون ما
يركبه الصدا من اصرارهم على الكبائر وتسويف
التوبة حتى طبع على قلوبهم فلا تقبل الخير ولا تميل
اليه روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان المومن اذا اذنب
كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر
صقل قلبه منها وان زاد زادت حتى تعلو قلبه
فذلكم الران الذي ذكره الله تعالى في كتابه
المبين وقال ابو معاذ الرين ان يسود القلب
من الذنوب والطبع وهو ان يطبع على القلب
من الذنوب قال تعالى ام على قلوب اقفالها وقال
الحسن الذنب على الذنب حتى يحيط الذنوب
بالقلب ويغشى فيموت القلب قال صلى الله
عليه وسلم اياكم والمحقرات من الذنوب فان الذنب
على الذنب يوقد على صاحبه جحيما ضخمة وعن
الحسن الذنب بعد الذنب يسود القلب يقال
ران فيه النوم ورانت به الخمرة ذهبت به وقرأ
حمزة وشعبة والكسائي بالامالة محضة والباقون
بغير سكت وقوله تعالى كلا ردع عن الكسب
الرائن على قلوبهم وقيل معنى حقا كالامر انهم عن
ربهم اي المحسن اليهم يومئذ لمحجوبون اي فلا

يرونه بخلاف المؤمنين فانهم يرون كما ثبت ذلك
في الاحاديث الصحيحة وقال الحسن لو علم الزا
هدون والعابدون انهم لا يرون ربهم في المعاد
لزهقت انفسهم في الدنيا وسئل مالك عن هذه
الاية فقال لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه
حتى راوه في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون دلالة عليه ان اولياء الله يرون الله
تعالى ومن نفى الرؤية قال انه تحريف جعله
تمثيلا للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن
على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا
يحجب عليهم الا الاذناب المهانون عندهم وعن
ابن عباس وقتادة محجوبون عن رحمته
وعن ابن كيسان عن كرامته ثم انهم اي بعد ذلك
ماشاء الله تعالى من امهالهم لصالوا الجحيم
اي الداخلون النار المحرقة ثم يقال اي يقول
لهم الخزنة هذا اي العذاب الذي كنتم به تكذبون
اي في دار الدنيا وقوله تعالى كلا ردع عن
التكذيب وقيل معناها حقا كما مر وقالت
البيضاوي تكرير للاول ليعقبه بوعد الابرار
لا عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور
والايفاء بر وردع عن التكذيب ان كتاب الابرار
اي كتب اعمال المؤمنين الصادقين في ايمانهم
لفي عليين وعليون علم لديوان الخير

الذي

الذي دون فيه كل ما عملته وصلحاء الثقلين من
جمع على فعيل من العلو كسجين من السجن
سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي
الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء
السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما
وروي ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقبلونه
فاذا انتهوا الى ما شاء الله من سلطانه اوحى
اليهم انكم الحفظة على عبدي فاجعلوه في عليين
وقد عرفت له وانها لتصعد بعمل العبد فيستقبلونه
فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه
اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا
الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه
في سجين وعن البراء مرفوعا عليين في السماء
السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح
من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش اعمالهم
مكتوبة فيها وقال كعب وقتادة هو قائمة
العرش اعمالهم مكتوبة فيها وقال بعض اهل المعاني
علو بعد علو وشرف بعد شرف ولذلك جمعت
بالياء والنون قال الفراء هو اسم موضوع على صيغة
الجمع لا واحد له من لفظه مثل عشرين وثلاثين
وما ادراك اي جعلك دار يا وان بالغت في
الفحص ما عليون اي ما كتاب عليين هو كتاب
اي عظيم مرقوم اي فيه ان فلانا امن من النار

مما دل على رقم ما اياه واجمله يشهده المقربون اي
يحضرونه فيشهدون ما فيه يوم القيامة او يحفظونه
ولما عظم كتابهم عظم منزلتهم بقوله تعالى ان الابرار
لفي نعيم اي في الجنة ثم بين ذلك التنعم
بامور ثلاثة اولها قوله تعالى على الارائك اي
الاسرة في الحجال ولا تسمى اريكة الا اذا كانت كذلك
والحجال بكسر الحاء جمع حجلة وهو بيت يزين بالثياب
والستور والاسرة قاله الجوهري ينظرون اي
الى ما شاؤوا امد اعينهم اليه من مناظر الجنة والى
ما اولاهم الله تعالى من النعمة والكرامة والى
اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال
ابصارهم عن الادراك وقال الرازي ينظرون
الى ربهم بدليل قوله تعالى تعرف اي ايها الناظر
اليهم في وجوههم اي عند رؤيتهم نضرة النعيم
اي بهجته وحسنه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنيا
واهل الترفه والخطاب اما للنبي صلى الله عليه
وسلم او لكل ناظر وقال الحسن النضرة في الوجه
والسرور في القلب وهذا هو الامر الثاني
واما الثالث فهو قوله تعالى يسقون من رحيق
اي خمر صافية طيبة وقال مقاتل الخمر البيضا وقال
الرازي لعله الخمر الموصوف بقوله تعالى لا فيها
غول مختوم اي ختم ومنع من ان تمسه يد الى
ان يفك ختمه الابرار وقال القفال يحتمل ان يكون

ختم

ختم عليه تكريما له بالصيانة على ما جرت به العادة
من ختم ما يكرم ويصان وهناك خمر اخرى تجري
انهارا كقوله تعالى وانهار من خمر لذة للشاربين
الا ان هذا المختوم اشرف من الجاري ختامه مسك
اي اخر شربه يفوح مسك منه فالمختوم الذي
له ختام اخر وختم كل شي الفارغ منه وقال قتادة
يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك وقال ابن زيد
ختامه عند الله مسك وقيل طينه مسك وقيل
تختم اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان
الطينة وفي ذلك اي الامر العظيم البعيد التناول
وهو العيش والنعيم والشراب الذي هذا وصفه
فليتنافس اي فليرغب غاية الرغبة بجميع الجهة
والاختيار المتنافسون اي الذين من شانهم
المنافسة وهي ان يطلبه كل منهم ان يكون ذلك
المتنافس فيه لنفسه خاصة دون غيره لانه
نفيس جدا والنفيس هو الذي تحرص عليه
نفوس الناس وتتغالى فيه والمنافسة في
مثل هذا الكثرة الاعمال الصالحة والنيات
الخالصة وقال مجاهد فليعمل العاملون
نظيره قوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقال
مقاتل بن سليمان فليتنازع المتنازعون وقال
عطا فليستبق المستبقون وقال الزمخشري فليرتقب
المرتقبون والمعنى في الكل واحد واصله من الشيء

النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريد
كل احد لنفسه وينفس فيه على غيره اي يضن
ومزاجه اي ما يمزج به ذلك الرحيق من تسنيم
وهو علم عين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو
مصدر سنمه اذا رفعه لانها تاتيهم من فوق على ما
روي انها تجري في الهواء مسنمة فتنصب في اواني
اهل الجنة على مقدار الحاجة فاذا امتلئت امسكت
وقوله تعالى عينا نصب على المدح وقال الزجاج
نصب على الحال يشرب بها اي يشربها على طريقة
المزج منها المقربون وقيل يشرب معنى يلتذ فهم
يشربونها صرفا وتمزج لساير اهل الجنة ان الذين
اجرموا اي قطعوا ما امر الله به ان يوصل وهم
روسا قريش كانوا من الذين امنوا وهم فقرا
الصحابة عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم
من فقرا المومنين رضي الله تعالى عنهم يضحكون
اي استهزا بهم واذا مروا اي المومنون بهم اي بالذين
اجرموا يتغامزون اي يشير المجرمون الى المومنين
بالجفن والحاجب استهزا بهم وقيل يغمز بعضهم
بعضا ويشيرون باعينهم قيل جاء علي ابن
ابي طالب رضي الله تعالى عنه في نفر من المسلمين
فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم
رجعوا الى اصحابهم فقالوا راينا اليوم الاصلع
فضحكوا منه فنزلت قبل ان يصل علي الى

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم واذا انقلبوا اي رجع الذين
اجرموا برغبتهم في الرجوع واتفاقهم عليه من
غير نكير الى اهلهم اي منازلهم التي هي عامرة
بجماعتهم وقرا حمزة والكسائي في الوصل بضم الهاء
والميم وابو عمرو بكسر الهاء والباقون بكسرها وضم
الميم انقلبوا حال كونهم فاكهين اي متلذذين بما
كان من امكنتهم ورفعتهم التي اوصلتهم الى
الاستهزاء بغيرهم قال ابن برجان روي عنه
عليه الصلاة والسلام ان الدين بدا غريبا وسيعود
غريبا كما بدا يكون القابض على دينه كالقابض
على الجمر وفي اخرى يكون المومن فيهم اذل
من الامة وفي اخرى العالم فيهم انتن من جيفة
حمار فالله المستعان وقرا حفص بغير الف بعد
الفا والكاف والباقون بالالف فقيل هما بمعنى وقيل
فكهين فرحين وفاكهين ناعمين وقيل اصحاب
فاكهة ومزاح واذا راوهم اي راى المجرمون
المومنين قالوا اي المجرمين ان هولاء اي المومنين
لضالون اي لاتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم
يرون ان لهم عليه شيئا وهم على ضلال في تركهم
التنعيم الحاضر بسبب شيء لا يدرى هل له وجود
ام لا قال الله تعالى وما اي والحال انهم ما ارسلوا
اي الكفار عليهم اي على المومنين حافظين اي
موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على

عليه اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلاله لهم وهذا
تهكم بهم وقيل هو من جملة قول الكفار وانهم اذا راوا
المسلمين قالوا ان هولاء لضالون وانهم يرسلوا
عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك
ودعايهم الى الاسلام وجدهم في ذلك وقوله تعالى
فاليوم منصوب بيضحكون ولا ما يمنع تقديمه
على المبتدا لانه لو تقدم العامل هنا لجاز اذ لا يمنع
خلاف زيد قايم في الدار لا يجوز في الدار زيد
قام ومعنى في اليوم اي في الاخرة الذين امنوا
ولو كانوا في ادنى درجات الجنات من الكفار يضحكون
وفي سبب هذا الضحك وجوه منها ان الكفار
كانوا يضحكون على المومنين في الدنيا بسبب ما
هم فيه من الضر والبوس وفي الاخرة يضحك
المومنون على الكافرين بسبب ما هم فيه من
الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن الوان العذاب
بعد النعيم والترفه ومنها انهم علموا انهم كانوا في
الدنيا على غير شيء وانهم باعوا الباقي بالفاني
ومنها انهم يرون انفسهم قد فازوا بالنعيم المقيم
ونالوا بالتعب اليسير راحة الابد ومنها قال ابو
صالح يقال لاهل النار وهم فيها اخرجوا وتفتح لهم
ابوابها فاذا راوها فتحت ابوابها اقبلوا اليها يريدون
الخروج والمومنون ينظرون اليهم فاذا انتهوا
الى ابوابها غلقت دونهم يفعل ذلك مرارا فذلك

سبب

سبب الضحك ومنها انهم اذا دخلوا الجنة واجلسوا على
الارايك ينظرون الى الكفار كما قال تعالى على الارايك
اي الاسرة العالية ينظرون اليهم كيف يعذبون
في النار ويرفعون اصواتهم بالويل والثبور ويلعن
بعضهم بعضا تنبيه ينظرون حال من
يضحكون اي يضحكون ناظرين اليهم والى ما هم فيه
من الهوان وقال كعب بين الجنة والنار كوى
فاذا اراد المومن ان ينظر الى عدو له كان في الدنيا
اطلع عليه من تلك الكوى كما قال تعالى فاطلع فراه
في سواء الجحيم فاذا اطلعوا من الجنة على اعدايهم
وهم يعذبون في النار ضحكوا قال الله تعالى هل ثوب
الكفار اي هل جوزوا ما كانوا يفعلون اي جزاء
استهزايهم بالمومنين ومعنى الاستفهام هنا التقرير
وثوب واثاب بمعنى واحد اذا جازاه قال اوس بن
ساجزيك او يجزيك عني مثوب وحسبك ان يثنى عليك وتحمد
وقرا الكسايي وهشام بادغام اللام في الثاء والباقون
بالاظهار وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة
المطففين سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم
يوم القيامة حديث موضوع

سورة الانشقاق مكية

وهي ثلاث او خمس وعشرون اية وماية وسبع
كلمات واربعماية وثلاثون حرفا بسم الله الذي خلق

الارض بالنبات الرحمن الذي عم جوده اهل
الارض والسموات الرحيم الذي خص اهل طاعته
بالجنات وقوله تعالى اذا السماء اي على ما لها من
الاحكام والعظمة انشقت كقوله تعالى اذا الشمس
كورت في اضمار الفعل وعدمه وفي ان هذه
احتمالان احدهما ان تكون شرطية والثاني
ان تكون غير شرطية فعلى الاول في جوابها اوجه
احدها انه محذوف ليذهب المقدر كل مذهب
او اكتفاء بما علم في مثله من سورتي التكوير
والانفطار وهو قوله تعالى علمت نفس الثاني
جوابها ما دل عليه فملاقيه الثالث انه يا ايها الانسان
على حذف الفاء وعليه كونها غير شرطية فهي
مبتدأ وخبرها اذا الثانية والواو مزيدة تقديره
وقت انشقاق السماء وقت مد الارض اي يقع
الامران في وقت واحد قاله الاخفش وقيل انه
منصوب مفعول بها باضمار اذكر واما فيها
الغمام وعن علي تنشق من المجرة قال الماوردي
المجرة هي البياض المعترض في السماء والسراب
من جانبيها واذنت اي سمعت واطاعت في الانشقا ق
اي لتأثير قدرته حين اراد انشقاقها لربها وحقت
انقياد المطوع الذي ورد عليه الامر من جهة
المطاع فانصتت له واذعنت ولم تأب ولم تمتنع
يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق واذا الارض

اي

اي على ما لها من الصلابة مدت اي زيدت في
سعتها كمد الاديم ولم يبق عليها ولا جبل كما قال
تعالى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما مدت مد الاديم
العكاظي لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه وامتد
واستوى والقت اي اخرجت ما فيها من الكنوز والموتى
كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وتخلت
اي خلت منها حتى لم يبق في بطنها شيء وذلك
يؤذن بعظم الامر كما تلقي الحامل ما في بطنها عند
الشدة ووصفت الارض بذلك توسعا والا فالتحقيق
ان الله تعالى هو المخرج لتلك الاشياء من الارض
وقوله تعالى واذنت لربها وحقت تقدم تفسيره
وهذا ليس بتكرار لان الاول في السماء وهذه
في الارض وتقدم جواب اذا ومن جملة ما قيل
فيه ولم يعطف عليه انه محذوف دل عليه ما بعده
تقديره لقي الانسان عمله وذلك كله يوم القيامة
واختلف في الانسان في قوله تعالى يا ايها الانسان
اي الانسي بعينه الناسي لامر ربه انك كادح
فقيل المراد جنس الانسان كقولك يا ايها الرجل
فكان خطاب خص به واحد من الناس قال القفال
وهو ابلغ من العموم لانه قائم مقام التخصيص على
مخاطبة كل واحد منهم على التعيين بخلاف اللفظ
العام وقيل المراد منه رجل بعينه فقيل هو محمد صلى

الله عليه وسلم والمعنى انك في ابلاغ رسالات
الله تعالى وارشاد عبيده وتحمل الضرر من الكفار
فابشر فانك تلقى الله تعالى بهذا العمل وقالت
ابن عباس رضي الله عنهما هو ابي بن خلف وكدحه
هو جده واجتهاده في طلب الدنيا وايذاؤه النبي
صلى الله عليه وسلم واصراره على الكفر والكدح
جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها
من كدح جلده اذا خدشه ومعنى كادح الى
ربك اي جاهد الى لقائه وهو الموت اي هذا
الكدح يستمر الى هذا الزمن وقال القفال
تقديره انك كادح في دنياك كدحا تصير الى
ربك وقوله تعالى فملاقيه يجوز ان يكون عطفا
على كادح والسبب فيه ظاهر وان يكون خبر مبتدا
مضمر اي فانت ملاقيه وقيل جواب اذا والضمير
في ملاقيه ممتنعة فالمراد جزاء كدحك من خير
او شر وقال الرازي ملاقات الكتاب الذي فيه
بيان تلك الاعمال ويؤيد هذا قوله تعالى بعده
فاما من اوتي كتابه اي كتاب عمله الذي كتبه
الملائكة بيمينه اي من امامه وهو المؤمن
المطيع فسوف يحاسب اي يقع حسابه بوعد
لا خلف فيه وان طال الامد لاظهار الجبروت
والكبرياء والقهر حسابا يسيرا هو عرض عمله
عليه كما فسر من حديث الصحيحين وفيه من نوقش

لحساب

الحساب هلك وفي رواية من حوسب عذب قالت
عائشة رضي الله عنها اليس يقول الله تعالى فسوف
يحاسب حسابا يسيرا فقال انما ذلك العرض ولكن
من نوقش الحساب عذب وانما كان حسابا سهلا
لانه كان يحاسب نفسه فلا تقع المحاسبة الا دعوى
فلاجل ذلك يعرض اعماله فيقبل حسنها ويعفى
عن سيئها وينقلب اي يرجع بنفسه من غير سوء مع
برغبة وقبول الى اهله اي الذين اهله هم في الجنة
من الحور العين والادميات والذريات اذا كانوا
مؤمنين مسرورا اي فرحا في جنة وحريرا فانه
كان في الدنيا مشفقا من العرض على الله يحاسب
حسابا عسيرا مع ما هو فيه من نكد الاهل وضيق
العيش واما من اوتي كتابه وراء ظهره وهو
الكافر تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء
ظهره فيأخذ بها كتابه فسوف يدعوا اي يوعد
لا خلف فيه اي في فوعد ثبورا يقول يا ثبوراه
والثبور الهلاك كقوله دعوا هنالك ثبورا ويصلى
سعيرا اي يدخل النار الشديدة وقرا ابو عمرو
وعاصم بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام
والباقون بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام
وقرا حمزة والكسائي بالامالة محضة وقرا ورش
بالفتح وبين اللفظين واذا فتح ورش غلظ اللام
واذا امال رقق والباقون بالفتح انه كان الى

بما هو له كالجبلة في اهله اي عشيرته في الدنيا
مسرورا قال القفال اي منها مترفا من التعب
بالعبادات واحتمال مشقة الفرائض من الصلاة
والجهاد مقدما على المعاصي امنا من الحساب
والثواب والعقاب لا يخاف الله تعالى ولا يرجوه
فابدله الله تعالى بذلك السرور غما باقيا لا ينقطع
وقيل ان قوله تعالى انه كان في اهله مسرورا
كقوله تعالى واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين
اي متنعمين في الدنيا معجبين بما هم عليه من
الكفر بالله تعالى والتكذيب بالبعث يضحكون
ممن امن بالله تعالى وصدق بالحساب كما قال
صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة
الكافر انه ظن اي لضعف نظره ان مخففة من
الثقيلة واسمها محذوف اي انه لن يحور اي
لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال
لا يحور ولا يحول اي لا يرجع ولا يتغير قال
لبيد
وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع
وعن ابن عباس ما كنت ادري ما معنى يحور
حتى سمعت اعرابية تقول لبنية لها حوري اي
ارجعي وقوله تعالى بلى ايجاب لما بعد النفي
في لن يحور اي بلى ليحورن ان ربه اي الذي
ابتدا انشاءه ورباه كان ابوانه وابدا به بصيرا

اي

اي من يوم خلقه الى يوم بعثه ادبا عماله لا ينساها
وقال عطاء بصيرا بما سبق عليه في ام الكتاب
من الشقاوة واختلفوا في الشفق في قوله تعالى
فلا اقسم بالشفق فقال مجاهد هو النهار كله وقال
عكرمة ما بقي من النهار وقال ابن عباس واكثر
المفسرين هو الحمرة التي تبقى في الافق بعد غروب
الشمس وقال قوم هو البياض الذي يعقب تلك
الحمرة تنبيه سمي بذلك لرقته ومنه الشفقة
على الانسان رقة القلب عليه واللام في لا اقسم
مزيدة للتاكيد والليل اي الذي يغلبه ويذهبه
وما وسق اي وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق
واستوسق قال الشاعر مستوسقات لم يجدن سائقا
ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين
اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وما ستره واوى
اليه من الدواب وغيرها والقمر اي الذي هو ابنه
اذا اتسق اي اذا اجتمع واستوى ليلة اربع
عشرة وقال قتادة استدار هو افتعل من الوسق
تنبيه قد اختلف العلماء في القسم بهذه
الاشياء هل هو قسم بها او بخالقها فذهب المتكلمون
الى ان القسم واقع بربها وان كان محذوفا
لان ذلك معلوم من حيث ورد الحظر بان يقسم
بغير الله تعالى او بصفة من صفته وقد امره ذلك
بكره فحذف الاشياء فالله تعالى يقسم بما شاء

من حلقة وهو جواب القسم لتركبن اي ايها الناس اصله
لتركبونن حذفت نون الرفع لتوالي الامثال
والواو لالتقاء الساكنين وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
بفتح الباء الموحدة على خطاب الانسان والباقون
بضمها على خطاب الجمع وهو معنى الانسان لانه
المراد به الجنس اي لتركبن ايها الانسان طبقا
مجاوزا عن طبق اي حالا بعد حال قال عكرمة
رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ وعن ابن
عباس رضي الله عنهما الموت ثم البعث ثم
العرض وعن عطا مرة فقيرا ومرة غنيا وقال
ابو عبيدة لتركبن سنن من كان قبلكم واحوالهم
لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن
من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو
دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود
والنصارى قال فمن وقوله تعالى فما لهم اي الكفار
لا يؤمنون استفهام انكاري اي مانع من الايمان
اي حجة لهم في تركه بعد وجود براهينه وما
لهم اذا قرئ اي من اي قارئ قراءة مشروعة عليهم
القرآن اي الجامع لكل ما ينفعهم في دنياهم واخراهم
الفارق بين كل ملتبس لا يسجدون اي يخضعون
بان يؤمنوا به لاعجازه او لا يصلون قاله مقاتل
او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه صلى الله
عليه وسلم قرا واسجد واقترب فسجد ومن

معه

معه من المؤمنين وقريش تصفق رؤوسهم فنزلت
وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال سجدنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرا باسم
ربك واذا السماء انشقت وعن نافع قال صليت
مع ابي هريرة العتمة فقرا اذا السماء انشقت فسجد
فقلت ما هذه قال سجدت بها خلف ابي القاسم
صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد فيها حتى القاه
وليس في ذلك دلالة على وجوبها فهي مندوبة
وعن الحسن هي واجبة واحتج ابو حنيفة على
وجوب السجود بانه تعالى ذم من سمعه ولم يسجد
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس في المفصل
سجدة وما روي عن ابي هريرة يخالفه وعن
انس صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان فسجدوا
بل الذين كفروا يكذبون اي بالقرآن والبعث
والله اعلم بما يوعون اي بما يجمعون في صدورهم
ويضمرون من الكفر والتكذيب واعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب وقوله تعالى
فبشرهم بعذاب اليم اي مولم استهزاء بهم لان
البشارة معنى الاخبار اي اخبرهم وقوله تعالى
الا استثناء منقطع اي لكن الذين امنوا وعملوا
الصالحات تصديقا لايمانهم لهم اجر غير ممنون
اي غير مقطوع ولا منقوص ولا ممنون به عليهم
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله

عليه وسلم قال من قرا اذا السماء انشقت اعاذه
الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره حديث موضوع

سورة البروج مكية

وهي اثنان وعشرون اية ومائة وتسع كلمات
واربعمائة وثمانية وخمسون حرفا بسم الله الذي احاط
علمه بالكائنات الرحمن الذي عم جوده ساير
المخلوقات الرحيم الذي خص اهل السعادة بالجنان
وقوله تعالى والسماء اي العالية غاية العلو المحكمة
غاية الاحكام ذات البروج قسم اقسم الله تعالى
به وتقدم الكلام على ذلك مرارا وفي البروج
اقوال فقال مجاهد هي البروج الاثني عشر شبهت
بالقصور لانها تنزلها السيارات وقال الحسن هي
النجوم وقيل هي منازل القمر وقال عكرمة هي
قصور في السماء وقيل عظام الكواكب سميت
بروجا لظهورها وقيل ابواب السماء وقوله تعالى
واليوم الموعود قسم اخر وهو يوم القيامة
قال ابن عباس وعد اهل السماء واهل الارض
يجتمعوا فيه واختلفوا في قوله تعالى وشاهد
ومشهود فقال ابو هريرة وابن عباس الشاهد
يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وروي مرفوعا
اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود
يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة خرجه الترمذي
في جامعه قال القرطبي وكذا السائر الايام والليالي

لما روى ابو نعيم الحافظ عن معاوية ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم ياتي على
العبد الا ينادي فيه يا ابن ادم انا خلق جديد
وانا فيما تعمل عليك شاهد فاعمل في خيرا اشهد
لك به غدا فاني ان امضيت لم ترني ابدا ويقوله
الليل مثل ذلك حديث غريب وحكى القشيري عن
عمر ان الشاهد يوم الاضحى وقال ابن المسيب الشاهد
يوم النحر وقال مقاتل اعضاء الانسان هي الشاهد
لقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم الاية
وقال الحسين بن الفضيل الشاهد هذه الامة والمشهود
سائر الامم لقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة
وسطا الاية وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم
لقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا وقيل ادم وقيل الحفظة
الشاهد والمشهود اولاد ادم وقيل غير ذلك وكل
ذلك صحيح واختلفوا في جواب القسم فقال الجلال
المحلي جواب القسم محذوف تقديره اي لقد قتل
اي لعن اصحاب الاخدود وقال الزمخشري محذوف
ويدل عليه قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود
وكانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعني
كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود وذلك ان السورة
وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم
بما جرى على من قبلهم واستظهره البيضاوي
والاخدود هو الشق المستطيل في الارض كالنهر

وجههم اخاديد واختلف فيهم فعن صهيب ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن قبلكم
وكان له ساحر فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث
الي غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما وكان
في طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع
كلامه فاعجبه فكان اذا اتي الساحر مر بالراهب
فقعد اليه فاذا اتي الساحر ضربه واذا رجع من
عند الساحر قعد الي الراهب وسمع كلامه فاذا اتي
اهله ضربوه فشكي الي الراهب فقال اذا خشيت
الساحر فقل حبسني اهلي واذا خشيت اهلك فقل
حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذ اتي علي دابة
عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم اعلم الراهب
افضل ام الساحر فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان امر الراهب
احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه الدابة
حتي يمضي الناس فرماها فقتلها فمضي الناس
فاتي الراهب فاخبره فقال له الراهب اي بني انت
اليوم افضل مني قد بلغ من امرك ما اري وانك
ستبتلي فان ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام
يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس بسائر
الادواء فسمع جليس الملك وكان قد عمي فاتاه
بهدايا كثيرة فقال هذا لك اجمع ان انت شفيتني
فقال له اني لا اشفي احدا انما يشفي الله فان امنت بالله
دعوت الله تعالي فشفاك فامن بالله فشفاه فاتي
الملك

الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من
رد عليك بصرك قال ربي قال ربك غيري قال
ربي وربك الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتي دل
علي الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك اي بني قد
بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل
وتفعل قال اني لا اشفي احدا انما الشافي هو الله
فاخذه فلم يزل يعذبه حتي دل علي الراهب فجيء
بالراهب فقال ارجع عن دينك فابي فدعي بالمنشار
فوضع المنشار في مفرق راسه فشقه حتي وقع
شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك
فابي ففعل به كالراهب ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع
عن دينك فابي فدفعه الي نفر من اصحابه وقال
اذهبوا به الي جبل كذا فاصعدوا به فاذا بلغتم
ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا
به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت
فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الي الملك فقال
له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله تعالي
فقال للملك انك لست بقاتلي حتي تفعل ما امرك
به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد
وتصلبني علي جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم
ضع السهم في كبد القوس وقل بسم الله رب الغلام
ثم ارمني فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع
الناس في صعيد واحد وصلبه علي جذع ثم

اخذ سهما من كنانته ووضع السهم في كبد قوسه
ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في
صدغه فوضع يده على موضع السهم فمات فقال
الناس امنا برب الغلام امنا برب الغلام امنا برب
الغلام ثلاثا فاتي الملك الغلام فقال له ارايت
ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد امن
الناس فامر بالاخدود بافواه السكك فاخدوا واضرم
النيران وقال من لم يرجع عن دينه فالقوه فيها
او قيل له اقتحم قال ففعلوا حتى جاءت امراة معها
صبي لها فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي
يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت قال
البغوي هذا حديث صحيح وقيل ان الصبي قال
لها قعي ولا تنافقي وقال ما هي الا غميضة
فصبرت وذكر محمد بن اسحاق وعن وهب بن
منبه ان رجلا كان قد بقي على دين عيسى فوقع
على نجران فاجابوه فسار اليه ذو نواس اليهودي
بجنود من حمير فخيرهم بين اليهودية والنار
فابوا عليه فخد الاخاديد واحرق اثني عشر الفا
في الاخاديد وقيل سبعين الفا ثم غلب ارياط على
اليمن فخرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه
فغرق وقال الكلبي ذو نواس قتل عبد الله بن
الثامر وقال محمد ابن اسحاق عن عبد الله بن
ابي بكر ان خربة احتفرت في زمن عمر فوجدوا

عبد

عبد الله بن الثامر واضعا يده على ضربة في راسه
اذا امسكت يده عنها انبعثت دما واذا تركت ارتدت
مكانها وفي يده خاتم من حديد فيه ربي الله
فبلغ ذلك عمر فكتب ان اعيدوا عليهم الذي وجدتم
عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان
بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو
نواس بن شرحبيل في الفترة قبل ان يولد النبي
صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان في بلده
غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان ابوه سلمه الى
معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من
طاعة ابيه فجعل يختلف الى المعلم وكان في طريقه
راهب حسن الصوت فاعجبه ذلك وذكر قريبا
من معنى حديث صهيب الى ان قال الغلام للملك
انك لا تقدر على قتلي الا ان تفعل ما اقول قال
فكيف اقتلك قال تجمع اهل مملكتك وانت على
سريرك فترميني بسهم على اسم الهي ففعل الملك
فقتله فقال الناس لا اله الا اله عبد الله بن
الثامر لا دين الا دينه فغضب الملك واغلق ابواب
المدينة واخذ افواه السكك واخذ اخدودا وملاه
نارا ثم عرضهم رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام
تركه ومن قال ديني دين عبد الله بن تامر
القاه في الاخدود واحرقه وكان في مملكته امراة
فاسلمت فيمن اسلم ولها اولاد ثلاثة احدها رضيع

فقال لها الملك ارجعي عن دينك والا القيتك واولا دك
في النار فابت فاخذ ابنها الاكبر فالقاه في النار
ثم قال لها ارجعي فابت فاخذ الصبي منها ليلقوه
في النار فهمت المراة بالرجوع فقال لها الصبي
يا اماه لا ترجعي عن الاسلام فانك على الحق
ولا باس عليك فالقي الصبي في النار والقيت
امه على اثره وعن علي رضي الله عنه حين اختلفوا في
احكام المجوس قال هم اهل كتاب الله وكانوا
متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم
فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته
فلما صحى ندم وطلب المخرج ان يخطب الناس
فيقول يا ايها الناس ان الله تعالى احل لكم نكاح
الاخوات ثم يخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب
فلم يقبلوا منه فقالت ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا
فامرت بالاخاديد وايقاد النار وطرح من ابي
فيها فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله قتل
اصحاب الاخدود وعن مقاتل كانت الاخدود
ثلاثة واحدة بنجران باليمن واخرى بالشام
واخرى بفارس بختنصر واما التي بارض
العرب فهو يوسف ذو نواس فاما التي كانت
بنجران وذلك ان رجلا مسلما ممن يقرا الانجيل
اجر نفسه في عمل وجعل يقرا الانجيل فرات بنت
المستاجر النور يضيء من قراة الانجيل فرات

بنت

بنت المستاجر النور يضيء من قراة الانجيل فذكرت
ذلك لابيها فراه فساله فلم يخبره فلم يزل حتى اخبره
بالدين والاسلام فتابعه هو وسبعة وثمانون
انسانا ما بين رجل وامراة وهذا بعدما رفع عيسى
عليه السلام الى السماء فسمع ذلك يوسف ذو نواس
فخد لهم في الارض واوقد فيها فعرضهم على الكفر
فمن ابى ان يكفر قذفه في النار ومن رجع عن دين
عيسى لم يقذفه وان امراة جاءت ومعها ولد صغير
لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت الى ابنها
فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تزل
كذلك ثلاث مرات فلما كانت في الثالثة ذهبت
لترجع فقال لها ابنها يا اماه اني ارى امامك نارا
لا تطفى فلما سمعت ذلك قذفا جميعا انفسهما في
النار فجعلها الله وابنها في الجنة فقذف في النار
يوم واحد سبعة وسبعون انسانا فذلك قوله
تعالى قتل اصحاب الاخدود وقوله تعالى النار بدل
اشتمال من الاخدود وقوله تعالى ذات الوقود
وصف لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من
الحطب الكثير وابدان الناس واللام في الوقود للجنس
وقوله تعالى اذ هم عليها قعود الظرف
لقتل اي لعنوا حين احرقوا بالنار قاعدين حولها
ومعنى عليها على ما يدنوا منها من حافات الاخدو د
كقوله ه وبات على النار الندى والمحلق ه

وكانها تقول مددت عليه تريد مستقبلا المكان
يدنوا منه فكانوا يقعدون حولها على الكراسي
وقال القرطبي عليها **وهم على ما يفعلون بالمؤمنين**
بالله من تعذيبهم بالالقاء في النار ان لم يرجعوا
عن ايمانهم **شهود** اي يشهد بعضهم لبعض عند
الملك بانه لم يقصر فيما امر به او شهود عليه
حضور ان روي ان الله تعالى انجى المؤمنين الملقين
في النار بقبض ارواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت
النار الى القاعدين فاحرقتهم قال الرازي ويحتمل
ان يكون المراد بهم المقتولين والمشهور ان المقتولين
هم المؤمنون وروي ان المقتولين هم الجبابرة
روي انهم لما القوا المؤمنين في النار عادت النار على
الكفرة فاحرقتهم ونجى الله منها المؤمنين سالمين
والى هذا القول ذهب الربيع بن انس والواحدي
وتأولوا قوله تعالى ولهم عذاب جهنم اي في الآخرة
ولهم عذاب الحريق اي في الدنيا فان فسر اصحاب
الاخدود بالقاتلين فيكون قوله تعالى قتل اصحاب
الاخدود دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان
ما اكفره وان فسر بالمقتولين كان المعنى ان المؤمنين
قتلوا بالنار فيكون ذلك خبرا لا دعاء والمقصود
من هذه الآية تثبيت قلوب المؤمنين واخبارهم
بما كان يلقاه من قبلهم من الشدائد وذكرهم
النبي صلى الله عليه وسلم قصة الغلام ليصبروا

علي الاذى والصلب وبذل نفسه في اظهار دعوته
ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وكذلك صبر
الراهب على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار وكذلك
اكثر الناس لما امنوا بالله تعالى **وما نقموا** اي وما انكروا
وكرهوا **منهم** من الحالات وكان ذنبا ونقصا **الا ان**
يؤمنوا اي يوجدوا الايمان مستمرين عليه **بالله**
اي الذي له الكمال كله **العزيز** في ملكه الذي يغلب
من اراد ولا يغلبه شيء **الحميد** اي المحيط بجميع صفات
الكمال فهو يثيب من اطاعه اعظم الثواب ثم من
عصاه باشد العذاب وهو استثناء على طريقة قول القائل

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول

اي ثلم في حدهن من قراع الكتائب اي مرض
بها من الكتائب والمثناة جمع كتيبة وهي الجيش وقال
ابن الرقيات ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا
ونظيره قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان امنا
بالله ولما ذكر تعالى الاوصاف التي يستحق بها ان
يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا
يخشى عقابه حميدا منعما يجب الحمد على نعمه ويرجى
ثوابه قرر ذلك بقوله تعالى **الذي له** اي خاصة
ملك السموات والارض اي على جهة العموم مطلقا
فكل من فيها يجب عليه عبادته والخشوع له تقريرا
لان ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه الا مبطل
منهمك في الغي وان الناقمين اهل الانتقام

الله تعالى منهم بما يوجب لهم عذاب والله اي
الملك الاعظم الذي له الاحاطة الكاملة على كل
شيء شهيد اي فلا يغيب عنه شيء وهذا ان
الله عالم بما فعلوا وهو مجازيهم عليه ولما ذكر
قصة اصحاب الاخدود اتبعها بما يستخرج من
احكام الثواب والعقاب فقال تعالى ان الذين
فتنوا المؤمنين والمؤمنات اي حرقوهم بالنار
يقال فتنت الشيء اذا احرقته والعرب تقول فتن
فلان الدرهم والدينار اذا ادخله الكور لينظر جودته
ونظيره يوم هم على النار يفتنون قال الرازي
ويحتمل ان يكون المراد كل من فعل ذلك قال وهذا
اولى لان اللفظ عام والحكم بالتخصيص ترك
الظاهر من غير دليل ولما كانت التوبة مقبولة
قبل الغرغرة ولو طال الزمان عبر سبحانه باداة
التراخي فقال تعالى ثم لم يتوبوا اي عن كفرهم
وعما فعلوا فلهم عذاب جهنم اي بكفرهم ولهم عذاب
الحريق اي عذاب احراقهم المؤمنين في الاخرة
وقيل في الدنيا بان خرجت النار فاحرقتهم كما
تقدم ومفهوم الاية انهم لو تابوا لخرجوا من هذا
الوعيد وذلك يدل على ان الله تعالى يقبل
التوبة من القاتل عمدا المعتمد خلافا لما روي
عن ابن عباس ولما ذكر سبحانه وعيد المجرمين
ذكر ما وعد للمؤمنين بقوله ان الذين آمنوا اي اقروا

بالا

بالايمان من الفتنة وغيرها في النار وغيرهم من كل
طائفة في كل زمان وعملوا الصالحات تصديقا لايمانهم
لهم جنات اي بساتين تفضلا منه تعالى تجري من
تحتها اي تحت غرفها واسرتها وجميع اماكنها الانهار
يتلذذون ببردها في نظير الحر الذي صبروا عليه
في الدنيا ويزول عنهم برؤيته مع ذلك كل حسرة
بحسرات جميع الكفار والفجار ذلك اي الامر العالي
الدرجة العظيم البركة الفوز اي الظفر بجميع
المطالب الكبير وهو رضى الله تعالى ودخول الجنة وقال
تعالى ذلك الفوز ولم يقل تلك لان الاشارة الى الجنة
الموحدة واخبار الله تعالى عن ذلك يدل على كونه
راضيا ان بطش ربك اي اخذ المحسن اليك المدبر
لامرك بالجبابرة والظلمة لشديد كقوله تعالى وكذلك
اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه
اليم شديد قال المبرد ان بطش ربك جواب
القسم والبطش هو الاخذ بعنف فاذا وصف با
لشدة فقد تضاعف ولما كان هذا البطش لا يتأتى
الا لكامل القدرة دال على كمال قدرته واختصاصه
بذلك بقوله مؤكدا لما لهم من الانكار انه هو اي وحده
يبدئ اي يوجد ابتداء اي خلق اراد لا هيئة
اراد ويعيد اي ذلك المخلوق عند البعث وروي
عكرمة قال عجب الكفار من احياء الله تعالى الاموات
اخرج فنزلت وقال ابن عباس رضي الله عنهما

يبدئ لهم عذاب الحريق في الدنيا ثم يعيده عليهم
في الآخرة وهذا اختيار الطبري وقيل يبدئ
البطش ويعيده فيبطش بهم في الدنيا والآخرة
أو دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة
بطشه أو أوعد الكفرة بأن يعيدهم كما بدأهم ليبطش
بهم إذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة **وهو**
أي وحده **الغفور** أي الستور لعباده المؤمنين
وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون
بضمها وقوله تعالى **الودود** مبالغة في الواد قال
ابن عباس هو المتودد لعباده بالمغفرة وعن المبرد
هو الذي لا ولد له وأنشد **شعر**

وأركب في الروع عريانة ذلول الجماع لقاحا ودودا **شعر**

أي لا ولد لها تحن إليه وقيل هو فعول بمعنى مفعول
كالركوب والحلوب بمعنى المركوب والمحلوب وقيل يغفر
ويتودد أن يغفر **ذو العرش** أي خالقه ومالكه أي ذو
الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير ملكه
وإن لم يكن على سرير ويقال ثل عرشه أي ذهب سلطانه
أو السرير الدال على اختصاص الملك بالملك
وانفراده بالتدبير والسيادة الذي به قوام الأمور
وقرأ **المجيد** حمزة والكسائي بجر الدال على أنه
نعت للعرش أو لربك في قوله تعالى إن بطش
ربك قال مكي وقيل إن يكون نعتا للعرش لأنه
من صفات الله تعالى انتهى وهذا ممنوع

لانه

لأنه من صفات الله تعالى مجد العرش علوه وعظمه
كما قال الزمخشري وقد وصف العرش بالكريم في آخر
المؤمنين وقرأ الباقون برفع الدال على أنه خبر بعد
خبر وقيل هو نعت لذو واستدل بعضهم على تعدد
الخبر بهذه الآية من منع قال لأنها في معنى خبر
واحد أي جامع بين هذه الأوصاف الشريفة أو كل
منها خبر لمبتدأ مضمر والمجد هو النهاية في الكرم
والفضل والله سبحانه وتعالى موصوف وتقدم وصف
عرشه بذلك **فعال** أي على سبيل التكرار والمبالغة
لما يريد قال القفال أي يفعل ما يريد على ما يراه
لا يعترض عليه أحد ولا يغلبه غالب فيدخل
أولياءه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل أعداءه النار
لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاة على ما يشاء إلى
أن يريد جزاءهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة إذا شاء
فهو يفعل ما يريد وعن أبي السفر دخل ناس
من الصحابة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه
يعودونه فقالوا ألا نأتيك بطبيب قال قد رآني
قالوا فماذا قال لك قال إني فعال لما أريد وقال
الزمخشري فعال خبر مبتدأ محذوف وإنما قال
فعال لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة وقال
الطبري رفع فعال وهو نكرة محضة على وجه
الاتباع لإعراب الغفور الودود تنبيه دلت هذه
الآية على أن جميع أفعال العباد مخلوقة لله

تعالى قال بعضهم ودلت على ان الله تعالى لا يجب
عليه لانها دالة على انه يفعل ما يريد **هل اتاك** اي
يا سيد الخلق **حديث** اي خبر **الجنود** الجموع الكافرة
المكذبة لانبيائهم وقوله تعالى **فرعون وثمود** يجوز
ان يكون بدلا من الجنود واستشكل كونه بدلا لانه
لم يكن مطابقا للمبدل منه في الجمعية واجيب
بانه على حذف مضاف اي جنود فرعون وان المراد
فرعون وقومه واستغني بذكره عن ذكرهم لانهم
اتباعه ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعني لانه
لم يطابق ما قبله وجب قطعه والمعنى انك قد عرفت
ما فعل الله تعالى بهم حين كذبوا رسلهم كيف هلكوا
بكفرهم فقومك ان لم يومنوا بك يفعل بهم كما فعل
بهولاء فاصبر كما صبر الانبيا قبلك على اممهم **بل
الذين كفروا** اي من هولاء الذين لا يومنون
بك **في تكذيب** لك لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب
ان حالهم اعجب من حال هولاء فانهم سمعوا قصتهم
وراوا اثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم
وانما خص فرعون وثمود لان ثمود في بلاد
العرب وقصتهم عندهم مشهورة عند اهل الكتاب
وغيرهم وكان من المتاخرين في الهلاك فدل
بهما على امثالهما وقوله تعالى **والله** اي والحال ان
الملك الذي له الكمال كله **من ورائهم محيط** وفيه
وجوه احدها ان المراد وصف اقتداره عليهم وانهم

في

في قبضته وحصره كالمحاط اذا احيط به من ورائه
ينسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا يقول الله تعالى فهم
كذا في قبضتي وانا قادر على اهلاكهم ومعاجلتهم
بالعذاب على تكذيبهم اياك فلا تجزع من تكذيبهم
اياك فليسوا من هذه الاحاطة قرب اهلاكهم
كقوله تعالى وظنوا انهم قد احيط بهم فهو عبارة عن
مشارفة الهلاك ثانيها انه تعالى محيط باعمالهم
اي عالم بها فيجازيهم عليها **بل هو** اي هذا القران
الذي كذبوا به وهو لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه **قران** اي جامع لكل منفعة جليلة
بالغ الذروة العليا في كل شرف **مجيد** اي شريف
وحيدا في اللفظ والمعنى وليس كما زعم المشركون
انه شعر وكهانة **في لوح** هو في الهوا فوق السماء
السابعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام
ومحمد عبده ورسوله فمن امن بالله عز وجل وصدق
بوعده واتبع رسله ادخله الجنة قال واللوح لوح
من درة بيضا طوله ما بين السماء والارض وعرضه
ما بين المشرق الى المغرب وحافتاه الدر والياقوت
ودفتاه ياقوتة حمرا وقلمه نور وكلامه نور
معقود بالعرش واصله في حجر ملك **محفوظ** قرا
نافع بالرفع على انه نعت لقران والباقون بالجر
على انه نعت للوح وقال مقاتل اللوح المحفوظ عن

يبين العرش ومن الزيادة فيه والنقصان وقول
البيضاوي تبعا للزمخشري انه صلى الله عليه وسلم
قال من قرا سورة البروج اعطاه الله تعالى بعدد
كل يوم جمعة وكل يوم عرفة عشر حسنات حديث
موضوع

تفسير سورة الطارق مكية

وهي سبع عشرة اية واثنتان وسبعون كلمة
ومائتان واحدى وسبعون حرفا بسم الله مالك الخلق
اجمعين الرحمن الذي عم جوده المؤمنين والكافرين
الرحيم الذي خص رحمته بعباده المؤمنين وقوله
تعالى والسماء والطارق قسم اقسم الله تعالى
به وقد اكثر الله تعالى في كتابه العزيز ذكر السماء والشمس
والقمر لان احوالها في اشكالها وسيرها ومطالعها
ومغاربها عجيبة ولما كان الطارق يطلق على غير
النجم ابهمه اولا ثم عظم القسم بقوله تعالى وما ادراك
اي اعلمك يا اشرف خلقنا وان حاولت معرفة
ذلك وبالغت بالفحص عنه ما الطارق وهذا
مبتدا وخبره في محل المفعول الثاني لادري وما
بعد ما الاولى خبرها وفيه تعظيم لشان الطارق
واصله كل ات ليلا ومنه النجوم لطلوعها ليلا
وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وشعبة وابن ذكوان
بخلف عنه بالامالة محضة وقرا ورش بين
اللفظين والباقون بالفتح ثم فسر الطارق بقوله

تعالى

تعالى النجم الثاقب المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ
فيه كما قيل دريء لانه يدرؤه اي يدفعه والمراد
جنس النجوم او جنس الشهب التي يرجم بها
وقال محمد بن كعب هو زحل وقال ابن زيد هو
الثريا وقال ابن عباس هو الجدي وقال علي هو نجم
في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا
اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها
ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين
ينزل وحين يرجع وفي الصحاح الطارق النجم الذي
يقال له كوكب الصبح قال الماوردي واصل الطرق
الدق ومنه المطرقة فسميت وسمي النجم طارقا
لانه يطرق ليلا ومنه اي ومثله روي ان ابا طالب
اتى النبي صلى الله عليه وسلم بلبن وخبز فبينما هو
جالس اذ انحط نجم فامتلات الارض نورا ففزع
ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وانه اية من ايات
الله تعالى فعجب ابو طالب فنزلت السورة وقال
مجاهد الثاقب المتوهج وجواب القسم ان كل نفس
اي من الانفس مطلقا لا سيما نفوس الناس لما
عليها اي خصوصها حافظ وقرا ابن عامر وعاصم
تشديد الميم والباقون بتخفيفها فعلى تخفيفها تكون
مزيدة وان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف
اي انه واللام فارقة وعلى تشديدها فان نافية

عليه الا والحافظ هو المهيمن الرقيب وهو الله تعالى
وكان على كل شيء رقيبا وكان على كل شيء رقيبا
وكان الله على كل شيء مقيتا او ملك يحفظ عملها
ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر وروي
انه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
وكل بالمومن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما
يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد
الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين ولما
ذكر الله تعالى ان على كل نفس حافظا اتبعه توصية
الانسان بالنظر في اوله فقال **فلينظر الانسان**
اي الانسان بنفسه الناظر في عطفه نظر اعتبار
في امر نشاته الاولى حتى يعلم ان من انشاه
قادر على اعادته فيعمل ليوم الاعادة والجزا
ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته وقوله
تعالى **مم خلق** استفهام من اي شيء وجوابه
خلق اي الانسان على اي وجه الاهله بعد
خلق الله تعالى ادم عليه السلام من **تراب**
واسر حواء رضي الله تعالى عنهما من ضلع **من
ماء دافق** اي مدفوق فاعل بمعنى مفعول كقوله
تعالى عيشة راضية او دافق على النسب
اي ذي دفق اذ انزفاق وقال ابن عطية
يصح ان يكون الماء دافقا لان بعضه يدفق بعضا
اي يدفعه فمنه دافق ومنه ما يدفق بعضا

والدفق الصب اي مصبوب في الرحم ولم يقل من ماءين
فانه من ماء الرجل وماء المراة لان الولد عكوف
منهما لامتزاجهما في الرحم فصارا كالماء الواحد واتحاد ها
حتى ابتدا في خلقه **يخرج من بين الصلب** اي للرجل
وهو عظام الظهر **والترائب** اي للمراة جمع التريبة
وهي الترايب التراقي وقيل اضلاع الرجل التي
اسفل الصلب وحكي الزجاج ان الترائب اربعة
اضلاع من يمنة الصدر واربعة اضلاع من يسرة
الصدر وقال ابن عادل جاء في الحديث ان الولد
يخلق من ماء الرجل يخرج من صلبه العظم والعصب
ومن ماء المراة يخرج من ترائبها اللحم والدم وحكى
القرطبي ان ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع
في الانثيين وهذا لا يعارضه قوله تعالى من بين
الصلب والترائب لانه ينزل من الدماغ الى الصلب
ثم يجتمع في الانثيين قال المهدوي ومن جعل
يخرج من بين صلب الرجل وترائب المراة فالضمير
للانسان والضمير في قوله تعالى **انه** للخالق المدلول
عليه تعالى بخلق لانه معلوم ان لا خالق سواه
سبحانه وتعالى وفي الضمير في قوله تعالى **على رجعه**
وجهان احدهما انه ضمير الانسان اي يبعثه بعد
موته **لقادر** وهذا قول ابن عباس والثاني
انه ضمير الماء اي يرجع في الاحليل والصلب
وهذا قول مجاهد وعن الضحاك انه يعيد على

رد الانسان من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى
الكبر وقال ابن زيد انه لحبس ذلك الماء حتى لا يخرج
لقادر وقال الماوردي ويحتمل انه قادر على ان
يعيده الى الدنيا بعد بعثه الى الاخرة لان الكفار
يسالون فيها الرجعة وقوله تعالى يوم منصوب
برجعه ومن يجعل الضمير في رجعه للما احاله حليل
وحاله الاولي نصب الظرف بمضمر اي واذكر يوم
تبلى تختبر وتكشف السرائر اي ما اسر في القلوب
من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال
وذلك يوم القيامة وبلاؤها تعرفها وتصفحها
والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن
الحسن رضي الله عنه انه سمع رجلا ينشد
سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر
فقال ما اغفله عما في والسماء والطارق
وقال عطاء بن رباح ان السرائر فرائض الاعمال
كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة
فانها سرائر بين الله تعالى وبين العبد فلو شاء
العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت
ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من اداها ممن ضيعها
وقال ابن عمر رضي الله عنهما يبدي الله تعالى كل
سر فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه فمن
اداها كان وجهه مشرقا ومن لم يودها كان وجهه
اغبر فما له اي لهذا الانسان المنكر للبعث الذي

اخرجت

اخرجت سرائره واغرق في النفي والتعميم فقال
من قوة اي منعة الذاب اخرجت سرائره واغرق
في النفي والتعميم في نفسه يمتنع بها ولا ناصر اي
ينصره من عذاب الله تعالى فيدفعه عنه ثم
ذكر تعالى قسما اخر فقال تعالى والسماء اي التي تقدم
الاقسام بها وصفها بما يوكده العلم بالبعث فقال
تعالى ذات الرجع اي التي ترجع الدوران الى الموضع
التي تحرك عنه فترجع الاحوال التي كانت
وتصرمت من الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب
والفصول من الشتا وما فيه من برد ومطر والصيف
وما فيه من حر وصفا وسكون وغير ذلك وقيل
ذات النفع وقيل ذات الملائكة لرجوعهم فيها باعمال
العباد وقيل ذات المطر لعوده كل حين او كما قيل
من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم ترجعه
الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب
والارض اي مسكنكم الذي انتم ملابسوه ومعاينوه
كل وقت ذات الصدع اي تتصدع عن النبات
والشجر والثمار والانهار والعيون نظيره قوله تعالى
وشققنا الارض شقا الاية والصدع بمعنى
الشق لانه يصدع الارض فتتصدع به فكانه قال
تعالى والارض ذات النبات وقال مجاهد ذات
الطرق التي تصدعها المشاة وقيل ذات الحرث لانه
يصدعها وقيل ذات الاموات لانصداعها عنها للنشور

قال الرازي واعلم ان الله تعالى لما جعل كيفية خلقة
الحيوان دليلا على معرفة المبدا والمعاد ذكر في
هذا القسم كيفية خلقة النبات فقوله تعالى والسماء
ذات الرجع كالاب وقوله تعالى والارض ذات
الصدع كالام وكلاهما من النعم لان نعم الدنيا
موقوفة على ما ينزل من السماء مكررا وعلى ما ينبت
من الارض كذلك ثم رتب هذا القسم عليه وهو
قوله تعالى انه لقول فصل وفي هذا الضمير
قولان احدهما ما قاله القفال وهو ان المعنى ما
اخبرتكم به من قدرتي على احيائكم يوم تبلى السرائر
قول فصل وحق والثاني انه عائد على القرآن
اي القرآن فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان
قال الرازي والاول اولى لان عود الضمير الى
المذكور السابق اولى انتهى واكثر المفسرين على
الثاني والفصل الحكم الذي ينفصل به الحق عن الباطل
ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم الجزم
ويقال هذا قول فصل قاطع للشر والنزاع معناه
جد فقوله تعالى وما هو اي في باطنه ولا ظاهره
بالهزل اي باللعب والباطل بل هو جد كله لا هوادة
فيه ومن حقه وقد وصفه الله تعالى بذلك ان
يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع
به قارئه وسامعه ان يلم بهزل او يتفكه بمزاح
وان يترفع به قارئه وسامعه الكلام ينبغي ذهنه

الى

الى ان جبار السموات والارض يخاطبه فيامره
وينهاه ويعده ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف ولم
تتبالغ فيه الخشية فادنى امره ان يكون جادا غير
هازل فقد نعى الله تعالى عن المشركين ذلك في قوله
تعالى عن المشركين ذلك في قوله تعالى وتضحكون
ولا تبكون وانتم سامدون والعوافية هذا على
عود الضمير للقرآن وعلى جعله للاول فيكون
المعنى جادا او هازلا من ذلك الذي تبلى فيه
السرائر انهم اي الكفار اعداء الله تعالى يكيدون
كيدا اي يمكرون بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
مكرا واختلف في ذلك الكيد فقيل القاء الشبهات
كقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا من يحيي العظام
وهي رميم اجعل الالهة الها واحدا وما اشبه
ذلك وقيل قصدهم قتله لقوله تعالى واذ يمكر
بك الذين كفروا واما قوله تعالى واكيد اي وانا باتمام
استدراكه كيدا واختلف فيه بعض فقيل معناه اجازيهم
كيدهم وقيل هو ما اوقع الله تعالى يوم بدر
من القتل والاسر وقيل استدراجهم من حيث
لا يعلمون وقيل كيد الله تعالى لهم نصره واعلاء
درجته تسمية لاحد المتقابلين باسم الآخر كقوله
تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقول الشاعر
الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وكقوله تعالى نسوا الله فنسيهم مما يعوذ الله وهو

خادعهم ولما كانت هذا معلما بانهم عدم لا اعتبار بهم
قال تعالى مسليا عنه تهديدا لهم فمهل الكافرين
اي فمهل يا اشرف الخلق هولاء العدا ولا تستعجل بالا
نتقام منهم ولا بالدعا عليهم باهلاكهم فانا لا نعجل
لان العجلة وهي اتباع الشي في غير وقته
الذي يليق به نقص وقوله تعالى امهلهم تاكيد حسنه
مخالفة اللفظ اي انظرهم رويدا اي قليلا وهو
مصدر موكد لمعنى العامل مصغر رود او ارود
على الترخيم وقد اخذهم الله تعالى ببدر
ونسخ الامهال باية الجهاد والقتال وقول
البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من قرا سورة الطارق اعطاه
الله تعالى بعدد كل نجم في السما عشر حسنات
حديث موضوع

سورة الاعلى مكية

في قول الجمهور وقال الضحاك مدنية قال
البغوي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها لكثرة
ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات وهي تسع
عشرة اية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان
واربعة وثمانون حرفا بسم الله عالم الغيب فلا
يخفى خافية الرحمن الذي عم جوده كل انس وجن
وملك ودابة الرحيم الذي خص اولياءه بمعرفتهم
احسانه واختلف في قوله سبح اسم الاعلى

قال

قال الكثيرون على ان المعنى نزه ربك المحسن اليك
بعد ايجادك على صفة الكمال عما لا يليق به فالاسم
زائد كقول لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما
وقيل عظم ربك الاعلى والاسم زائد لاجل قصد
به تعظيم المسمى وذكر الطبري ان المعنى نزه اسم
ربك ان تسمي به احدا سواه وقيل
نزه تسمية ربك اياه ان تذكره الا وانت خاشع
معظم لذكره وقال الرازي معنى سبح اسم ربك
الاعلى نزهه عن كل ما لا يليق به في ذاته
وصفاته واسمائه وافعاله واحكامه اما في ذاته
فان تعتقد انها ليست من الجواهر والاعراض
واما في صفاته فان تعتقد انه سبحانه مالك
الاعرا من لا حد عليه في امر من الامور
واما في اسمائه فان لا تذكره سبحانه الا بالاسما
التي لا توهم نقصا بوجه من الوجوه سوا
اورد الاذن فيها ام لا يرد واما في احكامه
سبحانه فهي ان تعلم ان ما كلفنا لنفع يعود اليه
بل لمحض المالكية قال البغوي ويحتج بهذا من
يجعل الاسم والمسمى واحدا لان احدا لا يقول
الله سبحانه ربنا فكان المعنى سبح اسم ربك سبح
ربك الشي وكون الاسم عين المسمى او غيره
قد ذكرتها في مقدمتي على البسملة والحمدلة
وعن ابن عباس رضي عنهما سبح اي صل

بامر ربك وذهب جماعة من الصحابة والتابعين علي
ان المراد قل سبحان ربي الاعلى وعن عقبة ابن
عامر انه لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال لنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم
ولما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها
في سجودكم وروي ان اول من قال سبحان ربي
الاعلى ميكائيل ولما امر تعالى بالتسبيح فكان سائلا
قال سبحان ربي بالتسبيح انما يكون بعد المعرفة
فما الدليل علي وجود الرب تعالى فقال تعالى
الذي خلق اي اوجد من العدم فله صفة الايجاد
ولكل ما اراده لا يعسر عليه شي فسوى اي مخلوقه
وقال الرازي يحتمل ان يريد الناس خاصة
ويحتمل ان يريد الحيوان ويحتمل ان يريد كل شي خلقه
الله تعالى فمن حمله على الانسان في احسن تقويم
واثنى على نفسه بسبب خلقه اياه بقوله تعالى
فتبارك الله احسن الخالقين ثانيها كل حيوان
مستعد لنوع واحد من الاعمال فقط واما الانسان
فانه خلق بحيث يمكنه ان ياتي بجميع الاعمال
بواسطة الالات ثالثها انه تعالى هياه للتكليف
والقيام باداء العبادات وقال بعضهم خلق في
اصلاب الاباء وسوى في الارحام الامهات
ومن حمله على جميع الحيوانات فمعناه انه اعطى
كل حيوان ما يحتاج اليه من الالات والاعضا ومن حمله

علي

علي جميع المخلوقات كان المراد من التسوية هو انه
تعالى قادر علي كل الممكنات عالم بجميع المعلومات
يخلق ما اراده على وفق ارادته موصوفا بالاحكام
والاتقان مبرا عن النقص والاضطراب وقدر والذي
قدر الكسائي بتخفيف الدال والباقون بالتشديد
قال البغوي وهما بمعنى واحد اي وقع تقديره
في اجناس الاشيا وانواعها واشخاصها ومقاديرها
وصفاتها وافعالها واحوالها وغير ذلك من احوالها
فجعل البطش لليد والمشي للرجل والسمع للاذن
والبصر للعين ونحو ذلك فهدى قال مجاهد
هدى الانسان سبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة
وهدى الانعام لمراعيها وقال مقاتل والكلبي في قوله
تعالى فهدى عرف خلقه كيف ياتي الذكور الاناث
كما قال تعالى في سورة طه اعطى كل شي خلقه
ثم هدى الذكر للانثى وقال عطا جعل لكل دابة
ما يصلحها وهداها له وقيل قدر اقواتهم
وارزاقهم وهداهم لمعاشهم ان كانوا اناسا
ولمراعيهم ان كانوا وحوشا وقال السدي قدر
مدة الجنين في الرحم ثم هداه الى الخروج من
الرحم ومن ذلك هدايات الانسان الى مصالحه
من اغذيته وادويته وامور دنياه ودينه
والهامات البهائم والطيور وهوام الارض
الى معاشها ومصالحها يقال ان الافعى اذا اتي

الافعى سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان تمسح عينيها
بورق الرازيانج الغض فترد اليها بصرها فربما كانت
في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي
تلك المسافة على طولها وعماها حتى تهجم في
بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطيها
فتحك بها عينيها فترجع باصرة باذن الله تعالى
وقيل فهدى اي دلهم بافعاله على توحيده وكونه
عالما قادرا والاستدلال بالخلق والهداية
معتمد الانبياء قال ابراهيم عليه السلام الذي
خلقني فهو يهدين وقال موسى عليه السلام
لفرعون ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى
ومما ذكر تعالى ما يختص بالناس اتبعه ما يختص
بالحيوان فقال تعالى والذي اخرج المرعى اي انبت
ما ترعاه الدواب وقال ابن عباس المرعى الكلا
الاخضر فجعله اي بعد اطوار من زمن اخراجه
بعد خضرته غثاء اي جافا هشيما احوى اي اسود
باليا قال المفسرون يجوز ان يكون احوى حالا
من المرعى اي اخرجه احوى اي اسود من شدة
خضرة والري فجعله غثاء بعد حوته وقال ابن
زيد هذا مثل ضربه الله تعالى للكفار لذهاب
الدنيا بعد نضارتها وقوله تعالى سنقرئك فلا
تنسى بشارة من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
باعطائه بينة وهو ان يقرا عليه جبريل ما

يقرا

يقرا عليه من الوحي وهو امي لا يكتب ولا يقرا فيحفظه
ولا ينساه فهو نفي اخبر الله تعالى ان نبيه لا ينسى
صلى الله عليه وسلم وقيل نهي والالف مزيدة
للفاصلة كقوله تعالى فلا تنسى اي فلا تغفل قراءته
وتكريره فتنساه ومنعه مكي لانه لا ينهى عما ليس
باختياره واجيب بان هذا غير لازم والمعنى
النهي عن تعاطي اسباب النسيان وهو شائع قال
الرازي وهذه الآية تدل على المعجزة من وجهين
الاول انه كان رجلا اميا فحفظه لهذا الكتاب
المطول من غير دراسة ولا تكرار خارق للعادة
فيكون معجزا الثاني ان هذه السورة من اوائل ما نزل
بمكة فهذا اخبار عن امر عجيب مخالف للعادة سيقع
في المستقبل وقد وقع فكان هذا اخبارا فيكون
معجزا وفي المشيئة في قوله تعالى الا ما شاء الله اي
الذي لداله مركله وجوه احدها التبرك بهذه
الكلمة كقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل
ذلك غدا الا ان يشاء الله فكانه تعالى يقول اني
عالم بجميع المعلومات وعالم بعواقب الامور على
التفصيل ومع ذلك لا اخبر بوقوع شيء في المستقبل
الا مع هذه الكلمة فانت وامتك بالشرف تكلف
اولى بها ثانيها قال الفراء انه تعالى ما شاء ان ينسى
محمدا صلى الله عليه وسلم شيئا الا ان المقصود
من ذكر هذا الاستثناء بيان انه تعالى لو اراد ان

بعيره ناسيا لما لك لعذر عليه كقوله تعالى ولئن
لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم انا نقطع الله تعالى
ما شاء ذلك ونظيره قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن
عملك مع انه صلى الله عليه وسلم ما اشرك البتة تفايدة
هذا الاستثناء ان الله تعالى يعرفه قدرته حتى يعلم
ان عدم النسيان من فضل الله تعالى واحسانه
لا من قوته ثانيها ان الله تعالى لما ذكر هذا الاستثنا
جوز صلى الله عليه وسلم في كل ما ينزل عليه من
الوحي ان يكون ذلك هو المستثنى فلا جرم بالغ
في التثبت والتحفظ في جميع المواضع فكان المقصود
من ذكر الاستثناء بقاؤه صلى الله عليه وسلم على التيقظ
في جميع الاحوال رابعها ان ينساه بنسخ تلاوته وحكمه
وكان صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل
عليه السلام خوف النسيان فكانه قيل له لا تعجل
بها انك لا تنسى ولا تتعب نفسك بها بالجهر
بها انه اي الذي بهما نسا كان يعلم الجهر اي القول
والفعل وما يخفى اي منهما وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ما في قلبك ونفسك وقال
محمد بن حاتم يعلم اعلان الصدقة واخفاها
وقيل الجهر ما حفظته من القران في صدرك
وما يخفى ما نسخ من صدرك وقوله تعالى
ونيسرك لليسرى اي عطف على سنقرئك فهو داخل
في التنفيس وما بينهما من الجملة اعتراض قال الضحاك

واليسرى

واليسرى هي الشريعة اليسرى وهي الحنيفية السهلة
وقال ابن مسعود اليسرى الجنة اي نيسرك الى العمل
الموصل الى الجنة وقيل اليسرى الطريقة اليسرى وهي
اعمال الخير والامر في قوله تعالى فذكر للنبي صلى
الله عليه وسلم اي فذكر بالقران ان نفعت اي الموعظة
وان شرطية وفيه استبعاد لتذكرهم ومنه قول
القائل شعر
لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي
ولانه صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم
وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا
وطغيانا وكان صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة
وتلهفا ويزداد جهدا في تذكرهم وحرصا عليهم
فقيل ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير
التذكير وقيل ان بمعنى اذ كقوله تعالى وانتم
الاعلون ان كنتم مومنين اي اذ كنتم مومنين
وقيل بعده محذوف تقديره ان نفعت الذكرى
وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد
قاله الفراء والنحاس وقيل ان بمعنى ما لا بمعنى الشرط
لان الذكرى بقوله تعالى سيذكر اي بوعد لا خلف
فيه من يخشى اي يخاف الله تعالى فهي كافية
فذكر بالقران من يخاف وعيد وان كان النبي صلى
الله عليه وسلم يجب عليه تذكيرهم نفعتهم الذكرى
ام لم تنفعهم وقال ابن عباس نزلت في ابن ام مكتوم

وقيل في عثمان بن عفان قال الماوردي وقد تذكر
من يرجوه الا ان تذكرة الخاشع ابلغ فلذلك علقها
بالخشية دون الرجاء وقال القشيري المعنى عم انت
التذكير والوعظ وان كان النفع انما ينفع من يخشى
ولكن يحصل لك ثواب الدعاء فان قيل التذكير انما
يكون لشيء قد علم وهؤلاء لم يزالوا كفارا معاندين
اجيب بان ذلك لظهوره وقوة دليله كانه
معلوم لكنه يزول بسبب التقليد والعناد تنبيه
السين في قوله تعالى سيذكر يحتمل ان تكون بمعنى
سوف وسوف من الله تعالى واجب كقوله
تعالى سنقرئك فلا تنسى ويحتمل ان تكون المعنى
ان من خشي فانه يتذكر وان كان بعد حين بما يستعمله
من التذكير والنظر ولما بين تعالى من ينتفع بالذكرى
بين من لا ينتفع بها بقوله تعالى ويتجنبها اي الذكرى
اي يتركها جانبا فلا يلتفت اليها الاشقى الذي
يصلى النار وهو الكافر فان قيل الاشقى يستدعي
وجود شقي فكيف حال هذا القسم اجيب بان
لفظ الاشقى من غير مشاركة كقوله تعالى اصحاب
الجنة يومئذ مستقرا واحسن مقيلا وقوله تعالى
وهو اهون عليه وقال الرازي الفرق ثلاثة العارف
والمتوقف والمعاند فالسعيد هو العارف والمتوقف
له بعض الشقاء والاشقى هو المعاند وقال
الزمخشري الاشقى الكافر لتوغله في معاندة النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن
المغيرة وعتبة بن ابي ربيعة واختلف في قوله
تعالى الكبرى اي العظمى على وجوه احدها قال
الحسن هي نار جهنم والصغرى نار الدنيا ثانيها ان
في الاخرة نيرانا ودركات متفاضلة فكما ان الكفار
اشقى العصاة فلذلك يصلى اعظم النيران ثالثها
ان النار الكبرى هي النار السفلى وهي نصيب
الكفار وقال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار فان قيل قوله تعالى ثم لا يموت فيها ولا يحيى
يقتضي ان ثم حالة غير الحياة والموت وذلك غير
معقول اجيب عن ذلك بوجهين احدهما
لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه كما قال
تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم
من عذابها وهذا على مذهب العرب يقولون
للمبتلى بالبلاء الشديد لا هو حي ولا هو ميت
ثانيها ان نفس احدهم في النار في حلقه لا تخرج
فيموت ولا ترجع الى موضعها فيحيى تنبيه
قوله تعالى ثم للتراخي بين الرتب في الشدة ولما
ذكر تعالى وعيد من اعرض النظر في دلائل الله
تعالى اتبعه بالوعد لضده فقال تعالى قد افلح
اي فاز بكل مراد من تزكى اي تطهر من الكفر بالايمان
كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
رسول الله وقيل تطهر للصلاة وادى الزكاة

وذكر اسم ربه اي بقلبه ولسانه مكبرا فصلي اي
الصلوات الخمس قال الزمخشري وبه يحتج على وجوب
تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلاة
لان الصلاة معطوفة عليها وقال قتادة تزكي
عمل صالحا وعن عطا نزلت في صدقة الفطر
وصلي صلاة العيد قال بعضهم لا ادري ما وجه
هذا التاويل فان هذه السورة مكية ولم يكن
بمكة عيد ولا زكاة فطر واجاب الواحدي
بانه يجوز ان يكون النزول سابقا على الحكم كقوله
تعالى وانت حل بهذا البلد والسورة مكية
وظهر اثر الحل يوم الفتح قال صلى الله عليه
وسلم احلت لي ساعة من نهار وقيل المراد
زكاة الاعمال لا زكاة الاموال اي زكي اعماله من
الريا والتقصير وروي عن عطا انه قال ان هذه الاية
نزلت في عثمان وذلك انه كان بالمدينة منافق
له نخلة مائلة الى دار رجل من الانصار اذا هبت
الريح تساقط منها شي رطبه في دار الانصاري
فياكل هو وعياله من ذلك فخاصمه المنافق
فذكر الانصاري ذلك للنبي صلى الله عليه
وسلم ان اخاك الانصاري ذكر ان تمرك يقع
في منزله فياكل قال ابيع عاجله باجل لا افعل فذكر
ان عثمان قد اعطاه حائطا من نخل بدل نخلته
فيقول فيه قد افلح من تزكي وفي المنافق ويجنبها

الاشقي

الاشقي قال الضحاك نزلت في ابي بكر وقرا بل تؤثرون
الحياة الدنيا ابو عمرو بالياء الغيبة والباقون بتاء
الخطاب ومعناه على القراءة الاولى بل يؤثرون الاشقون
وعلى القراءة الثانية بل تؤثرون ايها المسلمون
الاستكثار من الدنيا اي الدنية بالنظر لمحاسن
مع انها سريعة فانية اشتغالا بها لاجل حضورها
كالحيوانات التي هي مقيدة بالمحسوسات على
الاستكثار من الثواب والاخرة اي والحال ان الدار
التي هي القصر المبراة عن العيب المنزهة عن الخروج
عن الحكمة خير اي من الدنيا وابقى لانها تشتمل على
السعادة الجسمانية والروحانية والدنيا ليست
كذلك فالاخرة خير من الدنيا ولان الدنيا لذاتها
ليست كذلك فالاخرة مخلوطة بالالام والاخرة
ليست كذلك ولان الدنيا فانية والاخرة باقية
والباقي خير من الفاني وعن عمر رضي الله عنه انه
قرا هذه الاية فقال اتدرون لم اثرنا الحياة
الدنيا على الاخرة قلنا لا قال لان الدنيا احضرت
وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها
وبهجتها وان الاخرة نعتت لنا وزويت عنا فاحببنا
العاجل وتركنا الاجل والاشارة في قوله
تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى الى قوله قد افلح
من تزكى الى قوله خير وابقى اي هذا الكلام وارد
في تلك الصحف وقيل الى ما في سورة كلها وهو

عكرمة عن ابن عباس وقال الضحاك ان هذا القران
لفي الصحف الاولى ولم يرد ان هذه الالفاظ بعينها
في تلك الصحف وانما معناه ان معنى الالفاظ بعينها
في هذا الكلام في الصحف ثم بين تلك الصحف وهي
المنزلة قبل القران بقوله تعالى صحف ابراهيم وقدم
لان صحفه اقرب الى الوعظ كما نطق به حديث
ابي ذر وموسى وختم به لان الغالب على كتابه
الاحكام والمواعظ فيه قليلة ومنها التي واجب
البلغة كما للمس لمن خالف اوامر التوراة اعظمها
البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وروي عن ابي
بن كعب انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب
ادم منها عشرة صحف وعلى شيث خمسون صحيفة
وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثون صحيفة
وعلى ابراهيم عشرة صحائف والتوراة والانجيل
والزبور والفرقان وقيل في صحف ابراهيم
ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا
بزمانه مقبلا على شانه وعن عائشة رضي
الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرا في الركعتين الملتين يوتر بعدهما
بسبح اسم ربك الاعلى وقل يايها الكافرون
وفي الوتر بقل هو الله احد وقل اعوذ برب
الفلق وقل اعوذ برب الناس وقراء الاعلى فهدي

فهديه

فهدي المرعى احوى فلا تنسى وما يخفى من يحيى
لا يموت ولا يحيى من تزكى فصلى الدنيا والبقى
الاولى وموسى حمزة والكسائي بالامالة محضة وقرا
ورش وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل
اما الاعلى الذي والاشقى الذي اذا وقف عليها
فالامالة وان وصلا فلا امالة والباقون بالفتح
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من قرا سورة الاعلى اعطاه الله
عشر حسنات بعدد كل حرف انزل الله تعالى على
ابراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام حديث
موضوع

سورة الغاشية بالاجماع

وهي ست وعشرون اية واثنان وتسعون كلمة
وثلثماية واحدى وثمانون حرفا بسم الله علام
الغيوب الرحمن كاشف الكروب الرحيم الذي خص
اولياءه بالعفو عن الذنوب وقوله سبحانه وتعالى
هل اتاك حديث الغاشية فيه وجهان احدهما ان
هل بمعنى قد اي قد جاءك يا اشرف الخلق حديث
الغاشية كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين
من الدهر قاله قطرب والثاني انه استفهام على حاله
وتسميه اهل البيان التشويق والمعنى ان لم يكن
اتاك حديث الغاشية فقد اتاك وهو معنى قول
الكلبي والغاشية الداهية التي تغشى الناس

بشدايدها وتلبسهم اهوالها وهي الغاشية
من قوله يوم يغشاهم العذاب وقيل هي النار من
قوله تعالى وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش
وقيل المراد النفخة الثانية للبعث لانها تغشى الخلق
وقيل الغاشية اهل النار يغشونها ويقتحمون
فيها وجوه اي كثير جدا الكائنة يومئذ اي يوم اذ غشيت
خاشعة اي ذليلة من الخجل والفضيحة والخوف
من العذاب والمراد بالوجوه اصحابها عاملة
ناصبة اي ذات نصب وتعب قال سعيد بن
جبير عن قتادة تكبرت في الدنيا عن طاعة الله
فاعملها الله وانصبها في النار بجر السلاسل الثقال
وحمل الاغلال والوقوف حفاة عراة في عرصات
في يوم كان مقداره الف سنة وقال ابن مسعود
تخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل وقال
الحسن لم تعمل لله في الدنيا ولم تنصب له فاعملها
وانصبها في جهنم وقال ابن عباس هم الذين انصبوا
انفسهم في الدنيا على معصية الله تعالى على
الكفر مثل عبدة الاوثان والرهبان وغيرهم
لا يقبل الله تعالى الا ما كان خالصا له وعن
علي انهم الخوارج الذين ذكرهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال تحقرون صلاتكم مع صلاتهم
وصيامكم مع صيامهم واعمالكم مع اعمالهم يمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية الحديث

وقرا تصلى ابو عمرو وشعبة بضم التاء الفوقية على
ما لم يسم فاعله والباقون بفتحها على تسمية
الفاعل والضمير على كلتا القراءتين للوجوه والمعنى
تدخل نارا حامية اي شديدة الحر قد احميت واوقد
مدة طويلة ومنه حمي النهار بالكسر اي اشتد حره
وحكى الكسائي اشتد حمي الشمس وحموها بمعنى
قال صلى الله عليه وسلم اوقد عليها الف سنة حتى
احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم
اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء
مظلمة وقيل المصلى عند العرب ان يحفروا حفيرا
فيجمعون فيه جمرا كثيرا ثم يعمدون الى شاة فيدسونها
وسطه فاما ما يشوى فوق الجمر او على المقلى او في
التنور فلا يسمى مصليا ومما بينه تعالى مما نهم
ذكر شرابهم فقال تعالى تسقى من عين آنية اي
شديدة الحرارة كقوله تعالى من حميم آن اي متناه
في الحرارة روي انه لو وقعت منها قطرة على جبال
الدنيا لاذابتها ولما ذكر تعالى شرابهم اتبعه بذكر
طعامهم فقال تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع
قال مجاهد هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض
تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع
وهو اخبث طعام وابشعه قال الكلبي لا تقربه
دابة اذا يبس وقال ابن زيد اما في الدنيا فان
الضريع الشوك اليابس الذي ليس له

ورق وهو في الاخرة شجر من نار وجد في الحديث
عن ابن عباس يرفعه الضريع شي في النار
يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة
واشد حرا من النار قال ابو الدردا والحسن ان الله
تعالي يرسل علي اهل النار الجوع حتي يعدل ما هم
فيه من العذاب فيستغيثون بالضريع ذي غصة
فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا
بالماء فيستسقون فيعطشهم الف سنة ثم يسقون
من عين انية لا هنية ولا مرية فلما ادنوه
من وجوههم سلخ جلود وجوههم تقطع امعاهم
قال بعض المفسرين فلما نزلت هذه الاية قال
المشركون ان ابلنا تسمن علي الضريع وكذبوا
في ذلك فان الابل انما ترعاه ما دام رطبا ويسمي
شبرقا فاذا ايبس لا ياكله شي قال ابو ذويب يصف
حمارا • رعي الشبرق الريان حتي اذا ذوي •
وصار ضريعا بان عنه • النحايص والخوص
الانثي التي لا لبن لها ثم قالوا ذلك انزل الله
تعالي تكذيبا لهم **لا يسمن ولا يغني** اي يكفي كفاية
مبتدا **من جوع** فلا يحفظ الصحة ولا يمنع الهزال
فنفي السمن والشبع عنه وعلي تقدير ان يصدقوا
فيكون المعني ان طعامكم من ضريع من غير يسمن
ولا مغن من جوع فان قيل كيف قيل ليس لهم
طعام الا من ضريع وفي الحاقة ولا طعام الا من

غسلين

غسلين اجيب بان العذاب الوان والمعذبون طبقات
فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة
الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم ولما ذكر تعالي وعيد
الكفار اتبعه بشرح احوال المومنين فقال تعالي **وجوه
يومئذ** اي يوم تغشي الناس ووصفها بصفات
الاولي قوله تعالي **ناعمة** اي ذات بهجة وحسن كقوله
تعالي تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة
قال مقاتل في نعمة وكرامة الصفة الثانية قوله تعالي
لسعيها اي في الدنيا بالاعمال الصالحة **راضية**
اي في الاخرة لثواب سعيها حين رات ما اداهم
اليه من الكرامة الصفة الثالثة قوله تعالي **في جنة**
ثم وصف الجنة بصفات الاولي قوله تعالي **عالية**
اي عليه المحل والقدر الصفة الثانية قوله تعالي
لا يسمع فيها لاغية قرا بالتا الفوقية نافع مضمومة
لاغية بالرفع لقيامها مقام الفاعل والباقون
بالتا الفوقية مفتوحة لاغية بالنصب فيجوز ان
تكون التا للخطاب اي لا تسمع انت وان تكون
للتانيث اي لا تسمع الوجوه واللغو قال ابن عباس
رضي الله عنهما الكذب والبهتان والكفر بالله تعالي
وقال قتادة لا باطل ولا اثم وقال الحسن هو الشتم وقال
الفرا الحلف الكاذب والاولي ما قيل لا يسمع في كلامهم
كلمة ذات لغو انما يتكلمون بالحكمة وحمد الله تعالي
علي ما رزقهم من النعيم الدايم وهذا احسن الاقوال

قال القفال وقال الكلبي لا يسمع في الجنة حالف بيمين
لا برة ولا فاجرة الصفة الثالثة قوله تعالى فيها اي
في الجنة عين جارية قال الزمخشري يريد عيونا
في غاية الكثرة كقوله تعالى علمت نفس وقال
القفال فيها عين شراب جارية على وجه الارض
من غير اخدود تجري لهم كما ارادوا الصفة الرابعة
قوله تعالى فيها سرر مرفوعة اي عالية في الهوا
قال ابن عباس الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد
والدر والياقوت مرتفعة الى السماء ما لم يجي اهلها
فاذا ارادوا ان يجلسوا عليها تواضعت ثم ترتفع الى
مواضعها الصفة الخامسة قوله تعالى واكواب موضوعة
جمع كوب وهي الكيزان التي لا عرى لها قال قتادة
فهي دون الابريق وفي قوله تعالى موضوعة
وجوه احدها انها معدة لاهلها كالرجل يلتمس
من الرجل شيئا فيقول هو ههنا موضوع بمعنى
معد ثانيها موضوعة على حافات العين الجارية
كلما ارادوا الشراب وجدوها مملوءة من الشراب
ثالثها موضوعة بين ايديهم لاستحسانهم اياها
بسبب كونها من ذهب او فضة او من جوهر وتلذذهم
بها بالشرب فيها رابعها ان يكون المراد موضوعة
عن حد الكبر وهي اوساط بين الكبر والصغر كقوله
تعالى قدروها تقديرا الصفة السادسة قوله تعالى ونمارق
وهي الوسائد واحدها نمرقة بضم النون والرا

وكسرها

وكسرها لغتان اشهرهما الاولى وهي وسادة صغيرة
قالت ، نحن بنات طارق ، نمشي على النمارق ،
اي واحدة الى جنب واحدة قال الشاعر ،
كهولا وشبانا حسانا وجوههم ، على سرر مصفوفة ونمارق
الصفة السابعة قوله تعالى وزرابي جمع زربية
بفتح الزاي وكسرها لغتان مشهورتان وهي بسط
عراض فاخرة قال ابن عباس هي الطنافس التي
لها خمل اي وبر رقيق واختلف في قوله تعالى مبثوثة
فقال قتادة مبسوطة وقال عكرمة بعضها فوق بعض
فقال الفرا كثيرة وقال القتيبي مفرقة في المجالس
قال القرطبي وهذا اصح فهي كثيرة متفرقة ومنه
قوله تعالى وبث فيها من كل دابة ولما ذكر تعالى
امر الدارين تعجب الكفار من ذلك فكذبوه وانكروه
فذكرهم الله تعالى صنعه وقدرته بقوله تعالى افلا ينظرون
اي المنكرون لقدرته سبحانه وتعالى على الجنة
وما فيها والنار وما ذكر فيها اي نظر اعتبار الى
الابل ونبه على انه عجيب خلقها مما ينبغي ان تتوفر
الدواعي على الاستفهام والسؤال عنه باداة
الاستفهام فقال تعالى كيف خلقت اي خلقا عجيبا
دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها
للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد النائية
فجعلها تبرك لتحمل عن قرب ويسر ثم تنهض لتعا رض
ضعيفا ولا تنازع صغيرا وبراها طول العنا ق

وحين ارادها ان تكون سفاين البر صبرها على
احتمال العطش حتى ان تكون اظماها لتصبر على عشر
فصاعدا لتبلغ بها قطع البرارى والمفاوز مع ما لها
من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الايات
المنبثة في الحيوانات التي هي اشرف المركبات
واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا
النوع لانها ترعى نابت في البرارى والمفاوز حال ترعاه
ساير البهايم وعن سعيد ابن جبير رضي الله عنه
قال لقيت شريحا القاضي فقلت له اين تريد قال
الكناسة قلت وما تصنع بها قال انظر الى الابل
كيف خلقت تنبيه الابل اسم جمع واحده بعير وناقة
وجمل ولا واحد من لفظها وقال المبرد الابل هنا القطع
العظيمة من السحاب قال الثعلبي ولم اجد لذلك اصلا
في كتب الايمة وقال الماوردي وفي الابل وجهان
اظهرها انها الابل والثاني انها السحاب فان المراد
بها السحاب فلما فيها من الايات والدلالات
الدالة على قدرته والمنافع العامة لجميع خلقه
وكان المراد بها الابل فلان الابل اجمع للمنافع من
ساير الحيوانات لان الضروب للحيوان اربعة
حلوبة وركوبة واكولة وحمولة والابل تجمع هذه
الخلال الاربع فكانت النعمة بها اعم وظهور
القدرة فيها اتم وقيل للحسن الفيل اعظم في الاعجوبة
قال العرب بعيدة العهد بالفيل ثم هو لا يؤكل لحمه

ولا

ولا يركب ظهره ولا يحلب دره والى السماء التي هي
من جملة مخلوقاتنا كيف رفعت اي رفعا بعيد المدى بلا امساك
وبغير عمد على ما لها من السعة والكبر والثقل
والاحكام وما فيها من الكواكب والغرايب والعجايب
والى الجبال اي الشامخة وهي اوتاد الارض كيف
نصبت نصبا ثابتا فهي راسية لا تميل ولا تزول
كما قال تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بكم
والى الارض اي على سعتها كيف سطحت اي سطحا
بتمهيد وتوطية فهي مهاد للتقلب عليها واستدل
بعضهم بذلك على ان الارض ليست بكرة قال
الرازي وهو ضعيف لان الكرة اذا كانت في غاية
العظمة تكون كل قطعة منها كالسطح فان قيل
كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض
ولا مناسبة اجيب بان من فسرها بالابل
فالمناسبة بينها وبين السماء والارض والجبال
من وجهين احدهما ان القران نزل على العرب
وكانوا يسافرون كثيرا ويسيرون عليها في اوديتهم
وبواديهم متوحشين ومنفردين عن الناس
والانسان اذا انفرد اقبل على التفكر في الاشيا
لانه ليس معه من يحادثه وليس هناك من يشتغل
به سمعه وبصره فلا بد من ان يجعل دابه التفكر
فحالا شيا لانه ليس معه من يحادثه وليس هناك
من يشغل به سمعه وبصره فلا بد من ان يجعل دابه

فاذا تفكر في تلك الحال فاول ما يقع بصره على البعير
الذي هو راكبه فراى منظرا عجيبا وان نظر الى فوق
لم ير غير السما وان نظر يمينا وشمالا لم ير غير
الجبال وان نظر الى تحت لم ير غير الارض فكانه تعالى
امره بالنظر وقت الخلوة والانفراد حين لا تحمله
داعية الكبر والحسد على ترك النظر ثم ان في
جميع المخلوقات دلالة على الصانع جلت قدرته
الا انه قسمان منها ما للشهوة فيه حظ كالوجه
والبساتين النزهة والذهب والفضة فهذه مع
دلالتها على الصانع قد يمنع استحسانها عن كمال
النظر ومنها ما لا حظ فيه للشهوة كهذه الاشيا
فامر بالنظر فيها اذ لا مانع من كمال النظر فيها
وقال عطا عن ابن عباس اي كان الله يقول هل
يقدر احد ان يخلق مثل الابل او يرفع مثل السما
او ينصب مثل الجبال او يسطح مثل الارض غيري
ولما بين تعالى الدلايل على صحة التوحيد
والمعاد قال سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم
فذكر اي بنعم الله تعالى ودلايل توحيده وعظهم
بذلك وخوفهم باشرف الخلق انما انت مذكر فلا
عليك ان لا ينظروا ولم يذكروا وما عليك الا البلاغ
لست عليهم بمسيطر اي بمسلط فتقتلهم وتكرههم
على الايمان كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار
وهذا قبل الامر بالجهاد وقراها هشام بالسين وقرا

حمزة

حمزة بخلاف عن خلف باشمام الصاد كالزاي والباقون
بالصاد الخالصة وقوله تعالى الا من تولى استثنا
منقطع اي لكن من تولى عن الايمان وكفر اي بالقران
فيعذبه الله اي الذي له الكمال كله بسبب تكبره
على الحق ومخالفته لامرك العذاب الاكبر اي
عذاب الاخرة لانهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط
والقتل والاسر وقيل استثنا متصل فان جهاد
الكفار وقتلهم تسلط فكانه اوعدهم بالجهاد في
الدنيا وعذاب النار في الاخرة وقيل هو استثنا من
قوله تعالى فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه
فتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض
ان الينا اي خاصة بما لنا من العظمة ايابهم اي
رجوعهم بعد البعث ثم ان علينا اي خاصة بما لنا
من القدرة والتنزه عن نقص العيب والكبرية كل
نقص لا على غيرنا حسابهم اي جزاءهم فلا نتركه
ابدا وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
فانه كان يشق عليه تكذيبهم فان قيل ما معنى
تقديم الظرف اجيب بان معناه التشديد في الوعيد
وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام
وان حسابهم ليس الا عليه وهو الذي يحاسب على
النقير والقطمير وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الغاشية
حاسبه الله حسابا يسيرا حديث موضوع

سورة الفجر مكية وقيل مدنية

وهي تسع وعشرون اية وقيل ثلاثون اية ومائة
وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا
بسم الله الملك المعبود الرحمن الذي عم خلقه بالكرم
والجود الرحيم الذي يسر لاهل عنايته بفضله فهو
الحليم الودود وقوله تعالى والفجر اي فجر كل يوم
قسم كما اقسم بالصبح في قوله تعالى والصبح اذا
تنفس وقال قتادة هو فجر اول يوم من المحرم تنفجر
من السنة وقال الضحاك فجر ذي الحجة وقيل ذلك
على مضاف محذوف اي وصلاة الفجر وقيل ورب
الفجر وتقدم ان الله تعالى يقسم باشياء من خلقه فانه
واختلفوا في قوله تعالى وليال عشر فقال مجاهد
وقتادة هو عشر ذي الحجة وقال الضحاك هو العشر
الاول من رمضان وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه العشر الاخير من رمضان وعن يمان
بن رباب هو العشر الاول من المحرم التي عاشورا
يوم عاشورا ولصومه فضل عظيم فان قيل
لم نكر الليالي من بين ما اقسم به اجيب بانه لكي
للتعظيم والشفع اي الزوج والوتر اي الفرد وقيل
الشفع الخلق كلهم قال الله تعالى وخلقناكم ازواجا
والوتر هو الله تعالى قاله ابو الشعثا الحذري وقال
مجاهد ومسروق الشفع الخلق كله قال الله تعالى
ومن كل شي خلقنا زوجين الكفر والايمان والهدى

والضلال

والضلال والسعادة والشقاوة والعمر والجن والانس
والوتر هو الله تعالى قل هو الله احد وقال قتادة
هما الصلوات الخمس منها شفع ومنها وتر وقد روي ذلك
عن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعا وعن
ابن عباس رضي الله عنهما الشفع صلاة الغداة
والوتر صلاة المغرب وقال الحسين ابن الفضل
الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار
لانها سبع وسئل ابو بكر الوراق عن الشفع والوتر
فقال الشفع تضاد اوصاف المخلوقين العز والذل
والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل
والبصر والعمى والوتر انفراد صفات الله تعالى
عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم
بلا جهل وحياة بلا موت وعن عكرمة الوتر يوم
عرفة والشفع يوم النحر واختاره النحاس وقال
هو الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيوم
عرفة وتر لانه تاسعها ويوم النحر شفع لانه عاشرها
وقال ابن الزبير الشفع الحادي عشر ذي الحجة
والوتر ايام منى الثلاثة وقيل الشفع والوتر ادم
عليه السلام كان وترا فشفع بزوجته حوا حكاه
القشيري عن ابن عباس وقرا حمزة والكسائي بكسر الواو
والباقون بفتحها وهما لغتان الفتح لغة قريش ومن
والاها والكسر لغة تميم وقوله تعالى والليل اذا يسر
اقسم به على العموم بمعنى يسري ساروا فيه كما قال

تعالى والليل اذ ادبر وقال قتادة اذ جاء وقيل
وقيل معنى يسر اي يسرى فيه كما يقال ليل نائم
ونهار صائم ومنه قوله تعالى بل مكر الليل والنهار
وقرأ نافع وابو عمرو باثبات الياء بعد الراء وصلا لا
وقفا واثبتها ابن كثير في الحالين وحذفها الباقون
في الحالين لسقوطها في خط المصحف الكريم واثباتها
هو الاصل لانها لام فعل مضارع مرفوع ومن
فرق بين حالتي الوقف والوصل فلان الوقف
محل استراحة وسئل الاخفش عن العلة في
سقوطها فقال الليل لا يسري ولكن يسرى فيه
فهو مصروف فلما صرفه بخسه حظه من الاعراب
كقوله وما كانت امك بغيا لم يقل بغية لانه
صرفه عن باغية وهذه الاسماء كلها مجرورة بالقسم
والجواب محذوف تقديره لتعذبن يا كفار مكة
بدليل قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد
الى قوله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب
ان ربك لبالمرصاد وما بينهما اعتراض وقوله
تعالى هل في ذلك اي القسم والمقسم به قسم
اي حلف او محلوف لذي حجر استفهام معناه
التقرير كقولك الم انعم عليك اذا كنت قد انعمت
او المراد منه التاكيد لما اقسم به واقسم عليه كمن
ذكر حجة باهرة والمعنى ان من كان ذا لب علم
ان ما اقسم به واقسم عليه ذكره دلائل على

التوحيد

التوحيد والربوبية فهو حقيق بان يقسم به لدلالته
على خالقه والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما
لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى
وحصاة من الاحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال
انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها وقوله
تعالى الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
ولكن المراد به العموم والمراد بالرؤية العلم اي الم تعلم
باخبار رسلنا كيف فعل ربك اي المحسن اليك
بانواع النعم بعاد ارم وهو ابن عوص بن ارم
بن سام بن نوح عليه السلام ثم انهم جعلوا لفظ
عاد اسما للقبيلة كما يقال لبني هاشم هاشم ولبني
تميم تميم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم
تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة
فارم في قوله تعالى عاد ارم عطف بيان لعاد
وايذان بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم
بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها وقوله تعالى ذات
اي صاحبة العماد سنظر فيه ان كانت صفة للقبيلة
فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد وطوال الاجسام
على تشبيه قدودهم بالاعمدة وروي انه كان
لعاد ابنان شداد وشديد فملكا الدنيا ودانت
لهما ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم
في بعض صحاري عدن في ثلثمائة
سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة

قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد
والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة
ولما تم بناوها سار اليها بل هو مملكته فلما كان
منها علي مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة
من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه
خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه
مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص
عليه فبعث الي كعب فسأله فقال هي ارم
ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك
احمر اشقر قصير علي حاجبه خال وعلي عقبه
خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر
ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل وقوله
التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخري فانها كانت
للقبيلة فلم يخلق مثل عاد في البلاد عظم اجرام
وقوة قال الزمخشري كان طول الرجل منهم اربعمائة
ذراع وكان ياتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها
علي الحي فيهلكهم وروي عن مالك انه كان تمر بهم
سنة لا يرون فيها جنازة واما كانت للبلدة فلم
يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا والمقصود
من هذه الحكاية زجر الكفار فان الله تعالي بين انه
اهلكهم بما كفروا وكذبوا الرسل مع الذين اختصوا به
من هذه الوجوه فلان تكونوا في مثل ذلك ايها
الكفار اذا اقمتم علي كفرهم مع ضعفكم اولي وتذكركم

الله

الله تعالي ثلاث قصص هذه القصة الاولي واما
الثانية فهي قوله تعالي وثمود الذين جابوا اي قطعوا
الصخر جمع صخرة وهي الحجر واتخذوها بيوتا كقوله تعالي
وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد اي الوادي
القري قيل اول من نحت الجبال والصخور والرخام
ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة
وقيل سبعة الاف مدينة كلها من الحجارة تنبيه
اثبت الباء ورش وابن كثير وصلا واثبتها وقفا ابن
كثير بخلاف عن قنبل واما القصة الثالثة فهي
قوله تعالي وفرعون اي وفعل فرعون ذي الاوتاد
واختلف في تسميته بذلك علي وجهين احدهما
انه سمي بذلك علي كثرة جنوده ومضاربهم
التي كانوا يضربونها اذا نزلوا والثاني انه كان
يتد اربعة اوتاد يشد اليها يديه ورجليه من
يعذب به وعن عطاء عن ابن عباس ان فرعون انما سمي
ذا الاوتاد ان امراة وهي امراة خازنه حزقيل
وكانا مومنا كتما ايمانهما مائة سنة وكانت امراته
ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط
راس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت
تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل
لك الاه غير ابي فقالت الهي واله ابيك واله
السموات والارض واحد لا شريك له فقامت ودخلت
علي ابيها وهي تبكي قال ما يبكيك فقالت

الماشطة امراة خازنك تزعم ان الهك والهنا واله
السموات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها
فسالها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفري
بالهك واقري باني الهك قالت لا افعل فمدها بين
اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب
وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهذا العذاب
شهرين فقالت له لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله
وكان لها ابنتان فجا بابنتها الكبرى فذبحها على
فيها وقال لها اكفري بالله والا ذبحت الصغرى على
فيك وكان رضيعا فقالت لو ذبحت من في الارض
على فيّ ما كفرت بالله عز وجل فاتي بابنتها فلما
اضجعت على صدرها واراد ذبحها جزعت المرة
فانطق الله تعالى لسان ابنتها فتكلمت وهي
من الاربعة الذين تكلموا اطفالا وقالت يا اماه
لا تجزعي فان الله قد بنى لك بيتا في الجنة فاصبري
فانك تمضي الى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت
فلم تلبث ان ماتت فاسكنها الله تعالى الجنة
قال وبعث في طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا
عليه فقيل لفرعون انه قد رؤي في موضع كذا
فبعث رجلين في طلبه فانتهيا اليه وهو يصلي
وثلثة صفوف من الوحوش يصلون خلفه فلما
رايا ذلك انصرفا الى فرعون فقال حزقيل اللهم
انك تعلم اني كتمت ايماني مائة سنة ولم يظهر

علي

علي احد فايما هذين الرجلين اظهر علي فعجل
عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الاخرة الى النار
فانصرف الرجلان الى فرعون فاما احدهما فاعتبر وا
من واما الاخر فاخبر فرعون بالقصة على رؤس
الملا فقال له فرعون وهل معك غيرك قال نعم
فلان فدعي به فقال حق ما يقول هذا قال له
ما رايت مما قال شيا فاعطاه فرعون فاجزل واما
الاخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج
امراة من اجمل نسا بني اسرائيل يقال لها اسية
بنت مزاحم فرات ما صنع فرعون بالماشطة فقالت
وكيف يسعني ان اصبر على ما ياتي فرعون وانا
مسلمة وهو كافر فبينما هي كذلك تحدث نفسها
اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت
يا فرعون انك اشر الخلق واخبثهم عمدت الى
الماشطة فقتلتها فقال لعل بك الجنون الذي كان
بها قالت ما بي جنون وان الهي والهنا والهك
واله السموات والارض واحد لا شريك له فقال لها
ابوها يا اسية الست من خير نساء العماليق وزوجك
اله العالمين قالت اعوذ بالله من ذلك ان كان
ما يقول حقا فقال لها فرعون اخرجها فمدها
بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله عز وجل لها
بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند
ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني

من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين فقبض
الله تعالى روحها وادخلها الجنة وروي عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان فرعون وتد لامرأته اربعة
اوتاد وجعل على صدرها رحا واستقبل بها عين
الشمس فرفعت راسها الى السما وقالت رب ابن
لي عندك بيتا في الجنة فرأته وقوله تعالى الذين طغوا
اي تجبروا في البلاد محل نصب على الذم ويجوز
ان تكون مرفوعا على هم الذين طغوا في البلاد
او مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود
وفرعون في ضمير يرجع لعاد وثمود وفرعون
وقيل يرجع الى فرعون خاصة فاكثروا طغيانهم
فيها الفساد بالقتل والكفر والمعاصي قال القفال
وبالجملة فالفساد يتناول جميع اقسام الاثم فمن عمل
بغير امر الله تعالى وحكم في عباده بالظلم فهو مفسد
فصب اي انزل انزالا هو في غاية القوة عليهم
اي في الدنيا ربك اي المحسن اليك بكل جميل
سوط اي نوع عذاب وقال قتادة يعني الوانا
من العذاب صب عليهم وقال اهل المعاني هذا
على الاستعارة لان السوط عندهم غاية العذاب
وقال الفراء هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من
انواع العذاب واصل ذلك ان السوط هو
عذابهم الذي يعذبون به فجرى لكل عذاب اذ كان
فيه غاية العذاب وقال الزجاج جعل سوطهم

الذي

الذي ضربهم به العذاب وقال الحسن انه كان اذا
اتى على هذه الاية قال ان لله تعالى عنده اسواطا
كثيرة فاخذهم بسوط منها وقال قتادة كل شيء
عذب الله تعالى به فهو سوط عذابه وشبه بصبه
الصوت الذي يتواتر على المضروب فيهلكه ان ربك
اي المحسن اليك بالرسالة لبالمرصاد اي يرصد
اعمال العباد ولا يفوته منها شيء ليجازيهم عليها
والمرصاد المكان الذي يترتب فيه الرصد مفعال
من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لارصاد
العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن بعض
العرب انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد وعن
عمرو بن عبيد انه قرأ هذه السورة عند المنصور
حتى بلغ هذه فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر
عرض له في هذا البلاء انه بعض من توعده
بذلك من الجبابرة قال الزمخشري فلله دره اسد
فراس كان بين ثني الظلمة بانكاره ويقصع
اهل الاهواء والبدع باحتجاجه وقوله تعالى فاما
الانسان متصل بقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد
فكانه قيل ان الله تعالى يريد من الانسان الطاعة
والسعي للعاقبة وهو لا يهمه الا العاجلة وما يلذه
وينعمه فيها اذا ما ابتلاه اي اختبره بالنعمة ربه اي
الذي كرمه فاكرمه اي جعله عزيزا بين الناس واعطاه
ما يكرمونه من الجاه والمال ونعمه اي جعله متلذذا

بالترفه اي وسع الله عليه وقوله تعالى فيقول اي سرورا
بذلك وافتخارا ربي اكرمن اي فضلني بما اعطاني
خبر المبتدا الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في اما من
معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر
في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل
ربي اكرمني وقت الابتلاء بالانعام فيظن ان ذلك
عن استحقاق فيرتفع به وكذا قوله تعالى واما اذا
ما ابتلاه فقدر ضيق عليه رزقه اي التقدير
واما الانسان اذا ما ابتلاه ربه اي بالفقر ليوازي
قسيمه فيقول اي الانسان بسبب الضيق ربي
اهانني فيهتم لذلك ويضيق به ذرعا ويكون
اكبر همه هذا في حق الكافر لقصور نظره وسوء
فكره فيرى الكرامة والهوان بكثرة الحظ في الدنيا
وقلته وقال الكلبي ومقاتل نزلت في امية بن خلف
الجمحي الكافر وقال ابن عباس رضي الله عنهما في
عتبة بن ربيعة وقيل امية بن خلف فان قيل
كيف سمي كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره
ابتلاء اجيب بان كل واحد منهما اختبار للعبد
فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر واذا قدر عليه
فقد اختبر حاله ايصبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة
ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فان
قيل هلا قال فاهانه وقدر عليه رزقه كما قال
فاكرمه ونعمه اجيب بان البسط اكرام من الله تعالى

لعبده

لعبده بانعامه عليه متفضلا من غير سابقة واما
التقتير فليس باهانة لان الاخلال بالتفضل
لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى
مكرما ومهينا وغير مكرم ولا مهين واذا اهدى
لك زيد هدية قلت اكرمني بالهدية ولا تقول
اهانني اذا لم يهد اليك فان قيل قد قال تعالى
فاكرمه فصحح اكرامه واثبته ثم انكر قوله ربي اكرمني
وذمه عليه كما انكر قوله اهانني وذمه عليه لانه
قال على قصد خلاف ما صححه الله عليه واثبته
وهو قصده الى ان الله تعالى اعطاه ما اعطاه اكراما
له مستحقا ومستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة
اقدارهم عندهم كقوله انما اوتيته على علم عندي
وانما اعطاه الله تعالى على وجه التفضل من
غير استيجاب منه ولا سابقة مما لا يعتد الله تعالى
الا به وهو التقوى دون الانساب والاحساب
التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة
من اجلها ثانيهما ان سياق الاكرام والذم الى قوله
ربي اهانني يعني انه اذا تفضل عليه بالخير
والكرم به اعترف بتفضل الله واكرامه وان لم يتفضل
عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان
قال الزمخشري ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام
في قوله تعالى فاكرمه وقرا اما ابتلاه في الموضعين
حمزة بالامالة محضة وقرا ورش بالفتح وبين

للمعظين والباقون بالفتح وقرأ ربي أكرمني ربي
أهانني نافع بإثبات اليا فيهما وصلا لا وقفا وقرأ
البزي بإثباتها فيهما وقفا ووصلا وعن أبي عمرو
فيهما في الوصل الإثبات والحذف عنه في الوصل
أعدل والباقون بالحذف وقفا ووصلا وقرأ ابن عامر
فقدر عليه رزقه بتشديد الدال والباقون بتخفيفها
وهما لغتان معناهما ضيق وقيل قدر بمعنى قتر وقدر
إعطاء ما يكفيه ثم رد الله تعالى على من ظن
أن سعة الرزق إكرام وأن الفقر إهانة بقوله تعالى
كلا أي ليس الإكرام بالغنى والإهانة بالفقر إهانة
إنما هما بالطاعة والمعصية وكفار مكة يتنبهون
لذلك بل لهم فعل أسوأ من هذا القول وهو
أنهم لا تكرمون اليتيم أي لا يحسنون إليه مع غناهم
أو لا يعطونه حقه من الميراث قال مقاتل كان
أمية بن مظعون يتيما في حجر أمية بن خلف فكان
يدفعه عن حقه فنزلت ولا تحضون أي يحثون
حثا عظيما على طعام أي طعام المسكين فيكون
اسم مصدر بمعنى الإطعام ويجوز أن يكون على
حذف مضاف أي على بذل أو إعطاء وفي إضافته
إليه إشارة إلى أنه شريك للغني في ماله بقدر الزكاة
وتأكلون أي على سبيل التجدد والاستمرار التراث أكلا لما
أي الميراث واللم الجمع الشديد يقال لممت الشيء لما أي
جمعته جمعا قال الحطيئة

إذا كان لما يتبع الذم ربه فلا قدس الرحمن تلك الطواحيا
والجمع بين الحلال والحرام فإنهم كانوا يورثون النساء
والصبيان ويأكلون أنصباءهم ويأكلون ما جمعه المورث
من حلال وحرام عالمين بذلك فيعلمون في الأكل
بين حلاله وحرامه ويجوز أن يذم الوارث الذي
ظفر بالمال سهلا من غير أن يعرق به جبينه فيسرف
في إنفاقه ويأكله أكلا واسعا جامعا بين ألوان
المشتهيات من الأطعمة والأشربة والفواكه كما
يفعل الوارث البطالون ولما دل على حب الدنيا
بأمر خارجي دل عليه في الإنسان فقال تعالى
وتحبون أي على الاستمرار المال أي هذا النوع
من أي شيء كان وأكد بالمصدر والوصف فقال تعالى
حبا جما أي كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق
وقوله تعالى كلا ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم
ثم أخبر تعالى عن تلهفهم على ما سلف منهم حين لا
ينفعهم فقال عز من قائل إذا دكت الأرض أي حصل
دكها وحصل زلزلتها لتسويتها فتكون كالأديم الممدود
بشدة المط لا عوج فيها بوجه دكا دكا أي مرة
بعد مرة وكسر كل شيء على ظهرها من جبل وبناء
وشجر فلم يبق على ظهرها من شيء إلا هدم وجاء
ربك قال الحسن أمره وقضاؤه والملك أي الملائكة
وقوله تعالى صفا صفا حال من المصطفين أي ذوي
صفوف كثيرة فتنزل ملائكة كل سماء فيصطفون

صفا بعد صف محدقين بالجن والانس وجي اي بلهل
امر يومئذ اي اذ دفع ما ذكر بجهنم اي النار التي
يجهم من يصلاها لقوله تعالى وبرزت الجحيم وروي
انها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه فاخبروا
عليا فجا فاحتضنه من خلفه وقبل ما بين عاتقيه
ثم قال يا نبي الله بابي انت وامي ما الذي حدث
اليوم وما الذي غيرك فتلى عليه الاية فقال
له علي كيف يجاء بها قال يجي بها سبعون الف ملك
يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت
لاحرقت اهل الجمع ثم تعرض لي جهنم فتقول مالك
ولي يا محمد صلى الله عليه وسلم فيقول رب امتي
وقال عبد الله بن مسعود تقاد جهنم بسبعين
الف زمام بيد الف ملك لها تغيظ وزفير حتى
تنصب على يسار العرش وقوله تعالى يومئذ
اي يوم يجاء بجهنم بدل من اذا وجوابها يتذكر
الانسان اي يتذكر الانسان الكافر ما فرط او
يتعظ لانه يعلم قبح معاصيه فيندم عليها وانى
له الذكرى اي ومن اين له منفعة الذكرى قال
الزمخشري لا بد من حذف مضاف والا فبين
يتذكر وبين وانى له الذكرى تناف وتناقض
تنبيه انى خبر مقدم والذكرى مبتدا مؤخر
وله متعلق بما تعلق به الظرف وقرا ابو حمزة والكسائي

با

بالامالة محضة وقرا ورش بالفتح وبين اللفظين
وقرا الدوري عن ابي عمرو بالامالة محضة وقرا
ورش بين بين والباقون بالفتح يقول اي يقول
مع تذكره يا للتنبيه ليتني قدمت لحياتي اي في
حياتي فاللام بمعنى في او قدمت الاعمال والخير
لحياة لا اموت فيها او وقت حياتي في الدنيا فيومئذ
اي يوم يتذكر يقول الانسان ذلك وقرا لا يعذب
عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الكسائي بفتح
الذال والثاء على البنا للمفعول والباقون بكسرها
على البنا للفاعل فاما قراءة الكسائي فضمير عذابه
ووثاقه للكافر والمعنى لا يعذب احد مثل تعذيبه
ولا يوثق احد مثل ايثاقه واما على القراءة الاولى
فالضمير فيهما لله تعالى اي لا يكل عذابه الى غيره
او الوحدانية لله تعالى حال من اطمان الى الذي
وصف حال من الى معرفته وعبوديته وسلم امره
اليه فقال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة قال
الحسن اي المؤمنة الموقنة وقال مجاهد الراضية
بقضا الله وقال ابن عباس بثواب الله تعالى
وقال ابن زيد التي بشرت بالجنة عند الموت وعند
البعث ويوم الجمع ويقال لها عند الموت ارجعي الى
ربك الى امره وارادته وقال ابن عباس الى صا
حبك وجسدك وقال الحسن الى ثواب ربك راضية
اي بما اتيت مرضية اي عند الله بعملك اي

جامعة بين الوصفين لانه لا يلزم من احدهما الاخر
وهما حالان قال القفال هذا وان كان امرا في الظاهر
فهو خبر في المعنى والتقدير ان النفس اذا كانت
مطمئنة رجعت الى الله تعالى في القيامة بسبب
هذا الامر وادخلي في اي في جملة عبادي الصالحين
والوافدين عليه الذين هم اهل الاضافة الى
او في اجساد عبادي التي خرجت في الدنيا منها
وادخلي جنتي اي معهم هي جنة عدن وهي اعلى
الجنات وجئ الامر بمعنى الخبر كثيرا في كلامهم
كقوله اذا لم تستح فاصنع ما شئت وقال سعيد
بن زيد قرا رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم
هذه الاية فقال ابو بكر ما احسن هذا يا رسول الله
فقال له ان الملك سيقولها لك يا ابا بكر وقال سعيد
ابن زيد قرا رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم
هذه الاية فقال ابو بكر ما احسن هذا يا رسول الله
فقال له ان الملك سيقول لك ابن جبير مات ابن عباس
بالطائف فجاء طائر لم ير على خلقته طائر فدخل نعشه
ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الاية على
شفير القبر لا يدري من تلاها يا ايتها النفس الاية
وروي الضحاك انها نزلت في عثمان حين وقف
بير رومة وقيل في خبيب ابن عدي الذي صلبه
اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم
ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك

تحول

تحول الله وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحولها وقيل
نزلت في حمزة بن عبد المطلب قال الزمخشري والظاهر
العموم ونقل البيضاوي تبعا للزمخشري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الفجر في الليالي
العشر غفر له ومن قراها في ساير الايام كانت له نور
يوم القيامة حديث موضوع

سورة البلد مكية

وهي عشرون اية واثنان وثمانون كلمة وثلثمائة
وعشرون حرفا بسم الله الملك الذي لا زوال لملكه
الرحمن الذي عم ساير خلقه بفضله الرحيم الذي
خص اهل طاعته بجنته واختلف في لا في قوله
تعالى لا اقسم فقال الاخفش انها مزيدة اي اقسم
كما تقدم في قوله تعالى لا اقسم بيوم القيامة وقد
اقسم به سبحانه وتعالى قال الشاعر
تذكرت ليلى فاعترتني صبابة وكاد ضمير القلب لا يتقطع
اي يتقطع ودخل حرف لا صلة وقوله تعالى ما منعك
الا تسجد وقد قال تعالى في ص ما منعك
ان تسجد واجاز الاخفش ايضا ان تكون بمعنى
الا وقيل هي نفي صحيح والمعنى لا اقسم بهذا
البلد اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي
واجمعوا على ان المراد بالبلد في قوله تعالى بهذا
البلد اي الحرام وهو مكة وفضلها معروف فانه تعالى
جعلها حرما امنا وقال تعالى ومن دخله كان امنا

وجعل مسجده قبلة لاهل المشرق وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره وامر الناس بحج البيت فقال تعالى
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال
تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقال
تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت وقال تعالى
وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق وشرف مقام
ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى وحرم صيده وجعل البيت المعمور
بازائه ودحى الارض تحته فهذه الفضائل
واكثر منها لما اجتمعت في مكة لا جرم اقسم الله تعالى
بها وانت اي يا اشرف الخلق حل اي حلال لك ما لم
يحل لغيرك من قتل ما تريد ممن يدعي انه لا قدرة
لاحد عليه بهذا البلد بان يحل لك فتقاتل
فيه وقد انجز الله له هذا الوعد يوم الفتح و
احلها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له
فاحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو
متعلق باستار الكعبة ومقيس ابن صبابة وغيرهما
وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة
يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم
الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي
ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها
ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها
الا لمنشدها فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر

فانه

فانه لبيوتنا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله
عليه وسلم الا الاذخر ونظيره وانت حل في معنى الاستقبال
قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع
في كلام العرب تقول لمن تعده الاكرام والحباء انت مكرم
محبو وفي كلام الله تعالى واسع لان الاحوال المستقبلة
عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا
على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال لان
السورة بالاتفاق مكية واين الهجرة من وقت نزولها
فما بال الفتح والجملة اعتراض بين المقسم به وما
عطف عليه واختلف في قوله تعالى ووالد وما ولد
فقال الزمخشري هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن ولده اقسم ببلده الذي هو مسقط راسه وحرم ابيه
ابراهيم ومنشا ابيه اسماعيل وبمن ولده وبه قال
الشعبي هما ادم وذريته وقيل كل والد وولده فقيل
هلا قيل ومن ولد اجيب بان فيه ما في قوله
تعالى والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت
يعني موضوعا عجيب الشان او ان ما بمعنى من
والذي عليه اكثر المفسرين هما ادم وذريته لانهم
اعجب ما خلق الله تعالى على وجه الارض لما فيهم
من البيان والنطق والتدبير واستخراج العلوم
وفيهم الانبياء والدعاة الى الله تعالى والانصار
لدينه وامر الملائكة بالسجود لادم وعلمه الاسماء
كلها ولقد قال الله تعالى ولقد كرمنا بني ادم وقيل

هم آدم والصالحون من ذريته وأما الطالحون فكأنهم
بهائم كما قال تعالى إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل
صم بكم عمي فهم لا يرجعون والقسم عليه قوله
تعالى لقد خلقنا الإنسان أي الجنس في كبد قال
ابن عباس رضي الله عنهما أي شدة ونصب وعنه
الجنين في شدة من حمله وولادته ورضاعه ونبت
أسنانه وسائر أحواله وعن عكرمة منتصبا في
بطن أمه والكبد الاستواء والاستقامة فهذا امتنان
عليه في الحقيقة ولم يخلق الله تعالى دابة في
بطن أمها إلا منكبة على وجهها إلا ابن آدم فإنه
منتصب انتصابا وقال ابن كيسان منتصبا في
بطن أمه فإذا أراد الله تعالى أن يخرجه قلب
رأسه إلى رجلي أمه وقال الحسن يكابد مصائب الدنيا
وشدائد الآخرة وقال يمان لم يخلق الله خلقا يكابد
ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف قال بعض
العلماء أول ما يكابد ابن آدم وشد رباطها لابد
له قطع سرته ثم إذا قمط قماطا وشد رباطا يكابد
الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته لضاع
ثم يكابد نبت أسنانه ثم يكابد الفطام الذي هو
أشد من اللطام ثم يكابد الختان والأوجاع والهم
العلم وصولته والمؤدب وسياسته والأستاذ وهيبته
ثم يكابد شغل التزويج وشغل الأولاد والخدم
وشغل المسكن ثم الكبر والهرم وضعف الركبة والقدم

في

في مصائب تكثر تعدادها من صداع الرأس ووجع
الأضراس ورمد العين وهم الدين ووجع الأسنان
وألم الأذن ويكابد محنا في المال والنفس من
الضرب والحبس ثم يكابد بعد ذلك مشقة الموت
ثم بعده سؤال الملكين وضغطة القبر وظلمته ثم
البعث والعرض على الله تعالى إلى أن يستقر به
القرار إما في الجنة وإما في النار فدل هذا على أن
لها لمدبر وقضى عليه بهذه الأحوال ولو كان
الأمر إليه ما اختار هذه الشدائد فليمتثل أمر
خالقه وقال ابن زيد المراد بالإنسان هنا آدم
عليه السلام وقوله تعالى في كبد أي في وسط
السماء قال مقاتل في كبد أي في قوة نزلت في أبي
الأشدين واسمه أسيد بن كلدة بن جمح وكان
شديدا قويا يضع الأديم العكاظي تحت قدميه
فيقول من أزالني عنه فله كذا وكذا فيجذبه عشرة
فيتمزق الأديم من تحت قدميه ولا تزول قدماه
ويبقى موضع قدميه وكان من أعداء النبي
صلى الله عليه وسلم وفيه نزل أيحسب أي أيظن
الإنسان قوي قريش وهو أبو الأشدين المذكور
أن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه
لن يقدر عليه أي خاصة أحد أي من أهل
الأرض والسماء فيغلبه حتى أنه يبالذها لعنه
والله تعالى قادر عليه في كل وقته وقيل نزلت

في المغيرة بن الوليد المخزومي يقول اي يفتخر بقوته
وشدته اهلكت اي على عداوة محمد صلى الله عليه
وسلم مالا لبدا كثيرا بعضه على بعض ايحسب اي
هذا الانسان العنيد بقلة عقله ان انه لم يره
احد قال سعيد بن جبير اي ايظن ان الله تعالى
لم يره ولا يساله عن ماله من اين اكتسبه وفيما
انفقه وقال الكلبي انه كان كاذبا في قوله انه
انفقه ولم ينفق جميع ما قال والمعنى ايظن ان
الله تعالى لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته
وقرا يحسب في الموضعين ابن عامر وعاصم
وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها ثم ذكره
نعمه عليه ليعتبر بقوله تعالى الم نجعل اي بما لنا من
القدرة والعظمة له عينين يبصر بهما المرئيات
ولا يتعطل عليه اكثر ما يريد شققناهما وهو في
الرحم في ظلمات ثلاث على مقدار مناسب لاحداهما
على الاخرى شيا وقدرنا البياض والسواد والشهلة
والزرقة وغير ذلك على ما ترون واودعنا
ها البصر على كيفية يعجز الخلق عن ادراكها
ولسانا يترجم به عن ضمايره وشفتين يستر بهما فاه
ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ
وغير ذلك قال قتادة نعم الله تعالى عليه متظاهرة
فيقرره بها كي يشكره قال البغوي وجاء في الحديث
ان الله تعالى يقول يا ابن ادم ان نازعك

فرجك الى ما حرمت عليك فقد امسك عليه بطبقتين
فاطبق وهديناه اي ابناه من العقل النجدين قال
اكثر المفسرين بينا له طرق الخير والشر والهدى
والضلال والحق والباطل كقوله تعالى انا هديناه
السبيل اما شاكرا واما كفورا وصار بما جعلناه له
من ذلك سميعا بصيرا عالما فصار موضعا للتكليف
روى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال يا ايها
الناس انما هما نجدان نجد خير ونجد شر فما جعل
نجد الشر احب اليكم من نجد الخير قال المنذر
النجد هنا الطريق وقال ابن عباس بينا له
الثديين وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك
واصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فهلا
انفق ماله فيما يجوز به من العقبة من فك الرقاب
واطعام المساكين والايتام بلا غمط النعم وكفر بالنعم
والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق
على هذا الوجه المرضي النافع عند الله تعالى
لا ان يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار وعداوة
النبي صلى الله عليه وسلم فيكون على هذا
الوجه كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم الاية
فقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوزها وروي عن
ابن عمر رضي الله عنهما ان هذه العقبة جبل
في جهنم وقال الحسن هي عقبة شديدة في النار
دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله تعالى ومجا
هذه

النفس وقال مجاهد هي الصراط يضرب على متن
جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة صعودا
وهبوطا واستواءا بجنبيه كلاليب وخطاطيف
كأنها شوك السعدان فناج مسلم ومخدوش مكدوس
في النار منكوس وفي الناس من يمر كالبرق الخاطف
ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر
كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم
من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من
يكردس في النار وقال ابن زيد فهلا سلك طريقه
النجاة وقوله تعالى **وما ادراك** اي اعلمك ايها
السامع لكلامنا الراغب فيما عندنا **ما العقبة** تعظيم
لشأنها والجملة اعتراض قال سفيان بن عيينة
كل شيء قال فيه وما ادراك فانه اخبر به وما كان
قال ما يدريك فانه لم يخبر به ثم بين سبب جوازها
بقوله تعالى **فك** اي الانسان **رقبة** اي اخلصها
من الرق وذلك بان يعتق رقبة في ملكه او يعطي
مكاتبا ما يصرفه في فك رقبته وروي انه
صلى الله عليه وسلم قال من اعتق رقبة مؤمنة
اعتق الله بكل عضو يومئذ منه عضوا من النار
حتى فرجه بفرجه وقال الزمخشري وفي
الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة قال تعتق
النسمة وتفك الرقبة قال اوليسا سواء قال لا

اعتقها

اعتقها ان تنفرد بعتقها وفكها ان تعين في تخليصها
من قود او غرم والعتق والصدقة افضل الاعمال
وعن ابي حنيفة ان العتق افضل من الصدقة
وعن صاحبيه الصدقة افضل قال الزمخشري
والآية ادل على قول ابي حنيفة لتقديم العتق على
الصدقة وقال عكرمة يعني فك رقبة من الذنوب
وقال الماوردي ويحتمل انه اراد فك رقبته وخلاص
نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات ولا يمنع
الخبر من هذا التأويل وهو اشبه بالصواب
او اطعام اي دفع الاطعام لشيء له قابلية ذلك **في يوم
ذي مسغبة** اي مجاعة والسغب الجوع **يتيما** اي
انسانا صغيرا لا اب له **ذا مقربة** اي ذا قرابة لك
بان كان لك وبينه قرابة يقال فلان ذو قرابتي
وذو مقربتي **او مسكينا** وهو من له مال او كسب
يقع موقعا من كفايته ولا يكفيه **ذا متربة** اي
لصوق بالتراب لفقره يقال ترب اذا افتقر
ومعناه التصق بالتراب واما اترب فاستغنى اي
صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل اترب
وعنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ذا
متربة الذي مأواه المزابل قال ابن عباس هو
المطروح على الطريق الذي لا بيت له وقال مجاهد
هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره
وقال قتادة انه ذو العيال واحتج بهذه الآية

على ان المسكين عليك شيئا لانه لو كان له عليك شيء لكان تقييده بقوله تعالى ذا متربة تكرارا وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة برفع الكاف وجر رقبة وكسر همزة اطعام وفتح العين وبعدها الف ورفع الميم منونة والباقون فك بنصب الكاف رقبة بالنصب اطعم بفتح الهمزة والعين والميم فان قيل قوله تعالى فلا اقتحم العقبة الى اخره ذكره مرة واحدة قال الفراء والزجاج والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي حتى تعيد لا كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى اجيب **بانه** انما افردها لدلالة اخر الكلام على معناه فيجوز ان يكون قوله تعالى **ثم كان من الذين امنوا** قائما مقام التكرير فكانه قال فلا اقتحم العقبة ولا امن وقال الزمخشري هي متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك قال ابو حيان ولا يتم له هذا الا على قراءة فك فعلا ماضيا وعن مجاهد ان قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا وقال الزمخشري جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة الا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به **وتواصوا** اي وصى واوصى بعضهم بعضا **بالصبر**

اي

اي على الطاعة وعن المعصية والمحن التي يبتلي بها المومن **وتواصوا بالمرحمة** اي بالرحمة على عباده بان يكونوا متراحمين متعاطفين اي بما يودي الى رحمة الله تعالى **اولئك** اي الموصوفون بهذه الصفات **اصحاب الميمنة** اي الجانب الذي فيه اليمن والبركة والنجاة من كل هلكة **قال** محمد بن كعب اي الذين يوتون كتبهم بايمانهم وقال يحيى بن سلام لانهم ميامين على انفسهم وقال ميمون بن مهران لان منزلتهم عن اليمين وقال الزمخشري الميمنة اليمين او اليمن **والذين كفروا** اي ستروا ما تظهره لهم من اي نهار برهم من العلم **باياتنا** اي على ما لنا من العظمة بالاضافة الينا والظهور والتي لا يمكن خفاؤها من القران وغيره **هم اصحاب المشامة** اي الجهة المنكسة للشوم والحرمات قال محمد بن كعب اي الذين يوتون كتبهم بشمايلهم وقال يحيى بن سلام لانهم مشايم على انفسهم وقال ابن زيد لانهم اخذوا من شق ادم الايسر عليه السلام وقال ميمون لان منزلتهم عن اليسار **وقال** الزمخشري المشامة الشمال او المشوم قال القرطبي ويجمع هذه الاقوال اصحاب الميمنة هم اصحاب الجنة واصحاب النار **عليهم** اي خاصة **نار موصدة** اي مطبقة وقرا ابو عمرو وحفص وحمزة بالهمزة

والياقوت بغير همز اي بواو ساكنة وهما لغتان
يقال اصدت الباب واوصدته اذا اغلقته ولد
واطبقته وقيل معنى النار المطبقة وعنى الامر المغلقة
واذا وقف حمزة ابدل على اصله وقوله البيضاوي
تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان
من غضبه يوم القيامة حديث موضوع ٥

سورة والشمس مكية

وهي خمس عشرة اية واربع وخمسون كلمة ومائتان
وسبع واربعون حرفا بسم الله الذي له
الاسماء الحسنى الرحمن الذي يعلم السر واخفى الرحيم
الذي خص خواصه بالقرب من الاعلى وقوله
تعالى والشمس اي الجامعة بين النفع والضر بالنور
والحر وضحاها قسم وقد تقدم الكلام على ان الله
تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته وقيل التقدير
ورب الشمس الى تمام القسم واختلف في قوله تعالى
وضحاها فقال مجاهد والكلبي ضوؤها وقال
قتادة هو النهار كله وقال مقاتل هو حرها وقال
لقوله تعالى في طه ولا تضحى اي لا يؤذيك الحر
وقال اليزيدي انبساطها قال الرازي انما اقسم
بالشمس لكثرة ما يتعلق بها من المصالح فان
اهل العالم كانوا كالاموات في الليل فلما ظهر
الصبح في المشرق صار ذلك الضوء كالروح

الذي

الذي ينفخ فيه الحياة فصارت الاموات احياء ولا
تزال تلك الحياة في القوة والزيادة الى غاية
كمالها وقت الضحوة وذلك يشبه استقرار اهل
الجنة والقمر المكتسب من نورها كما ان انوار النفوس
من انوار السموات اذا تلاها اي تبعها وذلك اذا
سقطت رؤي الهلال قال الليث يقال تلوت فلانا
اذا تبعته وقال ابن زيد اذا غربت الشمس في
النصف الاول من الشهر تلاها القمر بالطلوع وفي
اخر الشهر يتلوها بالغروب وقال الفراء تلاها
اخذ منها يعني ان القمر يأخذ من ضوء الشمس
وقال الزجاج تلاها اي حين استوى ودار
وكان مثلها في الضياء والنور وذلك في الليالي
البيض والنهار اي الذي هو محل الانتشار
فيما جرت به الاقدار اذا جلاها اي الشمس بارتفاعه
لان الشمس تتجلى في ذلك الوقت وتمام الانجلاء
وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم
يجر لها ذكر كقولهم اصبحت باردة يريدون
الغداة وارسلت يريدون السماء والليل الذي
هو ضد النهار فهو محل السكون والانقباض
اذا يغشاها اي يغطيها بظلمته فتغيب وتظلم الا
الافاق وقيل الكناية للارض اي يغشى الدنيا
بالظلمة فتظلم الافاق فالكناية ترجع الى غير
مذكور وجي نعتها مضارعا دون ما قبله

وما بعده مراعاة للفواصل اذ لو اتي به ماضيا
لكان التركيب اذا غشيها فتفوت المناسبة اللفظية
بين الفواصل والقواطع فتنبه اذا في الثلاثة
لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم والسماء
وما اي ومن بناها اي خلقها على هذا السقف
واقسم تعالى بنفسه وباعظم مخلوقاته وقوله
تعالى والارض اي التي هي فراشكم وما اي ومن طحاها
اي بسطها وسطحها على الماء كذلك وكذا قوله
تعالى ونفس اي اي نفس جمع فيها سبحانه العالم
باسره وما سواها اي عدلها على هذا القانون
الاحكم في اعضائها وما فيها من الجواهر والاعراض
والمعاني وغير ذلك فان قيل لم نكرت النفس
اجيب بوجهين احدهما انه يريد نفسا
خاصة من بين النفوس وهي نفس ادم عليه
السلام كانه قال تعالى وواحدة من النفوس
ثانيهما يريد كل نفس وتنكير للتكثير على الطريقة
المذكورة في قوله تعالى علمت نفس وانما اوثرت
ما على من فيما ذكر لارادة الوصفية تعظيما
وان لم يوصف بلفظها ان المراد انها تقع على نوع
من يعقل وعلى صفته وكذلك مثلوا بقوله
تعالى فانكحوا ما طاب لكم وقدروها بالنكاح الطيب
وهذا تقريبه ما دون من وهذه الاسما كلها
مجرورة على القسم اقسم سبحانه وتعالى بانواع

مخلوقاته

مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة حتى يتامل
المكلف فيها ويشكر عليها لان الذي يقسم الله تعالى
به يحصل به وقع في القلب فتكون الدواعي الى
تامله اقرب فالهمها اي النفس فجورها وتقواها
قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها
الطاعة والمعصية وعن ابي صالح عرفها ما تاتي
وما تتقي وقال سعيد بن جبير الزمها فجورها
وتقواها قال ابن زيد جعل فيها ذلك بتوفيقه
اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور واختار
الزجاج هذا وحمل الالهام على التوفيق والخذ
لان قال الواحدي وهذا يبين ان الله تعالى
خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور
وعن ابي الاسود الدؤلي قال قال لي عمران بن
حصين ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون
فيه اشيء قضي عليهم ومضى من قدر
سبق او فيما يستقبلون مما اتاهم به نبيهم صلى
الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم قلت بل شيء
قضي عليهم ومضى عليهم فقال افلا يكون ظلما
قال ففزعت منه فزعا شديدا وقلت انه ليس
شيء الا وهو خلقه وملك يده لا يسال عما يفعل
وهم يسالون فقال لي سددك الله انما سالتك
لاحزر عقلك ان رجلا من جهينة او من مزينة
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله

ارايت ما يعمل الناس ويكادحون فيه الشي قضي
الله عليهم من قدر سبق ام فيما يستقبلون مما
اتاهم به نبيهم واكدت به الحجة فقال في شي قد
مضي عليهم قال قلت ففيم العمل الان قال
من كان الله خلقه لاحدى المنزلتين يهيئه
الله لها وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى ونفس
وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وعن
جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال جا سراقة
بن مالك بن جشعم فقال يا رسول الله بين لنا
ديننا كانما خلقنا الان ففيم العمل اليوم فيما جفت
به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل
قال اعملوا وكل ميسر لما خلق له واختلف في جواب
القسم فاكثر بن علي انه قد افلح اي ظفر
بجميع المرادات والاصل لقد ا فحذفت لطول
الكلام وقيل انه ليس بجواب وانما جي به تابعا لقوله
تعالى فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد
وليس من جواب القسم في شي والجواب محذوف
تقديره ليدمدمن الله عليهم اي اهل مكة لتكذ
يبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم
على ثمود لانهم قد كذبوا صالحا اولتبعثن وقيل
هو على التقديم والتاخير من غير حذف والمعنى
قد افلح من زكاها اي طهرها من الذنوب ونماها
واصلحها وصفاها بشمعة عظيمة مما يسره الله

تعالى

تعالى له من العلوم النافعة والاعمال الصالحة
وقد خاب اي خسر من دساها اي اغولها ا موا
عظيما وافسدها واهلكها بجنايب الاعتقادات
ومساويء الاعمال وقبايح النيات تشبيه وتحسن
ومضاها وفاعل زكاها ودساها الاعمال وقبايح
النيات ضمير من وقيل ضمير البارئ سبحانه اي قد
افلح من زكاها بالطاعة وقد خاب من دساها
اي خسرت نفس دساها الله تعالى بالمعصية
وانكر الزمخشري على صاحب هذا القول لمنافرته
مذهبه ولكن قال بعض المفسرين التحقيق انه خلاف
الظاهر لا كما قاله الزمخشري وقال ابن عباس
رضي الله عنهما خابت نفس اضلها الله تعالى
واغواها واصل الزكاة النمو والزيادة ومنه
زكي الزرع اذا كثر ريعه ومنه تزكية القاضي
الشاهد لانه يرفعه بالتعديل واصل دساها دسسها
من التدسيس وهو اخفا الشي فابدل من السين
الثانية يا والمعنى اخملها واخفى محلها بالكفر
والمعصية وعن زيد بن ارقم قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ
بك من العجز والكسل والبخل والجبن والهرم
وفي رواية والهرم وعذاب القبر اللهم ات نفسي
تقواها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها
اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن نفس

لا تشبع ومن قلب لا يخشع ومن دعوة لا يستجاب
لها كذبت ثمود وهم قوم صالح كذبوا رسولهم صالحا
عليه السلام وانما فعلهم لضعف اثر تكذيبهم لان كل
سامع لا يعرفه ظلمهم فيه لوضوح ابنهم بطغواها
اي اوقعت التكذيب لرسولها بمثل ما اتي به عن
الله تعالى اي طغيانها وقيل ان الباء للاستعانة
قال الزمخشري مثلها في كتبت بالقلم والطغوى
من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى
من بنات الياءات وصد بابيني فعلت التكذيب
بطغيانها كما تقول ظلمني بجراءته على الله تعالى
وقيل كذبت بما اوعدت به من عذابها ذي
الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية اذ اي
حين تكذيبهم او طغيانهم بالفعل حين انبعث
اشقاها اي قام واسرع وذلك لانهم لما كذبوا
بالعذاب وكذبوا صالحا عليه السلام انبعث
اشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا
اشقر ازرق قصيرا فعقر الناقة وعن عبد
الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه
وسلم يخطب فذكر الناقة والذي عقرها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها
انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في اهله مثل
ابي زمعة وقوله عارم اي شديد ممتنع قال
الزمخشري ويجوز ان يكونوا جماعة والتوحيد لتسو يته

في

في افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع المذكر
والمؤنث تنبيه اذ منصوب بكذبت او بطغواها
فقال لهم اي بسبب الانبعاث او التكذيب الذي
دل عليه قصدهم لها بالاذى رسول الله اي صالح
عليه السلام وكذا الناقة وعبر بالرسول لان
وظيفته البلاغ والتحذير الذي ذكره هنا ولذلك
قال تعالى مشيرا بحذف العامل الى ضيق الحال
عن ذكره لعظم الهول وسرعة التعذيب عند
مسها بالاذى وزاد في التعظيم باعادة الجلالة
ناقة الله اي الملك الاعظم الذي له الامر كله
وهي منصوبة على التحذير كقولك الاسد
والصبي الصبي باضمار ذروا واحذروا ناقة
الله وسقياها اي وشربها في يومها وكانت
لها يوم ولهم يوم لانهم لما اقترحوا الناقة فا
خرجها لهم من الصخرة جعل لهم شرب يوم
من بيرهم ولها شرب يوم فشق عليهم ولاضافة
الناقة الى الله تعالى اضافة تشريف به
كبيت الله فكذبوه اي صالحا عليه السلام
بطغيانهم في وعيدهم بالعذاب فعقروها اي
عقرها الاشقى بسبب ذلك التكذيب واضيف
الى الكل لانهم رضوا بفعله وان كان العاقر جماعة
فواضح وقول قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى
تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال

العزاعترها انثى والعرب تقول هذا ان افضل
الناس وهذان خير الناس وهذه المراة اشقى
القوم ولهذا لم يقل اشقياها فدمدم اي فاطبق
عليهم ربهم اي الذي احسن اليهم فعمهم احسانه
فقطعه عليهم بسبب تكذيبهم فاهلكهم واطبقه عليهم
عذابه يقال دمدمت عليه القبر اطبقته عليهم
بذنبهم فسواها اي بسبب كفرهم وتكذيبهم وعقرهم
الناقة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما دمدم
عليهم ربهم بذنبهم اي بجرمهم وقال القشيري يقال
دمدمت على الميت التراب اي سويته عليه
فالمعنى على هذا فجعلهم تحت التراب وعلى الاول
فسويه الدمدمة عليهم اي عمهم بها فلم يفلت
منهم احد وقرا ولا يخاف نافع وابن عامر بالفا
والباقون بالواو فالفا تقتضي التعقيب والواو
يجوز ان تكون للحال وان تكون للاستيناف
لا خبار وضمير الفاعل في يخاف الاظهر عوده
على الله تعالى لانه اقرب مذكور وهو قول
ابن عباس ويؤيده قراة الفا المسببة عن الدمدمة
والتسوية والها في قوله تعالى عقباها ترجع
الى الفعلة وذلك لانه تعالى يفعل ذلك بحق
وكل من فعل فعلا بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله
وقيل المراد تخفيف ذلك الفعل وانه تعالى اجل
من ان يوصف بذلك وقيل المعنى انه تعالى بالغ

في

في الانذار اليهم مبالغة لمن لا يخاف عاقبة
عذابهم وقيل يرجع الى رسولهم صالح عليه السلام
ولا يخاف عقبى هذه العقوبة لانذاره اياهم
وكفاه الله اهلكهم وقال السدي يرجع الضمير الى
اشقاها اي انبعث لعقرها ولا يخاف عقبى
عاقبة هذه الفعلة الشنعاء وفتح الكسائي جميع
رؤس اي هذه السورة بالامالة محضة وقرا
ابو عمرو بين بين وقرا ورش بالفتح وبين
اللفظين واما حمزة مثل الكسائي تلاها وضحاها
فتحها والباقون بالفتح واتفقوا على فتح فعقروها
وقول البيضاوي تبعا انه صلى الله عليه وسلم
قال من قرا سورة والشمس وضحاها فكانما تصدق
بكل شي طلعت عليه الشمس والقمر حديث موضوع

سورة والليل مكية

وهي احدى وعشرون اية واحدى وسبعون
كلمة وثلثماية وعشرون حرفا بسم الله الملك
الحق المبين الرحمن الرحيم الذي هو اله الظلام والليل
اذا يغشى قسم وقدم الكلام على ذلك ولم يذكر
تعالى مفعوله للعلم به فقيل يغشى بظلمته الارض
كل ما بين السماء والارض وقيل يغشى النهار وقيل
الارض وقيل بحله نفه قال قتادة اول ما خلق
الله تعالى النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة
ليلا اسود مظلما ليلا اسود والنهار نهارا مضيئا

مصيرا وقوله تعالى والنهار اي الذي هو انكشاف
الامور اذا تجلى اي انكشف وظهر قسم اخر قال الرازي
اقسم بالليل الذي ياوي فيه كل حيوان الى ماواه
ويسكن الخلق عن الاضطراب ويغشاهم النوم
الذي جعله الله تعالى راحة لابدانهم وغذاء لارواحهم
ثم اقسم بالنهار اذا تجلى لان النهار اذا جاء انكشف
بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة وجاء الوقت
الذي يتحرك فيه الناس لمعايشهم وتتحرك الطير
من اوكارها والهوام من مكانها فلو كان الدهر
كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لبطلت
الراحة لكن المصلحة في تعاقبهما كما قال تعالى
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة وقال
تعالى وسخر لكم الليل والنهار وما خلق اي والذي
خلق الذكر والانثى اي فيكون قد اقسم بنفسه او
مصدرية او مخلوق الله الذكر والانثى وجاز
اضمار اسم الله تعالى لانه معلوم لانفراده بالخلق
اذ لا خالق سواه والذكر والانثى ادم وحوى
عليهما السلام وكل ذكر وانثى من سائر الحيوانات
والخنثى وان اشكل امره عندنا فهو عند الله
تعالى غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة
وقد نفي خنثى مشكلا كان حانثا لانه في الحقيقة
ذكر او انثى من الادميين فقط لاختصاصهم
بولاية لله تعالى وطاعته وقوله تعالى ان

سعيكم

سعيكم اي عملكم لشتى جواب القسم والمعنى للنار
بالمعصية ويجوز ان يكون محذوفا كما قيل في
نظائره المتقدمة وشتى واحده شتيت مثل مريض
ومرضى وانما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين
بعضه وبعضه اي ان عملكم المتباعد بعضه
من بعض لان بعضه ضلال وبعضه هدى اي
فيكم مؤمن وبر وكافر وفاجر ومطيع وعاص وقيل
شتى اي المختلف الجزاء فمنكم مثاب بالجنة ومعاقب
بالنار وقيل لمختلف الاخلاق فمنكم راحم وقاس
وحليم وطائش وجواد وبخيل قال بعض المفسرين
نزلت هذه الاية في ابي بكر وابي سفيان
ابن حرب وروى ابو مالك الاشعري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كل الناس يغدو فبائع
نفسه فمعتقها او موبقها اي مهلكها وقوله تعالى
فاما من اعطى اي وقع منه اعطاء على ما حددناه
له وامرناه به واتقى اي ووقعت منه التقوى
وهي ايجاد الوقايات من الطاعات واجتناب
المعاصي خوفا من سطواتنا وصدق بالحسنى
تفضيل مبين لشتيت المساعي واختلف في الحسنى
فقال ابن عباس بلا اله الا الله وقال مجاهد
بالجنة لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وقال
زيد ابن اسلم الصلاة والزكاة والصوم فسنيسره
نهيئه بما لنا من العظمة بوعد لا خلف فيه

وعنه فسنيسره للعسرى اي سنحول بينه وبين الايمان بالله ورسوله وعنه الجنة واما من بخل بماله واستغنى عن ربه وكذب بالحسنى اي بخلف الثواب وعده الله في قوله سبحانه وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وقال مجاهد وكذب بالحسنى اي بالجنة وعنه بلا اله الا الله ويجوز في ما في قوله تعالى وما يغني عنه ماله ان تكون نافية اي لا يغني عنه شيئا وان تكون استفهاما انكاريا اي شيء يغني عنه ماله اذا تردى قال ابو صالح سقط في جهنم وقيل هو كناية عن الموت كما قال القائل شعر

نصيبك مما تجمع الدهر كله ※ رداءان تلوى فيهما وحنوط

ولما عرفهم سبحانه ان سعيهم شتى وبين ما للمحسنين من الثواب وما للمسيئين من العقاب اخبرهم بان عليه بيان الهدى من الضلال بقوله تعالى ان علينا اي بما لنا من القدرة والعظمة للهدى اي الارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا تبيين طريق الهدى من طريق الضلال ليمتثل امرنا بسلوك الاول ونهينا عن ارتكاب الثاني وقال الفراء معناه ان علينا للهدى والاضلال فحذف المعطوف كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما يريد ارشد اوليائي للعمل بطاعتي

واحول

واحول بين اعدائي ان يعملوا بطاعتي وهو معنى الاضلال وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله تعالى سبيله كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل وان لنا للآخرة والاولى اي لنا ما في الدنيا والآخرة فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء فمن طلبها من غيرنا فقد اخطأ الطريق وعن ابن عباس قال ثواب الدنيا والآخرة وهو كقوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فانذرتكم اي حذرتكم وخوفتكم يا ايها الخلائق للطريق الذي بينته نارا تلظى بحذف احدى التاءين من الاصل اي تتلهب وتتوقد وتتوهج يقال تلظت النار تلظيا ومنه سميت جهنم لظى وقرأ البزي في الوصل بتشديد التاء وهو عسر لالتقاء الساكنين على غير حدهما وهو نظير قوله تعالى اذ تلقونه بالسنتكم والباقون بغير تشديد لا يصلاها اي لا يقاسي شدتها على طريق اللزوم والانغماس الا الاشقى الذي هو في الذروة من الشقاوة وهو الكافر فاما الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه الاشقى ووصفه بقوله تعالى الذي كذب النبي صلى الله عليه وسلم وتولى اي عن الايمان او كذب الحق واعرض عن الطاعة افعل الشقي بمعنى الشقي كقوله لست فيها باوحد اي بواحد وتخصيص مطول بقوله

ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فيكون المراد الصلي
المؤبد وسيجنبها اي النار الموصوفة بوعد له خلق فيه
الاتقى اي المتقي الشرك والمعاصي فانه لا يصلاها
فضلا ان يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك على
تفسيرا له ولا ان من اتقى الشرك دون المعصية
لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها ولا يخالف الحصر السابق
او الاتقى بمعنى التقي على وزن ما مر الذي يؤتي
ماله اي يصرفه في وجوه الخير كقوله تعالى يتزكى
فانه بدل من يؤتي او حال من فاعله فعلى الاول لا
محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات
لا محل لها وعلى الثاني محل نصب قال البغوي
يعني ابا بكر الصديق رضي الله عنه في قول
الجميع قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفة فيعتقهم
فقال له ابوه اي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك
فقال منع ظهري اريد فانزل الله تعالى وسيجنبها
الاتقى الى اخر السورة وذكر محمد بن اسحاق قال
بلال لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح واسم
امه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب
وكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه
على ظهره ببطحاء مكة ثم يامر بالصخرة العظيمة
فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا
حتى تموت او تكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك احد
احد قال محمد بن اسحاق عن هشام بن عروة

عن

عن ابيه قال مر به ابو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك
وكان دار ابي بكر في بني جمح فقال لامية الا تتقي
الله في هذا المسكين قال انت افسدته فانقذه
مما ترى قال ابو بكر افعل عندي غلام اسود اجلد
منه واقوى على دينك اعطيكه قال
قد فعلت فاعطاه ابو بكر غلامه واخذه فاعتقه
وكان قد اعتق ست رقاب على الاسلام قبل ان
يهاجر بلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا
واحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا واعتق
ام عميس فاصيب بصرها حين اعتقها فقالت
قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت
كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان
فرد الله تعالى بصرها واعتق النهدية وابنتها وكانتا
لامراة من بني عبد الدار فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما
بطحين لها وهي تقول لهما والله لا اعتقكما ابدا
فقال ابو بكر حلا يا ام فلان فقالت حلا انت
افسدتهما فاعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال
قد اخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بني المؤمل
وهي تعذب فاشتراها فاعتقها وقال سعيد ابن
المسيب بلغني ان امية بن خلف قال لابي بكر
صاحب عشرة الاف دينار وغلمان وجواري له
ومواشي وكان مشركا حمله ابو بكر على الاسلام
على ان يكون ماله له فابى فابغضه ابو بكر فلما

قال لامية ابيعه نبلا مكن فطاس اعتقه ابو بكر
فباعه به وروي الضحاك عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال عذب المشركون بلالا وبلال يقول أحد
احد ثم النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد ينجيك الله
تعالى ينجيك ثم قال صلى الله عليه وسلم لابي
بكر يا ابا بكر ان بلالا يعذب في الله فعرف ابو بكر
الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فا
نصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى
به الى امية بن خلف فقال له اتبيعني بلالا
قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما فعل
ذلك ابو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فانزل
الله تعالى وما لاحد عنده اي ابي بكر من نعمة
تجزى اي يد كافية عليها وقوله تعالى الا ابتغا
استثنا منقطع اي لم يفعل ذلك مجازاة لاحد
بيد كانت له عنده لكن فعله ابتغا وجه ربه اي
المحسن اليه الاعلى وطلب رضاه ويجوز ان يكون
متصلا عن محذوف مثل ما يوتي الا ابتغا وجه
ربه الاعلى لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى اي
بما يعطى من الثواب في الجنة وروي علي رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار
الهجرة واعتق بلالا والاية تشمل من فعل مثل
فعله فيبعد عن النار ويثاب وقرا حمزة والكسائي

نبي

٤٥٥

يخلي والا نبي لشي من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى نرد به للهدى والاولى تلظى الا الشقى
وتولى الا تقى تزكى الاعلى يرضى بالامالة
محضة في جميع ذلك وامال ورش جميع ذلك
بين بين والفتح عنه قليل وله في من اعطى
الفتح وبين اللفظين سوا وامال ابو عمرو
بين بين الا من اعطى لانه ليس براس اية
والباقون بالفتح وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي
لليسرى للعسرى بالامالة محضة وورش بين
اللفظين والباقون بالفتح وامال حمزة والكسائي
تجليها محضة ولورش الفتح وبين اللفظين
واذا فتح غلظ اللام واذا امال رققها واما الا شقى
والا تقى الذي فلا يمال الا في الوقف دون
الوصل وقوله ايضا وفي نسخة للزمخشري ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الليل اعطاه
الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر
له اليسر حديث موضوع

سورة الضحى مكية

وهي احدى عشرة اية واربعون كلمة ومائة وسبعون
حرفا ولما نزلت كبر صلى الله عليه وسلم فسن التكبير
اخرها ورتبه الا من به خاتمتها وخاتمة كل سورة
بعدها وهو الله اكبر ولا اله الا الله والله اكبر بسم
الله الملك ذي الجلال والاكرام الرحمن الذي علم

بنعمته الخاص والعام الرحيم الذي خص اهل وده با
نعام الانعام وقوله تعالى والضحى قسم وقد مر الكلام
عليه فلكه وخصه بالقسم لانها الساعة التي كلم
الله تعالى فيها موسى عليه السلام والقى السحرة فيها
سجدا وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى
شعاعها لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقال
الجوهري اراد النهار كله بدليل انه قابله بالليل في
قوله تعالى والليل اي الذي تمام الصلاح اذا سجى
اي سكن وركد ظلامه يقال ليلة ساجية ساكنة
الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات
فيه وسجى البحر سكنت امواجه وطرف ساجي
فاتر وقال قتادة اقسم بالضحى الذي كلم الله تعالى
فيه موسى وبليلة المعراج التي اخرج فيها النبي
صلى الله عليه وسلم فان قيل ما الحكمة في انه
تعالى قدم هنا الضحى وفي السورة التي قبلها
الليل اجيب بان لكل منهما اثرا عظيما في اصلاح
العالم والليل فضيلة السبق لتولده قبل الظلمات
والنور والنهار فضيلة النور فقدم سبحانه هذا
هذا تارة وهذا اخرى كالركوع والسجود في قوله
تعالى اركعوا واسجدوا وقوله تعالى واسجدي
واركعي مع الراكعين او انه قدم الليل في سورة ابي
بكر لان ابا بكر سبقه كفر وقدم الضحى في سورة محمد
صلى الله عليه وسلم لانه نور محض ولم يتقدمه

ذنب

ذنب او ان سورة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يجعل
بينهما واسطة ليعلم انه لا واسطة بين محمد صلى الله
عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه فان قيل ما الحكمة
في كونه تعالى بدا بذكر الضحى وهو ساعة وذكر
الليل بجملته اجيب بان في ذلك اشارة الى
ان ساعة من النهار توازن جميع الليل كما ان محمدا
صلى الله عليه وسلم يوازن جميع الانبياء عليهم السلام
وايضا الضحى وقت السرور والليل وقت الوحشة
ففيه اشارة الى ان سرور الدنيا اقل من شرورها
وان هموم الدنيا ادوم من سرورها فان الضحى ساعة
والليل ساعات ويروى ان الله تعالى لما خلق
العرش اظلمت غمامة سوداء ونادت ماذا امطر فاجيبت
ان امطري السرور ساعة فلهذا ترى الهموم والاحزان
دائمة والسرور قليلا ونادرا وقدم ذكر الضحى واخر
الليل لانه يشبه الموت وقوله تعالى ما ودعك اي
ما تركك يا اشرف المرسلين تركا يحصل به فرقة كفرقة
المودع ولو على احسن الوجوه الذي هو مراد
المودع والمودع ربك اي المحسن اليك جواب القسم
وما قلى اي ما ابغضك بغضا ما وتركت الكاف لانه
راس اية كقوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
تنبيه اختلفوا في سبب نزول هذه الاية على
ثلاثة اقوال احدها ما رواه البخاري عن جندب
بن سفيان قال اشتكى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليلتين او ثلاثا فجاءت ام جميل امرأة ابي
لهب فقالت يا محمد اني لارجوا ان يكون شيطانك
قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين او ثلاثا فنزلت
ثانيها ما روي ابو عمرو قال ابطأ جبريل
عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم
حتى شق عليه فجاء وهو واضع جبهته على
الكعبة يدعوا فانزل عليه الاية ثالثها ما روي ان
خولة تخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان
جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث
النبي صلى الله عليه وسلم اياما لا ينزل عليه الوحي
فقال صلى الله عليه وسلم يا خولة ما حدث في
بيتي ان جبريل عليه السلام لا ياتيني قالت خولة
فكنست فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو
ميت فاخذته فالقيته خلف الجدار فجاء نبي
الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا
نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال
يا خولة دثريني فانزل الله تعالى هذه السورة ولما
نزل جبريل عليه السلام سأله النبي صلى الله عليه
وسلم عن التاخير فقال اما علمت انا لا ندخل
بيتا فيه كلب ولا صورة رابعها ما روي ان اليهود
سألوا النبي صلى الله عليه وسلم سأخبركم ولم
يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحي الى ان نزل
جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء

الي

اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فاخبره بما سئل
عنه وفي هذه القصة ما ودعك ربك واختلفوا
في مدة احتباس الوحي عنه فقال ابن جريج
اثني عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما
وقال مقاتل اربعون يوما قالوا وقال المشركون
ان محمدا ودعه ربه وقلاه فانزل الله تعالى هذه
السورة فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل
ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل عليه
السلام اني كنت اليك اشد شوقا ولكني عبد
مامور وانزل وما نتنزل الا بامر ربك وللآخرة التي
هي المقصود من الوجود بالذات لانها باقية
خالصة عن شوائب الكدر خير لك الي لما فيها
من الكرامات لك من الاولى اي الدنيا الفانية
التي لا سرور فيها خالص وقيد تعالى بقوله
سبحانه لانها ليست خيرا لكل احد قال القاضي ان
الناس على اربعة اقسام منهم من له الخير في
الدارين وهم اهل الطاعة الاغنياء ومنهم من
له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء ومنهم من له صورة
خير في الدنيا وشر في الآخرة وهم الكفرة الاغنياء
ومنهم من له صورة شر وخير في الآخرة وهم الفقراء
المؤمنون وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا اهل بيت الله لنا الآخرة على الدنيا

ولسوف يعطيك الآية وعد لا خلف فيه وان تاخر
وقته عما فمنتك لك داو ربك اي المحسن اليك بسائر
النعم في الاخرة من الخيرات عطاء جزيلا فترضى به فقال
صلى الله عليه وسلم اذا لا ارضى وواحد من امتي
في النار وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي
الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه
وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال تعالى يا جبريل
اذهب الى محمد صلى الله عليه وسلم فقل له
انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وعن ابي
هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
قال لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته
واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم
القيامة فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا
وعن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اتاني ات من عند ربي فخيرني ان
يدخل الجنة نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت
الشفاعة فهي نائلة من مات ولم يشرك بالله شيئا
وعن شريح قال سمعت ابا جعفر محمد بن علي
يقول انكم معشر اهل العراق تقولون ارجى اية
في القران قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله وانا اهل البيت نقول
ارجى اية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك
فترضى وفي هذا توعد لما اعطاه الله تعالى في

الدنيا

الدنيا من الفتح والظفر باعدائه يوم بدر ويوم فتح
مكة ودخول الناس في الدين افواجا والغلبة
على قريظة والنضير واجلائهم وبث عساكره وسراياه
في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في
اقطار الارض من المدائن وهدم بايديهم من ممالك
الجبابرة وانهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف في
قلوب اهل الشرك والعرب من الرعب وتهيب
الاسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما اعطاه
في الاخرة من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله
تعالى قال ابن عباس رضي الله عنهما له في الجنة
الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك فان
قيل ما هذه اللام الداخلة على سوف اجيب
لانها لام الابتداء ولام الابتداء لا تدخل الا على الجملة
من المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر
ان يكون اصله ولانت سوف يعطيك فان قيل
ما معنى الجمع بين حرفي التاكيد والتاخير اجيب
بان معناه ان العطا كائن لا محالة وان تاخر
لما في التاخير من المصلحة على انه تعالى اخبر
نبيه صلى الله عليه وسلم بالحال الذي كان عليها
م جل ذكره ألم يجدك وهو استفهام تقرير اي
وجدك يتيما وذلك ان اباه مات وهو جنين
قد اتت عليه ستة اشهر وقيل مات قبل ولا
دته وماتت امه وهو ابن ثمان سنين فآوى

بان ضمك الى عمك ابي طالب فاحسن تربيتك
وعن مجاهد من قول العرب درة يتيمة اذا لم يكن
لها نظير فالمعنى الم يجدك يتيما واحدا في شرفك
لا نظير لك فاواك الله تعالى باصحاب يحفظونك
ويحوطونك فاواك الله تعالى باصحاب وهذا
خلاف الظاهر من الاية ولهذا قال الزمخشري ومن
بدع التفسير انه من قولهم درة يتيمة واما المعنى
الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فاواك
فان قيل كيف ان الله تعالى يمن نعمه عما يمن بها
لا يليق ولهذا ذم فرعون في قوله لموسى
الم نربك فينا وليدا اجيب بان ذلك حسن اذا
قصد به تقوية قلبه ووعده بدوام النعمة فامتنان
الله تعالى زيادة نعمة عليه فامتنان الادمي
واختلف في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى
فاكثر المفسرين على انه كان ضالا عما هو عليه
الان من المفسرين فهداه الله تعالى اليها
وقيل الضلال بمعنى الغفلة كقوله لا يضل ربي
ولا ينسى اي لا يغفل وقال تعالى في حق نبيه
صلى الله عليه وسلم وان كنت من قبله لمن الغافلين
وقال الضحاك المعنى لم تكن تدر القران وشرايع
الاسلام فهداك الى القران وشرايع الاسلام
وجدك ضالا اي في قوم ضلال فهداهم الله تعالى
بك او فهداك الى ارشادهم الاستناحي سكنة

عن

عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فذكرك كقوله
تعالى ان تضل احداهما وقيل ووجدك ضالا يا
في قومك فهداك اليهم كما قال تعالى قالوا تالله
انك لفي ضلالك القديم في محبتك قال الشاعر

هذا الضلال اشاب مني المفارقا ... والعارضين ولم اكن متحققا
عجبا لعزة في اختيار قطيعتي ... بعد الضلال فحبلها قد اخلقا

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة
وهو صبي صغير فراه ابو جهل منصرفا من
اغنامه فرده الى عبد المطلب وقال سعيد بن
المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه
ابي طالب في قافلة ميسرة عبد خديجة فبينما هو
راكب ذات ليلة مظلمة ناقته جاء ابليس فاخذ
بزمام الناقة فعدل بها عن الطريق فجاء
جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها
الى الاردن او ارض الحبشة ورده الى القافلة
فمن الله تعالى عليه بذلك وقيل وجدك ضالا
نفسك لا تدري من انت فعرفك نفسك وحالك
وقال كعب ان حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت
برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد
المطلب فسمعت عند باب مكة هنيئا لك يا بطحاء
مكة اليوم يرد اليك النور والبهاء والجمال قالت
فوضعته لاصلح ثيابي فسمعت هدة شديدة فالتفت

فلم اره فقلت معشر الناس ابن الصبي فقالوا لم نر شيا
فصاحت وا محمداه فاذا الشيخ فانيا يتوكا على عصا
فقال اذهبي الى الصنم الاعظم فان شا ان يرده
اليك فعل ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل راسه وقال
يا رب لم تزل منتك على قريش وهذه السعدية
تزعم ان ابنها قد ضل فرده ان شئت فانكب على
وجهه وتساقطت الاصنام وقالت اليك عنا ايها
الشيخ فهلاكنا على يد محمد صلى الله عليه وسلم
فالقى الشيخ عصاه وارتعد وقال ان لابنك
ربا لا يضيعه فاطلبيه على مهل فانحدرت قريش
الى عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه
فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله
تعالى ان يرده وقال يا رب رد لي محمدا اردده
ربي واصطنع عندي يدا فسمعوا مناديا ينادي من
السما معاشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذ
له ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجرة
السمر فسار عبد المطلب هو وورقة ابن نوفل
فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قايم تحت شجرة
يلعب بالاغصان وبالورق وفي رواية ما زال
عبد المطلب يرددا لبيت حتى اتاه ابو جهل على
ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه وهو
يقول الا تدري ماذا جرى من ابنك فقال عبد
المطلب ولم فقال اني اخذت الناقة واركبته

خلفي

خلفي فابت الناقة ان تقوم فلما اركبته امامي قامت
الناقة قال ابن عباس رده الله تعالى الى جده بيد
عدوه كما فعل بموسى عليه السلام حين حفظه عند
فرعونه وقيل وجدك ضالا ليلة المعراج حين
انصرف عنك جبريل وانت لا تعرف الطريق فهداك
الى ساق العرش وقال بعض المتكلمين اذا وجدت
العرب شجرة منفردة من الارض لا شجرة معها
سموها ضالة فيهتدى بها الى الطريق فقال الله
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا
اي لا احد على دينك بل انت وحيد ليس معك
احد فهديت بك الخلق الي وقيل الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد غيره فقوله تعالى ووجدك
ضالا فهدى اي وجد قومك ضالا فهداهم بك
وقيل غير ذلك قال الزمخشري رحمه الله كان
على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه كان
على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وان اراد
انه كان على كفرهم ودينهم فمعاذ الله والانبيا
الكباير والصغاير الشنيعة فما بال الكفر والجهل
بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شي وكفى
بالنبي نقيصة عند الكفار ان يسبقه كفر ووجدك
ضالا اي فقيرا فهدى قال مقاتل فرضاك
بما اعطاك من الرزق واختاره الغزالي قال لم يكن
غناه عن كثرة المال ولكن الله تعالى ارضاه

بما اعطاك وذلك حقيقة الغنا قال صلى الله عليه
وسلم قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما
اتاه وقيل اغناه بمال خديجة وتربية ابي طالب
ولما اختل ذلك اغناه بمال ابي بكر ولما اختل ذلك
امره بالجهاد واغناه بالغنايم روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال جعل رزقي تحت ظل سيفي
ورمحي وقال الواحدي العايل ذو العيلة ثم اطلق
على الفقير مجوزا ان يراد ووجدك ذا عيال
لا تقدر عليه التجارة ثم من كسبه الغنايم وروي
البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سالت ربي مسالة وددت اني لم اكن سالته
قلت يارب انك اتيت سليمان ابن داود ملكا
عظيما واتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد
الم اجدك يتيما فاويتك قلت بلى يارب قال
الم اجدك ضالا فهديتك قلت بلى يارب
قال الم اجدك عايلا فاغنيتك قلت بلى
يارب وفي رواية الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك
وزرك قلت بلى يارب ثم اوصاه باليتامى والمساكين
والفقرا فقال **فاما اليتيم** اي هذا النوع **فلا تقهر**
قال مجاهد لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقال
الفرا لا تقهر على ماله فتذهب بحقه لضعفه كذا
كانت العرب تفعل في اموال اليتامى تاخذ اموالهم

و

وتظلمهم حقوقهم وعنه صلى الله عليه وسلم
قال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه
وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه
ثم قال باصبعيه انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وهو
يشير باصبعيه تنبيه اليتيم منصوب بتقهر وبه
استدل ابن مالك على انه لا يلزم من نصب المعمول
تقديم العامل الا ترى ان اليتيم منصوب بالمجزوم
وقد تقدم على الجازم ولو تقدم على لا لامتنع لان
المجزوم لا يتقدم على جازمه كالمجرور ولا يتقدم
على جاره وفي الاية دلالة على اللطف باليتيم
وبره والاحسان اليه وقال صلى الله عليه وسلم
من ضم يتيما وكان في نفقته وكفاه مونته كان له
حجابا من النار يوم القيامة وقال من مسح براس
يتيم كان له بكل شعرة حسنة وقال قتادة كن لليتيم
كالاب الرحيم فان قيل ما الحكمة في ان الله تعالى
اختار لنبيه اليتم اجيب بوجوه احدها
ان يعرف حرارة اليتم فيرفق باليتيم ثانيها يشا
ركه في الاسم فيكرمه لاجل ذلك لقوله صلى الله
عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه ووسعوا
له في المجلس ثالثها ليعتمد من اول عمره على الله
تعالى تشبيها بابراهيم عليه السلام في قوله حسبي
من سوالي علمه بحالي رابعها تظهر عيوبه فلما لم
يجدوا عيبا لم يجدوا فيه مطعنا فاسمها جعله

يتيما ليعلم كل احد ان فضيلته ابتدا من الله تعالى
لا من تعليم لان من له اب فانه يوديه ويعلمه
سادسها اليتيم والفقر نقص في العادة فكونه
صلى الله عليه وسلم مع هذين الوصفين من اكرم الخلق
كان ذلك قلبا للعادة فيكون معجزة **واما السايل**
اي الذي له حوجته السبلة اوغيرها الى السوال
فلا تنهر فلا تزجر يقال نهره وانتهره اذا زجره واغلظ
عليه القول ولكن رد اجميلا قال ابراهيم ابن
ادهم نعم القوم السوال يحملون زادنا الى الاخرة
وقال ابراهيم النخعي السايل بريدنا الى الاخرة
يجي الى باب احدكم فيقول هل تبعثون الى
اهليكم بشي وقيل المراد بالسايل هنا الذي يسال
عن الدين وروي الزمخشري ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا رددت السايل ثلاثا فلم يرجع
فلا عليك ان تزبره وقيل اما انه ليس السايل
المستجدي ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره
واما بنعمة ربك اي المحسن اليك بالنبوة وغيرها
فحدث بها فان التحدث بها شكرها وانما يجوز
لغيره صلى الله عليه وسلم مثل هذا اذا قصد به
اللطف وان يقتدي به غيره وامن على نفسه
الفتنة والستر افضل ولو لم يكن فيه الا التشبيه
باهل الريا والسمعة لكفى والمعنى انك كنت
يتيما وضالا وعايلا فاواك الله وهداك واغناك

فمهما

فمهما تكن من شي فلا تنس نعمة الله عليك في هذه
الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم واوه فقد
ذقت اليتم وهوانه ورايت كيف فعل الله تعالى
بك وترحم على السايل وتفقده بمعروفك ولا تز
جره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك بعد الفقر
وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحت هذه هدايته
الضلال وتعليمه الشرايع والقران مقتديا بالله
تعالى في ان هداه من الضلالة وقال مجاهد
تلك النعمة هي القران والحديث فيه ان تقراه
وتقريه غيرك وعنه ايضا النعمة هي النبوة اي
بلغ ما انزل اليك من ربك وقيل تلك النعمة هي
ان وفقك الله سبحانه وتعالى فراعيت حق
اليتيم والسايل فحدث بها ليقتدي بها غيرك وعن
الحسن بن علي قال اذا عملت خيرا فحدث
به اخوانك ليقتدوا بك الا ان هذا لا يحسن الا
اذا لم يتضمن ريا وظن ان غيره يقتدي به كما علم
مما مر وروي ان شخصا كان يجالس عند النبي
صلى الله عليه وسلم فراه رث الثياب فقال له
صلى الله عليه وسلم الك مال قال نعم فقال له
صلى الله عليه وسلم اذا اتاك مال فلير اثره عليك
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله جميل
يحب الجمال ويحب ان يرى اثر النعمة على عبده
فان قيل ما الحكمة في ان الله تعالى اخر حق نفسه

عن حق اليتيم والسائل اجيب بانه يقول انا اغني
الا عنك وهما محتاجان وحق المحتاج اولى بالتقديم
ولاختار قوله تعالى فحدث على فاخبر ليكون ذلك
حديثا عنه لا ينساه ويعيده مرة بعد اخرى وقرأ
والضحى سجى قلى الاولى ترضى فاوى فهدى
فاغنى حمزة والكسائي بامالة محضة لكن حمزة
قبل سجى وامالة ورش وابو عمرو بين بين
والفتح وورش قليل والباقون بالفتح وروى
ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا بلغ الضحى كبر بين كل سورتين الى ان يختم
القرآن ويفصل بينهما بسكتة وكان المعنى في ذلك
ان الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اياما فقال ناس من المشركين قد ودعه صاحبه
وقلاه فنزلت هذه السورة فقال صلى الله عليه وسلم
الله اكبر قال مجاهد قرأت على ابن عباس فامرني
به واخبر انه صلى الله عليه وسلم امره به وبعض
القراء لا يكبر لان ذلك ذريعة الى الزيادة في القرآن
وقال القرطبي القرآن ثبت نقله بالتواتر سوره
واياته وحروفه بغير زيادة ولا نقصان فالتكبير
ليس بقرآن وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
ان النبي صلى الله عليه وسلم ان يشفع له وعشر
حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل
حديث موضوع

سورة

سورة الم نشرح مكية

وهي ثمان ايات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة
احرف بسم الله الظاهر الباطن بمملكته العلام الرحمن
الذي عم المخلوقين بالانعام الرحيم الذي خص
اولياءه بدار السلام وقوله تعالى الم نشرح استفهام
تقرير اي شرحنا بما يليق بعظمتنا لك يا اشرف
الخلق صدرك بالنبوة وغيرها حتى وسع مناجاتنا
ودعوة الخلق او فسحناه بما اودعنا فيه من
الحكمة والعلوم وازلنا عنه الضيق والحرج
الذي كان يكون معه العي والجهل وعن الحسن
ملئ حكمة وعلما وقيل انه اشارة الى ما روي
ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله
عليه وسلم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج
قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما فان قيل لم قال
تعالى صدرك ولم يقل قلبك اجيب بان محل
الوسوسة هو الصدر كما قال تعالى يوسوس
في صدور الناس فازال تلك الوسوسة وابدلها
بدواعي الخير فلذلك خص الشرح بالصدر
دون القلب وقال محمد بن علي الترمذي القلب
محل العقل والمعرفة والشيطان يجيء الى الصدر
الذي هو حصن القلب فاذا وجد مسلكا اغار فيه
وبث فيه جنده وبث ولا يجد للطاعة لذة ولا
للاسلام حلاوة فان اطرد العدو في الابتدا

حصل الأمن وانشرح الصدر فإن قيل لم قال تعالى ألم نشرح لك صدرك ولم يقل ألم نشرح صدرك ما الحكمة في ذلك أجيب بوجهين أحدهما كأنه تعالى يقول لام لام فأنت إنما تفعل جميع الطاعات لأجلي وأنا أصنع جميع ما أفعله لأجلك ثانيهما أن فيه تنبيها على أن منافع الرسالة عائدة إليك لأجلك لا لأجلنا واختلف في قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك فقال الحسن ومجاهد وحططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية وهو كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقال الحسين بن الفضل يعني الخطأ والسهو وقيل ذنوب أمتك وأضافها إليه لاشتغال قلبه بها الذي أنقض أي أثقل ظهرك قال أبو عبيدة خففنا عنك أعباء النبوة والقيام بها حتى كاد يرمي نفسه من شاهق الجبل إلى أن جاءه جبريل عليه السلام وأزال عنه ما كان يخاف من تغير العقل وقيل عصمناك من احتمال الأوزار وحفظناك قبل النبوة في الأربعين من الأدناس حتى نزل عليك الوحي وأنت مطهر ورفعنا لك أي بما لنا من القدرة التامة ذكرك روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال يقول الله عز وجل لا ذكرت إلا ذكرت معي في الأذان والإقامة والتشهد ويوم الجمعة على

المنابر

المنابر ويوم الفطر ويوم الأضحى ويوم عرفة وأيام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح وفي مشارق الأرض ومغاربها ولو أن رجلا عبد الله وصدقه بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد أن محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا وقيل أعلينا ذكرك فذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك وأمرناهم بالبشارة بك ولا دين إلا دينك يظهر عليه وقيل رفعنا ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود وكرائم الدرجات وقال الضحاك لا تقبل صلاة إلا به ولا تجوز خطبة إلا به وقال مجاهد يعني بالتأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل برفع ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين وإلزامهم الإيمان به والإقرار بفضله وقيل عام في كل ما ذكر وهذا أولى وكم من مواضع في القرآن يذكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما وقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولما كان المشركون يعيرونه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة

حتى سبق الى وهم انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار
اهله واحتقارهم فذكره ما انعم الله به عليه من
جلائل النعم ثم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة فقال
تعالى **فان مع العسر** اي ضيق الصدر والوزر المنقض
للظهر وضلال القوم وايذائهم **يسرا** اي كالشرح
والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيئس
من روح الله اذا عراك ما يغمك العسر واليسر
اجيب بان الله تعالى اراد ان يصيبهم بيسر
بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب
فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر
زيادة في التسلية وتقوية القلوب وقوله تعالى
ان مع العسر يسرا استئناف وعده الله تعالى
بان العسر متبوع بيسر اخر كثواب الاخرة كقولك
للصائم فرحتان فرحة عند الافطار وفرحة
عند لقاء الرب ويجوز ان يراد باليسرين ما تيسر
من الفتوح في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما تيسر لهم ايام الخلفاء وقيل تكرير فان قيل
ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي
الله عنهم لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا
انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو يضحك
ويقول لن يغلب عسر يسرين اجيب بان هذا
حمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وان موعد
الله لا يحمل الا على الظاهر وبناء على اوفى ما يحتمله

اللفظ

اللفظ والبغية والقول عنه انه يحتمل ان تكون الجملة
الثانية تكريرا للاولى كما كرر في قوله تعالى ويل يومئذ
للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في
القلوب وكما يكرر المفرد في قولك زيد زيد وان
تكون الاولى عدة لان العسر مردف بيسر لا محالة
والثانية عدة مستانفة لان العسر متبوع بيسر
فهما يسران على تقدير الاستئناف وانما كان
العسر واحدا لانه لا يخلو اما ان يكون تعريفه للعهد
وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لان حكمه
حكم زيد في قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد
مالا واما ان يكون للجنس الذي يعلمه كل احد فهو
هو ايضا واما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس
فاذا كان الكلام الثاني مستانفا غير مكرر فقد
تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال
او بان لن يغلب احدهما وهو يسر الدنيا فاما
يسر الاخرة فدائم غير زائل اي لا يجتمعان
في الغلبة كقوله صلى الله عليه وسلم
شهرا عيد لا ينقصان اي لا يجتمعان في النقصان
فان قيل فما معنى هذا التنكير اجيب بانه
للتفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي
يسر روي عن ابن مسعود انه قال لو كان
العسر في جحر ضب لتبعه اليسر حتى يخرجه وللطبراني
عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان

العسر في حجر لدخل اليسر حتى يخرجه ثم قرا رسول
الله صلى الله عليه وسلم الاية ولما عدد تعالى على
نبيه صلى الله عليه وسلم الا نعمه السابقة ووعده
الا نعمة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة بقوله
تعالى **فاذا فرغت** قال ابن عباس رضي الله عنهما
فرغت من صلوة تلك المكتوبة **فانصب** اي انصب
في الدعا وقال ابن مسعود رضي الله عنه فاذا
فرغت من الفرايض فانصب في قيام الليل
وقال الشعبي اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك
واخرتك وقال الحسن وزيد بن اسلم اذا فرغت
من التشهد جهاد عدوك فانصب الى عبادة
ربك وصل وقال حيان عن الكلبي اذا فرغت
من تبليغ الرسالة فانصب استغفر لذنبك
وللمومنين قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اني اكره ان ارى احدكم فارغا لا في عمل الدنيا ولا
في عمل الاخرة **والى ربك** اي المحسن اليك بفضايل
النعم خصوصا بما ذكر في هاتين السورتين **فارغب**
اي اجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسال الا
فضله متوكلا عليه وقيل تضرع اليه راغبا
في الجنة راهبا من النار عصمنا الله واحبابنا
منها بمحمد صلى الله عليه وسلم وله وقوله انصبا وله
تبعا لمن تخريجه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من قرا الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج

عني

عني حديث موضوع

سورة والتين والزيتون مكية

وقال ابن عباس وقتادة مدنية وهي ثمان ايات
واربع وثمانون كلمة ومائة وخمسون حرفا **بسم الله**
الذي له الملك كله **الرحمن** الذي وسع الخلق عدله
الرحيم الذي خص اولياءه بتوفيقه فظهر عليهم
جوده وفضله وقوله تعالى **والتين والزيتون**
قسم وتقدم نظاير ذلك اقسم بهما لانهما عجيبتان
من بين اصناف الاشجار المثمرة روي انه اهدي
للنبي صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه
وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت
من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها
فانها تقطع البواسير وتنفع النقرس ومر معاذ بن
جبل بشجر الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك
به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة
يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هي
سواكي وسواك الانبيا من قبلي وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هو تينكم هذا الذي تاكلونه
وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت
وقال عكرمة هما جبلان من الارض المقدسة
يقال لهما بالسريانية سينا وطور زيتا لانهما
ينبتان التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين

طوال وهمدان والزيتون وجبل التين جبال الشام
لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين ومنابت
الزيتون وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب
الكهف والزيتون مسجد ان بالشام وقال ابن زيد
التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس
وحسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل
التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على
الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وطور سينين
اي الجبل الذي ناجا موسى عليه السلام ربه من
وجل عليه وسينين وسينا اسمان للموضع الذي
هو فيه فاضيف الجبل للمكان الذي هو فيه
وقال مقاتل والكلبي سينين كل جبل فيه شجر
مثمر فهو سينين وسينا بلغة النبط ولم ينصرف
سينين كما لا ينصرف سينا لانه جعل اسما للبقعة
او الارض ولو جعل اسما للمكان او للمنزل واسم
مذكر لانصرف لانك سميت مذكرا بمذكر وانما اقسم
بهذا الجبل لانه بالشام وهي الارض المقدسة وقد
بارك فيها قال الله تعالى الى المسجد الاقصى الذي
باركنا حوله ولا يجوز ان يكون سينين نعتا
للطور لاضافته اليه وهذا البلد الامين اي الامن
من امن الرجل امانة فهو امين وهي مكة حرمها
الله تعالى لانها الحرم الذي يامن الناس فيه
في الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد

ورقه

ورقه اي شجره ولا يلتقط لقطته الا لمنشد او
المامون فيه يامن فيه من دخله قال الزمخشري
ومعنى القسم بهذه الاشيا الابانة عن شرف البقاع
المباركة وما ظهر منها من الخير والبركة بسكنى
الانبيا والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر
ابراهيم عليه السلام ومولد رسول عيسى عليه السلام
ومكة التي هي هدى للعالمين ومولد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه انتهى وقوله تعالى
لقد خلقنا اي قدرنا واوجدنا عالما من العظمة والقدرة
التامة الانسان جواب القسم والمراد بالانسان
الجنس الذي جمع فيه الشهوة والعقل وفيه من
الانس بنفسه ما ينسيه اكثر مهمه الشامل
لادم عليه السلام وذريته وقيل نزلت في منكري
البعث وقيل في الوليد بن المغيرة وقيل كلدة
بن اسد وقوله تعالى في احسن تقويم صفة
لمحذوف اي في تقويم احسن تقويم وقال ابو البقا
في احسن تقويم في موضع الحال من الانسان
واراد بالتقويم القوام لان التقويم فعل وذلك
وصف للخالق لا للمخلوق ويجوز ان يكون التقويم
فعل وذلك وصف فحذف المضاف ويجوز ان تكون
في زايدة اي قومناه احسن تقويم احسن التقويم
اعدله لانه تعالى خلق كل شي منكبا على وجهه
وخلق الانسان مستويا وله لسان ذلق ويد واصا

بع

يقبض بها قال ابن العربي ليس لله تعالى خلق احسن
من الانسان فان الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا
مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات
الله تعالى وعبر عنها بعض العلما ووقع البيان
بقوله ان الله تعالى خلق ادم عليه السلام على صورته
يعني على صفاته المتقدم ذكرها وفي رواية
على صورة الرحمن ومن اين للرحمن صورة
شخصية فلم يبق الا معاني وروي ان عيسى
بن موسى الهاشمي كان يحب زوجته حبا
شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلثا ان لم تكوني
احسن من القمر فنهضت واحتجبت منه وقال
طلقتني فبات بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى
دار المنصور فاخبره الخبر فاستحضر الفقها
واستشارهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا
رجل واحد من اصحاب ابي حنيفة فانه كان
ساكتا فقال له المنصور ما لك لا تتكلم فقال
الرجل بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون
الى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم يا امير المومنين فالانسان احسن الاشيا
ولا احسن منه فقال المنصور لعيسى الامر كما قال
الرجل فاقبل على زوجتك فارسل المنصور اليها
اطيعي زوجك فما طلقك وهذا يدل على ان
الانسان احسن خلق الله ولذلك قيل انه العالم

الاصغر

الاصغر ان كل ما في المخلوقات اجتمع فيه ثم رددناه
اي بعض افراده ثم لنا من القدرة الكاملة اسفل
سافلين اي الى الهرم وارذل العمر فضعف بدنه
ونقص خلقه والسافلون هم الضعفا والزمنا
والاطفال والشيخ الكبير اسفل من هولا جميعا انه
لا يستطيع حيلة ولا يهتدون سبيلا فتقوس ظهره
بعد اعتداله وابيض شعره بعد اسوداده وكل
بصره وسمعه وكانا حديدين وتغير كل شي منه
فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وبهامة
حزن وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها
اسفل من بعض فقوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات اي الطاعات استثنا متصل على الثاني
على ان المعنى رددناه اسفل سافلين خلقا وتركيبا
يعني اقبح من قبح صورته واسوه خلقته وهم
اهل النار واسفل من سفل من اهل الدركات
فالاتصال على هذا واضح وعلى الاول منقطع
اي لكن الذين كانوا صالحين من الهرما فلهم اي
فتسبب من ذلك ان كان لهم اجر غير ممنون
اي ثواب دايم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم
على ابتلا الله لهم بالشيخوخة والهرم وعلى مقاسات
المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم
وفي الحديث اذا بلغ المومن الكبر ما يعجزه عن العمل
كتب له ما كان يعمل وروي عن ابن عباس رضي الله

عنهما قال الا الذين قرؤوا القرآن فقال من قرأ القرآن
لم يرد الى ارذل العمر ثم قال تعالى الزاما للحجة
فما يكذبك اي ايها الانسان الكافر بعد اي بعدما
ذكر من خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا
سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان يستوي
ويكبر ويصير في احسن تقويم ثم يرده الى ارذل
العمر الدال على القدرة على البعث فيقول
ان الذي فعل ذلك قادر على ان يحيي ويحا
سب فما سبب تكذيبك ايها الانسان بالدين اي
الجزاء بعد هذا الدال القاطع وقيل الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يكون المعنى فما
الذي يكذبك فيما تخبر به من الجزاء والبعث بعد
هذه العبر التي توجب النظر اليها صحة ما قلت
وقوله تعالى أليس الله اي الملك الاعظم على ما له
من صفات الكمال بأحكم الحاكمين اي بأقضى القاضين
وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم اهله وفي
الحديث من قرأ التين الى آخرها فليقل بلى وانا
على ذلك من الشاهدين وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والتين اعطاه الله تعالى خصلتين
العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات
اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة
حديث موضوع

سورة

سورة العلق مكية

وهي عشرون آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان
وسبعون حرفا بسم الله الذي له صفة الكمال المستحق
للالوهية الرحمن الذي عم جوده لسائر البرية الرحيم
الذي خص اهل طاعته باللطائف السنية وعن
ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما ان اول سورة
نزلت من القرآن اقرأ باسم ربك واول ما نزل
خمس آيات منها وآخرها قوله ما لم يعلم وعن عائشة
ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت
اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الوحي الرؤيا الصالحة وفي مسلم الصادقة
في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق
الصبح ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث
فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع
الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة
فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وفي رواية حتى
جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال له
اقرأ قال ما انا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى
بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ قلت ما انا
بقارئ قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ
مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ قلت ما انا بقارئ
قال فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد
ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك حتى بلغ ما لم

يسلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف
فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني
زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال
لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقال
له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال
له ورقة يا ابن اخي ماذا ترى فاخبره رسول الله
صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة
هذا الناموس الذي نزل على موسى يا ليتني
اكون فيها جذعا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي
هم قال نعم لم يات رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي
وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم
ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي زاد البخاري
قال وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله
عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى
من رؤس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل
لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل عليه السلام
فقال له يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك
جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه
فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة جبل
تبدى له جبريل فقال مثل ذلك ففي الحديث
دليل صريح صحيح على ان سورة اقرا اول ما نزل
من القران وفيه رد على من قال ان المدثر اول

ما ثم سورة القلم وهذا الحديث من مراسيل الصحابة
ومرسل الصحابي حجة عند العلماء الا ما انفردت
به الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني وانما ابتدا
صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجاه الملك فيأتيه
بصريح النبوة بغتة فلا تحملها القوى البشرية
فبدئ باوائل علامات النبوة توطئة للوحي تنبيه
محل باسم ربك النصب على الحال اي اقرا مفتتحا
باسم ربك او مستعينا به قل بسم الله ثم اقرا وقال
ابو عبيدة مجازا اقرا اسم ربك يعني ان الباء زائدة
والمعنى اذكر اسمه امران يبتدئ القراءة باسم
الله تعالى تاديبا وقيل الباء بمعنى على اي اقرا
على اسم ربك كما في قوله تعالى وقال اركبوا
فيها بسم الله مجراها قاله الاخفش فان قيل
كيف قدم هذا الفعل عليه هنا وقدم متاخرا في
بسم الله الرحمن الرحيم اي على سبيل الاولوية
كما في اياك نعبد واياك نستعين ولانه تعالى
ولانه تعالى مقدم ذاتا لانه قديم واجب الوجود
لذاته فيقدم ذكرا اجيب بان هذا ابتدا القران
وتعليمها لما مر انها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة
اهم باعتبار هذا العارض وان كان ذكر الله تعالى
اهم في نفسه وذكرت اجوبة غير هذا في مقدمتي
على البسملة والحمدلة وقوله تعالى الذي خلق يجوز
ان لا يقدر له مفعول ويراد انه الذي حصل منه الخلق

واستاثر به لا خالق سواه وان يقدر له مفعول
ويراد انه الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق
سواه وان يقدر له مفعول ويراد خلق كل شي فيتناول
كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات اولى
بتقديره من بعض وقوله تعالى خلق الانسان اي
هذا الجنس الذي هو من شانه الانس بنفسه وما اري
من اخلاقه وحسنه وما الفه من ابنا جنسه تخصيص
بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو
اشرف ما على الارض ويجوز ان يراد الذي خلق
الانسان كما قال تعالى الرحمن علم القران خلق
الانسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله
تعالى خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة
على عجيب فطرته وقوله تعالى من علق جمع علقة
وهي الدم الجامد فاذا جرى فهو الدم المسفوح
ولما كان الانسان اسم جنس في معنى الجمع جمع الجمع
جمع العلق ولتشاكل رؤوس الاي الحين وقوله
تعالى اقرا تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثاني
للتبليغ او في الصلاة قال البيضاوي ولعله
لما قيل له اقرا باسم ربك قال ما انا بقاري فقيل له
اقرا وربك الاكرم اي الزائد في الكرم على كل كريم
فانه ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم
عليهم ولا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم
لنعمه وركوبهم المناهي في اطراحهم الاوامر ويقبل

توبتهم

توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه
غاية ولا امد وكانه ورا التكرم بافادة الفوائد
العلمية تكرم حيث قال الاكرم الذي علم اي بعد
العلم عن معاجلتهم بالعقاب حلما منه من غير
مانع من خوف ولا رجا منفعة بالقلم اي الخط بالقلم
علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بان
علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل
الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه
من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما
دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار
الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة
ولولا هي ما استقامت من امور الدنيا والدين
ولم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف
تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به ولبعضهم
قال في صفة القلم ٠٠
ورواقم رقش كمثل اراقم ٠٠ قطف الخطا نيالة اقصى المدى
سود القوائم ما يجد مسيرها ٠٠ الا اذا لعبت بها بيض المدى
وقال قتادة القلم نعمة من الله تعالى ولولا ذلك
لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه
تعالى وروي عبد الله بن عمر قال قلت يا رسول الله
اكتب ما اسمع منك من الحديث قال نعم فاكتب
فان الله تعالى علم بالقلم ويروى ان سليمان عليه
السلام سال عفريتا عن الكلام فقال ريح لا يبقى

قال ثم قيده قال الكتابة وعن عمر قال خلق الله تعالى
اربعة اشيا بيده ثم قال تعالى لسايرها كن
فكان القلم والعرش وجنة عدن وادم عليه السلام
وفي من علم بالقلم ثلاثة اقوال احدها قال كعب
اول من كتب بالقلم ادم عليه السلام ثانيها قال
الضحاك ادريس عليه السلام ثالثها انه جميع من
كتب بالقلم لانه ما علم الا بتعليم الله تعالى وقال
القرطبي الاقلام ثلاثة في الاصل القلم الاول
الذي خلق الله تعالى بيده وامره ان يكتب والثاني
اقلام الناس يكتبون بها كلامهم ويصلون بها
الى مآربهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا نساءكم الغرف
ولا تعلموهن في اسكانهن الغرف تطلعا الى الرجال
وليس في ذلك تحصين لهن ولا ستر وذلك
انهن لا يملكن انفسهن حتى يشرفن على الرجال
فتحدث الفتنة فحذرهم ذلك وكذلك تعليم الكتابة
ربما كان سببا للفتنة لانها قد تكتب لمن تهوى
والكتابة عين من العيون بها يبصر الشاهد الغائب
والخط اثار يده وفيه تعبير عن الضمير بما لا ينطلق
به اللسان فهي ابلغ من اللسان فاحب صلى الله
عليه وسلم ان يقطع عن المرأة اسباب الفتنة تحصينا
لها وقوله تعالى كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى
بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه لانه

تعالى

تعالى قد عد مبدأ امره انسان ومنتهاه اظهار
لما انعم عليه من نقله الى احسن المراتب الى اعلاها
تقريرا للربوبية وتحقيقا لاكرميته ان الانسان
اي هذا النوع الذي من شأنه الا يعتني بنفسه
والنظر في عطفه ليطغى اي من شأنه الا من
عصمه الله تعالى ان يزيد على الحد الذي لا ينبغي
له مجاوزته ان رآه اي رأى نفسه استغنى اي
وجد له الغنا بالمال وقيل اي ارتفع عن منزلته
في اللباس والطعام وغير ذلك نزلت في ابي جهل
لانه اذا ازداد في ماله زاد في ثيابه ومركبه وطعامه
فذلك طغيانه وعن ابن عباس لما نزلت هذه
الآية وسمع بها المشركون اتاه ابو جهل فقال
يا محمد اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال
مكة ذهبا لعلنا ناخذ منها فنطغى فنترك ديننا
ونتبع دينك قال فاتاه جبريل عليه السلام فقال
يا محمد خيرهم في ذلك فان شاءوا فعلنا بهم ما ارادوا
فان لم يفعلوا فعلنا بهم كما فعلنا باصحاب المائدة
فكف عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعا
رفقا لهم وقيل ان رآه استغنى بالعشيرة والانصار
والاعوان وحذف اللام من قوله تعالى ان رآه
كما يقال انكم لتطغون ان رأيتم غناكم فرأى علمية
واستغنى مفعول ثان وان رآه مفعول له ان
الى ربك اي المحسن اليك بالرسالة التي

رفع بها ذكرك له اي غيره الرجعى مصدر كالبشرى بمعنى
الرجوع ففي ذلك تخويف للانسان بالرجوع الى
العاصي بما يستحقه وقوله تعالى ارأيت اي في مواضعها
الثلاث للتعجب الذي ينهى عبدا اي على سبيل
التجديد والاستمرار وهو ابو جهل عبدا اي من العبد
وهو النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى اي
خدم سيده الذي لا يقدر احد ان ينكر سيادته
بايقاع الصلاة التي هي اعظم العبادات نزلت
في ابي جهل وذلك انه نهى النبي صلى الله عليه
وسلم عن الصلاة وعن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا
نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك
لاطأن على رقبته او لاعفرن وجهه في التراب
قال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يصلي ليطأ على رقبته فنكص على عقبيه
وهو يتقي بيده فقيل له ما لك فقال ان بيني وبينه
خندقا من النار وملائكة لهم اجنحة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملا
ئكة عضوا عضوا فانزل الله تعالى هذه الاية
وفي رواية لو فعله لاخذته الملائكة زاد الترمذي
عيانا وعن الحسن انه امية بن خلف كان ينهى
سلمان عن الصلاة وفائدة التنكير في قوله

تعالى

تعالى عبدا الدلالة على انه كامل العبودية كانه
قيل ينهى اكمل الخلق عبودية عن العبادة وهذا عين
الجهل وقيل ان هذا الوعيد يلزم كل من ينهى
عن الصلاة وعن طاعة الله تعالى ولا يدخل
في ذلك المنع من الصلاة في الدار المغصوبة
وفي الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهي عن
ذلك في الاحاديث الصحيحة ولا يدخل ايضا
منع السيد عبده والرجل زوجته عن صوم
التطوع وقيام الليل والاعتكاف لان ذلك مصلحة
الا ان يأذن فيه السيد والزوج ارأيت ان كان
اي المنهي وهو النبي صلى الله عليه وسلم على
الهدى وقرأ نافع بتسهيل الهمزة بعد الراء وعن
ورش ابدالها الفا واسقطها الكسائي والباقون
بالتحقيق وقوله تعالى او امر بالتقوى اي بالاخلاص
والتوحيد للتقسيم تنبيه قوله تعالى ارأيت تكرير
للاول وكذا الثاني في قوله ارأيت ان كذب وهو ابو
جهل وتولى عن الايمان الم يعلم اي يقع له علم يوما
من الايام بان الله الذي له صفات الكمال يرى
ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه
على حسب ذلك اي اعجب منه يا مخاطب بنهيه
عن الصلاة ومن حيث ان المنهي على الهدى
امر بالتقوى وفي وجه التعجب وجوه احدها انه
صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعز الاسلام اما بابي

جهل واما عمر بن الخطاب وهو ينهى عبد الله اصلي
الثاني انه يلقب بابي الحكم فقيل انه لقب بهذا
وهو ينهى عن الصلاة فتنجيه منه ومن حيث
ان الناهي مكذب متول عن الايمان الثالث انه كان
يامر بالشر وينهى ويعتقد وجوب طاعته ثم انه
ينهى عن طاعة الله تعالى وقوله تعالى **كلا** ردع
للناهي **لئن لم ينته** اي عما هو فيه واللام لام القسم
لنسفعا بالناصية اي لناخذن بناصيته ولنسحبنه
بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه
بشدة قال عمرو بن معدي كرب **شعر**
قوم اذا سمعوا الصريخ رايتهم ما بين ملجم مهره او سافع
والسفع الصوت ولما علم انها ناصية المذكور
اكتفى باللام عن الاضافة والالف واللام وان كانت
في ابي جهل فهي عظة للناس وتهديد لمن يمنع
غيره عن طاعة الله تعالى وقوله تعالى **ناصية**
بدل من الناصية قال الزمخشري وجاز بدلها
من المعرفة وهي نكرة لانها وصفت اي **كاذبة**
خاطئة واستقلت بفائدة واعترض عليه بان
هذا مذهب الكوفيين فانهم لا يجيزون ابدال
نكرة من نكرة الا بشرط وصفها او كونها بلفظ الاول
ومذهب البصريين لا يشترط شيء والمعنى لناخذن
بناصية ابي جهل الكاذبة في قولها الخاطئة في
فعلها والخاطي معاقب ماخوذ والمخطي غير ماخوذ

ووصفت الناصية بالكاذبة الخاطئة كوصف الوجوه
بالنظر في قوله تعالى الى ربها ناظرة وانما وصفت
الناصية بالكاذبة لانها كانت تكذب على الله
تعالى في انه لم يرسل محمدا صلى الله عليه وسلم
وعلى رسوله في انه ساحر او ليس بنبي ووصفت
بانها خاطئة لان صاحبها تمرد على الله تعالى
كما قال تعالى لا ياكله الا الخاطئون فهما في الحقيقة
لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك
ناصية كاذبة خاطئة وروي ان ابا جهل مر برسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك
فاغلظ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اتتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فوالله لاملان
عليك هذا الوادي ان شئت خيلا جردا او رجالا
مردا فانزل الله تعالى **فليدع** اي دعا استغاثة
ناديه اي اهل ناديه لينصروه فهو على حذف مضاف
لان النادي هو المجلس الذي يتندى فيه القوم
قال تعالى وتاتون في ناديكم المنكر اي تتحدثون
فيه او على التجوز لانه مشتمل على الناس كقوله
تعالى واسأل القرية ولا يسمى المكان ناديا حتى
يكون فيه اهله والمعنى فليدع عشيرته فليستنصر
بهم **سندع** اي بوعد لا خلف فيه **الزبانية** قال ابن
عباس يريد زبانية جهنم سموا بها لانهم يدفعون
اهل النار اليها بشدة جمع زباني ماخوذ من الزبن

وهو الدفع وقال الزمخشري الزبانية في كلام
العرب الشرط الواحد زبينة وقال الزجاج هم
الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس رضي
الله عنهما لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله تعالى
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه
السورة وبلغ الى قوله تعالى لنسفعا بالناصية
قال ابو جهل انا ادعو قومي حتى يمنعوا عني ربك
قال الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية
فلما ذكر الزبانية رجع فزعا فقيل له خشيت منه
قال لا ولكن رأيت عنده فارسا وهددني بالزبانية
فلا ادري الزبانية ومال الي الفارس فخشيت
منه ان يأكلني قال ابن عباس والله لو دعا ناديه
لأخذته ملائكة العذاب من ساعته وقوله
تعالى كلا ردع لأبي جهل اي ليس الامر على
ما يظنه ابو جهل لا تطعه اي فيما دعاك اليه من ترك
الصلاة كقوله تعالى ولا تطع المكذبين وقوله
واسجد يحتمل ان يكون بمعنى السجود في الصلاة
وان يكون سجود التلاوة وفي هذه السورة ويدل
لهذا ما ثبت في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي
الله عنه انه قال سجدت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في اذا السماء انشقت وفي اقرأ باسم
ربك الذي خلق سجدتين وهذا نص ان المراد
سجود التلاوة في هذه السورة ويدل لهذا ما ثبت

في

في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذا
السماء انشقت وفي اقرأ باسم ربك الذي خلق سجدتين
وهذا نص ان المراد سجود التلاوة ويدل للاول
قوله تعالى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى
الى قوله تعالى كلا لا تطعه واسجد اي دم على
سجودك قال الزمخشري يريد الصلاة ولا تترك
سجود التلاوة في المفصل ولكن يدب عليه واقترب
اي وتقرب الى ربك بطاعته وبالدعاء اليه قال
صلى الله عليه وسلم اما الركوع فعظموا فيه الرب
واما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن انه حقيق
ان يستجاب لكم وكان صلى الله عليه وسلم يكثر في
سجوده من البكاء والتضرع حتى قالت عائشة
قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا
البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد قال افلا
اكون عبدا شكورا وفي رواية اقرب ما يكون العبد
من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء وقرأ البطي
استغنى اذا صلى على الهدى بالتقريب وتولى
حمزة والكسائي جميع ذلك بالامالة محضة وورش
وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل
والباقون بالفتح وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق
اعطي من الاجر كأنما قرأ المفصل كله حديث موضوع

سورة القدر مكية

في قول أكثر المفسرين وحكى الماوردي عكسه وذكر
الواحدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة وهي خمس
آيات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا بسم الله
الملك الأعظم الذي لا يعبد إلا إياه الرحمن الذي
عم بجوده جميع خلقه أقصاه وأدناه الرحيم الذي
قرب أهل طاعته وأبعد من عاداهم وأشقاه
وقوله تعالى إنا أنزلناه أي بما لنا من العظمة
أي القرآن فيه تعظيم له من ثلاثة أوجه أنه
أسند إنزاله وجعله مختصا به دون غيره
والثاني أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة
له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث
الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه وهو
قوله تعالى في ليلة القدر وما أدراك أي أعلمك
يا أشرف الخلق ما ليلة القدر فإن في ذلك
تعظيما لشأنها روي أنه أنزل جملة واحدة في
ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا
وأملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان
ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما
في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحاجة
إليه وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي
الله عنهما أنه نزل في شهر رمضان وفي ليلة
القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة من اللوح

المحفوظ

المحفوظ إلى سماء الدنيا السفرة الكرام الكاتبين في السماء
الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عشرين سنة وقال
ابن العربي وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله
تعالى واسطة ولا بين جبريل ومحمد صلى الله عليه
وسلم واسطة وعن الشعبي أن ابتداء إنزاله
في ليلة القدر وقيل المعنى أنزل في شأنها وفضلها
فليست ظرفا وإنما هو كقول عمر رضي الله عنه
خشيت أن ينزل في قرآن وسميت ليلة القدر لأن
الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره إلى السنة
القابلة من أمر الموت والأجل والرزق وغيره
ويسلمه إلى مدبرات الأمور من الملائكة وهم
إسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم
السلام كقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى يقضي الأ
قضية في ليلة نصف شعبان ويسلمها إلى أربابها
في ليلة القدر وهذا يصلح أن يكون جمعا بين القولين
في قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم فإن قيل
إنه ليلة نصف شعبان وقيل ليلة القدر وحينئذ
لا خلاف وقيل سميت بذلك لعظمها وشرفها
وقدرها من قولهم لفلان قدر أي شرف ومنزلة
قاله الزهري وغيره وقيل سميت بذلك لأن للطاعة
فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا وقيل لأنه أنزل فيها كتابا
ذا قدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذي

قدر على امة ذات قدر ومعنى ان الله تعالى
يقدر الاجال والارزاق انه يظهر لتلك الملائكة
ويامرهم بفعل ما هو من سمتهم ووظيفتهم بان يكتب
لهم ما قدره في تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير
قبل ان يخلق السموات والارض في الازل قيل
للحسين بن الفضل اليس قد قدر الله تعالى المقادير
قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل له
فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت
وتنفيذ القضا المقدر واختلفوا هل هي باقية
او لا فقيل انما كانت مرة ثم انقطعت وقيل انها
رفعت بعد النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح
انها كانت باقية الى يوم القيامة وروي عن عبد الله
بن يحنس مولى معاوية قال قلت لابي بكر زعموا
ان ليلة القدر قد رفعت قال كذب من قال ذلك
قلت هي في كل شهر رمضان استقبله قال نعم
وعن سعيد بن المسيب انه سئل عن ليلة القدر
اهي شي كان فذهب ام هي في كل عام فقال
بل هي لامة محمد صلى الله عليه وسلم ما بقي منهم
اثنان واستدل من قال برفعها بقوله تعالى صلى
الله عليه وسلم حين تلاحا الرجلان اني خرجت لاخبركم
بليلة القدر فتلاحا فلان وفلان فرفعت وعسى
ان يكون خيرا لكم وهذه غفلة من هذا القائل فهي
اخر الحديث فالتمسوها في التاسعة والسابعة

و

والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يامر بالتماسها
واختلفوا في وقتها فاكثر اهل العلم انها مختصة برمضان
واحتجوا بقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه
القران وقال تعالى انا انزلناه في ليلة القدر فوجب
ان لا تكون ليلة القدر الا في رمضان لئلا يلزم التناقض
وروي عن ابي بن كعب انه قال والله الذي لا اله
الا هو انها لفي رمضان حلف بذلك ثلاث مرات
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا اسمع عن ليلة القدر فقال
هي في كل رمضان وقيل هي دائرة في جميع
السنة لا تختص برمضان حتى لو علق طلاق امراة
او عتق بليلة القدر لا يقع ما لم تنقض سنة من
حين حلف ويروى ذلك عن ابي حنيفة وعن
ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصبها وذكر
عن ابي الحسن الشاذلي انه قال من اراد ان
يعرف ليلة القدر فلينظر غرة رمضان الى اوله
فان كان يوم الاحد فليلة القدر ليلة تسع وعشرين
وان كان يوم الاثنين فليلة سبع وعشرين وان كان
يوم الاربعا فليلة سبعة عشر وان كان يوم الخميس
فليلة خمس وعشرين وان كان ليلة الجمعة فليلة
سبعة عشر وان كان يوم السبت فليلة ثلاث
وعشرين وعلى القول الاول هي في كل رمضان او في
العشر الاخير فقولان احدها انها في كل شهر واختلفوا

في اي ليلة منه فقال ابن رزين هي الليلة الاولى
من رمضان وقال الحسن البصري السابعة عشر
وقال انس بن مالك التاسعة عشر وقال محمد بن
اسحاق الحادية والعشرون وقال ابن عباس رضي
الله عنهما الثالثة والعشرون وقال ابي بن كعب
السابعة والعشرون وقيل التاسعة والعشرون
وقيل الثلاثين وكل استدل على قوله بما يطول
الكلام عليه والقول الثاني وهو ما عليه الاكثرون
انها مختصة بالعشر الاخير منه واستدل لذلك
باثباتها منها ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
التمسوها في العشر الاواخر من رمضان وعن عائشة
رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في
غيرها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دخل العشر شد مئزره واحيى ليله وايقظ اهله
واختلفوا في انها ليلة من العشر هل هي ليلة من
الليالي العشر كله او في اوتاره فقط وهل تلزم
ليلة بعينها او تنتقل في جميعه اقوال والذي عليه
الاكثر انها في جميعه ولكن ارجاها اوتاره وارجى
الاوتار عند امامنا الشافعي رضي الله عنه ليلة
الحادية والعشرين والثالثة والعشرين بدليل دل
خبر الصحيحين والثاني خبر مسلم وانها تلزم عنده

ليلة

ليلة بعينها وقال المزني صاحب الشافعي وابن خزيمة
انها منتقلة في ليالي العشر جمعا بين الاحاديث وقال
النووي وهو قوي في مجموعها انه الظاهر المختار
وخصها بعض العلماء باوتار العشر الاخير وبعضهم با
شفاعه وقال ابن عباس رضي الله عنهما انها هي
ليلة القدر سبع وعشرين وهو مذهب اكثر اهل العلم
واستنبط ذلك بعضهم من ان ليلة القدر ذكرت ثلاث
مرات وهي تسعة احرف فاذا ضرب تسعة في ثلاثة
تكن سبعة وعشرين وبعضهم استنبط ذلك من
عدد كلمات السورة وقال انها ثلاثون كلمة ووافق
قوله هي السابع والعشرين وهي كناية عن هذه
الليلة فبان انها ليلة السابع والعشرين وهو استنباط
لطيف وليس بدليل كما قيل وفيها نحو الثلاثين
قوله وبضع وعشرون حديثا وافردت بالتصنيف
وفيما ذكرناه كفاية وذكروا للسبب في اخفائها
عن الناس وجوها احدها ان الله تعالى اخفاها
ليعظموا جميع السنة على القول بانها فيها او جميع
رمضان على القول به او جميع العشر الاخير
على القول بانها فيها او جميع رمضان على القول
به او جميع العشر الاخير على القول به كما اخفى
رضاه في الطاعات ليرغبوا في كلها واخفى غضبه
في المعاصي ليحترزوا كلها واخفى وليه في المسلمين
ليعظموهم كلهم واخفى الاجابة في الدعا ليبالغوا

في الدعوات واخفي ساعة الاجابة في يوم
الجمعة ليجتهدوا في العبادة في جميع اوقاتها في غير
الاوقات المنهي عنها طمعا في ادراكها واخفي الاسم
الاعظم ليعظموا كل اسمائه تعالى واخفي الصلاة
الوسطى ليحافظوا على الكل واخفي التوبة ليواظب
المكلف على جميع اقسامها واخفي قيام الساعة
ليكونوا على وجل من قيامها بغتة ثانيها ان العبد
اذا لم يتيقن ليلة القدر واجتهد في الطاعة رجاء
ان يدرك كلها فيباهي الله تعالى به ملائكته ويقول
تقولون فيهم يفسدون ويسفكون الدماء وهذا
جده واجتهاده في الليلة المظنونة فكيف ولو جعلها
معلومة له فحينئذ يظهر اني اعلم ما لا تعلمون
ثالثها ليجتهدوا في طلبها والتماسها فينالوا من ذلك
اجر المجتهدين في العبادة بخلاف ما لو عينت في
ليلة بعينها لحصل الاقتصار عليها ففاتت العبادة
في غيرها ثم ذكر تعالى فضلها من ثلاثة اوجه
احدها ما ذكره بقوله تعالى ليلة القدر اي التي
خصصناها بانزاله فيها خير من الف شهر
ليس فيها ليلة قدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني
اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله الف
شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك
وتمنى ذلك لامته فقال يا رب جعلت امتي اقصر

الاعمار

الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه الله تعالى ليلة
القدر فقال تعالى ليلة القدر خير من الف شهر
التي حمل فيها الاسرائيلي السلاح في سبيل الله
ولامتك الى يوم القيامة فهي من خصائص هذه
الامة وعن مالك انه سمع من يوثق به من اهل العلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري اعمار الناس
قبله فكانه تقاصر اعمار امته ان لا يبلغوا من العمل مثل
الذي يبلغ غيرهم فاعطاه الله تعالى ليلة القدر التي
العمل فيها خير من العمل في الف شهر ليس فيها ليلة
القدر وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال
له عابد حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة
ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك
العباد وهي افضل ليالي السنة ويدخل في ذلك
ليلة الاسراء فهي افضل منها ان لم تكن ليلة القدر كما قيل
ان الاسراء كان في رمضان وانما كان ذلك لما
يريد الله تعالى فيها من المنافع فيكتب فيها جميع
خير السنة وشرها ورزقها واجلها وبلاءها ورخاءها
ومعاشها الى مثلها من السنة ولا يشكل ذلك بما
قيل ان الآجال تقطع من شعبان الى شعبان
حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه
في الموتى لما ورد ان الله تعالى يامر بنسخ ما يكون
في السنة من الآجال والامراض والارزاق
ونحوها في ليلة النصف من شعبان فاذا كان

ليلة القدر فضلها الى اربابها وقيل يقدر في ليلة
النصف من شعبان الآجال والارزاق وفي ليلة
القدر الامور التي فيها الخير والبركة والسلامة
الوجه الثاني من فضايلها ما ذكره الله تعالى في قوله
تعالى جل ذكره تنزل اي تتنزل متدرجا متواصلا
واصلا علي غاية ما يكون من الخفة والسرعة
مما اشار اليه حذف التا الملايكة اي الى الارض
وروي انه اذا كان ليلة القدر تنزل الملايكة وهم
سكان سدرة المنتهى والروح اي جبريل عليه السلام
فيها اي في الليلة ومعه اربعة الوية فينصب
لوا علي قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولوا علي
ظهر بيت المقدس ولوا علي ظهر المسجد الحرام
ولوا علي ظهر طور سينا ولا يدع بيتا فيه مومن
ومومنة الا دخله وسلم عليهم يقول يا مومن ويا
مومنة السلام يقريك السلام الا علي مدمن خمر
وقاطع رحم واكل لحم خنزير وعن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة القدر
نزل جبريل في كبكبة من الملايكة يصلون ويسلمون
علي كل عبد قايم او قاعد يذكر الله تعالى وهذا
يدل علي ان الملايكة كلهم لا ينزلون وظاهر
الاية نزول الجميع وجمع بين ذلك بما روي انهم
ينزلون فوجا فوجا كما ان اهل الحج يدخلون
الكعبة فوجا بعد فوج وان كانت لا تسعهم دفعة
واحدة

واحدة كما ان الارض لا تسع الملايكة دفعة واحدة
ولذلك ذكر بلفظ تنزل الذي يقتضي المرة بعد
المرة اي ينزل فوج ويصعد فوج والله اعلم بذلك
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان الملايكة في
تلك الليلة اكثر من عدد الحصا وقال بعضهم
الروح ملك تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض
السابعة وله الف راس كل راس اعظم من الدنيا
وفي كل راس الف وجه وفي كل وجه الف فم وفي
كل فم الف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان الف
نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد ولكل لسان لغة
لا تشبه لغة الاخرى وان افتح افواهه بالتسبيح خرت
ملايكة السموات السبع سجدا مخافة ان يحرقهم نور
افواهه وانما يسبح الله تعالى غدوة وعشية
فينزل في ليلة القدر لشرفها وعلو شانها فيستغفر للصايمين
والصايمات من امة محمد صلى الله عليه وسلم تلك
الليلة كلها الى طلوع الفجر وعن علي رضي الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم قال رايت ليلة اسري بي
ملكا رجلاه جاوزت من الارض السابعة السفلى
وراسه من السماء السابعة العليا ومن عند راسه
الى قدميه وجوه واجنحة في كل وجه فم ولسان
يسبح الرحمن الرحيم تسبيحا لا يشبه الصوت الاخر
ولو امره الله تعالى ان يلتقم السموات السبع والارضين
السبع لقمة واحدة كما يلتقم احدكم اللقمة لاطاق ذلك

ثم لم يكن تلك تحية فيه الا كلمة احدكم في فيه ولو سمع
اهل الدنيا صوته بالتسبيح لصعقوا ما بين شحمة
اذنه الى منكبه خفقات الطير لا تراهم الملائكة
الا تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى
طلوع الفجر **باذن ربهم** اي بامر المحسن اليهم المربي
لهم **من كل امر** اي قضاه الله تعالى في تلك السنة
الى قابل وتقدم الجمع بينها وبين ليلة النصف من
شعبان ومن سببية بمعنى الباء الوجه الثالث
من فضايلها ما ذكر سبحانه وتعالى **سلام** اي
عظيم جدا وهو خبر مقدم والمبتدا **هي** جعلت
سلاما لكثرة السلام فيها من الملائكة لا يمرون بمومن
ولا مومنة الا سلمت عليه ويستمرون على ذلك
من غروب الشمس **حتى** اي الى **مطلع الفجر** اي وقت
مطلعه اي طلوعه وقرا الكسايي بكسر اللام على
انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق
والباقون بفتحها ومن فضايلها ان من قامها
غفرت ذنوبه وفي الصحيحين من قام ليلة
القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه
قال النووي في شرح مسلم ولا ينال فضلها الا من
اطلعه الله عليها فلو قامها انسان ولم يشعر بها لم
ينل فضلها قال الاذرعي وكلام المتولي ينازعه
حيث قال ويستحب التعبد في كل ليالي العشر
حتى يحوز الفضيلة انتهى وهذا اولى نعم

حال

حال من اطلع افضل اذا قام بوظايفها وعن ابي هريرة
رضي الله عنه مرفوعا من صلى العشا الاخيرة
في جماعة من رمضان فقد ادرك ليلة القدر
اي اخذ حظا منها ويسن لمن راها ان يكتمها ويسن
ان يكثر من الدعا والتعبد في ليالي رمضان
وان يكون من دعايه اللهم انك عفو تحب العفو
فاعف عني ومن علاماتها ان الشمس تطلع
صبيحتها لا شعاع لها رواه مسلم عن ابي بن كعب
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان الشمس
تطلع كل يوم بين قرني الشيطان الا صبيحة ليلة
القدر فانها تطلع يومئذ بيضا ليس لها شعاع فان
قيل لا فايدة في هذه العلامة فانها قد انقضت
اجيب بانه يستحب ان يجتهد في ليلتها ويحيي
يعرفها كما مر عن الشافعي انها تلزم ليلة واحدة
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة القدر اعطي من الاجر كمن
صام رمضان واحيى ليلة القدر حديث موضوع

سورة لم يكن وتسمى القيمة وتسمى المنفكين مكية

في قول يحيى ابن سلام ومدنية في قول الجمهور وهي
ثمان ايات واربع وتسعون كلمة وثلاثماية وتسعون
حرفا **بسم الله** الذي لا يخرج شي عن مراده **الرحمن**
الذي عم بنعمه جميع عباده **الرحيم** الذي يخص اولياه
بالسعادة ولما كان الكفار صنفين اهل كتاب ومشركين

ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا
اي في مطلق الزمان الماضي والحال والاستقبال
من اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى الذين
كان الاصل دينهم حقا فالحدوا فيه بالتبديل
والتحريف والاعوجاج في صفات الله تعالى
ثم نسخه الله تعالى بما شرع من مخالفته
في الفروع وموافقته في الاصول فكذبوا والمشركين
اي بعبادة الاصنام والنار ونحو ذلك ممن
هم عريقون في دين لم يكن له اصل في الحق
بان لم يكن كتاب شبيه له من البيان وقوله
تعالى منفكين خبر يكن اي منفصلين زائلين عما كانوا
عليه من دينهم انفكاكا يزيلهم عنها بالكلية
بحيث لا يبقى لهم به علقة ويثبتون على ذلك
الانفكاك فاصل الفك الفتح والانفصال لما كان
ملتحما من فك الكتاب والختم والعظم اذا ازيل
ما كان ملتصقا ومتصلا به او عن الموعد
باتباع الحق اذ اجاءهم الرسول المبشر به فان اهل
الكتاب كانوا يستفتحون به والمشركين كانوا
يقسمون بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير
ليكونن اهدى من احدى الامم فان قيل لم قال
تعالى كفروا بلفظ الفعل وذكر المشركون بالاسم
الفاعل اجيب بان اهل الكتاب ما كانوا كافرين
اول الامر لانهم كانوا مصدقين بالتوراة والانجيل

ومبعث

ومبعث محمد صلى الله عليه وسلم وذلك يدل على
الثبات على الكفر وقوله تعالى حتى اي الى ان
تأتيهم البينة متعلق بيكن او منفكين والبينة
الآية التي هي في البيان كالفجر المنير الذي لا يزداد
بالتمادي الا ظهورا وضياء نورا وذلك هو الرسول
صلى الله عليه وسلم وما معه من الآيات التي
اعظمها الكتاب وهو القرآن وقوله تعالى رسول
اي عظيم جدا بدل من البينة هو بنفسه او بتقدير
مضاف اي بينة رسول او مبتدأ الا ان اعظمه
بقوله تعالى واصفا من الله اي الذي له الجلال
والاكرام وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه في
نفسه بينة وحجة ولذلك سماه الله تعالى سراجا
منيرا وطاف اللام في البينة للتعريف اي هو الذي
سبق ذكره في التوراة والانجيل على لسان موسى
وعيسى عليهما السلام وقد يكون التعريف للتفخيم
اذ هو البينة التي لا مزيد عليها والبينة كل البينة
وكذا التنكير وقد جمعهما الله تعالى ههنا في حق
الرسول صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى حين
اثنى على نفسه ذو العرش المجيد فعال لما يريد
فنكر بعد التعريف وقال ابو مسلم المراد من البينة
مطلق الرسول وما معه من الآيات التي اعظمها
الكتاب سواء التوراة او الزبور او غير القرآن وعبر
بالمضارع لتجدد البيان في كل وقت بتجدد التلاوة

والرسالة وقال النحوي لفظه مستقبل ومعناه
الماضي اي حتى اتتهم البينة ونبه على ذلك
جلال المحلي وقوله تعالى **يتلو صحفا** صفة
الرسول او خبره والرسول صلى الله عليه وسلم
وان كان اميا لكنه لما تلى مثل ما في الصحف كان
كالتالي لها وقيل المراد جبريل عليه السلام
وهو التالي للصحف المنتسخة من اللوح التي ذكرت
في سورة عبس ولا بد من مضاف محذوف
وهو الوحي والصحف جمع صحيفة وهو القرطاس
والمراد ما فيها عبر عنها لشدة المواصلة **مطهرة** اي
في غاية الطهارة من كل قذر مما جعلنا من البعد
عن الادناس بان الباطل من الشرك بالاوثان وغيرها
من كل زيغ لا يأتيها من بين يديها ولا من خلفها
وانها لا يمسها الا المطهرون **فيها** اي تلك الصحف
كتب اي احكام مكتوبة **قيمة** اي مستقيمة ناطقة
بالحق والعدل الذي لا مرية فيه ليس فيه شك
ولا اعوجاج بنوع من الانواع **وما تفرق**
الذين اوتوا الكتاب اي عما كانوا عليه وخص
اهل الكتاب بالتعريف دون غيرهم ممن لا كتاب
لا دخل في هذا الوصف **الا من بعد ما جاءتهم البينة**
اي اتتهم البينة الواضحة والنبي محمد صلى
الله عليه وسلم اتى بالقرآن موافقا للذي في ايديهم
من الكتاب بنعته وصفته وذلك لانهم كانوا

يجيئ

يجيئ على نبوته فلما بعث صلى الله عليه وسلم
جحدوا نبوته وتفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم وقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على
الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا فكان مجيء البينة
يقتضي اجتماعهم على الحق لا تفرقهم فيه وقرأ
حمزة وابن ذكوان بامالة الالف بعد الجيم محضة
والباقون بالفتح ولما كان حال من ضل على
علم اشنع زاد في تقبيحهم فقال **وما امروا** اي
هؤلا الكفار في التوراة والانجيل **الا ليعبدوا الله**
اي يوحدوا الاله الذي له الامر كله ولا امر
لاحد معهم غيره واللام بمعنى ان كقوله تعالى
يريد الله ليبين لكم وقوله تعالى **مخلصين له**
الدين فيه دليل على وجوب النية في العبادات
لان الاخلاص من عمل القلب وهو ان يراد
به وجه الله تعالى لا غيره ومن ذلك قوله
اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين **حنفاء**
اي مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام
واصل الحنف الميل في اللغة وخصه العرف
بالميل الى الخير وسموا الميل الى الشر الحادا
الحنيف المطلق الذي يكون متبريا عن اصول الملل
الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس
والمشركين وعن فروعها من جميع النحل الى
الاعتقادات وعن توابعها عن الخطأ والنسيان

الى العمل الصالح وهو مقام النفي وعن المكروهات
الى المستحبات والثبات الى العمل الصالح وهو مقام
النفي وعن المكروهات الى المستحبات وهو المقام
الاول من الورع وعن الفضول شفقة على خلق
الله تعالى وهو ما لا يعني الى ما يعني وهو المقام
الثاني من الورع وعمل يجد الى الفضول وهو
مقام الزاهد فالاية جامعة لمقامي الاهل من الناظر
احدهما الى الحق والثاني الى الخلق ولما ذكر
اصل الدين اتبعه الفروع وبدا باعظمها الذي
هو جمع الدين وموضع التجرد عن العوائق فقال
عز من قائل ويقيموا اي يعدلوا من غير عوج
ما يجمع الشرائط والاركان والحدود الصلاة
لتصيروا بذلك اهلا بان تقوم نفسها وهي
من تعظيم لامر الله تعالى ولما ذكرنا الى وصلة
الخالق اتبعها صلة الخلق بقوله تعالى ويؤتوا
الزكاة اي يدفعوها لمستحقيها شفقة على
خلق الله تعالى اعانة على الدين اي ولكنهم
حرفوا ذلك وبدلوه بطبائعهم المعوجة وتدخل
الزكاة عند اهل الله تعالى في كل ما رزق الله من
عقل وسمع وبصر ولسان ويد ورجل وجاه وغير
ذلك كما هو واضح من قوله تعالى ومما رزقناهم
ينفقون وذلك اي والحال ان هذا الموصوف
من العبادة على الوجه المذكور دين القيمة اي

اللغة المستقيمة واضاف الدين الى القيمة وهي
نعته لاختلاف اللفظين وانث القيمة ردا لها الى
الملة وقيل الهاء للمبالغة فيه وقيل القيمة هي
الكتب التي جرى ذكرها اي وذلك دين الكتب
القيمة فيما تدعوا اليه وتامر به كما قال تعالى وانزل
معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه
وقال النضر بن شميل سالت الخليل ابن احمد عن قوله
تعالى وذلك دين القيمة فقال القيم جمع القيم والقيم
والقائم واحد فقال المجرى ومجاز الاية وذلك
دين القائمين لله تعالى بالتوحيد ثم ذكر تعالى ما
للفريقين فقال سبحانه ان الذين كفروا اي اوقع
منهم الستر لما عقولهم بتصرفها لا بالنظر الصحيح
فضلوا واستمروا على ذلك وان لم يكونوا عريقين
فيه من اهل الكتاب اي اليهود والنصارى والمشركين
اي العريقين في الشرك في نار جهنم اي النار التي
تلقاهم بالتجهم والعبوسة خالدين فيها اي يوم
القيامة او في الحال لسعيهم بموجباتها واشتراك الفريقين
في جنس العذاب لا يوجب التساوي في النوع بل يختلف
بحسب اشتداد الكفر وخفته اولئك اي البعداء
البغضاء هم اي خاصة بما لهما من الخبث شر البرية
اي الخليقة الذين اهلكوا اصالح انفسهم وفرطوا في
حوائجهم ومآربهم وهذا يحتمل ان يكون على التعميم
وان يكون بالنسبة للعصر النبي صلى الله عليه وسلم لتوكيد

تعالى وأني فضلتكم على العالمين أي عالمي زمانهم
ولا يبعد أن يكون في كفار الأمم قبل من هو شر
منهم مثل فرعون وعاقر ناقة صالح ولما ذكر تعالى
الأعداء وجزاءهم لأن ذلك أردع لهم أتبعه الأولياء
فقال تعالى مؤكدا لما للكفار من الإنكار إن الذين
آمنوا أي أقروا بالإيمان وعملوا تصديقا لإيمانهم
الصالحات أي هذا النوع أولئك أي هؤلاء العالوا
الدرجات هم أي خاصة خير البرية على النعيم
أو بروية عصرهم يأتي فيه ما مر وقرأ نافع
وابن ذكوان بالهمزة في الحرفين لأنه من قولهم
برأ الله الخلق والباقون بالياء المشددة بعد
الراء كالذرية همزة في الاستفهام ثم ذكر ثوابهم بقوله
تعالى جزاؤهم أي على طاعتهم وعظمه بقوله
تعالى عند ربهم أي المولى لهم والمحسن إليهم جنات
عدن أي إقامة لا يحولون عنها تجري أي جريا
دائما لا انقطاع له من تحتها أي من تحت أشجارها
وغرفها الأنهار خالدين فيها أي يوم القيامة
أو في الحال لسعيهم في موجباتها وأكد معنى الخلود
تعظيما لجزائهم بقوله تعالى أبدا رضي الله أي
بما له من نعوت الجلال والجمال عنهم أي بما كان
سبق لهم من العناية والتوفيق ورضوا عنه
لأنهم لم يبق لهم أمنية إلا أعطوها مع علمهم
أنه تفضل في جميع ذلك لا يجب عليه لأحد

شيء ولا يجد أحد حق قدره فلو أخذ الخلق بما يستحقونه
لأهلكهم كما قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
ما ترك على ظهرها من دابة وقال ابن عباس
رضي الله عنهما ورضوا عنه بثواب الله عز وجل
ذلك أي الأمر العالي الذي جوزوا به لمن خشي
ربه أي خاف المحسن إليه خوفا يليق به فلم يركن
إلى التسويف والتكاسل فإن الخشية ملاك الأمر
والباعث على كل خير وهي للعارفين فإن الإنسان
إذا استشعر عذابا يأتيه لحقته حالة يقال لها
الخوف وهي انخلاع القلب عن طمأنينته فإن اشتد
سمي وجلا لجولانه في نفسه فإن اشتد سمي
رهبا لأدائه إلى الهرب وهي حالة المؤمنين
الغائبين إلى الله تعالى ومن غلب عليه الاستغراق
في شهود الجلاليات لحقته حالة تسمى مهابة
ذو را هذه الخشية إنما يخشى الله من عباده العلماء
فمن خاف ربه هذا الخوف وانفك عن جميع
ما عنده مما لا يليق بجنابه تعالى وما فارق الخوف
قلبا إلا خرب وروى أنس بن مالك رضي الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن
كعب إن الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين
كفروا قال أبي وسماني لك قال النبي صلى الله
عليه وسلم نعم فبكى أبي قال البقاعي وسبب تخصيصه
بذلك أنه وحده أتى من الصحابة فرحا لغاء

في القراءة فدفعهما الى النبي صلى الله عليه وسلم
فامرهما معوضا عليه فحسن لهما قال فسقط في نفسي
من اشد ما كان في الجاهلية فضرب صلى الله
عليه وسلم في صدري ففضت عرقا وكانما انظر
الى الله فرقا اي خوفا ثم قص عليه خبر التخفيف
بالسبعة احرف وكانت السورة التي وقع فيها
خلاف النحل وفيها انه تعالى يبعث رسوله يوم البعث
شهيدا صلى الله عليه وسلم وانه نزل عليه الكتاب
تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وانه نزل عليه
روح القدس بالحق ليثبت الذين امنوا وان
اليهود اختلفوا في السبت وسورة لم يكن على
قصرها حاوية اجمالا لكل ما في النحل على طولها
وزيادة وفيها التحذير من الشك بعد البيان
وتقبيح من فعل ذلك فان حاله يكون كحال الكفرة
من اهل الكتاب في الفساد فتكون سورة البرية
قراها صلى الله عليه وسلم عليه تذكيرا له بذلك
كله على وجه ابلغ واخص ليكون اسرع لقصورها
فيكون ارسخ في النفس واثبت في القلب واحق
للطبع واختصه الله بالتثبيت واراد له الثبات
فكان من المريدين لما وصل الى قلبه بركة
ضربة النبي صلى الله عليه وسلم لصدره وصار
كلما قرا هذه السورة كامعة غائبا عن تلاوة نفسه
مصغيا باذن قلبه وصار كلما قرا هذه السورة

حا

٤٨٦

كامعة الى روح النبوة يتلو عليه ذلك فيدوم له
حال الشهود الذي وصل اليه بسر تلك الضربة ولسوته
في هذا المقام قال صلى الله عليه وسلم اقرؤكم ابي
قال القرطبي وفيه من الفقه قراءة العالم على المتعلم
وقال بعضهم انما قرا النبي صلى الله عليه وسلم
على ابي ليعلم الناس التواضع لئلا يانف احد من
التعلم والقراءة على من دونه في المنزلة وقيل
ان ابيا كان اسرع اخذا لالفاظ رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاراد بقراءته عليه ان ياخذ الفاظه
ويقرا كما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا عليه
غيره وفيه فضيلة عظيمة لابي امر الله تعالى
رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقرا عليه غيره وفيه
فضيلة عظيمة لابي امر الله تعالى رسوله صلى
الله عليه وسلم ان يقرا عليه وقول البيضاوي تبعا
للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير
البرية مادما وقيل حديث موضوع

سورة الزلزلة مكية

في قول ابن عباس وقتادة ومكية في قول ابن
مسعود وعطا وهي ثمان ايات وخمس وثلاثون
كلمة ومائة وتسع وأربعون حرفا بسم الله المحيط
بكل شيء قدرة وعلما الرحمن الذي عم الخلق نعمته
الظاهرة نسما الرحيم الذي اتم النعمة على خواصه

حقيقة عياناً واسماً ولما قال تعالى للمؤمنين جزاؤهم
عند ربهم جنات عدن كان المكلف قال متى يكون
ذلك فقيل له اذا زلزلت الارض اي تحركت فاضطربت
لقيام الساعة فالعالمون كلهم يكونون في تحرك وانت
في ذلك الوقت تنال جزاءك وتكون آمناً كقوله
تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون زلزالها اي
تحريكها الشديد المناسب لعظمة جرم الارض
وعظمه وذلك كما تقول اكرم التقي اكرامه
واهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه
من الاكرام والاهانة ولما كان الاضطراب العظيم
يكشف عن الخفي في المضطرب قال تعالى واخرجت
الارض اي كلها ولم يضمر تحقيقاً للعموم اثقالها اي
ما هو مدفون فيها من الكنوز والاموات قال
ابو عبيدة والاخفش اذا كان الميت في بطن الارض
فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقال
ابن عباس ومجاهد اثقالها امواتها تخرجهم
في النفخة الثانية ومنه قيل للجن والانس الثقلان
وقيل اثقالها كنوزها ومنه حديث تلقي الارض
افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب
والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء
القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء
السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه
فلا يأخذون منه شيئاً فيعطيها الله تعالى قوة

اخراج

اخراج ذلك كما كان يعطيه قوة ان تخرج النبت الصغيرة
اللطيفة الطري الذي انعم من الحرير فتشق الارض
الصلبة التي تكل عنها المعاول وتشق النواة مع
ما لها من الصلابة التي استعصيت بها على الحديد
فتنفلق نصفين ويخرج منها ما يريده سبحانه
وتعالى فالذي قدر على ذلك قادر على تكوين الموتى
في بطن الارض واعادتهم على ما كانوا عليه
كما يكون الجنين في البطن وينفخ جميع منافذه
من السمع والبصر والفم وغير ذلك من غير ان يدخل
هناك بيكار وله منشار ثم يخرج من البطن هكذا
تخرج الموتى من غير فرق كل ذلك عليه هين سبحانه
ما اعظم شأنه واعز سلطانه وقال الانسان اي هذا
النوع الصادق بالقليل والكثير لما يرى من الشان
لما اكده عنده من امر البعث مما لا يرى الانسي
بنفسه والنظر في عظمه على سبيل التعجب والدهش
والحيرة او الكافر كما يقول من بعثنا من مرقدنا فيقول
المؤمن هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
ما لها اي شيء للارض في هذه الزلزلة الشديدة
التي لم يعهد مثلها ولفظت ما في بطنها يومئذ اي
ان كان ما ذكر من الزلزال وما لزم عنه وقوله
تعالى تحدث اخبارها جواب اذا وهو الناصب
لها عند الجمهور ومعنى تحدث تخبر الارض بما عمل
عليها من خير او شر يومئذ ثم قيل هو من قول

الله تعالى وقيل من قوله الإنسان أي يقول
الإنسان ما لها تحدث أخبارها مجيبا روى الترمذي
عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قرأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث
أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبارها
أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول
عمل كذا وكذا فهذه أخبارها شبيه في حديثها
بأخبارها لك ثم أقوال أحدها أن الله تعالى يقلبها
حيوانا ناطقا فيتكلم بذلك ثانيها أن الله تعالى
يحدث فيها الكلام ثالثها أن يكون فيها بيان
يقوم مقام الكلام وقيل في الآية تقديم وتأخير
تقديره يومئذ تحدث أخبارها فيقول الإنسان
ما لها أي تخبر الأرض بما عمل عليها أن ربك
متعلق بتحدث ويجوز أن يتعلق بنفس أخبارها
والباء سببية أي تحدث بسبب أن ربك المحسن
إليك بأنواع النعم أوحى لها أي أذن لها أن
تتكلم بذلك المذكور بالمقال وبالحال على ما مر
قال البقاعي وعدل عن قوله إليها إلى قوله
تعالى لها إيذانا بالإسراع في الإيجاد وقال السيوطي
أوحى لها وأوحى إليها أحد وقرأ حمزة والكسائي
بالإمالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين
والباقون بالفتح وقوله تعالى يومئذ بدل
من يومئذ قبله ومنصوب بقوله تعالى يصدر أو

باذكر مقدرا أي واذكر يوم إذ كان ما تقدم وهو
حين يقوم الناس من القبور يصدر الناس
أي يرجعون من قبورهم إلى ربهم الذي كان
لهم بالمرصاد ليفصل بينهم وقرأ حمزة والكسائي
بإشمام الصاد بين الصاد والزاي والباقون
بالصاد الخالصة أشتاتا أي متفرقين بحسب
مراتبهم في الذوات والأحوال من مؤمن وكافر
وآمن وخائف ومطيع وعاص وعن ابن عباس
رضي الله عنهما متفرقين على قدر أعمالهم أهل
الإيمان على حدة أو متفرقين فآخذ ذات اليمين
إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار ليروا
أي يريهم الله تعالى المحسن منهم والمسيء بواسطة
من يشاء من جنوده أو بغير واسطة حتى يكلم
أحدا من غير ترجمان ولا واسطة كما أخبر بذلك
رسوله صلى الله عليه وسلم أعمالهم فيعلموا جزاءها
إصدارهم من الموقف كل إلى داره ليرى جزاء
عمله ثم تسبب عن ذلك قوله تعالى مفصلا الجملة
التي قبله فمن يعمل من محسن أو مسيء مسلم أو كافر
مثقال ذرة خيرا أي من جهة الخير يره أي
يرى ثوابه حاضرا لا يغيب عنه شيء منه لأن المحاسب
له الإحاطة علما وقدرة فالمؤمن يراه فيسر بسروره
ويره الكافر يوقف على أعماله ثم أحبط لبنائه
على غير أساس الإيمان وعلى أنه يجوزي

في الدنيا فهو صورة بلا معنى يشتد ندمه وتبقى
حسرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما من
عمل من الكفار خيرا يره في الدنيا ولا يثاب عليه
في الاخرة ومن يعمل مثقال ذرة من شر عوقب
عليه في الاخرة مع عقاب الشرك ومن يعمل مثقال
ذرة من شر من المؤمنين يراه في الدنيا ولا يعاقب
عليه في الاخرة اذا تاب ويتجاوز عنه وان عمل
مثقال ذرة خير يقبل منه ويضاعف في الاخرة
وفي بعض الحديث ان الذرة لا زنة لها وهذا
مثل ضربه الله تعالى ليبين انه لا يغفل عن
عمل ابن ادم صغيرا ولا كبيرا وهو كقوله تعالى ان
الله لا يظلم مثقال ذرة وذكر بعض اهل اللغة
ان الذرة ان يضرب الرجل يده على الارض
فما علق من التراب فهو الذر وقال ابن عباس
رضي الله عنهما اذا وضعت يدك على التراب
ورفعتها فكل واحدة مما لزق من التراب ذرة
وفسرها بعضهم بالنملة الصغيرة وبعضهم بالهباة
التي ترى طايرة في الشعاع الداخل من الكوة وقال
محمد بن كعب القرظي ومن يعمل مثقال ذرة من خير
من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله
واهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له
عند الله تعالى عنه ان هذه الاية نزلت
على النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر ياكل فامسك

وقال

وقال يا رسول الله انا لنرى ما عملنا من خير او شر
فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ما رايت في الدنيا
مما تكره فمثاقيل ذر الشر ويدخر لكم مثاقيل ذر
الخير حتى توفوه يوم القيامة قال ابو ادريس
ان مصداقه من كتاب الله عز وجل وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقال مقاتل نزلت
نزلت في رجلين احدهما انه كان ياتيه السائل
فيستقل بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة
ويقول انما وعد الله تعالى النار على الكباير
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره نزلت هذه الاية
لترغيبهم في القليل من الخير ليعطوه ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة
فمن لم يجد فبكلمة طيبة وتحذرهم من اليسير من
الذنب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لعايشة اياك
ومحقرات الذنوب فان لها من الله تعالى طالبا
وقال ابن مسعود رضي الله عنه هذه الاية
احكم اية في القران واصدق وقد اتفق العلما
على عموم هذه الاية وقال كعب الاحبار لقد
انزل على محمد صلى الله عليه وسلم ايتين احصتا
ما في التوراة والانجيل والزبور والصحف فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره وكان صلى الله عليه وسلم يسمي هذه
الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الحمير فقال ما

نزل علي فيها شي عين هذه الاية لجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وروى مالك في الموطأ مسكينا استطعم عايشة وبين يديها عنب فقالت لانسان خذ حبة فاعطه اياها فجعل ينظر اليها ويتعجب فقالت اتعجب كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة وكذا تصدق عمر وانما فعل ذلك لتعليم الغير والا فهما من كرماء الصحابة قال الربيع بن خيثم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه الاية فلما بلغ اخرها قال حسبي قد انتهيت الموعظة تنبيه قوله تعالى يره جواب الشرط في المصحف وقراءة هشام بسكون هاء يره وصلا في الحرفين والباقون بضمها وصلا وساكنة وقفا كساير الكناية وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القران كله رواه الثعلبي بسند ضعيف لكن يشهد له ما رواه ابو شيبة مرفوعا اذا زلزلت تعدل ربع القران

سورة والعاديات مكية

في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطا ومدنية في قول ابن عباس وانس بن مالك وقتادة رضي الله تعالى عنهم وهي احدى عشر اية واربعون كلمة وثلثمائة وستون حرفا بسم الله الذي لا اله من كلمه ذاهبا بال عما يفعل

الرحمن

الرحمن الذي نعمته اتم نعمة واكمل الرحيم الذي خص اولياءه بتوفيقه واتم نعمته عليهم واكمل وقوله تعالى والعاديات ضبحا قسم اقسم سبحانه بخيل الغزاة تعدو فتضبح صوت انفاسها اذا عدون عن ابن عباس رضي الله عنهما انه حكاه اح اح قال عنترة

والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا

وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا او بالعاديات كانه قيل والضابحات ضبحا لان الضبح يكون مع العدو او على الحال اي ضابحات والعاديات جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت جالسا في الحجر فجاء رجل فسالني عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى علي رضي الله عنه وهو تحت سقاية زمزم فساله وذكر له ما قلت فقال ادعه الي فلما وقفت على راسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كان لاول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد والعاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى قال الزمخشري فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان

للمهر وما اشبه ذلك قال ابن عباس وليس شيء من
الحيوان يضبح غير الفرس والكلب والثعلب ونقل
غيره ان الضبح يكون في الابل والاسود من الحيات
والبوم والصدى والارنب والثعلب والفرس ثم اتبع
عدوها ما ينشأ عنه فقال تعالى عاطفا باداة
التعقيب فالموريات قدحا قال عكرمة والضحاك هي
الخيل توري النار بحوافرها اذا سارت في الحجارة
لا سيما عند سلوك الاوعار وقدحا منصوب
بما انتصب به ضبحا قال الزمخشري فيه ثلاثة
اوجه المتقدمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
اورت بحوافرها غبارا وهذا انما يشبه من فسر العاديات
بالابل وقال ابن مسعود رضي الله عنه هي الابل
تطأ الحصى فتخرج منه النار واصل القدح الاستخراج
ومنه قدحت العين اذا اخرجت منها الماء الفاسد
وعن قتادة وابن عباس ايضا ان الموريات
قدحا مكر الرجال في الحرب والعرب تقول اذا اراد
ان الرجل يمكر بصاحبه والله لامكرن بك ثم
لاورين لك وعن ابن عباس ايضا هم الذين
يغزون فيورون نيرانهم بالليل لحاجتهم وطعامهم
وعنه ايضا انها نيران المجاهدين اذا كثرت
نارها ارهابا لتظنهم العدو كثيرا قال القرطبي
وهذه الاقوال مجاز كقولهم فلان يوري نار الضلالة
والاول الحقيقة وان الخيل من شدة عدوها

تقدح

تقدح النار بحوافرها قال مقاتل تسمى تلك النار نار
ابي حباحب كان شيخا من مضر في الجاهلية من
ابخل الناس وكان لا يوقد نارا لخبز ولا غيره حتى
تنام العيون فيوقد نويرة تتقد مرة وتخمد اخرى
فان استيقظ لها احد اطفاها كراهية ان ينتفع بها
احد فشبهت العرب هذه النار بناره لانه لا ينتفع
بها ولما ذكر العدو وما يتأثر عنه ذكر نتيجته وغا
يته بقوله تعالى فالمغيرات اي بالاغارة اهلها عليها
وقوله تعالى صبحا ظرفا اي الذي تغير وقت الصبح
يقال اغار يغير اغارة اذا باغت عدوه لنهب
او قتل او اسر قال الشاعر
فليت لي بهم قوما اذا ركبوا ... شنوا الاغارة فرسانا وركبانا
وعادته فاثرن اي فهيجن به اي بفعل الاغارة
او بمكانها او بما لها من شدة العدو نقعا اي
غبارا لشدة حركتهن والنقع الغبار تنبيه
عطف الفعل وهو فاثرن على الاسم لانه في تأ
ويل الفعل لوقوعه صلة لال وقال الزمخشري
معطوف على الفعل الذي وضع اسم الفاعل
موضعه لان المعنى واللاتي عدون فاورين
فاغرن فاثرن فوسطن به اي بذلك النقع
او العدو او الوقت جمعا من العدو اي صرن وسط
العدو وهو الكتيبة يقال وسطت القوم بالتخفيف
ووسطتهم بالتشديد وتوسطتهم بمعنى واحد

قال القرطبي يعني جمع ضبح وهو من دلعة فوجه
القسم على هذا ان الله تعالى اقسم بالابل
لما فيها من المنافع الكثيرة وتعريضه بالابل يحج للتر
فيه تعريض على من لم يحج بعد القدرة عليه عيب
كما في قوله تعالى ومن كفر اي من لم يحج فان الله
غني عن العالمين وجواب القسم قوله تعالى
ان الانسان اي هذا النوع عما له من النسي
بنفسه والنسيان لا ينفعه لربه اي المحسن اليه
بابداعه ثم بابقاعه وتدبيره وترتيبه لكنود
قال ابن عباس رضي الله عنهما جحود لنعم
الله تعالى وقال الكلبي هو بلسان ربيعة
ومضر الكفور وبلسان كندة وحضرموت العاصي
وقال الحسن هو اللائم يعد المصائب وينسى النعم
وقال ابو عبيدة هو قليل الخير والارض الكنود
التي لا تنبت شيئا وفي الحديث عن ابي امامة
رضي الله عنه هو الذي ياكل وحده ويمنع رفده
ويضرب عبده وقال الفضيل بن عياض الكنود
الذي انسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال
الكثيرة من الاحسان والشكور الذي من الاساءة
وانه اي الانسان على ذلك اي الكنود لعظيم حيث
قدم على مخالفة الملك الاعظم المحسن مع الكفر
لاحسانه لشهيد اي يشهد على نفسه بعدم
ان يجحده لظهور اثره عليه او ان الله تعالى

كنوده

لشاهد على سبيل الوعيد وانه اي الانسان من حيث
هو حيث هو لحب اي لاجل حب الخير اي المال الذي
لا يعد غيره لجهله خيرا لشديد اي بخيل بالمال ضابط
له ممسك عليه او بليغ القوة في حبه لان منفعته
في الدنيا وهو مستفيد بالعاجل الحاضر المحسوس مع
علمه بان اقل ما فيه انه يشغله عن حسن الخدمة
لربه ومع ذلك فهو لحب المال وايثار الدنيا وطلبها
قوي مطيق وهو لحب عبادة ربه وشكر نعمته
ضعيف متقاعس ثم سبب عن ذلك قوله تعالى
افلا يعلم اي هذا الانسان الذي انساه انسه
نفسه بنفسه اذا بعثر اي اثير بغاية السهولة واخرج
ما في القبور اي من الموتى قال ابو عبيدة بعثرت
المتاع جعلت اسفله اعلاه وقال محمد بن كعب
ذلك حين يبعثون فان قيل لم قال ما في القبور
ولم يقل من ثم قال بعد ذلك ان ربهم بهم اجيب
عن الاول بان ما في الارض غير المكلفين اكثر
فاخرج الكلام على الاغلب وانهم حال ما يبعثون
لا يكونون احياء عقلاء بل يصيرون كذلك بعد
ذلك فلذلك كان الضمير الاول غير ضمير العقلاء
والضمير الثاني ضمير العقلاء وحصل اي اخرج وجمع
بغاية السهولة ما في الصدور من خير وشر مما يخفى
مضمره انه لا يعلمه احد اصلا وظهر مكتوبا في صحا يف
الاعمال وهذا يدل على ان النيات يحاسب

كما حاسب ما ظهر من آثارها وتخصيص الصدر بذلك
لانه محل القلب ان ربهم اي المحسن اليهم بخلقهم
وخلقهم وتربيتهم بهم يومئذ اي وان الآن هذه
الامور وهو يوم القيامة لخبير اي لمحيط بهم من جميع
الجهات عالم غاية العلم ببواطن امورهم فكيف بظواهرها
ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم والا فهو
خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره فكيف ينبغي
للعاقل ان يعلق امله بالمال فضلا عن ان يؤثره
على الباقي وقول البيضاوي تبعا للكشاف عن أبي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
من بات بالمزدلفة وشهد جمعا حديث موضوع

سورة القارعة مكية

وهي احدى عشرة آية وست وثلاثون كلمة ومائة
واثنان وخمسون حرفا بسم الله الملك الاعلى
الرحمن الذي عمت نعمته ايجاده جميع الورى الرحيم
الذي خص اولياءه بالتوفيق لما يحبه ويرضى
ولما ختم العاديات بالبعث ذكر صيحته بقوله
تعالى القارعة الصيحة او القيامة التي تقرع القلوب
باهوالها والاجرام الكثيفة بالتشقق والانفطار
والاشياء الثابتة بالانتشار وقوله تعالى ما القارعة
تهويل لشأنها وهما مبتدأ وخبر خبر القارعة
واكد تعظيمها اعلاما بانها مما خطر في بال كل من

عظمها

شيء اعظم منه فقال تعالى وما ادراك اي اعلمك ما
القارعة اي انك لا تعرفها لانك لم تعهد مثلها وما
الاولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها
في محل المفعول الثاني لادراك واختلف في
ناصب يوم على وجهين احدهما انه مضمر دل
عليه القارعة اي تقرعهم يوم وقيل تقديره
تأتي القارعة يوم يكون الناس والثاني انه
اذكر فهذا مما هو مفعول به لا ظرف وقوله تعالى
كالفراش المبثوث يجوز ان يكون خبر الناقصة
وان يكون حالا من فاعل التامة اي يوجدون
ويحشرون شبه الفراش شبههم في الكثرة والا
نتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعي
من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار والفراش
طاير معروف قال قتادة الفراش الطير الذي يتساقط
في النار والسراج الواحدة فراشة وقال الفراء
هو الهمج من البعوض والجراد وغيرهما وبه يضرب
المثل في الطيش والهوج يقال اطيش من فراشة
وانشدوا

فراشة الحلم فرعون العذاب وان تطلب نداه فكلب
وفي امثالهم اضعف من فراشة واذل واجهل
وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره وروى مسلم
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل

اوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو
يذب عنها وانا اخذ بحجزكم عن النار وانتم تفلتون
من يدي وفي تشبيه الناس بالفراش مبالغات
شتى منها الطيش الذي يلحقهم وانتشارهم في
الارض وركوب بعضهم بعضا والكثرة والضعف
والذلة والمجيء من غير ذهاب والقصد الى الداعي
من كل جهة والتطاير الى النار قال جرير
ان الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي
والمبثوث المتفرق وقال تعالى في موضع اخر
كانهم جراد منتشر فان قيل كيف يشبه الشيء الواحد
بالصغير والكبير لانه شبههم بالجراد المنتشر والفراش
المبثوث اجيب بان التشبيه بالفراش المبثوث
في ذهاب كل واحد الى غير جهة الاخر واما التشبيه
بالجراد فبالكثرة والتتابع وتكون الجبال اي على ما هي
عليه من الشدة والصلابة وانها صخور راسخة
كالعهن اي كالصوف المصبغ الوانا ملونة قال تعالى
ومن الجبال جدد بيض وحمر اي وغير ذلك المنفوش
المندوف المفرق الاجزاء فتراها لذلك متطايرة
في الجو كالهباء المنثور كما قال تعالى في موضع
اخر هباء منبثا حتى يعود الارض كما لا عوج
فيها ولا امتا ثم تسبب عن ذلك قوله تعالى مفصلا
لهم فاما من ثقلت موازينه اي برجحان الحسنات
وفي الموازين قولان احدها انه جمع موزون

وهو

وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالى وهذا
قول الفراء الثاني قال ابن عباس انه جمع ميزان
له لسان وكفتان لا يوزن فيها الا الاعمال فتوزن
فيها الصحف المكتوبة فيها الحسنات والسيئات والاعمال
الا انفسها فيؤتى بحسنات المؤمن في احسن صورة
فتوضع في كفة الميزان فان رجحت فالجنة له ويؤتى
بسيئات الكافر في اقبح صورة فيخف ميزانه فيدخل
النار وقيل انما توزن اعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته
على سيئاته دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته
دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها
فيدخل الجنة بفضله ورحمته واما الكافر فقد قال
الله تعالى في حقه فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا
ثم قيل انه ميزان واحد بيد جبريل والدليل
قاله عبد العزيز بن يحيى واستشهد بقول الشاعر
قد كنت قبل لقائكم ذا مرة عندي لكل مخاصم ميزانه
اي بسبب رجحان حسناته في عيشة اي حياة تتقلب
فيها قال البقاعي ولعله عبر بها لانها الدالة على الرحمة
والمراد العيش لينهم انها على حالة واحدة
في الصفا واللذة وليست ذات الوان كحياة الدنيا
راضية اي ذات رضى او مرضية لانها في جنة
عالية واما من خفت موازينه اي غلبت سيئاته
او لم تكن له حسنة لاتباعه الباطل وخفته عليه في
الدنيا فامه التي تؤويه وتضمه اليها كما يقال

للارض ام لانها تقصد لذلك ويسكن اليها كما يسكن
الي الام وكذا المسكن هاوية اي نار نازلة سافلة
جدا فهو بحيث لا يزال يهوي فيها نازل فهو في عيشة
ساخطة قال بن عادل حيث ذكر المعيشة اولا دليل
علي حذفها ثانيا وذكر الام ثانيا دليلا علي
حذفها اولا والهاوية اسم من اسماء جهنم وهي
المهواة لا يدرك قعرها وقال قتادة هي كلمة
عربية كان الرجل اذا وقع في امر شديد يقال
له هوت امه وقيل اراد ام راسه يعني انهم يهوون
في النار علي رؤسهم والي هذا التاويل ذهب
قتادة وابو صالح وروي عن ابي بكر انه قال
انما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة
باتباع الحق وثقله في الدنيا وحق الميزان لا يوضع
فيه الا الحسنات ان يثقل وانما خفت موازين
من خفت موازينه باتباعهم الباطل وخفته في الدنيا
وحق لميزان لا يوضع فيه الا السيئات ان يخف وما
ادراك اي واي شئ اعلمك وان اشتد تكلفك
ماهية اي الهاوية والاصل ما هي فدخلت
الها للسكت وقرا حمزة في الوصل بغيرها بعد
اليا الخفية ووقف بها والباقون باثباتها وصلا
ووقفا فان قيل قال هنا وما ادراك ماهيه قال
في اول السورة وما ادراك ما القارعة ولم يقل
وما ادراك ما الهاوية واجيب بان كونها قارعة

امر محسوس وكونها هاوية ليس كذلك فظهر الفرق
وقوله تعالي نار حامية خبر مبتدا مضمر اي هي
اي الهاوية نار شديدة الحرارة روي مسلم ان النبي
صلي الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقدون جزء
من سبعين جزءا من حر جهنم قالوا وانها لكافية
يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين
جزءا كلها مثل حرها وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة القارعة
ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة حديث موضوع

سورة التكاثر مكية

وهي ثمان ايات وثمانية وعشرون كلمة ومائة
وعشرون حرفا بسم الله ذي الجلال والاكرام الرحمن
الذي عم بالايجاد بعد الاعدام الرحيم الذي خص
اولياءه بتمام الانعام ولما ختم القارعة بالشقي
افتتح هذه بفعل الشقاوة ومبتدا الحشر لينزجر
السامع فقال تعالي الهاكم التكاثر اي شغلكم
المباهاة والمفاخرة المكاثرة بكثرة المال والعدد
عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه حتي زرتم
المقابر اي الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الي ان
متم وقبرتم منفقين اعماركم في طلب الدنيا والاشتباك
اليها والتهالك عليها الي ان اتاكم الموت لاهم لكم
غيرها عما هو اولي بكم من السعي لعاقبتكم والعمل
لاخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال الفضل

لن يخلص الهام خليل عش ذات الضماد او بزور القبر
تنبيــه حتى غاية لقوله تعالى الهاكم وهو عطف
عليه والمعنى حتى اتاكم الموت حتى الموت فصرتم
في المقابر زوارا ترجعون منها كرجوع الزائر الى
منزلة من جنة او نار فقال لمن مات قد زار قبره
فان قيل شان الزائر ان ينصرف قريبا والاموات
ملازمون للقبور فكيف يقال زار القبر وايضا
حتى زرتم اخبار عن الماضي فكيف يحمل على
المستقبل اجيب عن الاول بان سكان القبور
لا بد وان ينصرفوا عنها فان كل ات قريب وعن
الثاني لتحققه عبر عنه بالماضي كقوله اتى امر
الله وقال ابو مسلم ان الله تعالى يتكلم بهذه السورة
يوم القيامة تعبيرا للكفار وهم في ذلك الوقت
قد تقدمت منهم زيارة القبور وقال مقاتل والكلبي
نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف وبني
سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم بنوا عبد
مناف وقالت بنوا سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية
فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنوا سهم بثلثة
ابيات لانهم كانوا في الجاهلية اكثر عددا والمعنى
الهاكم التكاثر بالاحياء حتى اذا استوعبتم عددهم
ثم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن
بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وانما
حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر

الدين

الدين للتعظيم والمبالغة وقال قتادة نزلت في اليهود
قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنوا فلان اكثر من
بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وانهم
كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان
وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى الهاكم ذلك
وهو ما لا يعنيكم عن امر الدين الذي هو اهم واعني
من كل مهم من المقابر والمقابر جمع مقبرة بفتح البا
وضمها وسمي سعيد المقبري لانه كان يسكن المقابر
قال القرطبي لم يات في التنزيل ذكر المقابر الا في
هذه السورة واعترضه ابن عادل بان الله
تعالى قال في سورة اخرى ثم اماته فاقبره وهذا
ممنوع فانه قال المقابر فلفظ هذه الاية غير لفظ
تلك وزيارة القبور من اعظم الادوية للقلب
القاسي لانها تذكر الموت والاخرة وذلك يحمل
على قصر الامل والزهد في الدنيا وترك الرغبة
فيها كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
فانها تزهد في الدنيا وتذكر في الاخرة وروى ابو
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوا
رات القبور فيكره لهن لقلة صبرهن وكثرة جزعهن
نعم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم سنة
لهن ويلحق بالمصطفى بقية الانبيا والاوليا والعلما
وينبغي لمن زار القبور ان يتادب بادابها ويحضر
قلبه في اتيانها ولا يكون حظه منها الطواف عليها

فقط فان هذه حالة مشاركة فيها البهايم بل يقصد
بزيارته وجه الله تعالى واصلاح فساد قلبه ونفع
الميت بما يتلوه عنده من القران والدعاء ويتجنب
الجلوس عليها ويسلم اذا دخل المقابر فيقول السلام
عليكم دار قوم مومنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون
واذا وصل الى قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه
ايضا واتاه من قبل وجهه لانه في زيارته كمخاطبة
حيا ثم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن
الاهل والاحباب ثم يعتبر ويتامل حال من
مضى من اخوانه كيف انقطعت امالهم وجي
التراب على محاسنهم ووجوههم وافترقت
في التراب اجزاؤهم وترمل من بعدهم نساؤهم
وشمل ذل اليتيم اولادهم ولانه لابد صاير
الى مصيرهم وان حاله كحالهم ومآله كمآلهم
وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه
قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يقرا هذه الاية قال يقول ابن ادم مالي
وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت
واكلت فافنيت او لبست فابليت وعن مالك
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى
واحد يتبعه عمله وقرا الهاكم حمزة والكسائي بالامالة
محضة وقرا ورش بالفتح وبين اللفظين و

والباقون بالفتح وقوله تعالى كلا ردع وتنبيه
على انه لا ينبغي للناظر لنفسه ان تكون الدنيا
جميع همه ولا يهتم بدينه وقوله تعالى سوف تعلمون
اي انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم وقوله
تعالى ثم كلا سوف تعلمون للتاكيد وثم للدلالة
على ان الثاني ابلغ من الاول كما يقال المنصوح
اقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطا
فيما انتم عليه اذا عاينتم من قدامكم من هول
لقاء الله تعالى وان هذا التنبيه نصيحة
لكم ورحمة عليكم وعن علي كرم الله وجهه
كلا سوف تعلمون في الاخرة على هذا يكون غير
مكرر لحصول التغاير بينهما لاجل تغاير المتعلقين
وثم على بابها من المهلة وعن ابن عباس رضي
الله عنهما كلا سوف تعلمون ما ينزل بكم من
العذاب في القبر ثم كلا سوف تعلمون في الاخرة
اذا حل بكم العذاب فالتكرار للحالتين وروى
زر بن حبيش عن علي كنا نشك في عذاب
القبر حتى نزلت هذه السورة فاشار الى ان قوله
تعالى كلا سوف تعلمون في القبور وقيل سوف
تعلمون في القيامة انكم معذبون وعلى هذا
تضمنت احوال القيامة من بعث وحشر وعرض
وسؤال الى غير ذلك من احوال القيامة وقال
الضحاك كلا سوف تعلمون ايها المومنون فالاول

وعيد والثاني وعد ولما كان هذا امرا شادعا
الشارع تعالى الى انه لا يكفي لهذه الامة المرحومة
التأكيد بمرة واحدة فقال سبحانه موردا الامر
بين تأكيد الردع تأسيا لادواة الصالحة ولا
يكون بمعنى حقا كما يقوله ائمة القراءات **كلا** اي
ليرتدع ابداعكم عن التكاثر فانه اساس كل
بلاء فانكم **لو تعلمون** اي الكافرون **علم اليقين**
اي لو يقع لكم علم وحسد اليقين مرة من الدهر
لعلمتم ما بين ايديكم فلم يلهكم التكاثر ولضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات
تجارون فحذف الجواب افخم ليذهب الوهم
معه كل مذهب ولا يجوز ان يكون **لترون الجحيم**
جوابها لان هذا ثبت وجواب لو يكون
منفيا ولانه تعالى عطف عليه ثم لتسئلن وهو
مستقبل لابد من وقوعه وحذف جواب لو كثير
قال الحنفي التقدير لو تعلمون علم اليقين لالهاكم
بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح
به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما وقوله
تعالى **ثم لترونها** تكرير للتأكيد والاولى
اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها
والمراد بالاولى المعرفة والثانية الابصار **عين
اليقين** اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم
المشاهد اعلى مراتب اليقين قال الرازي واليقين

مركب الاخلاص في هذا الطريق وهو غاية درجات
العامة واول خطوة للخاصة قال صلى الله عليه وسلم
خير ما القي في القلب اليقين وعلمه قبول ما ظهر
من الحق وقبول ما غاب للحق والوقوف على ما قام
بالحق والوقوف على ما قام وعنه بعض البحث اي
لو تعلمون علم الموت اي البعث فعبر عن الموت
باليقين والعلم من اشد البواعث على العمل
وقيل لو تعلمون اليوم في الدنيا علم اليقين بما
امامكم مما وصفت لترون الجحيم بعيون قلوبكم
فان علم اليقين يريك الجحيم بعين فؤادك وقرأ
لترون ابن عامر والكسائي بضم التاء والباقون بالفتح
ثم لتسألن حذف منه نون الرفع لتوالي النونات
والواو لالتقاء الساكنين **يومئذ** اي يوم رؤيتها
عن النعيم وهو ما يلتذ به في الدنيا من الصحة
والفراغ والامن والمطعم والمشرب وغير ذلك
والمراد بذلك ما يشغله عن الطاعة للقرينة
والنصوص الكثيرة كقوله تعالى قل من حرم زينة
الله التي اخرج لعباده وقوله تعالى كلوا من
الطيبات وقال الحسن لا يسأل عن النعيم الا اهل
النار الا ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال يا رسول
الله ارأيت اكلة اكلتها معك في بيت ابراهيم
من خبز شعير ولحم وبسر وماء عذب ايكون من
النعيم الذي يسأل عنه فقال صلى الله عليه وسلم

ايمان لكم للكفار ثم قرا صلى الله عليه وسلم وهل يجازى
الا الكفور ولان ظاهر الاية يدل على ذلك لان
الكفار الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها
عن طاعة الله والاشتغال بشكره فالله تعالى
يسالهم عنها يوم القيامة حتى يظهر لهم ان الذي
ظنوه لسعادتهم كان من اعظم الاسباب لشقاوتهم
وقيل السوال عام في حق المومن والكافر لقوله
صلى الله عليه وسلم اول ما يسال العبد يوم القيامة
عن النعيم فيقال له الم نصح جسمك الم نروك
من الماء البارد وقيل الزايد على ما لا بد منه
وقيل غير ذلك قال الرازي والاولى على جميع
النعم لان الالف واللام تفيد الاستغراق وليس
صرف اللفظ الى البعض اولى من صرفه الى
الباقي فيسال عنها هل شكرها ام كفرها واذا
قيل ان السوال للكافر فقيل هو في موقف الحساب
وقيل بعد دخول النار يقال لهم انما حل بكم
لكنتم اليوم من اهل النجاة وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا الهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي
انعم به عليه في الدنيا واعطي من الاجر كانما
قرا الف اية حديث موضوع

سورة العصر مكية

وروي عن ابن عباس وقتادة انها مدنية وهي

ثلاث

ثلاث ايات واربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا
بسم الله الذي كل شيء هالك الا وجهه الرحمن الذي
عم الوجود بانعامه فليس شيء يشبهه الرحيم الذي
عز اولياءه فكانوا للدهر عزة ولاهله حجة وقوله
تعالى والعصر قسم واختلف في المراد به فقال ابن
عباس رضي الله عنهما الدهر اقسم به لان فيه
عبرة للناظر بتصرف الاحوال وتبدلها وما فيها
من الدلالة على الصانع وقيل معناه ورب العصر
ومر الكلام في امثاله وقال ابن كيسان اراد بالعصر
الليل والنهار يقال لهما العصران وقال الحسن بعد
زوال الشمس الى غروبها وقال قتادة اخر ساعة
من ساعات النهار وقال مقاتل اقسم بالصلاة
العصر وهي الصلاة الوسطى وهذا اشبه قال
صلى الله عليه وسلم من فاتته الصلاة الوسطى وهذا
اشبه فكانما وتر اهله وماله ولان التكليف في ادائها
اشق لتلهي الناس في تجاراتهم ومكاسبهم
اخر النهار واشتغالهم بمعايشهم ونقل ابن عادل
عن مالك ان من حلف ان لا يكلم الرجل عصرا لم
يكلمه سنة قال ابن العربي انما حمل مالك يمين الحالف
على السنة لانه اكثر ما قيل فيه ونقل عن الشافعي
يبر بساعة الا ان تكون له نية وجواب القسم ان الانسان
اي الجنس لفي خسر اي نقص بحسب مساعيهم في
اهوائهم وصرف اعمارهم في اغراضهم لما لهم من

بالطبع من الميل الى الحاضر والاعراض عن الغائب
واغترار بالفاني تنبيه تنكير خسر يحتمل التهويل
والتحقير فان حمل على الاول وهو الظاهر كان
معنى ان الانسان لفي خسر عظيم لا يعلم كنهه
الا الله لان الذنب يعظم اما لعظم من في حقه الذنب
او لانه وقع في مقابلة النعم العظيمة فلذلك كان
الذنب في غاية العظم وان حمل على الثاني كان
المعنى ان خسران الانسان دون خسران الشيطان
ولما كان الحكم على البعض حكما على الكل لانه ليس
لهم من ذاتهم الا ذلك وكان فيهم من خلصه
الله تعالى مما طبع عليه الانسان وحفظه عن
الميل استثناهم بقوله عز من قائل الا الذين امنوا
اي اوجدوا الايمان وهو التصديق بما علم بالضرورة
مجيء النبي صلى الله عليه وسلم به من توحيده
سبحانه والتصديق بملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر وعملوا اي تصديقا لما اقروا به من
الايمان الصالحات اي هذا البعض من اتباع الاوامر
واجتناب النواهي فاشتروا الآخرة بالدنيا
فلم يلههم التكاثر تعاليا بالحياة الابدية والسعادة
السرمدية فلم يلحقهم شيء من الخسران وقال
ابن عباس في رواية ابي صالح المراد بالانسان الكافر
وقال في رواية الضحاك يريد به جماعة من المشركين
الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والاسود

بن عبد المطلب وقيل لفي خسر غبن وقال الاخفش
لفي هلكة وقال ابن زيد لفي شر وروى ابن عون
عن ابراهيم قال ان الانسان اذا عمر في الدنيا
وهرم لفي نقص وضعف وتراجع الا المؤمنين
فانه يكتب لهم اجورهم التي كانوا يعملونها في حال
شبابهم ونظيره قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات ولما كان الانسان بعد
كماله في نفسه بالاعمال لا ينبغي عنه مطلقا
تخلو الا بتكميل غيره وحينئذ كان دأبنا كان
الانبياء عليهم الصلاة والسلام بعثوا الا لتكميل
غيره وحينئذ كان ربانيا قال تعالى تخصيصا لما دخل
في الاعمال الصالحة لتنبيها على عظمه وتواصوا
اي اوصى بعضهم بعضا بلسان الحال ولسان
المقال بالحق اي الامر الثابت وهو كل ما حكم
الشرع بصحته ولا يسوغ انكاره وهو الخير كله من
توحيد الله تعالى وطاعته واتباع كتبه ورسله
والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وتواصوا
اي بعضهم بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى
ما يبتلي الله به من عباده من الامراض وغيرها
ويروى عن ابي ابن كعب انه قال قرأت على النبي
صلى الله عليه وسلم والعصر ثم قلت ما تفسيرها
يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم والعصر

قسم من الله اقسم ربكم باخر النهار ان الانسان
لفي خسر ابو جهل الا الذين امنوا ابو بكر وعملوا الصالحات
عمر وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا بالصبر علي
وهكذا خطب النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس
رضي الله عنهما على المنبر موقوفا عليه وقال قتادة
بالحق اي القران وقال السدي الحق هنا الله عز وجل
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة والعصر غفر الله له وكان
ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر حديث موضوع

سورة الهمزة مكية

وهي تسع ايات وثلاث وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا
بسم الله الحكم العدل الرحمن الذي عم جوده اهل
التحمل واولي العدل الرحيم الذي خص اولياءه بزيادة
الفضل وقوله تعالى ويل فيه قولان احدهما انه
كلمة عذاب والثاني انه واد في جهنم لكل همزة
لمزة قال ابن عباس هم المشاؤون بالنميمة المفرقون
بين الاحبة الباغون للبرآء العيب فعلى هذا هما
بمعنى وقال صلى الله عليه وسلم شر عباد الله
المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون
للبرآء العيب وقال مقاتل الهمزة الذي يعيبك
في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه
وقال ابو العالية والحسن الهمزة الذي يغتابه
ويطعن في وجه الرجل واللمزة الذي يغتابه من

خلفه

خلفه وهذا اختيار النحاس ومنه قوله تعالى ومنهم
من يلمزك في الصدقات وقال سعيد بن جبير
الهمزة الذي ياكل لحوم الناس ويغتابهم واللمزة
الطعان عليهم وقال ابن زيد الهمزة الذي يهمز
الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم
بلسانه ويعيبهم وقال سفيان الثوري يهمز بلسانه
ويلمز بعينه وقال ابن كيسان الهمزة الذي يوذي
جلساءه بسوء اللفظ واللمزة الذي يكسر عينه
ويشير براسه ويرمز بحاجبه وحاصل هذه
الاقوال يرجع الى اصل واحد وهو الطعن
واظهار العيب ويدخل في ذلك من يحاكي الناس
باقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا منه
واصل الهمز الكسر واللمز الطعن ثم خص بالكسر
من اعراض الناس والطعن فيهم حتى صار ذلك
عادة له وضري به واختلفوا فيمن نزلت هذه
الاية فقال الكلبي نزلت في الاخنس ابن شريق
الثقفي كان يقع في الناس ويغتابهم وقال
محمد بن اسحاق ما زلنا نسمع سورة الهمزة نزلت
في امية بن خلف الجمحي وقال مقاتل نزلت في
الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه
وسلم من ورائه ويطعن عليه في وجهه وقال
مجاهد هي عامة في حق من هذه صفته وقوله
تعالى الذي جمع مالا بدل من كل او ذم منصوب او

مرفوع وقرأ حمزة والكسائي بتشديد الميم على المبالغة
والتكثير ولانه موافق قوله تعالى وعدده والباقون
بتخفيفها وهي محتملة للتكثير وعدمه ومعنى عدده
احصاه وجعله عدة لحوادث الدهر وقال
الضحاك اعد ماله لمن يرثه من اولاده وقيل فاخر
بعدده وكثرته والمقصود الذم على امساك المال
على سبيل الطاعة كقوله تعالى مناع للخير وقوله
تعالى جمع فاوعى يحسب اي يظن لجهله ان ماله
اخلده اي اوصله الى رتبة الخلد في الدنيا
فصيرها لذاته لا يموت او يعمل من تشييد البنا
الموثق بالصخر والاجر وغرس الاشجار وعمارة
الارض عمل من ان ماله ابقاه حيا وهو تعريض
بالعمل الصالح وانه هو الذي اخلد صاحبه في
النعيم فاما المال فما اخلد احدا فيه وروي انه
كان للاخنس اربعة الاف دينار وقيل عشرة
الاف دينار وعن الحسن انه عاد موسرا فقال ما تقول
في الوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت بها على
كريم قال لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان
ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذن تدعه
لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك وقرأ ابن عامر
وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها وقوله
تعالى كلا ردع عن حسبانه وقيل معناه حقا وقوله
تعالى لينبذن اي جواب قسم محذوف اي ليطرحن

بعد

بعد موته في الحطمة اي الطبقة من جهنم التي من شانها
ان تحطم اي تكسر كل ما يطرح فيها ويكون
اخر لكاسرين ويقال للرجل الاكول انه لحطمة
وما ادراك اي اعلمك ولو بمحاولة منك للعلم واجتهاد
في التعرف مع كونك اعلم الخلق ما الحطمة اي المدركة
النارية التي سميت هذا الاسم بهذا الخاصة وانه
ليس في الوجود الذي تشاهدونه ما يقاربها لتكون
مثلا لها ثم فسرها بقوله تعالى نار الله اي الملك
الاعظم الذي له الملك كله الموقدة اي التي وجد
وختم ايقادها ومن الذي يطيق محاولة ما
اوقد فهي لا يزال لها هذا الاسم ثابتا وروى ابو
هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد
عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف
سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة التي
تطلع اي اطلاعا شديدا على الافئدة جمع فؤاد
وهو القلب الذي يكاد يحترق من شدة ذكائه
فكان لا ينبغي ان يجعل ذكاه في اسباب الخلوص
واطلاعها عليه بان تعلوا وسطه وتشتمل عليه اشتمالا
بليغا سمي بذلك لشدة توقده وخص الفؤاد لانه
الطف ما في البدن واشد تالما بادنى شيء من
الاذى ولانه منشأ العقائد الفاسدة ومعدن
حب المال الذي هو منشأ الفساد والضلال

وعنه تصدر الى فعال القبيحة وقيل معنى تطلع على
الافئدة اي تعلم ما يستحقه كل واحد منهم من
العذاب بقاله اطلع على كذا اي اعلمه ثم اشار الى خلودهم
فيها بقوله تعالى موكدا لانهم يكذبون بها انها عليهم
موصدة اي قال لحسن مطبقة اي بغاية الضيق وقال
مجاهد مغلقة بلغة قريش يقول اصدت الباب
اي اغلقته ومنه قول عبد الله بن قيس ٭ ٭
ان في القصر لو دخلنا غزالا مصفقا موصدا عليه الحجاب
ثم بين حال عذابهم بقوله تعالى في اي في حال
كونهم موثقين في عمد قرا حمزة والكسائي وشعبة بضم
العين والميم جمع عمود نحو رسول ورسل وقيل
جمع عماد وكتاب والباقون بفتحها قيل هو اسم
جمع لعمود وقيل بل هو جمع له قال الفرا كاديم وادم
وقال ابو عبيدة هو جمع عماد ممددة اي معترضة
كانها موضوعة على الارض فهي في غاية المكنة
فلا يستطيع الموثوق بها على نوع في امرها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها مثل نكتة
باطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار
فتطبق عليهم تلك الاطباق وتشد بتلك المسامير
وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل
منه روح ولا يخرج منه غم فتكون كلهم فيها
زفير وشهيق وقال قتادة عمد يعذبون بها
واختاره الطبري وقال ابن عباس رضي الله

عنهما

عنهما ان العمد الممددة الاغلال في اعناقهم وقال
ابو صالح قيود في ارجلهم وقال القشيري العمد اوتاد
الاطباق وقيل المعنى في دهر ممدودة لا انقطاع
لها واما قول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الهمزة اعطاه
الله حسنات بعدد من استهزا بمحمد صلى الله عليه
وسلم واصحابه حديث موضوع ٭ ٭

٭ سورة الفيل مكية ٭

وهي خمس ايات وعشرون كلمة وستة وتسعون
حرفا بسم الله الذي قدرته محيطة بكل شيء عاملة الرحمن
الذي له النعمة الشاملة الرحيم الذي خص اهل
الاصطفا بالنعمة الكاملة وقوله تعالى الم تر استفهام
تعجب اي اعجب فعل ربك كيف اي المحسن اليك
باصحاب الفيل فهو خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد
اثارها وسمع بالتواتر اخبارها كانه راها واعا
قال تعالى كيف دون ما لان المراد بذكر ما فيها
من وجود الدلالة على كمال علم الله وقدرته
وعزة نبيه وشرفه صلى الله عليه وسلم وكانت
قصة الفيل ما روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم
ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنا كنيسة
بصنعا وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج
وكتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعا كنيسة

فعل ربك

لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى اصرف اليها
حج العرب فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كنانة
فخرج اليها فدخلها ليلا فقعد فيها ولطخ بالعذرة
قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترا علي
فقيل صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت
اسمع الذي قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن
الى الكعبة حتى يهدمها فكتب النجاشي يخبره بذلك
وساله ان يبعث اليه الفيلة وكان له فيل يقال
له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة
فبعث به اليه فخرج ابرهة في الحبشة سيرا الى مكة
وخرج معه بالفيل واثني عشر فيلا غيره وقيل
ثمانية عشر وقيل كان معه الف فيل وقيل كان
واحدا فسمعت العرب بذلك فاعظموه وراوا جهاده
حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له
ذو نفر بمن اطاعه من قومه فقاتله فهزمه
ابرهة واخذ ذو نفر فقال ايها الملك استبقني
فان استبقائي خير لك من قتلي فاستحياه واوثقه
وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنى
بلاد خثعم خرج له نفيل بن حبيب الخثعمي
في خثعم ومن اجتمع اليه من قبايل اليمن فقاتلوه
فهزمهم واخذ النفيل ايها الملك دليل بارض العرب
وهاتان يداي عليك توثيقي بالسمع والطاعة
فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطايف

خرج

٥٠٤

خرج له مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقال
ايها الملك نحن عبيدك ليس عندنا لك خلاف
انما تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك
عليه فبعثوا بابي رغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان
بالمغمس مات ابو رغال وهو الذي يرجم قبره وبعث
ابرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود
بن مسعود على مقدمة خيله وامره بالغارة على
نعم الناس فجمع الاسود اليه اموال الحرم واصاب
لعبد المطلب مائتي بعير ثم ان ابرهة
بعث حناطة الحميري الى اهل مكة فقال سل
عن شريفها ثم بلغه ما ارسلك اليه اخبره اني
لم ات لقتال وانما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق
حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال
ان الملك ارسلني اليك لاخبرك انه لم يات لقتال
وانما جيت لاهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم
فقال عبد المطلب ما لنا عندنا قتال ولا لنا به يدا
سنخلي بينه وبين ما جاء اليه فان هذا البيت
الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام
فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين
ذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معي الى
الملك قال بعض العلما انه اردفه على بغلة كان
عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر
وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال له

حجل عاله من الاحسان الى العرب لا سيما قريش كيدهم
اى هدم الكعبة في تضليل اى خسارة وهلاك وارسل
عليهم اى خاصة من بينه من هناك من كفار العرب
طيرا اى طيورا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا
ابابيل اى جماعات كثيرة متفرقة يتبع بعضها
بعضا من نواحى شتى فوجا فوجا وزمرة زمرة لكل
فرقة منها طاير يقودها احمر المنقار اسود الراس
طويل العنق وقيل اماطيل كالابل المؤبلة قالت
الفرا لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة
وقال الكسائى كنت اسمع النحويين يقولون
واحدها ابول كعجول وعجاجيل وقال ابن عباس
رضى الله عنهما كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم
الطير واكف كاكف الكلاب وقال عكرمة لها رؤس
كرؤس السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر
لها مناقير صفر وقال قتادة طير سود ترميهم اى
الطير بحجارة اى عظيمة في الكثرة والفعل صغيرة
في المقدار والحجم مع كل طاير حجر في منقاره وحجران
في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة
وعن ابن عباس انه راى منها عند ام هانى نحو
قفيز مخططة بالحمرة كالجزع الظفارى فكان الحجر
يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر
اسم من يقع عليه فنفروا فهلكوا في كل طريق ومنهل
واما ابرهة فتساقطت انامله كلما سقطت

انملة خرج منها مدة وقيح ودم فانتهى الى صنعا وهو مثل
فرخ الطير وما مات حتى انصدع صدره من قلبه وانفلت
وزيره ابو يكسوم وطاير يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى
وقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا
بين يديه لان تلك الحجارة كانت من سجيل اى طين
متحجر مصنوع للعذاب في موضع هو في غاية العلو
ولما تسبب عن هذا الرمى هلاكهم وكان ذلك بفعل
الله تعالى لانه الذى خلق الاثر قطعا لان مثله
لا ينشا عنه ما نشا من اهلاكهم قال الله تعالى فجعلهم اى
ربك المحسن اليك باحسانه الى قومك لاجلك
بذلك كعصف ماكول اى كورق زرع اكلته فراشه
فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم بتفرق
اجزا الروث قال مجاهد والعصف ورق الحنطة
وقال قتادة هو التبن وقال عكرمة كالحب اذا اكل فصار
اجوف لان الحجر كان ياتى في الراس فيحرق بما له من
الحرارة وشدة الوقع كلما مر به حتى يخرج من الدبر
وصار موضع تجويفه اسود لما له من النارية
وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو القشر الخارج
الذى يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له
وروى ان الحجر كان يقع على احدهم فيخرج كل ما في جوفه
فيبقى كقشر الحنطة اذا اخرجت منه الحبة وعن عكرمة
من اصابه جدرة وهو اول جدرى ظهر وعن ابى
سعيد الخدرى رضى الله عنه انه سئل عن الطير

فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم واختلف
في تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبي صلى
الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة
والاكثرون على انه كان في العام الذي ولد فيه
النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها
قالت رايت سائس الفيل وقائده اعميين مقعدين
يستطعمان الناس وقال عبد الملك بن مروان لعتاب بن
اسيد انت اكبر ام النبي صلى الله عليه وسلم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اكبر مني وانا اسن منه ولد
صلى الله عليه وسلم عام الفيل وانا ادركت سائسه
وقائده اعميين مقعدين يستطعمان الناس بل قيل
لم يكن بمكة احد الا راى قائد الفيل وسائسه اعميين
يتكففان الناس لان عائشة مع صغر سنها راتهما
وقال ابن اسحاق لما رد الله تعالى الحبشة عن مكة
المشرفة عظمت العرب قريشا وقالوا اهل الله قاتل
عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فكان ذلك نعمة من
الله عليهم وقال بعض العلماء كانت قصة الفيل
ما تقدم من معجزاته صلى الله عليه وسلم وان كانت
قبله لانها تاكيدا لامره وتمهيدا لشانه وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الفيل عفاه الله تعالى ايام حياته
من الخسف والمسخ حديث موضوع

سورة قريش مكية

في

في قول الجمهور ومدنية في قول الضحاك والكلبي
وهي اربع ايات وسبع عشرة كلمة وثلثمائة وسبعون
حرفا بسم الله الذي له جميع الكمال الرحمن ذي النعم
والافضال الرحيم الذي خص اولياءه بالقرب والوصول
وقوله تعالى لايلاف قريش في متعلقه اوجه
احدها انه ما في السورة قبلها من قوله تعالى فجعلهم
كعصف ماكول قاله الزمخشري وهذا بمنزلة التضمين
في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله
تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة
بلا فصل وعن عمر رضي الله عنه انه قراهما في
الثانية من صلاة المغرب وقرا في الاولى والتين
انتهى والى هذا ذهب الاخفش وقال الزمخشري
المشهور انهما سورتان ولا يلزم من التعلق الاتحاد
لان القران كسورة واحدة ثانيها انه مضمر تقديره
فعلنا ذلك وهو ايقاعهم الايلاف وهو العزم لايلافهم
الذي نشا عنه طمانينتهم وهيبة الناس لهم
وقيل تقديره اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتا
والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثالثها انه
متعلق بقوله تعالى فليعبدوا امرهم ان يعبدوا
لاجل ايلافهم الرحلتين لانه اظهر نعمه عليهم
وهذا هو الذي صدر به الزمخشري كلامه وفي هذا اشارة
الى تمام قدرته سبحانه وانه اذا اراد شيئا يسر سببه
لان التدبير كله له يخفض من يشا وان عزوا يرفع

من بنيا وان ذلك قريش هم ولد النضر بن كنانة
قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني كنانة واخرج الحاكم وصححه البيهقي عن ام
هاني بنت ابي طالب رضي الله عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال فضل الله قريشا بسبع
خلال اني منهم وان النبوة فيهم وان الله نصرهم
على الفيل وانهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبده
غيرهم وان الله انزل فيهم سورة من القرآن وسموا
قريشا من التقرش وهو التكسب والجمع يقال
فلان يقرش لعياله ويقترش اي يكتسب وهم
كانوا تجارا حراصا على جمع المال وقال ابو ريحانة سال
معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشا
قال لدابة تكون في البحر من اعظم دوابه تسمى القرش
ولا تطاق الا بالنار يقال لها القرش لا تمر بشيء
من الغث والسمين الا اكلته وهي تاكل ولا تؤكل
وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في اشعا
رها قال نعم انشد الجمحي ٭

وقريش هي التي تسكن البحر ٭ بها سميت قريش قريشا
تاكل الغث والسمين ولا تترك ٭ فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب حي قريش ٭ ياكلون البلاد اكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبي ٭ يكثر القتل فيهم والخموشا

وقيل هو من تقرش الرجل اذا تنزه عن مدانس
الامور ومن تقارش الرماح في الحرب اذا دخل
بعضها

بعضها في بعض وقوله تعالى **ايلافهم** بدل من الايلاف
الاول وقرا ابن عامر لالاف بلا ياء بعد الهمزة والباقون
ليلاف بيا قبلها واجمع الكل على اثبات اليا في الثاني
وهو ايلافهم باليا بعد الهمزة قال ابن عادل ومن
عجيب ما اتفق في هذين الحرفين ان القرا اختلفوا
في سقوط اليا وثبوتها في الاول مع اتفاق المصا
حف على اثباتها خطا واتفقوا على اثبات اليا في
الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها فيه خطا وهذا
دليل على ان القرا متبعون الاثر والرواية
لا مجرد الخط وقوله تعالى **رحلة الشتاء** منصوب بايلافهم
مفعول به كما نصب يتيما باطعام وهي التي يرحلونها
في زمنه الى اليمن لانها بلاد حارة ينالون منها
متاجر الجنوب **والصيف** التي يرحلونها الى الشام
في زمنه لانها بلاد باردة ينالون منها منافع الشمال
وهم امنون من سائر العرب لاجل عزهم بالحرم
المعظم بيت الله والناس يتخطفون من حولهم
ولا يجترئ احد عليهم والايلاف من قولك الفت
المكان والفته ايلافا والفته فانا مولف والاصل
رحلتي الشتاء والصيف ولكنه افرد ليشمل كل رحلة
كما هو شان المصادر واما الاجناس وفيه اشارة
الى انهم يتمكنون من الرحلة الى اي بلد ارادوا ويحولوا
لا من لهم قال مالك الشتاء نصف السنة والصيف
نصفها وقال قوم الزمان اربعة اقسام شتاء وربيع وصيف

وخريف وقيل شتا وصيف وقيظ وخريف قال
القرطبي والذي قاله مالك اصح لان الله تعالي قسم
الزمان قسمين ولم يجعل لهما ثالثا وروي عكرمة
عن ابن عباس انهم كانوا يشتون بمكة ويصيفون
بالطايف وقال اخرون كانت لهم رحلتان في كل عام
للتجارة احداهما في الشتا الي اليمن لانها ادفي
والاخري في الصيف الي الشام وكان الحرم واد
جدب لا زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش
بتجارتهم ورحلتهم ولولا الرحلتان لم تكن لهم
مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا علي
التصرف واول من سن لهم الرحلة هاشم بن
عبد مناف وكانوا يقسمون ربحهم بين الغني والفقير
حتي كان فقيرهم كغنيهم وفي ذلك يقول الشاعر
قل للذي طلب السماحة والندا ٭ هلا مررت بال عبد مناف
هلا مررت بهم تريد قراهم ٭ منعوك من ضر ومن اتلاف
الرايشين وليس يوجد رايش ٭ والقايلين هلم للاضياف
والخالطين فقيرهم بغنيهم ٭ حتي يكون فقيرهم كالكافي
والقايلين بكل وعد صادق ٭ والراحلين برحلة الايلاف
عمرو العلا هشم الثريد لقومه ٭ ورجال مكة مسنتون عجاف
سفرين سنهما له ولقومه ٭ سفر الشتا ورحلة الاصياف
وتبع هاشما علي ذلك اخوته فكان هاشم يولف
الي الشام وعبد شمس الي الحبشة والمطلب الي
اليمن ونوفل الي فارس وكان تجار قريش يختلفون

يختلفون

يختلفون الي هذه الامصار بجاه هذه الاخوة اي بعهودهم
الذي اخذوها بالامان لهم من ملك كل ناحية
من هذه النواحي ولما كان هذا التدبير لهم من الله
كافيا لهمومهم الظاهرة بالغني والباطنة بالامن
وكان شكر المنعم واجبا قوله تعالي فليعبدوا اي
قريش علي سبيل الوجوب شكرا علي هذه النعمة
خاصة ان لم يشكروه علي جميع نعمه التي لا تحصي
لانهم يدعون انهم اشكر الناس للاحسان وابعدهم
عن الكفران رب هذا البيت اي الموحد له والمحسن
الي اهله بحفظه من كل طاغ وباذلاله للجبابرة
لتكميل احسانه اليهم وعطفه عليهم باكمال العزازة
لهم في الدنيا والاخرة والمراد به الكعبة عبر عنها بالاشارة
لتعظيم شانها ثم وصف نفسه الاقدس بما هو
ثمرة الرحلتين ومظهر لزيادة شرف البيت بقوله
تعالي الذي اطعمهم اي قريشا بحمل الميرة اليهم بمكة
بالرحلتين اطعاما مبتدا من جوع اي عظيم فيه
غيرهم من العرب او كانوا هم فيه قبل ذلك لان
بلدهم ليس بذي زرع فهو عرض للفقرا الذي
نشا عنه الجوع فكفاهم ذلك وحده ولم يشركه
احد في كفايتهم فليس من الشكر اشراكهم معه
في عبادته ولا من البر بابيهم ابراهيم عليه السلام
الذي دعا لهم بالرزق بقوله تعالي وارزقهم من
الثمرات ونهي عن عبادة الاصنام ولم يقل اشبعهم

لانه ليس كلهم كان يشبع ولان من كان يشبع منهم
طالبا لاكثر مما هو عنده ولا يملا جوف ابن ادم
الا التراب وامنهم اي خصصا لهم من خوف اي
شديد جدا من اصحاب الفيل الذين ارادوا خراب
البيت الذي به نظامهم وما ينال من حولهم
من التخطف بالقتل والنهب والغارات ومن
الامن من الجذام بدعوة ابيهم ابراهيم عليه السلام
ومن الطاعون والدجال ببركة النبي صلى
الله عليه وسلم وعن ابن زيد كانت العرب يغير
بعضها على بعض ويسبي بعضهم بعضا فامنت
قريش ذلك بمكان الحرم وقيل شق عليهم السفر
في الشتا والصيف فالقى الله تعالى في قلوب
الحبشة ان يحملوا اليهم طعاما في السفن فحملوا
فخافت قريش منهم وظنوا انهم قدموا لحربهم
متحرزين فاذا هم قد حملوا اليهم الطعام واعانوهم
بالاقوات فكان اهل مكة يخرجون الى جدة بالابل
والحمر فيشترون الطعام على مسيرة ليلتين وقيل
ان قريشا لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم
دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني
يوسف عليه السلام فاشتد القحط فقالوا يا محمد
ادع الله لنا فانا مومنون فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخصبت تبالة وجرش من بلاد
اليمن فحملوا الطعام الى مكة واخصب اهلها وقال

الضحاك

الضحاك والربيع في قوله تعالى وامنهم من خوف
ان تكون الخلافة في غيرهم انتهى لكن ان ثبت
ذلك عن علي كرم الله وجهه فليس كما قال وقيل
كفاهم اخذ الايلاف من الملوك وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة لايلاف قريش اعطاه الله عشر حسنات
بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها حديث موضوع

سورة الدين وتسمى الماعون مكية

في قول عطا وجابر واحد قولي ابن عباس ومدنية
في قوله الاخر وهو قول قتادة وغيرهم وهي
سبع ايات وخمس وعشرون كلمة ومائة وثلاثة
وعشرون حرفا بسم الله الذي حقق له كل كمال
الرحمن الذي عم جميع عباده بالنوال الرحيم الذي
خص اولياءه بالاتصال وقوله تعالى ارايت
استفهام معناه التعجب وقرا نافع بتسهيل الهمزة
بعد الراء ولورش ايضا ابدالها الفا واسقطها
الكسائي قال الزمخشري وليس بالاختيار لان
حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب
ريت ولكن الذي سهل من امرها وقوع حرف
الاستفهام ونحوه شعر
صاح هل ريت او سمعت براع رد في الضرع ما قرى
في الحلاب
وختمها بالياقوت والمعنى ارايت الذي يكذب
اي اوقع التكذيب لمن يخبره كاينا من كان

ه بتقدير هو بعد الفا اي البغيض البعيد المبعد عن
كل بالدين اي الجزا والحساب اي هل عرفته ان لم تعرفه
فذلك اي بتقدير هو بعد الفا اي البغيض البعيد
المبعد عن كل خير الذي يدع اي يدفع دفعا عظيما
نهاية القسوة اليتيم ولا يحث على اكرامه لان الله
تعالى نزع الرحمة من قلبه ولا ينزعها الا من شقي
لانه لا حامل عليه الا الاحسان اليه الا الخوف من الله
تعالى فكان التكذيب جزا اي سببا للغلظة عليه
وقال قتادة يقهره ويظلمه فانهم كانوا لا يورثون
النسا ولا الصغار ويقولون انما يحوز المال من يطعن
بالسنان ويضرب بالحسام وقال صلى الله عليه وسلم
من ضم يتيما من المسلمين حتى يستغني فقد وجبت
له الجنة واختلف فيمن نزل فيه فقال مقاتل في
العاصي بن وايل السهمي وقال السدي في الوليد
بن المغيرة وقال الضحاك في عمرو بن عايذ المخزومي
وقال عطا عن ابن عباس في رجل من المنافقين
وقال في ابي جهل ولا يحض اي يحث نفسه ولا غيره
على طعام المسكين اي بذله له واطعامه اياه بل يمنعه
ولا يكرمه ولا يرحمه وقد تضمن هذا ان علة
التكذيب بالبعث ايذا الضعيف والتهاون بالمعروف
ولما كان هذا حاله مع الخلائق قال تعالى فويل
عذاب او واد في جهنم للمصلين الذين هم اي
بظاهرهم وخالص اسرارهم عن صلاتهم التي

هي

هي جديرة لان تضاف اليهم لوجوبها عليهم وايجابها
لاجل مصالحهم ومنافعهم بالتزكية وغيرها ساهون
اي عريقون في الغفلة عنها وتضييعها وعدم المبالاة
بها وقلة الالتفات اليها وروى البغوي بسنده ان
النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الاية فقال هو
اضاعة الوقت وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال هم المنافقون مع الناس لقوله تعالى الذين
هم اي بجملة اسرارهم يراءون اي بصلاتهم وغيرها
الناس لانهم يفعلون الخير ليراهم الناس لا لرجا ل
الثواب وقال ابراهيم هو الذي يلتفت في صلاته
وقال قطرب هو الذي لا يقرا ولا يذكر الله تعالى
وقال ابن عباس رضي الله عنهما لو قال في
صلاتهم ساهون لكانت في المؤمنين وقال
عطا الحمد لله الذي قال تعالى عن صلاتهم ساهون
ولم يقل في صلاتهم فدل على ان الاية في المنافقين
وقال قتادة ساه عنها لا يبالي صلى ام لم يصل
وقال مجاهد غافلون عنها متهاونون بها وقال
الحسن هو الذي ان صلاها صلاها رياء وان
فاتته لم يندم وقيل هم الذين اذا صلوها صلوها
يسهون عنها قلة مبالاة بها حتى تفوتهم او يخرج
وقتها او لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله
عليه وسلم والسلف ولكن ينقرها نقرا من غير خشوع

لا اخبات لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب
وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد منهم
انصرف ولا ما قرأ من السورة وكما ترى صلاة
اكثر من الذين عادتهم الرياء باعمالهم ومنع حقوق
اموالهم والمعنى ان هؤلاء احق بان يكون سهوهم
عن الصلاة التي هي عماد الدين والفارق بين الايمان
والكفر والرياء الذي هو شعبة الشرك ومنع الزكاة
التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الاسلام علما
على انهم مكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين
بالاسلام بل بالعلم بل هو منهم على هذه الصفة
فيا مصيبتاه فان قيل كيف جعل المصلين قائما مقام
الضمير الذي يكذب وهو واحد اجيب بان معناه
الجمع لان المراد به الجنس فان قيل اي فرق بين قوله
تعالى عن صلاتهم وقوله تعالى في صلاتهم اجيب
بان معنى عن انهم ساهون عنها تركا وقلة
التفات اليها وذلك فعل المنافقين والفسقة
الشطار من المسلمين ومعنى في ان السهو يعتريهم
فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك
لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره
ومن ثم اثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم
وعن انس الحمد لله على ان لم يقل في صلاتهم

وقد

وقد مرت الاشارة الى تحقيق ذلك فان قيل ما معنى
المراءاة اجيب بانها مفاعلة من الاراءة لان المرائي
يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب
به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح
ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها
لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله
لانها اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها
يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار
وان كانت تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام
بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتداء
به كان جميلا وانما الرياء ان يقصد بالاظهار ان
تراه الاعين فتثني عليه بالصلاح وعن بعضهم
انه رأى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر
واطالها فقال ما احسن هذا لو كان في بيتك وانما
قال صلى الله عليه وسلم الرياء اخفى من دبيب النملة
السوداء في الليلة المظلمة على المسح الاسود ثم
بين الذي هو بهذه الصفة يغلب عليه الشح
بقوله تعالى ويمنعون اي على حدود الله وقال
الماعون اي حقوق الاموال والشيء اليسير من
المنافع وقال عبد الله بن مسعود الماعون الفأس
والدلو والقدر وهي رواية عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس وقال مجاهد الماعون اعلاها الزكاة
المفروضة وادناها عارية المتاع وعن علي رضي

الله تعالى عنهما انها الزكاة وقال مجاهد ابن كعب
والكلبي الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس
فيما بينهم وقال قطرب اصل الماعون من القلة
تقول العرب ماله سعنة ولا معنة اي شي قليل
فسمي الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه
قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه
من الماء والملح والنار وقول البيضاوي تبعا
للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة ارايت غفر له ان كان للزكاة مؤديا
حديث موضوع

سورة الكوثر مكية

في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل ومدنية في قول
الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وهي ثلث
ايات وعشر كلمات واثنان واربعون حرفا بسم
الله الذي لا حد لما يعطي فضله الرحمن الذي يخص
الرحيم اي الذي خص حزبه بالاعتصام بحبله
وقوله انا اي بما لنا من العظمة اعطيناك اي خولناك
مع التمكين العظيم باشرف الخلق الكوثر اي نهرا
في الجنة هو حوضه صلى الله عليه وسلم
ترد عليه امته لما روي عن انس رضي الله عنه
انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع
راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال

انزل علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك الكوثر الى اخرها ثم قال اتدرون
ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه
ربي خير كثير هو حوض ترد عليه امتي يوم
القيامة انيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم
فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما
احدث بعدك وعن ابن عمر رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر
نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر
والياقوت تربته اطيب من المسك وماؤه احلى
من العسل وابيض من الثلج وعن انس بن مالك
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت
الجنة فاذا انا بنهر يجري بياضه بياض اللبن
واحلى من العسل وحافتاه خيام الدر فضربته
بيدي فاذا اكثره مسك اذفر فقلت لجبريل ما هذا
قال الكوثر اعطاكه الله تعالى وعن عبد الله
بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال رسول
الله حوضي مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن
وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء
من شرب منها لا يظما ابدا وعن ابن مسعود رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا فرطكم على الحوض وليرفعن الي رجال منكم حتى
اذا هويت اليهم لاناولهم اختلجوا دوني فاقول

اي رب اصحابي فقال انك لا تدري ما احدثوا
بعدك وعن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سئل عن عرضه فقال من مقامي الى عمان
وسئل عن شرابه فقال اشد بياضا من اللبن
واحلى من العسل فيه ميزابان يمدانه من الجنة
احدهما من ذهب والاخر من ورق وعن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يرد علي يوم القيامة رهط من
اصحابي او قال من امتي فيحلون عن الحوض
فاقول اي رب اصحابي فيقول انه لا علم لك
بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم
القهقرى ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يرد علي امتي الحوض وانا اذود الناس
عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا يا نبي
الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم
تردون علي غرا محجلين من اثار الوضوء وليصدن
عني طائفة منكم فلا يصلون فاقول يا رب هؤلاء
من اصحابي فيجيبني فيقول وهل تدري ما احدثوا
بعدك واحاديث الحوض كثيرة وفيما ذكرناه كفاية
لاولي الالباب نسال الله تعالى ان يوردنا منه
نحن واحبابنا ويدخلنا واياهم الجنة بغير حساب
قال القاضي عياض احاديث الحوض صحيحة
والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وقال

ابن

ابن عادل وهو على ظاهره عند اهل السنة والجماعة
لا يتاول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل
رواه خلائق من الصحابة انتهى وقيل الكوثر
القران العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة
وقيل هو كثرة اتباعه وقيل الكوثر هو الخير الكثير
قال ابو بشر قلت لسعيد ابن جبير ان ناسا يزعمون
انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة
من الخير الكثير الذي اعطاه الله تعالى اياه واصل
الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شي
كثير في العدد او كثير القدر والخطر كوثرا قيل لا
عرابية اب ابنك قالت اب بكوثر وقال الشاعر
كوثرا وانت كثير يا ابن مروان طيب وكان ابوك ابن العقايل
وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التي فضله بها على
جميع الخلق تنبيه لا منافاة بين هذه الاقوال
كلها فقد اعطيها النبي صلى الله عليه وسلم اعطي
صلى الله عليه وسلم النبوة والحكمة والعلم والشفاعة
والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع
واظهاره الاديان كلها والنصر على الاعدا
وكثرة الفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيامة
وادنى الاقاويل في الكوثر وهو الذي عليه جمهور
العلما انه نهر في الجنة وما اكمل الله سبحانه من النعم
ما لا يأتي عليه حصر مما لا تناسب الفنا ونعيم
الدنيا فجملتها فسبب عنه قوله عليه انما هو جامع

لجامع الشكر فصل اي فقطع العلايق عن الخلايق
بالوقوف بين يدي الله في حضرة المراقبة شكرا لجسام
النعم خلافا للساهي عنها والمرائي فيها لربك اي
المحسن اليك بانواع النعم من اعماض شي فله
سبيل لاحد عليك وانحر اي انفق له الكثير من المال
نفقات القرب خلافا لمن يدعهم ويمنعهم الماعون
والنحر فضل نفقات القرب لان الجزور الواحد
يغني مائة مسكين وان اطلق القرب المال انصرفه
الى الابل وقال محمد بن كعب ان ناسا كانوا يصلون
لغير الله تعالى وينحرون لغير الله فامر الله تعالى
نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يصلي وينحر
لله عز وجل وقال عكرمة وعطاء وقتادة فصل
لربك بصلاة العيد يوم النحر وانحر فصل الصلاة
المفروضة بجمع اي مزدلفة وانحر البدن بمنى
وعن ابن عباس وضع اليمين على الشمال في
الصلاة عند النحر وعن علي رضي الله عنه
ان معناه ان يرفع يديه في التكبير الى النحر وقال
الكلبي استقبل القبلة بنحرك وعن عطا امره
ان يستوي بين السجدتين جالسا حتى يبدو نحره
ان شانئك اي مبغضك والشاني المبغض يقال
شناه يشنوه اي ابغضه هو الابتر اي المنقطع عن
كل خير واما انت فهذا عطيتك ما لا غاية لكثرته
من خير الدارين الذي لم يعطه احد غيرك

فعطي

فعطي ذلك كله هو الله رب العالمين فاجتمعت لك
العطيات السنيات اصابة اشرف عطا واوفره
من اكرم معط واعظم منعم او المنقطع العقب لان
لان كل من يولد الى يوم القيامة من المؤمنين فهو
اعقابك واولادك وذكرك مرفوع على المنابر
والمنابر بلسان وعلى كل عالم وذاكر الى اخر الدهر
يبدا بذكر الله ويثني بذكرك ولك في الاخرة ما لا
يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له ابتر انما
الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا والاخرة
وقال الرازي هذه السورة كالمقابلة للتي قبلها
فانه ذكر في الاولى البخل وترك الصلاة والريا
ومنع الماعون وذكر ههنا في مقابلة البخل
انا اعطيناك الكوثر وفي مقابلة الصلاة فصل
اي دم على الصلاة وفي مقابلة الريا لربك اي لرضاه
خالصا وفي مقابلة منع الماعون وانحر اي تصدق
بلحم الاضاحي ثم ختم السورة بقوله تعالى ان شانئك
هو الابتر اي ان المنافق الذي ياتي بتلك الافعال
القبيحة سيموت ولا يبقى له اثر واما انت فيبقى
لك في الدنيا الذكر الجميل وفي الاخرة الثواب
الجزيل واختلف المفسرون في الشاني فقيل
هو العاصي بن وائل وكانت العرب تسمي من كان
له بنون وبنات ثم مات البنون وبقي البنات
ابتر فقيل انه العاصي وقف مع النبي صلى الله عليه

وسلم تكلم فقال لا رجع من صناديد قريش مع من
كنت واقفا معه لكي الابتر وكان قد توفي قبل ذلك
عبد الله ابن النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت
الاية وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت
اهل الجاهلية اذا مات ابن الرجل قالوا ابتر فلان
فلما توفي ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم
خرج ابو جهل الى اصحابه فقال بتر محمد فنزلت وقال
السهيلي ان قريشا كانوا يقولون لمن مات ذكور
ولده قد بتر فلان فلما مات لرسول الله صلى الله
عليه وسلم القاسم بمكة وابراهيم بالمدينة قالوا بتر
محمد فليس له من يقوم بامره من بعده فنزلت
وقيل لما اوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه
وسلم دعا قريشا الى الايمان قالوا انبتر منا محمد اي
خالفنا وانقطع عنا فنزلت تسلية له قال اهل العلم
قد احتوت هذه السورة على قصرها على معان
بليغة واساليب بديعة منها دلالة استهلال
السورة على انه تعالى اعطاه كثيرا ومنها اسناد
الفعل للمتكلم المعظم نفسه ومنها ايراده بصيغة
الماضي تحقيقا لوقوعه كما في قوله اتى امر الله
ومنها اسناد الفعل للمتكلم تاكيد الجملة بان ومنها
الاتيان بصيغة تدل على مبالغة الكثرة ومنها
حذف الموصوف بالكوثر لان في حذفه من فرط
الشياع والابهام ما ليس في اثباته ومنها تعريفه

بالجنسية الدالة على الاستغراق ومنها فاء التعقيب
الدالة على السبب فان الانعام سبب للشكر والعبادة
ومنها التعريض بمن كانت صلاته لدا اي الصلاة
قوامها والفضل والامر بالنحر اشارة الى الاعمال
البدنية التي النحر اسناها ومنها حذف متعلق
اذ التقدير فصل لربك وانحر له ومنها مراعاة
السجع فانه صناعة البديع العاري عن التكلف
ومنها قوله تعالى لربك في الاتيان بهذه الصفة
دون سائر صفاته الحسنى دلالة على انه المربي
له والمصلح بنعمه فلا يلتمس كل خير الا منه ومنها
الالتفات من ضمير المتكلم الى الغائب في قوله
تعالى لربك ومنها الامر بترك الاهتمام بشانيه
للاستئناف وجعله خاتمة للاعراض عن الشاني
ولم يسمه ليشمل كل من اتصف بهذه الصفة القبيحة
على انه لم يتصف الا بمجرد قيام الصفة به من
غير ان تؤثر فيمن يشنؤه شيئا البتة لان من شنأ
شخصا قد يؤثر فيه شنآنه شيئا ومنها تاكيد الجملة
بان المؤذنة بتاكيد الخبر ولذلك يتلقى بها القسم
وتقدير القسم يصلح هنا ومنها الاتيان بضمير
الفصل المؤذن بالاختصاص والتاكيد لان
يصير الاسناد مرتين ومنها تعريف الابتر بال المؤذنة
بالخصوصية بهذه الصفة كانه قيل الكامل في
هذه الصفة ومنها اقباله تعالى على رسوله صلى

الله عليه وسلم بالخطاب من اوله السورة الي اخرها
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلي
الله عليه وسلم من قرا سورة الكوثر سقاه الله من
كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل
قربان قربه العباد في يوم النحر حديث موضوع

سورة الكافرون مكية

في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية
في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك وتسمي
ايضا سورة المعابدة والاخلاص لانها اخلاص من
العبادة والدين كما ان قل هو الله احد في اخلاص
التوحيد واجتماع النفاق فيهما محال لمن اعتقد
هما وعمل بهما ويقال لها ولسورة الاخلاص المقشقشتان
اي المبرئتان من النفاق قال الشاعر

اعيذك بالمقشقشتين مما تحاذره ومن نظر العيون

وهي ست ايات وعشرون كلمة واربعة وسبعون
حرفا بسم الله الذي لا يستطيع احد ان يقدره حق
قدره الرحمن الذي وفق اهل وده فالتزموا نهيه
وامره وقوله تعالي قل يا ايها الكافرون
الي اخر السورة نزل في رهط من قريش منهم
الحارث بن قيس السهمي والعاص بن وائل
والوليد بن المغيرة والاسود بن يغوث والاسود
بن المطلب بن اسد وامية بن خلف قالوا
يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك
في

[illegible]

في امرنا كله نعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة
فان كان الذي جئت به خيرا كنا قد اشركناك فيه
واخذنا حظنا منه وان كان الذي بايدينا خيرا كنت
قد شركتنا في امرنا واخذت حظك منه فقال
معاذ الله ان نشرك به غيره قالوا فاستلم بعض
الهتنا نصدقك ونعبد الهك قال حتي انظر ما
ياتي من ربي فانزل الله هذه السورة فغدا رسول
الله صلي الله عليه وسلم الي المسجد وفيه الملا من
قريش فقام علي رؤوسهم ثم قرا عليهم حتي فرغ
من السورة فايسوا منه عند ذلك واذوه واصحابه
وفي ندائهم بهذا الوصف الذي يسترذلونه في
بلدهم ومحل عزهم وحميتهم ايذان بانه محروس
منهم علم من اعلام النبوة فان قيل ما الحكمة
في قوله تعالي في التحريم انما يقال لهم يوم القيامة
وثم لا يكون رسوله اليهم فان الواسطة ويكو
نون في ذلك الوقت مطيعين لا كافرين
فلذلك ذكره تعالي بلفظ الماضي واما هنا فكانوا
موصوفين بالكفر وكان رسول الله صلي الله
عليه وسلم رسولا اليهم فقال تعالي قل يا ايها الكافرون
اي الذين قد حكم بثباتهم علي الكفر فلا انفكاك
لهم عنه فستر وما يدل عليه الكناية [illegible] من
الاعتقاد لحق لوجود [illegible] ادناس [illegible]
كثرة مخصوصون بالوصف دون الفعل والتعرفه

اللام لكل من كان على هذا الوصف في كل مكان وكل زمان
والتعبير بالجمع الذي هو الاصل في القلة وقد يستعار
للكثرة اشارة الى البشارة بقلة المطبوع على قلبه
من العرب المخاطبين بهذا في حياته صلى الله عليه
وسلم وقال تعالى قل يا ايها الكافرون لانه صلى
الله عليه وسلم كان مامورا بالرفق واللين في
جميع الامور كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ
القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم وقال تعالى بالمؤمنين رءوف
رحيم ثم قال مامورا بان يدعوهم الى الله تعالى
بالوجه الاحسن فلذا خاطبهم بيا ايها فكانوا يقولون
كيف يليق هذا التلفظ بذلك الرفق فاجاب
بانه مامور بهذا الكلام لا انه ذكره من عند نفسه
ولما كان المقصود اعلامه بالبراءة منهم من كل
وجه وانه لا يبالي بهم بوجه لانه محفوظ منهم
قال لا اعبد اي الآن ما تعبدون من دون الله
من المعبودات الظاهرة والباطنة بوجه من
الوجوه العبادات في سورة على انه لا يصلح
للعبادة بوجه ولا انتم عابدون في الاستقبال ما اعبد [illegible]
وهو الله وحده لا شريك له وهذا خطاب لمن
علم الله تعالى منهم انهم لا يؤمنون واطلق
ما على الله تعالى على جهة المقابلة وبهذا
ان التكرار كما قال اكثر اهل المعاني هو ان

ولا انا عابد ما عبدتم
ولا انتم عابدون
ما اعبد صح

القران نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم
ومن مذاهبهم التكرار ارادة التاكيد والافهام
كما ان مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز
فالقائل بالتاكيد يقول قوله تعالى ولا انا عابد
ما عبدتم تاكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون
وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا
لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ومثله فبأي
آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين في سورتيهما
وكلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون
وفي الحديث فلا اذن ثم لا اذن انما فاطمة بضعة
مني وفائدة التاكيد هنا قطع اطماع الكفار
وتحقيق الاخبار بموافاتهم على الكفر وانهم
لا يسلمون ابدا وعلى الاول قد تقيدت كل جملة
بزمان غير الزمان الاخر وقال ابن عادل
وفيه نظر كيف يتقيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
نفي عبادته لما يعبدون بزمان وهذا مما لا يصلح
انتهى وقد يرد هذا بانه صلى الله عليه وسلم
نفى في الجملة الاولى الحال وفي الثانية الاستقبال
وقول البيضاوي فانا لا تدخل على مضارع
بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على
مضارع بمعنى الحال جرى على الغالب فيهما ولما
ايس منهم صلى الله عليه وسلم قال لكم دينكم
اي الذي انتم عليه من الشرك ولي دين اي

الذي انا عليه من التوحيد وهو دين الاسلام وفي
هذا التهديد كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
اي ان رضيتم بدينكم فقد رضينا باديانناوهذا كما
قال الجلال المحلي قبل ان يومر بالحرب وقيل السورة
كلها منسوخة وقيل نسخ منها شيء لانها خبر ومعنى
لكم دينكم اي جزاء دينكم ولي ديني اي جزاء ديني
وسمي دينهم دينا لانهم اعتقدوه وقيل المعنى
لكم جزاؤكم ولي جزائي لان الدين الجزاء وحذفت
الاضافة من ديني للتخفيف وصلا ووقفا وقرا
نافع وهشام وحفص والبزي بخلاف عنه بفتح
الياء والباقون باسكانها فائدة قال الرازي جرت
العادة بان الناس يتمثلون بهذه الاية عند
المتاركة وذلك غير جائز لانه تعالى ما انزل
القران ليتمثل به بل ليتدبر فيه فيعمل بموجبه
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكافرون
فكانما قرا ربع القران وتباعدت عنه مردة
الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع
الاكبر حديث موضوع الا الجملة منه فرواها
الترمذي

سورة النصر مدنية بالاجماع

وتسمى سورة التوديع وهي ثلاث ايات وست
عشرة كلمة وسبعون حرفا بسم الله الذي

له

له الامر كله فهو العليم الحكيم الرحمن الذي ارسلك
رحمة من الله العلي الحكيم الرحيم الذي خص اهل
وده بفضله العميم وقوله تعالى اذا منصوب بسبح
جاء نصر الله اي الملك الاعظم الذي لا مثل له
والامر لاحد معه باظهاره اياك على اعدائك ومعنى
جاء استقر وثبت في المستقبل لمجيء وقته المضروب
له في الازل وزاد في تعظيمه بالاضافة ثم بكونها
الى اسم الذات وقرا حمزة وابن ذكوان بامالة
الالف بعد الجيم محضة والباقون بالفتح والاعلام
به قبل كونه من اعلام النبوة روي انها نزلت
في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع والفتح اي
فتح مكة وهو الفتح الذي يقال له فتح الفتوح
وقصته مشهورة في السير وغيرها فلا نطيل بذكرها
وكان فتح مكة لعشر بقين من رمضان
سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشرة الاف من المهاجرين والانصار وطوائف
العرب واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن
وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال
لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده
ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل
مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم
وابن اخ كريم ثم قال اذهبوا فانتم الطلقاء
فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان

الله تعالى قد امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيا
فلذلك سمي اهل مكة الطلقا ثم بايعوه على
الاسلام في دين الله في ملة الاسلام التي لا دين
لا يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه وقيل المراد جنس نصر الله المؤمنين
وفتح بلاد الشرك عليهم فان قيل ما الفرق
بين النصر لا غاية لان ظهار على العدو ومنه
نصر الله تعالى الارض عاها قال الشاعر
اذا انسلخ الشهر الحرام فودعي ... بلاد تميم وانصري ارض عامر
وبردكب
اذا انسلخ الشهر الحرام فجاوزي ... بلاد تميم وانصري ارض عامر
والفتح فتح البلاد وقال الرازي الفرق بين
الفتح والنصر ان الفتح هو الاعانة على تحصيل
المطلوب الذي كان متعلقا بها ان النصر كالسبب للفتح
فلهذا بدا بذكر النصر وعطف الفتح عليه فان قيل
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دايما منصورا
بالدلايل والمعجزات فما المعنى في تخصيص لفظ النصر
بفتح مكة اجيب بان المراد من هذا النصر هو
النصر الموافق للطبع فان قيل النصر لا يكون
الا من الله تعالى لقوله تعالى وما النصر الا من
عند الله فما فايدة التقييد بنصر الله اجيب
بان معناه نصر لا يليق الا بالله كما يقال هذه صنعة
زيد اذا كان مشهورا باحكام الصنعة والمقصود

منه تعظيم حال تلك الصنعة فكذا هاهنا فان قيل
الذين اعانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح
مكة هم اصحابه المهاجرين والانصار ثم انه تعالى
سمى نصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصر
الله فما السبب في ذلك اجيب بان النصر
وان كان على يد الصحابة لكن لا بد له من داع وباعث
وهو من الله تعالى فان قيل فعلى هذا الجواب
يكون فعل العبد مقدما على فعل الله تعالى وهذا
خلاف النص لان الله تعالى قال ان تنصروا
الله ينصركم فجعل نصرهم مقدما على نصره
لنا اجيب بانه لا امتناع في ان يكون فعل العبد
سببا لفعل اخر يصدر عن الله تعالى فان اسباب
الحوادث ومسبباتها على ترتيب عجيب يعجز عن ادراكه
العقول البشرية وعبر عن المعنى بالمجي لا عن
المرحلة بالروية فقال تعالى ورايت اي بصرت
الناس اي العرب الذين كانوا حقيرين عند
جميع الامم فصاروا بذلك هم الناس كما دلت
عليه لام الكمال وصار سائر اهل الارض لهم
اتباعا والسنة اليهم رعاعا حال كونهم يدخلون
شيئا فشيئا متجددا دخولهم مستمرا في دين الله
الذي شرع من لم نزل كلمته العليا افواجا اي
جماعات كثيفة كانت تدخل منه القبيلة باسرها
بعدما كانوا يدخلون فيه واحد واحدا او اثنين

اثنين وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه بكى
ذات يوم فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في
دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا وقال
عكرمة ومقاتل اراد بالناس اهل اليمن وفي
ذلك انه ورد من اليمن سبعماية انسان مع
مؤمنين طائعين بعضهم يؤذنون وبعضهم يقرءون
القران وبعضهم يهللون فسر النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك قال ابو هريرة لما نزلت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح
وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان والفقه
يمان والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم من
قبل اليمن وفي هذا تاويلات احدها انه الفرج
لتتابع اسلامهم افواجا الثاني ان الله تعالى
نفس الكرب عن نبيه صلى الله عليه وسلم
باهل اليمن وهم الانصار وعن الحسن لما فتح رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة اقبلت العرب بعضها
على بعض فقالوا اما اذ ظفر باهل الحرم فليس به
يدان قد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل
وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في الاسلام
افواجا من غير قتال امة بعد امة قال الضحاك
والامة اربعون رجلا تنبيه دين الله تعالى
هو الاسلام لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام

وقال

وقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه واضافة الدين الى الاسم الدال على الالهية
اشارة الى انه يجب ان يعبد لكونه الها وللدين
اسماء منها الصراط قال تعالى صراط الله ومنها
النور قال تعالى يريدون ليطفئوا نور الله ومنها
الهدى قال تعالى هدى الله يهدي به من يشاء
ومنها العروة الوثقى قال تعالى ومن يؤمن بالله
فقد استمسك بالعروة الوثقى ومنها الحبل المتين
قال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ومنها
فطرة الله تنبيه جمهور الفقهاء واكثر المتكلمين
ان ايمان المقلد صحيح واحتجوا بهذه الاية
قالوا ان الله تعالى حكم بصحة ايمان اولئك
الافواج وجعله من اعظم المنن على نبيه صلى
الله عليه وسلم فلولا ان ايمانهم صحيح لما ذكره
في هذا المعرض ثم انا نعلم قطعا انهم ما كانوا
يعرفون حدوث الاجسام بالدليل ولا اثبات
الصفات والتنزيهات بالدليل ولا اثبات
كونه تعالى عالما بجميع المعلومات التي لا نهاية
لها والعلم بان اولئك الاعراب ما كانوا عالمين
بهذه الدقائق ضروري فعلمنا ان ايمان المقلد
صحيح فان قيل انهم كانوا عالمين باصول دلائل
هذه المسائل لان اصول هذه الدلائل ظاهرة
بل كانوا جاهلين بالتفاصيل اجيب بان الدليل

لا يقبل الزيادة والنقصان وان الدليل اذا كان
مثلا من عشر مقدمات ثم علم النتيجة منها وكان
في المقدمة العاشرة مقلدا كان في النتيجة مقلدا
لا محالة ولما كمل الدين امر الله تعالى نبيه صلى
الله عليه وسلم بان يشتغل بنفسه فقال عز من
قائل فسبح اي نزه بقولك وفعلك بالصلاة
وغيرها تسبيحا ملتبسا بحمد ربك اي الذي انجز
لك الوعد باكمال الدين ودفع المعتدين المحسن
اليك بجميع ذلك لا بهذا الحمد لك ولا منك والا
فهو عز يزحمد على كل حال تعجبا لتيسير الله تعالى
لهذا الفتح الذي لم يخطر ببال احد حامدا على
نعمه قال ابن عباس رضي انه صلى الله عليه
وسلم لما دخل مكة بدا بالسجود فدخل الكعبة
وصلى ثمان ركعات واستغفره اي اطلب غفرانه
لتقتدي بك امتك في المواظبة على الامان الثاني
فان الامان الاول الذي هو وجودك يعني
والمحل الاقدس وفي ذلك اشارة الى انه لا يقدر
احد ان يقدر الله حق قدره كما اشار الى انه
لا يقدر احد الى الاستغفار عقب الصلاة التي هي
اعظم العبادات وفي الصحيحين عن عائشة
رضي الله عنها انها قالت ما صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان نزلت عليه
سورة اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها

وقال

وقال عكرمة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قط
اشد اجتهادا في امور الاخرة ما كان عند نزولها
وقال مقاتل لما نزلت قراها النبي صلى الله
عليه وسلم على اصحابه وفيهم ابو بكر وعمر وسعد
بن ابي وقاص والعباس رضي الله عنهم ففرحوا
واستبشروا وبكى العباس فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك
قال انه كما قلت فعاش بعدها ستين يوما ما رؤي
فيها ضاحكا مستبشرا وقيل نزلت في منى بعد
ايام التشريق في حجة الوداع فبكى عمر والعباس
فقيل لهما هذا يوم فرح فقالا بل فيه نعي
النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر رضي
الله عنهما نزلت هذه السورة بمنى في حجة
الوداع ثم نزل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي فعاش صلى الله عليه وسلم بعدها
ثمانين يوما ثم نزلت اية الكلالة فعاش بعدها
خمسين يوما ثم نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم
فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوما ثم نزل واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احد
وعشرين يوما وقيل سبعة ايام وقيل غير ذلك
وقال الرازي اتفق الصحابة على ان هذه
السورة دلت على نعي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذلك لوجوه احدها انهم عرفوا ذلك

لما خطب صلى الله عليه وسلم عقب السورة وذكر
التخيير وهو قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته
لما نزلت هذه السورة ان عبدا خيره الله تعالى
بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فقال
ابو بكر رضي الله عنه فديناك بانفسنا واموالنا
وآبائنا واولادنا ثانيها انه لما ذكر حصول النصر
والفتح ودخول الناس في الدين افواجا دل
ذلك على حصول الكمال والكمال وذلك يستعقبه
الزوال كما قيل ،،
اذا تم امر بدا نقصه ، توقع زوالا اذا قيل تم ،
ثالثها انه تعالى امره بالتسبيح والحمد والاستغفار
مطلقا واشتغاله بذلك يمنعه عن اشتغاله بامر
الامة فكان هذا كالتنبيه على امر التبليغ
قد تم وكمل وذلك يقتضي انقضاء الاجل اذ لو بقي
صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لكان كالمعزول
من الرسالة وذلك غير جائز وعن ابن عباس
ان عمر كان يدنيه ويأذن له مع اهل بدر فقال
عبد الرحمن اتأذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا
من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن
عباس فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسألهم
عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح
ولا اراه سألهم الا من اجلي فقال بعضهم
امر الله والفتح ولا اراه سألهم الا من اجلي

فقال

فقال بعضهم امر الله تعالى نبيه اذا فتح عليه ان
يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن
نعيت اليه نفسه فقال عمر ما اعلم منها الا مثل
ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون وروي
انه صلى الله عليه وسلم دعا فاطمة فقال يا ابنتاه
اني نعيت الي نفسي فبكيت فقال لا تبكي فانك
اول اهلي لحوقا بي وعن عائشة رضي الله عنها
كان صلى الله عليه وسلم يكثر قبل موته سبحانك
اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنها انه
ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد
ان نزلت اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك
اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي وقالت ام سلمة رضي
الله عنها كان صلى الله عليه وسلم اخر موته لا يقوم
ولا يقعد ولا يجيء ولا يذهب الا قال سبحان الله
وبحمده استغفر الله واتوب اليه فانه قال اني امرت
بها ثم قرا اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها وقيل
استغفره هضما لنفسك واستغفارا لعملك واستدراكا
لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه
الصلاة والسلام اني استغفر الله في اليوم والليلة
مائة مرة وقيل استغفر لامتك وتقديم التسبيح ثم
الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخلق
الى الخالق كما قيل ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله
ولما امره الله تعالى بالتسبيح والاستغفار بشره

الى التوبة بقوله تعالى الله ان المحسن اليك
بالنصر والفتح وغير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر
كان انه لم يزل توابا اي رجوعا عمن ذهب به الشيطان
من اهل رحمته فهو الذي رجع بانصارك عما كانوا
عليه من الاجتماع على الكفر والاختلاف من
العداوات فايدك الله بجمعهم في الدين شيئا
شيئا الى ان دخلت مكة بعشرة الاف وهو ايضا
يرجع الى الحالة التي يزداد بها ظهور رفعتك في
الرفيق الاعلى قال الله تعالى وللاخرة خير لك
من الاولى فتفوز بتلك السعادة العالية وعن
ابن مسعود رضي الله عنه ان هذه السورة تسمى
سورة التوديع قال قتادة ومقاتل عاش صلى
الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وهذا
بنا على انها نزلت قبل فتح مكة وهو قول
الاكثر فان الفتح كان في سنة ثمان واما من قال
عاش دون ذلك فامر مبنيا على انها نزلت
عقب في حجة الوداع كما مر ايضا تنبيه وفي الاية
سؤالات احدها ان قوله تعالى كان توابا يدل
على الماضي وحاجتنا الى قبوله في المستقبل
ثانيها هلا قال غفارا كما قال في سورة نوح عليه
السلام ثالثها انه تعالى نصر الله وقال تعالى في
دين الله وقال تعالى بحمد ربك ولم يقل بحمد الله
عن الاول بوجوه احدها ان هذا ابلغ لانه

يقول

يقول اني تبت على من هو اقبح فعلا منهم كاليهود
فانهم بعد ظهور المعجزات العظيمة كفلق البحر ونتق
الجبل ونزول المن والسلوى عصوا ربهم واتوا
بالقبائح ولما تابوا قبلت توبتهم فاذا كنت قابل
توبة اولئك وهم دونكم فلان اقبل توبتكم وانتم خير
امة اخرجت للناس ثانيها اني شرعت في توبة
العصاة والشروع ملزم على قول النعمان
فكيف في كرم الرحمن ثالثها كنت توابا قبل امركم
بالاستغفار افلا اقبل وقد امرتكم بالاستغفار رابعها
كانه اشار الى تخفيف جنايتهم انهم ليسوا اول من
جنى وتاب والمصيبة اذا عمت خفت خامسها كانه
نظير ما يقال لقد احسن الله اليك فيما مضى كذلك
يحسن اليك فيما بقي والجواب عن الثاني بوجهين
احدهما انه خص هذا الاسم بزيادة الشرف لانه
تعالى في صفات العبد غفار ويقال توابا ان كان
اتيا بالتوبة فيقول تعالى كنت لي سميا من اول
الامر انت مومن وانا مومن وان كان المعنى
مختلفا فتستحي تصير سميا في اخر الامر وانت
تواب ثم التواب في حق الله تعالى انه يقبل كثيرا
فيجب على العبد ان يكون اتيانه بالتوبة كثيرا
ثانيهما انه تعالى انما قال توابا لان القائل قد يقول
استغفر الله وليس بتائب كقوله عليه الصلاة والسلام
المستغفر بلسانه بقلبه كالمستهزئ بربه فان قيل

قد يقول اتوب وليس بتايبه اجيب بان ذا يكون
كاذبا لان التوبة اسم للرجوع او الندم بخلاف
الاستغفار فانه لا يكون كاذبا فيه فصار تقدير
الكلام فاستغفره بالتوبة وفيه تنبيه على
ان خواتيم الاعمال يجب ان تكون بالتوبة والا
ستغفار وكذا خواتيم الاعمار واجيب عن
الثالث بانه تعالى راعى العدل فذكر اسم الذات
مرتين وذكر اسم الفعل مرتين احدهما العرب
والثاني التواب ولما كانت التربية تحصل اوله
والتوبة اخر الامر ذكر اسم الرب اوله واسم
التوبة اخر فنسال الله تعالى من فضله وكرمه
ان يمن علينا بتوبة نصوح لا ننكثه بعدها
فانه كريم رحيم وقوله البيضاوي تبعا للزمخشري
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اذا
جاء نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد
صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة حديث موضوع

سورة تبت يدا مكية

وهي خمس ايات وعشرون كلمة وتسعون وسبعون
حرفا بسم الله المتكبر الجبار المضل الهادي الرحمن
الذي عم خلقه بنعمه بعد الاكرام بالايجاد الرحيم
الذي خص بتوفيقه اهل الوداد وقوله تعالى
تبت يدا ابي لهب دعا عليه وسبب نزول
ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما

انه

انه قال لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين
صعد صلى الله عليه وسلم الصفا وجعل ينادي
يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا
عنده فجعل الرجل اذا لم يستطع ارسل رسولا لينظر
ما هو فجا ابو لهب وقريش فقال ارايتم لو اخبرتكم
ان العدو مصبحكم او ممسيكم اما كنتم تصدقوني قالوا
بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
فقال ابو لهب تبا لك لهذا دعوتنا جميعا فنزلت
وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم خرج البطحا
فصعد الجبل ونادى يا صباحاه فاجتمعت اليه
قريش وذكر نحوه وفي رواية فاجتمعوا اليه
فقال صلى الله عليه وسلم ارايتم لو اخبرتكم ان
خيلا تخرج بسفح هذا الجبل كنتم مصدقي قالوا
ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين
يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك اما
جمعتنا الا لهذا فنزلت وعن ابي زيد ان ابا لهب
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماذا اعطى
ان امنت بك يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم
كما يعطي المسلمون فقال ما لي عليهم فضل
فقال صلى الله عليه وسلم واي شي تبتغي قال
تبا لهذا من دين ان اكون وهولا سوا فنزلت
وهو معنى تبت قال ابن عباس خابت وقال
قتادة خسرت وقال عطا ضلت وقال ابن جبير

هلكت والتباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة
اي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت
يداه لانه فيما يروى انه اخذ حجرا ليرمي به النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل ارماه به فادمى
عقبه فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد جملة
البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فا
صيغت الافعال الى اليد وذلك على عادة
العرب في التعبير ببعض الشي عن كله وجميعه
او عبر باليدين لان الغالب ان الاعمال تزاول
بهما وقال يمان بن رئاب صفرت من كل خير
حكى الاصمعي عن ابن عباس انه قال لما قتل عثمان
سمع الناس هاتفا يقول

لقد خلوك وانصرفوا ... فما اووا ولا رجعوا
ولم يوفوا بنذورهم ... فيا تبا للذي صنعوا

وقيل المراد باليدين دينه ودنياه واولاده
وعقباه او المراد باحدهما جر المنفعة وبالاخرى
دفع المضرة لان اليمين سلاح والشمال جنة
وابو لهب هو ابن عبد المطلب عم النبي صلى
الله عليه وسلم واسمه عبد العزى فان قيل
لم ذكر بذلك ولم يكنه لم ولم سماه لهب وانضم
فالتكنية من باب التعظيم اجيب عن الاول
بان الكنية قد تكون اسما كما سمي ابو سفيان
وابو طالب ونحو ذلك فان هولاء اسماؤهم كناهم

او لانه لهب وجنتيه وكان مشرق الوجه احمره
واجيب عن الثاني بوجوه كان عبد العزى كما مر
فعدل عنه الى كنيته فكان جديرا بان يذكر بها
كقولهم ابو بكر وابو الحسن لصدورهما منه او لان
الانبيا عليهم الصلوة والسلام باسمايهم دون
كناهم وقال الزمخشري فان قلت لم كناه والكنية
تكرمة ثم ذكر ثلاثة اجوبة اما لشهرته بكنيته
واما لقبح اسمه كما تقدم فاما لانه لما كان
من اهل النار وماله الى نار ذات لهب وافقت
حاله كنيته انتهى وهذا يقتضي ان الكنية
اشرف من اللقب لا انقص وهو عكس قوله تقدم
وقرا ابن كثير باسكان الهاء والباقون بفتحها وهما
لغتان بمعنى نحو النهر والنهر وقوله تعالى وتب
حتى كما يقال اهلكه الله وقد هلك فالاول اخرج
مخرج الدعا عليه والثاني اخرج مخرج الخبر لتحقق
به ما اريد من الاسناد الى اليدين من الكناية
عن الهلاك الذي لا بقا بعده وقيل المراد من
الاول ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات
اليد يعنون به المال والثاني نفسه ولما دعا
صلى الله عليه وسلم اقربيه الى الله تعالى وخوفهم
النار قال ابو لهب ان كان ما يقول ابن اخي حقا
فاني افتدي نفسي بمالي وولدي فانزل الله
تعالى ما اغنى عنه اي عن ابي لهب ماله

اي الكثير فانه كان صاحب مواشي كثيرة الذي
جرت العادة بانه ينجي من الهلاك وماكسب اي
من الولد والاصحاب والعز بعشيرته التي كان
يؤذي بها النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابنه
عتبة شديد الاذى للنبي صلى الله عليه
وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط
عليه كلبا من كلابك فكان ابو لهب يعرف ان
هذه الدعوة لا بد ان تدركه فسافر
الى الشام فاوصى به الرفاق ليحفظوه من هذه
الدعوة فكانوا يجعلونه اذا نام ليكون
وسطهم والحمول محيطة به وهم محيطون بها
والركب محيطة بهم فلم ينفعه ذلك بل جاء الاسد
فشم الناس حتى وصل اليه فاقتلع راسه
وانما كان الولد من الكسب لقوله صلى الله عليه
وسلم اطيب ما ياكل احدكم من كسبه وان ولده من
كسبه تنبيه ما في ما اغنى يجوز فيها النفي
والاستفهام فعلى الاستفهام يكون منصوب
المحل بما بعدها التقدير اي شيء اغنى المال
وقدم لكونه له صدر الكلام ويجوز في قوله
تعالى وماكسب ان تكون بمعنى الذي فالعائد
محذوف وان تكون مصدرية اي وكسبه
واغنى بمعنى يغني ثم اوعده سبحانه بالنار
فقال تعالى سيصلى اي عن قرب بوعد

لا

لا خلف فيه نارا يندرس فيها وتنعطف عليه وتحيط
به ذات لهب اي لا يسكن لهبها ولا يخمد ابدا لان
ذلك مدلول الصحبة المعبر عنها بذات وذلك
بعد موته ولما اخبر تعالى عنه بكمال العقاب
الذي هو نهاية الخسار زاده تحقيرا بذكر من يهونها
باذكره صورة واشنعها بقوله تعالى وامراته وهو
عطف على ضمير يصلى سوغه الفصل بالمفعول
وصفته وهي ام جميل وهي اخت ابي سفيان
ابن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف
بن قصي مثل زوجها في العقاب والصلي
من غير ان يغني عنها شيء من مال ولا حسب
ولا نسب وعدل عن ذكرها بكنيتها لاشتهارها
القباحة وهي صفة كنيتها قال البقاعي ومن هنا
يوخذ كراهة التلقيب كناصر الدين ونحوها
لمن ليس متصفا بما دل عليه لقبه انتهى وقوله
تعالى حمالة الحطب فيه وجهان احدهما هو حقيقة
قال قتادة وكانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم
بالفقر ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على
ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل وقال ابن
زيد كانت تحمل العضاه والشوك فتلقيه في الليل
في طريق النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يطاه كما يطا
الحرير وقال مرة الهمداني كانت ام جميل تاتي

في كل يوم بابالة من الحسك فتطرحها في طريق المسلمين
فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة عيت فقعدت
على حجر تستريح فجذبها الملك من خلفها فاهلكها
الوجه الثاني ان ذلك مجاز عن المشي بالنميمة
ورمي الفتنة بين الناس تحمل الحطب بينهم التي
توقد بينهم النائرة وتورث الشر قال الشاعر
من البيض لم تصطد على ظهر لامة
ولم تمش بين النار بالحطب الرطب
جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة
في الشر وقال سعيد بن جبير حمالة الخطايا والذ
نوب من قولهم فلان يحتطب على ظهره قال تعالى
يحملون اوزارهم على ظهورهم وقراءة العامة بنصب
النا من حمالة على الشتم قال الزمخشري وانا
استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من احب شتم ام جميل اه
والباقون برفعها على انها صفة امراته فانها
مرفوعة بالنعت اما بالعطف على الضمير في
سيصلى كما مر ويكون قوله **في جيدها حبل**
حال من امراته وعلى الابتداء ففي جيدها
حبل هو الخبر وحبل فاعل به ويجوز ان يكون
في جيدها خبر مقدم وحبل مبتدا مؤخر والجملة
حالية او خبر ثان والجيد العنق ويجمع على
اجياد وقوله تعالى **من مسد** صفة الحبل والمسد

ليف المقل وقيل الليف مطلقا وقال ابو عبيدة
هو حبل يكون من صوف وقال الحسن هي حبال
من شجر ينبت باليمن يسمى المسد وكانت تفتل
وقال الضحاك وغيره هذا في الدنيا وكانت تعير
النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهي تحتطب في
حبل تجعله في جيدها من ليف فخنقها الله عز وجل
به فاهلكها وهو في الاخرة حبل من النار فان
قيل اذا كان ذلك حبلها فكيف يبقى في النار
اجيب بان الله تعالى قادر على تجديده كلما
احترق كما يبقى اللحم والعظم والجلد ابدا في النار
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال هو سلسلة
ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج
من اسفلها ويلوى سائرها على عنقها وقال
سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة
من جوهر فقالت واللات والعزى لانفقنها في
عداوة محمد ويكون ذلك عذابا في جيدها
يوم القيامة وقيل ان ذلك اشارة الى الخذلان
يعني انها مربوطة عن الايمان لما سبق لها
من الشقا كالمربوط في جيدها من مسد والمسد
الفتل يقال مسد حبله يمسده مسدا اي اجاد
فتله ويجمع امساد وروي انها لما سمعت ما نزل
فيها وفي زوجها من القران اتت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند

الكعبة ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة تريد
ان ترميه به فلما وقفت عليه اخذ الله تعالى
بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تر
الا ابا بكر فقالت يا ابا بكر اين صاحبك قد بلغني
انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا
الفهر فاه والله اني لشاعرة
مذمما عصينا وامره ابينا ودينه قلينا
ثم انصرفت فقال ابو بكر يا رسول الله ما تراها
رأتك قال صلى الله عليه وسلم ما رأتني لقد
اخذ الله بصرها وكانت قريش انما تسمي محمدا
صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبوا لما صرف الله
تعالى عني من اذى قريش يسبون مذمما وانا محمد
انظر كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحمل هذا الاذى ويحلم عليهم فينبغي لغيره ان
يكون له اسوة قال تعالى لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة تنبيه احتج اهل السنة
على تكليف ما لا يطاق بانه تعالى كلف ابا لهب
بالايمان بتصديق الله تعالى في كل ما اخبر عنه
ومما اخبر عنه انه لا يؤمن وانه من اهل
النار فقد صار مكلفا بانه يؤمن وانه لا يؤمن
وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وهو محال
وذلك مذكور في اصول الفقه وقد تضمنت
هذه الايات الاخبار عن الغيب بثلاثة اوجه

احدها

احدها الاخبار عنه بالتباب والخسران وقد كان
ذلك ثانيها الاخبار عنه بعدم الانتفاع بماله
وولده وقد كان ذلك ثالثها الاخبار بانه من
اهل النار وقد كان ذلك لانه مات على الكفر
هو وامرأته ففي ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه
وسلم فامرأته خنقها الله تعالى بحبلها كما مر
وابو لهب رماه الله بالعدسة بعد وقعة بدر
بثلاث ليال واقام ثلاثة ايام لا يدفن حتى
انتن ثم ان ولده غسله بالماء قذفا من بعيد
مخافة عدوى العدسة وكانت قريش تتقيها كما
تتقي الطاعون ثم احتملوه الى اعلى مكة واسندوه
الى جدار ثم رضموا عليه الحجارة وقيل ان الله تعالى
يدخل امرأته جهنم على الصورة التي كانت عليها
حين كانت تحمل الحطب ولا تزال على ظهرها
حزمة من حطب النار من شجر الزقوم او من
الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار
كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله من جرمه وقول
البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع
الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة موضوع

سورة الاخلاص مكية

في قول ابن مسعود وعطاء وعكرمة ومدنية
في احد قولي ابن عباس وقتادة والسدي

وهي اربع ايات وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون
حرفا بسم الله الذي له جميع الكمال ذي الجلال
والجمال الرحمن الذي فاض على جميع خلقه عموم
الافضال الرحيم الذي خص اهل وده من نور
الانعام بالاتمام والاكمال واختلف في سبب نزول
سورة قل هو الله احد روى ابو العالية عن
ابن عباس رضي الله عنه ان المشركين قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك
فنزلت وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان عامر ابن الطفيل واربد بن ربيعة اتيا النبي
صلى الله عليه وسلم فقال عامر الى من تدعونا
يا محمد فقال الى الله تعالى قال صفه لنا امن
ذهب هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب
فنزلت واهلك الله تعالى اربد بالصاعقة
وعامر بالطاعون وقال الضحاك وقتادة ومقاتل
جاء ناس من احبار اليهود الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن
بك فان الله تعالى انزل نعته في التوراة فا
خبرنا من اي شيء هو او هو ياكل ويشرب وممن
يورث فنزلت تنبيه هو ضمير الشان
وهو مبتدأ وخبره الله واحد بدل او خبر ثان
يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله
تعالى على جميع صفات الكمال ان الواحد

الحقيقي

الحقيقي ما يكون منزه الذات عن التركيب والتعدد
وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة
في الحقيقة وخواصها كوجوب القدرة الذاتية
التامة المقتضي للالهية فائدة جاء في الواحد
عند العرب لغات كثيرة يقال واحد واحد ووحد
ووحيد ووحاد واحاد وموحد واوحد وهذا
كله راجع الى معنى الواحد وان كان في ذلك
معان لطيفة ولم يجئ في صفة الله تعالى منها
الا الواحد والاحد وقوله تعالى الله اي الذي
ثبتت الهيته واحديته لا غيره مبتدأ خبره الصمد
واخلى هذه الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة
للاولى او الدليل عليها والصمد السيد المصمود اليه
في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون
انه خالق السموات والارض وخالقكم وهو
واحد متوحد بالالوهية لا يشارك فيها وهو
الذي يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه
وهو الغني عنهم وعن ابن عباس الصمد هو
الذي لا جوف له وقال الشعبي هو الذي لا ياكل
ولا يشرب وقال الربيع هو الذي لا تعتريه الآفات
وقال مقاتل بن حيان هو الذي لا عيب
فيه هو الكامل في جميع صفاته وافعاله وقال
السدي هو المقصود اليه في الرغائب المستغاث
عند المصائب تقول العرب صمدت فلانا اصمده

صمدا بسكون الميم اذا قصدته وعن ابي بن كعب
رضي الله عنه هو الذي لم يلد لانه من يولد
سيموت ومن يموت منه فنفي الصمد عما بعده
وينبغي ان تجعل هذه التفاسير كلها تفسير واحد
فانه متصف بجميعها فكونه لم يلد لم يجانس ولم
يفتقر الى من يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة
والفناء بدوا انه في الديمومة والاقتصار على الماضي
لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله
وعزيرا والمسيح ابناه او غيره ولما بين انه لا فصل
لرفعها من انه لا جنس له فدل عليه قوله تعالى
ولم يولد لانه لو تولد عنه غيره تولد هو عن غيره
كما هو المعهود والمعقول فهو قديم لا اول له بل هو
الاول الذي لم يسبقه عدم كما هو المعهود لان
الولادة لا تكون ولا تشخص الا بواسطة المادة
وعلاقتها وكلما كان موديا او كان له علاقة
بالمادة كان متولدا عن غيره والله سبحانه وتعالى
منزه بتقديس من التقادير ولم يكن له اي الخلقة
كفوا اي مثل ومساويا احد على الاطلاق اي
يساويه في قوة الوجود لانه لو ساواه في ذلك
لكانت مساواته باعتبار الجنس والفصل
فيكون وجوده متولدا من ازدواج الحاصل
من الجنس الذي يكون كالام والفصل الذي
يكون كالاب وقد ثبت انه لا يصلح بوجه ان
يكون

ان يكون في شيء من الولادة لان وجوب وجوده
لذاته فانتفى ان يساويه شيء وكان الاصل
ان يوخر الظرف لانه صلة لكن لما كان المقصود
نفي المكافاة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم
ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا او خبرا
او يكون كفوا حالا من احد وعطف هاتين على
الجملة الواحدة روى ابو ابراهيم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى
كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم
يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني
كما بداني وليس اول الخلق باهون علي من
اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا
وانا الاحد الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا
احد وقرا حمزة بسكون الفاء والباقون بضمها
وقرا حمزة وقف بالواو روي في فضائل قل هو
الله احد احاديث كثيرة منها ما رواه البخاري
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رجلا
يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل
يتقالها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القران
فان قيل لم كانت تعدل ثلث القران اجيب
بان القران انزل اثلاثا ثلث احكام وثلث وعد

وعبد وتلك اسماء صفات فجمعت هذه السورة احد
الاثلاث وهو الاسماء والصفات وقيل انها نزلت
تدل القرآن كله على نص متنها وتقارب طرقها
وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله تعالى
وعدله وتوحيده وكفى بذلك دليلا لمن اعترف
بفضلها ومنها ما روى مسلم عن عائشة رضي
الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث
رجلا في سرية فكان يقرأ في صلاتهم فيختم بقل
هو الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاي شيء يصنع ذلك
فسالوه فقال لانها صفة الرحمن وانا احب ان اقرأها
فقال صلى الله عليه وسلم اخبروه ان الله تعالى
يحبه ومنها ما روى الترمذي عن انس بن
مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال صلى
الله عليه وسلم سمع وجبت قلت وما وجبت
قال الجنة ومنها ما روى انس ايضا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله احد
خمسين مرة غفرت ذنوبه ومنها ما روى سعيد ابن
المسيب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله احد احدى عشرة
مرة بنى الله له قصرا في الجنة ومن قراها عشرين
مرة بنى الله له قصرين في الجنة ومن قراها

ثلاثين

ثلاثين مرة بنى الله له ثلاث قصور في الجنة فقال
عمر اذن تكثر قصورنا فقال صلى الله عليه وسلم
الله اوسع من ذلك ومنها ما روى الطبراني
عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه
وسلم قال من قرأ قل هو الله احد بعد صلاة
الصبح اثنى عشر مرة فكانما قرأ القرآن اربع مرات
وكان افضل اهل الارض يومئذ ان اتقى وروى
انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله
احد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره
وامن من ضغطة القبر وحملته الملائكة باكفها
حتى يجوز من الصراط الى الجنة وقد فردت
احاديثها بالتاليف وفي هذا القدر كفاية لاولي
الالباب ولها اسماء كثيرة وزيادة الاسماء تدل
على شرف المسمى احدها سورة التفريد
ثانيها سورة التجريد ثالثها سورة التوحيد رابعها
سورة الاخلاص خامسها سورة النجاة سادسها
سورة الولاية سابعها سورة النسبة لقولهم انسب
لنا ربك ثامنها سورة المعرفة تاسعها سورة الجمال
عاشرها سورة المقشقشة حادي عشرها المعوذة
ثاني عشرها سورة الصمد ثالث عشرها سورة
الاساس قال اسست السموات السبع والارضون
السبع على قل هو الله احد رابع عشرها المانعة لانها
تمنع فتنة القبر ونفحات النار خامس عشرها

سورة المخنصوله ان الملائكة تحضر لاستماعها اذا قرئت
سابع عشرها سورة البراة لانها براة من الشرك
ثامن عشرها المذكرة لانها تذكر العبد خالص
التوحيد تاسع عشرها سورة النور لانها تنور
القلب العشرون سورة الاستان قال صلى الله
عليه وسلم اذا قال العبد الله قال الله دخل حصني
ومن دخل حصني امن من عذابي نسال الله
تعالى ان يجيرنا من عذابه ويدخلنا الجنة برحمته
نحن وجميع الاحبابه بغير حساب فانه كريم
حليم وهاب وما رواه البيضاوي من انها تعدل
ثلث القران فرواه البخاري ومن انه صلى الله
عليه وسلم سمع رجلا يقروها الى اخره فرواه
الترمذي والنسائي وغيرهما والله تعالى اعلم

سورة الفلق مكية

في قول الحسن وعطا وعكرمة ومدنية في قول
ابن عباس وقتادة وهي خمس ايات وثلاثة
وعشرون كلمة وسبعون حرفا بسم الله الذي
لا جميع المحول الرحمن الذي استجمع كمال الطول
الرحيم الذي اتم على اهل وده جميع افضاله
واختلف في سبب نزول هذه السورة قل اعوذ
برب الفلق قال ابن عباس وعايشة رضي
الله عنهما كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى
الله عليه وسلم فدنت اليه اليهود فلم يزالوا

به حتى اخذ مشاطة راس النبي صلى الله عليه
وسلم وعدة اسنان من مشطه واعطاها اليهود
فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد ابن الاعصم
رجل من اليهود فنزلت هذه وقل اعوذ برب
الناس فيه وعن عايشة رضي الله عنها ان النبي
صلى الله عليه وسلم جلب اليه سحر حتى كان
يخيل اليه انه صنع شيا وما صنعه وانه دعا ربه
ثم قال اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته
فيه فقالت عايشة وماذا يا رسول الله قال
جاني رجلان فجلس احدهما عند راسي والاخر
عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل
قال الاخر مطبوب قال من طبه قال لبيد بن
الاعصم قال فيما ذا قال مشط ومشاطة وجف طلعة
ذكر قال فاين هو قال في ذروان وذروان بير
في بني زريق قالت عايشة رضي الله عنها فاتاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى عايشة
فقال والله لكان ماوها نقاعة الحنا ولكان نخلها
روس الشياطين قالت فقلت يا رسول الله
هلا اخرجته فقال اما فقد شفاني الله وكرهت
ان اثير على الناس منه شرا وعن زيد بن
ارقم قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من
اليهود فاشتكى ذلك اياما واتاه جبريل عليه
السلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد

لك عقدا في بير كذا وكذا فارسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجا بها فجعل كلما
حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكانما نشط من عقال فما ذكر
ذلك لليهودي ولا راى وجهه قط وروي
انه كان تحت صخرة في البير فرفعوا الصخرة واخرجوا
حق الطلعة فاذا فيها مشاطة من راسه صلى
الله عليه وسلم واسنان مشطه وعن مقاتل والكلبي
كان ذلك في وتر عقد عليه احد عشر عقدة
وقيل كانت مغروزة بالابرة فانزل الله تعالى
هاتين السورتين وهما احدى عشر اية سورة
الفلق خمس ايات وسورة الناس ست ايات
كلما قرا اية انحلت عقدة حتى انحلت العقد
كلها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما نشط
من عقال وروي انه يخيل له انه يطا زوجاته
وليس بواطي قال سفيان وهذا اشد ما
يكون من السحر وعن ابي سعيد الخدري رضي
الله عنه ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم
قال بسم الله ارقيك من كل شي يوذيك ومن
شر كل نفس او عين حاسد والله يشفيك بسم
الله ارقيك فان قيل المستفاد منه هل هو بقضا
الله وقدره اولا فان كان بقضا الله وقدره

فكيف

فكيف يامر بالاستعاذة مع ان ما قدر لا بد واقع
وان لم يكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح في القدرة
اجيب بان كل ما وقع في الوجود فهو بقضا
الله وقدره والاستشفا بالتعوذ والرضا من القضا
الله يدل عليه صحة ذلك ما روى الترمذي
عن ابي خزامة عن ابيه قال سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ارايت
رقيا نسترقي بها ودوا نتداوى به وتقاة نتقيها
هل يرد من قضا الله شيا قال هو من قدر
الله قال الترمذي هذا حديث حسن ومعنى
اعوذ استجير والتجي واعتصم واحترز والفلق
الصبح في قول الاكثرين ومنه قوله تعالى فالق
الاصباح لانه ظاهر في تغير الحال ومحاكاة يوم
القيامة الذي هو اعظم فلق يشق ظلمة
الفنا والهلاك بالبعث والاحيا قال والفلق
بالسكون والحركة كلما انشق عنه ظلمة العدم
واوجد من الكاينات جميعا وروي عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه سجن في جهنم
وقال الكلبي واد في جهنم وقال الضحاك
الخلق وقيل المطمئن من الارض وجمعه فلقان
مثل خلق وخلقان وقيل الفلق الجبال والصخور
تنفلق بالمياه اي تشق وقيل الفلق بين الجبال
لانها تنشق من خوف الله تعالى ولفظ الرب

هنا اوقع من سائر اسمائه تعالى لان الاعاذة
من المضار تربية ولما كانت الاشيا قسمين عالم
الخلق وعالم الامر وكان عالم الامر خيرا كله
فكان الشر منحصرا في عالم الخلق خصه بالاستعاذة
فقال تعالى معها فيها من شر ما خلق فحصر
عالم الخلق بالاستعاذة منه لانحصار الشر فيه
والشر يكون اختياريا من العاقل الداخل تحت
مدلول ما وغيره من سائر الحيوانات كالكفر والظلم
ونهش السباع ولدغ ذوات السموم وتارة طبعيا
كاحراق النار واهلاك السموم وقيل المراد به
ابليس خاصة لانه لم يخلق الله تعالى خلقا شرا منه
ولان السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل
من شر كل ذي شر وقوله تعالى ومن شر غاسق
اذا وقب فيه اوجه احدها ما روي عن عائشة
رضي الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذي
بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب
اخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح
حسن فعلى هذا المراد به القمر اذا خسف واسود
وذهب ضوءه او اذا دخل في المحاق وهو
اخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث
للمرض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة
ثانيها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما

ان

ان الغاسق الليل اذا وقب اي اذا اقبل بظلمته
من المشرق وسمي الليل غاسقا لانه ابرد من
النهار والغسق البرد وانما امرنا بالتعوذ من الليل
لان فيه تنتشر الافات ويقل الغوث ومنه قولهم
الليل اخفى للويل وقولهم اعذر الليل لانه اذا
اظلم كثر فيه العذر وفيه يتم السحر واسند الشر
اليه لملابسته له من حدوثه فيه ثالثها ان الثريا
اذا سقطت وغابت ويقال ان الاسقام تكثر عند
وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا امرنا با
لتعوذ من الثريا عند سقوطها رابعها انه الاسود
من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب
ومنه وقبة الثريد ولما كان السحر اعظم ما
يكون لما فيه من تفريق المرء من الزوجة وابيه
وابنه ونحو ذلك عقب ذلك بقوله ومن شر
النفاثات في العقد اي النساء او النفوس او
الجماعات السواحر اللواتي تعقد عقدا في خيوط
وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ من ريق
وقال ابو عبيدة النفاثات من بنات لبيد
بن اعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه
فان قيل ما معنى الاستعاذة من شرهن اجيب
بثلاثة اوجه احدها ان يستعاذ من علمهن
الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك ثانيها
ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما

يجد غمهم به من باطنهن فانهن ان استعذن من
يصيب الله به من السوء عند نفثهن قال الزمخشري
ويجوز ان يراد بهن النساء المكيدات من قوله تعالى
ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث
في العقد او اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم
وعرضهن محاسنهن كانهن يسحرنهم بذلك
تنبيه اختلف في النفث في الرقى فجوزه
الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم
ويدل عليه حديث عائشة رضي الله عنها قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد
من اهله نفث عليه بالمعوذتين وروى محمد
بن حاطب ان يده احترقت فاتى النبي صلى الله
عليه وسلم فجعل ينفث عليها ويتكلم بكلام زعم
انه لم يحفظه وروي ان قوما لدغ رجل منهم
فاتوا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
هل فيكم من راق قالوا لا حتى تجعلوا لنا شيا
فجعلوا لهم قطيعا من الغنم فجعل رجل منهم
يقرا فاتحة الكتاب ويرقي ويتفل حتى برئ فاخذوه
فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه
وسلم فقال وما يدريكم انها رقية خذوا واضربوا
لي بسهم وانكر جماعة النفث والتفل في الرقى
واجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغي
للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل ان

النفث

النفث في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا
مضرا بالارواح والابدان واذا كان النفث لاصلاح
الارواح والابدان فليس بمذموم ولا مكروه بل
هو مندوب اليه ولما كان اعظم حامل على السحر
وغيره من اذى الناس الحسد وهو تمني زوال
نعمة المحسود للحاسد او غيره قال تعالى ومن شر
حاسد اي ثابت الاتصاف بالحسد معروف فيه
واعظم الحساد الشيطان الذي ليس له داب الا السعي
في ازالة نعم العبادات عن الانسان بالغفلات
ثم قيد ذلك بقوله تعالى اذا حسد اي اذا اظهر
حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود
لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمر فلا ضرر يعود منه على
من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور
غيره وعن عكرمة ابن عبد العزيز رضي الله
عنه لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد وفي
اشعار الائمة ادعا ما يكيد عليه من نعم الدارين
لان خير الناس من عاش محسودا ومات محسودا
فان قيل لم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه
اجيب بان النفاثات عرفت لان كل نفاثة
شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه
الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك
كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد
في الخيرات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد

الا في اثنتين الحديث وقال ابو تمام وما حاسد
في المكرمات بحاسد وقال اخر ان العلا حسن
في مثلها الحسد فائدة قال بعض الحكماء الحاسد
بارز ربه من خمسة اوجه اولها انه ابغض كل نعمة
ظهرت على غيره ثانيها انه ضاد فعل الله تعالى
ان فضل بره من يشا وهو يبخل بفضل الله
رابعها ان احتقر اولياء الله تعالى اذ يريد خذلانهم
وزوال النعمة عليهم خامسها انه اعان عدو
الله ابليس والحاسد لا ينال في المجالس الا
ندامة ولا ينال عند الملائكة الا لعنة ولا ينال
في الاخرة الا جزعا واحتراقا قال ولا ينال من
الله الا بعدا ومقتا وروي عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال ثلاثة لا يستجاب دعاؤهم اكل
الحرام ومكثر الغيبة ومن كان في قلبه او حسد
للمسلمين وقيل المراد بالحاسد في الاية اليهود
فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم
فان قيل قوله تعالى من شر ما خلق تعميم في كل
ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعد من
الغاسق والنفاثات والحاسد اجيب بانه قد
خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء امرهم وقالوا
شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تعلم
واخرج الامام احمد عن الزبير بن العوام رضي
الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال دب اليكم

دا

داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء الا والبغضاء هي
الحالقة نسال الله تعالى ان يحفظنا ويجنبنا منه
انه كريم جواد وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم
قال لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وروى
ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال وانك ان
تقرا سورتين لا احب ولا ارضى عند الله منهما
يعني المعوذتين وعن عقبة انه عاد ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبرك بافضل
ما تعوذ به المتعوذون قلت بلى يا رسول الله
قال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس
وما رواه الزمخشري ولم ينقله البيضاوي وهناك
قال في اخر السورة الاية عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب
التي انزلها الله تعالى حديث موضوع

تفسير سورة الناس

وهي ست ايات وعشرون كلمة وتسعة وتسعون
حرفا بسم الله المحيط بكل باطن كاحاطته بكل
ظاهر الرحمن الذي عمت نعمه كل باد وحاضر الرحيم
الذي خص اهل وداده باتمام النعمة في جميع امورهم
الدنيوية والاخروية ولما امر الله تعالى نبيه بالاستعاذة
مما تقدم ان يستعيذ من شر الوسواس بقوله تعالى
قل ايا اشرف المرسلين اعوذ [illegible] اي اعتصم
والتجئ برب اي مالك وخالق الناس وخصهم بالذكر

وان كان رب جميع المحدثات لامرين احدهما ان الناس يعظمون فاعلم بذكرهم انه ربهم وان عظموا الثاني انه امر بالاستعاذة من شرهم فاعلم بذكرهم انه هو الذي يعيذ منهم قال الملوي رحمه الله والرب من له ملك الرق وجلب الخيرات من السماء والارض وابقاؤها ودفع الشرور ورفعها والنقل من النقص الى الكمال والتدبير العام العائد بالحفظ والتتميم على المربوب وقوله تعالى ملك الناس اشارة الى انه تعالى لما انفرد بربوبيتهم وملكهم لم يشركه في ذلك احد فكل له هو وحده الههم لا يشركه في الالوهية احد وقد اشتملت هذه الاضافات الثلاث على جميع قواعد الايمان وتضمنت معاني اسمائه الحسنى فان الرب هو القادر الخالق الى غير ذلك مما يتوقف الاصلاح والرحمة والقدرة الذي هو معنى الربوبية عليه من اوصاف الجمال والملك هو الامر الناهي المعز المذل الى غير ذلك من الاسماء العائدة الى العظمة والجلال واما الاله فهو الجامع لجميع معاني الاسماء كان المستفيد جديرا بالاتيان وقد وقع في ترتيبها على الوجه الاكمل الدال على الوحدانية لان من راى ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة علم ان له مربيا فاذا درج في العروج في درج معارفه

سبحانه

سبحانه علم انه غني الكل والكل اليه وعن امره تجري امورهم فيعلم انه ملكهم ثم يعلم بانفراده بتدبيرهم بعد ابداعهم انه المستحق للالهية بلا مشاركة لديها فائدة قد اجتمع جميع القراء في هذه السورة على اسقاط الالف من ملك بخلاف الفاتحة لامصنف لان المالك اذا اضيف الى اليوم افهم اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر وعرض وانه لا امر لاحد معه ولا مشاركة في شي من ذلك وهو الملك بالضم واما اضافة الملك الى الناس فانها تستلزم ان يكون ملكهم فلو قرئ به هنا لنقص بالضم واطبقوا في ال عمران اثبات الالف في المضاف وحذفها من المضاف اليه لان المقصود من السياق انه سبحانه يعطي الملك الملك من يشا ويمنعه من يشا والملك بكسر الميم اليق بهذا المعنى واسرار كلام الله تعالى اعظم من ان تحيط بها العقول وانما غاية اولي العلم الاستدلال بما ظهر منها فائدة لا يجوز في ملك الناس والاله الناس الا يكونا وصفين لرب الناس وان يكونا بدلين وان يكونا عطف بيان واقتصر عليه الزمخشري قال كقوله سيرة ابي حفص الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا بالاله الناس لانه قد يقال لغيره رب كقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال

ملك الناس واما اله الناس فخاص لا شركة
فيه فجعل غاية البيان فان قيل هلا اكتفي باظهار
المضاف اليه الذي هو الناس مرة واحدة
اجيب بان عطف البيان فكان مظنة للاظهار
دون الاضمار **من شر الوسواس** وهو اسم
بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما
المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال بمعنى الزلزلة
واما المصدر فوسواس بالكسر والمراد به الزلزلة
شيطان سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه
لانه صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه او
اريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفي
ويقال لحس الصائد والكلاب واصوات الحلي
ووسواس الشيطان يجري من ابن ادم مجرى
الدم كما في الصحيح فهو يوسوس بالذنب سرا
ليكون احلى ولا يزال يزينه ويثير الشهوة الداعية
اليه حتى يوقع الناس فاذا اوقعهم وسوس
لغيره ان فلانا فعل كذا حتى يفضحه بذلك
فان افتضح زاد جراة على امثال ذلك لانه
يقول قد وقع ما كنت احذره فلا يكون شي
غير الذي كان فيجتري على الذنب ولما كان
الله تعالى لم ينزل داء الا انزل له دوا غير
السام وهو الموت وكان قد جعل دوا الوسوسة
ذكره تعالى فانه يطرد الشيطان وينير القلب

ويصفيه

ويصفيه وصف سبحانه الموسوس عند استعمال
الدوا بقوله تعالى **الخناس** اي الذي عادته
ان يخنس اي يتوارى ويتاخر ويختفي بعد
ظهوره مرة بعد مرة كلما كان الذكر خنس وكلما
بطل عاد الى وسوسته فالذكر له كالمقامع
التي يقمع المفسد فهو شديد النفور منه ولهذا
كان الشيطان المومن هزيلا كما حكي عن بعض
السلف ان المومن يضني شيطانه كما يضني الرجل
بعيره في السفر قال قتادة الخناس خرطوم
الكلب وقيل كخرطوم الخنزير في صدر له لسان
فاذا ذكر العبد خنس ويقال راس كراس الحية
واضع راسه على ثمرة القلب يمنيه ويحدثه
فاذا ذكر الله خنس ورجع ووضع راسه فذلك
قوله تعالى **الذي يوسوس** اي المتسلط به اذا غفلوا — في صدور الناس
عن ذكر ربهم من غير سماع قال مقاتل ان
الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن ادم
مجرى الدم من عروقه سلطه الله تعالى على
ذلك وقال القرطبي وسوسته هو الدعا الى
طاعته بكلام خفي يصل مفهومه الى القلب من
غير سماع صوت تنبيه يجوز في محل الذي
يوسوس الحركات الثلاث فالجر على الصفة
والنصب على الشتم ويحسن ان يقف القاري
على الخناس ويبتدي بالذي يوسوس على احد

هذين الوجهين وقوله تعالى من الجنة اي الجن
الذين هم في غاية الشرور والتمرد والخناس والناس
اي اهل الاضطراب والذبذبة بيان الذي
يوسوس على ان الشيطان ضربان جني
وانسي كما قال تعالى شياطين الجن والانس ويجوز
ان يكون بدلا من ذي الموسوس من الجن والانس
وقيل غير ذلك قال الحسن هما شيطانان لنا اما
شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس واما
شيطان الانس فياتي علانية وقال قتادة ان
من الجن شياطين الانس قال او من الانس
شياطين قال نعم لقوله تعالى وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن الاية
وذهب قوم الى ان المراد بالناس هنا الجن
سموا بذلك ناسا كما سموا رجالا في قوله تعالى
وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال
من الجن وكما سموا نفرا في قوله تعالى قل اوحي
الي انه استمع نفر من الجن وكما سموا قوما نقل
الفراء عن بعض العرب انه قال وهو يحدث جا قوم
من الجن فوقفوا من انتم فقالوا اناس من الجن
فعلى هذا يكون والناس عطفا على الجنة
ويكون التكرير لاختلاف اللفظين والجنة جمع
جني كما يقال انسي وانس والهاء لتانيث الجماعة
وقيل ان ابليس يوسوس في صدور الناس

فعلى هذا يكون في صدور الناس عام في الجميع
ومن الجن والناس بيان لما يوسوس في صدوره
وقيل معنى من شر الوسواس اي الوسوسة
التي تكون من الجنة والناس وهو حديث النفس
قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تجاوز
لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تعلم او تتكلم
به وعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الم تر ايات نزلت الليلة
لم ير مثلهن قط اعوذ برب الفلق واعوذ برب
الناس وعنه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الا اخبركم بافضل ما تعوذ المتعوذ
قلت بلى قال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ
برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وعن عايشة
رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه
فنفث فيهما وقرا قل هو الله احد وقل اعوذ برب
الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما
استطاع من جسده يبدا بهما راسه ووجهه
وما اقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات
وعن عايشة ايضا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان اذا اشتكى يقرا عليه او مسح عنه
بيده رجا بركتها وعن ابن عمر رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسد

الا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم
به آناء الليل وآناء النهار وعن ابن عباس رضي
الله عنهما قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال
احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما
الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القرآن
الى آخره كلما حل ارتحل وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي حسن
الصوت بالقرآن يجهر به لطيفة تختم بها كما
ختم الرازي رحمه الله تعالى تفسيره وهو
المستعاذ به في السورة الاولى مذكور بصفة
واحدة وهي انه رب الفلق والمستعاذ منه
ثلاثة انواع من الآفات وهي الغاسق
والنفاثات والحاسد واما في السورة الثانية
فالمستعاذ منه مذكور بصفات ثلاث وهي الرب
والملك والاله والمستعاذ منه آفة واحدة وهي
الوسوسة والفرق بين الموضعين ان الثناء يجب
ان يتقدر بقدر المطلوب فالمطلوب في السورة
الثانية سلامة الدين وهذا تنبيه على ان
مضرة الدين وان قلت اعظم من مضار الدنيا
وان عظمت وهذا آخر ما يسره الله تعالى من
السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض
معاني كلام ربنا الحكيم الخبير فدونك تفسيرا

كانه

كانه سبيكة عسجد او درر منضد جمع التفاسير
معظمها ومن القراءات متواترها ومن الاقاويل
اظهرها ومن الاحاديث صحيحها وحسنها محرر الدلا
يل في هذا الفن مظهر الدقائق استعملنا
الفكر فيها آناء الليل حين فان ظفرت بفائدة شاردة
فادع لي بالتجاوز والمغفرة او بزلة قدم او لسان
فافتح لها باب التجاوز والمعذرة فلا بد من
عيب فان تجدنه فسامح وكن بالستر اعظم متفضل
فمن ذا الذي ما ساء قط ومن له المحاسن قد
تمت سوى خير مرسل وانا اعوذ بكلمات الله
الكاملة التامة والوذ بكنف رحمته الشاملة
العامة من كل ما يظلم الدين ويثلم اليقين
او يورث العاقبة بالندم او يقدح في الايمان
المنوط باللحم والدم واساله بخضوع العنق
وخشوع البصر ووضع الخد لجلاله الاعظم الاكبر
مستشفعا اليه بنوره الذي هو الشيبة في
الاسلام متوسلا بسيد الانام عليه الصلاة
والسلام وبالتوبة الممحصة للآثام ومما عنيت
به من مصابرتي على تواكل من القول وتخاذله
من الخطى ثم اساله بحق صراطه المستقيم
وقرآنه المجيد الكريم وبما لقيت من كدح اليمين
وعرق الجبين في عمل هذا التفسير المبين عن
حقائقه المخلص عن مضائقه المطلع على

غوامضه، المثبت مداحضه، المكثر للفوائد
التي لا توجد الا فيه، المحيط بما لا يكتنفه من بديع
ألفاظه ومعانيه، مع الايجاز الحاذق للفضول،
وتجنب المستكره المملول، متوسط الحجم، وخير الامور
اوساطها، لا تفريطها ولا افراطها، هذا ولسان
التقصير في طول مدحه قصير، فأسأل الله تعالى
الكريم الذي بيده الضر والنفع، واليه العطا والمنع،
ان يجعله لوجهه خالصا، وان يتداركني بالطافه
اذا الظل اضحى في القيمة قالصا، وان يتقبله
مني انه هو السميع العليم، وان ينفع به من
تلقاه بالقبول انه جواد كريم، وان يخفف عني
كل تعب ومؤنه وان يمدني بحسن المعونة
وان يهب لي خاتمة الخير، ويقيني مصارع
السوء، ويتجاوز عن فرطاتي يوم التنادي،
ولا يفضحني بها على رؤوس الاشهاد، انا ووالدي
واقاربي، ومشايخي واحبابي، ويجعلنا دار المقام
من فضله بواسع طوله وسابغ نوله، انه هو
الجواد الكريم، الرؤوف الرحيم وهذا شيء ما كان
في قدرتي، فاني والله معترف بقصر الباع
وكثرة الزلل، ولكن فضل الله تعالى وكرمه
لا يعلل بشيء من العلل، فلهذا رجوت ان اكون
متصفا باحدى الخصال الثلاث التي اذا مات
ابن آدم انقطع عمله الا منها، بل ارجو من الله الكريم

اجتماعها

اجتماعها انه كريم حليم قال المؤلف رضي الله تعالى
عنه وارضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه وكان
الفراغ من تأليفه يوم الاثنين المبارك ثالث
عشر صفر الخير من شهور سنة ثمان وستين
وستمائة من الهجرة النبوية على صاحبها
افضل الصلاة والسلام على يد مؤلفه فقير
رحمة ربه القريب محمد ابن احمد الشربيني الخطيب
غفر الله تعالى له ذنوبه وستر في الدارين
عيوبه والمسلمين والحمد لله رب العالمين وصلاة
الله وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين
والمرسلين والصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان
الى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء
الشريف يوم الاحد المبارك
ثلاثة عشر ايام خلت من شهر
شعبان سنة [illegible] من هجرة
من له العز والشرف على يد
افقر العباد احمد [illegible]
خفاجي اللهم
اغفر له ولـ
لوالد
يه
تم

افقر العباد